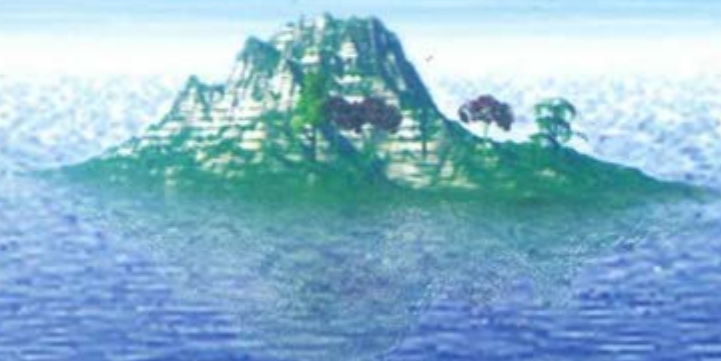


الفرقة الناجية

مناظرات ومراسلات في العقائد والتاريخ



العلامة السيد محمد الموسوي
سلطان الواعظين الشيرازي (رحمه الله)

٢-١

المكتبة المرتضوية

الفرقة الناجية



هوية الكتاب:

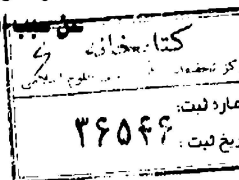
الفرقة الناجية	اسم الكتاب:
سيد محمد الموسوي	المؤلف:
شريعة - قم	المطبعة:
٥٠٠٠ نسخة	العدد:
١٣٨٤/٦/١	تاريخ النشر:
٩٥٨	العدد صفحات:
٩٦٤-٩٢٨٣٩-٧-٨	رقم الشايك:
خمسة الاف تومان	السعر:
مكتبة المرتضى طهران	الناشر:

شارع ناصر خسرو - زقاق حاج نايب

الفرقة الناجية

مناظرات ومراسلات في العقائد والتاريخ

عن سبب افتراق المسلمين الى ٧٢ فرقة



تأليف

العلامة السيد محمد الموسوي سلطان الواعظين الشيرازي
(مؤلف ليالي بيشاور)

شبكة كتب الشيعة

تعدادی امو

در مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم

٢٨٧٦

ش - اموال:

تمريب وتحقيق وتعليق

فاضل الضراحي

الجزء الأول



shiabooks.net

رابطہ پیدیل < mktba.net



التحقيق والطباعة
والنشر والتوزيع
المطبعة العلمية - بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَالِكِ
يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦

مقدمة المترجم

هذه ترجمة الجزء الاول من كتاب الفرقة الناجية لمؤلفه القدير العلامة الكبير السيد محمد سلطان الواعظين الموسوي الشيرازي (قدس سره) ، كان من العلماء العاملين والخطباء البارعين الذين قدّموا خدمات كثيرة وجلية للتشيع بلسانه وقلمه ، وكان (قدس سره) سيداً جليلاً واعظاً كاملاً فاضلاً ماهراً متتبِعاً باحثاً، له مولفات كثيرة ، منها (لبالي بيشاور) و (مائة مقالة سلطانية).

كانت ولادته في ٧ ذي القعدة عام ١٣١٤ هـ في طهران وأخذ المقدمات والأوليات على أساتذتها. وفي سنة ١٣٢٦ هـ هاجر إلى كربلاء مع والده وحضر على أعلام حوزتها الماجدة أمثال السيد الميرزا علي الشهرستاني والشيخ غلام حسين المرندي والشيخ موسى الكرمشاهي حتى برع وكمل في كربلاء، ثم اتصل بالزعيم الشيخ عبد الكريم الحائري في قم وحضر دروسه. وتوفي يوم الاثنين ٢٠ شعبان عام ١٣٩١ هـ الموافق ١١ تشرين الأول ١٩٧١ م^(١).

يتألف هذا الكتاب من جزئين يضم بين دفتيه محاورات المؤلف مع مجموعة من طلاب الجامعة في بيته بطهران حول حديث افتراق المسلمين

(١) حوادث الأيام ، القسم الأول، ص ٤٠٤ للمرحوم الشيخ عباس الحائري

وأسباب افتراقهم وما يتصل بذلك من مواضيع مهمة جداً، وهذه هي المرة الأولى التي يترجم فيها هذا الكتاب المهم، وقد أدرجنا المصادر التي يذكرها المؤلف بطبعاتها الحديثة غالباً وأضفنا بعض المصادر إليها حسب أهمية الموضوع.

وكان (قدس سره) قد كتب مقدمة طويلة في بداية الكتاب حول مواضيع منها سبب طباعة ليالي بيشاور، وكان ذلك بطلب من العلامة عبدالحسين شرف الدين العاملي وتهجم البعض عليه وما إلى ذلك من مواضيع لا علاقة لها بموضوع هذا الكتاب ولذلك لم نترجمها، هذا وقد عزفنا عن ترجمة بعض الأمور الأجنبية عن البحث أيضاً وأشرنا إلى مواقعها في الهامش بين معقوفتين [...]

نسأل الله تعالى أن ينفع به أهل الإيمان وطلاب الحقيقة ويجعله ذخراً لنا في آخرتنا.

فاضل الفراني

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٠ م

قصّة الكتاب

في شهر شعبان من عام ١٣٨٠هـ، قدّم عدّة أشخاص من الشباب المتعلّم من جامعة طهران من الإخوة أهل السنّة، للقاء بي. وبعد إظهار السرور بلاقائي، وتقديم الشكر على نشر كتاب «ليالي بيشاور» ومئة مقالة سلطانية^(١) الذي أذى لتنوير أفكار المثقّفين، قالوا: بما أنّه كثر الكلام في صفوف الطلبة الشباب حول حديث نبوي زاد من حيرتهم فيه اختلاف أقوال الأساتذة، رأوا أن يكتبوا لكم رسالة وحملونا نقلها.

لو تفضّلتم على الطلبة الباحثين عن الحقيقة والطريق القويمة، وأجبتهم على رسالتهم فلکم بالغ الامتنان.

طلّعت الرسالة فرأيت أنّها تدور حول سؤال ذي خمسة فروع. ورد في الرسالة بعد العناوين ما يلي:

موضوع الرسالة:

بعد مطالعة كتابكم «ليالي بيشاور» في الدفاع عن حريم التشيع، وكتاب «مئة مقالة سلطانية في معرفة التوراة والإنجيل والقرآن المجيد» والتنوير والإيضاح في جميع الأمور الدينية والمذهبية، وبعد اطلّاعنا على تبخّر جنابكم الكريم في

(١) بالفارسية: صد مقالة سلطانية، نسبة إلى لقبه سلطان الواعظين.

كتب الفرق الدينية والمذهبية، بدت لنا عدّة أسئلة علمية ومذهبية ضرورية على سبيل الاضطرار والاحتياج، نقدّمها فيما يلي ونحن على أمل الحصول على جواب مفصّل وبسيط وواضح ومشفع بالأدلة العقلية والنقلية منكم، يتفق مع أفهام الشباب، ولكم الفضل.

السؤال الأوّل:

هل الحديث المعروف عند أهل العلم والفضل «ستفترق أمتي بعدي على ثلاث وسبعين فرقة، يهلك اثنان وسبعون فرقة وتنجو فرقة واحدة» هل هو حديث صحيح في نظركم وجاء ذكره في الكتب المعتبرة أم لا؟ وفي حالة صحّته، هل نقله علماء الشيعة والسنة؟

السؤال الثاني:

وكذلك في حالة صحّته، كيف تبدّدت جهود رسول الله ﷺ نحو وحدة المسلمين وكذلك دعوات القرآن نحو الوحدة؟ وفي أيّ زمان حدثت هذه التفرقة، ومن كان سببها؟^(١)

على حسب ما يلاحظ في كتب الجماعة ويقول مشايخنا: إنّ موجد التفرقة هو اليهودي الصنعاني عبد الله بن سبأ، وذلك في خلافة عثمان بن عفّان، وهو الذي ذهب معارضاً للخليفة الثالث إلى مصر وأسس هناك حزباً باسم الشيعة ولم يكن مثل هذا الاسم موجوداً بين المسلمين آنذاك، وعلى أثر ذلك ظهرت الفرقتان «الشيعة» و«السنة» في صفوف المسلمين، فهل هذه المقولة صحيحة أم

(١) ستدور مباحث هذا الجزء - الأول - حول جواب السؤال الأوّل والثاني فقط، وبقيّة الأسئلة يجيب عنها المؤلف في الجزء الثاني / المترجم.

٩٧

وعلى كلا الفريقين اذكروا لنا رأيكم واكتبوه من أجل تنوير وإيقاظ الشباب.

السؤال الثالث:

وهل هناك فرق أخرى غير الشيعة والسنة؟ وإذا كان لها وجود فنرجو أن تذكروها لنا لكي نعرفها؟^(١)

السؤال الرابع:

ثم إن الاختلافات الحاصلة هل هي اختلافات في أصول الدين أم في فروعه؟ نتمنى أن توضحوا لنا هذا أيضاً؟

السؤال الخامس:

وبلا شك فإن كل فرقة ترى نفسها هي الناجية والبقية في النار، وعليه فينبوا لنا من هي الفرقة الناجية التي ذكرها النبي ﷺ في حديثه من بين ثلاث وسبعين فرقة؟ وكيف يحق لكل فرقة أن ترى نفسها الناجية دون غيرها؟ نتمنى أن تذكروا لنا كل ذلك مع الأدلة العقلية والنقلية، وتعينوا لنا الفرقة الناجية مع الدليل؟

كما نرجو منكم أن تخصصوا لنا ساعات معينة من وقتكم لكي نلتقي بكم في حالة عدم فهمنا لبعض المطالب التي تذكرونها لاسيما وإننا نقضي ثمانية أو تسعة أشهر في طهران. وفي الختام نقدم فائق احترامنا وشكرنا.

(١) سيكون هذا السؤال وجوابه مطلع الجزء الثاني / المترجم.

وبعد مطالعة الرسالة تكلمت مع الشباب بشكل موجز حول أصل الموضوع ووافقت أن أُجيب على الرسالة أولاً، وأن يلتقوا بي يومين في الأسبوع من أجل الحوار والاستيضاح، ومضت مدة من الزمن كنّا نلتقي بالشباب ونتحاور وكان يأتي معهم بعض علماء أهل السنة المنصفين. والجميل في الأمر أن هذه الجلسات كان طابعها العام الهدوء والصفاء والإنصاف، وقد طُرحت فيها عدّة أسئلة مهمة وجديرة بتسجيلها هنا لأنها ترتبط بالبحث، وكنت أُجيب عليها بشكل كامل ممّا يلزم الخصم وكانت تنتهي الجلسة بسكوت الطرف المقابل ورضوخه.

وكنّت أكتب هذه الحوارات في دفاتر خاصة فيما بعد الجلسة وجمعتها كلّها حتّى خرج اليوم على شكل كتاب باسم (الفرقة الناجية) أقدمه للمسلمين عامّة بكلّ أدب واحترام وبعيداً عن التعصّب والعناد، لكي تنكشف الحقيقة لمن طلبها.

البداية

أما حول جواب السؤال الأول وهو عن نصّ حديث رسول الله ﷺ ، فقد ذكره كبار الفريقين الشيعة والسنة وبأسانيد معتبرة. فقد روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام والإمام جعفر الصادق عليه السلام وسليم بن قيس وأنس بن مالك وأبي هريرة وأبي الدرداء وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبي سعيد الخدري وأبي بن كعب وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص وأبي أمامة وابن بدار وغيرهم ، بالفاظ وعبارات مختلفة وفي أماكن متعدّدة بعد أن سمعوه من رسول الله ﷺ . ثم إن هذا الاختلاف في الألفاظ يفيد أن رسول الله ﷺ أراد أن يشير إلى تعدّد الفرق، لا أنّه أراد أن يعيّن نوع الافتراق؛ هل هو ديني مذهبي أم كلامي صرف أو غيره .

ففي بعض الأحاديث إشارة إلى فرقتين وفي بعضها إلى ثلاث وفي بعضها إلى أربع وفي بعضها اثنتين وسبعين ، وأكثر هذه الأحاديث تشير إلى ثلاث وسبعين فرقة . وهذا الاختلاف في الألفاظ لا يعني أنّها متناقضة ومن ثمّ يُصادر أصل الموضوع وإنّما هذه الاختلافات لها دلالاتها الخاصّة بها ، كيف وقد عدّ بعض المسلمين هذا الحديث النبوي على اختلاف ألفاظه معجزة من معاجز النبي ﷺ لأنّه إخبار عن المستقبل .

وهنا يمكن القول: إنّ الحديث الذي وردت فيه عبارة (فرقتين) يُحمل على المؤمنين والمنافقين أو على الشيعة والسنة .

والحديث الذي وردت فيه عبارة (ثلاث فرق) يُحمل على الأحداث التي حصلت بعد رحيل النبي ﷺ ، فقد انقسم المسلمون إلى ثلاث فرق :

الأولى : فرقة كبار الأنصار والذين التقوا حول أمير المؤمنين علي عليه السلام ورفضوا بيعة أبي بكر ، وذلك للنصّ النبوي الوارد في خلافة الإمام علي في

غدير خم وغيره^(١).

الثانية: وفرقة التفوا حول العباس عم النبي ﷺ باعتباره من الورثة وكونه أكبر سناً من غيره - وقد انقرض هذا التيار تماماً في تلك العهود -.

الثالثة: وفرقة التفّت حول أبي بكر وبايعته.

وبعض هذه الفرق الثلاث قد كرسّت معنى التفرقة في الأمة الإسلامية في ذلك العهد، أو يمكن أن تكون الثلاث فرق هذه غير ما ذكرته أعلاه. وإنما هي ما ذكره النبي ﷺ في حديثه المروي الذي ذكره شيخ الطائفة ورئيس المحدثين أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي في كتاب المجالس، وذكره أيضاً أخطب خوارزم مؤيد الدين الموفق بن أحمد الخوارزمي في كتاب المناقب مسنداً عن سلمان الفارسي مع قليل من التفاوت: قال رسول الله ﷺ: تفترق أمتي بعدي ثلاث فرق، فرقة على الحق لا يشوبونه بباطل، مثلهم كمثل الذهب كلما فتته بالنار ازداد جودةً وطيباً، وإمامهم هذا لأحد الثلاثة، وهو الذي أمر الله به في كتابه إماماً ورحمة.

وفرقة أهل باطل يشوبونه بحق، مثلهم كمثل خبث الحديد كلما فتنتهم بالنار ازدادوا خبثاً وتناً، وإمامهم هذا لأحد الثلاثة. وفرقة أهل ضلالة مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، إمامهم هذا لأحد الثلاثة. قال: فسألته عن أهل الحق وإمامهم؟ فقال: هذا علي بن أبي طالب إمام المتقين^(٢).

أو يمكن حمل الفرق الثلاث على ما روي عن رسول الله ﷺ في بحار الأنوار للعلامة المجلسي نقلاً عن مناقب محمد بن أحمد بن شاذان بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله ﷺ قال: يا عليّ مثلك في أمتي مثل المسيح عيسى بن مريم افترق قومه ثلاث فرق،

(١) سيأتي لاحقاً.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٨ ح ١٦ كتاب الفتن والمحن ص ١٠ ط المكتبة الإسلامية.

فرقة مؤمنون وهم الحواريون وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن الإيمان، وإن أمتي ستفترق فيك ثلاث فرق، فرقة شيعةك وهم المؤمنون، وفرقة عدوك وهم الشاككون، وفرقة تغلو فيك وهم الجاحدون، وأنت في الجنة يا علي وشيعةك ومحبة شيعةك، وعدوك والغالي في النار^(١). وأما الأحاديث التي وردت فيها عبارة (أربع فرق) فإما أن تحمل على: الطوائف الأربع وهم: القدرية والصفاتية والخوارج والشيعة وقد عدّهم الشهرستاني من أكبر فرق المسلمين.

وإما أن تحمل على المذاهب الأربعة: الأحناف والمالكية والشافعية والحنبلية، فإن هذه المذاهب ظهرت وانتشرت في أيام أبي جعفر المنصور الدوانيقي، ويعود السبب إلى الفترة التي أتت تحت للإمام الصادق عليه السلام من سقوط الدولة الأموية الظالمة وتشكل دولة بني العباس، فإن هذه الفترة بين الدولتين فسحت المجال سياسياً للإمام الصادق عليه السلام فتصدى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبث العلم من الفقه والعقائد وبقية العلوم حتى روي أن تلاميذه وصل عددهم إلى أربعة آلاف طالب، وكان من ضمنهم أبو حنيفة النعمان، ومالك بن أنس. ونظراً لتوسّع قاعدة الإمام الصادق والتفاف الناس حوله شعر أبو جعفر المنصور أن هذا الوضع يهدّده لأنه يسحب البساط من تحته بمرور الزمن ولذلك أوعز إلى أبي حنيفة ومالك أن اعتزلا حلقة درس الإمام الصادق عليه السلام، فاعتزلا، فعين أبا حنيفة إماماً ومرجعاً دينياً في بغداد والكوفة، وعين مالكا في المدينة. وصاحب ذلك سيل إعلامي من الدولة مع صرف مبلغ شهري لكل من يحضر دروسهما، وبذلك فتح الطريق للمذهب الحنفي والمالكي، وبعبارة أخرى فتح المجال للاجتهادات والآراء الشخصية مقابل النصوص القرآنية وسنة

(١) البحار، ج ٢٨، ح ١٧، ص ١١، ط المكتبة الإسلامية، مع تفاوت يسير.

النبي ﷺ فظهر القياس على يد أبي حنيفة.

مع مرور الزمن ضيق الخناق على الإمام الصادق عليه السلام وشيعة أهل البيت وفتح المجال لأبي حنيفة ومالك، وبالتالي فإن أغلب الناس عبيد الدينار والدرهم فمالوا مع أبي حنيفة ومالك طمعاً في المال وخوفاً من سطوة السلطان. من بعدهما جاء محمد بن إدريس الشافعي، وأظهر مذهباً جديداً مغايراً في الفتوى لمن تقدمه. وبعده جاء أحمد بن حنبل وهو تلميذ مالك بن أنس. أما أبو حنيفة وأصحابه وأتباعه فقد عرفوا في العراق بـ (أصحاب الرأي والقياس) أي كلما عجزوا عن فهم الآيات والروايات أفتوا بأرائهم، أو قاسوا بعض المواضيع على مواضيع أخرى وأجروا الأحكام، وأما محمد بن إدريس الشافعي ومالك وأحمد فإنهم عرفوا في الحجاز بـ (أصحاب الحديث)، إلا أن هؤلاء الأئمة الأربعة كان منحاهم الفقهي والعقائدي خلاف منحى الإمام الصادق عليه السلام، من أجل إرضاء خواطر السلطان!!

ولهذا السبب ظهرت الاختلافات إلى أن وصلت فرق أهل السنة إلى أربع وأربعين فرقة!!^(١) موزعين على محورين:

١ - المعتزلة: أتباع واصل بن عطاء المعتزلي.

٢ - الأشاعرة: أتباع أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري.

وأما الشيعة فإنهم انقسموا إلى عشرين فرقة كما ذكرها الشهرستاني، وسوف نفصل هذا البحث لاحقاً إن شاء الله^(٢).

هذه الفرق المتعددة بمرور الزمن هي التي أخبر عنها النبي ﷺ في حديثه.

(١) بل أكثر من خمسين فرقة كما عدها الشهرستاني وغيره / المترجم.

(٢) الجزء الثاني، إن شاء الله / المترجم.

الحديث في مصادر أهل السنة

وأما مصادر حديث رسول الله ﷺ (إن أمتي ستفترق بعدي...) في مصادر أهل السنة فهي:

١ - ذكر العالم الزاهد البارع رضي الدين أبو القاسم علي بن طاووس طيب الله رسمه في طرائفه وغيره من أكابر العلماء، كتفسير الحافظ محمد بن موسى الشيرازي وهو من أكابر علماء أهل السنة الذي استخرجه من اثني عشر تفسيراً، وهي:

(تفسير أبي يوسف يعقوب بن سفيان) و(تفسير ابن جريج) و(تفسير مقاتل بن سليمان) و(تفسير وكيع بن جراح) و(تفسير يوسف بن موسى القطان) و(تفسير قتادة) و(تفسير أبي عبيدة القاسم بن سلام) و(تفسير علي بن حرب) و(تفسير السري) و(تفسير مجاهد) و(تفسير مقاتل بن حيان) و(تفسير أبي صالح)، وجميع هؤلاء نقلوا الحديث عن طريق أنس بن مالك الذي قال: «كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فتذاكرنا رجلاً يصلي ويصوم ويتصدق ويزكي فقال لنا رسول الله ﷺ: لا أعرفه. فقلنا: يا رسول الله! إنه يعبد الله ويسبحه ويقده ويوحده. فقال رسول الله ﷺ: لا أعرفه. فبينما نحن في ذكر الرجل إذ طلع علينا فقلنا: هوذا. فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال لأبي بكر: خذ سيفي هذا وامض إلى هذا الرجل واضرب عنقه فإنه أول من يأتيه من حزب الشيطان. فدخل أبو بكر المسجد فرآه راكعاً فقال: والله لا أقتله فإن رسول الله ﷺ نهانا عن قتل المصلين. فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني رأيته يصلي. فقال رسول الله ﷺ: اجلس، فلست بصاحبه، قم يا عمر وخذ سيفي من أبي بكر وادخل المسجد واضرب عنقه قال عمر: فأخذت السيف من أبي بكر ودخلت المسجد فرأيت الرجل ساجداً فقلت: والله لا أقتله فقد استأمنه من

هو خير مني. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله: إني رأيت الرجل ساجداً. فقال: يا عمر اجلس، فليست بصاحبه، قم يا علي فإني أنت قاتله إن وجدته فاقتله فإني إن قتله لم يقع بين أمتي اختلاف أبداً، قال علي عليه السلام: فأخذت السيف ودخلت المسجد فلم أراه فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما رأيته، فقال: يا أبا الحسن إن أمة موسى افترقت إحدى وسبعين فرقة؛ فرقة ناجية والباقيون في النار، وإن أمة عيسى افترقت اثنتين وسبعين فرقة؛ فرقة ناجية والباقيون في النار، وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقيون في النار. فقلت: يا رسول الله، ومن الناجية؟ فقال: المتمسك بما أنت وأصحابك عليه، فأنزل الله في ذلك الرجل: «ثاني عطفه...»^(١).

٢- ذكره شهاب الدين أحمد بن عبد ربه في العقد الفريد باختصار وذكر في ذيل الحديث قوله ﷺ: «لو قُتل لما اختلف بعده اثنان. إن بني إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين فرقة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة وهي الجماعة»^(٢).

٣- ذكره الزمخشري في الكشف بهذا النص «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وهي الناجية، وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة»^(٣).

(١) دلائل الصدق، القسم الثاني، ج ٣، ص ٥٠، والإصابة ج ٢، ص ٣٤١، رقم ٢٤٥٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٥ واستمر بقية مصادره.

(٢) العقد الفريد ج ١، ص ٣٥٠، ط الأزهر بمصر، عام ١٩٢٨ م.

(٣) الكشف ج ٢ ص ٨٢-٨٣ ذيل آية ١٥٩ من سورة الأنعام.

٤ - جاء في هامش الكشف حول نفس الموضوع ما يلي: «أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي من رواية محمد بن عمرو عن أبي هريرة دون كلمة - كلها».

٥ - ذكره أبو داود في سننه إلى آخر الحديث وعلاوة على ذلك، ففيه عبارة (وواحدة في الجنة)^(١).

٦ - ونقله الترمذي أيضاً بهذا النص «... كلهم في النار إلا ملة واحدة وهي الناجية، واختلفت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»^(٢).

٧ - وعن طريق ابن حبان والحاكم والطبراني أيضاً بنفس الطريق نقلوه، وقد نقل الطبراني عن طريق عوف بن مالك في آخره: «فرقة في الجنة وثلثان وسبعون في النار. قيل: من هي؟ قال: الجماعة»^(٣).

والحديث المروي عن طريق أبي أمامة في الأوسط بلفظ «كلها في النار إلا السواد الأعظم».

٨ - عن أبي نعيم وابن مردويه عن حديث زيد بن أسلم عن أنس مثل ما تقدم.

٩ - عن البزار والبيهقي في مطلع حديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص مثل ما تقدم.

١٠ - أيضاً عن أسلم بن سهل الواسطي في تأريخه يرويه عن جابر كما

(١) سنن أبي داود ج ٤ رقم الحديث ٤٥٩٧، ص ٢٧٦ ط مصر، دار السعادة (١٩٥٠) م.

(٢) سنن الترمذي ج ٥ رقم الحديث ٢٦٤١، ص ٢٦، ط دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق إبراهيم عطوة.

(٣) الدر المنثور ج ٢ ص ٦١.

تقدّم إلّا أن السائل هو عمر بن الخطاب.

١١ - وجاء في الدرّ المنثور للسيوطي عن رسول الله ﷺ: «افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة وإنّ أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلّهم في النار إلّا واحدة. قالوا: يارسول الله ومن هذه الواحدة؟ قال: الجماعة^(١)».

١٢ - وجاء في تفسير أنوار التنزيل للبيضاوي عن رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود إحدى وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا فرقة واحدة، وافتقرت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا فرقة واحدة، وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا واحدة»^(٢).

١٣ - جاء في «تلبّيس إبليس» عن رسول الله ﷺ: «ليأتينّ على أمتي كما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتّى إن كان منهم من أتى أمّه علانية، لكان في أمتي، من يصنع ذلك، وإنّ بني إسرائيل تفرّقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفرّقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلّهم في النار، إلّا ملة واحدة. قالوا: من هي يارسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»^(٣).

١٤ - ومثله تقريباً في سنن أبي داود.

١٥ - وفي كتاب «الفرق بين الفرق» روي مسنداً عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافتقرت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفرّقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»^(٤).

(١) الدرّ المنثور ج ٢ ص ٦٢.

(٢) أنوار التنزيل، ج ٢، ص ٢١٦، ط مصر، قديمة جداً.

(٣) تلبّيس إبليس ص ٧ جمال الدين أبو الفرج البغدادي.

(٤) الفرق بين الفرق، ص ٣، ط إيران، باهتمام الدكتور محمد جواد مشكور.

١٦- وأيضاً روي مسنداً عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ :
ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل تفرق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين
ملة، ستفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليهم ملة، كلهم في النار إلا ملة
واحدة. قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي^(١).

١٧- وأيضاً نقل مسنداً عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ : أن بني إسرائيل
افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وأن أمتي ستفرق على اثنتين وسبعين فرقة
كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة.

١٨- وفي تفسير ابن كثير عن أحمد بن حنبل مسنداً عن عبدالله بن يحيى
قال: كنت مع معاوية بن أبي سفيان في مكة المعظمة لأداء الحج ولما حان وقت
صلاة الظهر قام معاوية خطيباً وقال: إن رسول الله ﷺ قال: إن أهل الكتاب
افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفرق على ثلاث
وسبعين ملة (يعني الأهواء) كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة^(٢).

١٩- وجاء في كتاب المذاهب الإسلامية لمحمد أبي زهرة أستاذ الشريعة
في جامعة الأزهر: روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: افترقت اليهود على
إحدى وسبعين فرقة وافترت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفرق أمتي
على ثلاث وسبعين فرقة.

ثم قال: إن القبلي في كتاب العلم الشامخ قال: وحديث افتراق الأمة إلى
سبعين فرقة رواياته كثيرة يشد بعضها بعضاً بحيث لا تبقى ريبة في حاصل
معناه^(٣).

(١) تفسير: المنار، ج ٨، ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٩٠ لابن كثير الدمشقي.

(٣) المذاهب الإسلامية ص ١٤.

٢٠ - ونقل المولى جلال الدين محمد بن سعد الدواني عين الحديث المتقدم في كتابه^(١).

٢١ - وجاء في سنن ابن ماجة القزويني ثلاثة أحاديث مسندة حول افتراق الأمة عن رسول الله ﷺ^(٢).

وخلاصة القول: إن موضوع افتراق الأمة الإسلامية من المواضيع المعروفة عند أهل السنة، وقد ذكرنا (٢١) مصدراً كنماذج من مصادر أهل السنة التي جاء فيها ذكر هذا الحديث.

نعم، اعترض الغزالي والفخر الرازي على هذا الحديث، إلا أن أهل السنة والجماعة لم يعتنوا باعتراضهما.

مصادر الحديث في كتب الشيعة

ومن أجل إيضاح الموضوع وتنوير الأفكار نذكر بعض المصادر الشيعية التي تناولت حديث افتراق الأمة:

١ - ذكر أبو المعالي في كتاب بيان الأديان عن هارون بن يزيد عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر ولما وصلنا إلى غدير خم أمر النبي ﷺ الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس قال رسول الله ﷺ:

إن الله تعالى خلق الخلق من أشجار شتى وخلقني وعلياً من شجرة واحدة وأنا أصلها وعليّ فرعها والحسن والحسين أثمارها وأشياعنا أغصانها وأوراقها

(١) شرح العقائد العضدية.

(٢) سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٤٩٢ باب ١٧ رقم الحديث ٣٩٩١ و ٣٩٩٢ و ٣٩٩٣ و ٣٩٩٤ من كتاب الفتن.

ومن تعلق بغصن منها نجا ومن تخلف عنها تردى، ثم قال: ألسْتُ أولى بكم وبالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: اللهم نعم، قال: إذا أنا كنت مولاة فعلي مولاة اللهم وإلي من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله وأدر الحق.

ثم قال: اختلف قوم موسى من بعده على إحدى وسبعين فرقة هلكت منها سبعون فرقة ونجت واحدة منهم، وهم من قال الله فيهم ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ فهم الفرقة الناجية.

واختلف قوم عيسى بعده على اثنتين وسبعين فرقة هلكت منها إحدى وسبعون فرقة ونجت واحدة منهم وهم من قال الله فيهم: ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوا رأفةً ورحمةً﴾ فهم الفرقة الناجية.

وستختلف بعدي أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، يهلك اثنان وسبعون وتنجو فرقة واحدة وهم من قال الله فيهم: ﴿الذين يتبعون الرسول الأُمِّي﴾ ألا إني تارك فيكم الثقلين؛ إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً كتاب الله جل جلاله حبل ممدود من السماء، وعترتي أي أهل بيتي وإنيهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

فقام القوم كلهم يهتفونني بما ذكر رسول الله ﷺ حتى قال عمر بن الخطاب: يخ بخ يا أبا الحسن أصبحت مولى كل مسلم ومسلمة^(١).

(١) أبو المعالي محمد بن عبيد الله بن علي بن الحسن بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكتابه من أقدم الكتب حول الملل والنحل ألّفه عام ٤٨٥ هـ. باللغة الفارسية، والحديث المذكور في الباب الثالث.

وقد روي هذا الحديث بطرق أخرى وبألفاظ قريبة جداً لما مرّ ولكن ما ذكرناه هو أتمّها وأفضلها طريقاً، وقد ذكره العلامة الحلي في «كشف الحق» أيضاً^(١).

٢- وجاء في الكافي عن أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً مسلماً لرجل هل يستويان مثلاً»^(٢) قال: أمّا الذي فيه شركاء متشاكسون فلأنّ الأوّل يجمع المتفرقون ولايته وهم في ذلك يلعن بعضهم بعضاً ويبرأ بعضهم من بعض، فأما رجل سلّم لرجل فإنه الأوّل حقّاً وشيعته، ثمّ قال: إنّ اليهود تفرّقوا من بعد موسى عليه السلام على إحدى وسبعين فرقة منها فرقة في الجنّة وسبعون في النار وتفرّقت النصارى بعد

→ أقول: وجاء في كتاب النهاية في الفتن والملاحم لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي بهذه الألفاظ:

• «افترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنّة وسبعون في النار، وافترت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فأحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنّة. والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنّة واثنان وسبعون في النار، قيل: يا رسول الله من تراهم؟ قال: الجماعة.

• «إنّ بني إسرائيل افترت على إحدى وسبعين فرقة وإنّ أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلّها في النار إلّا واحدة وهي الجماعة.

• «ألا إنّ من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملّة وإنّ هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنّة وهي الجماعة».

أنظر النهاية في الفتن لابن كثير ص ٢٨ تحقيق عصام الصباطي ج ١ ط القاهرة. المترجم

(١) نهج الحق، ص ٣٣١، ط ايران، دار الهجرة، تقديم السيد رضا الصدر.

(٢) الزمر: ٢٩.

عيسى عليه السلام على اثنتين وسبعين فرقة، فرقة منها في الجنة وإحدى وسبعون في النار وتفرقت هذه الأمة بعد نبيها ﷺ على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون فرقة في النار وفرقة في الجنة، ومن الثلاث وسبعين فرقة ثلاث عشرة فرقة تتحل ولايتنا ومودتنا اثنا عشرة فرقة منها في النار وفرقة في الجنة وستون فرقة من سائر الناس في النار^(١).

٣- وجاء في تفسير العياشي عن زيد بن أسلم عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: تفرقت أمة موسى على إحدى وسبعين ملة سبعين منها في النار وواحدة في الجنة وتفرقت أمة عيسى على اثنتين وسبعين فرقة إحدى وسبعين فرقة في النار وواحدة في الجنة وتعلو أمتي على الفرقتين جميعاً بملة واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار، قالوا: مَنْ هم يارسول الله؟ قال: الجماعات الجماعات^(٢).

٤- وجاء في خصال الشيخ الصدوق رحمه الله مسنداً عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه سمع رسول الله ﷺ قال: إن أمة موسى افترقت بعده على إحدى وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية وسبعون في النار، وافترقت أمة عيسى بعده على اثنتين وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية وإحدى وسبعون في النار، وإن أمتي ستفرق بعدي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية واثنتان وسبعون في النار^(٣).

٥- وروي في نفس الكتاب عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن بني إسرائيل تفرقت على عيسى إحدى وسبعين فرقة فهلك سبعون

(١) الكافي ج ٨ ص ٢٢٤ ح ٢٨٣.

(٢) البحار ج ٢٨ كتاب الفتن والمحن ح ٢ ص ٣ ط المكتبة الإسلامية، وكان العياشي من أهل السنة في أوائل عمره وفي أيام شبابه استبصر وتشيع / المؤلف.

(٣) الخصال للصدوق باب السبعين وما فوقه رقم الحديث ١١.

فرقة وتخلص فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة يهلك إحدى وسبعون ويتخلص فرقة، قالوا: يا رسول الله ﷺ من تلك الفرقة؟ قال: الجماعة الجماعة الجماعة.

وقال الصدوق موضحاً هذا الحديث: الجماعة أهل الحق وإن قلوا، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: المؤمن وحده حجة والمؤمن وحده جماعة^(١).

٦ - وروي في معاني الأخبار بطريقي مسند عن عبد الله بن عمر نقل عن رسول الله ﷺ: سيأتي على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مثل بمثل وإنهم تفرقوا على اثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليهم واحدة كلها في النار غير واحدة، قال: قيل: يا رسول الله وما تلك الواحدة؟ قال: هو ما نحن عليه اليوم أنا وأصحابي^(٢).

٧ - وجاء في كتاب الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال - لرأس اليهود -: على كم افترقتم؟ قال: كذا وكذا فرقة.

فقال عليه السلام: كذبت ثم أقبل على الناس فقال: والله لو نُسيت لي الوسادة لفضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل القرآن بقرآنهم.

افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، سبعون منها في النار وواحدة ناجية في الجنة، وهي التي اتبعت يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام.

(١) المصدر نفسه رقم الحديث ١٠ ومصدر الحديث «الجماعة أهل الحق..» في معاني الأخبار، باب معنى الجماعة ح ١.

(٢) معاني الأخبار للصدوق، باب معنى الفرقة الناجية ص ٣٢٣ ط جامعة المدرسين، والشيخ الصدوق هو من أعلام الطائفة الحافظ لكثير من روايات أهل البيت وقد ألف وصنف مائتي كتاب وتوفي عام ٣٨١ هـ / المؤلف.

وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة إحدى وسبعون فرقة في النار وواحدة بالجنة وهي التي أتبعَت شمعون الصفا وصي عيسى عليه السلام. وتفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة، وهي التي أتبعَت وصي محمد ﷺ وضرب بيده على صدره ثم قال:

ثلاث عشرة فرقة من الثلاث وسبعين فرقة كلّها تنتحل مودّتي وحبّي، واحدة منها في الجنة وهي النمط الأوسط واثنتا عشرة في النار^(١).

٨- وجاء في كتاب أمالي الطوسي بإسناد هارون بن عمرو المجاشعي عين الحديث المتقدم أعلاه^(٢).

٩- وجاء في كتاب سليم بن قيس قول أمير المؤمنين عليه السلام: أيّها الناس أنا أعلم من أهل التوراة بتوارثهم وأعلم من أهل الإنجيل بإنجيلهم وأعلم من أهل القرآن بقرآنهم، أنا أعرف كم انقسمت الأمم، أخبرني به أخي وحببي وقرّة عيني رسول الله ﷺ حيث قال: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة سبعون فرقة في النار وفرقة واحدة في الجنة وهي التي أتبعَت وصيّيه، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعون فرقة في النار وفرقة واحدة في الجنة وهي التي أتبعَت وصيّيه، وستفرق أمتي على ثلاث وسبعين

(١) الاحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٢٦٣ ط الأعلمي بيروت عليها تعليقات الخراسان. هذا وقد جاء في العديد من الروايات عنهم عليهم السلام ونحن النمط الأوسط لا يدركنا الغالي ولا يسبقنا التالي.

(٢) أمالي الطوسي، المجلس ١٨ رقم الحديث ١١٥٩ / ٦٦ ط دار الثقافة، والشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي عماد الشيعة ورافع أعلام الشريعة شيخ الطائفة على الإطلاق، توفي عام ٤٦٠ هـ. / المؤلف.

فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي التي اتبعت وصيّي وضرب بيده على منكبي، ثم قال: اثنتان وسبعون فرقة حلت عقد الإله فيك وواحدة في الجنة وهي التي اتخذت محبتك وهم شيعتك^(١).

١٠ - وجاء في تفسير روض الجنان لأبي الفتح في ذيل آية (١٦٠) من سورة الأنعام عن أبان بن تغلب عن الفضل بن عبد الملك عن زاذان^(٢) قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في المسجد فجاء برأس الجالوت (اليهودي) والجاثليق (النصراني) إلى المسجد بالتوبيخ والاستخفاف فقال عليه السلام:

ارفقوا بهما، ثم قال عليه السلام لرأس الجالوت: كم افترقت أمة موسى عليه السلام؟ فقال رأس الجالوت: لا أعلم، عليّ أن أنظر في الكتاب وأبحث عن ذلك، فقال عليه السلام: لعن الله من رئيس قوم إذا أتوك في حلالهم وحرامهم قلت أنظر في كتابي وأقول، أرايت لو احترق الكتاب أو سرق؟!

ثم التفت إلى رأس الجاثليق وسأله: كم افترقت أمة عيسى؟ فقال: أربع وأربعون فرقة، فقال عليه السلام: والله أني لأعلم بالتوراة منك وبالإنجيل منك.

١١ - وقد ذكر العلامة المجلسي عين الحديث المتقدم باختصار^(٣).

١٢ - وجاء في تفسير البرهان عن أبي خالدة الكابلي عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«... إن اليهود تفرقوا من بعد موسى على إحدى وسبعين فرقة منها فرقة في الجنة وسبعون في النار وتفرقت النصارى بعد عيسى عليه السلام على اثنين وسبعين

(١) بحار الأنوار ج ٢٨ كتاب الفتن والمحن ح ٢٠ ص ١٣ ط المكتبة الإسلامية.

(٢) زاذان: هو من خواص أمير المؤمنين عليه السلام وقد ذكره العلامة الحلبي في خلاصة

الأقوال، ص ٣٠٧، ط: مؤسسة الفقامة ١٤١٧ هـ والممقاني في تنقيح المقال: ج ١،

ص ٤٣٦، ط: الحجرية.

(٣) البحار ج ٢٨ كتاب الفتن ح ٧ ص ٥ ط المكتبة الإسلامية.

فرقة فرقة منها في الجنة وإحدى وسبعون في النار، وتفرقت هذه الأمة بعد نبيها على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون فرقة في النار وفرقة في الجنة، ومن الثلاث والسبعين فرقة ثلاث عشرة فرقة تتحل ولايتنا ومودتنا اثنا عشرة فرقة منها في النار وفرقة في الجنة وستون فرقة منها في سائر الناس^(١).

١٣ - وجاء في تفسير الصافي، عن رسول الله ﷺ: ستفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي التي تتبع وصي علياً^(٢).

١٤ - وجاء في تفسير منهج الصادقين نقلاً عن أبي عمر زاذان الذي ذكرناه سابقاً من تفسير أبي الفتوح الرازي وفي ذيله قول رسول الله ﷺ: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة^(٣).

(١) تفسير البرهان ج ٤ ص ٧٤ ح ١ نقلاً عن الكافي وقد ذكرناه آنفاً.
المحقق والعلامة السيد هاشم البحراني من أكابر وأفاضل ومحدثي الشيعة عرف بكثرة تبّعه للأخبار حتى اعتبره البعض يلي العلامة المجلسي في هذا القرن، توفي عام ١١٠٩ هـ. / المؤلف.

(٢) تفسير الصافي، ص ١٨٧، تفسير سورة الأنعام (آية ١٥٩، ١٦٠) ط حجرية.
والعالم الفاضل الحكيم مرتضى مولى محسن الملقّب بالفيض الكاشاني صاحب هذا التفسير يُعدّ من أجلاء علماء الإمامية وهو صهر صدر المتألّهين وله مؤلفات عديدة منها اليقين وعين اليقين والوافي والشافعي وخلاصة الأذكار وبشارة الشيعة والمحجّة البيضاء وغيرها / المؤلف.

(٣) منهج الصادقين ج ٣، ص ٤٩٦، ط ايران، سنة (١٩٥٢م)، المولى فتح الله بن المولى شكر الله الشريف الكاشاني هو من أكابر علماء الإمامية عاصر الشاه طهماسب الصفوي وتوفي عام ٩٨٨ هـ. / المؤلف.

١٥ - وجاء في كتاب الأنوار النعمانية، بقوله: وفي الطريق المتواتر عن النبي ﷺ إن أمة موسى افترقت بعده إحدى وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقيون في النار، وإن أمة عيسى افترقت بعده اثنتين وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقيون في النار وإن أمتي ستفرق بعدي ثلاثاً وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقيون في النار^(١).

نتيجة البحث

والحاصل من جميع ما تقدّم من الأحاديث النبوية المتفاوتة في ألفاظها أن الاختلاف والافتراق حاصل في هذه الأمة.

وأن هذا الاختلاف في ألفاظ الأحاديث والروايات - قد يكون - من قبل المستمعين الذين نقلوا الحديث بألفاظ متنوّعة، ولهذا الأمر نظائر كثيرة.

فمثلاً حينما يلقي أحد الأشخاص محاضراته على مجموعة كبيرة من الناس وبعد الانتهاء منها ينقل لنا الناس ألفاظاً مختلفة عما قاله الواعظ مع أن الكلمة التي قالها كانت واحدة، ولكن يأتي الاختلاف نظراً إلى قرب وبعد المستمع ومقدار استيعابه وعلمه وفهمه للمطالب، أو نظراً إلى قوّة ذاكرته وضعفها، فمثلاً قال الواعظ: من قال (لا إله إلا الله) مائة مرّة بعد الصلاة فإنّه يحصل على منافع كثيرة، بينما نجد هذا الرقم يختلف من سامع إلى آخر فالبعض قد يضيف عليه والبعض الآخر قد ينقص منه تبعاً للسمع وقوّة الحفظ والعدالة والضبط.

إلا أننا نقطع أن المتكلّم قد ذكر العبارة بعدما نسمع من الناس ألفاظاً

(١) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢١٣ ط الأعلمي بيروت. هو السيد نعمة الله الجزائري

متعددة، وهكذا ما نحن فيه من حديث افتراق الأمم.

ولهذا قال السيد نعمه الله الجزائري: «وفي الطريق المتواتر عن النبي ﷺ أي التواتر المعنوي الناتج من تعدد واختلاف ألفاظ الحديث^(١).

(١) وأيضاً صرح المناوي بتواتر هذا الحديث وهو من علماء أهل السنة، انظر فيض القدير ج ٢ ص ٢١، وأيضاً العلامة الكتاني في نظم المتنائر ص ٥٧ ح ١٨، ووثقه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ١٢٨ وقال العراقي: وأسانيدها جيداً، انظر المغني ج ٣ ص ٢٣٠ وصححه الترمذي في سننه ج ٢٥ ص ٢٦، والحاكم النيسابوري والبغوي في شرح السنة ج ١ ص ٢١٣، والسيوطي في الجامع الصغير ج ١ ص ١٨٤ والسخاوي والشاطبي في الاعتصام ج ٢ ص ١٨٩ وأثنى على سند الحديث الذهبي في تلخيص المستدرك ج ١ ص ١٢٨ والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ١ ص ٣٥٩ / المترجم.

بقية مصادر الحديث

ورود «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وتفرق أمتي ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة» / سنن الترمذي كتاب الايمان ج ٥ ص ٢٦ وشرح السنة ج ١ ص ٢١٣ ومشكاة المصابيح ج ١ ص ٦١.

وفي خبر آخر «إن هذه الملة ستفرق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة» / سنن أبي داود ج ٤ ص ١٩٨ ومشكاة المصابيح ج ١ ص ٦١ والدرر المنثور ج ٢ ص ٢٨٦ والمطالب العالية ج ٣ ص ٨٧ وصحيح سنن أبي داود ج ٣ ص ٨٦٩ والجامع الصغير ج ١ ص ٥١٦.

وروي عن الإمام علي عليه السلام: لتفرقن هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، والذي نفسي بيده إن الفرق كلها ضالة إلا من أتبعني وكان من شيعتي / البحار ج ٢٨ باب افتراق الأمة كتاب الفتن ح ١٧ نقلاً عن أمالي المفيد.

نعم، زعم البعض أمثال ابن حزم والغزالي والفخر الرازي أن الحديث غير صحيح وذلك لاختلاف ألفاظه، وبما أن الاختلاف مذموم في القرآن الكريم فإنه لا يصدر عن النبي ﷺ، لأنه لا يخالف القرآن ولا يرتكب القبيح.

ومن الغريب أن يقيم مثل هؤلاء هذا كدليل لرد الحديث، لأن النبي ﷺ لم يأمر بالافتراق حتى يكون مرتكباً للقبيح وعمّا نهى عنه القرآن، وإنما هو أخبر عن الغيب كباقي إخباراته عن الملاحم والفتن، وقد لا يدرك معنى كلامه في حينها إلا بعد حدوث الوقائع، فإن عدم الإدراك لا يصلح دليلاً لرد الحديث.

لا سيما وأن الحديث لا يرتبط بأصول أو فروع الدين لكي يثير أحاسيسهم ويعذّونه من الأحاديث الموضوعة، كيف وهم الذين كانت لهم الجرأة على ردّ أحاديث أخرى لا ترتبط بالأصول ولا بالفروع.

وهنا علينا أن نوضح لكم أن هدفنا ليس دراسة أسانيد الأحاديث وإنما هو إجابة على سؤالكم الذي وجهتموه إلينا وهو:

هل ذكر حديث الافتراق في مصادر الشيعة والسنة؟

وما تقدّم منا عبارة عن جواب مختصر على هذا السؤال.

→ ونقل العلامة الحلي عن شيخه نصير الدين الطوسي قال: سألته عن المذاهب؟ فقال: بحثنا عنها وعن قول رسول الله ﷺ: ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة منها ناجية والباقي في النار، وقد عيّن ﷺ الفرقة الناجية والهالكة في حديث آخر صحيح متفق عليه وهو قوله ﷺ: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى».

فوجدنا الفرقة الناجية هي الفرقة الإمامية لأنهم باينوا جميع المذاهب وجميع المذاهب قد اشرکوا في أصول العقائد..

انظر الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٧٩ / المترجم.

الجواب عن السؤال الثاني

لقد كان سؤالكم الثاني حول زمان التفرقة هل كانت على عهد النبي ﷺ أم أن عبدالله بن سبأ هو موجد هذه التفرقة بعد رحيل النبي ﷺ؟
والجواب: أن الفرقة لا علاقة لها بزمان عثمان ولا بعبدالله بن سبأ الملعون، وما ذكرتموه عن بعض كتب أهل السنة ليس صحيحاً، وإنما هو من وضع بعض المتعصبين في زمان دولة بني أمية التي روجت لمثل هذه الأباطيل وتزييف الواقع.

وأما تأريخ الافتراق فإنه كان في عهد النبي ﷺ إذ بدأت أولياته من ذلك التاريخ فقد انقسم المسلمون إلى فرقتين:

١ - المؤمنون إيماناً خالصاً واتبعوا الرسول وصدقوا به وآمنوا بما جاء به، وما ذكر في الأحاديث المتقدمة عن (الجماعة) (ما عليه أنا وأصحابي) هم المقصودون من ذلك.

٢ - والمنافقون الذين آمنوا ظاهراً من خلال أداء الصلاة والصيام والحج وبقية الشعائر الدينية، إلا أنهم أبطنوا الفساد وعدم الايمان ولذا فقد أشار إليهم القرآن في خمس وخمسين آية. ومن خلالها ذمهم وكشف بواطنهم.

سؤال أحد الحاضرين: هل هذه الآيات ذكرت في سورة واحدة؟

الجواب: لا، بل ذكرت خلال اثنتي عشرة سورة من القرآن، والسبب يعود إلى اختلاف زمان نزول هذه الآيات التي كانت تنزل بسبب صدور الأعمال القبيحة من هؤلاء، فكانت تذكهم وتكشفهم.

سؤال أحد الحاضرين: هل بإمكانكم أن تذكروا لنا هذه الآيات؟

الجواب: رعاية للاختصار فأبني سأذكر لكم أرقام الآيات وأسماء السور:

١- البقرة، الآيات: ٨ و ٩ و ١٠ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ٢١ و ٢٢ و ٢٠٤^(١).

٢- النساء، الآيات: ٦٤ إلى ٦٧ و ٩١ و ١٣٨ إلى ١٤٣^(٢).

(١) الآيات حسب الترفيم المذكور أعلاه ارتأينا أن نذكرها نصاً لتعميم الفائدة:

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ» «وَيُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ» «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ» «وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ» «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ» «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» «أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ» «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ».

(٢) «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِنُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا» «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَحْكُمُونَكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجْعَلُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» «وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اقْرَحُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا» (٦٦) «وَإِذَا لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا» «سَتَجِدُونَ أَخْرَيْنَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَخْتَرْ لَكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْتُمُوا أَيْدِيَهُمْ فَعَدُّوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَتَّى تَقُومَهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا» «بَشِّرِ الْمُتَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» «الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْيَتُهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا» «وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْفُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي

٣- الأنفال، الآية ٥٢ (١).

٤- التوبة، الآية ٥٧ إلى ٧٠ و٧٥ إلى ٨٠ (٣).

→ جَهَنَّمَ جَمِيعًا» الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا» إِنَّ الْمُتَافِقِينَ يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالً يُسَاءَلُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا» مَذْبُذِّينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا».

(١) «كَذَّابٍ آلٍ فُزِعُونَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

(٢) «وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَحْطُونَ» «وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ» «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلُوعَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» «وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنٌ قُلْ أَذْنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» «يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ» «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُخَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْ تُرَى جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْجَزَاءُ الْعَظِيمُ» «يَخَذَرُ الْمُتَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَخْرُوا اللَّهَ إِنْ اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا تَخَذَرُونَ» «وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ» «لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعَذِّبْ طَائِفَةً بَأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ» «الْمُتَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» «وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ

٥ - النور، الآية ٤٧ إلى ٥٠^(١).

٦ - العنكبوت، الآية ١٠ إلى ١١^(٢).

٧ - الأحزاب، الآية ٢٤ و ٤٨ و ٧٣^(٣).

→ جَهَنَّمُ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُبِينٌ «كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَائِقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَائِقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَائِقِهِمْ وَخُصْتُمْ كَالَّذِي خَاصُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» «أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَذْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ».

«وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَ» وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ «فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ» «فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» «الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» «اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ».

(١) «وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ» «وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ» «وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِبِينَ» «أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ إِنْ تَأْتُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ».

(٢) «وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ» «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِخَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ».

(٣) «لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ

٨ - الفتح، الآية ٦^(١).

٩ - الحديد، الآية ٤^(٢).

١٠ - الحشر، الآية ١٢^(٣).

١١ - المنافقون، الآية ٢ إلى ٩^(٤).

→ كَانَ غُفُورًا رَحِيمًا، وَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَذَعُ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا، «لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غُفُورًا رَحِيمًا».

(١) «وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُنُّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا».

(٢) «هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

(٣) «لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُوا مَعَهُمْ وَلَئِنْ قَاتَلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلِنَنَّ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ».

(٤) «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ» «وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خِشْبٌ مَسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَادُّونَ فَاحْذَرُهُمْ فَإِنَّهُمْ بِاللَّهِ أُمِّيُّونَ فَكُونَ» «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَتَسَفَّرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ ذَا وَهَمُّهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ» «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» «هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ» «يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْيَمِينُ وَلِلسُّوْلِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ» «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

١٢ - التحريم، الآية ١٠ (١).

ولاسيما قوله تعالى في سورة النساء: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا».

والسبب في شدة هذا العذاب، لأن الكفار يعلنون كفرهم أمام الناس ويعملون ظاهراً على بغض النبي ﷺ وإنكار نبوته.

بينما المنافقون يتظاهرون بالإيمان إلا أنهم يضمرون الكفر وإنكار النبوة، فيجمعهم هدف خبيث باطني يحكيون من أجله المؤامرات والخطط الخبيثة. ويعملون على الوصول إلى أهدافهم القذرة بكل وسيلة فيما بعد رحيل النبي ﷺ إن لم يتسن لهم ذلك أثناء حياته ﷺ، فيرتدون على أعقابهم.

(١) «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَةً لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِخِينَ».

سؤال أحد الحاضرين : أيمكنكم أن تقدّموا لنا دليلاً على ارتداد هؤلاء؟
الجواب : أفضل دليل في إثبات ذلك هو القرآن المجيد في قوله تعالى :
﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً﴾^(١).

وهي في وضوحها لا تحتاج إلى شرح وتفصيل عن ارتداد البعض .
سؤال أحد الحاضرين : إنّ الذين عاصروا رسول الله ﷺ هم الصحابة من المهاجرين والأنصار ، وما تفضّلتم به عن ارتداد بعض هؤلاء الصحابة يرده الحديث المروي في كتب أهل السنة «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

ردّ حديث أصحابي كالنجوم

الجواب : أولاً : إنّ هذا الحديث لم يتسالمه أهل العلم والتحقيق بالقبول فهو حديث موضوع وأوّل من صرح بذلك - فضلاً عن علماء الإمامية - أكابر علماء أهل السنة وذلك بالخدش في سند هذا الحديث ومن جعلتهم الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي حيث قال : على الرغم من شهرة هذا الحديث إلا أنّ سنده ضعيف .

والقاضي عياض في شرح الشفا قال : إنّ هذا الحديث قد عدّه الدارقطني في الفضائل فاقداً لشرائط الحجّة لوجود الحارث بن غنصين المجهول في إسناده .

وابن حزم الظاهري ، حيث قال : إنّ هذا الحديث موضوع ومدّس وباطل ، وابن عدي عدّه ضعيفاً لوجود حمزة في إسناده وهو متهم بالكذب والتدليس . وعبد بن حميد في مسنده روى عن عبد الرحيم بن زيد عن أبيه عن

المسيب عن عمر قال: البزار أنكر صحة هذا الحديث.
وغير هؤلاء من أكابر علماء أهل السنة مضافاً إلى إجماع الإمامية على بطلان هذا الحديث.

ثانياً: إن كل حديث مخالف لكتاب الله المجيد فهو مردود^(١)، وهذا الحديث مخالف لكثير من الآيات القرآنية.

وقد مرّ عليكم أن القرآن صرح بارتداد بعض الصحابة، بينما الحديث يؤكد خلاف ذلك وعليه فلا يبقى للحديث أي معنى؟ وعليه فنحن مأمورون بالتمسك بالكتاب وترك ما خالفه من الحديث.

ثالثاً: ومن خلال التنج التاريخي لسيرة الصحابة ويومياتهم وما عملوه يظهر زيف الحديث المتقدم، لأن الحديث يؤكد العدالة والصلاح لجميع الصحابة، والواقع أن بعض الصحابة امتاز وعرف بالصلاح والتقوى لا كلهم، إذن فالتاريخ أيضاً يبطل هذا الحديث ويردّه.

هذا، وقد مرّت عليكم الآيات التي أشارت إلى نفاق بعض الصحابة وأن صحبتهم للنبي ﷺ لم تمنع من استمرار خبثهم وسوء سريرتهم كما قال الله تعالى: ﴿فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه﴾ فلم يدركوا شيئاً من نور النبي ﷺ وشفافيته لخبث طبيعتهم، مع أنهم يعدّون ظاهراً من أصحابه، إلا أنهم من أهل النار وقد صرح بعض علماء أهل السنة بذلك أيضاً.

(١) فقد روي عن النبي ﷺ: إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه، وعن الإمام الصادق عليه السلام: خطب النبي ﷺ بمعنى فقال: أيها الناس ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنأ قلته وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله، وعنه عليه السلام قال: كل شيء مردود إلى كتاب الله والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف. وعنه عليه السلام قال: ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف / المؤلف.

نقل أحاديث في ارتداد بعض الصحابة

سؤال من أحد الحاضرين: اذكر لنا بعض هذه الأخبار الدالة على انحراف بعض الصحابة.

الجواب: أولاً: جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: بينا أنا قائم - يعني يوم القيامة على الحوض - فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري. ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري. فلا أراه يخلص منهم إلا مثل النعم^(١).

وفي نفس المصدر والباب روي عن رسول الله ﷺ قال: يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلزون عن الحوض، فأقول: يارب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقري^(٢). فهذان الخبران في أصح كتاب بعد القرآن عند أهل السنة وهما شاهدان ببطلان حديث (أصحابي كالنجوم)، ولا ينحصر الأمر بهما بل أننا ذكرناهما كنماذج والآ فهناك الكثير من هذه الأحاديث مروية عن رسول الله ﷺ في صحيحي مسلم والبخاري وفي مسند أحمد والكبير للطبراني والإبانة وغيرها. وبهذا القدر يرتفع التوهم الذي يثيره بعض المغرضين، ويندفع القول

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق باب الحوض ج ٢٣ ص ٦٨ رقم ٦١٩٣ / بشرح الكرماني ط بيروت دار إحياء التراث العربي.

(٢) المصدر السابق رقم الحديث ٦١٩١.

القائل بعدالة الصحابة ونزاهتهم^(١).

ثانياً: وقال الفتازاني في شرح المقاصد:

وأما الإمامية فإنهم أجمعوا على عدم تنزيه جميع الصحابة، وإنما يذهبون إلى أن بعض الصحابة كانوا ضمن سلك المنافقين الذين ذمهم القرآن الكريم ورسول الله ﷺ واعتبروا بصريح الآيات أنهم من أهل النار.

ثالثاً: وجاء في كتب أهل السنة والجماعة المعتبرة ذم هؤلاء الصحابة المنافقين الذين ارتدوا بعد وفاة رسول الله ﷺ وخرجوا من الدين الإسلامي كما أخبر عن ذلك النبي ﷺ.

وسبب نفاقهم هو أنهم كانت لهم طموحات وغايات وأهداف خيثة أبرزها الوصول إلى السلطة بأي ثمن كان ولذلك كانوا يتحملون الشقاء والتعب في العبادات والجهاد والحج من أجل ذلك الهدف.

ومن المصادر السنية ما ذكره أحمد بن حنبل والفخر الرازي والزمخشري وشرح النهج للمعتزلي.

عن عمار بن ياسر وحذيفة النخعي: عندما حاول بعض هؤلاء الصحابة المنافقين أن يقتلوا النبي ﷺ بعد عودته من غزوة تبوك حيث تواتق اثنا عشر

(١) وروي «أنكم تحشرون إلى الله يوم القيامة حفاة عراة وأنه سيجاء برجال من أمتي ويؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يارب أصحابي؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم».

انظر صحيح البخاري تفسير سورة الأنبياء وكتاب الرقاق باب الحوض وصحيح مسلم باب ٣٧ من كتاب الطهارة وباب ٥٣ من كتاب الصلاة وسنن الترمذي باب ٣ من كتاب القيامة وهكذا تفسير سورة الأنبياء وسنن النسائي الباب ٢١ من كتاب الافتتاح وسنن ابن ماجه باب ٤٠ من كتاب المناسك وسنن الدارمي باب ١٨ من كتاب المناسك وموطأ مالك باب ٣٢ من كتاب الجهاد / المترجم.

أو أربعة عشر أو خمسة عشر منهم على أن يدفعوه ﷺ عن راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقة السلاح فالتفت فإذا قوم مثلثمون، فقال: إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا^(١).

(١) الزمخشري في الكشاف ج ٢ ص ٢٩١ ذيل آية ٧٤ من سورة التوبة. وجاء في هامش الكشاف: أخرجه أحمد من حديث أبي الطفيل قال: «لما قفل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر منادياً ينادي لا يأخذن العقبة أحد فإن رسول الله ﷺ يسير وحده، فكان النبي ﷺ يسير وحذيفة يقوده وعمار رضي الله عنه يسوق به فأقبل رهط مثلثمين على الرواحل حتى غشوا النبي ﷺ فرجع عمار فضرب وجوه الرواحل فقال النبي ﷺ لحذيفة: قد قد فلحقه عمار فقال: سق سق حتى أناخ فقال لعمار: هل تعرف القوم؟ فقال: لا كانوا مثلثمين وقد عرفت عامة الرواحل، فقال: أتدري ما أرادوا برسول الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، فقال: أرادوا أن يمكروا برسول الله فطرحوه من العقبة، فلما كان بعد ذلك وقع بين عمار وبين رجل منهم شيء مما يكون بين الناس فقال: أنشدكم الله كم أصحاب العقبة الذين أرادوا أن يمكروا برسول الله ﷺ فقال: ترى أنهم أربعة عشر، فإن كنت فيهم فهم خمسة عشر، ومن هذا الوجه رواه الطبراني والبخاري وقال: روي من طريق عن حذيفة وهذا أحسنها وأصلحها إسناداً، ورواه ابن إسحاق في المغازي ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البخري عن حذيفة بن اليمان..

وبقية مصادر هذه القصة هي:

- شرح نهج البلاغة للمعتزلي، ج ١٣، ص ١٩٠، ط دار الكتب العربية الكبرى بمصر.
وتفسير الفخر الرازي، ج ١٦، ص ١٣٦، ط الثالثة.
وأनوار التنزيل، تفسير سورة التوبة، ص ١٧٧، ط حجرية.
وأحمد بن حنبل في المسند ج ٥، ص ٣٩٠، ط دار صادر بيروت.
ودلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٢٥٦ ط دار الكتب العلمية.

ومضافاً إلى ذلك فإن أغلب آيات سورة التوبة جاءت في صدد شرح حال المنافقين وعرض أفعالهم وصفاتهم الخبيثة ، وهي بذلك توضح لنا أمرين :

الأول : من خلالها يثبت نفاق بعض الصحابة الذين كانوا حول النبي ﷺ وبذلك يثبت كفرهم وفسقهم كما في الآيات .

الثاني : وهو ما أشرتُ إليه سابقاً من كون المسلمين افترقوا في عهد النبي ﷺ إلى فرقتين متميزتين مختلفتين وهما المؤمنون حقاً ظاهراً وباطناً ، والمنافقون وهم المؤمنون ظاهراً الكافرون باطناً .

سؤال أحد الحاضرين : إن الإيمان والنفاق من الأمور القلبية فهل توجد هناك علامة بارزة يمكن من خلالها أن نحدد إيمان الشخص أو نفاقه ؟

الجواب : إن الله تبارك وتعالى قد ذكر في كتابه المجيد عدّة صفات للمؤمنين في سورة (المؤمنون) كنبات القدم في العقيدة والإيمان حال حياة النبي ﷺ وبعد وفاته .

وأما عن المنافقين فقد ذكرت آيات عديدة في القرآن الكريم بعض صفاتهم وأبرزها تكذيب النبي ﷺ ومخالفة أوامره وكشف أسرارهم ، وهناك علامة بارزة لهم أشارت إليها الآيات والأحاديث وهي بغضهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام .

سؤال أحد الحاضرين : هل ذكر علماء السنّة هذه العلامة - بغض الإمام علي - في كتبهم ؟

الجواب : نعم ، لقد ذكرت في الكثير من كتب علماء السنّة وبعبارات متنوّعة ، وأذكر لكم على سبيل المثال :

- الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيشابوري المعروف بالحاكم المتوفى في عام ٤٠٥ هـ . وقال بعد ذكر الحديث : حديث صحيح على شرط

البخاري ومسلم ولم يخرجاه^(١).

- ومحب الدين الطبري^(٢).

- ومحمد بن محمد الجزري^(٣).

- وجلال الدين السيوطي^(٤).

فهؤلاء ذكروا نص هذا الحديث المسند عن رسول الله ﷺ: ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله والمتخلف عن الصلاة والبغض لعلي بن أبي طالب.

- ومحمد بن طلحة الشافعي المتوفي عام ٦٥٤ هـ^(٥).

- والترمذي المتوفي عام ٢٧٩ هـ^(٦).

- يوسف سبط ابن الجوزي المتوفي عام ٦٥٤ هـ^(٧).

- والحافظ أبو نعيم الاصفهاني المتوفي عام ٤٣٠ هـ^(٨).

- والشيخ محمد الصبان الشافعي الحنفي المتوفي عام ١٢٠٦ هـ^(٩).

(١) مستدرک الحاكم، کتاب معرفة الصحابة ص ١٣٩ ج ٣ رقم الحديث ٤٦٤٣ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٦٣، ط دار المعرفة بيروت (١٩٩٧م).

(٣) أسنى المطالب ص ٥٤ ح ١١ و ١٢، تحقيق الدكتور محمد هادي الأميني (١٩٨٢م).

(٤) الجامع الكبير للسيوطي، ج ١، ص ٢٨٣، دار الفكر.

(٥) مطالب السؤل، ص ٨٣، مؤسسة البلاغ سنة (١٩٩٩م).

(٦) سنن الترمذي ج ٥ ص ٦٣٥، رقم ٣٧١٧، ط بيروت (دار إحياء التراث العربي).

(٧) تذكرة الخواص ص ٢٨، ط نينوى الحديثة، تقديم السيد محمد بحر العلوم.

(٨) حلية الأولياء، كتاب صفة النفاق.

(٩) إسعاف الراغبين ص ١٢٣.

- ومير سيّد علي الشافعي .

- وابن حجر المكي المتوفي عام ٩٧٣ هـ .^(١)

- وأبي جعفر محب الدين الطبري المتوفي عام ٦٩٤ هـ .^(٢)

جاء في هذه الكتب بهذه العبائر «ما كنّا نعرف المنافقين إلّا ببغضهم عليّاً»
«كنّا نعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم عليّاً» «ما كنّا نعرف المنافقين
معشر الأنصار إلّا ببغضهم عليّ بن أبي طالب» .

ومضافاً إلى هذه النصوص الدالة على أبرز علامة في المنافقين فهناك
أحاديث أخرى عن رسول الله ﷺ أشار فيها إلى أنّ حبّ عليّ عليه السلام علامة
الايمان، والبغض له عليه السلام علامة النفاق «لا يحبّ عليّاً إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا
منافق أو إلّا كافر» وجاء بلفظ «لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق»^(٣) .

(١) الصواعق المحرقة، ج ٢، الباب ٩، فصل ٢، ص ٣٥٧، مؤسسة الرسالة بيروت
١٩٩٧م .

(٢) ذخائر العقبى ص ٦٩٤ ط جدّة .

(٣) ذكره أحمد بن حنبل في المسند رقم ٦٤٢ ج ١ ص ٨٤، وفي طبعة أخرى ص ١٥٣
رقم ٧٣٣ وص ٢٠٧ رقم ١٠٦٥، وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمة ص ١٢٥
ومير سيّد علي في المودّة الثلاثين والحموي في فرائد السمطين، وسبط ابن
الجوزي في التذكرة ص ٢٨ نقلاً عن أحمد ومسلم في فضائل الإمام علي والترمذي
ج ٥ ص ٢٩٦ ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول نقلاً عن الترمذي
ومحمد بن يوسف الكنجي في كفاية الطالب في الباب الثالث ص ٦٨ والشيخ
محمد الصبان في إسعاف الراغبين ص ١٢٣ وابن حجر في الصواعق كما مرّ مصدره
أعلاه والمناوي في كنوز الحقائق نقلاً عن الطبراني في المعجم الكبير ج ٢٣ رقم
٨٨٥ ومحبّ الدين الطبري في الذخائر ص ١٦٤ وغيرهم كثير / المؤلف .
وهذه بقيّة المصادر من أجل تعميم الفائدة :

هذا وقد ورد عن أمير المؤمنين عليّ قوله عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي صلى الله عليه وآله أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق (١). ومن هذه الأحاديث الصحيحة يتضح أن محب الإمام علي عليه السلام هو المؤمن الحقيقي، وبغضه هو المنافق الحقيقي وإن تظاهر بالإيمان، وقد ظهر لكم أن هاتين الفرقتين كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، فالافتراق إذن منذ ذلك الزمان كما قلت لكم، نعم هؤلاء المنافقون كانوا يتحفظون في بغضهم لعلي عليه السلام أمام رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أنهم بمجرد أن شعروا أن رسول الله صلى الله عليه وآله مرض مرض الموت كشفوا عن حقدهم وبغضهم لعلي عليه السلام. وعندما توفي النبي صلى الله عليه وآله حاول عمر بن الخطاب أن يتدارك الأمر فقال بعض الكلمات التي فسحت المجال للمنافقين لأن يضموا صوتهم إلى صوته. وفي الحقيقة يمكن القول: إن المسبب الحقيقي للافتراق هو عمر بن الخطاب.

سؤال أحد الحاضرين: كيف يمكننا تصديق أن عمر بن الخطاب وهو

→ درر السمطين القسم الثاني من السمط الأول، ومصابيح السنة ج ٨ للبغوي، والمناقب لابن المغازلي ص ١٣٩ ومجمع البحرين ج ٣ وكتاب السنة ص ٥٨٤ للشيباني وتاريخ الإسلام للذهبي في عهد الخلفاء ص ١٣٤، ومختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ٣٦٩ والاستيعاب للقرطبي ج ٣ ص ٢٠٤ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٠ ومختصر المحاسن ص ١٦٧ ومناقب الأسد الغالب وابن ماجه ج ١ ص ٤٢ وسنن النسائي وصحيح مسلم في فضائل علي والخطيب البغدادي ج ١٤ والسنن الكبرى ج ٥ للنسائي وتاريخ الخلفاء للسيوطي ونور الأبصار ص ٨٨، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨، وينابيع المودة الباب ٦ وكنز العمال ج ١١ ص ٥٩٨ وص ٥٩٩ وغيرها / المترجم.

(١) مختصر تاريخ دمشق، ج ١٦، ص ٨٨ ط دار الفكر، بيروت.

خليفة النبي ﷺ بعد كل ما قدمه للإسلام من تضحيات أن يتسبب في افتراق الأمة والحال أنه كان يسعى لتحقيق الوحدة؟

الجواب: أولاً: إن عمر في ذلك اليوم - بعد وفاة النبي ﷺ - لم يكن خليفة المسلمين بعد.

وثانياً: ولم أقل إن عمر قصد إيجاد الافتراق في الأمة، وإنما تكلم وتصرف بعض التصرفات كانت تصب لصالح المنافقين ومخططاتهم ولذلك فإنهم استفادوا كثيراً من كلام عمر بن الخطاب أو تصرفه.

وثالثاً: إن قضية افتراق الأمة في أول يوم توفي فيه النبي ﷺ مما لا ينكره أحد بل ذكره أكابر علماء الفريقين.

سؤال أحد الحاضرين: نرجو أن توضح لنا بداية المسألة؟

الجواب: نعم، عندما كان رسول الله ﷺ في مرض موته وفي آخر لحظاته أمر الجالسين عنده أن يأتوا بكتف ودواة ليكتب لهم كتاباً يكون صمام الأمان من أي فرقة وافتراق فقال ﷺ: «إيتوني بدواة وبياض لأكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي».

وقد ذكر ذلك الغزالي في كتاب سرّ العالمين ضمن المقالة الرابعة نقلاً عن سبط ابن الجوزي وقد ذكر أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «إيتوني بدواة وبيضاء لأكتب لكم كتاباً لأزيل عنكم إشكال الأمر وأذكر لكم من المستحق لها بعدي» وفي بعض الروايات: «لأكتب لكم كتاباً لا تختلفون فيه بعدي».

فقال عمر بن الخطاب: «دعوا الرجل فإنه ليهجر! حسبنا كتاب الله» فاختلف من في البيت واختصموا، منهم من يقول قريبو يكتب لكم النبي ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر.

فلما كثر اللغو والاختلاف عند النبي ﷺ غضب عليهم فقال لهم: قوموا

عني ولا ينبغي عند* التنازع^(١).

(*) الأصح (عندي) / المترجم

(١) انظر مصادر هذه الحادثة:

شرح النهج ج ٢ ص ٥٤ و ص ٥٥ ط دار إحياء التراث العربي .
وقال المعتزلي في شرح النهج ج ١ ص ١٨٣ وهو يستعرض طرف من أخبار عمر بن الخطاب: وكان في أخلاق عمر وألفاظه جفاء وعنجهية ظاهرة... فمنها الكلمة التي قالها في مرض رسول الله ﷺ ومعاذ الله أن يقصد بها ظاهرها ولكنه أرسلها على مقتضى خشونة غريزته ولم يتحفظ منها!! (دار إحياء الكتب العربية).
وصحيح البخاري ج ٢ ص ١١١ كتاب الجهاد طبع المطبعة الميمنية بمصر ١٣٢٠هـ، وصحيح مسلم ج ١١ ص ٨٩-٩٣ بشرح النووي: فقالوا: هجر رسول الله! وفي مسند أحمد ج ٣ ص ٣٤٦: فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها، وقد تجده في المسند ج ١ ص ٣٥٥ على اختلاف الطبقات.
وفي تاريخ الطبري ج ص ٢٢٨ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٨م... فقالوا: ما شأنه أمهجر... فقالوا إن رسول الله يهجر.
وفي حياة محمد ﷺ لهيكل قال بعض الحاضرين إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجد وعندكم القرآن وحسبنا كتاب الله ويذكرون أن عمر هو الذي قال هذه الكلمة... وأما عمر فظل ورأيه / ص ٣١٣ ط مطبعة مصر الطبعة ٣.
ولا بأس هنا أن أذكر كلاماً رشيقياً للعلامة المظفر ﷺ قال:
من العجب شدة تحفظهم على شأن عمر فإنهم إذا رويوا لفظ الهجر لم يعينوا قائله، وإذا عينوا عمر قالوا: قال: غلبه الوجد أو خالف حتى رفضها وإذا تليت عليهم الأدلة الواضحة على امتناع وصمة النبي ﷺ بالهجر والهذيان ردوها بجدهم وخذلوا رسول الله ونصروا عمر بجهدهم وأساءوا القول فيمن يستفده وإن أذى نبيهم وأغضبه وغمه.. / دلائل الصدق ج ٣ ص ٦٦ القسم الثاني / المترجم.
وقال الشهرستاني: فأول تنازع وقع في مرضه ﷺ فيما رواه الإمام أبو عبد الله

كانت هذه الكلمة الخطيرة من عمر أول سبب وبذرة من بذور الشقاق والافتراق لأنه بهذه الكلمة قد صادر جميع جهود النبي ﷺ خلال ٢٣ عاماً، فهو الذي منع النبي ﷺ أن يكتب كتاباً يمنع الافتراق والاختلاف، وبهذا فعمر فسح المجال للاختلاف والافتراق في عهد النبي ﷺ وأمامه عند سريره، ومن هذا الاختلاف تشعبت الفرق الأخرى حتى يصل العدد إلى ثلاث وسبعين.

سؤال أحد الحاضرين: قال علماؤنا: إن عمر بن الخطاب اجتهد في كلمته هذه ومنع من كتابة الكتاب لعلمه أن الكتاب سيؤدي إلى الاختلافات وتحرك المنافقين، وهذا دليل على عبقرية عمر وذكائه ولذلك نرى أن النبي ﷺ لم يصّر على كتابة الورقة وإنما أمر بتفريق الأصحاب لما رأى في رأي عمر رأياً صائباً لدفع الاختلاف والافتراق^(١).

الجواب: ليس العجب الكبير من كلمة عمر بن الخطاب لأن أهل السياسة يتوسلون بأي سبب كان ليصلوا إلى أهدافهم ومراميهم.

ولكن العجب كل العجب من هؤلاء العلماء الذين يجهدون أنفسهم في إيجاد الأعذار لعمر بن الخطاب، والعجب منكم أيها المتنورون كيف بعد ألف

→ محمد بن إسماعيل البخاري بإسناد... قال: لما اشتد بالنبي ﷺ مرضه الذي مات فيه قال: اتنوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي، فقال عمر: إن رسول الله قد غلبه الوجد حسبنا كتاب الله وكثر اللفظ... / الملل والنحل ج ١ المقدمة الرابعة في بيان أول شبهة وقعت في الملة.

وفي تذكرة الخواص ص ٦٢ أن عمر قال: دعوا الرجل فإنه يهجر.

وفي طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٤٢ فقال بعض من كان عنده: إن نبي الله يهجر.

(١) قد ذكر عمر أن سبب اعتراضه على النبي ﷺ ومنعه من الكتابة وإن رسول الله ﷺ أراد أن يذكر علياً عليه السلام في هذا الكتاب، انظر فتح الباري ج ٨ ص ١٣٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٣ ص ١١٤ دار إحياء الكتب العربية / المترجم.

وثلاثمائة عام تحاولون أن تغمضوا أعينكم أمام الحق وتلقون مثل هذه الكلمات والتوجيهات الفارغة بلا تعقل وتدبر، فهل يعقل أن تفسر هذه الكلمة وهذا الموقف يكون إيجابياً ولصالح عمر نفسه!!

ولكن كما قال ﷺ: حَبِّ الشَّيْءِ يُعْمِي وَيَصِمُّ، والآن ألفت انتباهكم وأحاول أن أثير عقولكم إلى قوله تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢).

فهذه أوامر إلهية مطلقة بوجوب طاعة النبي ﷺ في كل أمر من دون أدنى تردد واعتراض.

ثم كيف تصورون أن عمر بن الخطاب يكون هو الأعرف بصلاح الأمة ومستقبلها من رسول الله ﷺ؟! أليس ذلك مضحكاً؟

إن رسول الله ﷺ أراد الكتابة من أجل تحقيق الهداية وإبعاد الأمة عن الضلالة، بينما عمر اقترح عدم الكتابة، ف يعني عدم تحقق الهداية وتحقق الضلالة بدلها، فكيف يكون عمر أفضل من النبي ﷺ، مالكم كيف تحكمون؟

ثم لا يمكن لأي أحد أن يدعي أن النبي ﷺ يهجر كما زعم عمر لأن الله تعالى قال في وصف عظمة وعصمة النبي ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾^(٣).

وهذه الآية مطلقة أي أنها تشمل جميع ما ينطق به النبي ﷺ، لأنه على

(١) المائدة: ٩٢.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) النجم: ٣-٥.

اتصال دائم بعلام الغيوب وبالتالي فله حظ من علم الغيب وله القرار الحاسم والنهائي والصائب في جميع الأمور، فكيف جاز لعمر أن يمنع ما أمر به النبي ﷺ؟ وكيف أجزتم لمقولكم أن تصدقوا ما قاله علماؤكم؟

أفهل يجوز لعمر أن يجتهد مقابل النص القرآني؟ ألم يقرأ عمر بن الخطاب - وكل من دافع عن كلمته - قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مَطَاطٌ ثُمَّ أَمِينٌ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾^(١)، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) وكل هذه الآيات تؤكد عصمة ونزاهة النبي ﷺ من أي عارض يصيبه بل هو ﷺ عالم معصوم مطاع الأمر.

ثم ألم يقرأ عمر بن الخطاب قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(٣) أليست هذه الآية صريحة بعصيان عمر؟!!

سؤال أحد الحاضرين: هذا كله صحيح، ولكن قد يكون منع عمر من باب المشاورة، فأراد عمر في منعه مشاورة القضية مع النبي ﷺ.

الجواب: أولاً: إِنَّ آيَةَ الشُّورَى لم تعم كل وقائع الحياة والدين وإنما هي نزلت في ظرف خاص وهو فيما بعد فرار أغلب الأمة في حرب أحد ولم يبق مع النبي ﷺ سوى بضع الرجال. فبعد أن وبَّخ وعاتب الله تعالى أولئك الفارين أنزل قوله تعالى: ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(٤).

(١) التكوين: ١٩ - ٢٢.

(٢) الحاقة: ٤٣.

(٣) الأحزاب: ٣٦.

(٤) آل عمران: ١٥٩.

وهذا لا يعني أن النبي ﷺ كان محتاجاً إلى آرائهم وإلا لما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ مما يعني أن النبي ﷺ في غنى عن آرائهم^(١) بعدما سَدَّه الله بالعصمة ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾.

ولكن جاءت الشورى استصلاحاً لنفوسهم الخائرة ودعماً لمعنوياتهم الفاشلة بعدما هربوا، فإنهم توقعوا أن يعاملهم النبي ﷺ تعاملًا قاسياً ويذمهم إلا أنه ﷺ فاجأهم باللين واللطف والعفو، بل يشاورهم، كل ذلك استصلاحاً لهم وتطبيعاً في ثباتهم على الإسلام والتخلُّق بفضائل الأخلاق واستمالة لقلوبهم وتعليماً لأمته بعده أن يزاولوا المشاورة في الموضوعات الخارجية.

ولذلك نرى الفخر الرازي يُصرِّح في تفسيره أن علماء الأمة اتفقوا بعدم جواز مزاوله الشورى فيما ينزل به الوحي لأنه إذا جاء النص بطل الرأي والقياس.

ونقل قول الكلبي: إن أكثر العلماء قالوا: إن الألف واللام في كلمة (الأمر) ليس للاستغراق، وعليه فيكون هذا الأمر من الأمور الخاصة لا كل أمر، وهذا الأمر الخاص هو ما يتعلق بأمور الحرب فقط لأن الألف واللام عهدية، والآية جاءت بعد آيات تحدّثت عن غزوة أخذت فيها تشير إلى هذا الأمر المعهود، بل حتّى في حدود هذا الأمر جعل الله تعالى نهاية الرأي والكلمة الحاسمة لرسول الله ﷺ لغناه عن آراء الناس ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ﴾^(٢).

(١) عن الإمام الحسن عليه السلام: «قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده» تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٣٢ / المترجم.

(٢) وجاء في الكشف حول الآية «وشاورهم في الأمر» يعني في أمر الحرب ونحوه ممّا لم ينزل عليه فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطيب نفوسهم والرفع من

ثانياً: ثم إن كتابة الكتاب الذي أراد رسول الله ﷺ فعله في مرضه لا علاقة له بموضوع الشورى فإنه ﷺ لم يقل لأصحابه: أريد أن أكتب كتاباً لن تضلوا به من بعدي فما رأيكم أكتبه لكم أم لا؟ حتى يجيب عمر بالنفي والمنع والتعدي!! وإنما هو ﷺ اكتفى بإظهار كون سبب الكتابة من أجل الحفاظ على وحدة الأمة وهداها، وبالتالي ليس هناك مجال للآراء.

ثالثاً: ولكن حتى لو سلمنا - جداراً - أن عمر أراد أن يدلي برأيه في هذا الموضوع - الذي قلنا إنه خارج عن موضوع الشورى - فكان عليه أن يتأدب في عرض رأيه مع رسول الله ﷺ فيقول مثلاً: يا رسول الله بعد الإذن منك أرى أنه ليس من صلاح الأمة أن نكتب لها هذا الكتاب.

بينما هجم عمر بن الخطاب هجوماً عنيفاً قاسياً في التعدي على رسول الله ﷺ وقال: دعوا الرجل أنه ليهجر... كفانا كتاب الله.. حسبنا كتاب الله، أهكذا يتكلم مع هادي الأمة ﷺ؟

إن القرآن الكريم على عظمته لم يتهم النبي ﷺ بالهجر، بل قرن الله طاعته وحبّه بطاعته وحبّه تعالى لاسيما في قوله تعالى: ﴿ما كان محمدٌ أباً أحَدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾^(١) وهي من الآيات التي أعطت لقباً عظيماً وأشارت إلى منزلة شامخة لرسول الله ﷺ وهي (خاتم النبيين) فهل يتجاوز عمر كل ذلك ويوجّه هذه الكلمات القاسية لخاتم النبيين وكأنه واحد منهم؟! ألا تتعجبون من ذلك أنتم أيها المثقفون والدارسون؟ حاولوا أن تتجردوا

→ أقدارهم، فأمر الله رسوله ﷺ بمشاورة أصحابه لئلا يتقل عليهم استبداده بالرأي دونهم... «فتوكل على الله» في إمضاء أمرك على الأرشد الأصالح.. /الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٤٣٢/ المترجم.

من الميول والتعصبات المذهبية وتأملوا في مثل هذه الرزية والفجعية. وأعجب من ذلك هو قول علمائكم إن اقتراح عمر - وبهذه الطريقة - كان يتضمن منعاً من حصول الافتراق الذي يسببه الكتاب الذي أراد النبي ﷺ كتابته! محاولين بهذه المزاعم أن يتداركوا شنيع فعل عمر ويرفعوا له ما أفسده. إلا أن كل منصف وكل ذي عقل يدرك ويقر أن قول عمر بن الخطاب لم يكن بهذا الصدد، بل على أثر كلمته حصل الاختلاف في تلك اللحظات كما روى الكثيرون ذلك وبهذا اللفظ «فاختلف من في البيت واختصموا»^(١).

فمن ذلك اليوم ظهر الافتراق والاختلاف بسبب قول عمر وعلى أساسه عمل المنافقون في توسيع رقعة الافتراق والاختلاف إلى أن وصل في يومنا هذا وما قبله إلى المذاهب والجماعات والأديان و... إلى آخره.

ولذلك قال الشهرستاني: اعلم أن أول شبهة وقعت في الخليقة: شبهة إبليس لعنه الله ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضة الأمر واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم ﷺ وهي الطين^(٢) وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات وسارت في الخليقة وسرت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب وبدعة وضلالة^(٣).

وبعد ورقتين من هذا الكلام ذكر المقدمة الرابعة وجعل عنوانها هو: أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية وكيف انتشعها ومن مصدرها ومن مظهرها، ثم قال: وكما قررنا أن الشبهات التي وقعت في آخر الزمان هي بعينها تلك الشبهات التي وقعت في أول الزمان، كذلك يمكن أن نقرر في زمان كل نبي

(١) مرّت مصادر الكلمة.

(٢) «أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين»، سورة الأعراف: ١٢.

(٣) الملل والنحل ج ١ المقدمة الثالثة، ص ١١، ط دار الفكر بيروت.

ودور صاحب كل ملة وشريعة: إن شبهات أمته في آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء أول زمانه من الكفار والملحدون وأكثرها من المنافقين وإن خفي علينا ذلك في الأمم السالفة لتمادي الزمان، فلم يخف في هذه الأمة أن شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافقي زمن النبي ﷺ إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى وسألوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه وجادلوا الباطل فيما لا يجوز الجدل فيه^(١).

ثم بين الشهرستاني كيف أن الرأي مقابل النصّ يُعدّ أول بذرة من بذور الافتراق والشبهات كما صرح في قصة إبليس لعنه الله مع آدم ﷺ حيث اعترض إبليس مكتفياً بعقله الكاسد وقياسه الفاسد، فكان سبباً للانقسامات والشبهات والافتراق الحاصل في الأمم السالفة وكذلك ما حصل في مرض النبي ﷺ حيث اعترض عمر مستنداً إلى عقله معارضاً بذلك النصّ فكان هو السبب في أول انقسام وانشعاب حصل في المسلمين والذي سقاء المنافقون فيما بعد ليتجذّر في قلوب الناس جيداً، ثم ليتشعب إلى أديان ومذاهب وعقائد.

ولهذا قال الشهرستاني: فهذا ما كان في زمانه عليه الصلاة والسلام وهو على شوكنه وقوته وصحة بدنه ﷺ، والمنافقون يخادعون فيظهرون الإسلام ويبطنون الكفر وإنما يظهر نفاقهم بالاعتراض في كل وقت على حركاته وسكناته فصارت الاعتراضات كالبذور وظهرت منها الشبهات كالزروع^(٢).

ومع هذا الكلام العلمي الرصين إلا أن الشهرستاني يحاول أن يجد مخرجاً لشبهات الصحابة مع الأسف، وهل ذلك إلا انحرافاً واضحاً منه حيث قال: وأما الاختلافات الواقعة في حال مرضه ﷺ وبعد وفاته بين الصحابة فهي

(١) الملل والنحل ج ١ المقدمة الرابعة.

(٢) المصدر نفسه.

اختلافات اجتهادية كما قيل كان غرضهم منها إقامة مراسم الشرع وإدامة مناهج الدين^(١).

مع أنه قال قبل قليل: إن ذلك اجتهاد وقياس مقابل النص وهو أصل الشبهات والاختلافات!!

ولكن على كل حال يظهر من ذلك كله أن الافتراق الذي حصل في الأمة الإسلامية راجع إلى كلمة عمر وإلى ذلك اليوم لا كما قيل إنه بسبب عبدالله بن سبأ وفي زمن عثمان فأرجو أن يكون هذا واضحاً عندكم.

ولكن من أجل كشف الحقيقة أكثر أذكر لكم كلام الشهرستاني حول الاختلافات التي انشعبت في الإسلام قال:

الخلاف الأول: فأول تنازع وقع في مرض النبي ﷺ فيما رواه الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري بإسناده عن عبدالله بن عباس قال: لما اشتد بالنبي ﷺ مرضه الذي مات فيه قال: اتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي فقال عمر: إن رسول الله قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله، وكثر اللغط، فقال النبي ﷺ: قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع. قال ابن عباس: الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﷺ.

الخلاف الثاني: في مرضه أنه قال: جهزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عنه، فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره، وأسامة قد برز من المدينة، وقال قوم: قد اشتد مرض النبي ﷺ فلا تسع قلوبنا مفارقتة والحالة هذه فنصبر حتى نبصر أي شيء يكون من أمره.

وإنما أوردت هذين التنازعين لأن المخالفين ربما عدوا ذلك من الخلافات المؤثرة في أمر الدين وليس كذلك وإنما كان الغرض كله إقامة مراسم الشرع في

حال تزلزل القلوب وتسكين نائرة الفتنة المؤثرة عند تقلب الأمور.

الخلاف الثالث: في موته ﷺ قال عمر بن الخطاب: «من قال: إن محمداً قد مات قتلتني بسيفي هذا وأتما رُفع إلى السماء كما رُفع عيسى عليه السلام» وقال أبو بكر بن أبي قحافة: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد إله محمداً فإن إله محمداً حي لم يموت ولن يموت وقرأ قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين﴾^(١). فرجع القوم إلى قوله وقال عمر: «كأنني ما سمعت هذه الآية حتى قرأها أبو بكر».

الخلاف الرابع: في موضع دفنه ﷺ أراد أهل مكة من المهاجرين رده إلى مكة لأنها مسقط رأسه ومأنس نفسه وموطن قدمه وموطن أهله وموقع رحله، وأراد أهل المدينة من الأنصار دفنه بالمدينة لأنها دار هجرته ومدار نصرته، وأرادت جماعة نقله إلى بيت القدس لأنه موضع دفن الأنبياء ومنه معراجهم إلى السماء ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة لما روي عنه ﷺ: «الأنبياء يدفنون حيث يموتون».

الخلاف الخامس: في الإمامة وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان وقد سهل الله تعالى ذلك في الصدر الأول فاختلف المهاجرون والأنصار فيها، فقالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير واتفقوا على رئيسهم سعد بن عبادة الأنصاري فاستدركه أبو بكر وعمر في الحال بأن حضرا سقيفة بني ساعدة وقال عمر: كنت أزور في نفسي خلافاً في الطريق فلما وصلنا إلى السقيفة أردت أن

أتكلّم فقال أبو بكر: مه يا عمر فحمد الله وأثنى عليه وذكر ما كنت أقدره في نفسي كأنه يخبر عن غيب فقبل أن يشتغل الأنصار بالكلام مددت يدي إليه فبايعته وبايعه الناس وسكنت الفتنة، إلا أن بيعة أبي بكر كانت فتنة وقى الله المسلمين شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه فأبى رجل بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فإنهما تغرة يجب أن يقتلا وإنما سكنت الأنصار عن دعواهم لرؤية أبي بكر عن النبي ﷺ: «الأئمة من قريش».

وهذه البيعة هي التي جرت في السقيفة، ثم لما عاد إلى المسجد انشال الناس عليه وبايعوه عن رغبة سوى جماعة من بني هاشم وأبي سفيان من بني أمية وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان مشغولاً بما أمره النبي ﷺ من تجهيزه ودفنه وملازمة قبره من غير منازعة ولا مدافعة.

الخلاف السادس: في أمر فذك والتوارث عن النبي ﷺ ودعوى فاطمة عليها السلام وراثته تارة وتمليكا أخرى حتى دفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النبي ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة».

الخلاف السابع: في قتال مانعي الزكاة فقال قوم: لا نقاتلهم قتال الكفرة. وقال قوم: بل نقاتلهم، حتى قال أبو بكر: لو منعوني عقلاً ممّا أعطوا رسول الله ﷺ لقاتلهم عليه ومضى بنفسه إلى قتالهم ووافقه جماعة الصحابة بأسرهم وقد أذى اجتهد عمر في أيام خلافته إلى ردّ السبايا والأموال إليهم وإطلاق المحبوسين منهم والإفراج عن أسراهم.

الخلاف الثامن: في تنصيب أبي بكر على عمر بالخلافة وقت الوفاة، فمن الناس من قال: قد وليت علينا فظاً غليظاً وارتفع الخلاف بقول أبي بكر: لو سألني ربي يوم القيامة لقلت: وليت عليهم خيرهم لهم وقد وقع في زمانه اختلافات كثيرة في مسائل ميراث الجدّ والإخوة والكلالة وفي عقل الأصابع وديات الأسنان وحدود بعض الجرائم التي لم يرد فيها نصّ وإنما أهمّ أمورهم

الاشتغال بقتال الروم وغزو العجم وفتح الله تعالى الفتوح على المسلمين وكثرت السبايا والغنائم وكانوا كلهم يصدرون عن رأي عمر وانتشرت الدعوة وظهرت الكلمة ودانت العرب ولانت العجم.

الخلاف التاسع: في أمر الشورى واختلاف الآراء فيها وانفقوا كلهم على بيعة عثمان وانتظم الأمر واستمرت الدعوة في زمانه وكثرت الفتوح وامتلا بيت المال وعاشر الخلق على أحسن خلق وعاملهم بأبسط يد، غير أن أقاربه من بني أمية قد ركبوا نهابر فركبته وجارروا فجير عليه ووقعت في زمانه اختلافات كثيرة وأخذوا عليه أحداثاً كلها محالة على بني أمية.

منها: ردّه الحكم بن أمية إلى المدينة بعد أن طرده رسول الله ﷺ وكان يسمّى طريد رسول الله ﷺ وبعد أن تشفع إلى أبي بكر وعمر أيام خلافتهما فما أجاباه إلى ذلك ونفاه عمر من مقامه باليمن أربعين فرسخاً.

ومنها: نفيه أبا ذرّ إلى الربذة وتزويجه مروان بن الحكم بنته وتسليمه خمس غنائم أفريقية له وقد بلغت مائتي ألف دينار.

ومنها: إيواؤه عبدالله بن سعد بن أبي سرح وكان رضيعة بعد أن أهدر النبي ﷺ دمه. وتوليته إيّاه مصر بأعمالها وتوليته عبدالله بن عامر البصرة حتّى أحدث فيها ما أحدث إلى غير ذلك ممّا نعموا عليه وكان أمراء جنوده: معاوية بن أبي سفيان عامل الشام. وسعد بن أبي وقاص عامل الكوفة وبعده الوليد بن عقبة. وسعيد بن العاص وعبدالله بن عامر عامل البصرة، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح عامل مصر وكلهم خذلوه ورفضوه حتّى أتى قدره عليه وقتل مظلوماً في داره وثارّت الفتنة من الظلم الذي جرى عليه ولم تسكن بعد.

الخلاف العاشر: في زمان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بعد الاتفاق عليه وعقد البيعة له فأوله خروج طلحة والزبير إلى مكة ثم حمل عائشة إلى البصرة ثم نصب القتال معه ويعرف ذلك بحرب الجمل. والحقّ أنّهما رجعا وتابا إذ

ذكرهما أمراً فتذاكرهما، فأما الزبير فقتله ابن جرهموز بقوس عند الانصراف، وأما طلحة فرماه مروان بن الحكم بسهم وقت الإعراض فخرّ ميتاً. وأما عائشة فكانت محمولة على ما فعلت ثم تابت بعد ذلك ورجعت والخلاف بينه وبين معاوية وحرب صفين ومخالفة الخوارج وحمله على التحكيم ومغادرة عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري وبقاء الخلاف إلى وقت وفاته مشهور. وكذلك الخلاف بينه وبين الشراة المارقين بالنهروان عقداً وقولاً ونصب القتال معه فعلاً ظاهراً معروفاً.

وبالجملة كان عليّ عليه السلام مع الحق والحق معه وظهر في زمانه الخوارج عليه مثل الأشعث بن قيس ومسعود بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي وغيرهم وكذلك ظهر في زمانه الغلاة في حقّه مثل عبدالله بن سبأ وجماعة معه من الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة وصدق فيه قول النبي ﷺ: «يهلك فيه اثنان محبّ غالب ومبغض قال»^(١).

سؤال أحد الحاضرين: لقد ذكرت لنا هذه الاختلافات العشرة كما ذكرها الشهرستاني، ولكن نرجو منك أن تتوسّع في كلّ واحد منها لأننا لم نعرف هذه الحقائق بشكل مفصّل لاسيّما وأنك ذكرتها بشكل مختصر؟

الجواب: نعم، إن طلبكم هذا في محلّه بل كنت أفكر مع نفسي أن أشرح لكم هذه الاختلافات العشرة التي ذكرها الشهرستاني قبل ٨٠٠ عام وهي رؤوس جميع الاختلافات التي حصلت فيما بعد في الأمة الإسلامية إلى أن تحقّق ما أخبر به النبي ﷺ من افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، هذا وقد أيد علماء أهل السنّة هذا الكلام وذكروا ذلك في أماكن متعدّدة وأشاروا إلى الفرق والمذاهب.

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١، ص ٢٠، المقدمة الرابعة، ط دار الفكر.

دراسة حول الخلاف الأول - في مرض النبي ﷺ -

وعندما نعود إلى حادثة مرض النبي ﷺ أي نرجع معكم إلى ألف وثلاثمائة عام إلى الخلف فإبنا نشاهد المنافقين الذين آمنوا بالنبي ﷺ والإسلام ظاهراً وأبطنوا الكفر والعصيان ولذلك فهم يؤدّون الطقوس الدينية أمام الناس والنبي ﷺ فقط وإذا ملكوا فرصة خفية لإعلان العصيان لم يتوانوا، إلا أنهم كانوا شديدي الحرص أمام النبي ﷺ بالالتزام بالأوامر الدينية، لا سيما وإن أوامر ونواهي رسول الله ﷺ هي نفس أوامر القرآن ونواهيه لأن الإسلام عبارة عن الكتاب والسنة المطهرة، إلا أن المنافقين كانوا يثيرون شبهاتهم في صفوف الضعفاء كلما سنحت الفرصة لهم.

وقد صرح الشهرستاني في المقدمة الرابعة وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج أن أول فرصة أظهر فيها المنافقون اعتراضاتهم ومعاكساتهم وبشكل ظاهري أمام الملاء هو يوم مرض النبي ﷺ وأول من فتح لهم الطريق هو عمر بن الخطاب عندما اعترض (أمامهم وعلى مسمع من الناس) على النبي ﷺ ومنعه من كتابة الوصية وبالطريقة الموزلة التي ذكرتها لكم.

وهنا التحم خطّ النفاق مع عمر لأنه فتح لهم الطريق وجعلها معبّدة لهم فأيدوه وقالوا: القول ما قاله عمر حسبنا كتاب الله، ومعنى ذلك أننا في غنى عن السنة المطهرة مع العلم أن السنة هي الركن الثاني والمهم في الإسلام. فالاختلاف الذي حصل يومذاك بين فرقة المؤمنين وفرقة المنافقين وهو أول افتراق حصل في الأمة وهي أول رزية كما عبّر عنها ابن عباس.

وعليكم أن تعرفوا أن عمر عندما منع النبي ﷺ من كتابة وصيته هذه وأثار الأجواء ضده قد خالف القرآن الكريم نفسه في قوله تعالى: ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً

على المتقين»^(١).

فكيف يقول: حسبنا كتاب الله مع أنه خالف كتاب الله؟!

إذ إن كتابة الوصية من الأمور الواجبة بل هي علامة التقوى كما أخبر القرآن لأنها صمام الأمان من أي اختلاف بين الورثة، فكيف إذا تصوّرنا أن الذي يريد أن يكتب الوصية هو رسول الله ﷺ وهو سيّد المتقين؟ لاسيّما وإن وصيته ليست في حدود نسائه وعائلته وإنما تصبّ في مصلحة وهداية الأمة بكاملها فكم هي مهمّة وثمينة؟!

وهنا يأتي عمر ليمنع ذلك بكلمات خشنة وغير مؤدّبة. فحقاً هي مصيبة ورزية ولطالما تأسف كبار الصحابة على هذا الحدث الجلل وكانوا يتمنّون لو كتب نبيهم ﷺ هذا الكتاب.

فقد ذكر البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قوله: «يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتّى خضب دمه الحصباء»^(٢) وفي رواية مسلم «ثم جعل تسيل دموه حتّى رويت على خديه كأنّها نظام اللؤلؤ»^(٣) وفي رواية أخرى نقلها البخاري «الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم»^(٤).

ألا يكفي هذا التصريح والتأسف والبكاء من ابن عمّ النبي ﷺ في كشف الحق؟ وأن ما ارتكبه عمر كان أمراً قبيحاً وفوّت فرصة لا مثيل لها ولن تنكرّر إلى

(١) البقرة: ١٨٠.

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٩٠ باب جوائز الوفاة ح ١٢٢٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) مسند أحمد ج ١ ص ٣٥٥، ط الأولى، دار صادر ١٩٦٩م.

(٤) صحيح البخاري كتاب العلم، وفي باب المريض من كتاب المرضى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

يوم القيامة، ألا يكفيكم هذا؟ ألم تسألوا أنفسكم لماذا يبكي ابن عباس كلما تذكر ذلك اليوم؟

سؤال أحد الحاضرين: ألا تتصور أن التعليل الذي ذكره عمر بن الخطاب في منعه للنبي ﷺ تعليل عقلاني وهو حسبنا كتاب الله فما دام القرآن هو أساس الإسلام والمسلمين فهو يغني عن هذه الوصية؟

الجواب: إني لا أعجب من كلامك هذا فإنك منذ نعومة الأظافر كنت تسمع وتلقى مثل هذه التأويلات والمزاعم حتى كبرت عليها وصار عندك من الأمور الطبيعية أن يجتهد الشخص مقابل النص، ولكي أوضح لك الأمر أقول: أولاً: قال الله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾^(١). هذه الآية نزلت بمناسبة زواج زينب بنت جحش من زيد وقد أمرها رسول الله ﷺ أن تتزوج منه إلا أنها وأخاها لم يكونا راضيين بهذا الزواج فنزلت الآية لتقول لهما ولجميع المسلمين إنه لا حق لأي أحد أن يعترض على ما يأمر به رسول الله ﷺ لأنه أمر الله تعالى، بل على المسلمين أن يطيعوا النبي ﷺ ولا يكون لأي أحد اختيار مقابل اختيار النبي ﷺ وكل من اعترض على ما اختاره الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً كما قالت الآية.

وهذه الآية تحمل حكماً عاماً في كل أوامر النبي ﷺ الموجهة للمسلمين إذ يتحتم عليهم الإذعان والخضوع للنبي ﷺ لأنه أولى بهم من أنفسهم، ومع هذا الإطلاق في الآية الكريمة نرى عمر يخالف القرآن، ويعترض بل يمنع ولا يطيع رسول الله ﷺ، بل يُبدي رأياً مخالفاً لما اختاره النبي ﷺ، ألا يثير ذلك دفائن عقولكم وإنصافكم لكي تدعوا للحق وتفكروا؟

ثانياً: وكيف تصدّقون مقولة (حسبنا كتاب الله) مع أن أهل العلم من الفريقين أجمعوا أن في القرآن ناسخاً ومنسوخاً ومحكماً ومتشابهاً ومجملاً ومفصلاً ولا يمكن معرفة ذلك إلا من خلال السنّة المطهّرة للنبي الأكرم ﷺ وإلا فبدونها يكون لكلّ فرقة مذهب خاصّ في فهم آيات القرآن، بل يكون لكلّ فرد من المسلمين أو العلماء اتجاه خاصّ في فهم الآيات، ولذلك فقد أمر الله تعالى نبيّه الكريم ﷺ أن يوضّح ذلك للمسلمين في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١) فكيف بعد ذلك نقول حسبنا كتاب الله؟

ولا يقال إن النبي ﷺ أوضح الكتاب كلّهُ وبالتالي لا نحتاج إلى شيء آخر.

لأننا نقول: إن النبي ﷺ حرص قبل موته أن يعيّن للمسلمين مرجعاً يرجعون إليه من أجل توضيح الكتاب، وبالتالي فنحن بحاجة إلى الكتاب وإلى من يوضّحه لنا.

ولذلك روى أكابر علماء السنّة حديث الثقلين مثل البخاري وابن ماجه وأحمد وأبي داود والنسائي والترمذي والطبري والحاكم النيسابوري وابن عبد ربه وابن عقدة والطبراني والدارقطني وأبي نعيم الأصفهاني والبيهقي والقرطبي والخطيب البغدادي وابن المغازلي والحميدي والديلمي والقاضي عياض والخطيب الخوارزمي وابن عساكر وابن الأثير ومحمد بن طلحة الشافعي والفخر الرازي وسبط ابن الجوزي والكنجي الشافعي ومحب الدين الطبري وغيرهم^(٢).

(١) النحل: ٦٤.

(٢) من مصادر الحديث:

وقد تكرر حديث الثقلين من رسول الله ﷺ في مواقع متعددة هي: مسجد الخيف وفي منى ويوم غدير خم ويوم مرض النبي ﷺ حيث قال ﷺ: أيها الناس إني تركت فيكم الثقلين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما الأكبر منهما كتاب الله والأصغر عترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير عهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كهاتين (وأشار بالسّبايتين) ولا أن أحدهما أقدم من الآخر، فتمسّكوا بهما لن تضلّوا، ولا تقدّموا منهم ولا تخلّفوا عنهم ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم».

وقد تواتر هذا الحديث معنى ورواه مائة وثمانون راوٍ عن الصحابة بألفاظ متعدّدة وأسانيد معتبرة وصحيحة عن أهل السنّة والشيعة.

- تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٩٢، ٩٣، مطبعة الغري، النجف.
- وخصائص أمير المؤمنين عليّ عليه السلام للنسائي، ص ١١١، دار الثقلين، ١٤١٩ هـ.
- ومصابيح السنّة للبقوي ج ١ ص ٥١٦ باب مناقب الإمام عليّ عليه السلام ط دار الفلم.
- وفضائل الصحابة لأحمد ج ٢ ص ٥٨٥ وص ٦٣ ط السعودية.
- وجواهر العقدين للسمهودي / الفضائل.
- وتذكرة الخواص ص ٣٢٣، ط مكتبة نينوى الحديثة، تقديم السيد محمد بحر العلوم.
- والفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي ص ٤٠.
- وإسعاف الراغبين ص ١١٩.
- ومروج الذهب ج ٢ ص ٤٣١، ط مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٢٨.
- وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٢.
- وأسد الغابة ج ٢ ص ١٢، ط المكتبة الإسلامية.
- الخصائص الكبرى للسيوطي ج ٢ ص ٢٦٦ ط العراق.
- الصواعق المحرقة باب ١١ الفصل الأوّل / المترجم.

والآن أوجه سؤالي لكم: هل نتبع قول النبي ﷺ في اتباع عترته وأهل بيته الذين لا يفترون عن القرآن؟ أم نتبع ما قاله عمر: حسبنا كتاب الله؟ مع أن النبي ﷺ يؤكد العلاقة والأصرة بين القرآن وأهل بيته، وعمر يسعى للفصل بينهما فلمن تتبعون أيها المتنورون المثقفون؟ وتصوروا لو أن عمر لم يمنع من كتابة الوصية هل كان يحدث هذا الافتراق والاختلاف في الأمة؟

دراسة حول الخلاف الثاني - إمارة أسامة -

سؤال أحد الحاضرين: من فضلك نتمنى أن تذكر لنا شيئاً من السيرة الذاتية لأسامة بن زيد فمن هو أسامة ومن أي نوع كانت إمارته ولماذا حصل الاختلاف فيها؟

الجواب: هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي كما ذكره ابن الأثير وابن عبد البر وابن حجر العسقلاني^(١).

كان زيد أيام الجاهلية فتى صغيراً أسر في إحدى الغزوات وتم بيعه كعبد في سوق عكاظ فاشتره حكيم بن حزام بأربعمائة درهم وأهداه إلى عمته السيدة خديجة بنت خويلد سلام الله عليها، وبعد أن تزوجها النبي ﷺ قبل البعثة أهدته للنبي ﷺ فأشرف على تعليمه الأخلاق الحسنة والفضائل السامية، وبقي معه فترة لا بأس بها، ولما سمع والده حارثة بأخباره جاء إلى النبي ﷺ وطلب منه أن يشتري منه زيداً، فلم يمانع النبي ﷺ ولكنه خير زيداً بين البقاء معه أو الذهاب مع والده وأهله، فاختار زيد البقاء مع النبي ﷺ

(١) أسد الغابة ج ١ ص ١٠١ رقم ٨٤ دار إحياء التراث العربي، تمييز الصحابة ج ١ ص ٢٠٢ رقم ٨٩ دار الكتب العلمية، الاستيعاب ج ١ ص ١٧٠ رقم ٢١ دار الكتب العلمية / المترجم.

وقال: لقد تعلّمت من محمّد ﷺ أخلاقاً حميدة وآداباً جميلة.. ولا أفضل عليه أحداً فلما يش والدّه منه تركه، وحينها أعلن النّبي ﷺ أن زيداً بمنزلة ابني كما تعارف عند العرب آنذاك ومن ذلك الحين أطلق عليه: زيد بن محمّد ﷺ.

ولمّا بعث النّبي ﷺ بالرسالة الخالدة آمن به زيد بعد الإمام علي عليه السلام^(١) وخديجة بنت خويلد، فكان هو ثالثهما فحرّره النّبي ﷺ.

ثم تزوّج زيد من أمّ أيمن وهي بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن الحسن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان وهي من المؤمنات الصالحات المبشرات بالجنة، فولدت له ابنة أسامة. وأسّس شهد زيد في حرب مؤتة مع جعفر الطيّار عليه السلام، وعندما توفّي رسول الله ﷺ كان عمّر أسامة عشرين عاماً.

وكان رسول الله ﷺ قد نصب أسامة أميراً على جيش المسلمين في مرض موته وأمرهم بالالتحاق به والتوجّه إلى الشام وكان تحت إمارته كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار أمثال أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وطلحة كما صرّح ابن أبي الحديد المعتزلي بذلك وأيضاً القاضي صاحب المواقف ومير جمال الدين المحدث في روضة الأخبار وآخرين غيرهم..

(١) عليّ أول من أسلم وآمن: درر السمطين القسم الثاني من السمعط الأول، وفضائل الصحابة للنسائي والصحيح المسند من فضائل الصحابة للعدوي أخرجه عن فضائل أحمد والترمذي والنسائي والخصائص والحاكم في المستدرک ج ٣ وابن سعد في الطبقات، والسنن الكبرى للنسائي ج ٥، ومجمع البحرين في الزوائد ج ٣، وكتاب السنّة للشيخاني ص ٥٨٩، والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٤٧ رقم ٤٦٦٣ وص ١٤٣ رقم ٤٦٥٢، والاستيعاب للمقرطبي ج ٣ ص ١٩٧، ومختصر المحاسن المجتمعة ص ١٥٨ ومختصر تاريخ دمشق لابن عساکر ج ١٧ ص ٣٤٦ / المترجم.

فقد قال ابن أبي الحديد: إن رسول الله ﷺ في مرض موته أمر أسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جملة من المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير...^(١). ونظراً إلى شدة مرض النبي ﷺ جاء أسامة يلتمسه أن يأمر بتأخير تحرك الجيش حتى يعافيه الله تعالى، فردّ عليه النبي ﷺ: سر على النصر والعافية، ولمّا حاول أسامة أن يقول شيئاً قاطعه النبي ﷺ قائلاً: انغذ لما أمرتك به^(٢)، ولمّا رأى أسامة تصميم النبي ﷺ قام وتحرك لأن في توقّعه وتأخّره عصياناً ظاهراً، ثمّ أغمى على النبي ﷺ ولمّا أفاق قال: أين أسامة؟ فقيل له: ذهب ليتجهّز، فدعا له.

يقول بعض علمائكم أمثال البلاذري في التاريخ وقاضي القضاة عبد الجبار في كتاب المغني وبالخصوص صاحب كتاب سير الصحابة حيث قال: أوّل اختلاف وعصيان لأمر النبي ﷺ يوم أمر النبي ﷺ بتجهيز وحركة جيش أسامة فافترق المسلمون في ذلك إلى فرقتين:

الأولى: المؤمنون حقّاً الذين امتثلوا أمر النبي ﷺ وتحركوا مع أسامة. الثانية: المنافقون الذين رغبوا بالعصيان وعدم طاعة النبي ﷺ تحت ذرائع سخيفة حيث قالوا: لقد أمر علينا غلاماً لا خبرة له، وقال بعضهم: لا يحسن بنا أن نترك النبي ﷺ وهو بهذه الحال، فعادوا وتخلّفوا عن جيش أسامة ورجعوا إلى المدينة بكلّ وقاحة.

ولمّا علم النبي ﷺ أن بعض الصحابة قد تخلّفوا عن أسامة بهذه الحجج قال: لعن الله من تخلّف عنه^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ١٥٩ دار الجيل بيروت.

(٢) المصدر نفسه ج ٦ ص ٥٢.

(٣) مرّ مصدر هذه العبارة في كلام الشهرستاني الآنف الذكر. المترجم

وكان هذا التخلف والاختلاف توأم ذلك الاختلاف الذي حصل عندما أراد ﷺ كتابة الوصية فبادر عمر بالمنع الذي عدّه الشهرستاني بأنّه أول اختلاف حصل في الأُمة وكان سبباً لحصول الافتراق والاختلاف فيما بعد، وهذا يعني أنّ الذين وقفوا إلى جانب عمر حال منعه للنبي ﷺ من كتابة الوصية هم أنفسهم وقفوا إلى جانب من تخلف عن جيش أسامة وعادوا إلى المدينة لخوفهم من استقرار أمر الخلافة لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه المسبوق بالبيعة في يوم الغدير وهو قريب العهد بالمسلمين فأيقنوا أنّ الأمور ستجري بما خطط له النبي ﷺ من تنصيب الإمام عليّ رضي الله عنه خليفة، ولذلك رجعوا لإثارة الأجواء وتحريك الساكن وإيجاد الاختلافات والحيلولة دون خلافة الإمام عليّ رضي الله عنه.

دراسة حول الاختلاف الثالث

قول عمر: إنّ محمّداً لم يمّت!

ثمّ حصل الاختلاف الثالث على أثر الاختلاف السابق وذلك عندما توفيّ النبي ﷺ وضحّ المسلمون بالبكاء والنحيب ارتفع صوت عمر^(١) بن الخطّاب ليعلن للمسلمين إعلاناً أوجد هذا الاختلاف الثالث كما ذكره الطبري في تاريخه وابن أبي الحديد في شرح النهج وابن الأثير في الكامل والشهرستاني في الملل والنباخاري في كتاب المريض والحميدي في الجمع بين الصحيحين وغيرهم من علماء السُنّة وجميع علماء الشيعة.

فقال عمر: إنّهُ ﷺ لم يمّت ولكنه غاب عنا كما غاب موسى عن قومه

(١) ما يشير التعجب أنّ عمر كان في المدينة عندما توفيّ النبي ﷺ أي أنّه قد عاد مع الذين تخلفوا عن جيش أسامة وقد عرفت سابقاً أنّ النبي ﷺ لعن المتخلفين!!.

وليرجعن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات!!^(١).

وروي أنه قال: من قال إن محمداً ﷺ قد مات قتلته بسيوفي هذا، وإنما رُفع إلى السماء كما رُفع عيسى عليه السلام^(٢).

وكانت هذه الكلمات أخطر من السيف في الأمة فلولا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أو كما يروي أهل السنة لولا أبو بكر لحدث انشقاق فظيع في الفكر العقائدي الإسلامي منذ ذلك الحين يؤدي إلى الغلو والكفر والخروج عن الدين بسبب كلمة عمر، إلا أن أبا بكر تدارك الموقف وقال: مَنْ كان يعبد محمداً -إشارة منه إلى الغلو في كلمة عمر- فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت «أفإن مات أو قتل...»^(٣).

اختلاف جديد بسبب كلمة عمر

لقد انقسم العلماء في تفسير كلام عمر السابق إلى فريقين:

الفريقين الأول: قالوا إن عمر تعمّد الكذب وأخبر المسلمين، بل حاول إقناعهم بعدم موت النبي ﷺ ليحقق فيما بينهم اختلافاً في الرأي والاعتقاد وبالتالي يستطيع أن يحقق أهدافه في مثل هذه الأجواء المضطربة.

الفريق الثاني: قالوا إن عمر لم يقصد ذلك وإنما كان يُخبر بما في وجدانه

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٣٢، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨، وشرح النهج ج ١ ص ١٧٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٢٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٧ الخلاف الثالث، ط دار الفكر، بيروت.

أقول: بينما عمر يخبر المسلمين بذلك نراه يرسل رجلاً إلى أبي بكر أن أقدم فقد مات النبي ﷺ!! / انظر طيقات ابن سعد ج ٢، ص ٢٦٧.

(٣) شرح النهج ج ١ ص ١٧٨ ط دار الجيل بيروت. / المترجم

لأنه لم يُصدّق خبر موت النبي ﷺ لثقله على القلوب فكان يعتقد أن رسول الله ما يزال حيّاً.

وهذا القول الثاني يُسيء إلى عمر ولكن بصورة غير مباشرة في حين أنهم حاولوا من خلاله أن يبرنوا ساحة عمر بن الخطاب.

فعلى هذا القول يكون عمر بن الخطاب جاهلاً بآيات القرآن الكريم التي أخبرت مسبقاً بموت النبي ﷺ وأنه سيموت وأنهم سيموتون أيضاً. والحال أنه يريد أن يجعل نفسه خليفة رسول الله لاحقاً فكيف به لا يحفظ القرآن؟ ولا يحيط بمعاني الآيات القرآنية؟ بينما كان رسول الله ﷺ يؤكد على المسلمين حفظ القرآن حتى حفظه أغلب المسلمين بل حتى النساء والصبيان فما بال عمر لا يحفظ بل لا يتذكر المعنى على أقل تقدير؟

هذا وقد ذكر المؤرخون من أهل السنة عدّة وقائع تؤكد على عدم حفظ عمر لآيات القرآن لا في خصوص هذه الحادثة بل في وقائع متعدّدة ممّا يدلّل على جهله التام بالقرآن الكريم!!

فقد ذكروا أن عمر جلس يوماً أمام المسلمين أيام خلافته وقال: أيها الناس لا تغالوا بصدّق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثني عشر أوقية فقامت إليه امرأة من ربّات البيوت وقالت: لِمَ تمنعنا حقّاً جعله الله لنا والله يقول: ﴿وَأَتَيْتُم إِحْدَاهُنَّ قَنْطَاراً﴾^(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً﴾^(٢).

فلما سمع عمر ذلك قال: كلّكم أفقه من عمر حتى المخدّرات في

(١) تجد الحادثة في تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٩١ دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) النساء: ٢٠.

الحجال^(١).

وفي رواية: كل أحد أفقه مني ثلاث مرّات، وفي رواية قال: كل الناس أفقه من عمر، وفي رواية قال: كل أحد أفقه من عمر مرّتين أو ثلاث.

وفي رواية المعتزلي: كل الناس أفقه من عمر حتى ربّات الحجال، ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت؟ فاضلت إمامكم بفضلته، وفي رواية: امرأة أصابت ورجل أخطأ. وفي رواية: كل أحد أعلم من عمر تزوّجوا على ما شئتم^(٢).

(١) وقد ذكر المؤلف أسامي المصادر التي ذكرت هذه الحادثة:

تفسير الكشف ج ١ ص ٣٥٧ وتفسير الدرّ المنثور ج ٢ ص ١٣٣ وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٦٨ وتفسير غرائب القرآن ج ١ وتفسير القرطبي ج ٥ ص ٩٩ وسنن ابن ماجه ج ١ والسند في حاشيته على سنن القزويني ج ١ ص ٥٨٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٢٣٣ وإرشاد الساري ج ٨ ص ٥٧ وكنز العمال ج ٨ ص ٢٩٨ ومستدرک الحاكم ج ٢ ص ١٧٧ والباقلاني في التمهيد ص ٩٩ والمجلوني في كشف الخفاء ج ١ ص ٢٠٧ والقاضي الشوكاني في فتح القدير ج ١ ص ٤٠٧ والذهبي في تلخيص المستدرک وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج ج ١ ص ١٨٢ والحميدي في الجمع وابن المغازلي في المناقب وابن الأثير في النهاية. المؤلف

(٢) نور الأبصار ص ٦٥، دار الكتب العلمية، بيروت، والدرّ المنثور ج ٢ ص ١٣٣ وشرح النهج ج ١ ص ٦١ وتفسير الخازن ج ١ ص ٣٥٣ وتفسير القرطبي ج ٥ ص ٩٩ وتفسير الكشف ج ١ ص ٤٩١ عند الآية ٢٤ من سورة النساء. وجاء فيه جواب عمر: كل أحد أعلم من عمر، ثم قال لأصحابه: تسمعونني أقول مثل هذا القول فلا تنكرون عليّ حتى ترد عليّ امرأة ليست من أعلم النساء!!

ثم ذكر في الهامش أنّ هذه الحادثة أخرجها كل من أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وأحمد والدارمي وابن أبي شيبة والطبراني كلّهم من طريق محمد بن

وفي رواية أنه أمر أن لا يكون الصداق أكثر من أربعمئة درهم وما زاد فإنه يأخذه إلى بيت المال!!^(١).

هذه حادثة تكشف عن جهل عمر بن الخطاب بأبسط الأحكام الشرعية، بل في أشهر وأوضح الأحكام والآيات.

ومن الحوادث الأخرى التي تبرز لنا حقيقة جهل عمر بالقرآن الكريم ما ذكره جملة من علماء أهل السنة حول قضية هي أعجب من الحادثة الأولى وهي:

في يوم من الأيام وفي خلافة عمر قدم أحد الفتيان ماءً مخلوطاً بالعسل إلى عمر بن الخطاب بعد أن استسقاء وعندما أراد أن يشرب منه رأى فيه عسلاً فقال: لا أشرب منه لأن الله تعالى قال: ﴿وَأَذِهِم طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ فقال

→ سيرين عن أبي العجفاء قال: خطبنا عمر فذكره دون ما في آخره، وأخرجه الحاكم من أوجه أخرى عن عمر كذلك، وذكر الدارقطني في العلل لهذا الحديث اختلافاً كثيراً، ورواه عبد الرزاق من الوجه الأول وزاد فيه: فقامت امرأة فقالت له: ليس ذلك لك يا عمر، وإن الله يقول: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَاراً..﴾ فقال: إن امرأة خاصمت عمر فخصمته، وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة شريح من طريق أشعث بن سوار عن الشعبي عن شريح.. وأخرجه إسحاق من رواية عطاء الخراساني عن عمر، وذكره المعتزلي في شرح النهج ج ١ ص ١٨٢ ط دار الجيل بيروت / المترجم.

(١) روي أبو يعلى من طريق ابن إسحاق... قال عمر: ... وقد كانت الصدقات فيما بين رسول الله وبين أصحابه أربعمئة درهم فما دون ذلك ولو كان الإكثار... فلما نزل اعتراضه امرأة فقالت: نهيت الناس أن يزيدوا النساء في صداقهن على أربعمئة؟ قال: نعم، قالت: أما سمعت الله يقول: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَاراً..﴾ فقال: كل أحد أفقه من عمر.. / تفسير الزمخشري ج ١ ص ٤٩١-٤٩٢ ذيل آية ٢٤، النساء، دار الكتاب العربي، بيروت / المترجم.

الفتى: إِنَّ هذه الآية ليست لأهل القبلة ألم تقرأ ما قبلها: ﴿ويوم يُعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾^(١).

فأدعن عمر بجهره وقال: كَلَّ الناس أفقه من عمر^(٢).

فحقاً أَنَّ هذه الشواهد وهذه الصراحة التي لا مفرّ منها مدعاة للتعجب والاستغراب من عمر الذي يُصَحِّح له المفاهيم الإسلامية والآيات القرآنية إِمَّا امرأة من ربّات الحجال أو فتى!!

وإذا كان الخليفة يحتاج إلى من يهديه إلى الصواب ويذكره لم يعد بعد ذلك صالحاً للخلافة طبقاً لقوله تعالى: ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهلك فمالكم كيف تحكمون﴾^(٣).

فمن جعل نفسه إماماً للناس وخليفة عليهم يتوجّب أن يكون أعلمهم وأفقههم لأنّه يمثّل نيابة رسول الله ﷺ ولأنّ الغرض من وجوده هو هداية الناس إلى أحكام الدين كما كان يفعل ذلك النبي ﷺ، فكيف بعمر الذي تكرّرت منه هذه الحوادث الدالّة على مستواه الهابط في الحفظ والفقه والفهم؟! فكيف يهدي الناس مَنْ يكون هو بحاجة إلى الهداية؟

سؤال أحد الحاضرين: إِنَّ النسيان والسهو من الأمور التي تحصل للإنسان بل حتّى لدى العلماء فقد يُسألون عن مسألة ما فيغيب عن ذهنهم جوابها، وهذا لا يصلح للطعن فيهم، فكيف بخليفة المسلمين الذي تكون أعماله وارتباطاته بالناس مؤثّرة عليه بحيث يغيب عن ذهنه حكم من الأحكام بسببها؟

الجواب: أولاً: هناك فرق كبير بين العالم والخليفة، فالعالم يتدرّج في

(١) الأحقاف: ٢٠.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٨٢ ط دار الجيل، بيروت.

(٣) يونس: ٣٥.

تحصيل المعارف ونيل الكمال وقد يطرأ عليه السهو والنسيان وهما أمران طبيعيان في حقّه، أمّا الخليفة فإنّه يمثل خلافة النبي ﷺ وبعبارة أخرى: الخلافة من مقامات النبوة ومرتبة من مراتبها، وهذا يعني توفر كافة صفات النبي ﷺ في خليفته لاسيما الأعلمية لأجل هداية الناس أو ردّ الشبهات أو الإجابة عن الأسئلة التي تأتي على الدين والعقائد و... إلى آخره.

وعليه فيجب أن تكون الأطروحة الدينية متكاملة لدى الخليفة وإلا لما عاد نفع في وجوده.

ثانياً: ثم إن ما ذكرناه عن جهل عمر بالآيات والأحكام يكون كافياً للكشف عن جهل عمر لا عن سهوه ونسيانه، بل هو صرّح بجهله ولم يصرح بنسيانه أو سهوه.

ثالثاً: وما صدر عن عمر أمثال هذه الوقائع كثير جداً وبشكل مكرّر، وقد ذكرت بعضها في كتاب «اليالي بيشاور» ولا بأس أن أذكر بعضها هنا، لتؤكدوا أن ما صدر عنه لم يكن لمرة أو مرتين حتى يقال إنه نسي أو سها.

الحكم في امرأة ولدت لستّة أشهر

نقل المحدثون منهم أحمد بن حنبل في مسنده ومحّب الدين الطبري في ذخائر العقبى وابن أبي الحديد في شرح النهج والقندوزي في الينابيع.. قالوا: إن عمر أراد رجم المرأة التي ولدت لستّة أشهر فقال عليّ عليه السلام: «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً» ثم قال: «وفصاله في عامين» فالحمل ستّة أشهر فتركها عمر وقال: لولا عليّ لهلك عمر^(١).

(١) ينابيع المودة باب ٥٦ وذخائر العقبى الباب ٨ ص ١٤٨ ط جذة والاستيعاب ج ٣

فمدة الحمل مضافاً إليها مدة الرضاع سنتان يكون المجموع: ثلاثين شهراً، ثم إذا طرحنا مدة الرضاع تبقى لدينا مدة الحمل: ستة أشهر وهو أقل الحمل.

علم الخلفاء

ومما تقدّم يظهر لكم من خلال العقل والنقل أن العالم مقدّم على الجاهل، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال عكس هذه القاعدة العقلانية، بل لا يمكن المساواة بينهما لأن الله تعالى قال: «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب»^(١).

وجواب هذا الاستفهام هو النفي وقد تجاوزه الآية ولم تذكر الجواب لبداهته عند جميع الناس العقلاء، لاسيّما في الأمور الراجعة والمتصلة بالقضايا الدينية على صعيد الفتوى أو العقائد.

فلا يمكن والحال هذه أن يجلس من لا علم له يريد أن يقضي ويفتي بين الناس، بل إن الناس لو علموا مسبقاً أنه غير عالم لما جاءوا إليه وتحاكموا عنده، لأنهم سيذهبون إلى الأعلم والأفقه، ولذلك اشترط الفقهاء في القاضي أن تكون لديه إحاطة بالحلال والحرام وأساسهما القرآن والسنة...

بحيث لو انعدم أحد هذه الشروط فلا يحقّ له الجلوس والتصدي للقضاء والحكم.

→ رقم ١١٠٣ وتفسير القرطبي ج ١٦ ص ١٩٣ والمناقب للخوارزمي ص ٣٩ والرياض النضرة، دار المعرفة، ص ١٤٠، بيروت، سنة ١٩٩٧، وكتر العمال ج ٣ ص ٩٦ وسنن البيهقي ج ٧ / ٤٤٢ والتفسير الكبير للرازي ج ٢٨ ص ١٥ والدرر المتثور ج ٧ ص ٤٤١ وكفاية الطالب ص ٢٢٦ / المترجم.

ومن جهة ثانية فإنَّ الفتيا والقضاء وإصدار الأوامر وممارسة الولاية على الفروج والدماء والأموال... من خصوصيات الأنبياء ﷺ الذين لهم العلم الإحاطي بحقائق الأمور ومبادئها، ولذلك فمن جلس مجلسهم بعنوان الخليفة كان عليه أن يكون أعلم الخلق وأفقههم وأكثرهم إحاطة بالقرآن والسنة لكي يكون تمثيله للنبي ﷺ تمثيلاً موافقاً للحكمة الإلهية.

بينما تكررَّت من عمر أمثال هذه القضايا التي ذكرناها فيرجع فيها إلى أمير المؤمنين عليّ ﷺ أو معاذ بن جبل أو زيد بن ثابت أو أبي بن كعب حتَّى تكرر قوله في مواقع متعدّدة «لولا عليّ لهلك عمر» و«اللهم لا تبغني لمعضلة ليس فيها أبو الحسن» وأكثر من ذلك ما نقله الشيخ سليمان البلخي الحنفي عن شرح رسالة الفتح المبين لمحمد بن عليّ الحكيم الترمذي في مراتب عليّ ﷺ عن عبدالله بن عباس حبر الأمة.

قال: ولهذا كانت الصحابة يرجعون إليه - أي إلى عليّ - في أحكام الكتاب ويأخذون عنه الفتاوى، كما قال عمر بن الخطّاب في عدّة مواطن: لولا عليّ لهلك عمر^(١).

وهذا يعني أنّهم لا يجازفون بالفتوى دون المرور بعليّ ﷺ وأخذ الحكم منه، إذن فبعد كلّ هذا أيصحّ أن يكون عمر بن الخطّاب خليفة لرسول الله ﷺ مع جهله وعجزه وعدم إحاطته واطلاعه؟!

(١) إسعاف الراغبين، ص ١٥٢، وهو هامش على نور الأبصار، وشرح نهج البلاغة، ج ١ ص ١٨، دار إحياء التراث العربي، وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص ١٤٧ ط النجف بمقدمة السيد محمد صادق بحر العلوم، هذا وقد ذكر المؤلف في كتاب ليالي بيشاور (٣٠) مصدراً من مصادر أهل السنة التي فيها هذه الكلمة، ص ٤٠٠ / المترجم.

وما يشير الدهشة أن عمر لما سمع الآية التي تلاها أبو بكر حول موت النبي ﷺ قال: كأنني ما سمعت بهذه الآية؟ ممّا يعني ابتعاده عن القرآن الكريم، فكيف تجعلونه خليفة رسول الله ﷺ؟

سلوني قبل أن تفقدوني

وفي مقابل شخصية عمر بن الخطاب، تقف شخصية إسلامية بارزة ألا وهو عليّ بن أبي طالب الذي يقف على طرف النقيض من عمر، لأنه امتاز بالعلم الواسع والإحاطة التامة بكل تفاصيل الدين والكون والحياة فإنه القائل مراراً وتكراراً «سلوني قبل أن تفقدوني» فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا تسألوني عن آية من كتاب الله إلا حدثتكم عنها متى نزلت، بليل أو نهار، في مقام أو مسير، في سهل أم في جبل وفيمن نزلت، في مؤمن أو منافق، وما عني الله بها أم عامّ أم خاصّ.

سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار في سهل أم في جبل.

سلوني عن أسرار الغيوب فأبني وارث علوم الأنبياء والمرسلين وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليّل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل^(١).

(١) كفاية الطالب الباب ٥٢، وينابيع المودة في فضائل عليّ عليه السلام.

وتاريخ الخلفاء للسيوطي فصل علي بن أبي طالب عليه السلام، ص ١٨٥، ط الأولى، مطبعة السعادة، ١٩٥٢م.

والمناقب للخوارزمي ص ٤٧.

- وذخائر العقبي للطبري الباب ٨ ص ١٥٠ ط جدّة
والاستيعاب ج ٣ ص ٢٠٨، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥ م.
وفرائد السطين، ج ١، ص ٣٤١، ط مؤسسة المحمودي، بيروت ١٩٧٨ م.
وطبقات ابن سعد ج ٢ / ٣٣٨.
ووفيات الأعيان.
الدرر المنظوم لابن طلحة.
مودّة القربي، المودّة ١٤.
مطالب السؤل، ج ١ ص ١٢٥، ط: الأولى، مؤسسة أم القرى، ١٤٢٠ هـ.
البخاري، ج ١، ص ٤٧، دار ابن كثير.
مسند أحمد.
سنن أبي داود، ص ٥٥١، ط: دار ابن حزم، بيروت ١٩٩٨ م.
حلية الأولياء ج ١ ص ٦٧، ٦٨، دار الكتب العلمية، بيروت.
جامع بيان العلم.
المستدرک للحاكم.
عمدة القارئ لبدر الدين.
ينابيع المودة، ص ٨٦، ط: مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٧ م.
تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٧ ص ٣٣٧ وفي طبعة ص ٢٩٧.
فتح الباري ج ٨، ص ٧٦، ٧٥، ط: مكتبة مصطفى البابي، ١٩٥٩ م.
الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٨ وفي طبعة ج ٣ ص ١٤٦.
شرح نهج البلاغة للمعتزلي / المؤلف.
ومن أجل تعميم الفائدة إليك هذه المصادر أيضاً:
وروي أنه قال: سلوني قبل أن تفقدوني فوالله ما من أرض خصبة ولا مجدية ولا فئة
تضلّ مائة أو تهدي مائة إلّا وأنا أعلم قائدتها وسائقها وناeqها إلى يوم القيامة...

والآن انطلاقاً ممّا مرّ عليكم ومن مقولة (تُعرف الأشياء بأضدادها) لمن نتبع؟ أتتبع الرجل العالم الذي يقف بكلّ فخر وثقة ليقول سلوني ويجب عن مختلف الأسئلة العويصة والمعقّدة بكلّ رحابة ودون عناء؟ أم نتبع من يتعثر ويفشل ويعجز من الإجابة عن أبسط الأسئلة؟ أرجو منكم أن تفكّروا بعقولكم بعيداً عن التعصّب .

لاسيّما إذا لاحظنا أحاديث رسول الله ﷺ التي صرّح من خلالها كون الإمام عليّ عليه السلام أقضى الأئمة وأعلمها إشارة منه ﷺ إلى كفاءة الإمام أمير المؤمنين في القضاء الذي يمثل أخطر منصب في الأئمة باعتباره مرتكز العدالة الإسلامية والإنسانية، فقد روي عنه ﷺ أنّه قال: أقضاكم عليّ^(١).

→ وقال: سلوني عن الفتن فما من فتنة إلّا وقد علمت من كسبها ومن يُقتل فيها. وقال أحمد بن حنبل: لم يكن أحد من الصحابة يقول: سلوني إلّا عليّ بن أبي طالب. انظر ينابيع المودة للقندوزي في فضائل وعلم الإمام عليّ عليه السلام. وأخرج الحاكم عن أبي مسعود قال: كنّا نتحدّث أنّ أقضى أهل المدينة عليّ عليه السلام. وأخرج ابن سعد عن أبي هريرة قال: قال عمر بن الخطّاب: عليّ أقضانا، وأخرج عن ابن عبّاس قال: إذا حدّثنا ثقة عن عليّ بفتيا لا نعدوها، وكان عمر يتعوّذ بالله من معضلة ليس فيها أبو حسن عليه السلام / انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي فصل عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وروي عن النبي ﷺ: أعلم أمتي من بعدي عليّ بن أبي طالب، وأقضى أمتي عليّ بن أبي طالب / أنظر مناقب الخوارزمي ص ٣٩ وكنز العمال ج ١١ ص ٦١٤ رقم ٣٢٩٧٧.

وأخرج عن سعيد بن المسيّب قال: لم يكن أحد من الصحابة يقول: سلوني إلّا عليّ عليه السلام. أنظر الصواعق المحرقة ج ٢ ص ٣٧١ الفصل ٣ مؤسسة الرسالة بيروت / المترجم

وقلنا سابقاً: إن القاضي هو من يحيط علماً بجميع مسائل الحلال والحرام،

→ وتاريخ الخلفاء للسيوطي، فصل علي بن أبي طالب ﷺ، ص ١٧١، ط: الأولى، مصر ١٩٥٢م.

وبناييع المودة، ص ٨٧، ط: مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٩٧.

وتهذيب التهذيب، ج ١ ص ٢١٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٣م.

والاستيعاب ج ٣ ص ٢٠٦ ط دار الكتب العلمية.

والصواعق المحرقة ج ٢ ص ٣٥٨ ط مؤسسة الرسالة بيروت.

والمناقب للخوارزمي ص ٣٩ ط النجف.

وطبقات ابن سعد، ج ٢ ص ٦٥، ط: دار الفكر ١٩٩٤م.

ومطالب السؤل، ص ٩٩، ط: مؤسسة البلاغ ١٩٩٩م.

وتهذيب الأسماء.

وشرح النهج للمعزلي، ص ٦، ط: دار الكتب العربية الكبرى.

والفصول المهمة / المؤلف.

ولتعميم الفائدة إليك هذه المصادر:

تاريخ ابن الوردي ج ١ وتاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء ص ٦٣٩. ومناقب

الأسد الغالب لشمس الدين محمد بن الجزري الشافعي المتوفى ٨١٣. وأخرجه

البغوي في شرح السنة ج ٤ ص ١٣٢ وفي مصابيح السنة رقم ٤٧٨٧. وأورده ابن

حجر في فتح الباري ج ١٠ ص ٥٩٠ والعسجلوني في كشف الخفاء ج ١

ص ١٦٢ ومن الطرائف: قال سفيان بن عيينة: قال مقاتل بن سليمان يوماً: سلوني

عماً دون العرش، فقال له إنسان: يا أبا الحسن أرايت الذرة أو النملة أمعاؤها في

مقدمها أو مؤخرها؟ قال: فبقى الشيخ لا يدري ما يقول / تاريخ بغداد ج ١٣

ص ١٦٦.

وأيضاً قال مقاتل في مكان آخر سلوني، فقال له رجل: آدم حين حج من حلق

رأسه؟ فقال: ليس هذا من عملكم ولكن الله أراد أن يتليني بما أعجبتني نفسي /

المصدر السابق ص ١٦٣ / المترجم.

وبعبارة أخرى هو من يحيط علماً بالكتاب والسنة والمعارف الإسلامية، ولأجل ذلك جاءت كلمة (أقصاكم) بصيغة التفضيل للدلالة على منزلة أمير المؤمنين علي عليه السلام وكونه أفضل الصحابة جميعاً من هذه الجهات.

ولهذه الجهة وغيرها كان الخلفاء الثلاثة يرجعون إلى الإمام علي عليه السلام في الكثير من المسائل، وهذا يعني كونه عليه السلام أفضل منهم لاسيما وإن الخلفاء الثلاثة لم يصرح أي أحد منهم بأي مستوى علمي فائق لنفسه فضلاً عن القول بكونهم أفضل منه عليه السلام!

عن الحجر الأسود

عن أبي سعيد الخدري قال: حججنا مع عمر بن الخطاب فلما دخل الطواف استقبل الحجر فقال: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلك، فسمعه أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال له: بلى يا عمر إنه يضر وينفع، قال: بم؟ قال: بكتاب الله تبارك وتعالى قال: وأين؟ قال: قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۖ (١) خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَمَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ فَقَرَّرَهُمْ بِأَنَّهُ الرَّبُّ وَأَنْتُمْ الْعَبِيدُ وَأَخَذَ عَهْدَهُمْ وَمَوَاقِفَهُمْ وَكُتِبَ ذَلِكَ فِي رَقٍّ وَكَانَ لِهَذَا الْحَجَرِ عَيْنَانِ وَلِسَانٌ فَقَالَ لَهُ: افْتَحْ فَافْتَحَ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ ذَلِكَ الرِّقَّ وَقَالَ: إِشْهَدْ لِمَنْ وَاثَاكَ بِالْمُؤَاظَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنْتَ أَشْهَدُ لِمَنْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ لَهُ لِسَانٌ ذَلِكُ يَشْهَدُ لِمَنْ اسْتَلَمَهُ بِالتَّوْحِيدِ فَهُوَ يَا عُمَرُ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَعِيشَ فِي قَوْمٍ لَسْتُ فِيهِمْ يَا أَبَا الْحَسَنِ (٢).

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) مستدرک الصحيحین ج ١ / ص ٤٥٧، وصحيح البخاري ج ٢ ص ٥٧٩ رقم ١٥٢٠.

أمانة عند امرأة

وعن حنش بن المعتمر: أنَّ رجلين أتيا امرأة من قريش فاستودعاها مئة وقالا لها: لا تدفعيها إلى أحدٍ مِنَّا دون صاحبه حتَّى نجتمع فلبثا حولاً، ثمَّ جاء أحدهما إليها وقال: إنَّ صاحبي قد مات فادفعي إليَّ الدنانير فأبَت فتثَلَّ عليها بأهلها فلم يزالوا بها حتَّى دفعتها إليه، ثمَّ لبثت حولاً آخر، فجاء الآخر فقال: ادفعي إليَّ الدنانير فقالت: إنَّ صاحبك جاءني وزعم أنَّك قد متَّ فدفعتها إليه، فاختصما إلى عمر بن الخطَّاب، فأراد أن يقضي عليها فقالت: أنشدك الله أن لا تقضي بيننا وارفعنا إلى عليِّ بن أبي طالب، فرفعهما إلى عليٍّ عليه السلام، فعرف أنَّهما قد مكرأ بها فقال: أليس قلتما: لا تدفعيها إلى واحدٍ مِنَّا دون صاحبه؟ قال: بلى، قال: فإنَّ مالك عندنا فاذهب فجيء بصاحبك حتَّى ندفعها إليكما^(١)، فذهب الرجل فارّاً، لا فتصاح مكرهما.

وكذلك سئل عمر بن الخطَّاب عن الإرث فأحال السائل إلى عليٍّ عليه السلام^(٢) وكذلك أحال إلى الإمام عليٍّ عليه السلام في موضوع أكل المحرم بيض النعام^(٣) وكذلك

→ والتفسير الكبير للرازي ج ٣٢ ص ١٠ وتفسير الدر المنثور ج ٣ ص ٦٠٥، وإرشاد الساري للقسطلاني ج ٤ ص ١٣٥ رقم ١٥٩٧.

أقول: البخاري لم يكمل تمام الخبر وإنما اكتفى بقول عمر وبتر جواب الإمام عليٍّ عليه السلام / المترجم.

(١) ذخائر العقبى باب ٨ ص ١٤٥ ط جدّة، والأذكياء لابن الجوزي ص ٤٥، وتذكرة الخواص ص ١٤٨، والرياض النضرة ص ١٤٢ دار المعرفة، بيروت ١٩٩٧م.

(٢) كنز العمال، ج ٥ ص ٧٤٨ ط: مؤسسة الرسالة ١٩٨٩م.

(٣) ذخائر العقبى، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٤.

أحوال على الإمام عليّ مسائل ملك الروم^(١).

(١) [رسالة ملك الروم إلى عمر]

وذكر بعض المؤرخين أن ملك الروم كتب إلى عمر: من قبصر ملك بني الأصفر إلى عمر خليفة المسلمين، أما بعد فأني مسائلك عن مسائل فأخبرني عنها: ما شيء لم يخلقه الله؟ وما شيء لا يعلمه الله؟ وما شيء ليس عند الله؟ وما شيء كله فم؟ وما شيء كله رجل؟ وما شيء كله عين؟ وما شيء كله جناح؟ وعن رجل لا عشيرة له؟ وعن أربعة لم تحمل بهم رحم؟ وعن شيء يتنفس وليس فيه روح؟ وعن صوت النافوس ماذا يقول؟ وعن ظاعن ظعن مرّة واحدة؟ وعن شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ما مثلها في الدنيا؟ وعن مكان لم تطلع فيه الشمس إلا مرّة واحدة؟ وعن شجرة نبتت من غير ماء؟ وعن أهل الجنة فإنهم يأكلون ويشربون ولا يتفوطون ولا يبولون ما مثلهم في الدنيا؟ وعن موائد الجنة فإن عليها القصاع في كل قصعة ألوان لا يختلط بعضها ببعض ما مثلها في الدنيا؟ وعن جارية تخرج من تفاحة في الجنة ولا ينقص منها شيء؟ وعن جارية تكون في الدنيا لرجلين وهي في الآخرة لواحد؟ وعن مفاتيح الجنة ما هي؟

فأحالوا الرسالة على الإمام عليّ ؑ فقرأها وكتب في الحال خلفها:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فقد وقفت على كتابك أيها الملك وأنا أجيبك بعون الله وقوته وبركته وبركة نبيّنا محمد ﷺ: أما الشيء الذي لم يخلقه الله تعالى فالقرآن لأنه كلامه وصفته.. وأما الذي لا يعلمه الله فقولكم له ولد وصاحبه وشريك.. وأما الذي ليس عند الله فالظلم.. وأما الذي كله فم فالنار تأكل ما يلقي فيها، وأما الذي كله رجل فالماء، وأما الذي كله عين فالشمس، وأما الذي كله جناح فالريح، وأما الذي لا عشيرة له فأدم ﷺ، وأما الذي لم يحمل بهم في رحم فعصا موسى وكبش إبراهيم وآدم وحواء، وأما الذي يتنفس من غير روح فالصبح والصبح إذا تنفس، وأما النافوس فإنه يقول: طغاً طغاً حقاً مهلاً مهلاً عدلاً عدلاً صدقاً صدقاً إن الدنيا قد غرتنا واستهوتنا تمضي الدنيا قرناً قرناً ما من يوم يمضي

بينما كان عمر يكتفي في كل ذلك بالقول: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن أو أعوذ بالله من كل معضلة ليس لها أبو حسن يريد علياً عليه السلام.

→ عَنَّا إِلَّا أَوْهَى مِنَّا رَكْنًا، إِنَّ الْمَوْتَى قَدْ أَخْبَرْنَا إِنَّا نَرَحُلُ فَاسْتَوَطْنَا، وَأَمَّا الظَّاعِنُ فَطُورَ سِينَاءَ لَمَّا عَصَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ أَيَّامٌ فَمَقَّلَعَ اللَّهُ مِنْهُ قِطْعَةً وَجَعَلَ لَهَا جَنَاحَيْنِ مِنْ نُورٍ فَتَنَفَّعَ عَلَيْهِمْ فَلِذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَوَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ...»، وَأَمَّا الْمَكَانُ الَّذِي لَمْ تَطْلُعْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً فَأَرْضُ الْبَحْرِ لَمَّا فَلَقَهُ مُوسَى... وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الَّتِي يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ فَشَجَرَةُ طُوبَى...، وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الَّتِي نَبَتَتْ مِنْ غَيْرِ مَاءٍ فَشَجَرَةُ يُونُسَ وَكَانَ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ: «وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ»، وَأَمَّا غِذَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِثْلُهُمْ فِي الدُّنْيَا الْجَنِّينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فَإِنَّهُ يَنْتَذِي مِنْ سَرَّتْهَا وَلَا يَبُولُ وَلَا يَتَغَوَّطُ، وَأَمَّا الْأَلْوَانُ... فَمِثْلُهُ فِي الدُّنْيَا الْبَيْضَةُ فِيهَا لَوْنَانِ أَبْيَضُ وَأَصْفَرُ وَلَا يَخْتَلِطَانِ، وَأَمَّا الْجَارِيَةُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَ التَّفَاحَةِ فَمِثْلُهَا فِي الدُّنْيَا الدُّودَةُ تَخْرُجُ مِنَ التَّفَاحَةِ وَلَا تَتَغَيَّرُ، وَأَمَّا الْجَارِيَةُ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَالْتَّخَلَّةُ الَّتِي تَكُونُ فِي الدُّنْيَا لِمُؤْمِنٍ مِثْلِي وَلِكَافِرٍ مِثْلِكَ وَهِيَ لِي فِي الْآخِرَةِ دُونَكَ لِأَنَّهَا فِي الْجَنَّةِ وَأَنْتَ لَا تَدْخُلُهَا، وَأَمَّا مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ... / انظر تذكرة الخواص ص ١٤٥، ط مكتبة نينوى الحديثة، تقديم السيد محمد بحر العلوم.

وَأَمَّا قِصَّةُ بَيْضِ النَّعَامِ:.. قَالَ خَرَجْتُ مَعَ فِتْيَةٍ حُجَّاجًا فَأَصْبَنَا بَيْضَ نَعَامٍ وَقَدْ أَحْرَمْنَا فَلَمَّا قَضَيْنَا نُسْكَنَا ذَكَرْنَا ذَلِكَ لِعَمْرٍ، فَأَدْبَرَ وَقَالَ: اتَّبِعُونِي حَتَّى أَنْتَهِيَ إِلَى حُجْرٍ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضَرَبَ حُجْرَةً مِنْهَا فَأُجَابَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَ: أَتُمُّ أَبُو حَسَنٍ؟ قَالَتْ: لَا، فَمَرَّ فِي الْمَقْشَاءِ فَأَدْبَرَ وَقَالَ: اتَّبِعُونِي حَتَّى أَنْتَهِيَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَسْوِي التُّرَابَ بِيَدِهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءَ أَصَابُوا بَيْضَ نَعَامٍ وَهُمْ مُحْرَمُونَ؟ فَقَالَ: أَلَا أُرْسِلْتُ إِلَيْ؟ قَالَ: أَنَا أَحَقُّ بِإِتْيَانِكَ، قَالَ: يُضْرِبُونَ الْفَحْلَ قَلَانِصَ أَبْكَارًا بِعَدَدِ الْبَيْضِ فَمَا تُنْجِ مِنْهَا أَهْدُوهُ، قَالَ عَمْرٍ: فَإِنَّ الْإِبِلَ تَخْدُجُ، قَالَ عَلِيٌّ: وَالْبَيْضُ يَمْرُضُ، فَلَمَّا أَدْبَرَ قَالَ عَمْرٍ: اللَّهُمَّ لَا تَنْزِلْ بِي شَدِيدَةً إِلَّا وَأَبُو الْحَسَنِ إِلَى جَنْبِي. / انظر ذخائر العقبى باب ٨ ص ١٤٩ / المترجم.

عمر مع حذيفة بن اليمان

وعن حذيفة بن اليمان أنه لقي عمر بن الخطاب فقال له عمر: كيف أصبحت يا ابن اليمان؟ فقال: كيف تريدني أصبح أصبحت والله أكره الحق، وأحب الفتنة، وأشهد بما لم أره، وأحفظ غير المخلوق، وأصلي على غير وضوء، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء.

فغضب عمر لقوله وانصرف من فوره وقد أعجله أمر وعزم على أذى حذيفة لقوله ذلك، فبينما هو في الطريق إذ مر بعلي بن أبي طالب فرأى الغضب في وجهه فقال: ما أغضبك يا عمر؟ فقال: لقيت حذيفة فسألته كيف أصبحت فقال... إلى آخره.

فقال علي: صدق؛ يشهد الله بالوحدانية والموت والبعث والقيامة والجنة والنار والصراف ولم ير ذلك كله، ويحفظ كتاب الله، ويصلي على ابن عمي رسول الله على غير وضوء، وله زوجة وتعالى الله عن الزوجة والولد^(١).

فلما سمع ذلك عمر قال: كاد يهلك ابن الخطاب لولا علي بن أبي طالب، ثم قال الشافعي مصنف الكتاب: هذا ثابت عند أهل النقل ذكره غير واحد من أهل السير^(٢).

(١) وأما في روايات الشيعة فإن فقرة يكره الحق يعني يكره الموت بدون استعداد له، وفقرة يحب الفتنة يعني يحب الأولاد. / المترجم

(٢) كفاية الطالب باب ٥٧، وقريب من هذا اللفظ في نور الأبصار ص ١٧١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨ م.

وعن أذينة العبدى قال: أتيت عمر فسألته: من أين أعتمر؟ قال: أتت علياً فسله. / انظر ذخائر العقبين باب ٨ ص ١٤٥ / المترجم

سؤال اليهودي من الخلفاء

جاء رجل يهودي في خلافة عمر بن الخطاب إلى عمر فسلم عليه ثم قال: أيكم أعلم بنبيكم وكتاب ربكم حتى أسأله عما أريد؟ فأشار عمر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له اليهودي: أكذلك أنت يا علي؟ قال عليه السلام: نعم، سل عما تريد، قال: إني أسألك عن ثلاث وعن ثلاث وواحدة فقال عليه السلام: لم لا تقول: إني أسألك عن سبع؟ قال: أسألك عن ثلاث فإن أصبت فيهن سألتك عن الثلاث الأخرى فإن أصبت سألتك عن الواحدة، وإن أخطأت في الثلاث الأولى لم أسألك عن شيء.

فقال له علي عليه السلام: وما يدريك إذا سألتني فأجبتك أصبت أم أخطأت؟ فضرب بيده إلى كفه فاستخرج كتاباً عتيقاً قال: هذا ورثته عن آبائي وأجدادي إمام موسى بن عمران عليه السلام وخط هارون، وفيه هذه الخصال التي أريد أن أسألك عنها.

فقال له علي عليه السلام: إن عليك إن أجبتك فيهن بالصواب أن تسلم؟ فقال: والله لئن أجبتني فيهن بالصواب لأسلمن الساعة على يدك، قال له علي عليه السلام: سل، فقال: أخبرني عن أول حجر وضع على الأرض وأخبرني عن أول شجرة نبتت على وجه الأرض، وأخبرني عن أول عين نبتت على وجه الأرض؟ فقال علي عليه السلام: يا يهودي أما أول حجر وضع على وجه الأرض فإن اليهود يزعمون أنها صخرة بيت المقدس وكذبوا، ولكنه الحجر الأسود نزل به آدم عليه السلام من الجنة فوضعه في ركن البيت والناس يتمسحون به يقبلونه ويجددون العهد والميثاق فيما بينهم وبين الله عز وجل، قال اليهودي: أشهد بالله قد صدقت، فقال علي عليه السلام: وأما أول شجرة نبتت على وجه الأرض فإن اليهود يزعمون أنها

الزيتونة وكذبوا، ولكنها النخلة من العجوة نزل بها آدم ﷺ معه من الجنة فأصل النخل كله من العجوة، قال اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت، فقال علي ﷺ: وأما أول عين نبعت على وجه الأرض فإن اليهود يزعمون أنها العين التي نبعت تحت صخرة بيت المقدس وكذبوا ولكنها عين الحياة التي نسي عندها صاحب موسى السمكة المالحة، فلما أصابها ماء العين عاشت وسربت فاتبعها موسى وصاحبه فلحقا الخضر قال له اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت، فقال له علي ﷺ: سَلْ؟ قال: أخبرني عن هذه الأمة كم لها بعد نبيها من إمام عادل؟ وأخبرني عن منزل محمد أين هو من الجنة؟ ومن يسكن معه في منزله؟ قال له علي ﷺ: يا يهودي يكون لهذه الأمة بعد نبيها اثنا عشر إماماً عادلاً لا يضرهم خلاف من خالف عليهم، قال اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت، وأما منزل محمد ﷺ من الجنة في جنة عدن وهي وسط الجنان وأقربها إلى عرش الرحمن جلّ جلاله، قال له: أشهد بالله لقد صدقت، والذين يسكنون معه في الجنة هؤلاء الاثنا عشر إماماً، قال اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت، فقال علي ﷺ: سَلْ، فقال اليهودي: أخبرني عن وصي محمد ﷺ من أهله كم يعيش من بعده؟ وهل يموت موتاً أو يقتل قتلاً؟ فقال له علي ﷺ: يا يهودي يعيش بعده ثلاثين سنة ويخضب منه هذه من هذا - وأشار إلى رأسه - فوثب إليه اليهودي فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنت وصي رسول الله^(١).

وكان هدفي من هذه الحادثة هو صدر الكلام الوارد في البداية «أيكم أعلم بنبيكم..» فأحال عمر بن الخطاب هذا اليهودي إلى الإمام علي ﷺ بعد أن عرفوا من أنفسهم العجز والفشل على الخوض في مثل هذه الحوارات، بل ورد عن

(١) زين الفتى في شرح سورة هل أتى للعاصمي، ج ١ الفصل الخامس ص ٣٠٥ رقم ٢١٨ ولكن لا يوجد في هذه النسخة عبارة (اثنا عشر إماماً عادلاً).

معاوية ابن أبي سفيان وهو العدو اللدود للإمام علي عليه السلام أنه أحال بعض السائلين إلى الإمام علي عليه السلام كما ذكر الطبري حيث جاء رجل إلى معاوية ليسأله فقال له معاوية: سَلْ عنها علياً، فهو أعلم، فقال يا... جوابك فيها أحب إلي من جواب علي، قال: بس ما قلت، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله يغزه بالعلم غزا، ولقد قال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذ منه^(١).

ومن جميع ما تقدّم يتضح لكم أن علياً عليه السلام هو الأعلم وهو الأقضى وقد أحال عليه الخلفاء المتقدمون، فلا مجال لعكس ذلك بأي وجه، وأنّي أتعجب من أهل السنة الذين يذهبون إلى تفضيل الخلفاء على الإمام علي عليه السلام.

عود علي بدء

والآن أعود معكم إلى البحث السابق حول كلمة عمر وجواب أبي بكر له ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل...﴾^(٢) وهذه الآية أشارت إلى جهتين في غاية الأهمية:

الأولى: الإعلان عن موت رسول الله ﷺ مسبقاً للحيلولة دون حصول الغلو في شخصيته كما أثار هذه العقيدة عمر بن الخطاب عندما زعم أن النبي ﷺ لم يمّت وأنه غائب!! وأيضاً الآية تعلن عن موت النبي لكي لا يدّعى عدمه من أجل مكاسب ومخططات شخصية خاصة كما حاول زملاء عمر بن الخطاب وهم المنافقون الاستفادة من كلمته حول غيبوبة النبي ﷺ ولكن رُدّوا جميعاً بهذه الآية.

(١) ذخائر العقبين ص ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٣ ط مصر، مكتبة المقدسي ١٣٥٦ هـ.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

الثانية: والآية أيضاً صرّحت عن ارتداد أكثر الصحابة «فإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم...» وهي صريحة بحصول الارتداد من الصحابة. وقد ذكر الرواة أحاديث عديدة في هذا الصدد وقد ذكر بعضها في صحيح البخاري الذي لديكم إجماع على صحّة رواياته، بل على صحّة ما جاء فيه وتعذّونه بعد القرآن الكريم في الرتبة والصحة فقد ذكر روايات عن رسول الله ﷺ يخبر أصحابه أن بعضهم يساقون إلى النار فيقول: يارب أصحابي، فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك أنهم ارتدّوا على أديبارهم القهقري^(١).

فهذه الآية الكريمة والطوائف الكثيرة كلّها تخبر عن ارتداد الصحابة وبكلّ صراحة وبالتالي لا يمكن قبول أي انتقاد يوجّهه بعض المتعصّبين والمخالفين للشيعّة الإمامية ويّتهمونهم بأنهم الوحيدون الذين أفردوا في كتبهم أحاديث عن ارتداد الصحابة تحت عنوان «ارتدّ الناس بعد النبي ﷺ...».

لأننا نقول: لسنا وحدنا ندّعي ذلك بل القرآن الكريم هو أساس هذه المقالة وهو دليل على صحّة هذه الأحاديث، وكذلك أصحّ كتب السنّة وهو صحيح البخاري أورد مثل هذه الأحاديث.

وهؤلاء المرتدّون هم في الأصل مجموعة من المنافقين عاشوا النفاق أيام رسول الله ﷺ بشكل باطني وسريّ وما إن توفيّ النبي ﷺ إلّا وأظهروا هذا النفاق القديم وذهبوا إلى سقيفة بني ساعدة للحصول على السلطة تاركين جسد رسول الله ﷺ خلف ظهورهم!!

(١) جامع الأصول لابن الأثير عن البخاري ومسلم ج ١١ كتاب الحوض في ورود الناس عليه ص ١٢٠ رقم الحديث (٧٩٧٢)، وتهذيب جامع الإمام الترمذي لأبي الفتح عبد الله بن عبد القادر التليدي ج ٢ دار المعرفة، المغرب وغيرهما / المترجم.

دراسة حول الخلاف الخامس - الإمامة -

وقبل الخوض في بحث الإمامة علينا أن نوضح لكم بعض الأخطاء التاريخية التي وقعت من قبل الشهرستاني وأمثاله ولا ندرى هل هي عفوية أم كانت مقصودة، فمن جملة ما ذكره الشهرستاني قول الأنصار: (منا أمير ومنكم أمير... حتى أدرك أبو بكر الفتنة ويبيع وانطفأت نار الافتراق والاختلاف).

وهذا كلام غير صحيح، ولكي يتضح المطلوب نقول:

في بداية أمر السقيفة لم يكن فيها سوى ثلاثة أشخاص عمر وأبي بكر وأبي عبيدة من المهاجرين، وأما غيرهم من كبار الصحابة فإنهم كانوا عند جسد رسول الله ﷺ.

تاريخ أهل المدينة

وأما الأنصار فإنهم يعودون إلى الأوس والخزرج وهما أولاد لحارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو المزريقيا بن عامر ماء السماء بن الحارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة مازن بن الأزد بن الغوث ابن بنت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان، كان ساكناً في اليمن وعندما حصل سيل العرم وأدى إلى خراب ودمار سد مأرب على أثر تكذيبهم الأنبياء، غادر من بقي من أهل اليمن إلى مختلف البلدان، فأما خزاعة فإنها سكنت الحجاز، وأما غسان فإنهم سكنوا الشام، وأما ثعلبة بن عمرو بن عامر فإنه مع من تبعه مروا بالمدينة «يثرب» فتخلف عنهم أوس وخزرج وبقياء مع عوائلهما في يثرب لطيب هوائها وخصوبة أرضها، وعاشا فيها وامتدت ذراريهما في هذه المدينة فكانوا أولاد عم ومع تصاعد الأجيال بمرور السنين تكونت قبيلتان كبيرتان هما قبيلة الأوس، وقبيلة الخزرج، فامتدت الطموحات

لدى الأحفاد لزعامة هذا الموقع الاجتماعي العريض في يثرب، مما أدى إلى نشوب الصراعات بين أولاد العم فكانت حرب بُعث بينهما طاحنة التي انتصر فيها الأوس على الخزرج وبعد ذلك توصلوا واتفقوا على تنصيب أحد من الأوس ليرأس القبيلتين معاً وكان المرشح لذلك المنصب الكبير هو عبدالله بن أبي بن سلول، الذي لم يشترك في الحرب وكانت له دعوات إلى الإصلاح وترك المنازعات والمنازعات فكان مرضياً عند القبيلتين.

إلا أن زعماء وكبراء قبيلة الخزرج لم تدخل القناعات إلى أدمغتهم بعد فإنهم ما زالوا يشعرون بالذلّ تحت وطأة الأوس الذين انتزعوا منهم الزعامة. وفي هذه الفترة كان النبي ﷺ قد أعلن عن نبوته وبعثته في مكة وكان نفر من الخزرج قد ذهبوا إلى مكة فالتقى أسعد بن زرارة وزكوان بن عبد قيس مع عتبة بن ربيعة من أنمة الكفر في مكة وعرضوا عليه التحالف، فاعتذر إليهم عتبة وأخبرهما إنهم يواجهون مشكلة كبيرة ولما سألاه عن ذلك قال: قد خرج رجل فينا من يدعي أنه نبيّ يعبد الله تعالى وحده، أفسد علينا شبابنا وسفه آلهتنا وأحلامنا، فقلنا له: مَنْ هو؟ ومن أين جاء؟ قال: هو من أشرف بيوتنا وأفضلها نسباً وشرفاً يدعى محمّد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. وقد عزلناه مع قبيلته وأتباعه في شعب أبي طالب ونالهم ما نالهم من الجوع إلا أنه عاد إلى دعوته.

فشعر أسعد وزكوان أن هذا هو النبي ﷺ الذي كانوا يسمعون عنه من يهود المدينة ويبشرون بظهوره قريباً فسعيوا للقاء به.

وبعد ذلك التقيا برسول الله ﷺ عند حجر إسماعيل حول الكعبة وسألاه عن دعوته ودينه فقال ﷺ: أدعوكم إلى التوحيد بالله تعالى وحده والإيمان برسالتي وترك عبادة الأصنام وترك الشرك بالله تعالى والبر والإحسان إلى الوالدين وعدم قتل الأولاد خشية الفقر وترك الذنوب الكبيرة والصغيرة

كالشراب والقمار والزنا واللواط وعدم قتل النفس وعدم أخذ مال اليتيم ولا تبخسوا الميزان، وأدعوكما إلى العدل والصدق والأخلاق والوفاء بالوعد والالتزام بالعهد.

فلَمَّا سمعنا ذلك أشرق نور الإيمان في قلوبهما وأذعنا للحق فنطقا بالشهادتين، ثم أخبراه أَنهما من قبيلة الخزرج وطلبا منه أن يرسل معهما إلى يثرب من يعلم الناس الكتاب فأرسل معهما مصعب بن عمير من المسلمين الأوائل وكان طليق اللسان سريع الفهم حافظاً لآيات القرآن.. فنزل في منزل أسعد وأخذ يدعو الناس إلى الإسلام ويوضح لهم أحكام الدين ومفاهيمه وما يدعو إليه من الأخلاق الحميدة، فأمن بعض الناس إلى أن جاء سعد بن معاذ وهو خال أسعد إلا أَنَّهُ كان كبيراً في قومه مطاعاً في يثرب كُلِّها، فلَمَّا عُرِضَ عليه الإسلام آمن به ثم اغتسل وصَلَّى مع مصعب بعدها أعلن إسلامه وإيمانه فلَمَّا سمعت قبيلة بني عمرو بن عوف أسلموا كُلُّهم ومن بعدهم أسلم أشراف القبيلتين الأوس والخزرج حتَّى تحوَّلت يثرب بمرور الأيام إلى قاعدة رصينة لاستقبال المسلمين الفارِّين من عذاب قريش بعد أمر النبي ﷺ لهم بمغادرة مكَّة بينما كان الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج يستقبلون المسلمين ويفتحون لهم بيوتهم، إلى أن أسلم الأنصار كُلُّهم وعلى أثر ذلك تبدَّدت أحلام عبدالله بن أبي في السلطة والزعامة، إلا أَنَّهُ لم يجد طريقاً وخياراً آخرأ غير الإسلام فدخل في الإسلام ولكنه كان يحمل في قلبه بغضاً شديداً للنبي ﷺ وللإسلام، وكان يسعى للانتقام بين الحين والآخر.

ثم هاجر النبي ﷺ من مكَّة إلى المدينة على أثر دعوة الأنصار له، فاستقبله أهل المدينة بعد أن زالت النفرة بين الأوس والخزرج بقيادة رسول الله ﷺ، إلا أنَّ عبدالله بن أبي النَّفَّ حوله بمرور الأيام كُلَّ منافق لم يؤمن بالإسلام والنبوَّة.

فلما توفي رسول الله ﷺ في أواخر شهر صفر عام ١١هـ، أسرع الأنصار إلى سقيفة بني ساعدة فيما بينهم لتعيين وترشيح أحد منهم ليقوم بزعامة الأوس والخزرج ما دام رسول الله ﷺ قد توفي والطموحات عند رجالهم موجودة كما كان الأمر عليه قبل مجيء رسول الله والإسلام إلى المدينة، وفي هذه الأثناء وصلت هذه الأنباء إلى عمر بن الخطاب الذي اعتقد أن الأنصار اجتمعوا لتعيين خليفة رسول الله ﷺ فأسرع إلى بيت النبي سرّاً وأخبر أبا بكر دون غيره من كبار المهاجرين الذين اجتمعوا حول جسد النبي ﷺ فأسرعاً معاً وفي الطريق التقيا بأبي عبيدة فأخبراه الخبر فذهبا ثلاثتهم إلى سقيفة بني ساعدة^(١)، وتحول

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٤٢ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م.

جاء في تاريخ الطبري: فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليباعوا سعد بن عباد، فبلغ ذلك أبا بكر فاتاهم معه عمر وأبو عبيدة بن الجراح فقال: ما هذا؟ ص ٢٣٣.

أقول: الغريب والعجيب في الأمر هو عبارة (فبلغ ذلك أبا بكر) لماذا هو دون غيره من المهاجرين؟ ومن الذي جاءه بالخبر؟ ولم معه عمر وأبو عبيدة دون غيرهما من المهاجرين؟

وفي مكان آخر من تاريخ الطبري جاء: إذ جاء رجل يسعى فقال: هاتيك الأنصار قد اجتمعت في ظلة بني ساعدة يبايعون رجلاً منهم يقولون منّا أمير ومن قريش أمير قال: فانطلق أبو بكر وعمر يتقاولان حتى أتياهم... ص ٢٣٤.

أقول: من هذا الرجل الذي جاء إلى أبي بكر وأخبره؟ لماذا أبهم الراوي اسم هذا الرجل؟ ألا يكون عمر أو أبو عبيدة؟

انظر تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٣٣ - ٢٣٤ حوادث سنة ١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

وأما ما ذكره المؤلف فهذا نصّه في تاريخ الطبري: وأتى عمر الخبر - أي اجتماع

الحوار والكلام إلى تعيين خليفة رسول الله ﷺ بعدما كان الأنصار مجتمعين لترشيح زعيم زميني لا ديني.

إذن لم يختلف الأنصار والمهاجرون كما يقول الشهرستاني وغيره، وإنما اختلف الأنصار وثلاثة من المهاجرين اجتمعوا سرّاً وبدون علم أحد.

سؤال أحد الحاضرين: قد يكون إسراع عمر وزميليه إلى سقيفة بني ساعدة حرصاً على الإسلام ودفعاً لأي حالة سلبية قد تؤدي إلى الاختراق والاختلاف بعد وفاة النبي ﷺ؟

الجواب: أرجو من المثقفين والمتنوّرين أمثالكم أن لا يتعصبوا، لأنكم أصحاب فكر متحرّر من قيود الباطل والتعصب البغيض، بل عليكم أن تحلّلوا المواقف على ضوء الحق فقط.

وما حدث في السقيفة بعيد كلّ البعد عمّا تفضّلتم به لأننا لو فرضنا أن عمر بن الخطّاب كان يهدف إلى منع حصول الاختلاف لكان عليه أن يُخبر بقيّة المهاجرين أمثال عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وعمّار بن ياسر وأبي ذرّ الغفاري والزبير وحذيفة... لكي تكون جبهة المهاجرين قويّة جدّاً تقف أمام أيّ انحراف في الأمّة لاسيّما أمثال هؤلاء.

فمثلاً لو كان دخول عمر لبيت النبي ﷺ علنياً وكان ينادي وإسلاماه ثمّ يخبر الجميع بأمر السقيفة لكان الكلّ يتحرّك معه ويقفون سواسية بوجه أيّ

→ الأنصار - فأقبل إلى منزل النبي ﷺ فأرسل إلى أبي بكر، وأبو بكر في الدار وعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) دائب في جهاز رسول الله ﷺ فأرسل إلى أبي بكر أن أخرج إليّ، فأرسل إليه أنّي مشغول فأرسل إليه أنّه قد حدث أمر لابدّ لك من حضوره، فخرج إليه فقال: أما علمت أنّ الأنصار قد اجتمعت... فمضيا مسرعين نحوهم فلقيا أبا عبيدة بن الجراح فتماشوا ثلاثتهم.. الطبري ج ٢ ص ٢٤٢ / المترجم.

انحراف أليس هذا أفضل ممّا فعله عمر؟

بل كانت هناك نتائج كبرى فيما لو أعلن عمر أمام الحاضرين ولم يسرّ الخبر إلى أبي بكر وحده؛ منها:

١ - لكان المهاجرون قد تحرّكوا مع بني هاشم والعبّاس عمّ النبي ﷺ وبقية الناس، ولاشكّ أمام هذا التحرك الجماعي لا تحصل أي فتنة بل لا يجرؤ أي أحد على مخالفة هذه الجماعة.

٢ - ولكان الطريق مسدوداً أمام المنافقين وكلّ من يريد الاختلاف أو يسعى لشكريسه.

سؤال أحد الحاضرين: إنّ كلامك عين الحقّ وهو موافق لحكم العقل وكان الأحرى بعمر أن يخبر كلّ المهاجرين، والآن بعد هذه النتيجة كيف يمكن أن تفسّر عمل عمر بن الخطّاب وما هو قصده من إسرار الأمر إلى أبي بكر فقط؟ مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ النبي ﷺ توفّي وأوكل أمر تعيين الخليفة إلى الأمة نفسها؟

الجواب: بما أنّنا لم نكن وإياكم في ذلك الزمان لكي نعرف الحقائق، فكان اللازم الرجوع إلى التاريخ، ولكن بعض التاريخ مع الأسف قد حُرّف على أيدي الأمويّين الذين أبدلوا الحقائق وصادروها، ولهذا السبب سوف أعتمد في الجواب على المصادر المعتبرة عند أهل السنّة كما فعلتُ في ليالي بيشاور. أمّا قولكم إنّ النبي ﷺ توفّي وقد ترك الخلافة إلى الأمة فمتى ما أجمعت الأمة على رجل وبايعوه فهو خليفة رسول الله ﷺ، فهذا الرأي والاعتقاد السائد عند أهل السنّة باطل لعدّة وجوه:

١ - عدم وجود أيّ حديث من رسول الله ﷺ يصرّح فيه أنّه ترك أمر الخليفة والوصاية إلى الأمة حتّى أنّ المجامع الحديثيّة لأهل السنّة لا تذكر أيّ حديث عن النبي ﷺ في تشريع هذه القضية، إذن لا أساس ديني لموضوع

اختيار الأمة للخليفة^(١).

ولكن دعنا نقول: إن هذه النظرية المخترعة صحيحة جدلاً ونزولاً مع رغباتكم إلا أن الإجماع الذي تتحدّثون عنه لم يحصل في سقيفة بني ساعدة لأن الأمة لم تحضر هناك، بل رجالات الأمة الأفذاذ لم يحضروا فيها؛ وذلك لأن عمر لم يرغب في مثل هذا الإجماع ولهذا فإنه أخبر أبا بكر فقط، وكيف اكتفى أبو بكر وعمر بأنفسهما دون أن يخبرا أحداً من كبار الصحابة؟

وكما ترون فإنه ليس لديكم أي جواب مناسب لهذه التساؤلات، بل ليس هناك أي جواب لهذه القضية، ولتصرفات عمر وأبي بكر، فعليكم إذن أن تفكروا وتأمّلوا في هذه الحقائق التاريخية أيها المثقفون المتثورون.

سؤال أحد الحاضرين: نرجو من سماحتكم أن تبينوا لنا حقيقة هذا الأمر؟
الجواب: كما هو واضح لدى كل عاقل أن عمر بن الخطاب أراد أن يُبقي القضية في الخفاء ولا يعلم أحداً غير أبي بكر، لأنه إن أعلن للمهاجرين لتدخل الجميع في القضية ولرشح المسلمون أسماء غير أبي بكر وأبي عبيدة بل لرشحوا إماماً العباس عم النبي ﷺ أو علي بن أبي طالب عليه السلام صاحب أكبر

(١) قال عمر بن الخطاب لما بويع لأبي بكر: أيها الناس أني قد كنتُ قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا من رأيي وما وجدتُها في كتاب الله ولا كانت عهداً عهدته إلي رسول الله ﷺ ولكنني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا حتى يكون آخرنا، وأن الله قد أبقي فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له.... فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة / تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٣٧، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م.

أقول: قوله (ما وجدتُها في كتاب الله ولا كانت عهداً عهدته إلي رسول الله) دليل على أن موضوع خلافة أبي بكر موضوع ارتجالي شخصي لا يقوم على أساس ديني كما أشار المصنّف / المترجم.

فضائل من بين رجالات الأئمة بل كان هو المتعین في وعي الأمة الإسلامية لسوابقه وفضائله وكمالاته ونزول أكثر من آية في حقه، مثل آية المباهلة^(١) التي صرحت بكون الإمام علي هو نفس النبي ﷺ فهو مساو له في الكمالات إلا النبوة كما أيد النبي هذا المعنى في حديث المنزلة حيث قال لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي^(٢).

(١) قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ والمقصود من أنفسنا نفس النبي ﷺ وعلي / انظر تاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء ص ٦٢٧ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ١٦٣ رقم ٤٧١٩ والصواعق المحرقة ج ٢ ص ٣٥٥ ط مؤسسة الرسالة بيروت وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٠١ ونور الأبصار ص ١٢٢ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٦ ط مصر، وزاد المعاد لابن القيم ج ٤ ص ٤٧ ط مصر وتاريخ الخلفاء للسيوطي / المترجم.

(٢) ذكر حديث المنزلة في أسد الغابة ج ٤ ص ٢٦ - ٢٧ وزاد المعاد ج ٣ ص ٤ ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، وكنز العمال ج ١١ ص ٦٠٦ رقم ٣٢٩٣١ والمناقب للخوارزمي ص ٧٩ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٠١ والبخاري ج ٧ ص ١٢٠ ومختصر تاريخ ابن عساکر ج ٢٣ ص ٥٩ ومناقب ابن المغازلي وخصائص أمير المؤمنين ﷺ للنسائي وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٠ دار الكتب العلمية بيروت، وتاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٤ والمعيار والموازنة للإسكافي المعتزلي، والاستيعاب للقرطبي ج ٣ ص ٢٠١ دار الكتب العلمية، وتاريخ الإسلام عهد الخلفاء ص ٢٢٦ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ١٤٣ وكتاب السنة للشيباني ص ٥٥١ ومجمع البحرين في الزوائد ج ٣ فضائل علي، والصواعق المحرقة لابن حجر ج ٢ ص ٣٥٤ ط مؤسسة الرسالة بيروت، ومصابيح السنة ج ١ ص ٥١٦ فضائل علي ط دار القلم بيروت ومعجم الطبراني الكبير ج ١ ص ١٤٦ رقم ٣٢٨ ص ١٤٨، وفردوس الأخبار للديلمي ج ٢ رقم ٣٩٩٢ ص ٧٧ ط دار الفكر بيروت ومعجم الطبراني الكبير ج ٢ ص ٢٠٣٥

والقرائن الكثيرة حول حديث الغدير^(١) وسائر الأحاديث الشريفة الواردة فيه عليه السلام مثل حديث المؤاخاة^(٢) وحديث المدينة^(٣) وحديث الطير^(٤) وحديث

→ وفضائل الصحابة لأحمد ج ٢ ص ٥٦٨ وص ٥٧٠ وص ٥٩٢ وص ٥٩٨ وص ٦١٠ وص ٦٣٣ ط السعودية والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ والصحيح المسند من فضائل الصحابة للعدوي وجواهر العقدين للسهمودي وتاريخ ابن الوردي ج ١ وفضائل الصحابة للنسائي ونظم درر السمطين القسم ٢ من السمط الأول وأسنى المطالب بتحقيق الدكتور محمد الأميني ص ٥٢ وغيرها بالعشرات ... / المترجم.

(١) قال عليه السلام: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه اللهم والي من والاه وعاد من عاداه ...
انظر تاريخ البعقوبي ج ٢ ص ١١١ والخصائص للنسائي وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٠ وتاريخ الإسلام مجلد واحد للذهبي ص ٢٤ والمعيّار والموازنة للمعتزلي والاستيعاب ج ٣ ص ٢٠٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج عهد الخلفاء ص ٦٢٨ ... إلى آخره وللتتبع انظر موسوعة الغدير / المترجم.

(٢) قال عليه السلام: لعليّ لئما أخى بين نفسه وبين عليّ لئما أخى بين المسلمين: أنت أخي في الدنيا والآخرة أو أنت أخي وأنا أخوك.

الاستيعاب ج ٣ ص ٢٠٢ دار الكتب العلمية بيروت، ومصابيح السنة ج ١ ص ٥١٦ مناقب عليّ عليه السلام دار القلم بيروت ومعجم الطبراني الكبير ج ١ ص ٣١٩ رقم ٩٤٩، وفضائل الصحابة لأحمد ج ٢ ص ٥٩٨ وص ٦١٧ ط السعودية وأسد الغابة ج ٤ ص ١٦ ونور الأبصار ص ٨٨ / المترجم.

(٣) قال عليه السلام: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، وفي بعض الألفاظ: أنا دار الحكمة وعليّ بابها ...

أنظر المناقب لابن المغازلي ص ١١٥ و ١١٩ ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ج ١ ص ٣٠٨ ط السعودية، والاستيعاب ج ٣ ص ٢٠٥ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٣٨ رقم ٤٦٣٩ والصواعق المحرقة ج ٢ ص ٣٥٧ وفضائل الصحابة لأحمد ج ٢ ص ٦٣٥ ط السعودية وأسنى المطالب للشافعي وغيرها ... / المترجم.

(٤) قال عليه السلام: اللهم ائتنى بأحب الخلق إليك يأكل معي هذا الطير، فجاء عليّ عليه السلام وأكل

الراية^(١) وغيرها من الشواهد النبوية التي تدفع الصحابة كافة لترشيح علي عليه السلام للتصدي لحمل أعباء الخلافة لكونه مع الحق والحق معه كما قال رسول الله ﷺ: علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار^(٢).

وطبيعي فإن عمر ما كان يرغب في مثل هذه النتيجة التي كانت واضحة عنده أيضاً لعلمه ومعرفته بالواقع السياسي آنذاك. ولذلك اختار طريقة خفية وملتوية لعزل الإمام علي عليه السلام عن هذا المنصب الخطير، ثم يعمل هو وأبو بكر لكسب الأنصار وبعض الناس إلى جانبهم ويحصلان على بيعة رمزية تضيي عليهما الشرعية الدينية أو الاجتماعية، وهذا ما كان، وبعد ذلك مارسا الضغط على الإمام علي عليه السلام ليبايع أبا بكر.

سؤال أحد الحاضرين: على ما كنا نسمع ونقرأ في الكتب أن بيعة أبي بكر كانت طوعية ولم يتعرض أي أحد إلى ضغط أو تهديد كما قال الشهرستاني في

→ معه ..

أنظر تاريخ الإسلام للذهبي ج عهد الخلفاء ص ٦٣٣ والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٤٦٥١ ومجمع البحرين في الزوائد فضائل علي عليه السلام ومصابيح السنة للبغوي بن مسعود الشافعي ج ١ ص ٥١٦ باب مناقب علي عليه السلام، ومجمع الطبراني الكبير ج ١ رقم ٣٧٠ والسنن للنسائي ج ٥ وفضائل أحمد ج ٢ ص ٥٦٠ ط السعودية، ونظم درر السمطين القسم ٢ من السمط الأول وأسد الغابة ج ٤ ص ٣٠ ط مصر / المترجم.

(١) قال عليه السلام وهو يعطي الراية لعلي عليه السلام في غزوة خيبر بعد أن فشل أبو بكر وعمر: لأعطين الراية لرجل يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله، كزار غير فزار يفتح الله على يديه.

أنظر المغازي ج ٢ ص ٦٥٣ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢١ وكفاية الطالب باب ١٤ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٩٥ وصحيح البخاري ج ٥ ص ٧٦ وغيرها / المترجم.

(٢) المناقب ص ٢٢٣ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٢٩٧، وستأتي مصادره.

الملل: انثال الناس عليه وبايعوه عن رغبة، ومن جملةهم الإمام علي عليه السلام.

الجواب: هذا الموضوع الحساس يحتاج إلى توضيح، فإثنا لا نعتقد أن إجماعاً حصل في بيعة أبي بكر ولم يتحقق هذا الميل والرضى من قبل كثير من كبار الصحابة.

بل أقول لك بكل صراحة لو كان مثل هذا الإجماع والرضا قد تحقق مع أبي بكر لما جلسنا الآن نتحاور حول هذه المواضيع، بل لما اختلفنا، فالمنصف المتتبع للأخبار والتواريخ يرى عكس ذلك فهناك من اعترض على أبي بكر وامتنع عن البيعة ولم يحصل هذا الإجماع الذي خطته أقلام مأجورة ونفوس متعصبة.

سؤال أحد الحاضرين: إذن ماذا حصل في السقيفة وما هي حقيقة الأمر في بيعة أبي بكر نرجو أن توضح لنا ذلك؟

الجواب: قلنا سابقاً إن بين الأوس والخزرج تنافساً قديماً يعود تاريخه إلى ما قبل الإسلام وكل قبيلة كانت تسعى للفوز بمنصب الزعامة والقيادة العليا لهاتين القبيلتين.

وعندما توفي النبي ﷺ رأى زعماء الخزرج أن الفرصة سانحة والأجواء مهيأة لعقد اجتماع حول تعيين الزعيم الزمني للقبيلتين ولم يكن قصدهم هو تعيين خليفة للنبي ﷺ يتزعم المسلمين وإنما كان قصدهم هو تسجيل فوز على المنافسين لهم (الأوس)، فحملوا زعيمهم المريض^(١) سعد بن عباد إلى سقيفة بني ساعدة ليصنعوا لأنفسهم موقعاً مهماً في مستقبل القبيلتين ولم يجر في بال أحد منهم أن يكون سعد بن عباد خليفة المسلمين وإنما أرادوه زعيماً اجتماعياً بعد رحيل النبي ﷺ الذي كان يشغل هذا المنصب وغيره من

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٤١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م.

المناصب الاجتماعية والسياسية والدينية.

فلما سمع الأوس بذلك جاءوا بزعمائهم إلى السقيفة ليداركو الموقف، إلا أن سعد بن عبادَةَ كان يحمل المؤهلات الكافية لترشيحه وبالفعل فقد كانت أكثر الأصوات تتجه نحو سعد، إلا أن بعض زعماء الأوس لم يرضوا بهذا الانتصار للخزرج ولم يسمح لهم كباريائهم أن ينضفوا تحت راية الأوس إلا أنهم لا يملكون رمزاً من الرموز يتصدى للوقوف بوجه سعد بن عبادَةَ، وكاد الأمر أن ينتهي^(١) لولا وصول عمر وأبي بكر وأبي عبيدة وظنوا أن القوم يتحدثون عن خلافة المسلمين، فطرحوا قضية الخلافة على طاولة الحوار، فاندفع زعماء الأوس إلى كسب هذه الفرصة التي قد تُسقط أحلام الخزرج وتبدد آمالهم وتُهزم سعد بن عبادَةَ.

فلما طرحوا شعار منّا أمير ومنكم أمير وافق زعماء الأوس بسرعة وضموا صوتهم إلى صوت الثلاثة، لإضعاف خصمهم، وبنفس الوقت قويت جبهة الثلاثة وهم لم يصدقوا ما يحدث ولم يكونوا يتصورون ولا يحلمون بهذا المستوى السريع من الانتصار، وقد غاب عنهم السبب والدافع الذي كان وراء انضمام الأوس معهم!!

فاندفع الأوس بأقصى ما يمكنهم إلى الرضا ببيعة أبي بكر لكسر الخصم وإضعافه وإن لم يكن أبو بكر بالمستوى المطلوب، فهذا لا يهمهم بمقدار ما كانوا يهدفون إليه وهو عدم رغبتهم في دخولهم تحت زعامة الخزرج، بينما امتنع الخزرج من بيعة أبي بكر^(٢) لأنهم لم يجتمعوا لهذا الأمر، واندفع أسيد بن

(١) المصدر نفسه ص ٢٤٢.

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٣٣ جاء فيه: فبايعه عمر وبايعه الناس فقالت بعض

حضير وبشير بن سعد وهما من زعماء الأوس ليصرّحاً لقبيلتهما:
 «والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا
 جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً فقوموا فبايعوا أبا بكر فقاموا إليه فبايعوه»^(١)،
 فأسرع بشير بن سعد إلى بيعة أبي بكر قبل صاحبيه، فناداه الحَبَاب بن المنذر
 وهو من الخزرج: يا بشير بن سعد عقتك عقاق ما أحوجك إلى ما صنعت
 أنفست - من باب التنافس - على ابن عمك - سعد بن عباد - فقال: لا والله
 ولكني كرهت أن أنازع قوماً حقاً جعله الله لهم^(٢)، ولما رأت الأوس ما صنع
 بشير بن سعد وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عباد
 أسرعوا إلى بيعة أبي بكر^(٣).

وهكذا كانت بيعة أبا بكر فهل ترون فيها إجماعاً؟ أم ترون أن الذين بايعوه
 كانوا بكامل قناعاتهم العقلية ولم تدفعهم مصالح ثانوية؟
 إن أي عاقل لو تدبّر في مثل هذه الأخبار لرأى الاختلاف والمصالح
 والرغبات هي المحرك الوحيد للذين بايعوا أبا بكر، فإن الأوس دفعهم التنافس
 السلبي للبيعة وبعض المهاجرين دفعهم الحسّ العصبي، وأما الآخرين فقد
 اضطروا إلى البيعة، أو أخذت منهم بالقوة كما حصل مع سعد بن عباد الذي

→ الأنصار لا نبايع إلا علياً. والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٢٠ وما بعده.

وما ذكره المؤلف من بيعة الأوس، ذكره المعتزلي في شرح النهج:

«ولما رأت الأوس أن رئيساً من رؤساء الخزرج قد بايع قام أسيد بن حضير وهو
 رئيس الأوس فبايع حداً لسعد أيضاً ومنافسة له أن يلي الأمر فبايعت الأوس كلها
 لمّا بايع أسيد... ج ٦ ص ١٠ ط دار الجيل. المترجم

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٤٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

امتنع من البيعة فقال عمر: اقتلوا سعداً قتله الله ثم وقف على رأسه وقال له: لقد هممت أن أطأك حتى تُنذر عضدك^(١).

وقال عمر أيضاً عن سعد: قتله الله إنّه منافق، فأخذ سعد بلحية عمر فقال له: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة..^(٢).

بينما ذكر بعض المؤرخين أنّ هذه العبارة قالها قيس بن سعد بن عباد لعمر بن الخطاب «والله يابن صهاك الحبشية الجبان في الحروب الفرار، الليث في الملاء والأمن لو حرّكت منه شعرة ما رجعت في وجهك واضحة».

فلما رأى سعد بن عباد أنّ الأوس بايعوا أبا بكر قال له «أما والله لو أنّ بي قوة ما أقوى على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيراً يُجحرِك وأصحابك، أما والله إذا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع»^(٣).

ثم قال سعد للخزرج: «احملوني من هذا المكان فحملوه فأدخلوه في داره»^(٤) ومعه قبيلته الذين امتنعوا عن البيعة أيضاً، حتى أنّ عمر بن الخطاب لما اقترح على أبي بكر أن يقاتل سعد فأشار عليهما بشير بن سعد قائلاً: وليس بمبايعكم - يعني سعد - حتى يُقتل وليس بمقتول حتى يُقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته فتركوه...^(٥) ممّا يؤيد عدم بيعة سعد مع عشيرته وأهل بيته.

(١) المصدر السابق، ويعلق الطبري على هذا الموقف بقوله: وكانت فلتنة كفلتات الجاهلية!!

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٤٤.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

وكما مارس عمر الضغط على سعد مارسه بمساعدة الأوس له لبقية المسلمين، وكما وجّه كلمات حادة وخطيرة مثل (منافق) (اقتلوه) إلى سعد وجهها إلى الآخرين ممن هم أقلّ شأنًا من سعد!!

فأين الإجماع الذي تحدّث عنه الشهرستاني وغيره؟ وأين الرضا الجماهيري ببيعة أبي بكر؟

وحتى بيعة الأوس لأبي بكر فإنها كانت بدوافع قَبَلِيَّة جاهلية كما ذكرت لكم ولذلك فإنهم ندموا بعد ذلك وتأسفوا وكانوا يرون أنَّ الخلافة هي من حقِّ الإمام عليٍّ (عليه السلام) (١).

سؤال أحد الحاضرين: ولكنّا سمعنا أنَّ بيعة أبي بكر كانت في جوٍّ طبيعي وبإيعاء الناس بكامل الرضا والقناعة والحبِّ؟

الجواب: نعم خلفاً عن سلف أصرَّ علماؤكم على مصادرة الحقِّ وإخفاء الحقيقة عنكم بدوافع العصبية والبغض لشيعَة أهل البيت (عليهم السلام) يورطون أنفسهم في إضلال الناس، ومنها هذه الحادثة التي نحن بصددِها فقالوا: أجمعت الأمة على بيعة أبي بكر واثال الناس عليه وتقدّم منّا ما يدلُّ على خلافه من مصادر معتبرة عند أهل السنة.

ولكن المشكلة أنَّهم يتمثّلون العمى عندما تنكشف الحقيقة ويضربون على أنفسهم غشاء الصمِّ والبكم ويحاولون ردّ هذه الكتب أو الحقائق بما أمكنهم، فمثلاً عندما كتب العلامة الحلبيّ (رحمته الله) كتاب نهج الحقِّ، ردّه الفضل بن روزبهان لا شيء سوى أنّه في مدح أمير المؤمنين (عليه السلام) وكونه الأحقُّ من غيره

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ١٢ دار الجبل، وجاء في تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٣٦ قال رجل للزهري: أفلم يبایعه عليّ سِتّة أشهر؟ قال: لا ولا أحد من بني هاشم / المترجم.

بالخلافة، وعندما كتب السيد محسن الأمين العاملي أعيان الشيعة رده محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار وهكذا اعتادوا على رد الحق وإن كان موجوداً في كتبهم.

ولهذا كتب علماءنا الأعلام في بيان مثل هذه الحقائق عدة كتب من مصادر أهل السنة مثل كتاب المراجعات وإحقاق الحق والفصول المهمة وغيرها، والأن سوف أعود معكم لإثبات الجبر الذي مارسه عمر وأبو بكر في أخذ البيعة من الذين امتنعوا ومن كتب أهل السنة.

حادثة سقوط الجنين وإحراق بيت فاطمة

لو أغمضنا العين عما تقدم من إجبار سعد بن عباد على البيعة، فإنا وإياكم لا يمكن أن نتجاوز ما حدث مع علي وفاطمة صلوات الله عليهما بسبب الضغط الذي مارسوه لأخذ البيعة من أمير المؤمنين (عليه السلام) لأبي بكر.

إجماع المسلمين أن علياً (عليه السلام) كان في طليعة الذين رفضوا بيعة أبي بكر وامتنع مع مجموعة من الصحابة كالزبير وعمار وأبي ذر... وكلهم جلسوا في بيت الإمام علي (عليه السلام) معلنين عدم رغبتهم في البيعة حتى جاء عمر بن الخطاب مع أبي بكر ومجموعة من المؤيدين لهما وهم يحملون الحطب والنار لإحراق بيت فاطمة (عليها السلام) مما أدى إلى حصر فاطمة الزهراء بين الباب والجدار وسقوط جنينها من بطنها وبعد ذلك أجبروا علياً (عليه السلام) على البيعة.

سؤال أحد الحاضرين: لقد قرأنا هذه الحادثة في كتابكم ليالي بيشاور والآن نريد أن نسمع منكم أحقاً أن هذه الحادثة وقعت؟

الجواب: نعم، هذه الحادثة ذكرها الكثير من علماء السنة فضلاً عن إجماع الشيعة، فمن علماء السنة ذكرها:

ابن قتيبة في الإمامة والسياسة أو تاريخ الخلفاء ج ١ ص ١٢ أو ص ١٨.

ومحب الدين محمد بن الشحنة في روضة المنظر.
 وصاحب فتوح البلدان في أنساب الأشراف ج ١ ص ٥٨٦.
 والقرطبي في العقد الفريد ج ٥ ص ١٢.
 وأيضاً ابن الشحنة المؤرخ في هامش تاريخ الكامل ج ١١ ص ١١٢.
 والمسعودي في مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠١. ذكر هذه العبارة التي قالها
 الخليفة الأول في مرض موته (فوددت أنني لم أكن ففتشت بيت فاطمة)
 وأيضاً المسعودي في إثبات الوصية ص ١٢٤، منشورات المكتبة الرضوية.
 وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٦.
 وصلاح الدين الصفدي الشافعي في الوافي بالوفيات ضمن حرف الألف
 نقلاً عن إبراهيم بن سيار المعروف بالنظام المعتزلي / الملل والنحل ج ١ ص ٥٧
 للشهرستاني^(١).

وقد ذكرت هذه المصادر كلها أن عمر أضرم النار في باب بيت فاطمة
 الزهراء صلوات الله عليها وضرب الباب عليها وأسقط جنيهاً وهو يعلم ما قاله
 النبي ﷺ في حق فاطمة «فاطمة بضعة مني فمن أذاها فقد أذاني»^(٢).
 فمثلاً ذكر المسعودي في إثبات الوصية «فهاجموا عليه وأحرقوا بابه
 واستخرجوه منه كرهاً وضغطوا سيّدة النساء بالباب حتى أسقطت محسناً»^(٣).
 وأيضاً ذكر الشهرستاني في الملل والنحل وهو يستعرض أقوال النظام: «أن

(١) انظر تمام المصادر في كتاب مأساة الزهراء شبّهات وردود، لجعفر مرتضى
 العاملي وليالي بيشاور / المترجم.

(٢) أسد الغابة ج ٥ ص ٥٢١ ط مصر، وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٥٩ وصحيح البخاري
 ج ٤ ص ٢١٩.

(٣) إثبات الوصية ١٢٤.

عمر ضرب فاطمة يوم البيعة حتى ألقت المحسن من بطنها^(١).

وبعدما دخلوا الدار وسيوفهم بأيديهم أخرجوا الإمام علي عليه السلام معهم تحت الضغط والتهديد إلى المسجد لكي يبايع فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: فإن لم أبايع؟ فقال عمر: إذن نقتلك بهذا السيف، فقال: أقتلون عبد الله وأخا رسوله؟ فقال عمر: أما عبد الله فنعم وأما أخو رسوله فلا، فتوجه أمير المؤمنين بوجهه إلى قبر النبي وقال: يابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني^(٢).

وعلى أثر ما حدث لفاطمة رضي الله عنها مرضت ثم توفيت شهيدة جراء ما فعله عمر بها، وأما أمير المؤمنين عليه السلام فإنه كان ينظر للمصلحة العليا للدين ولما رأى المصلحة في البيعة فإنه بايع مكرهاً للضغوط المتزايدة من أبي بكر وعمر ومن كان معهما ونظراً لقلة الناصر، ودفعاً لأي حرب داخلية^(٣).

هذه هي الحقيقة في موضوع البيعة فهل ترون لقول المؤرخين «وانشال الناس عليه وبإيعوه رغبة»؟ هل هناك من يصدق هذه العبارة بعدما تقدم؟ لاسيما إذا عرفتم أن سعد بن عباد لم يبايع إلى أن توفي أبو بكر وهكذا لم يبايع عمر^(٤) إلى أن قتلوه غيلة وأشاعوا بين الناس أن سعداً قتلته الجن!!!!^(٥).

(١) الملل والنحل ج ١ في، ترجمة الفرقة النظامية.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١١ ط دار الجيل، بيروت / المترجم

(٣) جاء في شرح نهج البلاغة للمعتزلي «... فالتفت علي إلى عمر فقال: يا أبا حفص والله ما قعدت عن صاحبك جزعاً على ما صار إليه ولا أتيت خائفاً منه ولا أقول ما أقول بعلّة وأناي لأعرف... ولكني تخلفت إغذاراً إلى الله وإلى من يعلم الأمر الذي جعله لي رسول الله وأتيت فبايعت حفظاً للدين وخوفاً من انتشار أمر الله / ج ١٠ ص ٢٨٣ دار الجيل.

(٤) أنظر شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ١٠ ط دار الجيل.

(٥) وهناك مجال للقول بعدم بيعة أمير المؤمنين أيضاً وأنه عليه السلام لم يبايع لا قبل

دراسة الاختلاف السادس - فدك -

أما الاختلاف السادس الذي اختصره الشهرستاني في الملل والنحل علينا الآن أن نوضحه لكم لتكشف الحقيقة ويظهر الصواب لكم وعلى أثره ستعرفون أن هذه الاختلافات لم تكن طارئة وإنما هي سلسلة مترابطة وأحداث متصلة يجمعها هدف واحد يسعى إليه الذين أوجدوا هذه الاختلافات لتكون وسيلة للوصول من خلالها إلى ذلك الهدف.

لقد صرح علماء السنة والجماعة مثل:

الإمام أحمد، الثعلبي في تفسير كشف البيان حول الآية «وأت ذا القرنين حقّه»، والسيوطي في الدرر المشورج ٤ ص ١٧٧، والمتقي الهندي في المنتخب من كنز العمال بهامش مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٢٢٨، أحمد بن حنبل في مسألة صلة الرحم من كتاب الأخلاق، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل حول الآية ٢٦ من سورة بني إسرائيل «وأت ذا القرنين حقّه»، وابن كثير الدمشقي، وعماد الدين إسماعيل بن عمر الفقيه الشافعي في تاريخه، وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج ج ١٦ ص ٢١٢، والحافظ القندوزي في ينابيع المودة باب ٣٩، وتفسير الثعلبي حول الآية (٢٦) من سورة بني إسرائيل.

وجمع الفوائد وعيون الأخبار وغيرهم كثير كلهم ذكروا ما يلي: بعد أن عاد رسول الله ﷺ من فتح خيبر إلى المدينة نزل جبرئيل بقوله تعالى: «وأت ذا القرنين حقّه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً»^(١)، فدعا النبي ﷺ

→ استشهد فاطمة رضي الله عنها ولا بعد ذلك وقد فصلت القول بالأدلة ضمن كتراس (الببعية بين الحقيقة والوهم) وهو مطبوع فراجع / المترجم.

فاطمة فأعطاهما فدك الكبير، وأبلغها سلام الرب تبارك وتعالى عليها^(١) وظلّت واردات فدك لفاطمة الزهراء لمدة ثلاث سنوات في حياة رسول الله ﷺ وهي هبة وهبتها لها النبي ﷺ فملكته فاطمة عليها السلام.

وبعد أن توفي النبي ﷺ أرسل أبو بكر بعض عمّاله وخدمه إلى أرض فدك وطرّدوا عمّال فاطمة وصارت وارداتها إلى أبي بكر الذي زعم أنها صدقة تركها رسول الله ﷺ وهي من حقّ المسلمين جميعاً، وزعم أنّه سمع حديثاً من رسول الله ﷺ مفاده «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة».

وقد تعرّضت لهذه المسألة بالتفصيل في كتاب ليالي بيشاور، ومن أجل الفائدة سوف أفتح هذا الملف هنا أيضاً.

أولاً: كتب الشهرستاني: «ودعوى فاطمة عليها السلام ورائة تارة وتمليكاً أخرى»، بل إنّها ادّعت كون فدك نحلة نحلها رسول الله لها ومعنى النحلة هي الهبة بلا عوض أي أنّها كانت تدّعي التمليك ابتداءً، ولكن لما زعم أبو بكر أنّها صدقة، ادّعت أنّها إرث من رسول الله ﷺ وهذا من باب إلزام الخصم.

سؤال أحد الحاضرين: هل يوجد لكلامك هذا دليل في كتب أهل السنة؟

الجواب: نعم لقد ذكر هذا الأمر الكثير من علماء السنة منهم: علي بن

برهان الدين الحلبي الشافعي في السيرة الحلبية^(٢):

(١) فدك: قرية بخيبر وقيل بناحية الحجاز، فيها عين ونخل أفاءها الله على نبيه ﷺ / لسان العرب لابن منظور، وقال الفيومي في المصباح المنير: هي بلدة بينها وبين مدينة النبي يومان.

وما ذكره المؤلف هو عين الصواب ذكره الطبراني كما في مجمع الزوائد ج ٧ / ٤٩، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٢٨ وكنز العمال ج ٢ ص ١٥٨ ط ١ / المترجم.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨٢، ١٨٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

والفخر الرازي في تفسيره ضمن تفسير الآية الأنفة الذكر.
وياقوت الحموي في معجم البلدان عند التعرض إلى (فدك).
وأحمد بن يحيى البلاذري في فتوح البلدان ص ٤٢.
وابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١٦ ص ٢١٢.
وابن حجر المكي في الصواعق المحرقة ضمن الشبهة السابعة من شبهات
الرافضة.

وابن تيمية وابن القيم الجوزية وغيرهم.
كل هؤلاء ذكروا أن فاطمة عليها السلام ادّعت الملك أولاً ثم ادّعت الإرث وعلى
كلا الأمرين امتنع أبو بكر من ردّ فدك إليها فغضبت عليه وعلى عمر وامتنعت
من الكلام معهما إعلاناً لكل المسلمين أنها غاضبة عليهما، وكل من غضبت
عليه فاطمة فإن الله ورسوله غاضبان عليه لحديث رسول الله ﷺ لفاطمة عليها السلام :
(يا فاطمة إن الله عز وجل يغضب لغضبك ويرضى لرضاك) ^(١) (فاطمة بضعة
منّي فمن أغضبها أغضبني) ^(٢).

هذا وقد روى البخاري ومسلم في الصحيحين «... فوجدت (أي غضبت)
فاطمة على أبي بكر فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت فلما توفيت دفنها زوجها

(١) أسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٢ ط مصر، وتذكرة الخواص ص ٣١٠ والشفور الباسمة
للسيوطي ص ٣٠.

(٢) صحيح البخاري ج ٥ ص ٩٦، دار القلم بيروت ١٤٠٧ هـ، وسنن الترمذي ج ٥
ص ٣٦٠.

ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٢٦٩.
ومعرفة الصحابة لأبي نعيم الاصبهاني ج ١ ص ٣١٩.
وأيضاً ذكر السيوطي في الدرّ المشثور من طريقين أن رسول الله ﷺ أعطى فاطمة
فدكاً / الدرّ المشثور ج ٤ ص ١٧٧. المترجم

علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها»^(١).

وجاء في موضع آخر من البخاري «فهجرت فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت»^(٢).

فبعد هذه التصريحات الواضحة ألا تعتقدون بمظلومية سيدتنا الزهراء (عليها السلام)؟ وهي سيدة النساء وغضبها علامة غضب الرب تبارك وتعالى، والعجب من علماء أهل السنة وهم يحاولون تأويل هذه النصوص الصريحة في مظلومية فاطمة (عليها السلام) وتعدي أبي بكر ويقولون عن تصرفات أبي بكر أنها اجتهدات!! وهل يحق لأي إنسان أن يجتهد مقابل النص؟! أو يبتز أموال الناس باسم الاجتهاد؟! وقد صرح الكتاب العزيز بوراثه الأنبياء فقد ورث سليمان من داود عليهما السلام، فلماذا هذا التعصب والتكبر للحق الواضح من الكتاب والسنة؟

ثانياً: وباتفاق الفريقين أن فذك كانت ملكاً لفاطمة في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت (عليها السلام) تتصرف فيها وفي أموالها ووارداتها، وإذا كان الأمر كذلك، أياً حق لأبي بكر أن يأخذ فذك من فاطمة ثم يطلب منها أن تأتيه بالدليل على أنها ملكها!! ألا يدعوكم ذلك إلى الضحك.

كيف تؤخذ أملاك الإنسان المتصرف فيها ثم يطلب منه أن يقيم دليلاً على أنها أملاكه؟ وبدون أدنى شك أو تردد فإن العقلاء يحكمون على مثل هذه

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ٨٢ وج ٨ ص ٣ من كتاب الفرائض وصحيح مسلم كتاب الجهاد والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٣، ط مؤسسة الوفاء بيروت ١٩٨١م.

(٢) صحيح البخاري باب غزوة خيبر وباب قول: لا نورث ما تركناه صدقة وأيضاً نفس العبارة ذكرها الطبري في تاريخه ج ٢ ص ٢٣٦ ط دار الكتب العلمية، بيروت.

المزاعم والمحاكمات أنها مخالفة للشرع والعقل لم تجرِ على يد أحد إلا على يد أبي بكر!!

ثالثاً: وعليكم أن تنظروا إلى طرفي القضية ونحكموا بعقولكم بعيداً عن حديث «إننا معاشر الأنبياء...».

الطرف الأول: هو أبو بكر وهو أحد المسلمين ولم يكن أفضلهم كما صرح هو^(١).

الطرف الثاني: فاطمة الزهراء الممجدة والمطهرة في نص القرآن الحكيم في آية التطهير «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»^(٢) التي نزلت في بيان عظمة وعصمة ومنزلة النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام^(٣).

(١) قال أبو بكر: ألا وإن لي شيطاناً يعتريني فإذا أتاني فاجتنبوني / الطبري ج ٢ ص ٢٤٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، وقال أبو سفيان لمّا سمع أن أبا بكر قد بوع له: ما بال هذا الأمر في أقلّ حيٍّ من قريش / المصدر نفسه ص ٢٣٧.
وقال أبو بكر نفسه: فإني وليت عليكم ولست بخيركم / المصدر نفسه ص ٢٣٧ - ٢٣٨، وشرح النهج ج ٢ ص ٥٦ دار الجيل / المترجم.
(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٢٥٢ والخصائص للنسائي والاستيعاب ج ٣ ص ٢٠٣ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٥٨ رقم ٤٧٠٥ ومجمع البحرين في الزوائد ومصابيح السنة للبغوي الشافعي ج ١ ص ٥٢١ وفضائل الصحابة لأحمد ج ٢ ص ٥٧٨، ص ٥٨٨، ٦٣٢ وجواهر العقدين للسهودي وإسعاف الراغبين ص ١١٤، ١٢٧ ونور الأبصار ص ١٢٣ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٦١ وص ٣٢٨ وص ٣٢٩ وصحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٨٣ كتاب فضائل الصحابة ط دار إحياء التراث العربي . المترجم.
والثعلبي في تفسيره كشف البيان والفخر الرازي ج ٨ ص ٧٨٣ والسيوطي في تفسير

ولهذه الآية عدة معطيات منها:

- أن هؤلاء الخمسة عليهم السلام طاهرون ومطهرون ظاهراً وباطناً؛ لإطلاق الآية.
 - أن الألف واللام في كلمة (البيت) عهدية، فالمراد هؤلاء القوم المعهودون عند الله تعالى، وعند كافة المسلمين.
 - لأن نساء الرجل لا يطلق عليهن أهل البيت وذلك لرجوع المرأة إلى أهلها في حال الطلاق مثلاً، فهي بالنسبة إلى أهلها أولى من نسبتها إلى أهل بيت الرجل، بخلاف البنت والأولاد للرجل فإنهم حتى لو ابتعدوا عنه إلا أن نسبتهم إليه واضحة ولا يمكن قبول قول ثلثة قليلة من أهل السنة قالوا إن هذه الآية نزلت في نساء النبي ﷺ بزعمهم أن السياق ضمن (يا نساء النبي) فإن هذه الدعوى مردودة من عدة جهات:

أ - أن هذا الرأي رأي شخصي تابع للعواطف ولا يمكن أن يقف ويصمد هذا الرأي مقابل النصوص النبوية التي ذكرنا بعض مصادرها فضلاً عن حرمة التفسير بالرأي مقابل النص.

ب - لو كانت الآية تخص نساء النبي ﷺ لكان الضمير كباقي الآيات

→ الدرّ المتثور ج ٥ ص ١٩٨ وص ١٩٩ وص ٢٠١ والخصائص الكبرى للسيوطي ج ٢ ص ٢٦٤ والفاضل النيشابوري في تفسير غرائب القرآن ج ٣٠ والذهبي في تلخيص المستدرک وابن كثير الدمشقي بطرق متعددة في تفسيره ج ٣٠ ص ٤٨٣ والعلوي في رشفة الصادي الباب الأول ص ١٤ والإمام عبد الرزاق في تفسير رموز الكنوز وابن حجر العسقلاني في الإصابة ج ٤ ص ٢٠٧ وابن عساكر ج ٤ ص ٢٠٤ من تاريخ دمشق وأحمد بن حنبل في المسند ج ١ ص ٣٣١ والطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٨٨ والبيهقي في الشرف المؤيد ص ١٠ وكفاية الطالب باب ١ وباب ١٠٠ وينابيع المودة باب ٣٣ والصواعق المحرقة ص ٨٥ وروي هذا الحديث عن عائشة وأنس وسعد بن أبي وقاص ووائل وأبو سعيد... المؤلف

يُنْهِي بنون النسوة فتكون الآية هكذا (ليذهب عنكن ... ويطهركن)، وبما أنه ليس كذلك فيعلم أن المقصود غير نساء النبي ﷺ.

ج - هذا وقد تعارف عند الخطباء والمتكلمين ولاسيما في آيات الذكر الحكيم الانتقال من مخاطب إلى آخر ومن موضوع إلى آخر ومن ثم الرجوع إلى الموضوع الأول، وفي هذا الصدد آيات كثيرة جداً، بل هو أحد أساليب القرآن في عرض الأحكام والتاريخ والمفاهيم..

د - والأداة (إنما) تدل على إرادة الحصر في هؤلاء لا غيرهم فهم المطهرون فقط، والآن عليكم أن تحكموا في قضية فدك هل تصورون أن فاطمة تطلب ما لا تملك أو تدعي ما ليس لها، مع عصمتها وطهارتها؟

فضل أهل البيت ﷺ

هـ - ثم قد جاءت الأحاديث الكثيرة في فضل أهل البيت على العالمين، وقربهم من الله وكون علياً وزوجه والحسن والحسين ﷺ أحب الخلق إليه ﷺ وإلى الله تعالى، وسأكتفي بذكر نماذج قصيرة وقليلة لكم حتى لا نطيل عليكم الحديث:

ذكر الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن عطاء بن أبي رباح عن أم المؤمنين أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ في حجرتي يوماً فجاءته فاطمة بطعام فقال ﷺ: يا نور عيني ادعي لي علياً مع ولدك، فحضروا جميعاً وأكلوا من الطعام فنزل جبرئيل بأية التطهير «إنما يريد الله ليذهب...»^(١) حينها ألقى رسول الله ﷺ كساءً عليه وعلى أهل بيته وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اللهم فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

قالت أم سلمة: لَمَّا سَمِعْتُ دَعَاءَ رَسُولِ اللَّهِ: أَنَا مَعَكُمْ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ^(١). ومثل هذا النص ذكره شهر بن حوشب عن أم سلمة والإمام أحمد الثعلبي بإسناده عن مجمع عن عائشة الذي قال: كنت يوماً بصحبة أمي ذهبنا إلى عائشة فسألناها عن الخروج في حرب الجمل كيف مع قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾؟^(٢)

قالت: إنها كانت قدراً من الله، فسألناها أمي عن علي عليه السلام: فقالت عائشة: سألتني عن أحب الناس كان إلى رسول الله، وزوج أحب الناس كان إلى رسول الله، لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وجمع رسول الله بثوب عليهم، ثم قال: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَحَامَتِي فَادْهَبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً، فقالت عائشة: أنا من أهلك؟ قال عليه السلام: تنحى فإنك إلى خير^(٣).

وهناك الكثير من النصوص النبوية المروية بأسانيد صحيحة ومعتبرة مروية عن ابن عباس وأبي سعيد وأنس وعن نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكلها تؤكد أنَّ نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسن أهل بيته^(٤).

(١) مسند أحمد ج ٧ ص ٤١٥ رقم ٢٥٩٦٩ ورواه عن أم سلمة بالفاظ متقاربة، سنن الترمذي ج ٥ ص ٦٥٦ رقم ٣٨٧١ وتفسير الطبري ج ١٢ ص ٦ وأسد الغابة ج ٤ ص ١١٠ و ذخائر العقبى ص ٢١ / المترجم.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) رواه عن عائشة مسلم في صحيحه بالفاظ متقاربة ج ٥ ص ٣٧ رقم ٢٤٢٤ والمستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١٥٩ رقم ٤٧٠٧ والدر المنثور ج ٦ ص ٦٠٥ وتفسير الكشاف ج ١ ص ٤٣٤...

(٤) أقول: وقد صرح في صحيح مسلم وغيره أنَّ المقصود من أهل البيت هم علي وفاطمة وألهما ولا يشمل نساءه أبداً.

والنتيجة التي نحصل عليها هي: تعلق الإرادة الإلهية بتطهير النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين فقط من جميع الرذائل والأرجاس المادية والمعنوية كالكذب وغيره، وهذا التأكيد في الطهارة يعني كونهم معصومين لا يصدر عنهم أي ذنب أو أي مخالفة أخلاقية أو شرعية.

وعليه فلما تدعى فاطمة عليها السلام المطهرة من الذنوب والأرجاس أن فدكاً ملكها وهي هبة رسول الله ﷺ لها بأمر الله تعالى، أليس من الصحيح تصديقها والإذعان لقولها والخضوع لمدعاهها؟ بل اللازم ذلك لكونها معصومة لا وجود للكذب في ساحتها.

فعليكم أن تعرفوا طرفي القضية فهذه فاطمة المطهرة في جهة الصدق وذاك أبو بكر فأيهما نقدّم؟ وأيهما نصدّق؟ عليكم أن تحكموا بعيداً عن التعصّب وتدلوا برأيكم بكل إنصاف على ضوء الأدلة السابقة.

اسألوا أنفسكم: أيمكن لمثل فاطمة التي طهرها الله من جميع الأرجاس

→ قال رسول الله ﷺ: ... أنا بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ ليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي... / صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٧٣ كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي عليه السلام رقم ٣٦ ط دار إحياء التراث العربي.

وروي في نفس المصدر ص ١٨٧٤ عن زيد بن أرقم لما سئل: من أهل بيته نساؤه؟ قال: لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده / المترجم.

الباطنية والظاهرية ومنها الكذب، أن تدعي إدعاءً باطلاً من أجل الحصول على ثمن بخس؟ أيمن أن يأتي هذا الاحتمال إلى أذهانكم بعدما عرفتم منزلة فاطمة الطاهرة؟

وبعد هذا كله حاولت فاطمة عليها السلام أن تلزم أبا بكر الحجة وتخصمه أمام الله والناس، فجاءته بعليّ والحسن والحسين وأم سلمة كلهم شهوداً على مالكيّتها لفدك وكل هؤلاء من أهل الجنة كما تعلمون، أي لا يمكن أن يكذبوا وإلا لما كانوا من أهل الجنة، ومع ذلك يكذبها الخليفة ويتمسك برأيه ورأي عمر، إذن لماذا هذا الإصرار في أخذ فدك؟ ولماذا فاطمة بالخصوص دون سواها؟ مع أن غير فاطمة أعطاهم بعض الأموال من بعض الغنائم بمجرد الادعاء أن رسول الله ﷺ كان قد وعدهم!! أليست هذه مفارقة تدعوكم للتأمل والتساؤل؟

إن ما يمكن تفسيره أن هناك خطة مدروسة لسلب حقوق أهل البيت عليهم السلام. ولما علمت فاطمة عليها السلام أن وراء هذا الإصرار مؤامرة تركت القضية، وقالت: فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعود القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولا ينفعكم إذ تندمون، ثم ذهبت إلى قبر الرسول ﷺ وأنشدت:

قد كان بعدك أنباء وهنبئة لو كنت شاهداً لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وإبلها وأختل قومك فاشهدهم ولا تغب
فليت بعدك كان الموت صادفنا لما قضيت وحالت دونك الكتب^(١)

وهذه الكلمات توضّح وتكشف لكم عن مدى المظلومية التي تعرّض لها أهل البيت من سياسة الخليفة، هذه السياسة الظالمة التي سلبت حق أهل البيت والتي أطلق عليها فيما بعد اسم (الاجتهاد) وهي كلمة حاولوا من خلالها أن يبرّروا هذه المخالفات والمظالم الكثيرة.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ١٦ ص ٢١٢ دار الجيل وج ٢ ص ٥٠.

دراسة حول الاختلاف السابع - قتل مانعي الزكاة

لقد ذكر الشهرستاني الاختلاف حول هذه القضية: فمال عمر بن الخطاب إلى عدم قتال مانعي الزكاة، حتى أنه ردّ عليهم ما أخذه أبو بكر منهم أيام خلافته، بينما مال أبو بكر وجماعة من الصحابة إلى قتالهم والحكم عليهم بالكفر!!

واستدلّ المانعون من قتالهم بقول النبي ﷺ: من قال لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله فقد حُفِرَ دمه، بينما قال أبو بكر الذي أمر بقتالهم: لو منعوني عقلاً من أموال الزكاة لقاتلتهم، وهكذا قتل الصحابة بعضهم بعضاً! وعلينا الآن أن نوضّح لكم هذا الموضوع وحقيقة الأمر:

لا يخفى عليكم أنّ الاتجاه الذي مثله عمر بن الخطاب هنا كان موافقاً للصواب، بخلاف ما أمر به أبو بكر فإنّ عمله يُعدّ جريمة ومخالفة صريحة للحكم الإسلامي، فلقد عهد المسلمون من رسول الله ﷺ أنّه كان يأمرهم بعدم قتل كلّ من تشهّد الشهادتين، إذ بمجرد إعلانه كلمة لا إله إلا الله محمّد رسول الله ﷺ يُحقن دمه وماله وعرضه، وهذا الأمر ممّا لا غبار عليه، فإنّا نرى أبا سفيان ومن كان على شاكلته الذين دخلوا الإسلام كرهاً حققت دماؤهم بمجرد إعلان الشهادة وهكذا كلّ منافق أعلن كلمة التوحيد .

فقد ذكر أحمد بن حنبل في مسنده والإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه في أحداث غزوة خيبر بعدما رجع أبو بكر وعمر قام رسول الله ﷺ وأعطى الراية للإمام عليّ عليه السلام ومن جملة ما قاله له: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله فإن فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلّا بحقها وحسابهم على الله»^(١).

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٧١ كتاب فضائل الصحابة / باب ٤ فضائل عليّ عليه السلام رقم

وأيضاً ذكر البخاري في صحيحه عن ابن عباس: عندما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب فإذا جثتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب^(١).

وأيضاً ذكر البخاري عن ابن عباس قال: ... فقال رسول الله ﷺ للوفود: هل تدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن فيه صيام رمضان وتؤتوا من المغنم الخمس^(٢).

وأيضاً ذكر البخاري ومسلم في صحيحه وأحمد في مسنده والحميدي في الجمع بين الصحيحين مسنداً عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ بمنى أتدرون أي يوم هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ؟ بلد حرام أتدرون أي شهر هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهر حرام فإن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا^(٣).

→ ٣٣ ط دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٧٢ م.

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٥٨٠ كتاب المغازي باب ٥٨ رقم ٤٠٩٠ ط دار ابن كثير دمشق / المترجم

(٢) صحيح البخاري ج ٢٥ ص ٢٥ كتاب خبر الواحد باب وصايا النبي للوفود بشرح الكرمانلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨١.

(٣) المصدر نفسه، ج ٨ ص ٢٠٣ كتاب الحج رقم ١٦٣٣ بشرح الكرمانلي وقريب منه

وقريب منه ما ذكره الفخر الرازي^(١) في تفسيره عن أبي عبيد.
ومثل هذه الأخبار وعلى غرارها أخبار وأحاديث متعددة ومتكثرة من
الشيعة والسنة كلها تؤكد على حرمة دم المسلم الذي يشهد الشهادتين فقط.

في نزول قوله : إذا ضربتم في سبيل الله

وأما عن القرآن الكريم فهذه بعض النصوص المؤيدة لما تقدم من
الحديث النبوي، قال تعالى : **وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا**
وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله
مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون
خبيراً^(٢).

وهنا سأنقل لكم ما ذكره بعض مفسري أهل السنة حول سبب نزول هذه
الآية، ويستطيع كل أحد أن يقارن ذلك مع ما فعله الخليفة الأول في أمره بقتال
مانعي الزكاة «المسلمين»!!

ذكر العلامة أبو الفتوح الرازي في تفسيره والفخر الرازي في تفسيره
والسيوطي في الدر المنثور والزمخشري في الكشف ما نصّه :

كان مرداس بن نهيك رجلاً من أهل فذك أسلم ولم يسلم من قومه غيره،
فغزتهم سرية لرسول الله ﷺ كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي
مرداس لثقتهم بإسلامه، فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد،
فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، السلام

→ في نفس المعنى عن ابن عباس وعن أبي بكر.

(١) ج ٣٠ ص ٤٣٣.

(٢) النساء: ٩٤.

عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه.

فأخبروا رسول الله ﷺ فوجد وجداً شديداً وقال: قتلتموه إرادة ما معه، ثم قرأ الآية على أسامة فقال: يا رسول الله استغفر لي قال: فكيف وقد تلا لا إله إلا الله؟ قال أسامة: فما زال يعيدها حتى وددت أن لم أكن أسلمت إلا يومئذ، ثم استغفر لي وقال: أعتق رقبة^(١).

وكذلك ذكر السيوطي في الدر المنثور والطبرسي في مجمع البيان وابن كثير في تفسيره والفخر الرازي وأحمد بن حنبل في مسنده وابن عبد البر في الاستيعاب وآخرين من الأكابر في ذيل الآية الأنفة الذكر «أن رسول الله ﷺ بعث محلم بن جثامة الليثي في نفر من المسلمين إلى أخم فخرجوا حتى إذا كانوا ببطن أخم مرّ بهم عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له، معه متبع له وقطب من لبن، فلما مرّ بهم سلّم عليهم بتحية الإسلام فأمسكوا عنه بينما حمل محلم بن جثامة لشيء كان بينه وبينه فقتله بسهم وأخذ بعيه ومثاعه، فلما قدموا على رسول الله ﷺ وأخبروه الخبر فتألم كثيراً، ثم جاء محلم فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له فقال ﷺ لا غفر الله لك، فقام وهو يتلقّى دموعه بيرديه فما مضت به ساعة حتى مات ودفنوه فلفظته الأرض، فجاءوا إلى النبي ﷺ فذكروا ذلك له فقال: إن الأرض تقبل من هو شرّ من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم ثم طرحوه في جبل..^(٢)

(١) الزمخشري ج ١ ص ٥٥٢ الآية ٩٤ من سورة النساء، وصحيح البخاري ج ٢٤ ص ٦٦٠ كتاب الديات بشرح الكرمانى، دار إحياء التراث العربى، ١٩٨١، والدر المنثور ج ٢ ص ٦٣٤ ذيل الآية، ط دار الفكر بيروت ١٩٩٣ م.

(٢) الدر المنثور ج ٢ ص ٦٣٣ ط دار الفكر ١٩٩٣ م، وتفسير ابن كثير الدمشقي ج ١ ص ٥٥٢ ط دار المعرفة ١٩٩٧ م.

وهكذا ما روي من خبر المقداد وبنی سليم وأسامة وقد ذكر ذلك الفخر الرازي وابن كثير وأبو الفتوح وآخرون غيرهم^(١).
والمحصل من مجموعها أن رسول الله ﷺ غضب على الذين قتلوا من تشهد الشهادتين أو تظاهر بالإسلام بأي نحو كان ولو بالتحية.
وهكذا عرضت لنا هذه الشواهد أن الأرض كذلك لم تضم جثة أحد هؤلاء القتلة لحكمة ربانية أراد الله أن يظهرها للناس، بل يُعدّ هذا القتل كبيرة من الكبائر.

هذا وقد روي في صحيح البخاري ومسلم وابن ماجة وأبي داود وأحمد وابن حجر في الإصابة وميزان الاعتدال وكنز العمال وغيرهم أن رسول الله ﷺ قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله أو أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم^(٢).

مقابلة الأحاديث بعمل أبي بكر

والآن أرجو منكم أن تحكموا بكل إنصاف وبدوافع إيمانية خالية من

(١) صحيح مسلم ج ١ كتاب الايمان باب ٨، وصحيح البخاري ج ١ كتاب الايمان باب ١٥ وسنن أبو داود ج ١ كتاب الزكاة.

أقول: قال أبو بكر لخالد بن الوليد: فاسألوهم فإن أقروا بالزكاة فاقبلوا منهم وإن أبوها فلا شيء إلا الغارة ولا كلمة!! / تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٧٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.

فالزكاة عنده أهم من الشهادتين كما ترى / المترجم.

(٢) صحيح مسلم ج ١، كتاب الايمان باب ٨.

التعصب والتمذهب، بعد أن سمعتم هذه الأحاديث الدالة على حرمة قتل المسلم (أي من تشهد الشهادتين فقط) مع ما فعله أبو بكر مع مانعي الزكاة الذين أمر بقتلهم، بل لم يتألم ولم يغضب ولم ينفذ الحدود في حق القَتلة!!

وأما إذا قيل لنا: إذن ما الذي يفعله أبو بكر مع مانعي الزكاة؟

فإننا نقول: ما قاله القرآن ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَتَبَيَّنُوا﴾^(١)، فإن الذين امتنعوا عن إعطاء الزكاة كانوا في زمن النبي ﷺ يؤذونها بكل رحابة صدر، بل كان بعضهم نائباً عن النبي ﷺ في قبض زكاة قومه وتسليمها للنبي ﷺ، إذن فما الذي حصل لهم حتى امتنعوا من أداؤها؟ فكان المفروض من أبي بكر أن يتبين ويسأل ويتفحص كما أمر القرآن بذلك لا أنه يأمر بقتالهم، فكيف تفسرون فعله هذا مع القرآن والسنة؟

وعليكم أن تسألوا أنفسكم هذا السؤال:

إن الذين امتنعوا عن أداء الزكاة لم يمتنعوا عن إقامة الصلاة، أي أنهم كانوا يمثلون لأوامر القرآن التي قرنت مع إقامة الصلاة أداء الزكاة، وهكذا كانوا في زمن النبي ﷺ إلا أنهم بعد وفاة النبي امتنعوا عن الزكاة فقط ولم يتركوا الصلاة لماذا؟ فإذا كانوا مرتدين لتركوا كل شيء، ولكن بما أنهم يقيمون الصلاة فهم مسلمون إذن، ولكن هناك شبهة دفعتهم إلى ترك أداء الزكاة فما هي؟

فكان اللازم على الخليفة أن يبعث إليهم من يتفحص الأمر ويتبين السبب بدل قتالهم وإهدار دمائهم المحترمة.

ولا أظن أن هناك سبباً معقولاً يبرر عمل الخليفة، ولو وجد فهو ترقيع وانحراف عن جادة الصواب والحق.

إذن كل هذه التساؤلات تدفعنا للقول إن الخليفة كان له مخطط شخصي

يرتبط به كحاكم، وكانت مصالحه تدفعه لارتكاب هذه الكبائر لاستتباب أمره ودعم موقعه بمزيد من المال.

والمعجب كلُّ العجب من العلماء الذين يعترفون بعدم عصمة الصحابة إلا أنهم أمام هذه الحقائق يحاولون بكلِّ وسيلة أن يجدوا عذراً - ولو كان مضحكاً - لأبي بكر ويخرجون في نهاية المطاف بالقول: إنه مجتهد، ولا يعترفون بخطأه بل يسعون جاهدين إلى نشر الضباب حول هذه الفضائح للتغطية على موقف الخليفة متجاوزين أو متناسين حكم القرآن والأحاديث النبوية في ذلك.

والطريف في المسألة أن علماء أهل السنة يعترفون أيضاً أن الذين امتنعوا عن أداء الزكاة لم ينكروا وجوبها ولكنهم شكوا في الذي يقبض الزكاة منهم، لأنهم اعتادوا على أن يكون عامل الزكاة أحد عمال رسول الله ﷺ وبعد وفاة النبي ﷺ أصروا أن لا يعطوا زكاتهم إلا إلى وصي رسول الله ﷺ المنصوص عليه في الأحاديث

سؤال أحد الحاضرين: لا أخفي عليك أننا لم نطلع على هذا الموضوع بهذه الدقة ولكن ما ذكرته أخيراً أن الزكاة يجب أن تُعطى إلى خليفة رسول الله المنصوص عليه، والحال أن النبي ﷺ توفي ولم يعين أي أحد، مع أن الإجماع والاتفاق حصل على أبي بكر فهو إذن خليفة النبي ﷺ، والزكاة يجب أن تُعطى له، وعدم إعطائها له يُعدّ جرماً كبيراً.

اختلاف الأمة دليل على عدم الإجماع

الجواب: إنكم لو دققتم في التاريخ لما قلتم هذا الكلام، مضافاً لما تقدّم منا حول بحث الخلافة والسقيفة وهكذا ما تقدّم من الشهرستاني حول الاختلاف الخامس في الأمة، حيث بان لكم جميعاً عدم صحة هذا الكلام وإن كان القائل به أكابر علمائكم.

لأن التاريخ يذكر مجموعة كبيرة من المتخلفين عن السقيفة أمثال أمير المؤمنين عليه السلام وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري والمقداد وعمار بن ياسر وحذيفة وجابر وأبي أيوب وخالد بن سعيد بن العاص وبريدة الأسلمي وأبي بن كعب وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وأبي الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وسعد بن عباد وقيس بن سعد وعبدالله بن عباس وزيد بن أرقم والزبير بن العوام والبراء بن عازب والعباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله وأولاده وكل بني هاشم، حتى أن بعض هؤلاء كانوا في بيت الإمام علي عليه السلام^(١).

وهؤلاء لم يحضروا السقيفة لعدم إيمانهم بما جرى فيها وعدم قناعتهم بخلافة أبي بكر، وأضف إلى ذلك، فإن أعداداً كبيرة من المسلمين الذين لم يحضروا السقيفة وهم المنتشرون في أطراف متفرقة من مكة والمدينة وغيرهما كاليمن والطائف، بل لم يطلعوا آنذاك عما حصل في السقيفة!!

بل إن الذين اجتمعوا في بيت أمير المؤمنين عليه السلام حول جسد رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكونوا على اطلاع بما يجري وجرى في السقيفة وهم كبار الصحابة وأشرف بني هاشم!!^(٢).

وقد قلت لكم إن المهاجرين لم يحضر منهم في السقيفة إلا ثلاثة وهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة فقط باتفاق المؤرخين، ثم إن الأنصار لم تجتمع كلمتهم على بيعه أبي بكر، فقد تقدم منا أن سعداً وجماعته لم يبايعوا، وقد فصلت هذا

(١) أنظر تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٢٤، وتذكرة الخواص، الباب الرابع في ذكر خلافة الإمام علي عليه السلام ففيه مطالب حول السقيفة في غاية الأهمية فراجع / المترجم.

(٢) وجاء البراء بن عازب ف ضرب الباب على بني هاشم وقال: يا معشر بني هاشم بويع أبو بكر، فقال بعضهم: ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه / المصدر نفسه / المترجم.

المطلب لكم سابقاً بما لا مزيد عليه، فأين الإجماع الذي تزعمون؟ مع كل هذا الاختلاف.

والآن ما يفعل الذين يقطنون خارج المدينة بعد وصول هذه المزاعم والاختلافات والمشاجرات والمساجلات الكلامية والانتهاكات بالكفر والنفاق وتهديد بعض الصحابة لبعضهم الآخر...؟^(١)

ماذا يفعلون وهم أمام ثلاث مجاميع وثلاثة خيارات:

- ١ - مجموعة سعد بن عباد وهم قبيلة الخزرج.
 - ٢ - مجموعة أعدال القرآن أي أمير المؤمنين علي وأهل بيته^(٢)، ومن مآل معه من كبار الصحابة وكافة بني هاشم الذين لم يبايعوا قط^(٣).
 - ٣ - مجموعة أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وقبيلة الأوس - بعضهم -^(٤).
- فعندما يواجه الناس (خارج المدينة) بمثل هذا الافتراق ووصول الأخبار المتضادة والآراء المتناقضة ماذا تنتظر أن يفعلوا؟
- نعم، بلا شك سيكون موقفهم التريث والتوقف والتأكد من كل شيء والاستعلام عن الصواب والحق ودراسة الدوافع ومقارنة كل ذلك مع ما كان عندهم من الحديث وما سمعوه من النبي ﷺ حول الوصي والخليفة.
- هذا هو السبب الحقيقي وراء توقف مالك بن نويرة وغيره من دفع الزكاة

(١) تقدّم كل ذلك في دراسة الاختلاف الخامس.

(٢) كما قال ﷺ في حديث الثقلين: «إني مخلّف فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي» فجعلهم عدل القرآن.

(٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٣٦.

(٤) لأنّ عمر اعترف قائلاً «وتخلّفت عنا الأنصار بأسرها» تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٣٥.

مع إيمانهم والتزامهم الكامل بالصلاة وباقي تفاصيل الدين، فإنَّ الأجواء أصبحت بالنسبة إليهم ضبابية وملبَّدة بالغيوم، وفي مثل هذه التناقضات يأتي أحدهم ليقبض منهم أموال الزكاة، فما كان منهم إلاَّ التَّيَّن والفحص عن الخليفة الشرعي لا غير، فإنَّهم كانوا في شكٍّ وريب بعدما سمعوا بأحداث السقيفة، ولو كنَّا نحن مكانهم لفعلنا مثل فعلهم، أفحقَّ قتل هؤلاء الحيارى؟ أو بحقَّ إهدار دم المسلم الذي أراد الاستيضاح ومعرفة الحقِّ؟

ثمَّ لو فرضنا أنَّهم امتنعوا عن أداء الزكاة أيحقَّ قتل كلِّ من امتنع عن دفع الزكاة؟ بالطبع لا، لأنَّهم لم ينكروا كون الزكاة من ضروريات الدين وإنَّما أنكروا على عامل الزكاة وهذا فرق كبير، فقد كان من أبي بكر أن يتفاهم معهم بالموعظة الحسنة لا السيف.

والعجب أنَّ أبا بكر دافع وظلَّ يدافع عن خالد بن الوليد الذي قتل مالك وقبيلته ظمناً وعدواناً وزنى بامراته وأعاد الجاهلية مرَّة أخرى إلى الإسلام؟ العجب من هذا الرجل الذي يحامي عن أمثال هؤلاء القتلَّة الفجرة الذين شوَّهوا الإسلام بأعمالهم القبيحة وأفعالهم الشنيعة التي لا يقرُّها الإسلام حتَّى مع الكافر الحربي فكيف بمن يتشهد الشهادتين ويقيم الصلاة!!!

سؤال أحد الحاضرين: ما هو أصل القصة؟ من هم الذين لم يدفعوا الزكاة؟ وقتلهم خالد لهذا السبب؟ نرجو أن تبين لنا ذلك.

عظمة مالك بن نويرة في الإسلام

الجواب: إنَّ أوَّل قتيل في خلافة أبي بكر هو مالك بن نويرة رئيس قبيلة بني يربوع وهو ضحية ظلم وتعدي خالد بن الوليد الذي قتله بأمر من أبي بكر مع قبيلته، ثمَّ زنى بامراته المسكينة المسلمة.

سؤال أحد الحاضرين: نرجو منك أن تفتح لنا هذا الملف التاريخي على

مصراحيه لتعرف مَنْ هو مالك؟ ولماذا قُتل كما يقتل الكفار؟

الجواب: هو مالك بن نويرة بن حمزة بن شدّاد بن عبد بن نعلبة بن يربوع التميمي اليربوعي من كبار بني تميم وبني يربوع وصاحب شرف رفيع بين العرب، حتى ضُرب به المثل في الشجاعة والكرم وإسداء المعروف، وكانت له الكلمة النافذة في قبيلته حتى أنّه لما أسلم وجاء إلى قبيلته وأخبرهم أسلموا كلّهم على يديه.

ولقد كان على منزلة رفيعة في حياة رسول الله ﷺ حيث نصّب النبي ﷺ وكيلاً عنه في قبض زكاة قومه كلّهم وتقسيمها على الفقراء^(١). وهذا دليل وثقانه واحتياطه، فكان مورد اعتماد رسول الله ﷺ ومحطّ ثقته، وقد ذكر ذلك كلّ من ابن حجر العسقلاني في الإصابة^(٢) وأبي العباس في وفيات الأعيان.

فلما وصل خبر وفاة النبي ﷺ إلى مالك أنشد:

قللت خذوا أموالكم غير خائف ولا ناظر فيما يجني من الغد
فإن قام بالدين المحقوق قائم أطعنا وقلنا الدين دين محمد^(٣)
وسبب عدم أخذه الصدقات من قومه لشدة احتياطه وورعه مع ما وصلهم من الاختلاف في المدينة حول الخليفة، فقرّر مالك أن لا يأخذ الصدقات إلا أن يتّضح له أمر الخلافة، بعد تضارب الآراء وتخالف الأقوال وتصارع الرجال وافتراق المهاجرين والأنصار، لا أنّه لم يأخذ الصدقات لإنكاره وجوب الزكاة، كما قالوا وأشاعوا ضده لتبرير فعل أبي بكر وخالد.

(١) أنظر كلّ ذلك في وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٤ رقم ٢٩٤ / المترجم.

(٢) الإصابة ج ٥ ص ٥٦٠ حرف م رقم ٧٧١٢ دار الكتب العلمية ١٩٩٥ م.

(٣) المصدر نفسه.

فقد كان مالك يعتقد بإمامة وخلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام كما كانت هذه عقيدة بني هاشم كلهم، ولما جاءه خالد يطلب منه الزكاة دهش مالك لأنه لم يعهد خالداً من ذي قبل ولأنه جاء ممثلاً عن أبي بكر وفي هذا الأخير لم يسمع مالك ولا غيره حديثاً نبوياً ينص عليه، وهكذا انعدم الوضوح عند مالك وداخله الشك والريب ومن لا يدخله الريب والشك في مثل تلك الأوضاع والفتن المتلاحقة التي أخبر عنها النبي ﷺ؟!

قصة قتل خالد بن الوليد لمالك

بعد ما انتهى خالد من أسد وغطفان سار يريد البطاح وعليها مالك بن نويرة فترددت الأنصار الذين كانوا مع خالد وقالوا له: ما هذا بعهد الخليفة إلينا، إن الخليفة عهد إلينا إن نحن فرغنا من الزاخرة واستبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتى يكتب إلينا، فقال خالد: إن كان عهد إليكم هذا فقد عهد إلي أن أمضي.. وهذا مالك بن نويرة بحيلنا وأنا قاصد إليه ومن معي من المهاجرين.

فلم تر الأنصار بدأ فمضوا مع خالد على هذا الأساس، ولما سمع مالك بهم فرق قبيلته وأمرهم بحمل أموالهم معهم، حتى جاء خالد ومعه نفر من بني يربوع إلى منزل مالك بن نويرة، ومعه أبو قتادة الأنصاري الذي عاهد الله ألا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعد واقعة مالك وكان يحدث: أنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح قال: فقلنا: إنا المسلمون، فقالوا: ونحن مسلمون، قلنا: فما بال السلاح معكم؟ قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟ قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح، قال: فوضعوها ثم صلينا وصلوا... ومع ذلك فإن خالد قدّم مالك وضرب عنقه وأعتاق أصحابه غيلة^(١).

وذكر بعض المؤرخين أن خالداً وجيشه وصلوا إلى قوم مالك ورأوهم يؤذنون وقد أقاموا الصلاة^(١) ومع ذلك قتلوهم!!
وذلك لأن أبا بكر كان قد أوصى خالداً: .. فإن أقرتوا بالزكاة فاقبلوا منهم وإن أبوها فلا شيء إلا الغارة ولا كلمة^(٢)!! وكان خالد يقول: إنه أمر يقتل مالك!!^(٣).

وكان خالد قد اتفق مع أفرادهِ على كلمة إذا قالها فإنهم يضعون السيف في القوم، وفي الليل نادى خالد: أدفثوا أسراكم^(٤)، فقام القوم وقتلوا جماعة مالك، ثم زنى خالد بامرأة مالك بعد أن ضرب عنقه ظلماً وعدواناً.

وينقل المؤرخون أن ليلى أم تميم زوجة مالك كانت فائقة في الجمال بهيئة الطلعة وكان خالد قد أغرم فيها، فلما قدم مالك يريد قتله وإلى جانبه امرأته المسلمة قال مالك: هذه التي قتلني، أي بسبب جمالها وحسنها سوف يقتلني خالد بن الوليد ليتخلص مني بذريعة الزكاة، فقال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام، فقال مالك: إنني على الإسلام، إلا أن خالداً أمر بضرب عنقه.

ثم دخل خالد بن الوليد بالمرأة في نفس الليلة التي قتل فيها زوجها، فهو لم يكتف بالقتل والجريمة وإراقة دماء المسلمين، وإنما زنى بامرأة مظلومة، وكل هذه التعدييات الواضحة من القتل والزنا لم تحرك غيرة أبي بكر ولم يغضب الله ولا للدين ولا للمقتول ظلماً ولا للمهتوك عرضها ولا ولا... وإنما هو يكتفي

(١) الإصابة ج ٥ ص ٥٦٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٢ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة.

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٧٢.

(٣) الإصابة ج ٣ ص ٣٥٧، حرف الميم، ط دار صادر، بيروت، ١٣٢٨ هـ.

(٤) الكامل ج ٢ ص ٢١٧ دار الكتب العلمية.

بالدفاع عن خالد وبأيّ طريقة، أفلا يدعوكم ذلك إلى العجب والشجب والتألم؟
فلما عاد خالد إلى المدينة تلقّاه عمر بن الخطّاب فقال له: قتلت امرأة مسلماً ثمّ نزوت على امرأته والله لأرجمنك بأحجارك^(١)، وأغلظ عمر لخالد في أمر مالك، إلّا أنّ أبا بكر قال لعمر: هبه يا عمر.. تأوّل فأخطأ واعذره وتجاوز عنه!!! (بل أنّه أبّاه على قيادة الجيش ورفعته) وقال: لا يا عمر ما كنت لأشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين^(٢).

إلّا أنّ عمر لم ينس هذه المهزلة، ولذلك فهو لمّا وصل إلى الخلافة أوّل عمل قام به عزل خالد من قيادة الجيش في الشام لكرهيّته له.
هذه هي قصّة مالك بن نويرة كما ذكرها علماء أهل السنّة، وعليكم الآن أن تحكموا بالحقّ وتنصفوا، بما نقلت إليكم، وليكن حكمكم قائماً على الحقيقة لا على أساس العواطف والمذهبيّات والتعصّبات الجاهلية.

الإشارة إلى بعض النقاط السوداء

إنّ القضاء العادل والحكم المنصف حول هذه الحادثة يدعونا إلى تسجيل عدّة نقاط مهمّة:

الأولى: ما أشرنا إليه سابقاً أنّ الحكم على كلّ من امتنع عن دفع الزكاة أنّه من المرتدّين يُعدّ مجازفة وخطورة في التصميم إذ كان يلزم على الخليفة أن يستفسر عن سبب الامتناع أولاً، ثمّ يخاطبهم بالموعظة الحسنة، بل قلنا سابقاً

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٧٤.

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٧٤ والإصابة ج ٥ ص ٥٦٠ وفي مقابل ما ذكره أبو بكر عن سيف خالد فقد روي عن النبي ﷺ أنّه قال يوماً لخالد: لو أنفقت كذا ذهباً ما أدركت غدوة رجل من أصحابي!! / زاد المعاد ج ٢ ص ١٨٦ / المترجم.

مع كل هذه الاختلافات التي حصلت في المدينة المنورة بلا شك فإن البعيد عنها يتداخله الريب وتأخذه الشكوك من هنا وهناك حول أمر الخلافة، ولذا فهم يتشبتون من أي أمير أو جيش أو أي تحرك آخر. فلا يحق لأبي بكر أن يقتل الناس بحجة منع الزكاة لأنهم امتنعوا من إعطائها إليه أو إلى عماله، لا أنهم أنكروا هذا الحكم، وبينهما فرق كبير.

الثانية: ومضافاً إلى ذلك فهناك أحاديث نبوية كثيرة يرويها الشيعة والسنة عن حرمة قتل المصلين وإن من أذى الصلاة فهو مسلم وليس بكافر، وعليه فلا يجوز قتله أو الحكم عليه بالكفر أو الارتداد كما فعل خالد، فمثلاً روى البخاري في صحيحه وأحمد بن حنبل في مسنده والمتقي الهندي في كنز العمال: قال عليه السلام: «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر جهاراً»^(١).

وقال عليه السلام: «ليس بين العبد والشرك إلا ترك الصلاة فإن تركها فقد أشرك»^(٢).

وقال عليه السلام: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»^(٣).

وقال عليه السلام: «بين الإيمان والكفر ترك الصلاة»^(٤).

ونخرج من هذا بنتيجة مهمة وهي عدم جواز قتل المسلم المقيم للصلاة لأنه ليس بمشرك ولا كافر ولا مرتد.

وكان مالك بن نويرة وقومه كذلك أي أنهم أقاموا الصلاة وأقروا بالإسلام، كما مر عليكم وتصريح مالك لخالد (إني على الإسلام) وهكذا أشعاره الصريحة

(١) كنز العمال كتاب الصلاة الباب الأول ج ٧ ص ٢٧٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

في إسلامه واعترافه بالنبي محمد ﷺ وإلى آخره....

ومع كل هذا قتله خالد بن الوليد!! ألا تعجبون من هذا العمل؟ فهذه التجاوزات الواضحة والمخالفات الصريحة علناً كلها تدعوكم للتأمل والتدبر وإعادة النظر في حلقات التاريخ الإسلامي وفي عقائدكم وما تلتزمون به.

الثالثة: من الأحكام الشرعية الثابتة عند جميع المسلمين هي عدة المرأة المتوفى عنها زوجها، إذ يجب شرعاً أن تعتد هذه المرأة أربعة أشهر وعشرة أيام، وبعد ذلك يحق لها أن تتزوج من رجل آخر، وأما إذا تزوجت أو زني بها أيام عدتها فإنها تُحرم على الزاني مؤبداً، وكذلك تحرم مؤبداً على من دخل بها أيام عدتها، ويُعد هذا التجاوز (زنا) ويجب على الحاكم الشرعي أن يقيم الحد على هذا الزاني فإذا كان محصناً فعليه حد الرجم كما كان يؤكد عليه عمر بن الخطاب، وأما إذا لم يجز الحاكم الشرعي هذا الحد تماهلاً وتساهلاً فإنه يستحق العذاب والعقاب يوم القيامة من الله عز وجل.

وقد مر عليكم أن العلماء صرحوا أن خالداً تعدى على أم تميم زوجة مالك في نفس الليلة التي قتل بها مالك^(١)، فالمرأة لم تعتد أولاً وقد أصبحت محرمة عليه مؤبداً ثانياً، ومكرهه على هذا الزواج ثالثاً فأني امرأة تتزوج وزوجها مذبح أمامها مظلوماً؟ وهذا التعدي لا يمكن تسميته بـ (الزواج) رابعاً، لأنها لا تحل له إلا بعد انقضاء العدة، فهذه التجاوزات شوّهت الإسلام والمسلمين في أنظار الغير، فمضافاً إلى أنها مخالفات للشرع المقدس وتعد من الكبائر والمعاصي الفظيعة، فإنها مخالفة حتى للذوق الاجتماعي السائد عند بني البشر، والعجب أن خالداً حينما وطئ المرأة ودخل بها تركها بعد ذلك ولم يتقرب منها حتى تطهر!! ولا أدري من ماذا تطهر؟

(١) أنظر الطبري، ج ٢ ص ٢٧٤، وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٣١ - ١٣٢.

وفوق كل هذه المعاصي المتراكمة نرى الخليفة لم يحرك ساكناً ولم يجبر
الحّد على خالد، بل لم يكلف نفسه بتوبيخه وزجره وتعنيفه - كما فعل عمر - بل
ظّل يدافع عنه ويبارك له عمله!!
انظروا بعقولكم إلى هذه المهازل التاريخية التي يندئ منها جبين البشرية
حياءً وخجلاً.

دفاع أهل السنة عن خالد بن الوليد!!

وإني لأعجب كل العجب من بعض علماء أهل السنة وهم يذكرون هذه
الفظائع والمخازي ومع ذلك يحاولون بشتى السبل للدفاع عن موقف خالد كما
فعل الخليفة، أو يدافعون عن موقف الخليفة مع خالد، يدفعهم التعصب وعدم
الإذعان للحق، بل عدم الرغبة فيه، وكما روي فإن حب الشيء يعمي ويصم
فمن كثرة تعشقهم بأبي بكر وعمر وكل من دار في فلكهما يحاولون أن يجدوا
الأعذار لأخطاء هؤلاء وإن كانت هذه الأعذار مخالفة للإسلام، بل وإن كانت
تضحك منها الثكلى، فمثلاً حاول قاضي القضاة أن يرد إشكالات السيّد
المرتضى عليه السلام على هذه الحادثة فلما وصل الكلام إلى هذه القصّة وهي: «وأقبل
خالد بن الوليد قافلاً حتّى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدا الحديد معتجراً
بعمامة له قد غرز في عمامته أسهماً فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع
الأسهم من رأسه فحطّمها ثم قال: أرئاء قتلت مسلماً... فلما دخل عليه أبو بكر
وأخبره الخبر واعتذر إليه فعذره وتجاوز عنه.. فقال عمر لأبي بكر: إن في
سيف خالد رهقاً فإن لم يكن هذا حقاً، حقّ عليه أن تقتله وأكرر عليه في ذلك
فقال أبو بكر: هبه يا عمر تأوّل فأخطأ فارفع لسانك عن خالد!!»^(١).

فقال قاضي القضاة مدافعاً: فإن قيل: فلم أنكر عمر؟ قيل: كان الأمر إلى أبي بكر، فلا وجه لإنكار عمر!! وقد يجوز أن يعلم أبو بكر في الحال ما يخفى على عمر! (١).

وقد يبدو هذا الجواب للوهلة الأولى أنه موافق للصواب، وليس من حق عمر أن يتدخل في أمور أبي بكر.

ولكن أقول: لماذا لم يأت مثل هذا الجواب الجميل عندما اعترض عمر بل منع من كتابة الوصية عندما قال النبي ﷺ: انتوني بكثف ودواة لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا من بعدي.

فقال عمر: إنه ليهجر (٢)، غلبه الوجد.. حسبنا كتاب الله.. إلى آخره. فلماذا لا يرد على عمر في مثل هذا المنع والتدخل، بأن نقول (لا وجه لإنكار عمر) كما أجاب القاضي في قضية خالد؟ لاسيما وأن الفرق بين النبي وأبي بكر شاسع جداً خصوصاً وأن النبي ﷺ أخبر بعلّة الكتاب (لن تضلوا) فكيف أجازوا إنكار عمر على النبي ﷺ ولم يجيزوا إنكاره على أبي بكر؟ فاعتبروا يا أولي الأبصار!!

سؤال أحد الحاضرين: حقاً إن هذه القضية تدعو كل إنسان إلى التعجب والتألم بنفس الوقت لما حلّ بالمسلمين من الانحراف، ولكن نطلب من سماحتكم أن تذكروا لنا باقي دفاعات أهل السنة لنرى ما يطابق الحق منها؟
الجواب: لا أخفي عليكم أنها تأويلات وترقيعات تدعو للضحك أحياناً،

(١) راجع شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٠٢ الطعن السابع ط دار الجيل بيروت.

(٢) تجد هذه الكلمة في تذكرة الخواص لابن الجوزي، الباب الرابع في ذكر خلافة الإمام علي عليه السلام نقلها عن كتاب سر العالمين لأبي حامد الغزالي / المترجم.

ولكن سأذكرها كما طلبت.

«الدفاع الأول»

فمن جملة ما اعتذروا به لأبي بكر أنهم قالوا: إن الخليفة أبا بكر اجتهد في عدم إجراء الحدّ على خالد وعفى عنه بعد أن اعتذر الأخير إليه^(١).

والجواب: أن ما فعله خالد لم يكن تأويلاً بل هو فعل عمدي أي قتل عمدي، وكذلك هتك عرض المرأة المسلمة عن عمد لا عن خطأ ولا عن تأويل، ثم إن خالد لم يكتف بكل ذلك بل مثل بالجثث، وجعل رأس مالك في النار وطبخ عليه الطعام، فهذه الفظائع والفجائع إذا كانت في نظر الخليفة صغيرة وقابلة للعفو وغض الطرف عنها، فأين هي الذنوب الكبيرة إذن؟ التي تستوجب القصاص وما هي؟ إن لم يكن القتل والزنا والتشيل منها فما هي إذن؟

ثم إن أبا بكر علّل ترك العقوبة لخالد (مع إصرار عمر عليه وشهادة أبي قتادة)^(٢) بأن سيف خالد كان من السيوف التي حاربت المشركين، أو لأن الخليفة الجديد يحتاج إلى مثل سيف خالد في مواجهاته مع بعض القبائل.

وهذا التعليل غير صحيح لوجود من هو أفضل من خالد بن الوليد في الشجاعة والثبات والصمود والاستقامة وهم قرب الخليفة أيضاً ومنهم سعد بن أبي وقاص وأسماء وعمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح وأبو عبيدة الثقفي ومعاذ بن جبل والعلاء بن الحضرمي وعكرمة وشرحبيل بن حسنة وقيس بن هبيرة المرادي وحاسر بن سعد الطائي وربيعة بن عامر وخالد بن سعيد وسعيد بن خالد وأبو محجن الثقفي وعياض بن غنم الفهري وآخرون من الذين

(١) أقول: لما جاء خالد إلى أبي بكر قال - خالد -: يا خليفة رسول الله إنّي تأولت

وأصبت وأخطأت!! / اليعقوبي ج ٢ ص ١٣٢.

(٢) الكامل ج ٢ ص ٢١٧.

استعملهم أبو بكر فيما بعد في الفتوحات.

إذن لماذا هذا الإصرار على خالد بن الوليد مع وجود هذا الكم الهائل من الرجال الذين كان لهم الصدي؟ ولماذا كل هذا الدفاع عن خالد مع وضوح تورطه في الكبائر التي يستحق بها القتل؟

وكان يتوجب على الخليفة أن ينزل القصاص العادل بخالد بن الوليد لكي يتشكّل الانطباع الإيجابي عن هذه الخلافة الجديدة لا سيما مع حصول الاختلافات حولها، ولكي يعطي عن نفسه انطباع الحاكم العادل وبالتالي يتحول الموقف إلى درس عام ينتفع منه كل الناس، وما حصل عكس ذلك تماماً ممّا يعني أن أبا بكر لم يكن يهتم بهذا الجانب بقدر ما كان يهتم على رجاله وأتباعه وإجراء خطته.

«الدفاع الثاني»

ومن جملة ما اعتذروا به لخالد بن الوليد مع ذكرهم لمخالفاته وتجاوزاته وأخلاقه الخسنة وانحرافاته الواضحة، أنهم قالوا: إن أمير الجيش وقائد العساكر له الحق الكامل في التصرف بنساء السبي لأنهنّ بمثابة ملك اليمين له.

والجواب:

لا يخفى عليكم أن الذي دفعهم إلى مثل هذا التوجيه أو الحكم هو تبرير فضائح خالد بن الوليد، وقد غفلوا أو تغافلوا عن (٣٦) غزوة لرسول الله ﷺ ولم يصدر منه ﷺ مثل هذا الفعل - والعياذ بالله - بل لم يقرّر مثل ذلك لأحد من الأمراء الذين بعثهم.

وغفلوا أن هذه الأحكام مختصة - على فرض صحتها - بالكافر الحربي ولا يمكن أن تجري على المسلمين بأي وجه من الوجوه.

ومن جهة ثانية فإن الإسلام أوجب العدة على المرأة المتوفى عنها زوجها ليُعلم حالها إن كانت حاملاً أو لا، فإذا كانت حاملاً فإن الولد يلحق بزوجها

المتوفى، بينما لم يلتزم خالد بهذا الحكم ونزاً زانياً بهذه المرأة المسلمة كما تقدم ذلك.

حتى ذكر أحمد بن خلكان في وفيات الأعيان عن أبي زهرة السعدي في قصيدة طويلة مشيراً فيها إلى هذه الفضائح والفضائح:

ألا قلّ لحى أوطئوا بالسنايك	تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغياً عليه لعسه	وكان له فيها هوى قبل ذلك
فأضى هواه خالد غير عاطف	عنان الهوى عنها ولا متمالك
وأصبح ذا أهل وأصبح مالك	إلى غير شيء هالكاً في الهوالك
فمن لليتامى والأرامل بعده	ومن للرجال المعدمين الصعالك
أصبيت تميم غثها وسمينها	بفارسها المرجو سحب الحوالك ^(١)

«الدفاع الثالث»

وقد أصرّ بعضهم على القول إن مالك بن نويرة من المرتدين عن الإسلام فيجوز قتله.

والجواب: قد ذكرنا الأدلة على إسلام مالك ولكن مع ذلك ذكر المؤرخ ابن الأثير ما يلي: «وقيل إن المسلمين لما غشوا مالكاً وأصحابه ليلاً أخذوا السلاح فقالوا نحن المسلمون فقال أصحاب مالك: ونحن المسلمون، فقالوا: ضعوا السلاح وصلّوا وكان خالد يعتذر في قتله... فقدم متمم على أبي بكر يطلب بدم أخيه - مالك - وأن يرد عليهم سبيهم فأمر أبو بكر برد السبي وودى مالكاً من بيت المال فهذا جميعه ذكره الطبري وغيره من الأئمة ويدل على أنه لم يرتد!! وقد اختلف في ردّه وعمر يقول لخالد قتلت امرأة مسلماً، وأبو قتادة يشهد أنهم أدنوا وصلّوا وأبو بكر برد السبي ويعطي دية مالك من بيت المال فهذا جميعه

(١) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٦٧، ط: دار الفكر، بيروت.

يدلّ على أنّه مسلم^(١).

وما يمكن استنتاجه من كلام ابن الأثير هو أنّه لو كان مالك بن نويرة مرتدّاً أو كافراً لما أرجع أبو بكر الأسرى، إذ لا يجوز إرجاع أسرى الكفار، وكذلك لا تُعطى دية دم الكافر لأنّه مهدور الدم وغير محترم النفس لكفره ومحاربته للدين، بينما أعطى الخليفة دية دم مالك من بيت المال ممّا يعني إسلام مالك ومعرفة الخليفة بذلك أيضاً.

ويضاف إلى ذلك أنّ جميع المؤرّخين الذين ذكروا هذه الحادثة لا يذكرون أي حوار أو نقاش دار بين مالك وخالد حول الزكاة، ولم يسأل خالد بن الوليد من مالك عن سبب امتناعه عن الزكاة، وإنّما غاية ما ذكروه هو أنّ خالد اتّهم مالكا بعدم الإسلام ومالك دافع عن نفسه بأنّه على دين الإسلام صريحاً ومع ذلك قتله خالد!!

ولا أدري كيف أجاز خالد لنفسه أن يقتل هذا الرجل المسلم الذي صرح بإسلامه قولاً وفعلاً.

وحتى لو فرضنا أنّ مالكا مرتدّ كما يزعمون - بلا دليل - ويجوز قتله كما قالوا، ولكن هل كانت امرأته مرتدة مثله؟

لم نجد أحداً من علماء السنة يصرح بذلك، بل هي مسلمة مؤمنة تعتقد الإسلام ديناً وتقيم شعائره، فكيف زنى بها خالد إذن قبل أن تعتدّ عدّة الوفاة؟ وكيف تزوّجها بعد ذلك في المدينة؟ أرجو أن تفكّروا في مثل هذه المغالطات والزلات وارتكاب هذه الفواحش مع سبق الإصرار، وأيضاً تفكّروا في الدوافع التي تدفع بعض علماء السنة أن يدافعوا عن مثل هذه المهازل ويحاولون ترميمها وترقيعها وبما يضحك الثكلى؟ وأيضاً فكّروا في الأسباب التي دعت

(١) أسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٦ المكتبة الإسلامية.

الخليفة أن يصّر على إعفاء خالد من أي عقوبة وقصاص؟
ومن البؤس أن يغمض الإنسان عينيه أمام هذه المظالم والدواهي أو يصمّ
سمعه عن هذه الحقائق.

«الدفاع الرابع»

واعتذر بعضهم لخالد بالقول: إن مالكا قال لخالد وهو يراجع: ما أخال
صاحبكم إلا وقد كان يقول كذا وكذا، فقال خالد: أو ما تعدّه لك صاحباً؟ ثم
قدّمه فضرب عنقه^(١).

وقد عدّ خالد بن الوليد كلمة (ما أخال صاحبكم) إهانة للنبي ﷺ أو عدم
اعتراف مالك بنبوة النبي ﷺ كما زعم خالد فقتله!
والجواب:

أولاً: لم ينقل هذه الجملة إلا خالد بن الوليد حينما سئل عن سبب قتله
لمالك، فإذا أراد أن يدافع عن نفسه بهذه الطريقة فعليه الإتيان بالشهود الذين
يشهدون أنهم سمعوا ذلك من مالك، بينما لم يشهد ولم يُنقل عن أحد ذلك
سوى عن خالد نفسه وهذا باطل من ناحية الشرع، بل وحتى العرف لأننا إذا
فتحنا للناس هذا الباب صار كلّ قاتل يبرّر جريمته بسهولة ولم نعد بحاجة إلى
شهود وهو ما لا يرتضيه أي دين أو قانون.

ثانياً: ثم لو فرضنا جدلاً أن مالكا قال هذه الجملة - كما زعم خالد - فما هو
الدليل أن المراد من (صاحبكم) هو النبي محمد ﷺ؟ بل يُحتمل أنه أراد
بذلك الخليفة الذي بعث إليه خالد بن الوليد فـ (صاحبكم) يعني الذي أرسلكم
وهو أبو بكر، فالعبارة تحتل هذا بشكل أقرب لاسيما مع ملاحظة القرائن
الحالية.

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٧٣.

بل ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان: بعدما قال خالد لمالك: إني قاتلك، قال مالك: أوبذلك أمرك صاحبك؟^(١)

وواضح من كلمة (صاحبك) هنا هو الخليفة لا غير، بل لا يوجد أي احتمال ثانٍ، فيتعين المراد من كلمة (صاحبكم) في الجملة الأولى أبو بكر. ثالثاً: ثم لو فرضنا جدلاً - ولا نسلم به - أن المقصود من (صاحبكم) هو النبي ﷺ فهل يستحقّ القتل على أساس هذه الكلمة؟ إذ هي لا تدلّ على الردّة ولا على الكفر كما كان يزعم ابن الوليد، بل هناك الكثير من الحوارات والمحادثات الحاصلة عندما يقول المتكلم لمجموعة أو لفرد: ألم يقل نبيكم كذا وكذا.

فهذا التعبير لا يعني عدم إيمان المتكلم بالنبي ﷺ وإنما هو لون من ألوان الحوار ولعله لإفادات نظر المقابل، وبالتالي لم يعد هناك أي احتمال يتشبّه به خالد بن الوليد وكلّ من دافع عنه.

ولمّا لم يعد هناك أي مجال للدفاع عن جرائم خالد، قال بعض علماء السنة: إن خالداً لم يقتل مالكاً ولا أمر بقتله، وإنما كان المسؤول عن قتل مالك هو ضرار بن الأزور وهو تصرف شخصي، ولكنّ لما سمع به خالد بن الوليد وجد نفسه أمام الأمر الواقع فقال إذا أراد الله أمراً أصابه^(٢).

ولكن الله يلقي النسيان على مثل هؤلاء المؤرّخين فقد ذكروا أيضاً وفي نفس المصدر أن خالداً اعتذر من قتله لمالك أو أمره بقتله بتلك الجملة التي قالها مالك (ما أخال صاحبكم).

وعلاوة على ذلك فإنّ أبا الفرج الاصفهاني ذكر في الأغاني «فضرب خالد

(١) وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٤ رقم ٢٩٤.

(٢) المصدر السابق.

عنقه صبراً فطعن عليه في ذلك جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وأبو قتادة الأنصاري».

وذكر أيضاً في مكان آخر «ثُمَّ قَدَّمَهُ فَضْرَبَ عَنْقَهُ وَأَعْنَقَ أَصْحَابَهُ»^(١)، وهذا يعني أَنَّ خالداً بنفسه قتل مالكاً.

بينما ذكر جماعة مثل الذهبي في تاريخ الإسلام - وفي طبقات المشاهير والأعلام، وفي وفيات الأعيان، هذه القصة مفصلة وكان فيها قول مالك لخالد «أنا على دين الإسلام» فأمر خالد ضرار وقال له: يا ضرار اضرب عنقه، فضرب عنقه وجعل رأسه أثفية لقدر^(٢).

فهل بعد كل هذه التصريحات يبقى مجال للزعم أَنَّ مالكاً كان مرتدّاً أو أَنَّ الذي قتله ضرار وليس خالد، ويحاولون تجريد خالد من المسؤولية؟ ثُمَّ دَعِ عَنْكَ هَذَا، فما عساهم أَنْ يقولوا حينما زنا خالد بزوجة مالك؟ وقد قالوا «وكان يُقال إِنَّهُ يَهْوَها في الجاهلية وَاثَمَ لذلك أَنَّهُ قَتَلَهُ مسلماً لِيَتَزَوَّجَ امرأته بعده»^(٣).

ثُمَّ دَعِ عَنْكَ حَتَّى هَذَا، فما عساهم أَنْ يقولوا عن الصفة الوحشية والقلب المتحجّر المتعصّب لخالد عندما جعل رأس مالك في النار ليطيخ عليه الطعام!! كما ذكره ابن خلكان «فقال خالد: يا ضرار اضرب عنقه فضرب عنقه!! وجعل رأسه في أثفية لقدر وكان من أكثر الناس شعراً كما تقدّم ذكره فكانت القدر على رأسه حَتَّى نَضِجَ الطعام وما خلصت النار إلى أَنْ شَواه من كثرة شعره»^(٤).

(١) مختار الأغاني، ج ٧، ص ١٠٥، ط: معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٦، ص ٣٥٥، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٢م.

(٣) الأغاني ج ١٤ قضي خالد بغياً عليه لعمره * وكان له فيها هوى قبل ذلك

(٤) وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٤ / المترجم.

هل لديكم تأويل آخر لهذه الفجائع، وهل تحتمل هذه الفضائح تأويلاً آخر؟ وهل تعدّون هذه الجرائم والقساوة اجتهداً؟ ومن في العالم يقبل لأمثال خالد عذراً على مثل هذه الجرائم؟ ولماذا لم يرسل خالد بن الوليد مالكا إلى الخليفة نفسه كما طلب مالك هذا منه، بل أسرع في قتله؟ هذه الأسئلة أتركها إليكم وإلى كل من يريد الصواب ويبحث عن الحق.

«الدفاع الخامس»

وزعم المدافعون عن رموز الباطل: أنّ المرحلة التي عاصرها الخليفة فرضت نفسها عليه، بما تحمل من تناقضات أن يفرض الطرف عن خالد، بل ويجتهد في تعطيل الحدود الإلهية ويعفو عن القاتل الزاني السفك نظراً لطبيعة المقطع الزمني الصعب.

والجواب: أنّ الطبيعة هي هي والحالة أو المرحلة التي عاصرها الخليفة لم تكن تختلف عن عهد رسول الله ﷺ فإنه ﷺ لم يمض عليه الكثير حتى يقال إنّ المرحلة اختلفت، وحتى مع وجود المنافقين في عهد النبي ﷺ لم يمنعه ذلك من إجراء الحدود، أو في أقل تقدير لم يمنعه ذلك من الغضب على بعض الناس أو طردهم وإيعادهم أو عدم الاستغفار لهم و... إلى آخره.

بينما العجب والدهشة أنّ أبا بكر لم يصدر منه أي تأثر على قتل مالك وقومه فلم يغضب أبداً على خالد، بل إنّ غضب على أبي قتادة لما جاءه وقص عليه القصة فإنه عَفَوه وبَيَّخه لوقعه في خالد، والحال أنّ أبا قتادة لم يقع في خالد وإنّما ذكر له جرائمه وتعديّه، فكان المفروض من أبي بكر لما لم يرد إجراء الحدّ على خالد، أن يظهر تأسّفه ويبيدي لخالد غضبه وتأثره من فعله الشنيع هذا ليكون أوقع في قلب خالد والمسلمين.

والعجب من هذا الخليفة الذي كان معاصراً للنبي ﷺ وقد شاهد على مرأى ومسمع كيف أنّ النبي ﷺ لم يستغفر لمحمّد بن جثمّة عندما قتل عامر

بن اضبط وهو يعلن الشهادتين ونزل قوله: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام...﴾ ثم عَفَّه النبي ﷺ وطرده حتى مات ملحم. ألم يشهد ذلك جميع المسلمين والخليفة كان معهم أيضاً؟

لماذا لم يتأس برسول الله ﷺ في هذه القضية ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾؟ بل كان المتعين على الخليفة أن يعلن براءته من هذه الجرائم لكي لا تحسب على الإسلام لاحقاً كما صنع رسول الله ﷺ عندما بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة وأمره بعدم القتال إلا أنه خالف وقتل القوم، ولما وصل الخبر إلى النبي ﷺ قام ورفع يديه إلى السماء وقال أمام المسلمين: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد مرتين^(١).

ثم بعث علياً عليه السلام ليدفع دية القتلى كلهم سريعاً، إعلاناً منه ﷺ أنه غير مسؤول عن هذه الجريمة لكيلا تُحسب عليه وعلى الإسلام^(٢).

بينما لم يفعل الخليفة حتى هذا الأمر، مما يعني رضاه وقناعته وميله الكامل مع ما صنعه خالد، ومخالفته لسيرة النبي ﷺ والقرآن الحكيم الذي حرّم قتل المسلم.

وبهذه الطريقة المنحرفة والأسلوب غير الإسلامي الذي انتهجه أبو بكر فتح الطريق أمام الظلمة وعبد له وصار الذي بعده من الأمراء يتتهج سياسة أبي بكر وخالد بن الوليد.

فمثلاً بُسر بن أرطاة وهو أحد قواد جيش معاوية وعامله المستبد قتل

(١) صحيح البخاري ج ١٦ ص ١٦٦ كتاب بدء الخلق باب بعث خالد إلى بني جذيمة، ودلائل النبوة ج ٥ ص ١١٤ ط دار الكتب العلمية، وجاء في زاد المعاد لابن القيم «بعث النبي ﷺ خالداً إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام لا مقاتلاً» ج ٢ ص ١٨٦.

(٢) زاد المعاد ج ٢ ص ١٨٦ / المترجم.

ثلاثين ألفاً من أتباع علي بن أبي طالب عليه السلام ظلماً وعدواناً، بل لم يسلم من يديه طفلان صغيران لعبيد الله بن عباس، فأثنى عليه معاوية وأطراه^(١).

وكذلك مسلم بن عقبة الملعون الذي احتل المدينة المنورة بأمر من يزيد بن معاوية وأباحها ثلاثة أيام أنزل فيهم السيف حتى وصلت الدماء إلى حرم رسول الله ﷺ وهتكت النساء حتى فضت الفتيات البواكر.

يقول ابن الجوزي نقلاً عن كتاب الحرّة لأبي الحسن المدائني عن الزهري: «كان القتلى يوم الحرّة سبعمائة من وجوه الناس من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الموالي، وأما من لم يُعرف من عبد أو حرّ أو امرأة فعشرة آلاف وخاض الناس في الدماء حتى وصلت الدماء إلى قبر رسول الله ﷺ وامتألت الروضة والمسجد، قال مجاهد: التجأ الناس إلى حجرة رسول الله ﷺ ومنبره والسيف يعمل فيهم».

وذكر أيضاً المدائني عن أبي قرّة قال: قال هشام بن حسان: ولدت ألف امرأة بعد الحرّة من غير زوج! وغير المدائني يقول عشرة آلاف امرأة^(٢).

(١) أنظر جرائمه في تاريخ الطبري ٦ ص ٨٠ والكامل ج ٣ ص ٢٥٠ وقد تناوله المؤلف في كتابه لبالي بيشاور ص ٩٢٣.

(٢) تسمى وقعة الحرّة، كانت على أثر خلع أهل المدينة ليزيد بن معاوية على ما شاهدوا منه المناكير، فقد جاء وفد أهل المدينة من عند يزيد وأخبروا الناس بما شاهدوا من يزيد فقالوا: «إنّا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويعزف بالطناير ويضرب عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسامر الخُزّاب والفتيان وإنّا نشهدكم أنّا قد خلعناه فتابعهم الناس».

أنظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٥٠ أحداث سنة ٦٢ هـ.

وجاء مسلم بجيش جرّار إلى المدينة فأباحها ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون الأموال

وأمثال الحجاج بن يوسف الثقفي لعنة الله عليه وهو في الظلم وسفك الدماء أشهر من الشمس في رابعة النهار، وهو الذي قال عنه عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها وجننا بالحجاج لغلبناهم.

امتاز الحجاج بعدائه التقليدي لأمير المؤمنين علي عليه السلام وبغضه له وقتله لجميع من وإلى علياً فقد كانت له مجازر ارتكبها بحق شيعة أهل البيت عليهم السلام. بل كان يتلذذ بقتل الشيعة أكثر ما يلتذّ الفتى في ليلة عرسه فقد قتل الحجاج في مجالس الأنس والطرب مائة وعشرين ألف إنسان وكان قد صنع سجناً من أربع جدران لا سقف له جعل فيه خمسين ألف رجل وثلاثين ألف امرأة كلهم يتظرون السيف أو الموت البطيء، والحجاج هو الذي قتل بقية السلف أمثال كميل بن زياد وهو من أصحاب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام والمقرّين عنده، وأبي محمد سعيد بن جبير الكوفي وهو من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليهما السلام وعُرف بعلم التفسير الذي درسه عند ابن عباس، وبقتله لهذا الرجل الجليل، ابتلاه الله بمرض الأكلة فقد أكلت أمعاء الحجاج بواسطة الديدان التي بعثها الله عليه^(١).

→ وكان يأمر الناس بالبيعة على أنهم عبيد ليزيد بن معاوية ومن قال له أباع على كتاب الله وسنة نبيه كان يقتله حالاً، فدعا الناس للبيعة على أنهم خول ليزيد بن معاوية يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء.

أنظر المصدر السابق.

وما ذكره المؤلف عن المدائني تجده في تذكرة الخواص ص ٢٨٩ فصل يزيد بن معاوية / المترجم.

(١) ولد الحجاج مشوّء الخلقة امتنع عن قبول الثدي من أمه حتى ذبحوا نيساً أسود وأولغوه بدمه فكان بعد ذلك لا يضجر عن سفك الدماء، وكان الحجاج لعنه الله

وعلى غرار هؤلاء كان زياد ابن أبيه الدعيّ السفّاح الذي لم يختلف عن الحجاج وعن بسر وأمثالهما من مصاصي الدماء، وظلّ الواقع الأموي والعبّاسي ينتج أمثال هؤلاء القنّلة على طول الخطّ وكان القتل والنهب وهتك الأعراض يجري كأنّه أمر طبيعي، وما كان هذا ليحدث لولا تبرير الخليفة الأوّل لجرائم خالد بن الوليد وحمل أخطائه ومخالفاته على أنّها اجتهادات!! فإذا كان رمزهم (أبو بكر) يفعل ذلك فكيف بمن اتّخذ قذوة؟

دراسة حول الاختلاف الثامن - الخلافة

من أجل إبطال خلافة الخلفاء الثلاثة فإننا نستند إلى نفس خلافة كلّ واحد منهم فمثلاً:

١ - خلافة الأوّل كانت عبارة عن - زعم - أنّ رسول الله ﷺ توفي ولم يعهد لأحد، ثمّ استبق عمر وأبو بكر وأبو عبيدة إلى السقيفة... على ما ذكرته

→ يُخبر عن نفسه أنّ أكثر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره ولا سبق إليها سواه.

واستعمله بنو أميّة على العراق فخطب الحجاج في الكوفة قائلاً: إني والله لأرى أبصاراً طامحة وأعناقاً متطاولة ورؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني أنا صاحبها كأني أنظر إلى الدماء تفرّق بين العمائم واللحى... / مروج الذهب ج ٣ ص ١٢٥ دار الأندلس بيروت.

ومات الحجاج في سنة ٩٥هـ وأحصي من قتله صبراً سوى من قتل في عساكره وحروبه فوجد مائة وعشرين ألفاً ومات في حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة منهم ستّة عشر ألفاً مجرّدة وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الحرّ والبرد / المصدر السابق ص ١٦٦ / الممتح.

سابقاً، وصار خليفة المسلمين بالقهر والقوة بلا نص ولا إجماع ولا مشورة ولم يتحقق رضا المسلمين كلهم عليه كما مرّ عليكم سابقاً.

ثم جاء الثاني إلى الخلافة بطريقة غريبة ومضحكة للغاية، فإنه لم يحصل على الإجماع أثناء تعيينه ولا على مشورة أكابر الصحابة ولا على أي أساس عقلائي، فإن أهل السنة يرون بالإجماع أن أبا بكر لما حضرته الوفاة استخلف عمر بن الخطاب بطريقة لا تخلو من الاستبداد فحصل الاختلاف على أثر هذه الوصية المدبرة بين رجال المسلمين فقال بعضهم لأبي بكر «قد وليت علينا فظاً غليظاً»^(١) فأجاب أبو بكر: «لو سألتني ربي يوم القيامة لقلت: وليت عليهم خيرهم لهم»^(٢).

وهنا يُسجّل إشكال في غاية الأهمية وهو:

لو كان أبو بكر رأى في عمر بعض الصفات التي جعلته يعتقد أنه خير الأمة، فلماذا لم يمارس هذه الطريقة رسول الله ﷺ؟ بل أن رسول الله أولي بذلك لحرصه على الأمة، وإلا، أيمن لأحد أن يتصور أن أبا بكر أفضل من النبي ﷺ والعياذ بالله في موضوع الخلافة، أو أنه أحرص على الإسلام منه ﷺ؟

أنهم - المتعصبين - يقولون إن رسول الله ﷺ رأى المصلحة في ترك الأمة سدى وعدم التنصيب على أحد وأوكل الأمر إلى المسلمين جميعاً أي إن الأمة هي التي تنتخب الأفضل، وهم يلتزمون بهذا الكلام إلى اليوم.

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٨.

أقول: لما نصب أبو بكر عمر دخل عليه طلحة بن عبيد الله وقال له: استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه فكيف به إذا خلا بهم؟
تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٥٥ والكامل ج ٢ ص ٢٧٣.

(٢) المصدر السابق.

فَيُسَجَّلُ عَلَيْهِمْ إِشْكَالٌ فِي غَايَةِ الْمَتَانَةِ وَهُوَ: كَانَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ أَيْضاً أَنْ يَتْرَكَ أَمْرَ الْخِلَافَةِ إِلَى الْأُمَّةِ وَلَا يَقْرَرَهُ هُوَ تَأْسِياً بِالنَّبِيِّ ﷺ.

فَبِإِنْ قِيلَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَأَى الْمَصْلَحَةَ فِي التَّنْصِيبِ.

نَقُولُ: إِنَّهَا مَخَالَفَةٌ لِسِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي يَصْرُحُونَ عَلَيْهَا^(١)، وَكَانَ عَلَى الْخَلِيفَةِ أَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَيُوكَلِ الْأَمْرَ إِلَى الْأُمَّةِ، وَلَا يُمْكِنُ الْقَوْلُ هُنَا إِنَّ رُؤْيَا أَبِي بَكْرٍ فِي التَّنْصِيبِ كَانَتْ صَائِبَةً لِأَنَّهَا تَسْتَلْزِمُ تَخْطِئَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَهَذَا بَاطِلٌ إِجْمَاعاً.

إِذَنْ لِمَاذَا نَصَّبَ الْخَلِيفَةُ وَسَارَ عَلَى خِلَافِ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ - الَّتِي زَعَمُوا - بَلْ أَنَّهُ أَوْكَلَ الْأَمْرَ إِلَى عِثْمَانَ دُونَ كِبَارِ الْأُمَّةِ؟ حَتَّى عُدَّ هَذَا التَّصَرُّفُ أَحَدَ سَبَابِ الْاِخْتِلَافَاتِ الَّتِي حَصَلَتْ فِي الْأُمَّةِ كَمَا صَرَّحَ الشَّهْرِسْتَانِي.

٢ - وَقَدْ صَرَّحَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِيمَا بَعْدَ أَنْ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ فِي السَّقِيفَةِ وَمَا جَرَى فِيهَا كَانَتْ فِلْتَةً وَقَى اللَّهُ شَرَّهَا فَمَنْ عَادَ إِلَى مِثْلِهَا فَاغْتَلَوْهُ!^(٢)

وَهَذَا التَّصْرِيحُ يُؤَكِّدُ عَدَمَ الْإِجْمَاعِ أَوْ الشُّورَى فِي بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ وَبِنَفْسِ الْوَقْتِ يُؤَكِّدُ الْبَيْعَةَ الْعَفْوِيَّةَ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ.

وَأَيْضاً فَإِنَّ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ يُؤَكِّدُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى عَدَمِ التَّسَرُّعِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ وَعَلَى عَدَمِ اتِّخَاذِ قَرَارٍ مَرْتَجِلٍ يَكُونُ فِلْتَةً كَفِلَتَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَهَذَا يَعْنِي تَأْكِيداً ضَمْنِيّاً عَلَى الشُّورَى، أَوْ أَخْذِ رَأْيِ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَكِبَارِ الصَّحَابَةِ. إِذَنْ لِمَاذَا انْفَرَدَ أَبُو بَكْرٍ فِي تَعْيِينِ عُمَرَ؟ وَكَيْفَ رَضِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِهَذَا الْمَنْصَبِ وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الشُّورَى وَإِشْرَاكِ آرَاءِ النَّاسِ؟

إِذَنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ هِيَ أَيْضاً فِلْتَةٌ كَمِثْلِ الْفِلْتَةِ، لِأَنَّهَا تَتَّفَقُ مَعَ السَّقِيفَةِ فِي عِدَّةٍ

(١) أَقُولُ: حَتَّى صَرَّحَ عُمَرُ أَنَّ النَّبِيَّ مَاتَ وَلَمْ يَسْتَخْلَفْ فَقَالَ: وَإِنْ أَتَرَكَ فَقَدْ تَرَكَ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي.. انْظُرْ تَارِيخَ الطَّبْرِيِّ ج ٢ ص ٥٨٠.

(٢) تَارِيخُ الْيَعْقُوبِيِّ ج ٢ ص ١٥٨ وَالبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْحُدُودِ، بَابُ رَجْمِ الْجَبَلِيِّ ج ٤ ص ١٢٠.

قواسم مشتركة، فكما غابت الأمة الإسلامية في السقيفة بل كبار الأصحاب كذلك هنا عندما انفرد عثمان بأبي بكر في شأن الوصية والاستخلاف!!

٣- والعجب كل العجب أنهم - لاسيما عمر - أنكروا ردّ قول سيّد البشر وأشرف الخلق محمد ﷺ عندما أراد أن يكتب وصيته في الخلافة وزعم باطلاً أن النبي ﷺ يهجر.. أو غلبه الوجد.. بينما في أبي بكر الذي لم يختلف حال مرضه عن مرض النبي ﷺ فهو أيضاً أصيب بالغشية ومع ذلك لم يتفوه أحد من علماء السنة وقال إنه يهجر أو غلبه الوجد خصوصاً عمر الذي تصدى لكتاب النبي ﷺ فهل يحتفظ أبو بكر بقواه العقلية دون رسول الله والعياذ بالله؟ فاعتبروا يا أولي الأبصار.

سؤال أحد الحاضرين: لقد ذكرت مراراً أن أبا بكر استخلف عمر بن الخطّاب بطريقة بعيدة عن الإجماع والشورى ودون رأي الأمة أو الأكابر من الصحابة، فنرجو منك أن تذكر لنا هذه الطريقة من مصادرها؟

الجواب: لقد ذكر أكابر علماء السنة مثل الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل وابن أبي الحديد المعتزلي والذهبي في تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير... إلى آخره.

لما كان أبو بكر في مرض موته دعا عثمان بن عفّان واختلّى به فقال له اكتب هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أما بعد: ثم أغمي - أي على أبي بكر - فذهب عنه فكتب عثمان: أما بعد فأني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطّاب، ولم ألكم خيراً منه ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليّ فقرأ عليه فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلّنت نفسي في غشيتي؟ قال: نعم، قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله وأقرّها أبو بكر من هذا الموضع^(١).

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٥٣ ط دار الكتب العلمية، والكامل في التاريخ ج ٢

النتائج المترتبة على هذا الاستخلاف

وعندما سنُ أبو بكر هذه الطريقة التي لا تختلف عن الهرقية والبيروقراطية والفارسية آنذاك، كانت هذه السنة مفتاحاً وحجةً ومنهاجاً لبني أمية وبني العباس والفاطميين فيما بعد، الذين لم يحترموا الأمة، بل كانوا يعيشون في مستوى فوق مستوى الجماهير وكانت المناصب خاصة بهم ينصبون من شاءوا ويقومون بتوزيع الكراسي كما يحلو لهم دون أي اعتناء لرأي المسلمين وأكابر المؤمنين حتى حكم الفاسق والفاجر وشارب الخمر أمثال معاوية ويزيد... إلى آخره.

وهكذا فتح أبو بكر الطريق لكل خليفة - صالح أو طالح - أن يعين من شاء ويعتبره - هو - الأفضل ضمن حساباته الخاصة الخاطئة وبالتالي يتم تبرير كل شيء^(١).

وكانت أول نتائج هذا الأسلوب البعيد عن القرآن والسنة، هو يزيد بن معاوية، فكما أن أبا بكر استبدَّ برأيه الشخصي واستخلف عمر كذلك استبدَّ

→ ص ٢٧٣، ونهج البلاغة ج ١ ص ١٦٣ ط دار إحياء الكتب العربية.

(١) أقول: عندما بعث محمد بن أبي بكر رسالة إلى معاوية يشجبه فيها على عدائه وحربه لأمر المؤمنين علي^{عليه السلام}..

فأجابه معاوية: ... فقد كنّا وأبوك - يعني أبو بكر - فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحقه لازماً لنا مروراً علينا فلما اختار الله لنبيه ما عنده وأتم له ما وعده وأظهر دعوته وبلغ حجته وقبضه الله إليه فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزّه حقه وخالفه على أمره على ذلك اتفقاً واتسقا... أبوك مهّد مهاده وبني لملكه وساده فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك استبدَّ به ونحن شركاؤه ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب.. / مروج الذهب ج ٣ ص ١٢ ط دار الأندلس بيروت / المترجم.

معاوية برأيه وعين ابنه الفاجر الفاسق خليفة على المسلمين وأخذت البيعة من المسلمين جبراً، حتى راح ضحية هذا الظلم الإمام الحسين وأهل بيته وخُلص أصحابه الذين استشهدوا في كربلاء لما وقفوا بوجه يزيد لعنه الله، ثم سُبيت عياله إلى الشام كما تُسبى الكفار.

وبعد هذه الفاجعة كانت فاجعة الحرّة التي أباحها يزيد بالقتل والنهب والتعدي على الأعراض كما تقدّم ذلك، وبعدها كانت فاجعة الكعبة عندما أمر يزيد برمي الكعبة بالمنجنيق وقتل أهل مكة من أجل إخماد المعارضين والممتنعين من بيعته، ولم يكتفِ بكلّ ذلك بل كان يعلن كفره وارتداده عن الدين كما ذكر ابن الجوزي في التذكرة عن ابن عقيل قال: ومن جملة دلائل كفر وزندقة يزيد ما قاله من الشعر الذي يفصح فيه عن عقيدته الفاسدة وطيبته الخبيثة، فمن جملة ما أنشده:

عليه هاتي واعلني وترنمي	بذلك أنسي لا أحبّ التناجيا
حديث أبي سفيان قدماً سمى بها	إلى أحد حتى أقام البواكبا
ألا هات فاسقيني على ذاك قهوة	تخيّرنا العنسي كرمّاً شاميا
إذا ما نظرنا في أمور قديمة	وجدنا حلالاً شربها متواليا
وإن متُّ يا أمّ الأحيمر فانكحي	ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا
فإنّ الذي حدثت عن يوم بعثنا	أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا
ولابدّ لي من أن أزور محمداً	بمشمولة صفراء تروي عظاميا ^(١)

وهكذا كان له موقف أفصح فيه عن خسّته ونذالته عندما أدخلت عليه حرائر النبوّة وبنات الرسالة مع رأس سيّد الشهداء وسيّد شباب أهل الجنّة فاستخفّ به وأخذ ينكثه بعوده.

ينقل سبط ابن الجوزي عن جدّه أبي الفرج بن الجوزي يقول: ليس العجب من قتال ابن زياد الحسين عليه السلام وتسليطه عمر بن سعد على قتله والشمر وحمل الرؤوس إليه، إنّما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثناياه وحمل آل رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا على أفتاب الجمال وعزمه على أن يدفع فاطمة بنت الحسين عليها السلام إلى الرجل الذي طلبها وإنشاده أبيات ابن الزبيري^(١). وقد ذكرها أبو الفرج في كتاب (الردّ على المتعصّب العنيد المانع من ذم يزيد) والشيخ عبدالله بن محمّد بن عامر الشبراوي الشافعي في كتاب الإتحاف بحبّ الأشراف، والخطيب الخوارزمي في مقتل الحسين، وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص وآخرين غيرهم، قالها يزيد عندما وضع رأس الإمام الحسين عليه السلام أمامه في طست:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً	ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم	وعدلناه ببدرٍ فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل
لست من خندف إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل
قد أخذنا من عليٍّ ثأرنا	وقتلنا الفارس الليث البطل ^(٢)

وقد تناولت هذا الموضوع أعني كفر يزيد في كتاب ليالي بيشاور بشكل مفصّل^(٣).

فظهر لأهل الحقّ ولأهل العقل والإنصاف أنّ هذه الجرائم التي هزت الواقع

(١) المصدر السابق ص ٢٩٠.

(٢) تذكرة الخواص ص ٢٦٦.

(٣) ليالي بيشاور ص ٢١٤.

الإسلامي، تربّت كلّها على أثر أخطاء الأوائل، فلو لم يتبع أبو بكر هواه في استخلاف عمر لما وقعت هذه المصائب ولما صارت السنّة الجارية عند الخلفاء تنصيب أولادهم وكأنّ القضية تحوّلت إلى مملكة وراثية، أو ديكتاتورية عاتية.

كلّ هذا الانحراف أدّى بمرور الزمن إلى تمزّق الأُمّة وافتراق أبنائها إلى مذاهب وفروق وطوائف على أثر التحوّلات السياسيّة البعيدة كلّ البعد عن سيرة وسُنّة النبي ﷺ.

إذن نخرج معكم بنتيجة من كلّ هذا الكلام وهي أنّ أبا بكر الذي ادّعى أنّ النبي ﷺ مات وترك أمر الاستخلاف إلى الأُمّة وكذلك ادّعى ذلك عمر بن الخطّاب، كلاهما خالفا هذه السيرة التي زعموها وعملا برأيهما الشخصي وتربّت على آرائهما الشخصية ويلات وويلات.

الشورى العمرية

ثمّ جاء عمر بن الخطّاب بطريقة جديدة غير التي ابتكرها الخليفة الأوّل؛ إنّ هذه الطريقة لا تمتاز بكونها مخالفة للإسلام وللقوانين العالميّة فحسب، بل للذوق البشري أيضاً.

فمثلاً طريقة اختيار وانتخاب الرئيس في الدول الديمقراطيّة يتمّ بإشراك الجماهير كلّها ومن ثمّ يتمّ فرز الأصوات، بشكل دقيق وتحت المراقبة للحيلولة دون احتواء الموقف أو التزوير أو الاحتيال..

وأما المرشّحون للرئاسة فإنّ كلّ حزب يرشّح واحداً وهكذا يتمّ التنافس الإيجابي إلى أن يفوز بها من يجمع أكثر الأصوات، وهكذا الأمر في المجالس النيابيّة أو البلديات..

وأكثر من ذلك فإنَّ المستبذِّين إذا أرادوا أن يسيطروا على الانتخابات ويعيّنوا الرئيس بالقوّة، فإنّهم يمارسون استبدادهم ضمن الانتخابات لا أنّهم يلغونها أو يحرمون الناس من حقّ المشاركة، فيعملون مثلاً على تزييف الانتخابات بشكل أو بآخر وهذا يعني حرصهم على إقامة الانتخابات الحرة واشراك الجماهير فيها وإن كانت صوريّة.

ولكن عندما نأتي إلى الشورى التي أقامها عمر بن الخطّاب وهي طريقته الجديدة لاستخلاف الذي بعده، نجد أنّ الشورى العمرية لا هي موافقة لسيرة وسنّة النبي ﷺ ولا أنّها موافقة للانتخابات الديمقراطية الحقيقية أو الصوريّة، بل هي حالة ثالثة جديدة أشبه بالخُشْنَى.

فقد ذكر المؤرّخون أنّ عمر بن الخطّاب لمّا طعن جاءه بعض الناس وقالوا له: لو استخلفت؟ فقال: لو كان أبو عبيدة ابن الجراح حيّاً استخلفته فإن سألتني ربّي قلت: سمعت نبيّك يقول: إنّهُ أمين هذه الأُمّة، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً استخلفته فإن سألتني ربّي قلت: سمعت نبيّك يقول: إنّ سالمًا شديد الحبّ لله، فقال له رجل: أدلّك عليه، عبدالله بن عمر فقال: ... كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته.

ثمّ قال عمر: وانظر فإن استخلفت فقد استخلف من هو خير منّي وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي ولن يضيع الله دينه، فخرج القوم من عنده ثمّ عادوا إليه فقالوا: لو عهدت عهداً؟ فقال: كنت أجمعت بعد مقاتلي لكم أن أنظر فأولّي رجلاً أمرّكم هو أحرّاكم أن يحملكم على الحقّ وأشار إلى عليّ عليه السلام^(١).

ثمّ غيّر رأيه فقال: عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ﷺ: إنّهم

من أهل الجنة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ولست مدخله ولكن الستة: علي وعثمان وعبد الرحمن وسعد بن أبي وقاص والزبير وطلحة فليختاروا منهم رجلاً^(١).

ثم إنه عاب هؤلاء الستة!! فأقبل علي سعد بن أبي وقاص فقال: إنما أنت صاحب مقنب (جماعة الخيل) من هذه المقانب تقاتل به وصاحب قنص وقوس وأسهم وما زهرة والخلافة وأمور الناس!

ثم أقبل علي عبد الرحمن فقال: فلو وزن نصف إيمان المسلمين بإيمانك لرجح.. ولكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك وما زهرة وهذا الأمر، ثم أقبل علي علي^{عليه السلام} فقال: الله أنت لولا دعاية فيك أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء، ثم أقبل علي عثمان فقال: هيباً إليك كأنني بك قد قلدتك قریش هذا الأمر لحبها إياك فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس وأثرتهم بالفيء...^(٢).

وأما طلحة فقد مات رسول الله^ﷺ ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب، حيث قال طلحة: ما الذي يُغنيه حجابهن اليوم وسيموت غداً فننكحهن^(٣)، ولما وصل هذا الكلام لمسامع النبي تأثر كثيراً وغضب على طلحة إلى أن مات.

(١) المصدر نفسه.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ١٨٦، دار إحياء الكتب العربية.

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٨٦، دار إحياء الكتب العربية.

قال ابن أبي الحديد: قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ: لو قال لعمر قائل: أنت قلت: إن رسول الله^ﷺ مات وهو راض عن هؤلاء الستة فكيف تقول الآن لطلحة: إنه مات ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها، لكان رماه بمشاقصه / المترجم.

ثم قال عمر لأبي طلحة الأنصاري: يا أبا طلحة، إن الله طالما أعز بكم الإسلام فاختر خمسين رجلاً من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم وقم على رؤوسهم فإن اجتمع خمسة وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما، وإن رضى ثلاثة رجال و ثلاثة رجال فحكموا عبدالله بن عمر، فإن لم يرضوا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع فيه الناس^(١).

فهذه هي الشورى العمرية وهي مختزلة في كلمة واحدة: إما أن توافق ولا قتلناك.

دراسة حول الاختلاف التاسع - الشورى العمرية

أولاً: من الخطأ أن نطلق اسم - الشورى - على ما قام به عمر في مرض موته حينما أمر بعقد ذلك المجلس الذي ضم ستة رجال، إذ تم به عزل قرار الأمة جميعاً وسلب حق الاختيار والانتخاب منها وحصر القضية في ستة أشخاص حددهم لا غير وهذا الطرح الجديد لون آخر من ألوان الدكتاتورية وفرض الرأي وقهر الناس.

ثانياً: وما يشير العجب والدهشة أن عمر حدّد هؤلاء الستة على أساس أنهم الأفضل من بين مئات الآلاف أو الملايين من المسلمين في الحجاز والعراق واليمن والشام... الحال أن بعض هؤلاء الستة لا يملك الكفاءة التي تؤهله لاستلام المنصب مثل عثمان بن عفان - بل تاريخه وقتله وسياسته .. تشهد بذلك - وبعضهم كان يبحث عن نفسه وموقعه فيحاول أن يسجل لنفسه حضوراً مثل الزبير وطلحة الذين أبديا خيائتهما فيما بعد عندما حاربا علياً عليه السلام، وهكذا

(١) الكامل. ج ٢. ص ٤٦١، و شرح النهج ج ١ ص ١٩١، دار احياء الكتب العربية.

ألغى عمر بقيّة الأصحاب الأجلّاء من المشاركة في هذا المجلس كالعبّاس وابنه حبر الأمة وأفاضل بني هاشم والمهاجرين والأنصار، فأَيُّ شورى هذه؟ وأين تجد لها نظيراً في عالم الأديان أو القوانين الوضعية؟

ثالثاً: ومن التناقضات أن عمر قال إن رسول الله ﷺ مات وهو راض عن هؤلاء الستّة ثم قال: إن رسول الله ﷺ مات وهو غاضب على طلحة!! وهو أحد هؤلاء الستّة، فما هي حقيقة الحال؟ مع علمنا وقطعنا بأن النبي ﷺ لا يفعل المتناقضات، فمن أين هذا التناقض؟^(١)

رابعاً: ثم إن عمر قال: إن رسول الله ﷺ مات وهو راض عن الستّة ثم هو - عمر - غاب هؤلاء الستّة كلّهم!، فإذا كانوا في نظره أصحاب عيوب كيف أجاز لنفسه أن يحدّدهم دون سواهم؟

خامساً: هذا وقد أجمع المسلمون أن عليّاً أفقه الناس وأعلمهم وأشدّهم إيماناً وورعاً وبطولة... ومع ذلك كلّه كان عمر يتمنّى لو أن أبا عبيدة حاضر لولّاه الأمر!! أو سالم مولى حذيفة، فما هي سوابق أبي عبيدة إذا قيسست مع الإمام عليّ عليه السلام؟ لماذا هذا الإصرار على بعض الرجال دون الأكفّاء، وإذا عيّن الأكفّاء أشرك معهم من هم أدون منهم^(٢).

(١) راجع شرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ١٨٦، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) وهناك إشكال آخر على الشورى العمرية ذكره المؤرّف في كتابه ليالي بيشاور ص ٨٨٣ قال:

ونتساءل: بأيّ ملاك وعلى أيّ استناد شرعي وعرفي وعقلي ونظري يكون رأي ابن عوف مقدّماً على رأي الآخرين وأصوب؟

- وذلك لأنّ عمر أعطى لعبد الرحمن بن عوف صوتين دون البقيّة -

وكيف يكون رأي الثلاثة الذين فيهم ابن عوف نافذاً والثلاثة الأخرى إن لم توافق

اعتراض أحد الحاضرين : ما هو المانع أن يتمنى الخليفة حضور أحد الرجال الأكفاء؟

الجواب : إننا لا ننقد أصل الأمانة ولكن نقول مع وجود أعدل القرآن وهم أهل البيت وأبرزهم الإمام علي عليه السلام ، وهكذا وجود أكابر الصحابة الذين هم أفضل من أبي عبيدة بمرات ومرات وفي مختلف المستويات ، لماذا مع كل ذلك يصّر الخليفة على تقديم أبي عبيدة ويتمنى وجوده؟ ويسعى لأن يقدمه فيما لو كان حياً على من هم أفضل منه وكان يفرض خلافته على المسلمين بالقوة كما نال الخلافة من هو قبله وكما نالها هو .

سؤال أحد الحاضرين : من تعتقد أفضل من أبي عبيدة ومن بقيّة الصحابة ولديه الكفاءة لهذا المنصب؟

الجواب : إنّه إمام المتّقين ويعسوب المسلمين وقائد الغرّ المحجلّين كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك^(١) ، إنّه علي بن أبي طالب عليه السلام .

اعتراض أحد الحاضرين : ألا يُحتمل أن أبا عبيدة كان في نظر الخليفة أفضل من علي عليه السلام؟

الجواب : إن عمر كان علي علم تامّ بلياقة وكفاءة أمير المؤمنين علي عليه السلام وأنه أفضل الأصحاب على الإطلاق فضلاً عن أبي عبيدة وقد صرح عمر بذلك

→ فمصيرهم القتل والإعدام!

ومن دواعي التعجب والاستغراب تقديم رأي عبد الرحمن بن عوف على رأي أبي الحسن علي عليه السلام في مثل هذا الأمر مع روايتهم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : علي مع الحقّ والحقّ مع علي ...

.. كل عاقل منصف له أدنى إلمام بأمور الدولة والسياسة يعرف سريرة عمر وغرضه من هذا الأمر وهو الإطاحة بعلي عليه السلام وخذلانه ... / المترجم .

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ج ٣ ص ١٤٨ رقم ٤٦٦٨ / المترجم .

في غير مرة وأخيرها في نفس مرض موته حينما قال: «قد كنت أجمعت بعد مقاتلي لكم أن أنظر فأولّي رجلاً أمركم هو أحراركم أن يحملكم على الحق وأشار إلى عليّ».

ومضافاً إلى هذا التصريح فأنا أسألكم هذا السؤال:

أيهما مقدّم في تشخيص وتحديد الأفضل والأحسن والأكفأ من الأصحاب هل النبي ﷺ أم عمر بن الخطاب؟

الجواب: لا شك أن النبي ﷺ هو المقدّم، بل هو الأولي من جميع الجهات، فإذا كان هذا هو الجواب المتعين فنقول: لماذا ترك النبي ﷺ أبا عبيدة وأبا بكر وعمر وآخرين، واستخلف على الأمة عليّ بن أبي طالب؟ فهل تقدّم اختيار وانتخاب عمر، أم تقدّم ما اختاره النبي ﷺ؟ إذن الشك الثاني هو المتعين قطعاً فيكون عليّ عليه السلام هو الأولي من غيره بالخلافة.

سؤال أحد الحاضرين: أين ومتى استخلف النبي ﷺ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام اذكر لنا أدلة ذلك؟

الجواب: مثلاً أذكر لكم هذا الدليل، في غزوة تبوك عندما أراد النبي ﷺ أن يتحرك مع الجيش الإسلامي إلى تبوك صوب الشام جعل علياً عليه السلام على المدينة المنورة واستخلفه فيها - وهي الغزوة الوحيدة التي لم يشترك فيها الإمام عليّ -.

اعتراض أحد الحاضرين: يُحتمل أن يكون هذا الاستخلاف ناتج عن عدم الاحتياج إلى وجود الإمام عليّ في تبوك لوجود أبي عبيدة وأبي بكر وعمر وعثمان ... الخ، فمع وجود هؤلاء لا حاجة إلى وجود الإمام عليّ عليه السلام ولهذا تركه النبي ﷺ في المدينة وجعله والياً ونائباً عنه ﷺ.

الجواب: أولاً عليكم أن تعرفوا أن النتائج التامة والموافقة للحقيقة والواقع لا يمكن أن تُبنى على الاحتمالات والفروض غير الواقعية.

وثانياً: أجمع المسلمون أن الحاجة إلى الإمام علي عليه السلام في الحروب ملحّة جداً فهو السبب الكبير في انتصار المسلمين في بدر الكبرى، وكذا في غزوة أحد وخيبر وحنين مع وجود كل الصحابة لاسيّما من ذكرتم، إذ لم يثبت في بعض هذه الغزوات إلا علياً عليه السلام وكانت الفتوح تتم على يديه، حتّى نادى جبرئيل بين السماء والأرض في غزوة بدر الكبرى «لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار»^(١).

وقد ذكر المؤرخون عامة أن علياً عليه السلام كان أرمداً في فتح خيبر فبعث النبي صلى الله عليه وآله أبا بكر فعاد منهزماً ثم بعث عمر فعاد منهزماً فقام النبي صلى الله عليه وآله وقال: لأعطين الراية غداً رجلاً كزّاراً غير فزار يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

فدفع الراية لعلي وكان أرمداً فبصق في عينيه فشفي وفتح الحصن بعدما قتل عظماء وأبطال اليهود أمثال مرحب والحارث وعلقمة وهشام...^(٢) وقد دَوَّن

(١) المناقب للخوارزمي ص ١٠٣ وكفاية الطالب باب ٦٩ ص ٢٧٧.

(٢) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير في باب دعاء النبي ج ٢ ص ١٠٠ ط مصر عام ١٣٢٠هـ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٥٣ وصحيح مسلم ج ٢ ص ٣٢٤ ط مصر عام ١٣٢٧هـ والنسائي في الخصائص والترمذي في السنن ج ٥ ص ٣٠١ والإصابة ج ٢ ص ٥٠٨ ومحدث الشام في تاريخه وابن حنبل في مسنده وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٥ وتذكرة الخواص ص ٢٤ وكفاية الطالب الباب ١٤ ومطالب السؤل وحلية الأولياء والطبراني في الأوسط والراغب الاصفهاني ج ٢ من المحاضرات ص ٢١٢ وينابيع المودة باب ٦، هذه المصادر ذكرها المؤلف. وإليك مصادر أخرى:

الصحيح المسند من فضائل الصحابة للعدوي أخرجه عن أحمد في الفضائل ج ٢

الشعراء هذه البطولة في أشعارهم التي ذكر بعضها ابن الصبّاغ المالكي في
الفصول المهمة والشافعي في كفاية الطالب عن حسان بن ثابت قال حينها:

وكان عليّ أرمد العين يبتغي دواء فلماً لم يحسّ مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة فبورك مرقياً وبورك راقيا
وقال سأعطي الراية اليوم فارساً كميأ شجاعاً في الحروب محاميا
يسحب الإله والإله يسحبه به يفتح الله الحصون الأوابيا
فخصّ بها دون البرية كلّها عليّاً وسمّاه الوصيّ المؤاخيا^(١)

وجاء القرآن الكريم مشيراً إلى دور علي عليه السلام في غزوة الأحزاب بقوله
تعالى: ﴿وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾^(٢) فقد ذكر السيوطي في
تفسيره والكنجي الشافعي في الكفاية والشيخ سليمان في الينابيع مسنداً عن
عبدالله بن مسعود - وهو أحد كتّاب الوحي - كان يقرأ هذه الآية هكذا: وكفى الله
المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب^(٣) وكانت المناسبة هي غزوة الخندق عندما

→ ص ٣٨٤ والنسائي في الخصائص والقطيعي في زيادات الفضائل رقم ١٠٤٤
والطيالسي ومسلم رقم ٢٤٠٥ والبخاري رقم ٣٧٠٢ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥
ومسند أحمد ج ١ ص ١٦٠ رقم ٧٨٠ ومعجم الطبراني الكبير ج ١ ص ١٠٦ رقم ١٧٣
ومصابيح السنة للبخاري ج ١ ص ٥١٦ والصواعق المحرقة ج ٢ ص ٣٥٤ مؤسّسة
الرسالة بيروت ومجمع البحرين في الزوائد ج ٣ وكتاب السنة للشيباني ص ٥٨٩
وص ٥٩٤ وتاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء ص ٦٢٥ والاستيعاب ج ٣...
وتاريخ الخلفاء للسيوطي - الأحاديث الواردة في فضل علي - وزاد المعاد ج ٢
ص ١٤٩، وفضائل الصحابة لأحمد ج ٢ ص ٥٨٤ وص ٥٩٣ وص ٦٠٢ وص ٦٠٤
وص ٦١١ وص ٦١٧ وص ٦١٨.

(١) الفصول المهمة ص ٢١ نقله عن الصحاح السّنة، وكفاية الطالب ص ٣٨ باب ١٤.

(٢) الأحزاب: ٢٥.

(٣) الدرّ المنتور ج ٥ ص ١٩٢ وكفاية الطالب باب ٦٢ وقال: ذكره غير واحد من

نادى عمرو بن عبد ود العامري في المسلمين ألا من مبارز؟ فلم يجبه أحد سوى علي بن أبي طالب عليه السلام وكان لا يجسر على مبارزته أحد فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينادي: مَنْ لهذا الكلب؟ ولا يجيبه أحد إلا علياً عليه السلام، ثم قام إليه وعممه بعمامته وقال: برز الإيمان كله إلى الشرك كله، وقال: رب لا تذرني فرداً اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه. فتقدم علي إلى عمرو وقتله وأتى برأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: أبشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لرجح عملك بعملهم^(١) فنزلت آية «وكفى الله المؤمنين القتال».

وقد عمم القرآن هذه النصرة بشكل عام من قبل الإمام علي عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى: «هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين»^(٢).

فقد ذكر السيوطي والكنجي الشافعي مسنداً وأيضاً عن تفسير ابن جرير وتاريخ ابن عساكر في ترجمته للإمام علي عليه السلام والشيخ سليمان في ينابيع المودة عن أبي هريرة وابن عباس ونقلاً عن الحافظ أبي نعيم بسنده عن ابن عباس وأبي هريرة كلهم ذكروا حول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: رأيت مكتوباً على العرش لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد عبدي ورسولي أيدته ونصرته بعلي بن أبي طالب^(٣).

→ أصحاب التفسير والسير وهذا سياق ابن عساكر في تاريخه، وينابيع المودة ص ٩٤ باب ٢٣.

(١) كنز العمال ج ١١ رقم ٣٥٠٣٥.

(٢) الأنفال: ٦٢.

(٣) الدرر المشور ج ٣ ص ١٩٩ وكفاية الطالب باب ٦٢ وينابيع المودة باب ٢٣ ط اسلامبول ونظم درر السمطين القسم ٢ من السمط الأول ومختصر المحاسن

إذن يتّضح لكم من هذه الشواهد القليلة أنّ الحاجة إلى وجود الإمام عليّ عليه السلام في كلّ غزوة مهمة جداً وأنّ وجود الكمّ الهائل من الصحابة والمسلمين لا يسدّ الخلل، وهذا الاحتياج ناتج على أثر كمالاته الفائقة على غيره مجموعاً وأفراداً.

حديث المنزلة

من الأدلة الواضحة على خلافة النبي ﷺ لعليّ عليه السلام هو حديث المنزلة الذي قاله ﷺ عندما استخلف الإمام علياً عليه السلام على المدينة فتكلّم المنافقون في ذلك فجاء الإمام عليّ عليه السلام إلى النبي ﷺ وسأله عن سبب إبقائه في المدينة - وذلك لكي تنتهي تخريصات أهل النفاق - حينها قال النبي ﷺ: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي^(١).

→ المجتمععة للصغوري ص ١٦٧ وكنز العمال ج ١١ ص ٦٢٤ وعزاه للطبراني في الكبير / المترجم.

(١) أجمع الشيعة على تواتر هذا الحديث وهكذا تواتر من طرق أهل السنة فقد ذكره البخاري في صحيحه ج ٧ ص ١٢٠ في كتاب المغازي باب غزوة تبوك وذكره في كتاب بدء الخلق في مناقب عليّ، وصحيح مسلم ص ٢٣٦ ج ٢ ط مصر عام ١٢٩٠ هـ وفي فضائل عليّ، وأحمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ١٦٠ رقم ٧٨٠ وكنز العمال ج ١١ رقم ٣٢٩٣١ ورقم ٣٢٨٨١ والنسائي في الخصائص، والإصابة ج ٢ ص ٥٠٧ والصواعق المحرقة ج ٢ ص ٣٥٤ ط مؤسسة الرسالة، والمستدرك للحاكم ج ٣ رقم ٤٦٥٢ ص ١٤٣، وتاريخ الخلفاء للسيوطي فصل الأحاديث الواردة في فضل عليّ، والعقد الفريد ج ٢ ص ١٩٤، والاستيعاب ج ٣ ص ٢٠١ دار الكتب العلمية وطبقات ابن سعد والفخر الرازي في تفسيره والطبري في تاريخه ج ٢ ص ١٨٣ أحداث

→ غزوة تبوك وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٠١ وتاريخ بغداد والمناقب لابن المغازلي وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٦ ط مصر، وابن كثير الدمشقي في التاريخ وعلاء الدولة السمناني في العروة الوثقى، والخطيب الخوارزمي في المناقب ص ٧٩ وجامع الأصول للشيباني وتهذيب التهذيب ونور الأبصار للشبلنجي ص ٦٨ ومطالب السؤل ص ٧ ومودة القربى في المودة ٧ وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمة ص ٢٣ وص ١٢٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٦ وص ١٤٨ ومروج الذهب ج ٢ ص ٤٩ والمحاضرات للأصفهاني ج ٢ ص ٤١٢ والرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٢ والزرقاني في المواهب ج ٣ ص ٦٩ والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١١ والكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص ٢٨ وينابيع المودة باب ٦ و ٩ و ١٧ ذكر فيها ١٨ خبر عن الصحاح، والسيوطي في رسالة الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة فقد صرح بتواتره وقال عنه الحافظ الكنجي في الكفاية: هذا حديث متفق على صحته رواه الأئمة الأعلام الحفظة كأبي عبدالله البخاري في صحيحه ومسلم في صحيحه وأبي داود في سننه والترمذي في جامعه والنسائي في سننه وابن ماجه في سننه واتفق الجميع على صحته حتى صار ذلك إجماعاً منهم، وقال الحاكم النيشابوري هذا حديث دخل في حدّ التواتر.

والملفت للنظر أنّ المتقي الهندي ذكره في الكنز ج ٦ ص ٣٩٥ وابن الصبّاغ في الفصول المهمة ص ١٢٦ نقلاً عن الخصائص الكبرى وإمام الحرم في ذخائر العقبي وابن أبي الحديد المعتزلي في الشرح ج ٣ ص ٢٥٨ من نقض العثمانية والسمرقندي الحنفي في المجالس والذهبي في الرياض النضرة والبلخي الحنفي في ينابيع المودة بعبارات متفاوتة وألفاظ مختلفة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب نفسه قال: كفوا عن ذكر علي بن أبي طالب فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول في عليّ ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ منّا طلعت عليه الشمس: كنت وأبو بكر وأبو عبيدة ونفر من أصحاب رسول الله ﷺ والنبي متكى على عليّ ﷺ

فقد نصّ الحديث على مساواة موقع الإمام عليّ عليه السلام مع موقع ومنصب النبيّ هارون عليه السلام حتّى تمنّى الخليفة عمر وغيره^(١) أن تكون إحدى هذه الخصال الثلاثة فيه وهي عنده أفضل ممّا طلعت عليه الشمس أي أفضل من الدنيا وما فيها.

إذن مع وجود هذا الرجل العظيم الذي هو بمقام هارون النبيّ عليه السلام لماذا أعرض عنه عمر وتمنّى وجود أبي عبيدة مع الإجماع التام لدى كلّ المسلمين أن أبا عبيدة لم يكن بمقام هارون؟

بل لماذا يغالط عمر بن الخطّاب نفسه ويقول: سمعت النبيّ ﷺ قال عن أبي عبيدة أنّه أمين هذه الأمة، فعلى فرض صحّة هذا القول يكون أبو عبيدة حائزاً على مقام وخصلة واحدة بينما حاز أمير المؤمنين عليه السلام كلّ الكمالات النفسيّة والصفات الملكوتيّة ومع ذلك يعرض عنه عمر، بل يجعله بمساواة من هم دونه بكثير، أي أنّه جعل هارون النبيّ بمنزلة عبد الرحمن وسعد وعثمان.. فأنيّ منصف يقبل هذا؟

بل إنّهُ - عمر - جعل النبيّ ﷺ الأكرم بمنزلة عثمان وسعد وعبد الرحمن و... وذلك لأنّ عليّاً نفس محمّد ﷺ بدليل آية المباهلة «وأنفسنا وأنفسكم» فعلى نفس النبيّ ﷺ، وكان عمر يعلم ذلك جيّداً^(٢).

أيمكن بعد كلّ هذا أن تقولوا: إنّ عمر لم تكن عنده أي خطّة ولم يقصد

→ حتّى ضرب على منكبه ثم قال: أنت يا عليّ أوّل المؤمنين إيماناً وأوّلهم إسلاماً، ثم قال: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى وكذب من زعم أنّه يحبني ويبغضك.

(١) وهو سعد ابن أبي وقاص / انظر سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٠١ وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٥ / المترجم.

(٢) الدر المنثور للسيوطي في تفسير آية المباهلة (٦١).

إزاحة الإمام علي عليه السلام؟ أبداً لا يمكن لأي منصف عاقل أن يدّعي ذلك، فانصفوا أيها المنصفون.

سادساً: وأيضاً تمنى عمر بن الخطاب فيما لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفه على المسلمين حيث قال: لو كان سالم حياً ما جعلتها شورى^(١). وعجيب كيف يناقض عمر نفسه، فإنه قال في السقيفة أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الخلافة في قريش لأنهم أولى بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفي مرض موته تمنى أن يجعلها في سالم، مع أن سالم كان من أهل فارس!! كما ذكره في الاستيعاب وأسد الغابة وغيرهما، وقد قُتل في معركة اليمامة.

إذن إما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل إن الخلافة في قريش كما زعم عمر، وإما أنه قال ولكن عمر يحب أن يخالف، إذ الأمر منحصر في هذين الغرضين.

مع أننا لا نجد لسالم هذا، ما لعلي بن أبي طالب وما لعمار وما لأبي ذر وما لسلمان وما لكبار الصحابة، فأين موقعه من هؤلاء الكبار؟ وما هي مواقفه؟ حتى يتجاوز عمر بن الخطاب كل هذا الكم الهائل من فطاحل الأمة ليتمنى وجود عبد محرّر لأبي حذيفة.

ولقد روي عن عمر نفسه فقط!! أنه قال: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً استخلفته فإن سألتني ربي قلت: سمعت نبيك يقول إن سالمأ شديد الحب لله^(٢). وكأنه يريد أن يقول إن ملاك الاستخلاف هو حب الله، وعلى مثل هذا القول ترد عدة نقوض على عمر:

أ- إن هذا القول أعم من قول عمر يوم السقيفة الأئمة من قريش. فإذا أردنا أن نعتبر الأخير مخصصاً لهذا العام أيضاً لا يحق لعمر استخلاف سالم حسب

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٠، دار إحياء الكتب العربية، والكامل ج ٢ ص ٤٥٩.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٠، دار إحياء الكتب العربية.

القواعد الأصولية.

ب - وإذا كان الملاك في الخلافة هو الحب فقد أجمع المسلمون على أن علياً عليه السلام هو الإنسان الوحيد الذي صرح النبي ﷺ بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله بشكل متواتر لا يختلف عليه أحد، بينما ما روي في سالم لم يروه إلا عمر، وبالتالي فيقدم التواتر على خبر الأحاد كما لا يخفى.

سؤال أحد الحاضرين: ما المانع أن يكون سالم محباً لله تعالى والإمام علي عليه السلام محباً لله تعالى ولكن الخليفة رأى مصلحة في تقديم سالم على الإمام علي عليه السلام؟

الجواب: أعتقد أنك لم تكن ملتفتاً إلى ما قلته قبل قليل:

أولاً: قلت إن البخاري وغيره ذكروا أن عمر قال في السقيفة أنه سمع من النبي ﷺ أنه قال: الأئمة من قریش، وعليه فلا تجوز خلافة غير القرشي، وسالم رجل أعجمي من بلاد فارس فكيف أراد الخليفة عمر استخلافه لو كان حياً؟!

ثانياً: وقلت أيضاً على فرض ثبوت ما روي عن طريق عمر أن سالماً شديد الحب لله تعالى، أن هذا خبر واحد ولأجله أراد عمر استخلافه، بينما يملك أمير المؤمنين العشرات من الأحاديث المتواترة لفظاً وعشرات من المتواتر إجمالاً ومئات من الأحاديث المتواتر معني^(١)، مع العشرات من الآيات القرآنية التي

(١) في سبب هذه الكثرة من الأحاديث النبوية في خصوص أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول السهمودي موضحاً: والسبب في ذلك أن الله تعالى أطلع نبيه ﷺ على ما يكون بعده ممّا أبطل به علي عليه السلام عنه وما وقع من الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة فافتضى ذلك نصح الأمة بإشهاده لتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسك به ممن

تشيد بمنزلته، فكيف اكتفى عمر بحديث واحد لسالم وترك جانب الإمام علي عليه السلام مع كل هذا الرصيد القرآني والنبوي؟

إن أهل التحقيق والإنصاف يقفون حيارى أمام هذه التصرفات بلا شك.

سؤال أحد الحاضرين: لو كان هذا الرجل العظيم حاضراً في موت عمر لما استثناء عمر وتمنى وجود غيره، بل لاستخلفه على الأمة.

الجواب: مع شديد الأسف أن هذا الرجل العظيم كان إلى جانب عمر في مرضه ولم يرغب عن الساحة الإسلامية أبداً.

سؤال أحد الحاضرين: إن هذا الأمر عجيب.. كيف يصرف الخليفة نظره عن هذا الرجل العظيم ويتمنى من هو أدون منه؟! فياحبذا أن نعرف لنا الشخص من خلال ذكر كل الكمالات الروحية والبدنية لهذا الرجل العظيم - علي عليه السلام؟

حديث الغدير

الجواب: أنا أقل بكثير من أن أذكر لكم جميع كمالات مولاي أمير المؤمنين عليه السلام أو أن أعرفه لكم، إذ يلزم أن يكون المعروف أجلى من المعروف، والحال إن هذا مستحيل مع أمير المؤمنين عليه السلام لأنه أوضح الواضحات وهو كالشمس في رابعة النهار.

فقد نزلت فيه ثلاثمائة آية من خلالها يمكن معرفته^(١) وأيضاً عرفه رسول

→ بلغته / انظر نور الأبصار للشبلنجي ص ٩١ نقلاً عن جواهر العقدين للسهودي / المترجم.

(١) كفاية الطالب باب ٦٢ ص ١٠٨ عن فقيه الحرمين وعن أكابر علماء أهل السنة كقاضي القضاة يحيى ابن قاضي القضاة أبي المعالي وإسماعيل بن محمد بن

الله ﷺ بكثير من الأحاديث والذي منها قوله ﷺ لعلي: إمام المتقين ويعسوب المسلمين وأمير المؤمنين^(١).

وكذلك نزلت آية البلاغ كأبرز مورد يمكن من خلالها معرفة الإمام علي عليه السلام ففي يوم ١٨ ذي الحجة في عام حجة الوداع نزل جبرئيل بقوله: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك فإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس»^(٢).

فقام رسول الله ﷺ في غدير خم وخطب خطبة طويلة وقال في نهايتها: معاشر الناس ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه^(٣).

→ عبد الرحمن المدائني ومحدث الشام في تاريخه عن ابن عباس قال: نزلت في علي بن أبي طالب ثلاثمائة آية...

(١) مَرِّ مصدره.

(٢) المائدة: ٦٧.

(٣) الطبري أبو جعفر في كتاب الولاية والسيوطي في الدر المنثور، ج ٢ ص ٢٥٩ والحافظ بن أبي حاتم الرازي في تفسيره الغدير، والحافظ أبو سعيد السجستاني في كتاب الولاية والقاضي الشوكاني في فتح القدير ج ٣ ص ٥٨ وبدر الدين الحنفي في عمدة القارئ ج ٨ ص ٥٨٤ والحافظ أبو عبدالله المحاملي في الأمالي وسيد جمال الدين الشيرازي في الأربعين وأبو نعيم الاصفهاني فيما نزل من القرآن في علي، والحافظ أبو بكر الشيرازي في نزول القرآن في أمير المؤمنين، والثعلبي في تفسير كشف البيان والرازي في مفاتيح الغيب ج ٣ ص ٦٣٦، والحافظ ابن مردويه في تفسير الآية والحافظ أبو القاسم الحسكاني في شواهد التنزيل وأبو الفتح النطنزي في خصائص العلوي وإبراهيم بن محمد الحموي في فرائد السمطين والآلوسي في تفسيره روح المعاني ج ٢ ص ٣٤٨ ومعين الدين المييدي في شرح

إذن فهذا أقوى الأدلة والملاكات التي يستحق بها أمير المؤمنين منصب الخلافة بعد أن نصبه النبي ﷺ ولياً وقائماً بأمر المسلمين إلا أنهم تنكروا له ولخلافته، فالذي لديه مثل هذه اللياقات السياسية والدينية المتقدمة على كل المسلمين أترى أن عمر يوم تجاوزه وذكرَ سالماً وهو لا يعلم بمثل مقامه عليه السلام؟ كلا وألف كلاً، بل كان عمر يعرف ذلك جيداً، وبالمقابل يعرف أن سالماً لا حيثية له أمام علي عليه السلام، ومع كل ذلك يجازف الخليفة ويتمنى وجود سالم!!

علي أفضل الصحابة مطلقاً

لقد ذكر مير سيّد علي الهمداني الشافعي في مودة القريب في المودة السابعة

→ الديوان ونظام الدين النيشابوري في تفسيره ج ٦ ص ١٧٠ والواحد في أسباب النزول ص ١٥٠ وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمة ص ٢٧ والشافعي في مطالب السؤل ص ١٦ والهمداني في مودة القريب المودة الخامسة، والشيخ سليمان البلخي في ينابيع المودة باب ٣٩ والقاضي روزبهان مع عناده ومجادته في الحق إلا أنه أقر بالحديث حيث قال: فقد ثبت هذا في الصحاح. / المؤلف ولتعميم الفائدة إليك هذه الواقعة:

في تفسير القرطبي في سورة «سأل سائل» أن الحارث بن النعمان لما قال النبي ﷺ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِي مِنْ وَالَاهُ... قال: يا مُحَمَّدُ أَمَرْتَنَا بِالشَّهَادَتَيْنِ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى فَقَبِلْنَا مِنْكَ وَأَمَرْتَنَا عَنِ اللَّهِ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فَقَبِلْنَا مِنْكَ وَذَكَرَ الْحَقَّ وَالزَّكَاةَ ثُمَّ لَمْ تَرْضَ حَتَّى فَضَّلْتَ عَلَيْنَا عَلِيًّا! اللَّهُ هَذَا قَتَلَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِكَ؟ قال: والله الذي لا إله إلا هو أنه من عند الله، فولى الحارث وهو يقول: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنْ عِنْدِكَ فَوَقَعَ عَلَيْهِ حَجَرٌ مِنَ السَّمَاءِ فَقَتَلَهُ / تفسير القرطبي ج ٧ ص ٣٨٦ ومختصر المحاسن المجتمعة ص ١٦٨ دار ابن كثير ونور الأبصار للشبلنجي ص ٨٧-٨٨ وفرائد السمطين ج ١ باب ١٥ / المترجم.

عن أحمد بن الكرزي البغدادي ينقل أنه سمع عبدالله بن أحمد بن حنبل أنه يقول: قلت لأبي: أي الصحابة أفضل أبو بكر أم عمر أم عثمان وسكت ثم قلت: يا أبت أين علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قال: هو من أهل البيت لا يقاس به هؤلاء^(١).
ويكمن السر في عدم جواز مقايسة الإمام علي عليه السلام بالصحابة هو أنه نفس محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما مر عليكم في آية المباهلة.

ومن الجدير ذكره أن صاحب المودة ذكر فيه ضمن المودة (٧٠) عن أبي وائل عن عبدالله بن عمر بن الخطاب قال: لما كنا في ذكر الصحابة فقلنا أبو بكر وعمر وعثمان، فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن فعلي عليه السلام ما هو؟ قال: علي من أهل البيت لا يقاس به أحد، وهو مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في درجته.

سؤال أحد الحاضرين: نرجو منك أن تذكر لنا بعض فضائل الإمام علي عليه السلام لكي نطابقها مع ما قاله عمر عن النبي (إن سالم شديد الحب لله) لكي نخرج بنتيجة.

الجواب: اتفق الفريقان على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صرح مراراً وتكراراً بكون الإمام علي عليه السلام أحب الخلق بعده صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله تعالى فمن هذه التصريحات الواضحة أذكر لكم هذين الشاهدين:

حديث الطائر المشوي

حديث الطائر المشوي روي من الفريقين وبطرق مختلفة، فقد روي عن أنس بن مالك وسفيانة مولى رسول الله وعبدالله بن عباس..

(١) جاء في ذخائر العقبين ص ١٧ قوله عليه السلام: «نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد» ومثله في فردوس الأخبار للدليمي ص ٣٧٣ رقم ٧٠٩٤، وكنز العمال ج ١٢ ص ١٠٤ رقم ٣٤٢٠١ / المترجم.

أَنْ أَمَّ أَيْمَنَ قَدُمْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَائِرًا مَشْوِيًّا لِيَأْكُلَهُ وَقِيلَ أَنْ يَأْكُلَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ دَاعِيًا وَقَدْ رَفَعَ يَدَيْهِ: اَللّٰهُمَّ اِنتَنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيَّ وَإِلَيْكَ حَتَّى يَأْكُلَ مَعِيَ مِنْ هَذَا الطَّيْرِ فَجَاءَ عَلِيٌّ فَأَكَلَ مَعَهُ.

وعلى رواية الحافظ النيشابوري وابن الصَّبَّاح المالكى في الفصول المهمة والكنجى الشافعى في الكفاية والحاكم النيشابوري ج ٣٠ ص ١٣٢ في المستدرک^(١) والذهبي في تلخيص المستدرک وآخرين كلهم ذكروا الحديث بهذا النحو:

... فقال النبي ﷺ: اَللّٰهُمَّ اِنتَنِي بِأَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ لِيَأْكُلَ مَعِيَ هَذَا الطَّيْرِ فَحَضَرَ عَلِيٌّ ثَلَاثًا وَأَنْسَ يَرَدُّهُ، بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي حَاجَةٍ فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ قَائِلًا: أَدْخِلْ يَا عَلِيٌّ فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: مَا أَبْطَأَكَ يَا عَلِيٌّ؟ قَالَ: هَذِهِ ثَالِثَةٌ يَرُدُّنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فِي حَاجَةٍ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ يَا أَنْسَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ دُعَاءَكَ فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَحْضُرَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ...^(٢).

(١) وفي الطبعة الحديثة ج ٣ ص ١٤٢ رقم ٤٦٥١.

(٢) سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٩٦ وتذكرة الخواص ص ٣٩ ومناقب الخوارزمي ص ٥٩ ومسند أحمد في فضائل علي وتاريخ المسعودي ج ٢ ص ٤٩ والحاكم النيشابوري في المستدرک ج ٣ ص ١٤٢ رقم ٤٦٥١ والذهبي في تلخيص المستدرک والخصائص للنسائي وابن الصَّبَّاح المالكى في الفصول المهمة ص ٢١ وينابيع المودة باب ٨ نقله عن سنن أبي داود والترمذي عن سفينة مولى رسول الله ﷺ وأنس بن مالك وابن عباس إلى أن قال: وحديث الطير حديث مشهور مروى به (٢٤) طريقاً عن أنس وقد أفرد الحافظ ابن عقدة ومحمد بن جرير الطبري كل واحد منهما كتاباً خاصاً عن تواتر أسانيد هذا الحديث وكذلك الحافظ أبو نعيم الأصفهاني له كتاب مفصل عن حديث الطير. وكفاية الطالب باب ٣٣ بعد أن ذكر

حديث الراية

وهذا هو الشاهد الثاني الدالّ بوضوح أنّ أحبّ الناس إلى الله تعالى هو الإمام عليّ عليه السلام بعد رسول الله ﷺ .

فقد ذكر الفريقان في أحداث خيبر أنّه ﷺ أعطى الراية لأبي بكر فعاد دون أن يفتح خيبر وهكذا أرسل ﷺ عمر بن الخطّاب فعاد فاراً، ثمّ قال: لأعطين الراية غداً رجلاً كرّاراً غير فزار يفتح الله على يديه يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، فتمنّى كلّ واحد أن يكون هو، فأعطاهما النبي ﷺ إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وفتح خيبر بعد أن قتل أبطال اليهود^(١).

فبعد هذين الشاهدين يتّضح لكم أنّ عليّاً عليه السلام أحبّ الناس إلى الله تعالى، ولم يصرح النبي ﷺ بمثل هذه الأحاديث عن أبي عبيدة أو سالم أو غيرهما،

→ الحديث بعدة طرق، قال: رواه المحاملي في الجزء التاسع من أماليه كما أخرجه سواء، وفيه دلالة واضحة على أنّ عليّاً أحبّ الخلق إلى الله وأدلّ الدلالة على ذلك إجابة دعاء النبي ﷺ فيما دعا به، انتهى.

أقول: هذه المصادر ذكرها المؤلف رحمه الله وإليك بقية مصادر هذا الحديث:

كنز العمال ج ٦ ص ٤٠٦ وذخائر العقبين ص ٦١ وأسد الغابة ج ٤ ص ٣٠ والرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٠ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٥ وحلية الأولياء ج ٦ ص ٣٣٩ وتاريخ بغداد ج ٣ ص ١٧١ ونظم درر السمطين القسم الثاني من السمط الأول ص ١٠١ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ وفضائل الصحابة لأحمد ج ٢ ص ٥٦٠ ط السعودية ومعجم الطبراني الكبير ج ١ ص ٢٥٣ رقم ٧٣٠ ومصابيح السنة للبغوي ج ١ ص ٥١٦ ومجمع البحرين للمهيمني ج ٣ وتاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء ص ٦٣٣ ط دار النشر العربي وغيرها / المترجم.

وحتى لو فرضنا جدلاً أنَّ ما قاله عمر عن أبي عبيدة وسالم كان صحيحاً ولكن يبقى عليُّ أحبَّ الناس إلى الله منهما فلماذا تجاوزه عمر ولماذا تمنى مَنْ هو دونه في الرتبة والإيمان والحب؟ فاقضوا أيها المنصفون؟

لاسيما مع ما روته عائشة حيث قالت: ما خلق الله خلقاً كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من علي بن أبي طالب.

وقد علّق الحافظ الكنجي بعد هذا الحديث قال: هذا حديث حسن رواه ابن جرير في مناقبه وأخرجه ابن عساكر في ترجمته^(١).

إذن عليٌّ هو الفرد الكامل بعد رسول الله ﷺ وهو المحبوب عند الله ورسوله أفلا يكفي هذا القرب المعنوي الفائق الذي حازه عليٌّ في أن يقدّمه عمر بن الخطّاب على جميع الصحابة، ما دام قد قدّمه الله ورسوله على الناس؟ والعجب من عمر عندما يأسف ويحزن على عدم وجود سالم وأبي عبيدة مع جلوس الإمام عليٍّ إلى جانبه، أفلا يدعوكم ذلك إلى التأمل في مثل هذه الأمور التي تدعو كلّ عاقل إلى إعادة النظر في أهداف عمر بن الخطّاب.

وقد حاول بعض علماء أهل السنّة أن يدافع عن عمر بن الخطّاب وأن يجد له عذراً فقال: إنَّ الخليفة اجتهد في هذه المسألة واجتهاده أوصله إلى ذلك. ولكن كلّ عاقل يدرك أنَّ القضية لا ربط لها بالاجتهاد، وأنها حتى لو كانت من هذا القبيل فإنّه اجتهد في مقابل النصّ، وهو باطل.

وثانياً: إنَّ اتصال رسول الله ﷺ بعالم الملكوت والوحي والعصمة واضح فيكون أتباعه أولئك من أتباع اجتهادات عمر وأبي بكر، وقد مرّت عليكم أحاديثه ﷺ في فضل عليٍّ لا سيّما ما مرّ عليكم من حديث المنزلة، فإنّه مع وجود كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار حتى أبي بكر وعمر وعثمان

(١) كفاية الطالب باب ٩١، ومطالب السؤل، ج ١، ص ٧٣، ط: أم القرى ١٤٢٠ هـ.

وأبي عبيدة و... لم يجعل أحداً منهم بمقام هارون كما جعل هذا المنصب لعلي في حديث المنزلة إشارة منه إلى لياقته وكفاءته في الخلافة، بينما نجد عمر يتجاوز هذا الرجل العظيم ويرغب في سالم وأبي عبيدة وكان قد جرى في فكره أنهما أفضل رجال الأمة على الإطلاق إذ لو كان أحدهما موجوداً لما جعلها شورى، متجاوزاً في ذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي له ما له من الفضائل والمقامات.

فعلَيْكم أن تفكروا وتسالوا أنفسكم هذا السؤال: لمن نتبع، هل نتبع من أجاد به الله ورسوله ﷺ وهو علي عليه السلام أم نتبع من أجاد به عمر بن الخطاب؟ وسيكون الجواب بلا أدنى شك: إننا نتبع من أجاد به الله ورسوله في الأحاديث والآيات، إذن لماذا خالف عمر هذه الأحاديث؟ وأنتم تعلمون أن هذه المخالفة عبارة عن مخالفة رسول الله ﷺ فاعتبروا يا أولي الأبصار.

سابعاً: مضافاً إلى الإشكالات التي أوردتها على الشورى العمرية وعلى ضياع حق علي عليه السلام الذي أضاعه عمر بن الخطاب بهذه الشورى، تعالوا معي لنلاحظ أن عمر كان يسعى إلى أشد من ذلك فهو عمل على التقليل من شأن الإمام علي عليه السلام وتضييع حقوقه كاملة، فإنه قد جعل لعبد الرحمن بن عوف ولاية على الجميع وجعل علياً عليه السلام على عظمته تابعاً لعبد الرحمن بن عوف فأمر أعضاء الشورى أن يتبعوا المجموعة التي فيها عبد الرحمن فإنه قد وهبه صوتين بينما لم يجعل لغيره مثل هذه الميزة مما يعني أنه جعل أصل القضية والحل والعقد كله بيد عبد الرحمن، بينما لو فتشنا التاريخ برمته لما وجدنا شاهداً واحداً في حياة رسول الله ﷺ أنه جعل لعبد الرحمن ولاية أو سلطة أو حق تقدم على علي عليه السلام فكان الأجدر بعمر أن يأمر أعضاء الشورى باتّباع أمير المؤمنين علي عليه السلام لأنه على المحجة البيضاء كما صرح هو - عمر - إلا أنه صادر حقه، بل أنه لم يترك أعضاء الشورى بحرية كاملة ليختاروا ويصوّتوا وإنما

مارس الظلم والاستبداد حتى هنا، فلماذا وهب لعبد الرحمن صوتين دون غيره؟ هل لأنه أكبرهم سنًا؟ فهذا مرفوض لأن الكرامة والتقدم بالتقوى لا بالسن.

وأكثر من هذا كله فإنه أشار إلى قتل علي عليه السلام فيما لو خالف هذه الطريقة والشورى.

سؤال أحد الحاضرين: في أي مكان أمر الخليفة بقتل علي عليه السلام؟
الجواب: نعم لم يصرح الخليفة بقتل علي باسمه ولكن هذا يظهر لكم من مجموع ما قاله عمر.

سؤال أحد الحاضرين: نرجو منك أن تفتح لنا هذا البحث أكثر وتدُلنا على مثل هذه الأمور الخطيرة.

الجواب: لو نظرتم بنظر الباحث المدقق إلى قول عمر هذا: فإن اجتمع خمسة - أي من أعضاء الشورى الستة - وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما وإن رضي ثلاثة وأبى ثلاثة فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين^(١).

وهذه الطريقة الإرهابية في ممارسة الحكم لم يأت بها الله في قرآنه ولا رسول الله ﷺ في بياناته، ومما لا شك فيه أن الذي سوف يخالفها هو علي عليه السلام لأنه مع الحق دائماً وعليه فسيكون القتل محتوماً عليه من هذه الجهة. ولأن عبد الرحمن صهر عثمان فإنه يميل إلى صهره والأخير يميل إليه أيضاً وهكذا سعد بن أبي وقاص لأنه من المخالفين لعلي عليه السلام حتى أنه لم يبايعه في خلافته فيما بعد - ستأتي الإشارة إلى ذلك - وبذلك ستكون جبهة عبد الرحمن ثلاثة رجال فيكون الفوز من نصيبهم لوجود عبد الرحمن ولا يحق للآخرين

الاعتراض لأنهم سيقتلون إذا اعترضوا أو خالفوا، وبالتالي هو - عمر - أمر بقتل علي عليه السلام بشكل ضمني، والعجب منه حيث جعل عبد الرحمن هو الفارق بين الفريقين مع أنه روي عن رسول الله ﷺ تكراراً أن علياً هو الفارق بين الحق والباطل وهو المحور الذي يلتف حوله أهل الحق.

سؤال أحد الحاضرين: بأي دليل تقول أن علياً عليه السلام هو الفارق وهو المحور للحق؟

الجواب: الأدلة على هذا كثيرة منها قوله ﷺ: ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب، إنه أول من يراني وأول من يصفحني يوم القيامة وهو معي في السماء العليا وهو الفاروق بين الحق والباطل^(١).

وأيضاً ذكر أكابر أهل السنة حديثاً مستنداً عن سلمان وأبي ذر الغفاري روي عن رسول الله ﷺ أنه قال مشيراً إلى علي عليه السلام: إن هذا أول من آمن بي، وهو أول من يصفحني يوم القيامة وهو الصديق الأكبر وهذا فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل وهذا يعسوب المؤمنين^(٢).

وأيضاً في العديد من الأخبار وبألفاظ مختلفة روي عن رسول الله ﷺ

(١) مودة القربى للهمداني الشافعي المودة الخامسة، وينابيع المودة باب ١٦، وذكره إمام الحرم أبي جعفر أحمد بن عبد الله الشافعي في الحديث ١٢ من السبعين في فضائل علي عليه السلام، وكفاية الطالب باب ٤٤، وفردوس الأخبار. المؤلف.

أقول: ذكره المتقي الهندي في كنز العمال ج ١١ ص ٦١٢ رقم ٣٢٩٦٤ / المترجم.

(٢) كنز العمال ج ١١ رقم ٣٢٩٩٠ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢، وكفاية الطالب باب ٤٤ وفي ذيله «والمال يعسوب الظلمة وهو الصديق الأكبر وهو بابي الذي أوتي منه وهو خيلتي من بعدي» ثم قال الحافظ الكنجي: هكذا أخرجه محدث الشام في فضائل علي في الجزء التاسع والأربعين بعد الثلاثمائة من كتابه بطرق شتى، الإصابة ج ٧ ص ١٦٧ وأسد الغابة ج ٥ ص ٢٨٧ والاستيعاب ج ٢ ص ٦٥٧ / المؤلف.

قوله:

عليّ مع الحقّ والحقّ مع علي يدور معه كيف دار.
عليّ مع الحقّ والحقّ مع علي ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض يوم
القيامة.

قال أبو ذر: سمعت النبي ﷺ يقول: عليّ مع الحقّ والحقّ معه وعليّ
لسانه والحقّ يدور حيشما دار عليّ.

قالت أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليّ مع الحقّ والقرآن،
والقرآن مع عليّ ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

قالت عائشة عن النبي ﷺ: الحقّ لن يزال مع عليّ وعليّ مع الحقّ لن
يختلفا ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض^(١).

(١) الحافظ الكنجي في كفاية الطالب باب ٦٢ والفصول المهمة ومطالب السؤل
ومناقب الخوارزمي ومناقب ابن مردويه وفضائل الصحابة للسمعاني وفردوس
الأخبار وربيع الأبرار والطبراني في الأوسط، ومسنّد أحمد وسعيد بن المنصور
في سنن أبي يعلى في المسنّد وفرائد السمطين للحمويني باب ٣٧ والإمامة
والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ٦٨ وكنز العمال ج ٦ ص ٥٧ وتاريخ بغداد ج ١٤
ص ٣٢١ والفخر الرازي ج ١ ص ١١١ والراغب الاصفهاني في المحاضرات ج ٢
ص ١١٣ / المؤلف.

أقول: لزيادة الفائدة إليك المصادر التالية:

سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٩٧ حيث جاء فيه: «اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار» ومثله في
المناقب للخوارزمي ص ٥٦ وأيضاً جاء في المناقب قوله ﷺ عن علي «إنّه الفاروق
بين الحقّ والباطل» ص ٥٧ وفيه أيضاً «وأنّ الحقّ معك والحقّ على لسانك ما نطقت
فهو الحقّ وفي قلبك وبين عينيك» ص ٧٦ وذكر الحافظ الكنجي ص ١٣٥.
وأما ما ذكره المصنّف من الحديث: الحقّ مع علي... في المناقب ص ٢٢٣.

فمن جملة الذين ذكروه شيخ الإسلام الحمويني في فراند السمطين باب ٣٧ وابن مردويه في المناقب عن أبي ذر الغفاري وقد سُئل عن الاختلاف فقال: عليكم بكتاب الله وعليّ بن أبي طالب عليه السلام فَإِنِّي سمعت رسول الله ﷺ قال: عليّ مع الحقّ والحقّ معه وعلىّ لسانه يدور معه حيثما دار. والديلمى في فردوس الأخبار، وفي المناقب لابن مردويه أنّ محمّد بن أبي بكر لما دخل على أخته عائشة بعدما انتهت حرب الجمل فقال لها: أسمعيت حديثاً من رسول الله ﷺ في حقّ عليّ عليه السلام؟ فقالت: نعم، سمعت قال رسول الله ﷺ: لن يزول الحقّ عن عليّ وعليّ عن الحقّ ولن يختلفا ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

وعلى غرار هذه الأحاديث نصوص نبوية كثيرة أخرجها أهل السنّة إلا أنّنا نكتفي بهذا المقدار لإثبات المدعى.

والآن بعد هذه الأدلة الدامغة والأحاديث الشهيرة التي لم يكن عمر بن الخطّاب بمعزل عنها، ماذا عسى أن نقول عن الشورى العمريّة؟ وماذا عسى أن تقولوا عن الطريقة الاستبدادية والانحيازية التي جرت بها الشورى؟ وما عسى كلّ عاقل وأيّ رشيد في العالم أن يقول في مثل هذه الحالة؟

لماذا أصرّ عمر بن الخطّاب أن يمارس الاستخلاف بهذه الطريقة؟ ولماذا يصدّ عن كلّ هذه الأحاديث التي صرّحت على أنّ عليّاً هو الفاروق وهو مع الحقّ والقرآن؟ لماذا ألحّ ابن الخطّاب على تهميش دور عليّ عليه السلام وشخصه وكأنّه يمرّ على فضائله ومقاماته مرور الأصمّ الأبكم؟

→ وجاء في كنز العمال ج ١١ رقم ٣٣٠١٦ «تكون بين الناس فرقة واختلاف فيكون هذا - عليّ - وأصحابه على الحقّ» وجاء تحت رقم ٣٢٩٦٤ «سيكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب فإنّه الفاروق بين الحقّ والباطل / المترجم.

هل كان يملك حديثاً واحداً يصور لنا عبد الرحمن بمنزلة علي عليه السلام؟ بل هل يُعدّ عبد الرحمن في تمييز الحقّ والباطل كما هو الحال في الإمام علي عليه السلام؟ أرجو منكم أن تفكروا وتعيدوا النظر، ليتّضح لكم أنّه ليس هناك أي تفسير إلا أن نقول إنّ عمر كانت له خطة معيّنة ومؤامرة كبيرة تتلخّص في دفع الحقّ عن علي وإزاحته عن المناصب الحساسة ونهميش دوره وظلمه بل حتّى قتله إذا تطلّب الموقف ومن ثمّ تغطى هذه الخطة بغطاء شرعي لكيلا يُنّهم الخليفة!! فيقال عنها إنّها اجتهاد أو مصلحة...

وأعجب من هذا أنّ عمر الذي قال إنّ رسول الله مات وهو راض عن هؤلاء وأنّهم من أهل الجنة... نراه يأمر بقتلهم فيما إذا لم يخرجوا بنتيجة بعد ثلاثة أيام!! فكيف له الجرأة على قتل أهل الجنة كما يقول؟

ومن جهة ثانية كيف يأمرهم (بالتهديد والتخويف) على المشاركة والامثال لما فرضه عليهم وإلا فإنّه يقتلهم؟

هذه الصور التي أمامكم عندما تعرضونها على حياة رسول الله ﷺ فإنكم ستلاحظون الفارق الكبير، وعندما نعرضها على القرآن أيضاً فإننا سنلاحظ البون الشاسع بين آيات الذكر الحكيم وبين الشورى العمرية، فقد جاء في القرآن ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾^(١)، ﴿وقل الحقّ من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾^(٢)، ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين﴾^(٣).

فالدين يقرّر الحرية للإنسان وهي الحالة الإيجابية التي أكّدها الأديان

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) الكهف: ٢٩.

(٣) يونس: ٩٩.

أيضاً، بل الحرية منطق الحياة وما أطبق عليه العقلاء جميعاً، فكيف سعى الخليفة إلى مصادرة هذا الحق الذي قرّره الله وقرّره عقلاء البشر وعمل على تجسيد الاستبداد.

إنّ حالات القهر والاستبداد لها نتائج سلبية منها أنّ الإنسان العادي إذا أُجبر على شيء معيّن فإنّه سيتكوّن عنده في اللاشعور ردّ فعل مخالف يؤدّي إلى نتائج عكسية، ومنها أنّه يؤدّي إلى صناعة الظلمة وأشباه الظلمة وشيوع حالات الاستبداد وممارسة القهر بين أفراد الأمة لأنّ الرعية قلب راعيها، ومنها أنّ القهر والقوّة ومصادرة الحرية يؤدّي إلى سلب العقل ولو جزئياً لأنّه يحرم الإنسان من ممارسة مهاراته الحرّة.

ولأجل هذا وذلك حرص الإسلام أن يكون الإيمان في قلوب المسلمين تحت الحرية الكاملة للفرد، فكيف بمقام الخلافة وإدارة البلاد والعباد؟ ومن الجدير ذكره هنا أنه قيل إنّ قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين...﴾ نزلت في رجل من الأنصار يدعى أبا الحصين وكان له ابنان فقدّم تجار الشام إلى المدينة يحملون الزيت فلما أرادوا الرجوع من المدينة أتاهم ابنا أبي الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصّرا ومضيا إلى الشام فأخبر أبو الحصين رسول الله ﷺ فأُنزل الله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾ فقال رسول الله ﷺ: أبعدهما الله هما أوّل من كفر فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي حين لم يبعث في طلبهما فأُنزل الله ﴿فلا وربك لا يؤمنون...﴾ وكان هذا قبل أن يؤمر النبي ﷺ بقتال أهل الكتاب^(١).

وهذا يعني عدم ممارسة الإكراه والإجبار لا من قبل النبي ﷺ ولا أي أحد

(١) مجمع البيان ج ٢ ص ٣٦٣ وتفسير القرآن لابن كثير ج ١ ص ٣١١ والسيوطي في الدرّ المنثور ج ١ ص ٣٢٩.

من المسلمين .

وقد ذكر المؤرخون أن البلاد التي كان رسول الله ﷺ يفتحها يدعو أهلها إما إلى الإسلام أو دفع الجزية ثم يتركهم في كامل اختيارهم حتى كانت هذه الطريقة الأخلاقية العقلانية سبباً لدخول الناس للإسلام بكل اختيارهم ﴿يدخلون في دين الله أفواجاً﴾ .

فيُعلم من كل هذا أن المحافظة على الحرية وعدم إكراه وإجبار الناس من سيرة النبي ﷺ والدين الإسلامي، فلا ندري من أين جاء عمر بن الخطاب بمفهوم الجبر والقسر والقهر الذي مارسه وأمر به في الشورى؟ حتى وصل به الاستبداد أن يأمر بقتل كل من خالف!!

أولم يخالف هو عندما قالت الأنصار لا نبايع إلا علياً^(١) فخالفهم وبايع أبا بكر، فلماذا لم يطبق هذا المفهوم على نفسه مثلاً؟

عمر كان يسعى لاستخلاف عثمان

ثامناً : ومضافاً إلى ما مرّ كله من إضاعة حق أمير المؤمنين علي عليه السلام ، فإن عمر لم يكتف بهذا، بل كان يسعى من خلال الشورى الاستبدادية بما تضمنت من شرائط أن يستخلف على المسلمين عثمان بن عفان .

سؤال أحد الحاضرين : أن الخليفة عمر لم يصرح بذلك ولم يظهر منه شيء حول هذا الموضوع فكيف يمكنك إثبات هذا المدعى؟

الجواب : نعم، أن عمر لم يصرح بأن عثمان خليفته لأنه كان بين

محذورين :

الأول : أنه كان يعلم طموحات عثمان وسياسته القائمة على القبلية

والمتعصب وجرّ منافع بيت المال له ولعشيرته من بني أمية وهذا ما لا يرتضيه كلّ مسلم وبالتالي سوف تُجرّ الولايات على عثمان وعلى من استخلف عثمان وهو عمرو قد صرّح بذلك عمر نفسه كما تقدّم لكم.

الثاني: أنّه كان يفكر ضرورة استخلاف عثمان وفاءً للفرقة والصداقة التي كانت بينهما والتعاون الدائم بينهما، وردّاً للجميل الذي قدّمه عثمان لعمر عندما كتب اسمه في وصية أبي بكر كما مرّ عليكم.

إذن كان المفروض على عمر أن يفكر بطريقة أخرى غير التصريح بالخلافة لعثمان يكون على أثرها عثمان بن عفّان خليفة فيكون قد ردّ له الجميل، ويكون عمر بعيداً وبمعزل عن سياسة عثمان السيئة. فكان لا بدّ من الشورى!!

سؤال أحد الحاضرين: أرجو منك أن توضّح لنا هذا الموضوع بشكل مفصّل.

الجواب: وذلك لأنّ عمر قال: فإن رضي ثلاثة وأبى ثلاثة فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف.. ومن المعلوم أنّ هوى عبد الرحمن كان مع عثمان لأنّه صهره وهكذا كان سعد بن أبي وقاص لأنّه ابن عم عبد الرحمن وبالتالي كان عمر يعلم سلفاً أنّ صوت عبد الرحمن وسعد إلى عثمان انطلاقاً من العلاقة العائلية بينهم، فلذلك سعى عبد الرحمن للتمويه قليلاً فجاء إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وقال له: أبايعك على أن تعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين، فقال الإمام عليّ عليه السلام: على كتاب الله وسنة رسوله فأعرض عنه عبد الرحمن وتوجّه إلى عثمان وقال له نفس ما قال لعليّ عليه السلام، فقبل عثمان فوراً، وهكذا تمّ ما خطّطوا له وصار عثمان خليفة المسلمين بهذه الطريقة.

وهذا ما يؤسف في الحقيقة لوجود من هو أكفأ من عثمان في الأمة، وبغض النظر عن السّنة فإنّ هناك العباس وأولاده، إلّا أنّ الهدف صار واضحاً لكم وهو إبعاد أهل البيت عن الخلافة ومنصب الولاية وآل فمن هو صهيّب

الرومي حتى أمره عمر أن يؤم المسلمين بصلاة الجماعة أيام مرضه مع وجود من هو أفضل من صهيب بعشرات المراتب؟ ولماذا صهيب الرومي يصلي على جنازة عمر دون غيره من الصحابة الكبار؟ ولكن عندما ندرس هذه المفردات ونجمعها ونحاول أن نرتبها ضمن تسلسلها الطبيعي والتأريخي ندرك أن الهدف هو إقصاء أهل البيت عليه السلام بشتى الوسائل والطرق.

ولم يكن هذا الإقصاء سابقاً وفي تلك الحقب فقط، بل هو لا يزال إلى يومنا هذا فقد تشرفت بالحج في عام ١٣٧٤هـ وعندما ذهبت لزيارة النبي ﷺ رأيت العجب فقد كان يتعرض الزائر الحاج المسلم إلى الضرب بالهراوات والعصي بمجرد أن يلتفت بوجهه إلى قبر النبي ﷺ أو يحاول الاقتراب منه من قبل الشرطة، بينما لا يتعرض لأي شيء ذلك الذي يتمسح بالجدار ويقبله لأنه كما يزعمون.. محل نزول جبرئيل في أحد جدران المسجد!!

والأمر نفسه في البقيع فإذا كان التمسح والتقبيل حراماً في شرع هؤلاء لوجب عليهم أن يمنعوه كله لا أنهم يمنعون تقبيل ضريح النبي ﷺ ويجيزونه في غيره. فما هذا إلا إبعاد للناس عن النبي وأهل بيته عليهم السلام.

وفي البقيع أيضاً يمنعون الشيعة من حمل كتب الزيارة ويمنعونهم من تقبيل التراب حول قبر الإمام الحسن والإمام الصادق والإمام الباقر والإمام السجاد والعباس.... بل ويضربونهم بالعصي، بل أنهم ضربوا على رجلي عندما حاولت أن أجلس بالقرب من القبور لكي أمسح رجلي التي كان فيها ألم بتراب قبرهم وأجبروني على القيام، بينما لا تجد هؤلاء الشرطة والحرس على بقية قبور الصحابة وإنما اختص المنع عن قبر النبي وأهل بيته، فمثلاً عثمان بن مظعون وهو الصحابي الجليل الذي دفن في البقيع وقد تولى دفنه النبي ﷺ ووضع على قبره صخرة حملها بيده المباركة ووضعها على قبره لتكون علامة

عليه^(١)، فإنَّك لا تجد أيَّ شرطي هناك، وبالمناسبة فإنَّ مروان بن الحكم لما حكم حمل هذه الصخرة لفترة ثمَّ وضعها على قبر عثمان بن عفَّان!!

قبر عثمان بن عفَّان!!

وذلك لأنَّ قبر عثمان بن عفَّان لم يكن معلوماً والسبب يعود إلى أيام قتل عثمان فبعد أن قُتل ترك ثلاثة أيام بلا دفن حتَّى جاءت الكلاب وأكلت بعض قدمه^(٢)، فجاء حكيم بن حزام وجبير بن مطعم إلى أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام والتمسوا منه أن يتكلَّم مع الوفد المصري لدفن عثمان فأرسل عليه السلام ولده الإمام الحسن عليه السلام إليهم وتكلَّم معهم في ذلك فوافقوا احتراماً لأمر المؤمنين عليٍّ عليه السلام، وفي الليل حملوا جثَّة عثمان وأنجسوها بها نحو البقيع فعارضهم المصريون وقطعوا عليهم الطريق ورموهم بالحجارة، وقالوا لهم: لا يُدفن عثمان في البقيع، وأخيراً دفن في بستان أحد الرجال يُدعى كوكب تحت حائط كان هذا الحائط ملاصقاً لمقبرة اليهود ولذا قيل إنَّ عثمان دفن في مقبرة اليهود، إلى أن جاء معاوية إلى السلطة بالمكر فأمر بهدم هذا الحائط وإحراق البستان بالبقيع وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم في هذه المنطقة^(٣)، فدفن بنو أميَّة موتاهم حول قبر عثمان ولذا سمَّيت بـ (مقبرة بني أميَّة)^(٤).

(١) وفاء الوفا ج ٢ ص ٨٥.

(٢) الفتوح لابن أعثم ص ١٥٩ ط ١٣٠٠ هـ بمباي.

(٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٨٧ ط دار الكتب العلمية.

(٤) المصدر نفسه ص ٦٨٨، وراجع أيضاً الكامل ج ٣ ص ٩١ وفاء الوفا ج ٢ ص ٩٩

وشرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ١٥٨ ط دار إحياء الكتب العربية والإمامة والسياسة

ج ١ ص ٤٥، مؤسسة الوفاء بيروت.

ولهذا السبب أمر مروان بوضع صخرة عثمان بن مظعون على قبر عثمان بن عفان كمحاولة لإبرازه والاهتمام بشأنه، وإلى اليوم لا يُعلم على وجه الدقة أن الذي يزوره أهل السنة هل هو قبر عثمان بن مظعون أم عثمان بن عفان، والصحيح أنه قبر الأول؛ لأن قبر عثمان بن عفان يفترض أن يكون بعيداً عن البقيع لأنهم منعوا دفنه فيه.

عود على بدء

نعود إلى حديثنا الأصلي وهو محاولة زجر وإبعاد المحييين لأهل البيت عليهم السلام عن قبورهم بكل وسيلة ولو كان آخرها الضرب والإهانة، وعندما يعود المرء بنظره إلى أوليات الأمور يجد أن السبب هو عمر بن الخطاب الذي عمل جاهداً لتكريس هذه الفكرة وتعزيزها في المسلمين وكان آخرها الشورى وصهيب الرومي وتنصيب أبي طلحة الأنصاري على أعضاء الشورى ولم ينصب أحداً من كبار بني هاشم لاسيما عم النبي ﷺ العباس مع ما ورد منه ﷺ في الإشادة بأهل البيت وتوصية الأمة بهم و...

تاسعاً: ويدعي أهل السنة أنهم يتبعون سنة النبي ﷺ.

حسناً فأين تجدون في سنة النبي ﷺ أن من امتنع عن الإدلاء بصوته

→ أقول: وذكر الطبري أيضاً ج ٢ ص ٦٨٧ - ٦٨٩؛ أنه لم يشهد جنازة عثمان إلا مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته!! وأن الأنصار منعت غسل وتكفين عثمان وحتى الصلاة عليه!! وأن عمير بن ضابئ جاء إلى جثة عثمان وهي مرمية فنزا عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه، وقال: سجنّت ضابطاً - والده - حتى مات في السجن!! وفي شرح النهج: سجنّت أبي حتى مات... / شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ١٥٨ دار إحياء الكتب العربية / المترجم

للمحاكم فيجب قتله كما أمر عمر بذلك؟ والطريف في أمر أهل السنة أنهم يزعمون أن النبي ﷺ مات وترك أمر القيادة بيد الأمة!

فإذا كنتم تتبعون سنة النبي ﷺ لوجب على الخليفة أن يترك أمر الخلافة إلى الأمة كما فعل رسول الله ﷺ - حسب اعتقادكم - والأمة هي التي تختار قائدها، وبالطبع لو كان الأمر بيد الأمة لما اختارت سنة أشخاص وأجبرتهم على الترشيح والإدلاء، ولما أوقفت فوق رؤوسهم خمسين رجلاً يحملون السيوف ولما أمرت الأمة بقتل الممتنع منهم لأنهم من أهل الجنة على زعم عمر فاعتبروا! يا أولي الأبصار.

عاشراً: وهذا الذي تقدّم عن الشورى العمرية وجميع سلباتها وإفرازاتها المقيمة هو الذي أطلق عنه الشهرستاني بالخلاف التاسع وقال: أمر الشورى واختلاف الآراء فيها واتفقوا كلّهم على بيعة عثمان... غير أن أقاربه من بني أمية قد ركبوا نهابراً* فركبته وجاروا فجيز عليهم ووقعت في زمانه اختلافات كثيرة وأخذوا عليه أحداثاً كلّها محالة على بني أمية.

ثم مضى الشهرستاني بذكر هذه المخالفات والاختلافات منها:
أولاً: ردّه الحكم بن أمية بعد أن طرده رسول الله ﷺ وكان يسمّى طريد رسول الله.

سؤال أحد الحاضرين: من هو الحكم بن أمية؟ ولماذا طرده رسول الله ﷺ؟

الجواب: هو الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي لعنه الله، فهو عمّ عثمان بن عفّان، دخل الإسلام كرهاً عام الفتح وسكن المدينة.
سؤال أحد الحاضرين: كيف عرفت أنه أسلم كرهاً؟

الجواب: هناك أدلة كثيرة تشير إلى أنه أسلم ظاهراً ولم يؤمن في الباطن.
سؤال أحد الحاضرين: بما أن الإيمان من الأمور القلبية كيف حكمت أنه لم يؤمن؟

الجواب: لم أحكم أنا بل حكمت الأمة الإسلامية بذلك من خلال أعماله القبيحة مثل إيداعه رسول الله ﷺ بعد إسلامه وقد ذكر ذلك جمع كبير من العلماء والمؤرخين الشيعة والسنة أنه من جملة المستهزئين برسول الله ﷺ فقد كان يمشي خلفه ويصنع الحركات المضحكة. وذات مرة فعل ذلك فالتفت إليه رسول الله ﷺ وقال له: كُنْ كَذَلِكَ^(١)، فبقي على تلك الصورة القبيحة إلى آخر عمره مع نوبات جنونية، حتى قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت أشعاراً يهجو فيها عبد الرحمن بن الحكم مشيراً إلى أفعال أبيه القبيحة:
إِنَّ اللَّعِينَ أَبوكِ فَارِمِ عَظَامُهُ إِنْ تَرَمِ تَرَمِ مَخْلَجاً مَجْنُوناً
يَمْشِي خَمِيصَ الْبَطْنِ مِنْ عَمَلِ التَّقَى وَيُظَلُّ مِنْ عَمَلِ الْخَيْثِ بِطِينِ^(٢)
قال صاحب الاستيعاب: أما قول عبد الرحمن بن حسان «إِنَّ اللَّعِينَ أَبوكِ» فإنه روي عن عائشة من طرق ذكرها ابن أبي خيثمة وغيره أنها قالت لمروان: أَمَا أَنْتَ يَا مَرْوَانَ فَأَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ أَبَاكَ وَأَنْتَ فِي صِلَابِهِ^(٣).
وأيضاً كان الحكم يتجسس على رسول الله ﷺ ثم يحدث المنافقين

(١) أقول: تجده في النهاية لابن الأثير ج ١ ص ٣١٠.

(٢) الإصابة ذيل حرف الحاء ج ١ ص ٣٤٤ والاستيعاب لابن عبد البر ج ١ ص ٣١٧ والبلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٢٧ والطبري في التاريخ وابن الأثير في الكامل والمعتزلي في شرح النهج ج ٦ ص ١٤٩ ط دار إحياء الكتب العربية.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ١٥٠ ط دار إحياء الكتب العربية، وتفسير الرازي ج ٢٠ ص ٢٣٧ ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

بذلك، وغيرها من الأسباب التي دعت رسول الله ﷺ أن ينفية إلى الطائف^(١). ولم يكن مروان بعيداً عن هذه الروحية الخبيثة فإنه ترعرع في مثل هذه الأحضان ونهل ما يكفي منها ليكون في المستقبل العاجل من الظلمة الملعونين على لسان النبي ﷺ، فقد جاء أيضاً أن الحكم استأذن على النبي ﷺ يوماً فعرف صوته فقال: انذروا له عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم^(٢)، وكان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به رسول الله ﷺ فيدعو له فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال ﷺ: هو الوزغ بن الوزغ الملعون ابن الملعون^(٣).

وقد ذكر المفسرون أن «الشجرة الملعونة» التي ذكرها القرآن هم بنو أمية أو بنو العاص^(٤) فبئس معاً من أعداء رسول الله ﷺ وأهل بيته. ومن أجل هذا طرده رسول الله ﷺ وأبعده عن المدينة ولم يجزؤ أحد من المسلمين أن يجازف ويرد الحكم وأولاده إلى المدينة في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، إلى

(١) شرح النهج ج ٦ ص ١٤٩ والاستيعاب ج ١ ص ٣١٦ بهامش الإصابة.

(٢) المستدرك للنيسابوري ج ٤ ص ٤٨١ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٧ وحياة الحيوان ج ١ ص ٨٩ مادة «الوز» خلافة مروان ط مصطفى الحلبي مصر.

(٣) حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٨٩ وقد ذكر المؤلف بعض خصائص هذا الحيوان في متن كلامه فرأينا المناسب أن ندرجه في الهامش حيث قال: وقد ذكر الدميري في الجزء الثاني من حياة الحيوان ص ٢٩٦ أخباراً نقلها عن البخاري ومسلم والنسائي في ثواب قتل هذا الحيوان: قال يحيى بن يعمر: لأن أقتل مائة وزغة أحب إلي من أن أعتق مائة رقبة، وإنما قال ذلك لأنها دابة سوء زعموا أنها تشرب من المياه وتمج في الإناء فينال الإنسان من ذلك مكروه عظيم وقالوا: إذا تمكن هذا الحيوان من الملح تمرغ فيه فيصير مادة لتولد البرص.

(٤) انظر تفسير الفخر الرازي ج ٢٠ ص ٢٣٧.

أن جاء عثمان وفعل ذلك، وحتى أبي بكر وعمر على رغم الشفاعة التي شفعتها عثمان لدى عمر في ردّ الحكم إلا أنّهما أياّم خلافتها لم يوافقا على ردّ الحكم إلى المدينة وكانا يقولان: إنّه طريد رسول الله ﷺ.

إلا أنّ عثمان لم يكتف برده وإثما ولآه المناصب وأمور المسلمين فقد كان مروان في أوّل أمره كاتب السرّ لعثمان وأفاض عليه العطاء تلو العطاء من بيت المال ممّا أثار حفيظة كبار الصحابة ضدّ عثمان لسيرته المخالفة لسيرة النبي ﷺ وقد تناول كلّ ذلك الشهرستاني في الملل والنحل.

عثمان يخالف سيرة الشيخين

إنّ ردّ الحكم بن أبي العاص إلى المدينة يعدّ أمراً خارقاً لما ألفه المسلمون من سيرة النبي ﷺ الذي امتنع من رده ولم يسمح لأحد أن يتشفع له، بل إنّ عثمان الذي بُويع بالخلافة عندما قبل شرط عبد الرحمن بن عوف في أن يسير على كتاب الله وسنة النبي ﷺ وسيرة الشيخين، نراه خالف سيرة النبي ﷺ بل خالف سيرة الشيخين أيضاً لأنّهما لم يرذا الحكم أثناء فترة حكمهما ولم يسمحا لأحد أن يشفع للحكم بن أبي العاص، بينما عثمان ترك سيرة الشيخين - وهي الحدّ الفاصل بين رفض عليّ ﷺ لهذا الشرط وقبول عثمان له - وراء ظهره ولم يعتنِ بهما ويسيرتهما فردّ الحكم إلى المدينة وأعطاه ألف درهم، وهكذا أعطى ابنه الملعون مرواناً، من مال المسلمين، بينما نراه يمنع حقّ أهل البيت (عليهم السلام) من هذا المال، فإنّه أخذ حقّ ذوي القربى الذين قال الله تعالى فيهم، في كتابه الكريم: ﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فإنّ الله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله﴾^(١) فمنع عنهم

الخمس^(١)، مضافاً إلى فذك التي انتزعها الخليفة الأول ظلماً من يد فاطمة عليها السلام. ومن جهة أخرى نرى عثمان قد أعطى غنائم أفريقية إلى ابنته زوجة مروان

(١) لقد أجمع المسلمون على حرمة الصدقة على آل محمد عليهم السلام لأنها كما في الروايات أوساخ الناس فهم يدفعونها ليطهروا ولهذا لا يجوز إعطاؤها إلى آل محمد عليهم السلام لطهارتهم ومنزلتهم بل جعل الله لهم الخمس بعدما نزلت هذه الآية في غزوة بدر الكبرى فثبت الخمس من السنة الثانية للهجرة لهم عليهم السلام، والخمس يُقسم كما نصّت الآية إلى ستة أقسام:

سهم الله، وسهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسهم ذوي القربى وهم آل الرسول، وسهم اليتامى وسهم المساكين (الفقراء) وسهم ابن السبيل.

وكان هذا التقسيم جارياً في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكل غنيمة يغنمها المسلمون يتم تقسيمها على هذه الأسهم الستة، ولكن لما جاء أبو بكر إلى السلطة قسم الخمس إلى ثلاثة فقط فسهم الله ورسوله وذوي القربى يقبضه هو وهكذا فعل عمر وعثمان وسائر ملوك بني أمية وبني العباس.

وقد عدّ أبو بكر أهل بيت الرسول في عداد الناس الفقراء أو اليتامى، هكذا ذكر الزمخشري في الكشف ج ١ ص ١٧٤ والطبرسي في مجمع البيان ج ٤ ص ٥٤٤. ومعلوم أنّ هذا العمل خلاف القرآن وخلاف سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل هو تشريع محرّم وبدعة باطلة ولكن مع ذلك سار سائر فقهاء أهل السنة على هذه السجبة مع الأسف.

وقد قال الإمام الشافعي في الأمّ ص ٦٩: إنّ الصدقة محرّمة على آل محمد عليهم السلام ولهم الخمس ولكن منع الخمس عنهم لا يدعو إلى حلية الصدقة عليهم.

ومنه يظهر أنّ الخمس من حقّ أهل البيت ليمّ من خلاله مساعدتهم مالياً. إلّا أنّ أتباع أهل البيت وهم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية عملوا على طبق الآية الكريمة وعلى سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنّهم إلى اليوم يدفعون خمس أرباح المكاسب والمغانم إلى الأقسام الستة في زمان الأئمّة وإلى هذا الزمان حيث دفع الخمس إلى الفقهاء العدول وهم يصرفونها في مواقعها المقرّرة / المؤلف.

الذي لعنه الله ورسوله، وليته كان يقسمها على المسلمين لكنه كان يخص بها أهل بيته وأقاربه من بني أمية، وهو بهذه أيضاً خالف رسول الله ﷺ وخالف سيرة الشيخين لأنهما لما منعوا الخمس عن أهل البيت ﷺ صرفاه في المصالح العامة وشؤون المسلمين تقريباً، بينما عثمان أذخره لنفسه وأقاربه فقط، والحال أنه التزم وتعهد في الشورى أن يسير على سيرة الشيخين!!

إن جميع هذه الأعمال التي صدرت من عثمان كانت على خلاف سيرة رسول الله ﷺ (١)، بل أنها خلاف سيرة زميله أبي بكر وعمر، ومع ذلك كله حاول قاضي القضاة أن يبحث في الضباب عن أعذار مناسبة لعثمان مكابرة من عنده، وتعالى عن الحق والأفان موضوع رد الحكم وحده كان كافياً للحكم على عثمان بن عفان، ثم إن انتقاد الصحابة ليس مما يوجب الكفر حتى يضطر قاضي القضاة وغيره أن يجازف كل هذه المجازفات!

فقد أجاب قاضي القضاة على الطعن الثاني على عثمان وهو رده الحكم وولده فقال: إن عثمان استأذن بذلك من رسول الله ﷺ، وإنما لم يقبل أبو بكر وعمر قوله لأنه شاهد واحد، فلما صار الأمر إليه حكم بعلمه لأن للحاكم أن يحكم بعلمه (٢).

فأجابه السيد المرتضى (علم الهدى): أما دعواه أن عثمان ادعى أن رسول الله ﷺ أذن في رد الحكم فشيء لم يسمع إلا من قاضي القضاة ولا يدرى من أين نقله ولا في أي كتاب وجده والذي رواه الناس كلهم خلاف ذلك. روى

(١) كان عثمان يخطب يوماً فادلت عائشة قميص رسول الله ونادت يا معشر المسلمين هذا جلباب رسول الله لم يئثل وقد أبلى عثمان سنته!!

تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٧٥ / المترجم.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٩ ط دار إحياء الكتب العربية.

الواقدي من طرق مختلفة وغيره أن الحكم بن أبي العاص لما قدم المدينة بعد الفتح أخرجه النبي ﷺ إلى الطائف وقال: لا تسكني في بلد أبداً فجاءه عثمان فكلّمه فأبى ثم كان من أبي بكر مثل ذلك ثم كان من عمر مثل ذلك، فلما قام عثمان أدخله ووصله وأكرمه، فمضى في ذلك علي والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف وعمّار بن ياسر حتّى دخلوا على عثمان فقالوا له: إنك قد أدخلت هؤلاء القوم وقد كان النبي ﷺ أخرجهما وأنا نذكرك الله والإسلام ومعادك فإن لك معاداً ومتقبلاً وقد أبت ذلك الولاية قبلك ولم يطمع أحد أن يكلّمه فيهم وهذا شيء نخاف الله فيه عليك، فقال عثمان: إن قرابتهم مني ما تعلمون وقد كان رسول الله ﷺ حيث كلّمته أطمعني في أن يأذن لهم وإنما أخرجهما لكلمة بلغته عن الحكم ولم يضرّكم مكانهم شيئاً وفي الناس من هو شرّ منهم، فقال عليّ عليه السلام: لا أجد شرّاً منه ولا منهم ثم قال: هل تعلم عمر يقول: والله ليحملن بني أبي معيط على رقاب الناس والله إن فعل ليقلّته، فقال عثمان: ما كان منكم أحد ليكون بينه وبينه من القرابة ما بيني وبينه وينال من المقدرة ما نلت إلا قد كان سيدخله وفي الناس من هو شرّ منه، قال: فغضب عليّ عليه السلام وقال: والله لتأتينا بشرّ من هذا إن سلمت وسترى يا عثمان غيب ما تفعل ثم خرجوا من عنده^(١).

وقد ذكر كبار علماء أهل السنة أن عثمان زوّج ابنته «أم أبان» من مروان الطريد ابن الطريد والملعون ابن الملعون وجعله كاتب السرّ عنده^(٢) وجعل له صلاحيات واسعة حتّى كان هو السبب وراء اندفاع عثمان نحو إهانة وضرب وطرّد كبار الصحابة مثل عمّار وأبي ذر وابن مسعود...

(١) المصدر السابق.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٩ ط دار إحياء الكتب العربية.

وما يضحك الثكلى أن علماءكم قالوا عن الطرد والضرب والنفي والإسراف الذي مارسه عثمان أنه اجتهد!! فمتى تبدلت هذه المعاني والعالم كله لا يدري؟

إيذاء ونفي أبا ذر^(١)

أبو ذر هو جندب بن جنادة وهو من الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم، قيل: يارسول الله سمهم لنا؟ قال: علي منهم، يقول ذلك ثلاثاً وأبو ذر ومقداد وسلمان^(٢).

فهذا الرجل العظيم الذي يحبه الله ورسوله ﷺ لم ينبج من بطش عثمان وعماله فقد لاقى أنواع المضايقات بسبب معاوية ومروان وبقية الخط الأموي الحاقد على المؤمنين فقد طرد إلى الشام بطريقة مؤلمة ثم طرد ونفي إلى الربرة وهي منطقة صحراوية لا يسكنها أحد حتى توفي فيها وقد ذكر ذلك

(١) أنظر نفي عثمان لأبي ذر في شرح النهج ج ٣ ص ٥٢ وزاد المعاد لابن القيم ج ٣ ص ٦ وتاريخ البعقوبي ج ٢ ص ١٧٢.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي / فضائل علي / نقله عن الترمذي والحاكم والإصابة ج ٣ ص ٤٣٤ وشرح الجامع للمناوي ج ٢ ص ٢١٥ وحلية الأولياء ج ١ ص ١٧٢ وابن ماجه ج ١ ص ٥٣ والترمذي في السنن ج ٢ ص ٢١٣ وينابيع المودة باب ٥٩ نقله عن الصواعق المحرقة والترمذي والحاكم / المؤلف.

ولزيادة الفائدة إليك هذه المصادر:

زين الفتى ج ٢ الفصل الخامس رقم ٤٥١ ورواه البخاري في ترجمة أبي ربيعة الإيادي رقم ٢٧١ من كتاب الكنى من رجاله الكبير ج ٩ ص ٣١ ورواه أحمد بن حنبل في المسند ج ٥ ص ٣٥١ رقم ٣٥. ورواه الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٣٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٧٢ / المترجم.

الشهرستاني في ملله .

فهل يمكن بعد كل هذا أن نقول: إن الخليفة اجتهد؟ بالطبع لا يمكن ذلك لأنه قد يجتهد وينفيه إلى الشام ثم يكتشف خطأ اجتهاده، فلماذا إذن ينفيه إلى منطقة الموت الحتمي؟!

لا يمكن وبأي وجه أن يُبرر عمل عثمان وكل من تأمر ضد هذا الصحابي الجليل الذي جاء في بعض الأحاديث أنه شبيه النبي عيسى بن مريم عليها السلام في زهده وتواضعه، وبلاشك فإن هذه الأحاديث كانت على شهرة بين المسلمين وأن عثمان قد سمعها إما من فم النبي ﷺ أو من الصحابة فلماذا ينفي ويؤدي شبيه روح الله عيسى؟!

فقد جاء عن النبي ﷺ: أبو ذر في أمّتي على زهد عيسى بن مريم ^(١).

وجاء أيضاً: أبو ذر يمشي على الأرض في زهد عيسى بن مريم ^(٢).

وجاء أيضاً: في أمّتي أبو ذر شبيه عيسى بن مريم في زهده ^(٣).

وجاء أيضاً: من سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فليتنظر إلى أبي ذر ^(٤).

وجاء أيضاً: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على رجل أصدق لهجة من أبي ذر ^(٥) وقد ذكر هذا الحديث من الفريقين عن أكابر الصحابة كابن عباس

(١) أسد الغابة ج ٥ ص ٥٣، ٥٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب للقرطبي، ج ١ ص ٣٢٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) أسد الغابة ج ١ ص ٣٠١ وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٦٧ وسنن الترمذي ج ٥

وأبي الدرداء وأبي هريرة، ومضافاً إلى فضائله فإنه رابع أو خامس إنسان دخل الإسلام كما صرح ابن عبد ربه وغيره^(١)، ومنذ ذلك الحين وإلى بعد وفاة النبي ﷺ في حكم الخليفة الأول والثاني ظلّ أبو ذر يتمتع بالاحترام والتبجيل لإيمانه القديم ومواقفه^(٢) البارزة وسبقه في الإسلام وكثرة فضائله، إلى أن جاء عثمان وبدأ مسلسل الإهانة والاحتقار والضرب لهؤلاء العظماء، وهو ما يدعو إلى التأسف والتعجب كيف لا يحترم الخليفة عظماء أمته؟

فبدل أن يفتخر بهم أمام الشعوب والأمم الأخرى نراه يُنزّل بهم أشدّ العذاب أليس ذلك بعجيب؟!

ضرب وسبّ عثمان لكبار الصحابة

ولم يقتصر الأمر على أبي ذر وإنما طالّت سياسة العنف والقوة والقهر غيره أيضاً، فقد وقع تحت نير هذه السياسة الظالمة كبار الصحابة أيضاً الذين يتمتعون بمنزلة محترمة عند الله ورسوله وعند الناس مع تقدّمهم في العمر وطعنهم في السنّ، فكما أنّ شيبة أبي ذر لم تمنع عثمان أن يطرده إلى الصحراء وأن يموت فيها وله من العمر زهاء التسعين، كذلك لم يمنع مقام هؤلاء

→ ص ٣٣٤ والحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٣٤٢ والإصابة ج ٤ ص ٦٥ وكنز العمال ج ١٦٩ ومسنّد أحمد ج ٢ ص ١٦٣ و ١٧٥ وشرح النهج ج ١ ص ٢٤١ وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٥٢ - ٥٥ وتاريخ الإسلام للذهبي مجلد واحد ص ١٨.

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب للقرطبي، ج ١ ص ٣٢١، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، والإصابة ج ٤ ص ٦٤ وحلية الأولياء ج ١ ص ١٥٧.

(٢) من جملة مواقفه الرائعة أنّه لم يكن يملك دابة يوم تبوك ولكنّه تبع الجيش الإسلامي ماشياً على قدميه / زاد المعاد ج ٣ ص ٦ دار إحياء التراث العربي، بيروت / المترجم.

الصحابة العظام من أن يمارس عثمانُ العنفَ ضدهم، ولم تحجزه فضائلهم عن ظلمهم وقهرهم وضربهم والاعتداء عليهم بدوافع ذاتية منه وبتهريك من مروان وبقية أعضاء البيت الأموي.

ومن جملة هؤلاء الصحابة: عبدالله بن مسعود^(١) كاتب الوحي فقد تعرّض للضرب المبرح من قبل عبيد عثمان لما أمرهم بذلك حتى أثر ذلك على صحته فلازم الفراش ثلاثة أيام ثم مات بعدها بسبب ما ألمّ به من أوجاع بدنية ونفسية، وقد أوصى إلى عمار بن ياسر أن يصلي عليه ويتولّى دفنه دون علم عثمان، وقام عمار بتنفيذ هذه الوصية، ولما سمع عثمان بذلك غضب غضباً شديداً على عمار واعتبرها مواجهة صريحة ضده فأرسل عليه وقال له: لِمَ لم تخبرني؟ فقال: قد أوصى بذلك.

ضرب عمار بن ياسر^(٢)

وظلّ عثمان يتمادى في سياسته التي أخذت تتسع دائرتها في الوسط الأموي الحاقداً على الإسلام ممّا دعا الصحابة أن يكتبوا رسالة الموعظة والتذكيرة لل خليفة عسى أن يتنبّه من غفلته ويصحو من نومته، فذكروا له فيها بعض أعمال عماله السيئة وبعض مخالفاتهم للإسلام... وحملها عمار بن ياسر إلى عثمان وسلمها له، فلما قرأها أمر غلامانه وحاشيته بضرب عمار بن ياسر ضرباً مبرحاً قاسياً، مكافأة على نصيحته الإيمانية له حتى أدّى ضربهم لعمار أن أصيب بالفتق^(٣) فأغمي عليه وحُمِلَ إلى بيت أم سلمة (أم المؤمنين) وظلّ إلى منتصف

(١) أنظر شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٢ ط دار إحياء الكتب العربية.

(٢) المصدر السابق ص ٤٧.

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٦ ط دار إحياء الكتب العربية، والاستيعاب، ج ٣

الليل في إغمائه حتى فانت عليه صلاة الظهرين والعشاءين!!
فهذه هي عواطف عثمان بن عفان اتجاه الصحابة الكبار، بل هذه مكافأته لأهل الجنة الذين أرسوا قواعد الإسلام بدمائهم وأموالهم.
بينما نراه جمع حوله صبيان بني أمية الذين دخلوا الإسلام كرهاً وأعطى المناصب لمن نزل القرآن في لعنهم، ولعنهم رسول الله ﷺ كما مرّ عليكم وأغدق عليهم العطاء وقربهم وحكمهم على المسلمين كالوليد الفاسق الفاجر الذي ولّاه على الكوفة فكان يشرب الخمر ويصلي بالناس جماعة وهو لا يعقل كم صلى حتى صلى الصبح أربع ركعات!! ولم يكن عثمان يبالي بهذه الأمور كثيراً ولم يتقبل نصائح أمير المؤمنين عليه السلام وبقية الصالحين مما أدى إلى السخط العام والتحرك الجماهيري ضدّ هذه السياسة الجائرة الظالمة والثورة على الحكم العثماني وقتل الخليفة في داره وهو ما تفرّس به عمر بن الخطاب وأخبر به عثمان في مرض موته وقد تقدّم ذلك فلا نكرّر^(١).

التفاوت السياسي بين الخلفاء الثلاثة

ومما تقدّم يظهر لكم أن عثمان لم يكن يملك روحاً مرنة وشعوراً طيباً في داخله ولذلك كان يأمر بضرب كلّ من تقدّم له نصيحة أو يذكّره بالله تعالى فامتازت سياسته بالعنف والقوة وكمّ الأفواه وإرغام الخصم بالاستبداد، بينما لم

→ ص ٢٢٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

(١) أقول: قال شارح النهج ابن أبي الحديد: وصحت فيه فراسة عمر فإنه أوطأ بني أمية رقاب الناس وولّاهم الولايات وأقطعهم القطائع وأفتحت في أيامه أفريقية فأخذ الخمس كلّه فوهبه لمرّوان بن الحكم... وأقطع مروان فديكاً وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها رسول الله ﷺ تارة بالميراث وتارة بالنحلة فدّعت عنها... / شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٨ ط دار إحياء الكتب العربية / المترجم.

يكن رفيقاه بهذه الروحية بل امتازا عليه بقليل من التواضع والانفتاح وقبول الآراء والانتقادات وإبراز الاحترام للصحابة بشكل وبآخر ولو سياسياً، حتى أن عمر بن الخطاب كان يشكر أمير المؤمنين عليه السلام على مشاورته له وإبدائه لآرائه الصائبة وحله القضايا العويصة وما شابه ذلك، بل كان الخليفة نفسه يسأل الإمام علياً عليه السلام عن قضايا مهمة ويطلب رأيه فيها كحرب الروم وفتح العراق، وأما الخليفة الأول فإنه كان يقول أمام الناس «أقولوني فلست بخيركم».

إلا أن عثمان لم يملك روحية عمر بن الخطاب، فبينما كان أمير المؤمنين علي عليه السلام يقدم له النصائح المجانية والإرشادات النافعة ويحذره من وخامة الأمور وسخط العامة والخاصة، كان عثمان لا يعير أي اهتمام لهذه الكلمات.

عدم احترام عثمان لعلي عليه السلام

وأكثر من ذلك فإن عثمان لم يحترم أمير المؤمنين علي عليه السلام على عظمته وثقله في الإسلام، واليك هذا الشاهد التاريخي لتعرف مدى جرأة عثمان وقساوته.

ينقل ابن أبي الحديد المعتزلي: وكان أبو ذر رضي الله عنه يقول: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه، والله إنني لأرى حقاً يطفأ وباطلاً يُحيا وصادقاً مكذباً... فكتب معاوية إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: أما بعد فاحمل جندباً (أبا ذر) إليّ على أغلظ مركب وأوعره، فوجه به مع من سار به الليل والنهار وحمله على شارف - وهي الناقة المسنة - ليس عليها إلا قتب حتى قدم به المدينة وقد سقط لحم فخذه من الجهد، فلما قدم أبو ذر إلى المدينة بعث إليه عثمان أن إلحق بأي أرض شئت. قال: بمكة؟ قال: لا، قال: فبيت المقدس؟ قال: لا، قال: فأحد المصرين؟ قال: لا، ولكني مسيرك إلى الربرة، فسيره إليها فلم يزل بها حتى مات.

وفي رواية الواقدي أن عثمان قال لأبي ذر: أنت الذي تزعم أننا نقول إن يد الله مغلولة وإن الله فقير ونحن أغنياء؟ فقال أبو ذر: لو كنتم لا تزعمون لأنفقتم مال الله على عباده ولكنتي أشهد لسمعت رسول الله يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً ودين الله دخلاً فقال عثمان لمن حضره: أسمعتموها من نبي الله؟ فقالوا: ما سمعناه. فقال عثمان: ويلك يا أبا ذر أتكذب على رسول الله؟ فقال أبو ذر لمن حضر: أما تظنون أنني صدقت؟ قالوا: لا والله ما ندرى، فقال عثمان: ادعوا لي علياً فدعني فلما جاء قال عثمان لأبي ذر: اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص فحدثه فقال عثمان لعلي: هل سمعت هذا من رسول الله؟ فقال علي عليه السلام: لا وقد صدق أبو ذر. قال عثمان: بئس عرفت صدقه؟ قال: لأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر فقال جميع من حضر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: لقد صدق أبو ذر، فقال أبو ذر: أحدثكم أنني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تتهموني، ما كنت أظن أنني أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عثمان: كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها قد انفلت الشام علينا، فقال أبو ذر: أتبع سنة صاحبك لا يكن لأحد عليك كلام، فقال عثمان: ما لك وذلك لا أم لك. فقال أبو ذر: والله ما وجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فغضب عثمان وقال: أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب^(١) إما أن أضربه أو أحبسه أو أقتله فبأنه قد فرق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام، فقال علي عليه السلام: أشير عليك بما قاله مؤمن آل فرعون وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي

(١) أقول: النبي صلى الله عليه وسلم يصف أبا ذر بأنه أصدق ذي لهجة، وعثمان يصفه بالكذاب فانظر أيها القارئ إلى الجراءة والجسارة على مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم.

يعدكم» فأجابه عثمان بجواب غليظ لا أحبّ ذكره^(١) وأجابه عليه السلام بمثله^(٢).

وجاء في أنساب الأشراف للبلاذري: لما وصل خبر وفاة أبي ذر إلى عثمان قال: رحمه الله، فكان عمار بن ياسر حاضراً فقال: نعم فرحمه الله من كلّ أنفسنا، فتغيّر عثمان لما سمع ذلك فقال له: يا عاص أير أبيه^(٣)!!! أتراني ندمت على تسييره؟ وأمر فدفن في قفاه وقال: الحق بمكانه فأراد أن يسيره أيضاً^(٤) فلما عزم عمار على الرحيل إلى الربذة جاءت قبيلة مخزوم إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وسألوه إعانتهم فقال لهم: لا ندع عثمان ورأيه، فجلس عمار في بيته وبلغ عثمان ما تكلمت به بنو مخزوم فأمسك عنه^(٥).

وقد فصل المؤرخ ابن أعثم في تاريخه^(٦) هذه الأحداث حيث ذكر أن الإمام علياً عليه السلام لما طلبت منه بنو مخزوم أن يتكلم مع عثمان ذهب إليه وقال له: يا عثمان اتق الله ما دعاك إلى العجلة في أعمالك هذه، بالأمس سيرت أبا ذر إلى الربذة حتى مات فيها غربياً والآن تهدّد بتسيير عمار بن ياسر، إن هذه الأعمال تجرّ سخط الرعية عليك.

فأجاب عثمان بكلّ وقاحة وجراءة: كان من البدء أن تُخرجك أنت حتى لا يفتعل عمار وأمثاله الغوغاء، فردّ عليه الإمام: ومن أنت حتى تهدّدني بذلك فوالله لا قدرت عليه وإن شئت فجرب حتى أريك ما تكره. وأما ما قلت عن

(١) ذكر المؤلف أنّ العبارة التي لم يحبّ أن يذكرها المعتزلي هي: ملأ التراب فاك!!

(٢) أنظر شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٥٥ ط دار إحياء الكتب العربية.

(٣) أقول: عليك أن تعرف مستوى عثمان من خلال هذه الكلمة السوقية بقولها

لعمار / المترجم.

(٤) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٧٣.

(٥) المصدر السابق.

(٦) تاريخ ابن أعثم الكوفي ص ١٣٦.

عمار وأمثاله فإنهم لم يخطئوا في حقّ قط وإنما أعمالك دعتهم إلى الخلاف عليك، لأنهم لا يتحملون رؤية الباطل وقبائح أعمال عمالك.

ومن هذه الأخبار التي يرويها أهل السنة كثيرة جداً كلّها تدلّ على ضعف شخصية عثمان الذي يتّبع مروان وأمثاله، وكذلك عدم إقراره بالحقّ وعدم إذعانه للناصحين وكبار الصحابة الذين سعوا إلى نصحه وهدايته، بل كان يضربهم ويهينهم وينفيهم، وبإمكانكم مراجعة شرح نهج البلاغة ضمن الجزء الثاني^(١) لتلاحظوا تفاصيل هذه الوقائع الفجيعة وبإمكانكم أن تقوموا بمقابلة بين قول أبي بكر: أقبلوني فلست بخيركم وعليّ فيكم، وقول عمر: لا أبقاني الله بأرضٍ لست فيها يا أبا الحسن... وقوله: عجزت النساء أن تلدن مثل عليّ بن أبي طالب، وقوله: لولا عليّ لهلك عمر، وقوله: كاد يهلك ابن الخطّاب لولا عليّ بن أبي طالب، وقوله: أعود بالله من معضلة ليس لها أبو حسن...

تقابلوا بين هذه العبارات وبين أجوبة عثمان لعليّ ولصحابة النبي ﷺ؟
سؤال أحد الحاضرين: لقد ذكرت في السابق هجوم عمر بن الخطّاب وغيره على دار عليّ عليه السلام وإحراق باب داره وإيذاء زوجته الطاهرة وسقوط الجنين منها و...، وهي أعمال وصمتها بالسلب والابتعاد عن الإسلام، وأمّا الآن نراك تعظم سياسة عمر بن الخطّاب وأبي بكر أفلا يكون هذا تناقضاً منك؟
الجواب:

أولاً: ما نقلته لكم من مخالقات عمر وأبي بكر كان من مصادر أهل السنة

(١) زوي عن زيد بن أرقم من طرق مختلفة أنّه قيل له: بأيّ شيء كفرتم عثمان؟ فقال: بثلاث: جعل المال دولة بين الأغنياء وجعل المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ بمنزلة من حارب الله ورسوله وعمل بغير كتاب الله / شرح النهج ج ٣ ص ٥١ ط دار إحياء الكتب العربية / المترجم.

وهو ثابت عندكم وعندنا أيضاً فلا مجال لردّه إن حاولت ذلك عن هذا الطريق.
 ثانياً: كلّ ثورة أو انقلاب يحدث يصاحبه سيل من المخالفات الشرعية والعرفية إذا لم يكن هذا الانقلاب نقيّاً، فما حدث من السقيفة واستغلال الفرصة وإهانة سعد بن عبادَة ومحاولة قتله والهجوم على دار فاطمة و... كلّ ذلك حدث من أجل تثبيت العرش، ولكن بعدما ثبت أخذ عمر وأبو بكر يمارسان لوناً آخر مع عليّ عليه السلام والصحابّة الكبار، فكانا يبرزان الاحترام والأدب ولو ظاهريّاً أو سياسيّاً أو مراعاةً للحالة الاجتماعية والإسلامية، وهذا ما أشرنا إليه، وهو ما لم يفعله عثمان أبداً لا ظاهريّاً ولا سياسيّاً ولا...

ثالثاً: ثمّ إنّنا لم نساوِ بين عمر وعليّ عليه السلام حتّى يلزم التناقض وإنّما قسنا سياسة عمر مع سياسة عثمان، ولم نقس سياسة عمر مع سياسة عليّ ونقول كلاهما واحد، لا أبداً فعندما نقول إنّ سياسة عمر أفضل من سياسة عثمان هذا لا يعني أنّ سياسة عمر مثل سياسة عليّ، وإنّما قلنا إنّ سياسة عمر أفضل من سياسة عثمان، وأمّا ما صدر من عمر فهو طرف مسكوت عنه.

سؤال أحد الحاضرين: لقد عُرف الإمام عليّ عليه السلام بالبطولة والشجاعة فكيف تحمّل الإهانة وعدم الاحترام من عثمان كما نقلت؟

سبب سكوت الإمام عليّ عليه السلام عن أعدائه

الجواب: عليكم أن تعرفوا أنّ أهم صفة امتاز بها الإمام عليّ عليه السلام هي الصبر، فصبره هو الذي جعله يسكت عن حقّه في الخلافة أيام السقيفة وصبره هو الذي دفعه للسكوت عن حقوقه المالية، والصبر على ظلم الطاهرة الصدّيقة فاطمة عليها السلام حتّى قال عليه السلام في خطبته الشقشقية «فصبرتُ وفي العين قذى وفي الحلق شجنى أرى تراثي نهياً» وهكذا لما أخذ جبراً من بيته إلى المسجد ليبيع أبا بكر تلا قوله تعالى: ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾

وهذا يعني وجود أمر سابق له ﷺ بالصبر والسكوت والتحمل وعدم الدخول مع ظالميه في حرب داخلية قد تهدد الواقع الإسلامي كله وبالتالي يكون ﷺ قد تسبب في انهيار الدين، فلو لا كتاب سبق، لما سكت عن حقوقه المهضومة.

سؤال أحد الحاضرين: من أين لك بالدليل على أنه ﷺ سكت لكتاب سبق إليه أو أنه كان مأموراً بالسكوت والصبر، بينما القاعدة الإسلامية والإنسانية من حق كل مظلوم أن يقوم ضد ظالميه ويسترد حقه، لاسيما إذا قام علي ﷺ مع أهل بيته وعشيرته ضد ظالميه.

الجواب: لقد جاءت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ يأمر بها أمير المؤمنين بالصبر بعد وفاته حينما يتعرض إلى الاضطهاد والظلم، فمنها ما روي في ينابيع المودة قال: أخرج موفق بن أحمد الخوارزمي والحموي بالاسناد عن أبي عثمان النهدي عن علي ﷺ قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فأتينا على حديقة فاعتقني وأجهش باكياً، فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟

فقال: أبكي لضغائن في صدور قوم لا يريدونها لك إلا بعدي، فقلت: في سلامة من ديني؟ فقال: في سلامة من دينك^(١).

(١) ينابيع المودة ج ١ باب ٤٥ ص ١٣٤ ط بيروت.

أقول: وجاء أيضاً عن رسول الله ﷺ أحاديث مشابهة لهذا منها:

قوله ﷺ لعلي: إن الأمة ستغدر بك من بعدي وأنت تعيش على ملتي...

وقوله ﷺ لعلي: أما أنك ستلقى بعدي جهداً، قال: في سلامة من ديني؟ قال: نعم /

انظر كنز العمال ج ١١ رقم ٣٢٩٩٧ ورقم ٣٢٩٩٦.

وجاء في البحار: قال رسول الله ﷺ لعلي: أبكي لضغائن في صدور قوم لن تبدوا

لك إلا من بعدي، قال: يا رسول الله كيف أصنع؟ قال: تصبر فإن لم تصبر تلق جهداً

وشدة .. / ج ٤١ ص ٥ باب ٩٩ / المترجم.

وذكر الطبرسي عن أحمد بن همام قال: أتيت عبادة بن الصامت في ولاية أبي بكر فقلت: يا عبادة أكان الناس على تفضيل أبي بكر قبل أن يستخلف؟ فقال: يا أبا ثعلبة إذا سكتنا عنكم فاسكتوا، ولا تباحثونا فوالله لعلي بن أبي طالب كان أحق من أبي بكر كما كان رسول الله ﷺ أحق بالنبوة من أبي جهل، قال: وأزيدكم إننا كنا ذات يوم عند رسول الله ﷺ فجاء علي عليه السلام وأبو بكر وعمر إلى باب رسول الله ﷺ فدخل أبو بكر ثم دخل عمر ثم دخل علي عليه السلام على أثرهما فكأنما سفي على وجه رسول الله الرماد ثم قال: يا علي أيتقدمانك هذان وقد أمرك الله عليهما؟! فقال أبو بكر: نسيت يا رسول الله، وقال عمر: سهوت يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: ما نسيتما ولا سهوتما وكأنني بكما قد سلبتماه ملكه وتحاربتما عليه وأعانكما على ذلك أعداء الله وأعداء رسوله وكأنني بكما قد تركتما المهاجرين والأنصار يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف على الدنيا ولكأنني بأهل بيتي وهم المقهورون المشتون في أقطارها وذلك لأمر قد قضي. ثم بكى رسول الله ﷺ حتى سالت دموعه، ثم قال: يا علي الصبر الصبر حتى ينزل الأمر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإن لك من الأجر في كل يوم ما لا يحصيه كتابك فإذا أمكنك الأمر فالسيف السيف القتل القتل حتى يفيثوا إلى أمر الله وأمر رسوله فإنك على الحق ومن ناواك على الباطل وكذلك ذريتك من بعدك إلى يوم القيامة^(١).

وأيضاً روي عن الإمام موسى بن جعفر عن آبائه عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين بالكوفة فلما كان في آخر كلامه قال: ألا وإني لأولى الناس بالناس ومازلت مظلوماً منذ قبض رسول الله ﷺ، فقام إليه الأشعث بن قيس (وهو من المنافقين ومن محبي معاوية - وستأتي الإشارة إلى ذكره -) وقال: يا أمير

(١) الاحتجاج ج ١ ص ١٩٦ ط الأعلمي، بيروت.

المؤمنين لم تخطبنا خطبة منذ قدمت العراق إلّا وقلت والله إنّي لأولى الناس بالناس فما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله، ولما وليّ تيم وعدّي ألا ضربت بسيفك دون ظلامتك؟

فقال أمير المؤمنين: يا ابن الخمارة قد قلت قولاً فاسمع منّي، والله ما منعني من ذلك إلّا عهد أخّي رسول الله ﷺ أخبرني وقال لي: يا أبا الحسن إنّ الأئمة ستغدر بك وتنقض عهدهك وإنك منّي بمنزلة هارون من موسى، فقلت: يا رسول الله فما تعهد إليّ إذا كان ذلك كذلك؟ فقال: إنّ وجدت أعواناً فبادر إليهم وجاهدهم وإن لم تجد أعواناً فكفّ يدك واحقن دمك حتّى تلحق بي مظلوماً، فلما توفي رسول الله ﷺ اشتغلت بدفنه والفراغ من شأنه ثمّ آليت يميناً أنّي لا أرتدي إلّا للصلاة حتّى أجمع القرآن ففعلت ثمّ أخذته وجئت به فأعرضته عليهم قالوا: لا حاجة لنا به.

ثمّ أخذت بيد فاطمة وابني الحسن والحسين ثمّ درت على أهل بدر وأهل السابقة فأنشدتهم حقّي ودعوتهم إلى نصرتي فما أجابني منهم إلّا أربعة رهط: سلمان وعمّار والمقداد وأبو ذرّ وذهب من كنت أعتضد بهم على دين الله من أهل بيتي وبقيت بين حفيرين قريبي العهد بجاهلية عقيل والعبّاس^(١).

(١) الاحتجاج ج ١ ص ١٩٠ ط الأعلمي.

ومن أجل تعميم وإتمام الفائدة أذكر بقيّة الحوار:
فقال له الأشعث: كذلك كان عثمان لما لم يجد أعواناً كفّ يده حتّى قُتل. فقال أمير المؤمنين: يا ابن الخمارة ليس كما قست إنّ عثمان جلس في غير مجلسه وارتدّى بغير ردائه صارع الحقّ فصرعه الحقّ، والذي بعث محمداً بالحقّ لو وجدت يوم بويج أخو تيم أربعين رهطاً لجاهدتهم في الله إلى أن أبلي عذري، ثمّ قال: أيّها الناس إنّ الأشعث لا يزن عند الله جناح بعوضة وإنّه أقلّ في دين الله من عفطة عنز /
المرجّم.

تأسي أمير المؤمنين (ع) بالأنبياء

روي أنَّ أمير المؤمنين كان جالساً في بعض مجالسه بعد رجوعه من النهروان فجرى الكلام حتَّى قيل له: لِمَ لا حاربت أبا بكر وعمر كما حاربت طلحة والزبير ومعاوية؟ فقال: إنِّي كنت لم أزل مظلوماً مستأثراً على حقِّي فقام إليه الأشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين لِمَ لم تضرب بسيفك ولم تطلب بحقِّك؟ فقال: يا أشعث قد قلت قولاً فاسمع الجواب وعه واستشعر الحجة: إنَّ لي أسوة بستَّة من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين: أولهم نوح عليه السلام حيث قال: «إِنِّي مغلوب فانتصر»^(١) فإن قال قائل: إنَّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، وإلَّا فالوصي أعذر.

وثانيهم لوط عليه السلام حيث قال: «لو أنَّ لي بكم قوَّة أو آوي إلى ركنٍ شديد»^(٢) فإن قال قائل إنَّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، وإلَّا فالوصي أعذر.

وثالثهم إبراهيم عليه السلام حيث قال: «وأعز لکم وما تدعون من دون الله»^(٣) فإن قال قائل إنَّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، وإلَّا فالوصي أعذر.

ورابعهم موسى عليه السلام حيث قال: «ففررت منکم لما خفتکم»^(٤) فإن قال قائل إنَّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، وإلَّا فالوصي أعذر.

وخامسهم أخوه هارون عليه السلام حيث قال: «يابن أُمِّ إِنْ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونِي»^(٥) فإن قال قائل إنَّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، وإلَّا فالوصي

(١) القمر: ١٠.

(٢) هود: ٨٠.

(٣) مريم: ٤٨.

(٤) الشعراء: ٢١.

(٥) الأعراف: ١٥٠.

أعذر.

وسادسهم أخي محمد ﷺ خير البشر حيث ذهب إلى الغار ونومي على فراشه فإن قال قائل إنه قال هذا لغير خوف فقد كفر، وإلا فالوصي أعذر^(١).

أقول: أمّا الآية الأولى فإنه ﷺ يشير فيها أن النبي نوحاً ﷺ لم يواجه المشركين لوجود حكمة ما، ولكنه دعا ربه لقلة الناصر وهكذا لوط لم يمارس المواجهة والقتال لقلة الناصر وهكذا بقية الأنبياء العظام الذين ذكرهم ﷺ.

وأما إبراهيم الخليل ﷺ فوضعه في بداية الدعوة لم يختلف عن نوح ولوط فقد هُدد من قبل عمّه آزر بالقتل والرجم والطرْد ونظراً لقلة الناصر فإنه اتخذ طريقاً آخر للدعوة في مجتمع آخر وغادر قومه دون أن يواجههم بالحرب، والأمر نفسه مع موسى الكليم ﷺ ورسولنا الكريم ﷺ.

فشابهت مواقفهم مواقف الإمام علي ﷺ ولذلك اعتزل القتال والحرب تأسيّاً بالأنبياء ﷺ.

ولما سمع الناس كلام أمير المؤمنين هذا قاموا وقالوا له: يا أمير المؤمنين قد علمنا أن القول لك ونحن المذنبون الثابتون وقد عذرك الله.

فمن قبيل هذه الروايات يوجد الكثير ويُفهم من خلالها أن سكوت الإمام كان وفقاً للحكمة التي سار عليها الأنبياء المتمثلة إمّا بقلة الناصر أو قلة المخلصين أو غياب الوعي عن الأفراد أو خوف حصول الهرج والمرج مع عدم تفهم هدف الحركة أو القتال وما شابه ذلك، وإلا فالسكوت لا يعطي للطرف المقابل الشرعية وحقّ الحكم. لاسيّما إذا لاحظنا المسلمين العرب في ذلك

(١) الاحتجاج ج ٢ ص ١٩٠ ط الأعلمي بيروت.

أقول: لا يخفى أن فيه خصال الأنبياء جميعاً كما هو مروي ولكنه أشار إلى هؤلاء الستة ﷺ لوجه الشبه في هذا الموضوع / المترجم.

الزمان قد كانوا حديثي العهد بالإسلام ولا يزال الإيمان لم يرسخ في قلوب الكثير منهم فقد يتصورون حرب الإمام علي عليه السلام مع غاصبي حقّه حرباً أهليّة أو حرباً من أجل المنصب ولا يفهمون البعد الحقيقي للقتال ممّا يؤدّي إلى نتائج سلبية وعكسية وخيمة جدّاً تؤدّي إلى انهيار الإسلام وقتل رموزه الطاهرة - كما صرّح به عليه السلام - ولهذا كلّ امتنع الإمام من القتال^(١).

ولهذا أيضاً لما رأى الفرصة مناسبة لإعلان الحقائق وتذكير الأمة نهض أمير المؤمنين عليه السلام موضحاً كلّ هذه الملابسات والفتن قائلاً:

«أما بعد فإنّه لما قبض الله نبيّه ﷺ قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد ولا يطمع في حقنا طامع إذ انبرى لنا قومنا، فغصبونا سلطان نبينا فصارت الإمرة لغيرنا وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ويتعزّز علينا الدليل فبكت الأعين ممّا لذلك وخشت الصدور وجزعت النفوس وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين وأن يعود الكفر ويبور الدين لكنا على غير ما كنّا لهم عليه، فولّي الأمر ولّاه لم يألو الناس خيراً ثم استخرجتموني أيّها الناس من بيتي فبايعتموني على شين منّي لأمركم وفراسة تصدّقني ما في قلوب كثير منكم وبايعني هذان الرجلان في أوّل من بايع تعلمون ذلك وقد كنّا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم، اللهمّ فخذهما بما عملا أخذاً واحدةً رابية ولا تنعش لهما صرعة ولا تقل لهما عثرة ولا تمهلهما فوقاً، فإنّهم يطلبان حقّاً تركاه ودماً سفكاه، اللهمّ إنّي أقتضيك وعدك وإنك قلت وقولك الحقّ ﴿لمن بغى عليه لينصرته الله﴾ اللهمّ فانجز لي

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: والله لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جورٌ إلّا عليّ خاصّة التماساً لأجر ذلك وفضله وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه / نهج البلاغة رقم ٧٤ / المترجم.

موعذك ولا تكلني إلى نفسي إنك على كل شيء قدير^(١).

وقال عليه السلام في خطبة ثانية ذكرها ابن أبي الحديد المعتزلي عندما عزم على المسير إلى البصرة لإطفاء الفتنة التي أثارها طلحة والزبير وعائشة قال بعد الحمد والثناء :

إن الله لما قبض نبيه ﷺ استأثرت علينا قريش بالأمر ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمايهم والناس حديثو عهد بالإسلام والدين يمحض مخض الطوبى يفسده أدنى وهن ويعكسه أقل خلق فولّي الأمر قوم لم يأتوا في أمرهم اجتهداً ثم انتقلوا إلى دار الجزاء والله وليّ تمحيص سيئاتهم والعفو عن هفواتهم^(٢).

رسالته (ع) إلى أهل مصر

ولعل أوضح بيان لعلّة سكوته وعدم مقاتلته غاصبيه ما كتبه إلى أهل مصر حيث جاء في كتابه عليه السلام : أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ نذيراً للعالمين ومهيماً على المرسلين فلما مضى ﷺ تنازع المسلمون الأمر من بعده فوالله ما كان يلقي في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تُزعج هذا الأمر من بعده ﷺ عن أهل بيته ولا أنهم منعوه عني من بعده فما زاعني إلا انشغال الناس على فلان يبايعونه فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد ﷺ فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٣٦، ط: مؤسسة الأعلمي بيروت ١٩٩٣ م.

(٢) المصدر السابق.

هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتقشع السحاب فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهت^(١). فكان سكوته لمصلحة الإسلام وأهله وحفظ بيضة الدين وهيبته والدفاع عنه في ميادين المناظرات والحوارات الفكرية والعقائدية التي كان يتصدى لها أمير المؤمنين عليه السلام مع اليهود والنصارى، ولم يكن السكوت خوفاً أو تراجعاً وإنما تضحية كبرى تدل على عظمة الإمام وهمته في حفظ الدين ونظرته البعيدة لمستقبل الإسلام، وأيضاً إفشالاً لمخططات المنافقين الذين يخوضون في الماء العكر ويرغبون دائماً في الانقسامات والاختلافات لأنها أجوازهم المفضلة.

وبعد كل هذا أعود معكم إلى الموضوع الذي كنا نتكلم حوله ألا وهو الإشارة إلى بعض أعمال عثمان بن عفان.

عبدالله بن سعد بن أبي سرح

هو أخو عثمان من الرضاعة، حتى ذكر الشهرستاني ضمن كلامه حول مخالفات عثمان: ومنها إيواؤه عبدالله بن سعد بن أبي سرح وكان رضيعه - أي لعثمان - بعد أن أهدر النبي ﷺ دمه وتوليته إياه مصر بأعمالها^(٢). وكان عبدالله قد أسلم وهاجر إلى المدينة لكنه ارتد بعد فتح مكة ولذلك أباح النبي ﷺ دمه وأمر المسلمين بقتله في أي مكان يجدونه حتى لو كان متعلقاً بأستار الكعبة!!

وفي هذه الأثناء كان عبدالله مخفياً في بيت عثمان بن عفان للصلة التي

(١) المصدر السابق باب المختار من كتبه ﷺ.

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ٢٦ الخلاف التاسع، ط: دار الفكر، بيروت.

بينهما إلى أن مضى عليه زمن وهو في بيت عثمان يأكل ويشرب وينام!!
فلما أسلم أهل مكة كلهم جاء عثمان مع عبدالله بن سعد إلى رسول
الله ﷺ طالباً الشفاعة له وهو يتوسل برسول الله عسى أن يعفو عنه ويصفح
بينما ظل النبي ﷺ ساكناً لا يرد عليه جواباً حتى طرده في نهاية الأمر وأمر أن
يخرج من المدينة، ثم أخبر ﷺ الأصحاب عن علّة سكوته أولاً حيث قال:
كنتُ أنتظر أحدكم أن يقوم بالسيف ويقتل عبدالله، وهكذا ظل عبدالله بن سعد
شخصاً غير مرغوب فيه حتى في أيام خلافة الأول والثاني، إلى أن جاء عثمان
وخالف سيرة النبي ﷺ وسيرة شيوخه ولم يحترم مشاعر الأمة فأتى بعبدالله
وجعله والياً على مصر وأوكل إليه فتح أفريقية مع عبدالله بن العباس وابن عمر
وابن الزبير.

عبدالله بن عامر بن كريز

وهو أيضاً ممّن ذكره الشهرستاني ضمن مخالقات عثمان حيث قال:
وثولته عبدالله بن عامر البصرة حتى أحدث فيها ما أحدث^(١).
وهو ابن خال عثمان ولآه البصرة عام ٢٩هـ وفي أيامه تم فتح خراسان
وفارس وسجستان وكرمان على ما نقل ابن الأثير.
وبعدما قُتل عثمان وبويع بالخلافة لأمير المؤمنين رضي الله عنه عزل جميع عمّال
عثمان ومنهم عبدالله بن عامر، إلا أن الأخير سرق أموال بيت المال كلّها وأخذها
معه إلى المدينة ثم عمل مع طلحة والزبير في صرفها لتجنيد جيش الجمل الذي
حارب أمير المؤمنين بقيادة عائشة.

(١) المصدر السابق.

أُمراء جند عثمان

وكتب الشهرستاني: وكان أمراء جنوده - عثمان -: معاوية بن أبي سفيان عامل الشام وسعد بن أبي وقاص عامل الكوفة، وبعده الوليد بن عُقبة (أخ عثمان لأُمّه) وعبدالله بن سعد عامل البصرة...^(١).

فهؤلاء عُرِفوا بالفساد والمكر والحيلة وإيجاد الاختلاف والحروب ونشر المحرّمات، فإنّ الوليد كان قد سهر في واحدة من ليلاته الحمراء إلى الفجر وهو سكران ثمل لا يدري ما يدور حوله ثمّ ذهب إلى المسجد فصلّى بالمسلمين جماعة وهو ثمل فصلّى بهم صلاة الصبح أربع ركعات ثمّ التفت إليهم قائلاً: هل أزيدكم...^(٢).

فهؤلاء مضافاً إلى مفاسدهم واستهتارهم فإنّهم كما وصفهم الشهرستاني قائلاً: «وكلّهم خذلوه - لعثمان - ورفضوه حتّى أتى قدره عليه، وقُتل في داره وثارَت الفتنة...»^(٣).

وهكذا بدأ هذا السرطان الجديد يدبّ في الأمّة الإسلامية بأذرعه الأموية القذرة التي ما برحت من التنكيل بالإسلام والمسلمين وما برحوا - بني أمية - يعملون على زعزعة الصّف الإسلامي الواحد وإيجاد التخلخل فيه وزرع الطائفية والقومية والأفكار الجاهلية لبثّ الافتراق والاختلاف الذي روى من بني أمية ماؤه.

(١) المصدر السابق.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٨ ص ٢٢٩ ط دار إحياء الكتب العربية، ومروج الذهب ج ٢ ص ٣٣٤.

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ٢٦.

فقد عملوا جاهدين لحرب صفين والجمل وغير ذلك من قتل الأبرياء ورجال الأئمة الأفاضل ومفاخرها وأبطالها، وتنصيب الصبيان على الولايات والمراكز المهمة بدوافع قومية قبلية حتى صارت أفعال بني أمية على مر العشرات من السنين أحد أسباب افتراق الأمة.

سؤال أحد الحاضرين : إذا كان الاختلاف والافتراق حصل بسبب فساد بني أمية فلماذا بقي هذا الاختلاف أثناء حكومة الإمام علي عليه السلام ؟

الجواب : إن ما فعله عمال عثمان وهم فروع الشجرة الملعونة من بني أمية وبني العاص لم يكن بالسهل إزالته خلال حكومة الإمام علي عليه السلام ، ومع ذلك فإن الإمام صمم وعمل على رفع الظلم والفساد وقمع مظاهر البذخ والشراء وإلغاء المحسوبيات ، إلا أنهم لم يمهلوا الإمام الفرص الكافية لنشر العدل فاثاروا ضده حرب الجمل ثم حرب صفين وهكذا أفرزت الحرب الأخيرة حرباً ضروساً وهي النهروان ، ولهذا ظل الإمام علي عليه السلام أثناء فترة خلافته يعمل على قتال الناكثين والمارقين والفاستقين وهم أس الفساد والافتراق.

دراسة حول الاختلاف العاشر - خلافة أمير المؤمنين

وهو الاختلاف الذي ذكره الشهرستاني سابقاً ، وقبل ذلك علينا أن نوضح لكم أمراً مهماً وهو أن أمير المؤمنين لما جاء إلى الخلافة كانت الحالة العامة لدى الناس هي التذمر من سياسة عمال عثمان ، والجميع كان يحلم بالعدل والمساواة والأمن والسلام.

فلما قُتل عثمان أقبل الناس بكامل اختيارهم إلى بيت الإمام علي عليه السلام يبائعونه ، ولما تمت البيعة له صعد المنبر وقال : .. فأنتم عباد الله والمال مال الله يُقسَم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً وما عند الله خير

للأبرار وإذا كان غد إن شاء الله فاغدوا علينا، فإن عندنا مالا نقسمه فيكم ولا يتخلّفن أحد منكم عربي ولا عجمي كان من أهل العطاء أو لم يكن إذا كان مسلماً حرّاً^(١).

ثم عزل أموال عثمان الخاصة عن أموال بيت المال وأعطى القسم الأول للورثة ثم بدأ في اليوم الثاني بالعطاء فبدأ بالمهاجرين ثم الأنصار ثم بقيّة المسلمين لم يفرّق في عطائه بين الغني والفقير أو الكبير والصغير فأعطى لكل واحد ثلاثة دنانير ولم يفضّل أحداً على أحد^(٢).

وهكذا قسم الإبل والأسلحة وبقية الغنائم التي استأثر بها عثمان ففرح الفقراء بهذا العدل واستبشر المؤمنون بهذه السيرة وحلم المسلمون بالأمن والأمان والضمان والمحبة، ومن جهة ثانية اشتدّ غضب الطبقات الثرية التي رأت الخطر في سيرة الإمام علي عليه السلام لأنه يقف أمام طموحاتهم الحقيرة وأحلامهم القذرة وجشعهم اللا محدود فكانوا ينظرون إلى الدنانير الثلاثة وملتهم الاستهزاء بها بعدما كانوا يقبضون من عثمان المئات والألوف، ولذا كان العدل في نظرهم يعدّ خطراً على مصالحهم.

وكانت سيرة أمير المؤمنين عليه السلام بالنسبة إليهم جرس الإنذار، لأنهم لم يألفوا العدل والحق والصدق والإسلام الحقيقي، بل كانت سيرة عثمان قد أبعدتهم عن كلّ ذلك ولهذا وجدوا في أمير المؤمنين علي عليه السلام خطراً وكان عثمان يقف وراء هذه النظرة بسلوكه معهم. ولكي يتّضح لكم ذلك أذكر بعض المقتطفات من سيرة عثمان القائمة على البذخ والإسراف:

فإنه - عثمان - أعطى ثلاثمائة ألف (٣٠٠/٠٠٠) درهم إلى الحكم بن أبي

(١) البحار ج ٣٢ ص ١٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) المصدر ص ١٨.

العاص مع أنه ملعون وطريد رسول الله ﷺ^(١).

وأعطى خمس غنائم أفريقيا وخمس غنائم بلاد أرمينية البالغة مائتي ألف (٢٠٠/٠٠٠) دينار مع مائة ألف درهم (١٠٠/٠٠٠) إلى مروان بن الحكم الملعون^(٢).

وأعطى لعبد الله بن خالد بن أسيد الأموي أربعمائة ألف (٤٠٠/٠٠٠) درهم.

وأعطى مائة ألف درهم لطلحة بن عبيد الله، ومائة ألف درهم لسعيد بن العاص، ومائتي ألف درهم لأبي سفيان وستمائة ألف درهم للزبير بن العوام ومائة ألف درهم لزيد بن ثابت الأنصاري^(٣).

(١) أنظر شرح النهج ج ١ ص ٢٩٩ ط دار إحياء الكتب العربية.

(٢) المصدر نفسه، والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٢٦.

وكان عثمان ينظر إلى الإمام علي عليه السلام نظرة استخفاف وكان يُفضّل هذا الطريد الملعون - مروان - عليه وقد صرح هو - عثمان - بذلك حينما قال لعلي في واحدة من المحاورات الساخنة «فوالله ما أنت عندي بأفضل منه - أي من مروان »!! فغضب علي بن أبي طالب وقال: إليّ تقول هذا القول ويمروان تعدلني فأنا والله أفضل منك وأبي أفضل من أبيك وأمي أفضل من أمك ... / انظر مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٢.

قال ابن أبي الحديد: وأما مروان فأخبت عقيدة وأعظم الإحاداً وكفراً وهو الذي خطب يوم وصل إليه نبأ قتل الحسين فقال: يا محمّد يوم بيوم بدر، وهذا القول مشتق من الشعر الذي تمثّل به يزيد لعنه الله / انظر شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٧٢ دار إحياء الكتب العربية / المترجم.

(٣) قال المؤرّخ المسعودي في مروج الذهب: إنّ عثمان يوم قُتل كان له عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وخنين وغيرهما مائة ألف دينار وخلف خيلاً كثيراً وإبلًا.

وأعطى لأصحابه كل واحد مائة ألف درهم، ومثل هذه الأرقام كان عثمان يُعطي ويهب لمن يحبّه ويرتضيه ولمن يتولاه فقط، بينما يمنع الدراهم المعدودات على من خالفه، فعلى هذه الطريقة اشترى عثمان إيمان قوم وضمان آخرين واستدّل شموخهم عبر المال، فارتبطوا بالدنيا وعاشوا لأجلها. ولهذا رأوا في عدل أمير المؤمنين خطراً محدقاً بهم، وعرفوا من سيرة الإمام علي عليه السلام أن ثراءهم سوف يقف عند حد ما، لأنه عليه السلام سيجعل عطاءهم مثل عطاء أفقر المسلمين.

وبعبارة أخرى كانت سيرة عثمان هي التي أفرزت أعداء جُدداً لعلي عليه السلام وهي التي حرّضت الأعداء التقليديين له ودفعت هذه الطبقة المنتفعة بأموال المسلمين نحو إعداد الحرب ضدّ الخليفة العادل والسعي بكلّ جهد لعرقلة مسيرة الخليفة العادل ومضايقته بخلق الفتن وإثارة بعض المشاكل وتفجير الواقع، كما عمل المنافقون سابقاً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

→ وبلغت ثروة الزبير أيام عثمان خمسين ألف دينار، وخلف ألف فرس وألف عبد وأمة..

وبلغت ثروة طلحة أن غلّته من العراق كلّ يوم ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك وبناحية الشراة أكثر ممّا ذكرنا.

وعبدالرحمن بن عوف كان على مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف شاة من الغنم.

وابتنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق.. وجعل أعلاها شرفات.

وخلف زيد بن ثابت حين مات من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال والضياع / المروج ج ٢ ص ٣٣٢.

وذكر المسعودي في مروجه ج ٢ ص ٤١٩ عن زهد الإمام علي عليه السلام: «لم يلبس علي عليه السلام أيامه ثوباً جديداً ولا اقتنى ضيعة ولا ريعاً» / المترجم.

اعتراض أهل الدنيا

وكان أول عمل بادر به هؤلاء الأثرياء أن اعترضوا على هذه العدالة وسخطوا على الإنصاف وقاوموا المساواة وجاءوا إلى أمير المؤمنين معترضين: كيف يساوي بينهم وبين العبد المحرّر والمعتق والمسلم الفقير؟ فاعترض عليه طلحة والزبير وعبدالله بن عمر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة وجماعة من قريش وآخرون من بني أمية وبني العاص وغيرهم ممن يبطن الحقد والبغض لعليّ عليه السلام الذي قتل آباءهم أو إخوانهم في حرب بدر وأحد والأحزاب، وممن أترفوا على موائد عثمان وأصحاب الجاه العريض الذي بنوه لأنفسهم على حساب جوع وفقر بقية المسلمين لاسيما أهل البيت عليه السلام.

ماذا قال المنافقون والأمويّون لعليّ عليه السلام؟

وفي اليوم التالي: فبينما الناس في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير وطلحة فجلسا ناحية عن عليّ عليه السلام ثم طلع مروان وسعيد وعبدالله بن الزبير فجلسوا إليهما ثم جاء قوم من قريش فانضموا إليهم فتحدّثوا نجياً ساعة ثم قام عبدالله بن عمر وقال لعليّ عليه السلام: إنّي ناصح لك إن بيعتك لم يرض - بها - كلّهم فلو نظرت لدينك ورددت الأمر شورى بين المسلمين، فقال له عليه السلام: ويحك وهل ما كان عن طلب منّي لهم؟ ألم يبلغك صنعهم، قم عني يا أحمق ما أنت وهذا الكلام^(١)، ثم توجه إليه الوليد بن عقبة وقال له: يا أبا الحسن إنك قد وترتنا جميعاً أمّا أنا فقتلت أبي يوم بدر صبراً وخذلت أخي يوم الدار بالأمس، وأمّا

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠ ط دار إحياء الكتب العربية.

سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب وكان ثور قریش، وأما مروان فسُخِّفَت أباه عند عثمان إذ ضمه إليه ونحن إخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال في أيام عثمان وأن تقتل قتلته وإننا إن خفناك تركتنا والتحقتنا بالشام.

فقال ﷺ: أما ما ذكرت من وتري إيتاكم فالحق وتركم. وأما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم، وأما قتلة عثمان فلو لزموني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس ولكن لكم عليّ إن خفتموني أن أؤمنكم وإن خفتكم أن أسيركم^(١).

فمن خلال هذه المحاوراة الصريحة التي أدلى فيها الوليد ما يجول في قلوبهم اتجاه الإمام علي، يظهر لكم الحقد والبغض الذي ينطوي عليه هؤلاء القوم وعدم قبولهم العدل والمساواة والحق.

بعد ذلك أمر الإمام علي ﷺ عمار بن ياسر أن يذهب إلى المسجد وينادي طلحة والزبير.

محاورة بين الإمام علي (ع) وطلحة والزبير

فلما جاء إليه قال ﷺ لهما: نشدتكما الله هل جئتماني طائعين للبيعة ودعوتماني إليها وأنا كاره لها؟ قالوا: نعم، فقال ﷺ: غير مجبرين ولا مقسورين فأسلمتما لي بيعتكما وأعطيتماني عهدكما؟ قالوا: نعم، قال: فما دعاكما بعد إلى ما أرى؟ قالوا: أعطيناك بيعتنا على أن لا تقضي في الأمور ولا تقطعها دوننا وأن تستشيرنا في كل أمر ولا تستبدّ بذلك علينا ولنا من الفضل على غيرنا ما

(١) تاريخ البعقوبي ج ٢ ص ١٧٨ وشرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٣٨ ط دار إحياء الكتب العربية.

قد علمت فأنت تقسم القسم وتقطع الأمر وتمضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا.

فقال عليه السلام: لقد نعمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً فاستغفرا الله يغفر لكما ألا تخبرانني أذفعتكما عن حقّ وجب لكما فظلمتكما إياه؟ قال: معاذ الله، قال: فهل استأثرت من هذا المال لنفسي شيء؟ قال: معاذ الله، قال: فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟ قال: خلافك عمر بن الخطاب في القسم إنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا وسوّيت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالى بأسافنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا... فقال عليه السلام: أما ما ذكرتموه من الاستشارة بكما فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ولكنكم دعوتوني إليها وجعلتموني عليها فخفت أن أردكم فتتخلف الأمة فلما أفضت إلي نظرت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فأمضيت ما دلاني عليه واتبعته ولم أحتج إلى رأيكما فيه ولا رأي غيركما ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولا في السنة برهانه واحتج إلى المشاورة فيه لشاررتكما فيه.

وأما القسم والأسوة فإن ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدء قد وجدت أنا وأنتم رسول الله ﷺ يحكم بذلك وكتاب الله ناطق به وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم مجيد.

وأما قولكما جعلت فينا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا سواءً بيننا وبين غيرنا فقديماً سبق إلى الإسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم فلم يفضلهم رسول الله ﷺ في القسم ولا أثرهم بالسبق والله سبحانه موفٍ السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم وليس لكما والله عندي ولا لغيركما إلا هذا أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق وألهمنا وإياكم الصبر^(١).

فخرجوا من عنده وهما يكتمان البغض والحقد، وعملا في المدينة على زعزعة الأمور وتشويه صورة الإمام علي عليه السلام عند العامة، فيما كتب أتباع معاوية ومحبّو بني أمية إلى معاوية رسائل يذكرون له ما حصل بين طلحة والزبير وبين الإمام علي عليه السلام، فأمر معاوية أن تُكتب رسالة مزوّرة عن لسانه موجهة إلى الزبير كتبوا فيها:

رسالة مزوّرة من معاوية إلى الزبير

لعبد الله بن الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان:
سلام عليك أما بعد: فأني قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوثقوا كما يستوثق الحلف، فدونت الكوفة والبصرة، لا يسبقنك إليها ابن أبي طالب فإنه لا شيء بعد هذين المصرين وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك فظاهر الطلب بدم عثمان وادع الناس إلى ذلك، ولكن منكما الجدّ والتشمير أظفركم الله وخذل مناويكما^(١)، فلمّا وصل هذا الكتاب إلى الزبير أعلم به طلحة وأخفياه عن الإمام علي عليه السلام.

طمع طلحة والزبير في الولاية

وقد ذكر المؤرّخون أنّ طلحة والزبير كانا يظنّان أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سوف يوليّهما البصرة والكوفة، فلمّا عرفا خلاف ذلك أرسلهما محمد بن طلحة وقالاه: لا تقلّ له يا أمير المؤمنين وقلّ له: يا أبا الحسن لقد فال فيك رأينا وخاب ظننا أصلحنا لك الأمر ووطدنا لك الإمرة وأجلبنا على عثمان حتّى قتل فلمّا طلبك الناس لأمرهم جنناك وأسرعنا إليك وبايعناك وقدنا إليك أعناق العرب

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٣٠ ط دار إحياء الكتب العربية.

ووطئ المهاجرون والأنصار أعقابنا في بيعتك حتى إذا ملكت عنانك استبددت برأيك عنا ورفضتنا رفض التريكة وملكك أمرك الأشر وحكيم بن جبلة وغيرهما من الأعراب ونزاع الأمصار فكنا فيما رجونا منك كما قال الأول:

فكنت كمهريق الذي في سقائه لرقراق آل فوق رابية صلي

فلما جاءه محمد بن طلحة وأبلغه ذلك قال عليه السلام: إذهب إليهما فقل لهما: فما الذي يرضيكما؟ فذهب وجاء وقال: إنهما يقولان: ولأحدنا البصرة والآخر الكوفة، فقال: والله إنني لا آمنهما وهما عندي بالمدينة فكيف آمنهما وقد وليتهما العراقيين؟ إذهب إليهما فقل: أيها الشيخان احذرا من الله ونبه علي أمته ولا تبغيا المسلمين غائلة وكيداً وقد سمعنا قول الله ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ فقام محمد بن طلحة فاتأهما ولم يعد إليه وتأخرا عنه أيتاماً ثم جاءاه فاستأذناه في الخروج إلى مكة للعمرة^(١) وحدث منهما ما حدث كل ذلك طلباً وطمعاً في الولايات.

أمير المؤمنين يدعو علي طلحة والزبير

ولما رأى الإمام عليه السلام منهما الانحراف والتصميم على نكث البيعة ومحاربتة رفع يديه بالدعاء قائلاً: «اللهم اقعص الزبير بشر قتلة واسفك دمه علي ضلالة وعرف طلحة المذلة وادخر لهما في الدار الآخرة شراً من ذلك إن كانا ظلماني»^(٢).

(١) شرح النهج في أواسط شرح المختار ١٩٨ ج ٣ ص ٥٧٦ ط بيروت والبحار ج ٣٢ ص ٢٤.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ٧٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

طلحة والزبير يستعدان للحرب

وعندما انطلقا إلى مكة وأعلنا رفضهما لبيعة أمير المؤمنين عليه السلام التحق بهما بنو أمية وهم الأعداء التقليديون لعلي عليه السلام أمثال عبدالله بن عامر ويعلى بن أمية وأمثالهما وكذا التحقت بهما عائشة وكثير من الأعراب وأنصار عثمان، وانطلق القوم بعدها إلى حفصة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعزمت أن تلتحق بعائشة وتذهب معهم إلى البصرة إلا أن عبدالله بن عمر منعها من ذلك وبعثت إلى عائشة أن عبدالله حال بيني وبين الخروج ^(١) إلا أنها - حفصة - أرسلت إليهم رأيها فقالت: رأيي تبع لرأي عائشة ^(٢) وقدم لهم يعلى بن أمية ستمائة ألف وستمائة بعير ^(٣) وأعطاهم عبدالله بن عامر مالا كثيرا وإبلًا ^(٤).

وحاولوا استدراج أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً إلا أنها رفضت ذلك وكان موقفها إيجابياً لصالح أمير المؤمنين، وهكذا تمت العدة لحرب الخليفة - علي - بقيادة عائشة والزبير وطلحة.

عداء عائشة لعثمان ومن ثم لعلي عليه السلام

وكانت عائشة من أكبر المحرضين ضد عثمان فكانت تقول: اقتلوا نعثلاً*

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٨-٩ دار الكتب العلمية والكامل ج ٣ ص ١٠١.

أقول: ذكر المسعودي أن ابن عامر جهّزهم بألف ألف درهم ومائة من الإبل وغير ذلك ج ٢ ص ٣٥٧ / المترجم.

(٢ و ٣ و ٤) المصدر نفسه.

(*) نعتل: قالت عائشة: يا نعتل! يا عدو الله! إنما سماك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باسم نعتل اليهودي الذي كان باليمن / البحار: ج ٣٢ / ١٣٦. وقال محمد بن أبي بكر لعثمان: على أي دين أنت يا نعتل، وما يدريك يا نعتل / البداية والنهاية لابن الأثير: ج ٧ ص ٢٠٧، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٩٣.

قتله الله فقد كفر^(١) ولما وصلها خبر مقتل عثمان كانت بمكة قالت: أبعد الله ذلك بما قدّمت يداه وما الله بظلام للعبيد^(٢)، ثم هي نفسها لما وصلها خبربيعة الناس لعليّ عليه السلام قالت: لوددتُ أن السماء انطبقت على الأرض إن أتم هذا، قُتل ابن عفّان مظلوماً^(٣).

ولم تكن كراهيتها لعليّ عليه السلام جديدة بل إنّها منذ زمن رسول الله ﷺ حيث كانت بين الفينة والأخرى تصرّح بما يجول في قلبها من حقد وبغض لعليّ عليه السلام، وإلا فإنّها هي المحرّضة على قتل عثمان ثم هي التي رفعت راية مظلوميّته!! فما هذه التناقضات؟ وفي مثل هذه الظروف وجد طلحة والزبير أن الفرصة مناسبة لإقناع عائشة بضرورة الوقوف ضد الحاكم العادل والخليفة الحقّ عليّ عليه السلام، لذلك أتيا علياً فقالا: إنّنا نريد العمرة فأذن لنا في الخروج فقال: والله ما أرادا العمرة ولكنهما أرادا الغدرة!! فلحقا بعائشة بمكة فحرّضاها على الخروج ضدّ

(١) تاريخ الفتوح لابن أعثم الكوفي ص ١٥٥ والطبري في تاريخه ج ٣ ص ١٢ دار الكتب العلمية ١٩٨٨، وابن الأثير في النهاية ج ٤ ص ١٥٦ وشرح النهج ج ٢ ص ٧٧ ط مصر، وتذكرة الخواص وأخبار الزمان والأوسط للطبراني وابن عساكر. والإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٢، وآخرون.

أقول: جاء في تاريخ اليعقوبي أنّ مروان طلب من عائشة أن تعين عثمان لما كان محصوراً فقالت: لعلك ترى أنّي في شك من صاحبك، أما والله لوددت أنّه مقطّع في غرارة من غرائري وأتي أطبق حمله فأطرحه في البحر / تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٧٦، ولما قُتل ووصل خبر قتله إليها قالت: بُعداً وسحقاً / المترجم.

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٨٠، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ٥٢ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٠٠ دار الكتب العلمية بيروت / المترجم.

الإمام علي عليه السلام^(١).

ويلاشك فإن البسطاء سوف يتأثرون بـ (أم المؤمنين) التي ستحارب أمير المؤمنين عليه السلام !! فحاولت عائشة أن تستميل معها أم سلمة أيضاً ليكون جانبها قوياً أمام الناس العوام والمغفلين والبلداء.

أم سلمة تُذكر عائشة بفضائل علي عليه السلام

وقد حاولت عائشة أن تزلق معها قدم المرأة الصالحة أم سلمة زوجة النبي ﷺ فذهبت إليها وهي بمكة وجلست عندها تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، فقالت أم سلمة: إنك كنت بالأمس تُحرّضين علي عثمان وتقولين فيه أخبث القول وما كان اسمه عندك إلا نعتلاً وإنك لتعرفين منزلة علي بن أبي طالب عليه السلام أفأذكركِ؟ قالت: نعم، قالت: أتذكرين يوم أقبل - النبي ﷺ - ونحن معه حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال خلا بعلي يناجيه فأطال فأردت أن تهجمي عليهما فنهيته ففصيتني فهجمت عليهما فما لبثت أن رجعت باكية فقلت: ما شأنك؟ فقلت: إنني هجمت عليهما وهما يتناجيان فقلت لعلي: ليس لي من رسول الله إلا يوم من تسعة أيام أفما تدعني يا بن أبي طالب ويومي!! فأقبل رسول الله ﷺ علي وهو غضبان محمرّ الوجه فقال: ارجعي وراءك والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلا وهو خارج عن الإيمان. فرجعت نادمة ساقطة؟! قالت عائشة: نعم، أذكر ذلك.

ثم قالت أم سلمة: وكنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ وأنت تغسلين رأسه وأنا أحيس له حيساً وكان الحيس يعجبه فرفع ﷺ رأسه وقال: ياليت شعري

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٨٠ وشرح التهجد ج ١ ص ٢٣٢ ط دار إحياء الكتب العربية.

أَيْتَكَ صَاحِبَةَ الْجَمَلِ الْأَذْنَبِ تَنْبِجُهَا كِلَابُ الْحَوَابِ فَتَكُونُ نَاكِبَةً عَنِ الصَّرَاطِ ،
فَرَفَعْتُ يَدَيَّ مِنَ الْحَيْسِ فَقُلْتُ : أَعُوذُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ ضَرَبَ ﷺ
عَلَى ظَهْرِكَ وَقَالَ : إِيَّاكَ أَنْ تَكُونِيهَا إِيَّاكَ أَنْ تَكُونِيهَا يَا حَمِيرَاءُ ، أَمَّا أَنَا فَقَدْ
أَنْذَرْتُكَ .

وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : وَكُنْتُ أَنَا وَأَنْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ لَهُ وَكَانَ عَلَيَّ
يَتَعَاهَدُ نَعْلِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيخَصِفُهَا وَيَتَعَاهَدُ أَثَوَابَهُ فَيَغْسِلُهَا فَتَقْبِتُ لَهُ نَعْلٌ فَأَخْذَهَا
يَوْمَئِذٍ يَخَصِفُهَا وَقَعْدٌ فِي ظِلِّ سَمَرَةٍ وَجَاءَ أَبُوكَ وَمَعَهُ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَّا عَلَيْهِ ﷺ
فَقَمْنَا إِلَى الْحِجَابِ وَدَخَلَا يَحْدِثَانِهِ فِيمَا أَرَادَ ثُمَّ قَالَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَا نَدْرِي
قَدْرَ مَا تَصَحِّبُنَا فَلَوْ أَعْلَمْتُنَا مِنْ يُسْتَخْلَفُ عَلَيْنَا لِيَكُونَ لَنَا بَعْدُكَ مَفْزَعًا؟

فَقَالَ ﷺ لَهُمَا : أَمَّا إِنِّي قَدْ أَرَى مَكَانَهُ وَلَوْ فَعَلْتَ لَتَفَرَّقْتُمْ عَنْهُ كَمَا تَفَرَّقَتْ
بَنُو إِسْرَائِيلَ عَنْ هَارُونَ بْنِ عَمْرَانَ ، فَسَكُنَا ثُمَّ خَرَجَا فَلَمَّا خَرَجْنَا إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ قَلْبٌ لَهُ وَكُنْتُ أَجْرًا عَلَيْهِ ﷺ مِنَّا : مَنْ كُنْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مُسْتَخْلَفًا
عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ : خَاصِفُ النَّعْلِ ، فَظَنَرْنَا فَلَمْ نَرِ أَحَدًا إِلَّا عَلِيًّا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا
أَرَى إِلَّا عَلِيًّا؟ فَقَالَ ﷺ : هُوَ ذَاكَ فَقَالَتْ عَائِشَةُ : نَعَمْ أَذْكَرُ ذَلِكَ .

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَأَيُّ خُرُوجٍ نَخْرُجِينَ بَعْدَ هَذَا؟ فَقَالَتْ عَائِشَةُ : إِنَّمَا أَخْرَجَ
لِلْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ وَأَرْجُو فِيهِ الْأَجْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ^(١) .

توضيح دقيق حول حديث خاصف النعل

وهنا أشير إلى نقطتين حول هذا الحديث المروي عن أم المؤمنين أم سلمة
التي كانت بعد أم المؤمنين خديجة في الفضل :
أولاً : جواب رسول الله ﷺ : إِنِّي قَدْ أَرَى مَكَانَهُ وَلَوْ فَعَلْتَ لَتَفَرَّقْتُمْ عَنْهُ

وهذا يعني أن المقصود هو رجل ثالث غير أبي بكر وعمر وهو علي عليه السلام بدليل خطابه لهما (لتفرقتم) فهما من جملة المتفرقين عن هذا الخليفة. وعليه تكون النتيجة: أنهما لم يكونا خلفاء رسول الله ﷺ، بل هما من جملة من سيفترق عن الخليفة الشرعي.

وقد شبه هذا التفرق بتفرق بني إسرائيل عن هارون، وقد تقدّم منا الإشارة إلى حديث المنزلة في هذا الكتاب وفي كتاب ليالي بيشاور عندما قال ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. فاعتبره وصيه وخليفته كما كان هارون كذلك لموسى عليه السلام.

سؤال أحد الحاضرين: يبدو لي أن صدر الحديث لا يتفق مع ذيله فإن صدره في إثبات الخلافة لعلي من باب التشبيه بهارون ولكن ذيله عبارة عن نفي لأي نبوة بعده، فأرجو أن توضّح لنا هذا التعارض؟

الجواب: لما شبه علي بهارون في صدر هذا الحديث علينا أن نعرف منازل هارون حتى يتضح لكم ذيل الحديث أيضاً.

أما منازل هارون كما جاء في القرآن والعهد القديم والأخبار فهي:

- ١- منزلة الأخوة فهارون شقيق موسى.
- ٢- منزلة النبوة فهارون كان نبياً، إلا أن المرسل هو موسى والحجّة له.
- ٣- منزلة الوزارة والخلافة مضافاً إلى كونه نبياً.

وعندما أطلق النبي ﷺ قوله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى فهو يعني هذه المنازل الثلاث فأنت أخي وأنت خليفتي ووزيرني إلا أنك لست بنبي إذ لا نبوة بعدي، ولا يخفى أن أخوته الإيمانية لا كونه شقيقاً أو أخاً على نحو الحقيقة، فيبقى منزل الخلافة ثابتاً وهو المقصود من حديث المنزلة، وتجلّست خلافة هارون حينما عزم موسى على الذهاب إلى ميقات ربّه مع سبعين رجلاً من صفوة بني إسرائيل فخلّف هارون في بني إسرائيل ليقوم مقامه، ولكن بعد

مدة قليلة أضلّهم السامري وخدعهم بشبهته، فوقف هارون أمام هذا الانحراف وحذر السامري من مغبة هذا الضلال، إلا أنه تمادى في غيه حتّى حاول مع الجهلة الذين كانوا معه أن يقتلوا هارون، إلا أنه تصرّف معهم بكلّ حنكة وحكمة فحفظ نفسه ومن آمن معه من شرّ الغوغاء إلى أن عاد موسى.

وهذا ما قصده النبي ﷺ: أي أنك يا عليّ بعدي مستمرّ بما مرّ به هارون فسوف تفرّق الأمة عنك وتهدّد بالقتل كما حصل لهارون. والآن بعد هذا الموجز لا يبقى أيّ تناقض بين صدر الحديث وذيله كما تصوّرتهم.

ولهذا السبب قال النبي ﷺ: لو فعلت لتفرقتم عنه، تماماً كما تفرّق بنو إسرائيل وأتبعوا السامري وعبدوا العجل وهدّدوا هارون بالقتل.

وقد ذكر ابن قتيبة أنّ القوم بعدما تمّت البيعة لهم جاءوا بعليّ عليه السلام مكرهاً إلى المسجد فقال له عمر: بايع فقال عليّ: فإن لم أفعل؟ فقال عمر: تقتلك إذن، فقال عليّ: أتقتلون عبد الله وأخا رسوله؟ فقال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسول الله فلا، بينما التزم أبو بكر بالسكوت بعدها توجه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلى قبر النبي ﷺ وقال ما قاله هارون: يابن أمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني^(١).

ولذلك لو دقّق المنصفون في هذه الحوادث الواقعة وطابقوها مع حوادث بني إسرائيل وبالأذات ما حصل مع هارون لوجدوا الحال واحدة.

ثانياً: وفي ذيل حديث خاصف النعل نجد أنّ أمّ سلمة تستفسر - من بعدما رأت عليّاً عليه السلام - من النبي ﷺ أنّها لم تشاهد سوى عليّاً فقال لها: هو ذلك وفيه

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١١، مؤسسة الوفاء، بيروت، أوفست على طبعة شركة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

من الدلالة الواضحة على المطلوب.

هذا وقد ذكر حديث خاصف النعل بعدة طرق مختلفة وكثيرة^(١)، إلا أنها متحدة المعنى، فمنها ما روي عن منصور بن الربيع بن حراش قال: عندما كنا مع علي في الرحبة قال ﷺ: لما كان يوم الحديبية خرج إلينا ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو وأناس من رؤساء المشركين فقالوا: يا رسول الله خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقائنا وليس بهم فقه في الدين وإنما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا فارددهم إلينا، فقال النبي ﷺ: فإن لم يكن لهم فقه في الدين سنفعهم، ثم قال النبي ﷺ: يا معشر قريش لتنتهن أو ليعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين قد امتحن الله عز وجل قلبه على الإيمان، قالوا: مَنْ هو يا رسول الله؟ قال له أبو بكر: مَنْ هو يا رسول الله؟ فقال عمر: مَنْ هو يا رسول الله؟ قال: هو خاصف النعل، وكان أعطى نعله علياً ليخصفها، قال: ثم التفت إلينا علي بن أبي طالب ﷺ فقال: إن رسول الله قال: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار^(٢).

وقد نقله جمع من المحدثين بهذا الشكل عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، قال عمر: أنا يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنه خاصف النعل وكان أعطى علياً نعله يخصفها^(٣).

(١) جامع الأصول لابن الأثير، ج ٨ ص ٦٤٨، فضائل علي عليه السلام، ط: المكتبة التجارية، مكة المكرمة ١٩٨٣، وينابيع المودة للقندوزي ج ١ ص ٧٠، الأعلمي، وتذكرة الخواص، ص ٤٥، ط ١٤١٨ هـ.

(٢) كفاية الطالب باب ١٣ ص ٩٦.

(٣) ذخائر العقبى ص ١٣٩ ط مكتبة الصحابة بجدة تحقيق أكرم البوشي، والرياض

حاصل ما تقدّم

يمكن أن نجمع ما تقدّم من الكلام في نقاط مختصرة وواضحة:

١- كان معلوماً لدى كافة الصحابة أنّ علياً أشدّ القوم إيماناً وأكثرهم إخلاصاً وحبّاً لله، وأنّ قلبه أشدّ القلوب امتحاناً.

٢- وليس من الصحابة أحد مثل عليّ في هذه الخصائص والمزايا.

٣- وأنّ أليقّ القوم بحبّ الله ورسوله وأكثرهم نجاحاً في الابتلاءات هو عليّ عليه السلام، فلذا كان مورد انتخاب من قبل الله ورسوله ﷺ.

سؤال أحد الحاضرين: ألم يكن الخلفاء الراشدون كلّهم يشتركون في محاربتهم للكفار والمنافقين وتمّت على أيديهم الفتوحات الإسلامية، وكانت هذه الحروب كلّها في طريق القرآن بل دفاعاً عن القرآن ونشره في تلك البلدان، فلماذا خصّصتم الإمام عليّاً بكون حروبه على تأويل القرآن؟

الجواب:

أولاً: أنا لم أخصّص ذلك لأمر المؤمنين عليه السلام، بل الله ورسوله خصّصا له ذلك، ورأيت لأعجب من كلامكم بعدما نقلت لكم الأحاديث وألقيتها على مسامعكم.

ثانياً: ليس حديثنا عن الفتوحات الإسلامية بل محور الحديث عن حروب

→ النضرة ص ١٣٥، دار المعرفة، بيروت ١٩٩٧م، والحاكم في المستدرک، ج ٤ ص ٩٠، رقم ٤٦٧٩، دار المعرفة، بيروت ١٩٩٨م، وينايع المودة ج ١ ص ٧٠، الأعلمي ١٩٩٧م، والبيان الجلي في أفضلية مولى المؤمنين علي، لابن رويش الأندلسي ص ٦٦، ط ١٤١٩ هـ، والنسائي في الخصائص ص ٢١٩، ط: دار الثقلين، تحقيق جعفر الحسيني.

التأويل التي خاضها الإمام علي عليه السلام ضد المنافقين من المسلمين الذين حاولوا أن يؤولوا الآيات القرآنية بما يتفق مع مصالحهم، ولم يمر أي أحد بمثل ما مر به أمير المؤمنين عليه السلام ولذلك اختص بذلك دون غيره.

وأزيدك علماً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شبه حروب علي عليه السلام كحروبه مع الكفار طبقاً لقوله تعالى: «يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير»^(١).

فقد قاتل أمير المؤمنين عليه السلام المنافقين بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: إنك ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، ثم لا يخفى عليكم أن هذا الخبر ورد تارة عن رسول الله في خطابه مع علي وتارة رواه أمير المؤمنين عن النبي كما في خطبته القاصعة في نهج البلاغة حيث قال: ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض، فأما الناكثون فقد قاتلت وأما القاسطون فقد جاهدت وأما المارقة فقد دوخت.

ثم علق ابن أبي الحديد بقوله: قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال له عليه السلام: ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين^(٢).

فقد ذكر الكنجي الشافعي عن سعيد بن جبير عن عبدالله بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لأمر سلمة: هذا علي بن أبي طالب لحمه من لحمي ودمه من دمي وهو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، يا أم سلمة هذا علي أمير المؤمنين وسيد المسلمين ووعاء علمي ووصي وبابي الذي أوتى منه وأخي في الدنيا والآخرة ومعني في المقام الأعلى يقتل القاسطين والناكثين

(١) التوبة: ٧٣.

(٢) أنظر أسد الغابة ج ٤ ص ١١٤ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٣٤٠، وشرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٠٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

والمارقين^(١).

وكذلك جاء في مناقب الخوارزمي عن رسول الله ﷺ: هذا والله قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدي^(٢).

وأيضاً جاء في كفاية الطالب عن أبي سعيد الخدري، أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فقلنا: يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ قال ﷺ: مع علي بن أبي طالب خاصة ومعه يُقتل عمار بن ياسر^(٣).

وذكر خطيب خوارزم بإسناده عن أبي أيوب الأنصاري في خلافة عمر وعثمان أنه قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي بن أبي طالب^(٤).

وأيضاً جاء في كفاية الطالب مسنداً عن مخنف بن سليم أنه قال: أتينا أبا أيوب الأنصاري وهو يعلف خيلاً له قال: فقلنا عنده فقلت له: يا أبا أيوب قاتلت المشركين مع رسول الله ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين؟ قال: إن رسول الله ﷺ أمرني بقتال ثلاثة الناكثين والقاسطين والمارقين فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين بالسعفات بالطرقات بالنهروانات وما أدري أين هو؟^(٥).

فيُتضح من مجموع هذه الأخبار وكذا ما تقدّم من حديث خاصف النعل أن حروب أمير المؤمنين الثلاث لم تكن سياسية كما يزعم بعض أهل السنة بل هي

(١) كفاية الطالب ب ٣٧.

(٢) المناقب الفصل ١١ ص ١١٨.

(٣) كفاية الطالب باب ٣٨.

(٤) مناقب الخوارزمي ص ١١٨.

(٥) كفاية الطالب باب ٣٧ وتاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٠٦ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٨٦.

جهاد من أجل حفظ القرآن فإنها حروب التأويل كما أخبر بها النبي ﷺ، وتعدّ هذه منقبة للإمام علي عليه السلام لم ينلها من تقدّمه من الخلفاء، ولم تكن الفتوحات مثل حروب علي عليه السلام.

رسالة أم سلمة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام

ثم بعثت أم سلمة رسالة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام بعدما ينست من نصيح عائشة ورأت منها العزم على حرب الخليفة، وجاء في رسالتها:

أما بعد فإن طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة ومعهم ابن الحزان عبدالله بن عامر بن كريز ويذكرون أنّ عثمان قُتل مظلوماً وأنهم يطلبون بدمه والله كافيههم بحوله وقدرته ولولا ما نهانا الله عنه من الخروج وأمرنا به من لزوم البيوت لم أدع الخروج إليك والنصرة لك ولكنتي باعثة نحوك ابني عدل نفسي عمر بن أبي سلمة فاستوص به يا أمير المؤمنين خيراً^(١).

ثم ذكر ابن أبي الحديد أنّ عمر هذا اشترك مع أمير المؤمنين في جميع حروبه إلى أن أرسله والياً من قبله على البحرين.

وبعد ذلك أرسلت أم سلمة رسالة^(٢) إلى عائشة تنصحها فيها وتذكرها

(١) شرح نهج البلاغة، وقريب منه في الكامل ج ٣ ص ١١٤.

(٢) كتبت أم سلمة إلى عائشة: إنك جنة بين رسول الله ﷺ وبين أمته وإن الحجاب دونك لمضروب على حرمة وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندجيه وسكن عقيراك فلا تصحريها، لو أذكرتك قولة من رسول الله ﷺ تعرفينها لنهشت نهش الرقشاء المطرقة، ما كنت قائلة لرسول الله ﷺ لو لقيك ناحته قلوص قعودك من منهل إلى منهل قد تركت عهداء وهتكت ستره، إن عمود الدين لا يقوم بالنساء، وصدعه لا

الحقّ وهي محاولة أخيرة منها لصرف عائشة عن هذه الفتنة التي أثارتها، إلا أنّ هذه الرسائل والنصائح لم تجد طريقاً إلى قلب عائشة ولم تدعّن للحقّ، بل سارت بمن معها يتقدّمهم طلحة والزبير، إلى أن وصلت إلى منطقة الحوآب التي أخبر عنها رسول الله ﷺ يوماً حينما قال: أيتكرنّ تنبّحها كلاب الحوآب^(١)، فسألت عن المنطقة فقيل لها إنّها الحوآب إلا أنّها مضت في طريقها وقد تركت الحقّ وراء ظهرها حتّى وصلت البصرة، فقاموا بأوّل جريمة بشعة، فقد ذكر المؤرّخون أنّ أصحاب عائشة قتلوا سبعين رجلاً من أصحاب الإمام عليّ عليه السلام الذين كانوا يحرسون بيت المال، فقد ذكر المسعودي: فقتل منهم سبعون رجلاً غير من جرح وخمسون من السبعين ضربت رقابهم صبراً من بعد الأسر وهؤلاء أوّل من قُتل ظملاً في الإسلام^(٢).

ثمّ قتلوا أربعمائة شخصاً من شيعة عليّ بأمر عائشة ظملاً وعدواناً. وأمّا والي البصرة الذي نصّبه أمير المؤمنين وهو الصحابي الجليل عثمان بن حنيف فقد هجموا على بيته وأخرجوه إلى عائشة فقالت: لا تقتلوه بل انتفوا شعره، فنتفوا شعر رأسه ولحيته وشاربه ورموشه، لا لجرم سوى حبّه لعليّ عليه السلام، وهكذا قتلوا حكيم بن جبلة الرجل الطيّب الشجاع وهو من قبيلة عبد القيس، فقتلوه مع سبعين من أصحابه وأولاده بجرم المحبة والموالة لأمير المؤمنين عليه السلام^(٣).

→ يرأب بهن ، حماديات النساء خفض الأصوات وخفر الأعراض، اجعلي قاعدة البيت قبرك حتى تلقينه وأنّ عليّ ذلك. شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٢١٩ دار إحياء الكتب العربية.

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ٦٣ ط بيروت، والكامل ج ٣ ص ١٠٣.

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٥٨.

(٣) ذكر ابن الأثير في الكامل ما نصّه: وقيل لما أخذ عثمان بن حنيف أرسلوا إلى

فلَمَّا وصلت هذه الأنباء إلى مسامع الأمير ﷺ أرسل سهل بن حنيف مع جيش إلى المدينة لفضح جرائم جيش عائشة وحفظ المدينة من هذه الفتن، فلَمَّا وصلها عملوا على مراسلة عائشة، فقام بعض الصحابة بإرسال الكتب التي ملؤها النصيحة والموعة والتذكير لعائشة للحيلولة دون وقوع الحرب. ومن جملة من أرسل إليها عبدالله بن عباس وزيد بن صوحان وأنس بن مالك وعمران بن الحصين فقد راسلوا عائشة وطلحة يمنعونها من إشعال فتيل الحرب وشق عصا المسلمين، إلا أنهم لم يتأثروا بهذه الرسائل وصمموا على الحرب.

دعاء أمير المؤمنين علي أنس بن مالك

بينما انفلت أنس بن مالك من ذلك الجمع وجاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وعندما سُئل عن ذلك قال: تذكّرت ما كنتُ نسيته من حديث النبي ﷺ في علي عليه السلام فقال له الإمام: إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لامعة لا توارىها العمامة^(١)، فأصيب بالبرص فاضطرَّ إلى أن يسدل على وجهه حجاباً يوارى خلفه قباحة منظره، وكانت هذه الاستجابة السريعة من الله تعالى كاشفة عن نفاق وكذب أنس بن مالك لأنّه أيضاً من جملة أعداء أمير المؤمنين، فقد عاش مائة

→ عائشة يستشيرونها في أمره فقالت: اقتلوه، فقالت امرأة: نشدتك الله في عثمان وصحبته لرسول الله ﷺ فقالت لهم: احبسوه، فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا لحيته وحاجبيه وأشفار عينيه فضربوه أربعين سوطاً وانتفوا لحيته وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه / الكامل ج ٣ ص ١٠٨، دار الكتب العلمية ١٩٨٧م، وتاريخ البيهقي ج ٢ ص ١٨١، وتاريخ الطبري ج ٣ ص ١٨ دار الكتب العلمية ١٩٨٨م / المترجم.

(١) كان ذلك في البصرة.

وثلاث سنين ونُقل عنه أكثر من ألف ومائتين حديث إلا أنه لم ينقل ولم يرو حتى حديثاً واحداً عن أمير المؤمنين عليه السلام مع كثرة ما تكلم به الإمام من روايات وخطب ورسائل.

وقد قال ابن أبي الحديد: وذكر جماعة من شيوخنا البغداديين أن عدة من الصحابة والتابعين والمحدثين كانوا منحرفين عن علي عليه السلام قائلين فيه السوء ومنهم من كتم مناقبه وأعان أعداءه ميلاً مع الدنيا وإثارةً للعاجلة فمنهم أنس بن مالك ناشد علي عليه السلام الناس في رحبة القصر: أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا بها وأنس بن مالك في القوم لم يقم فقال له: يا أنس ما يمنعك أن تقوم فتشهد، وقد حضرتها؟ فقال: يا أمير المؤمنين كبرت ونسيت فقال: اللهم إن كان كاذباً فارمه بها بيضاء لا توارىها العمامة. قال طلحة بن عمير: فوالله لقد رأيت الوضع به بعد ذلك أبيض بين عينيه^(١).

وروي أنه عليه السلام قال في الرحبة عندما قال للأناس أنشدكم الله ولا أنشد إلا من سمعت أذناه ووعى قلبه أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ فقام إليه اثنا عشرة رجلاً شهدوا بذلك منهم أبو أيوب الأنصاري وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وخالد بن زيد وقيس بن سعد بن عبادة وعبد الله بن بديل ...

بينما ظل أنس جالساً ولم يشهد فقال له أمير المؤمنين: ألم تشهد ذلك اليوم فما منعك أن تشهد مع هؤلاء؟

فقال: كبرت ونسيت، فقال الإمام: اللهم إن كان كاذباً فارمه بها بيضاء لا توارىها العمامة^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٧٤ دار إحياء الكتب العربية.

(٢) كان ذلك في الكوفة.

فقال طلحة بن عمير: فوالله رأيناه في اليوم الثاني وقد أصيب بالبرص^(١).
وأما عذره بكبر السن فهو كذب لأن عمره آنذاك كان (٤٦) عاماً وهو عمر
طبيعي جداً لا يكون معه النسيان كما تذرّع به أنس.
وهكذا لم تؤثر رسائل الإمام عليّ وغيره إلى عائشة وجيش الناكثين
وتورطوا في أكبر فتنة حصلت، فقد كان مع عليّ عليه السلام (٨٠) من أهل بدر و(٢٥٠)
ممن بايعوا رسول الله ﷺ تحت شجرة الرضوان و(١٥٠٠) من الصحابة
وآخرين.

بداية الحرب وعدد المقتولين

وقبل الحرب حاول أمير المؤمنين ذو القلب الرزوف أن يدفع الفتنة
ويحول دون وقوع الحرب فبعث إلى جيش عائشة من يناشدهم الله في الدماء،
ثم بعث مسلم وهو أحد أصحابه ذهب يدعوهم ويبيده مصحف فرموه بسهم
فقتلوه، ومع كل هذا أمر الإمام أفراد جيشه أن لا يبدؤوهم الحرب ولا يرموا
بسهم إلى أن جاء عبدالله بن بديل وهو من أصحاب الإمام عليّ عليه السلام بأخ له
مقتول وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمي بسهم فقتل فقال الإمام عليه السلام: اللهم
اشهد وأعذروا إلى القوم.

فبدأت الحرب في وضح نهار يوم الجمعة في العشرين من جمادى الأولى
عام ٣٦ هـ وانتهت في نفس اليوم عند مغرب الشمس بانتصار أمير المؤمنين عليه السلام
بعد أن استشهد من جيش الإمام عليّ عليه السلام خمسة آلاف نفس وقتل من أصحاب
الجميل ثلاثة عشر ألفاً^(٢)، وقيل غير ذلك فمن الأزد أربعة آلاف ومن بني ضبة

(١) حديث المناشدة في الرحبة، راجع الغدير ج ١ ص ١٦٦-١٨٦.

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٧١ وجاء في الكامل: كان جميع القتلى عشرة آلاف

ألفان ومن بني ناجية أربعمائة ومن بني بكر ثمانمائة ومن بني حنظلة سبعمائة ومن بني عدي تسعمائة وقيل غير ذلك^(١).

وأما طلحة والزبير فكلاهما لقيا مصيرهما المحتوم وقُتلا في هذه الحرب كما قال أمير المؤمنين (من حفر بئراً لأخيه وقع فيه).

سؤال أحد الحاضرين: كيف قتل طلحة والزبير؟

الجواب: أما الزبير فإن أمير المؤمنين أرسل إليه قبل الحرب وقال: ليرز إليّ الزبير فبرز إليه مدججاً فقيلاً لعائشة: قد برز الزبير إلى عليّ عليه السلام، فصاحت: وايزيراه فقيلاً لها: لا بأس عليه منه إنه حاسر والزبير دارع. فقال له: ما حملك يا أبا عبد الله على ما صنعت؟ نشدتك الله أتذكر يوم مررت بي ورسول الله ﷺ متكئ على يدك فسلم عليّ وضحك في وجهي فضحكك إليه لم أزد على ذلك فقلت: لا يترك علي بن أبي طالب يا رسول الله زهوه، فقال لك: مه إنه ليس بذئ زهوه أما إنك ستقاتله وأنت له ظالم، فاسترجع الزبير وقال: لقد كان ذلك ولكن الدهر أنسانيه..^(٢)

فرجع الزبير واعتزل الحرب وقد حاولت عائشة وابنه عبد الله أن يثيرا فيه الغضب ويردّاه إلى ميدان الحرب فلم يستطيعا إلى ذلك سبيلاً.

واعتزل الزبير في وادي السباع فالتقى به عمرو بن جرموز وقد نزل الزبير للصلاة فقال: أتؤمنني أو أؤمك؟ فأتمه الزبير فقتله عمرو في الصلاة وقيل إنه قتله وهو نائم وحمل خاتمه وسيفه إلى أمير المؤمنين عليه السلام يطلب بذلك الجائزة فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سيف طالما جلا الكرب عن وجه رسول الله ﷺ والله ما

→ نصفهم من أصحاب علي عليه السلام ونصفهم من أصحاب عائشة ج ٣ ص ١٤٢ / المترجم.

(١) أنظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٥٨.

(٢) شرح النهج ج ٢ ص ١٦٧ دار إحياء الكتب العربية.

كان ابن صفية جباناً ولا لثيماً ولكن الحين ومصارع السوء، أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: بشر قاتل ابن صفية بالنار^(١).

فلما سمع عمرو ذلك ولّى فاراً ثم التحق بالخوارج ويقال إنه عاش إلى أيام مصعب بن الزبير^(٢).

مقتل طلحة

وأما طلحة فإنه كان يحرض الناس على القتال يوم الجمل ولكن لاقى جزاءه حيث سدّد إليه مروان بن الحكم سهماً أصابه^(٣) فلما ثقل قال لمولاه اردفني وابغني مكاناً لا أعرف فيه فلم أر كاليوم شيخاً أضيع دماً مني^(٤).

فركب مولاه وانتهى به إلى دار خربة في البصرة فمات فيها^(٥) وكان مروان يعرف أن طلحة من المحرضين على قتل عثمان ولذلك حاول أن يتقم منه، بعد ذلك ذهب مروان إلى أبان بن عفان وقال له: اليوم قتلنا واحداً من قتلة عثمان.

الصحابي المتمرد لا يكون من أهل النجاة

سؤال أحد الحاضرين: من خلال كلامك المتقدم يظهر أنك تشير إلى سوء عاقبة طلحة والزبير وأن قتلتهما كان عاقبة سوء مع أنهما من أصحاب النبي ﷺ وأقربائه فكيف وصفتهما بذلك؟

(١) شرح النهج ج ١ ص ٢٣٥ دار إحياء الكتب العربية.

(٢) شرح النهج ج ٢ ص ١٦٨ دار إحياء الكتب العربية.

(٣) الكامل ج ٣ ص ١٣١ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.

(٤) الطبري ج ٣ ص ٥٢ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م.

(٥) المصدر نفسه.

الجواب: الصحبة من الفضائل والكمالات والشرف ولكن لا مطلقاً، بل ضمن شروط وحدود، فالصحابي المطيع لله ولأمر رسوله ﷺ يستحق ذلك، على أن يستقيم إلى أواخر حياته على هذه الطاعة في حياة النبي أو في مماته، وأما الصحابي المتمرد والمتجاهل والمتناسي لأوامر النبي ﷺ والطالب للدنيا والجاه والمنصب والشهرة والمال فهذا لا ينال شيئاً من شرف الصحبة، فقد قال رسول الله ﷺ: يُغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد.

فطلحة والزبير من جملة الأصحاب الذين كانوا يجالسون النبي ﷺ وسمعوا منه العديد من الأحاديث في فضل ومناقب أمير المؤمنين ﷺ لا سيما حديث الغدير حينما قال ﷺ: اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَاوَاهِ مِنْ عَادِهِ مِنْ عَادَاهِ وَانْصِرْ مِنْ نَصْرِهِ وَاخْذَلْ مِنْ خِذْلِهِ، ومع ذلك فإنهما وقفاه منه موقف المعادي في حرب الجمل محاولين تصفيته وحرّضوا (بعملهم هذا) الناس على بغضه ومعاداته، فهؤلاء لا ينالون شرف الصحبة لتركهما أوامر النبي ﷺ الذي كان يقول: لا يحبّ علياً إلا مؤمن ولا يبغضه إلا كافر^(١).

وكان مع عائشة أيضاً من جملة من سمع هذه الأحاديث إما مباشرة أو

(١) مودة القربى المودة ٣٠ والمغازي في المناقب والحموي في الفرائد، ج ١، ومسند أحمد ج ١ ص ٩٥ وص ١٣٨ والاستيعاب ج ٣٠ ص ٣٧ ذيل الإصابة وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٤٢٦ وأسد الغابة ج ٤ ص ٣٠ وسنن النسائي ص ١١٧ ج ٨ وخصائص العلوي ص ٢٧ والإصابة ج ٢ ص ٥٠٩ وحلية الأولياء ج ٤ ص ١٨٥ ثم قال: هذا حديث صحيح متفق عليه.

والدرر المنثور ج ٦ ص ٦٦ وتاريخ الخلفاء، الطبعة الثانية وشرح النهج ج ٤ ص ٢٦٤ وتذكرة ابن الجوزي ص ١٥ والجامع الكبير للسيوطي ص ١٥٢ وجامع الترمذي ج ٢ ص ١٣ وكفاية الطالب باب ٣ وينابيع المودة في عدة صفحات ونقله آخرون بألفاظ مختلفة.

بواسطة واحدة، هذا وقد كرّر النبي ﷺ هذا المعنى بعدة ألفاظ مختلفة مثل (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) (يا علي لا يحبك منافق ولا يبغضك مؤمن) (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) (لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن)^(١).

وذكر نور الدين بن الصباغ المالكي قول رسول الله ﷺ لعلي: يا علي حريك حربي ودمك دمي وأنا حرب لمن حاربك لا يحبك إلا طاهر الولادة ولا يبغضك إلا خبيث الولادة، لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق^(٢) وقريب منه حديث الخيمة حينما كان رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين تحت خيمة فقال ﷺ: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم^(٣)، بل هناك المئات من قبيل هذه الأحاديث، ومع كل ذلك سعى لحرب علي طلحة والزبير وعائشة!! أفلا يمكن أن نقول عن كل واحد منهم أنه منافق أو كافر وفقاً لأحاديث النبي الأكرم؟! ولأنهم في حربهم لعلي كأنهم يحاربون النبي ﷺ كما قال وكل من حاربه كافر!!

الأدلة على انحراف طلحة والزبير

سؤال أحد الحاضرين: يقال إن عمل هؤلاء الصحابة كان اجتهاداً، وأنهم اجتهدوا وتأولوا فأخطأوا وإلا لم يصدر منهم هذا الخطأ عن عمد ثم إنهما تابا. الجواب: هل يمكن أن نعد الخروج والتعدي على الخليفة الشرعي والإمام بالحق والناطق بالصدق تأويلاً أو اجتهاداً؟ وكيف يمكن ذلك مع إصرار أمير

(١) تقدّمت مصادره.

(٢) الفصول المهمة ص ٢١.

(٣) مسند أحمد ج ٢ ص ٤٤٣ والمستدرک ج ٣ ص ١٤٩ والإصابة ج ٤ ص ٣٦٧ ضمن كلامه عن فاطمة الزهراء نقلاً عن الترمذي عن زيد بن أرقم.

المؤمنين وغيره ممن ذكروهم وحذروهم ونبهوهم من مغبة هذا العمل؟ وكيف يمكن أن نمرّر هذه الأخطاء الفظيعة التي راح ضحيتها ١٣٠٠٠ من أهل البصرة ممن والى أهل البيت (عليه السلام) عبر هذه التبريرات والمصطلحات؟ هل صار قتل النفس المحترمة وارتكاب هذه الكبائر في عرفكم من الأمور المتسامح فيها بهذه الحجج والكلمات؟ وهل تحوّل نقض العهد والبيعة والميثاق وبت الفساد في الأرض من قبيل الأخطاء الصغيرة المغفّرة؟ ألم تقرأوا كتاب الله حيث فيه: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾^(١).

وهذه الآية صريحة في كلّ من نقض عهد الله وهي البيعة للنبي أو الإمام الحقّ وسعى في قطع ما أمر الله به وبت الفساد فعليه اللعنة وسوء الدار. ولا نجازف لو قلنا إنّ هؤلاء الصحابة كانوا من مصاديق هذه الآية فإنهم نقضوا البيعة وأثاروا الفتنة وعملوا على شقّ العصا وأثاروا الفساد بحربهم لأمير المؤمنين، بينما أمر الله المسلمين أن يدخلوا في السلم كافة. والعجيب أنّ طلحة والزبير بايعا أمير المؤمنين ثلاث مرّات ومع ذلك نقضوا هذه البيعة.

فالبيعة الأولى لهما كانت يوم الغدير عندما بايع المسلمون عليّاً بأمر النبي (صلى الله عليه وآله) فأول من بايعه عمر ثمّ أبو بكر ثمّ طلحة ثمّ الزبير. والبيعة الثانية لهما يوم قتل عثمان وهرع الناس إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فكان أول من بايعه طلحة حتّى قيل: أول من بدأ بالبيعة يد شلاء^(٢)، ومن بعده الزبير.

(١) الرعد: ٢٥.

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٩٧ ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م.

والبيعة الثالثة يوم عزموا الغدر بأمر المؤمنين ﷺ لما استأذنا منه أن يأذن لهما بالرحيل إلى العمرة فجدا له البيعة نفاقاً منهما، وقد تقدّم الكلام عن ذلك^(١).

فلم تطل المدّة حتّى نقضا كلّ هذه البيعات الثلاث وسعيا وراء المصالح مع عائشة التي لم تتحرّز في إظهار العداء لأمر المؤمنين ﷺ والتي حذّرها رسول الله ﷺ من هذه الفتن سابقاً.

وأما الحديث عن توبتهما فإنّما هي محاولة يائسة قام بها البعض لترقيع سمعة طلحة والزبير في قبال ما صدر منهما في الجمل ووقوفهما موقف العداء لأمر المؤمنين ﷺ الذي يعدّ العداء له كفراً ونفاقاً، فمن يقول إنهما تابا؟ إنّما هي دعوى بلا دليل.

هل تاب الزبير؟

سؤال أحد الحاضرين: ألم تذكر الآن أن أمير المؤمنين نصّح الزبير قبل الحرب وبعدها مضى الزبير إلى الصحراء وأنّ النبي ﷺ بشرّ قاتله بالنار، ألا يكفي كلّ ذلك لإثبات توبة الزبير؟

الجواب: أمّا أنّه مضى إلى الصحراء واعتزل الحرب فصحيح ولكن هذا لا يدلّ على كونه تائباً، بل تتجسّد التوبة في انتقاله إلى جانب أمير المؤمنين والانضواء تحت لوائه والمشاركة معه في حرب أعدائه إذ لا توجد مرتبة بين الحقّ والباطل، ثمّ إنّ كان في طليعة المحرّضين لحرب عليّ ﷺ فحرض عائشة والناس وخطب الخطب المهمة من أجل تحريك الناس ضدّ أمير المؤمنين بذرائع متعدّدة، فكان اللازم عليه أن يعلن خطأه ويدعو الناس إلى ترك الحرب

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٣٢ ط دار إحياء الكتب العربية.

مثلما جمعهم للحرب وينقل لهم ما ذكره به الإمام علي عليه السلام في فضائله ومناقبه وحرمة حربه ووجوب طاعته، لا أنه يعتزل ويذهب ساكتاً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

سؤال أحد الحاضرين: يُحتمل أنه خاف وخشي على نفسه فيما لو قام بذلك فلذلك سكت ومضى لحاله دون أن يُتَبَّه غيره.

الجواب: أولاً: الزبير لم يكن من هذا الطراز، أي أنه لم يكن جباناً حتى يخاف.

وثانياً: لما عزم الزبير على الاعتزال تكلم معه ابنه عبدالله وكذا طلحة وعائشة كلهم طلبوا منه البقاء والمشاركة في الحرب ولما شاهدوا منه الإصرار اتهموه بالجبن والخوف إلا أنه لم يعتنِ بذلك ومضى لسبيله.

وحتى لو سلمنا معكم وقلنا إن الزبير خاف على نفسه القتل وجبن - مع أنه احتمال ضعيف للغاية لما عُرف عن شجاعة الزبير - ولكن كان بإمكانه أن يلتحق بأمر المؤمنين وجيشه دون أن يخطب بجيش البصرة أو يوضح لهم موقفه، بل يكتفي بالانضمام إلى الإمام علي عليه السلام لأن الجهاد مع الخليفة الشرعي وإمام العدل والحق واجب شرعي كما كان واجباً مع رسول الله صلى الله عليه وآله لا أنه يعتزل الموقف ويذهب إلى الصحراء.

ثم إن للتوبة علائم يُعرف من خلالها التائب منها العمل على الضد، فعندما يقلع الإنسان عن الذنب فإنه يميل إلى ضده وهو الطاعة، فالزبير عندما اعتزل جيش البصرة لم يدخل في جيش الإمام أي لم يعمل على الضد وهي الطاعة فلم تظهر منه علائم التوبة حتى يجزم البعض بتوبته.

وأما ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله قال: بشر قاتل ابن صفية - وهو الزبير - بالنار، فلا يحسن الاستدلال بهذا في إثبات توبة الزبير إذ لا علاقة ولا دلالة ولا أي إشارة إلى ذلك.

بل غاية ما في الأمر أن قتل النفس من الكبائر المحرمة جداً حتى عُدَّ قتل النفس المحترمة قتل الناس جميعاً، وعليه فلا يجوز قتل أي إنسان إلا بإذن الولي الشرعي كالنبي ﷺ أو الإمام الشرعي حتى في الحروب، وقد حصلت عدّة حوادث تدلُّ على هذا المعنى منها ما قام به شهيد الحمار حيث انطلق أحد المسلمين في حرب أحد بدون إذن النبي ﷺ ورخصته نحو الكفار وقتل رجلاً منهم ليغنم حماره فقتل فعبّر عنه النبي ﷺ بأنه قتل الحمار فلم يكن له أي أجر، وهكذا قاتل الزبير وهو عمرو بن جرموز فإنه قتله بدون إذن أمير المؤمنين عليه السلام وكان يسعى من عمله هذا أن يحصل على جائزة معينة من الإمام، بينما عُدَّ تصرفه هذا مثل تصرف قتل الحمار.

ويمكن أن يُجاب عن ذلك بغير هذا، لأن عمرو بن جرموز قُتل مع الخوارج أو مع مصعب بن الزبير وبالتالي على كلا الفرضين فهو من أصحاب النار فمن هذه الجهة قال: بشّر قاتل ابن صفية بالنار^(١).

عائشة لم تتب من حرب الجمل

هذا كله حول طلحة والزبير، أمّا عائشة فهي الأخرى لم تتب من فعلها العظيم والدماء التي أريقَت بسببها، نعم ذكر الشهرستاني وغيره أنها شعرت بالخطأ وندمت وتابت..

ولكن هذه مجرد دعوى خالية من الدليل والبرهان على غرار ما قالوا عن توبة طلحة والزبير، بل قامت الأدلة والشواهد التاريخية على خلاف ذلك أي عدم ندمها وعدم توبتها وعدم احترامها لعلي عليه السلام فقد روي أنه لما وصلها خبر استشهاد فرحت وأنشدت:

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٣٦ ط دار إحياء الكتب العربية.

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قرء عينا بالإياب المسافر^(١)
ويقال هذا الكلام عندما يصل الإنسان إلى هدفه وينال مراده ويحقق أمنيته.
فبعد عناء السفر وأتاعبه التي تدعو المرء إلى أن يتوكل على العصا من شدة
الجهد، فبعد ذلك يرمي بهذه العصا عندما يصل إلى مقصده وينال الراحة التامة.
وقد أشار ابن مسكويه في تجارب الأمم والدميري في حياة الحيوان حيث
ذكر أن عائشة أشارت بذلك إلى راحة بالها وفراغ ذهنها لأنها كانت تنتظر مثل
هذا الخبر، كما تقر عين المنتظر بقدوم المسافر الذي هو بانتظاره، وبذلك قررت
عين عائشة برحيل أمير المؤمنين علي^{عليه السلام}!!

وذكر المؤرخون أنها قالت: فمَنْ قتل؟ قيل: رجل من مراد فأنشدت:
فإن يك نائياً فلقد بغاه غلام ليس فيه التراب
وكانت زينب ابنة أم سلمة في محضرها فاستغربت هذا السلوك من عائشة
فقالت لها: ألعلي تقولين هذا؟!
فقالت: إني أنسى، فإذا نسيت فذكروني^(٢).

والآن أيها السادة الكرام أين توبة عائشة؟ بل العكس فإنها أظهرت سرورها
بقتل علي^{عليه السلام} وكانت تنتظر في حياتها مثل هذا الخبر مما يعني بغضها لعلي
وحقدتها عليه وإلا فإن محب علي^{عليه السلام} لا يفرح بموته بل يحزن.
وبلا أدنى تردد نقول: إن عذر عائشة الأخير أقبح من فعلها الأول لأنها لم
تكن من القضايا التي تدخل حيّز النسيان، فموت الشخص العظيم - خليفة

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٥٩ دار الكتب العلمية ١٩٨٨م، ومقاتل الطالبين،
ص ٢٦، ط: النجف ١٩٦٥م.

أقول: وذكره أيضاً الدميري في حياة الحيوان ج ١ ص ٦٨ ط القاهرة.

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٥٩ دار الكتب العلمية بيروت، ومقاتل الطالبين، ص ٢٦.

المسلمين - هل يدعو إلى السرور؟! ومن ثمَّ يقال إنها نست، ولم تكن عائشة متقدِّمة في العمر حتَّى تنسى ولم يكن عليٌّ مجهول الحال حتَّى يشك الإنسان فيه.

إذن فعندما نتكلَّم عن الأفعال السيئة التي قامت بها عائشة نتكلَّم على أصل ثابت ودليل قاطع لا من وحي التعصُّب كما يزعم أهل السنة ويتهموننا بذلك، وإلا فلماذا لا نقول هذا الكلام عن حفصة مع أنها كانت مؤيِّدة لعائشة؟ وذلك لأنها لم تخض ما خاضته عائشة التي هتكت سترها وخالفت ربَّها ورسوله وخرجت مع الرجال الأجانب لحرب حبيب الله ورسوله، مع علمها بمنزلة عليٍّ ومع ما تقدَّم من النبي ﷺ وتحذيره إيَّاهَا ومع تقدُّم نصائح القوم وتذكير أمِّ سلمة لها و... ومع كلِّ ذلك خالفت وحاربت فهل في ذلك مجال للاجتهاد أو الخطأ؟ ثمَّ أظهرت الفرح والسرور بقتل عليٍّ فأين توبتها إذن؟

إيذاء عائشة للنبي ﷺ

ولم تقتصر عائشة في مخالفتها وحربها لعثمان أو لأمر المؤمنين، بل كانت تقسو في معاملتها مع النبي العظيم ﷺ وكانت تخاطبه بكلمات جافة تدلُّ على عدم احترامها وإيمانها، وقد تناولتْ بعض الوقائع في كتابي ليالي بيشاور وهنا أكتفي بذكر شاهدين:

فقد ذكر الغزالي بعض الأخبار الدائمة لعائشة منها إيذائها لرسول الله ﷺ (١).

وقد ذكر المتقي الهندي وأبو يعلى وأبو الشيخ والنسائي وآخرون - بقليل من الاختلاف - أنَّ أبا بكر ذهب يوماً إلى بيت النبي ﷺ وكان قد حدث

اختلاف بين النبي وعائشة فوجهت عائشة في حضور أبيها إلى النبي ﷺ كلمات قاسية فكانت تقول له ﷺ: إعدل!! وأحياناً تقول: أنت الذي تزعم أنك نبي الله!!^(١).

فأمثال هذه العبارات التي تتضمن الإهانة والاستخفاف بمقام النبي ﷺ لأكبر دليل على انحراف عائشة.

وكذا ذكر السيوطي في جمع الجوامع والنسائي في الخصائص وأحمد في المسند وغيرهم آخرون: أن أبا بكر ذهب يوماً إلى حجرة رسول الله ﷺ وقبل أن يدخل عليه سمع صوت ابنته عائشة عالياً وهي تخاطب النبي ﷺ: والله لقد علمت أن علياً أحب إليك من أبي ومني، فلما دخل عليهما تغير لونه وقال لها: أترفعين صوتك على رسول الله فضربها على وجهها حتى خرج الدم من أنفها^(٢).

فإذا كان هذا سلوكها مع سيد الكائنات فماذا تنتظرون منها أن تفعل مع أمير المؤمنين ﷺ؟

-
- (١) كنز العمال ج ٧ ص ١١٦ ومسند أبو يعلى وكتاب الأمثال وخصائص النسائي.
أقول: قولها: اعدل، دليل على إسقاطها لعدالته ﷺ والعياذ بالله وإلا لما طالبت به بذلك، وهي نفس الكلمة التي قالها ذو الندية للنبي ﷺ: عليك أن تنظر إلى مدى الجرأة والتعدي الذي تمثلت به عائشة وقولها «تزعم» فإن أهل اللغة والأدب يقولون إن هذه الكلمة إذا جاءت في الكلام يراد منها تكذيب المقابل، وكأنه ﷺ ليس نبياً ولكنه يزعم. وهذا أيضاً دليل على عدم إيمان المرأة.
وقد رووا في الكشف عن النبي ﷺ (زعموا: مطية الكذب) ولكل شيء كنية وكنية الكذب: زعموا / انظر حياة الحيوان ج ٢ ص ٣١٦. المترجم.
- (٢) الخصائص لأحمد بن شعيب النسائي ص ١٦٢، ط: دار الثقلين ١٤١٩م.

مخلفات حرب عائشة لعلي (ع)

مما تقدّم ظهر لكم أنّ عائشة وطلحة والزبير كانوا السبب الأول والأخير وراء حرب الجمل، ومن قبل كانوا من المحرّضين على قتل عثمان، والناس يمتازون بأنّ عقولهم في أذانهم فهم يتبعون ما يسمعون وبعضهم كانت عقولهم في عيونهم فيسيرون على ضوء ما يشاهدون بلا تفكير.

وبما أنّ عائشة كانت زوجة رسول الله فهي أمّ المؤمنين وبنت الخليفة الأول فعوام الناس لاسيّما من كان في الأمصار ممّن لا إطلاع له عن مجريات الأحداث في المدينة كانوا يتبعونها بهذه الاعتبارات، فمن قبل مشوا وراء دعواتها في قتل عثمان، وبعد ذلك أشاعت في الناس أنّها تقاتل عليّاً طلباً لدم عثمان فصار الإمام عليّ عليه السلام وجماعته في نظر هؤلاء من جملة القتلة وهكذا أوجدت في الإسلام شرخاً جديداً وهو نصب العدا لأمر المؤمنين وجماعته بشكل منظم وجيش جرّار وما خلفته حرب الجمل من عداة لا تزال إلى اليوم آثاره.

فمع هذه المخلفات العظيمة هل ترون فائدة في توبتها؟ أم أنّ توبتها تُقبل بغضّ النظر عن هذه المخلفات والدماء؟ فسواء قلتم إنّها تابت أم لا عليها أن تصلح ما مضى كلّهُ، وبما أنّ ذلك مستحيل فيكون موضوع التوبة أمراً لا معنى له ولا يصلح كمبرر يتمسّك به العثمانيون.

خطبة معاوية في الشام

بعدما تمّ قتل عثمان حملوا قميصه إلى الشام فكان معاوية ينشره على المنبر وهو غارق في الدماء وينادي بالثار لدم الخليفة - المظلوم !
حتّى جمع جيشاً قوامه سبعون ألف ووقف خطيباً فيهم فقال لهم: «يا أهل

الشام قد كنتم تكذبوني في علي وقد استبان لكم أمره والله ما قتل خليفتم غير ه وهو أمر بقتله وألب الناس عليه ، وآوى قتلته وهم جنده وأنصاره وأعوانه وقد خرج بهم قاصداً بلادكم لإبادتكم ، يا أهل الشام الله الله في دم عثمان فأنا ولي عثمان وأحق من طلب بدمه وقد جعل الله لولي المقتول سلطاناً فأنصروا خليفتم فقد صنع القوم به ما تعلمون فقتلوه ظلماً وبغياً وقد أمر الله بقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله .

عثمان يطلب النصرة من معاوية

وكانت هذه الخطبة من معاوية تمويهاً على أهل الشام الأغبياء وإلا فإن معاوية أحد الذين خذلوا عثمان عندما طلب منه الاستمداد والعون بينما أمر معاوية جيشه بعدم دخول المدينة وقد صرح الشهرستاني عندما ذكر عمال عثمان بقوله : وكلهم خذلوه ورفضوه حتى أتى قدره عليه .

ولما أفضى الأمر إلى معاوية أتاه أبو الطفيل الكناني فقال له معاوية : كيف وجدك على خليلك أبي الحسن ؟ قال : كوجد أم موسى على موسى وأشكو إلى الله التقصير ، فقال معاوية : أكنت فيمن حضر قتل عثمان ؟ قال : لا ، ولكني فيمن حضر فلم ينصره ، قال : فما منعك من ذلك وقد كانت نصرته عليك واجبة ؟ قال : منعي ما منعك إذ تربص به ريب المنون وأنت بالشام قال : أو ماترى طلبى بدمه نصرة له ؟ قال : بلى ، ولكنك وإياه كما قال الجعدي :

لألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زاداً^(١)

(١) الاستيعاب للقرطبي ج ٤ ص ٢٥٩ ، وأبو الطفيل هو عامر بن وائلة الكناني عاصر النبي ﷺ ثمان سنوات ثم بعده ﷺ سكن الكوفة وكان من أصحاب الإمام علي عليه السلام

ولكن طمع معاوية في منصب الملك والإمارة من جهة وبغضه للإمام علي عليه السلام من جهة ثانية جعله يتخذ من قميص عثمان ذريعة ومبرراً يخدع فيه كل مغفل وضال ليصل من خلاله إلى مآربه وأهدافه الخبيثة، بينما كان هو أحد أسباب قتل عثمان.

رسالة معاوية لسعد بن أبي وقاص وجوابه^(١)

ذكر ابن قتيبة أن معاوية بعث برسالة إلى سعد بن أبي وقاص كتب فيها: أما بعد فإن أحق الناس بتصرة عثمان أهل الشام (وفي سائر الكتب بدل أهل الشام أهل الشورى وهو الصحيح) والذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكان في الأمر والشورى ونظيرك في الإسلام وخفت لذلك أم المؤمنين فلا تكرهن ما ركبوا ولا تردن ما قبلوا فإنما نريدها شورى بين المسلمين.

فكتب سعد جواباً إلى معاوية:

أما بعد فإن أهل الشورى ليس منهم أحق بها من صاحبه غير أن علياً كان من السابقة ولم يكن فينا ما فيه فشاركنا في محاسننا ولم نشاركه في محاسنه وكان أحقنا كلنا بالخلافة، ولكن مقادير الله تعالى التي صرفتها عنه حيث شاء لعلمه وقدره، وقد علمنا أنه أحق بها منا ولكن لم يكن بد من الكلام في ذلك

→ واشترك معه في كل حروبه وبعد استشهاد الإمام هاجر إلى المدينة وسكن فيها إلى عام ١٠٠هـ وكان فصيحاً فاضلاً شجاعاً أديباً.

أقول: وقد ذكر هذه الواقعة المسعودي في المروج ج ٣ ص ١٦ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٠٠ / المترجم.

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٠٠، مؤسسة الوفاء، بيروت.

والتشاجر فدع ذا، وأمّا أمرك يا معاوية فإنّه أمرٌ كرهنا أوّله وآخره، وأمّا طلحة والزبير فلو لمزما بيعتهما لكان خيراً لهما والله تعالى يغفر لعائشة أم المؤمنين. ولما وصلت أخبار هذه الرسائل إلى مسامع أمير المؤمنين عليه السلام كتب عدّة رسائل ينصح فيها معاوية تارةً ويهدّده أخرى محاولة منه عليه السلام لردعه عن الباطل والغبيّ وبعث إليه الرّسل يذكرّونه فضل أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً إلّا أنّ معاوية أرسل في آخر الأمر رسالة كتب فيها:

ليس بسني وبين عمرو عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب
فلما قرأه الإمام تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. بعدها عمل على إعداد جيشه لردع معاوية
عليه لعنة الله وفتنه الباغية.

وسار معاوية بجيشه حتّى التقى جيش الحقّ والعدل بقيادة أمير المؤمنين
في صفّين مع جيش الباطل والغبيّ بقيادة معاوية عليه لعنة الله في غرة صفر عام
٣٧ هـ.

سؤال أحد الحاضرين: لقد عوّدتنا على أخلاقك الحميدة وجذبنا
بشمانلك الحسنة طيلة هذه الحوارات ولكنك الآن فاجأتنا بأنك تلعن خال
المؤمنين وأحد أصحاب النبيّ وكاتب الرّوحى.

الجواب: من حقّك أن تعترض على لعني لمعاوية وذلك لانغماسكم في
التاريخ المزيف ومتابعتم لكتب المدارس الأكاديمية التي لا تعطي الإنصاف أو
التحليل في حوادث التاريخ، ولكنّ الحقيقة أنّ لعن معاوية من الأمور التي نزل
بها القرآن وصرّحت بها الأحاديث النبويّة وقد أشرت إلى ذلك في كتاب ليالي
بيشاور.

سؤال: هل بإمكانكم أن تذكروا لنا ما نزل من القرآن في هذا الصدد؟ وكذا
الأحاديث النبويّة ليّتضح لنا الحقّ؟

الآيات القرآنية في لعن وذم معاوية

الجواب: تنقسم هذه الآيات إلى قسمين:

الأول: الآيات الصريحة في لعن عموم بني أمية وفي طليعتهم يقف أبو سفيان ومعاوية.

أولاً: مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنَخَوْفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾^(١).

فقد صرح أكابر أهل السنة مثل الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية والسيوطي والقرطبي والفاضل النيشابوري والطبري والبيهقي وابن أبي حاتم وابن عساكر وابن مردويه وآخرين أن رسول الله ﷺ رأى في عالم المنام قروداً تنزوا على منبره فتأثر لذلك، وفي الصباح هبط عليه جبرئيل وأخبره أن هؤلاء هم بنو أمية وأن الشجرة الملعونة هم^(٢) وفروعها هم بنو العاص وبنو الحكم وبنو المغيرة، ولا يخفى عليكم أن معاوية في طليعة هؤلاء.

ثانياً: وأما القسم الثاني من الآيات فهي الآيات التي تشير إلى أفعال معينة خبيثة وكل من يفعل يستوجب اللعن مثل قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾^(٣).

فالآية تشير إلى الحاكم أو الأمير الذي يسعى لإيجاد الفتن والحروب التي

(١) الاسراء: ٦٠.

(٢) أنظر الدر المنثور ج ٤ ص ١٩١ والقرطبي ج ١٠ ص ٢٨٦ والآلوسي ج ١٥ ص ١٠٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ص ٣٩ / المترجم.

(٣) محمد: ٢٢-٢٣.

تؤدي إلى قطع الأرحام ونشر الفساد، فكل حاكم كان كذلك فعليه لعنة الله. وقد مرّ عليكم أنّ معاوية مارس كل ذلك فقد أرسل الكتب والرسل لتحريك الناس ضد الإمام وأخيراً قام هو بمحاربتة. وأهم من كل ذلك فقد نصب ولده الملعون يزيد أميراً على المسلمين من بعده استمراراً لنشر الفساد.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾^(١) وهي شديدة الانطباق على معاوية.

سؤال: كيف صدرت الأذية من معاوية لله ولرسوله ومتى؟

الجواب: كان ذلك قبل إسلامه وبعد إسلامه وبشكل مباشر وغير مباشر، أما قبل إسلامه فواضح فقد اشترك في إيذاء النبي مع أبيه وأمه وأعمامه.. طيلة ١٣ عاماً في مكة المكرمة، وبعد الهجرة شارك في الحروب التي قادها أبو سفيان ضد الإسلام التي راح ضحيتها عشرات الشهداء مثل سيد الشهداء حمزة وغيره.

(١) الأحزاب: ٥٧.

أقول: قال رسول الله ﷺ لفاطمة بنت قيس حينما جاءت تستشير في الزواج من معاوية فقال لها: أما معاوية فصعلوك لا مال له.

أنظر حياة الحيوان الكبرى ج ١ ص ٨٥ وص ٢٢١ وج ٢ ص ٢٢٣.

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي: روى شيخنا أبو عبد الله البصري المتكلم عن نصر بن عاصم الليثي عن أبيه قال: أتيت مسجد رسول الله ﷺ والناس يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فقلت: ما هذا؟ قالوا: معاوية قام الساعة فأخذ بيد أبي سفيان فخرجا من المسجد فقال رسول الله ﷺ: لعن الله التابع والمتبوع ربّ يوم لأمتي من معاوية ذي الاستاء.

وقال: روي العلاء بن حريز القشيري أنّ رسول الله ﷺ قال لمعاوية: لتتخذن يا معاوية البدعة سنة والقبح حسناً أكلك كثير وظلمك عظيم / شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٧٩ دار إحياء الكتب العربية / المترجم.

إباحة دم معاوية

وبعد عام الفتح ٨ هـ أسلم أبو سفيان مكرهاً إذ لا مجال للإصرار على الشرك بعدما قويت شوكة المسلمين، وفي هذه الأثناء لم يكن معاوية في مكة إلا أنه عندما سمع بإسلام أبي سفيان أرسل إليه رسالة وبّخه فيها على قبوله الإسلام. فلما سمع رسول الله ﷺ بذلك أمر بإباحة دم معاوية، ولهذا ضاقت الأرض على معاوية لاسيما مع توسع رقعة الإسلام فتوسّل واستغاث بالعبّاس عمّ النبي ﷺ، فذهب العبّاس يشفع له عند النبي ﷺ، وإكراماً للعبّاس فإنّ النبي ﷺ تجاوز عنه، ولكن معاوية ظلّ حقير الحال بين المسلمين مكروه الجانب، الكلّ ينظر إليه نظر الاشمئزاز والاحتقار والذلة، ممّا حدّث به مرّة أخرى أن يستنجد بالعبّاس، فطلب العبّاس من النبي ﷺ أن يجعله كاتباً عنده حتّى يحترمه المسلمون ويتركوا تحقيره وتوهينه فجعله النبي ﷺ كاتباً لمراسلاته إلى الملوك^(١)، وكان ذلك قبل رحليه ﷺ بأشهر.

مقطع من رسالة أمير المؤمنين لمعاوية

يذكر أمير المؤمنين في هذه الرسالة أنّ معاوية أسلم كرهاً إذ لم يصل قلبه وعقله إلى قناعات تامّة بالنبوة والدين ولكنّه خاف على نفسه فأسلم لا عن قناعة «وقد دعوت إلى الحرب فدع الناس جانباً واخرج إليّ واعف الفريقتين من القتال ليعلم أيّنا المارين على قلبه والمغطّي على بصره فأنا أبو الحسن قاتل جدّك وخالك وأخيك شديحاً يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب ألقني عدوّي، ما استبدلت ديناً ولا استحدثت نبياً وإني لعلّى المنهاج الذي تركتموه

(١) شرح النهج ج ١ ص ٣٣٨، دار إحياء الكتب العربية.

طائعين ودخلتم فيه مكرهين»^(١).

إذاً فلم يكن إسلامه إسلاماً نقياً حتّى يتولّد عنده الإيمان الحقيقي، بل هو إسلام ظاهري ولذلك لم يمنعه إسلامه من قتل أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا مع عليّ عليه السلام ولم يمنعه من حرب أمير المؤمنين عليه السلام.

وأما الطريق الثاني لإيذاء معاوية لرسول الله ﷺ فهو يتجسّد في حقده وبغضه وحربه لأهل بيت النبي ﷺ، وقد نقل الفريقان أحاديث نبويّة كثيرة جداً مضمونها أنّ كلّ من آذى أهل البيت فهو قد آذى النبي، مثل قوله ﷺ: من آذاني في أهل بيتي فقد آذى الله^(٢) وقوله ﷺ: اشتدّ غضب الله على من آذاني في عترتي^(٣) وقوله ﷺ: من آذاني في عترتي فعليه لعنة الله^(٤). وواضح جواز لعن كلّ من آذى الله ورسوله وأهل بيته.

إيذاء عليّ هو إيذاء للرسول الأكرم ﷺ

والطريق الثالث الذي مارسه معاوية لإيذاء رسول الله ﷺ هو إيذاؤه لعليّ عليه السلام فإنّ هذا التلازم بين النبي ﷺ وأمير المؤمنين واضح جداً لدى الفريقين لورود الأخبار الكثيرة بهذا المعنى منها قوله ﷺ: من آذى عليّاً فقد آذاني^(٥)، وقوله ﷺ: لعنوا الأسلمي لما جاءه يشكو عليّاً فردّ عليه ﷺ:

(١) كنوز الحقائق للدليمي نقله عن فردوس الدليمي.

(٢) فردوس الأخبار للدليمي، ج ١ ص ٥٣، ط: دار الفكر ١٩٩٧م.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الاستيعاب للقرطبي، ج ٣ ص ٢٠٤، ط: دار الكتب العلمية، ومسند أحمد والجامع الصغير للسيوطي وتاريخ الخلفاء له وكنوز الدقائق للمناوي وينابيع المودة وكفاية الطالب باب ٦٨، والرياض النضرة ص ١٠٥، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧.

ياعمرو أما والله لقد آذيتني؟ فقلت: أعوذ بالله أن أؤذيك يا رسول الله؟ قال: بلى، من آذى علياً فقد آذاني^(١).

هذه نماذج لعشرات أمثالها نقلها أكابر الفريقين وهي واضحة الدلالة مشهورة بين المسلمين لأنها تكررت من النبي ﷺ بتكرار الداعي فهي على مرأى ومسمع من معاوية وغيره، ومع ذلك لجأ معاوية إلى إيذاء الإمام علي عليه السلام بعدم الطاعة وتحريض الناس ضده وتجميع أعدائه ومحاربه في صفين وسبه على المنابر...

فهو بذلك يكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ...﴾ ولا يمكن حمل هذا العدا المتأصل والسب العتكر للولي الأكرم عليه السلام على التأويل أو الاجتهاد.

القرآن يلعن الظالمين

وهناك آيات قرآنية كثيرة يلعن الله فيها الظالمين وهي منطبقة مع معاوية فيكون مشمولاً باللعن مثل قوله تعالى: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

(١) المستدرک ج ٤ ص ٨٩ رقم ٤٦٧٧ دار المعرفة بیروت ١٩٩٨، وتلخیص المستدرک للذهبي وأحمد في المسند.

أقول: وحديث (من آذى علياً فقد آذاني) تجده في مختصر المحاسن المجتمعة ص ١٦١ دار ابن كثير بيروت، والاستيعاب الطبعة الحديثة ج ٣ ص ٢٠٤ دار الكتب العلمية وتاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء ص ٦٣١ وفضائل الصحابة لأحمد ج ٢ ص ٦٣٣ ط السعودية / المترجم.

(٢) الأعراف: ٤٤.

الظالمين»^(١) وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(٢) وقد أجمع المسلمون أنَّ معاوية وجماعته هم الفئة الباغية التي حاربت خليفة المسلمين ظلماً وعدواناً، وهكذا عمليات القتل والإبادة التي أمر بها معاوية للزهاد من شيعة علي عليه السلام كل ذلك ظلم فيكون من جملة الملعونين إذن.

بل حتَّى لو أغمضنا الطرف عن كل هذه المجازر يكفي لإثبات ظلم معاوية أنَّه نصَّب على المسلمين مجموعة من المجرمين الأشقياء سفَّاكي الدماء الذين أجزموا بحق المسلمين وأشاعوا الرذيلة والإرهاب والخوف في نفوس المسلمين، ويقف في طليعة هؤلاء - وهم سيئات معاوية - زياد بن سمية المعروف بزياد ابن أبيه وُيسر بن ارطاة.

مَنْ هُوَ زِيَادُ بِنِ أَبِيهِ؟!

في أيام شبابه كان من الملازمين لأمير المؤمنين علي عليه السلام وكان من المطيعين لأوامره وتوجيهاته إلى أنَّ استشهد عليه السلام وجاء ابنه الإمام الحسن عليه السلام وجري ما جرى له وبعد ذلك انتقل زياد في ولائه إلى معاوية بن أبي سفيان وتخصَّص في إراقة الدماء حتَّى هرب الناس من سطوته وإرهابه إلى الجبال والمغارات.

ولم يكن مثل هذا السلوك المنحرف غريباً عن أولاد الزنا، فإنَّ أمَّ زياد (سمية) كانت في الجاهلية من ذوات الرايات مشهورة بالزنا حتَّى مضى على زياد أربع وأربعون عاماً ينادونه (زياد بن أبيه) وظلَّ أبوه مجهول الحال لكثرة

(١) هود: ١٨.

(٢) غافر: ٥٢.

الواردين على أمه سمية يمارسون معها الفاحشة مع وجود زوجها وقد نسب البعض زياد إلى أمه فقالوا عنه زياد ابن سمية.

اعتراض أحد الجالسين: عفواً سماحة السيد، أتذكر عندما كنت أدرس في مدينة (مهاباد) كان أستاذ التاريخ ينسب زياد إلى أبي سفيان وأنه أخ لمعاوية وكان يعدّه من دهاة العرب ويكنّ له الاحترام؛ بينما تنسبه أنت إلى الزنا.

الجواب: بلا شك كان أستاذك من أهل السنة والجماعة أليس كذلك؟

ج: نعم كان من أهل السنة وممن يمتدح بني أمية ويعدهم من قادة العرب. جواب السيد: إن أبرز نقطة يمكن ملاحظتها بين صفوف أهل السنة هو أنهم يقرأون التاريخ بلا تحقيق وتدقيق، وبلا عناية البحث والمقارنة، وبلا شك فإن مثل هذه المطالعات تكون قاصرة وناقصة ولا توصل صاحبها إلى حقائق الأمور وواقعية الحدث. بينما يحتاج الباحث والمطالع التاريخي إلى نظرة فاحصة ونقد جريء، وهذا ما يفتقده أهل السنة والجماعة فإنهم يكرّرون ما هو موجود في التاريخ ويتحاشون النقد بل يعملون على إظهار الحقائق الفاسدة بمظهر آخر ويسعون إلى تحسين صورة رموزهم مثل معاوية وزياد وآخرين، وهكذا يكتفي أتباعهم بالسماع دون المطالعة والفحص والتتبع، فمثلاً أنت عندما سمعت هذا من معلّمك هل طالعت وقرأت كتب التاريخ لتعرف من هو زياد؟

الجواب: لا، لم أقرأ أيّ كتاب حول هذا الموضوع.

إذن عليكم أن تعرفوا مثل هذه الحقائق ومن كتب كتبها علماءكم^(١) ولكن مع ذلك فسأذكر بعض القضايا المرتبطة بهذه الحوادث لعدم اطلاعكم عليها.

(١) مثل تاريخ الطبري ج ٤ والكامل في التاريخ وأسد الغابة ج ٢ ومعرفة الصحابة وشرح نهج البلاغة ج ١ وتاريخ البعقوبي ج ٢ وتاريخ مروج الذهب وكتب أخرى.

حالات سمية أمّ زياد

ذكر عموم المؤرخين بقليل من التفصيل أو الاختصار في الألفاظ ونحن ننقل ما ذكره ابن الأثير:

وكان ابتداء حاله أن سمّيه أمّ زياد كانت لدهقان زندورد بكسكر فمرض الدهقان فدعا الحارث بن كلدة الطبيب الشقي فعالجه فبرئ فوهبه سمية فولدت عند الحارث أبا بكرة واسمه نقيع فلم يقرّ به ثم ولدت نافعا فلم يقرّ به أيضاً، فلما نزل أبو بكرة إلى النبي ﷺ حين حضر الطائف قال الحارث لنافع: أنت ولدي وكان قد زوج سمية من غلام له اسمه عبيد وهو رومي فولدت له زياداً وكان أبو سفيان بن حرب سار في الجاهلية إلى الطائف فنزل على خمار يقال له أبو مريم السلولي فقال أبو سفيان لأبي مريم: قد اشتيت النساء فالتمس لي بغياً. قال له: هل لك في سمية؟ فقال: هاتها على طول ثديها وذفر بطنها. فأتاه بها فوقع عليها فعلمت بزياد ثم وضعت^(١) وأنتم تلاحظون أنها كانت في ذمة زوجها عبيد الرومي ومع ذلك واقعها أبو سفيان ولهذا السبب نسبته البعض إلى سمية وبعضهم إلى عبيد وبعضهم قالوا إنه ابن أبيه.

اعتراض أحد الجالسين: من خلال كلامكم يتضح أن زياداً ولد على الفراش وكان لأمه زوج أيضاً وهو عبيد فكيف قلتم أنه ابن زنا مع ما روي عن

(١) الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٠٠ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨.

أقول: وقد جاء في مروج الذهب ج ٣ ص ٦: وكانت سمية من ذوات الريات بالطائف تؤذي الضريبة إلى الحارث ابن كلدة وكانت تنزل في محلة يقال لها حارة البغايا / المترجم.

النبي ﷺ أنه قال: الولد للفراش وللعاهر الحجر^(١).

الجواب: ما نقوله صحيح ولكننا لسنا وحدنا نقول عنه أنه ابن زنا بل أكابر علماء المسلمين من أهل السنة كما نقلت لكم، بل وأول من أثار هذه القضية هو معاوية عندما أراد استلحاق زياد بأبي سفيان أقام الشهود^(٢) على أنه من أبي سفيان، فإذا كان زياد ينتسب إلى أبي سفيان حقيقة فالأمر لا يحتاج إلى إشهاد، وإن لم يكن كذلك فلا معنى لما فعله معاوية.

ثم إن زياداً طيلة (٤٤) عاماً هو يُنسب إلى عبيد بينما قلب معاوية هذه النسبة وادّعى أنه ابن أبي سفيان أليس ذلك إقراراً منه بالزنا.

وما ذكرته من حديث النبي ﷺ (الولد للفراش وللعاهر الحجر) يصلح لإثبات ما نقوله نحن، فإذا كان زياد قد ولد على فراش عبيد كيف جاز لمعاوية إلحاقه بأبي سفيان؟ أليس هذا إقراراً بالزنا؟

مع أن علماءكم ذكروا حديثاً عن النبي ﷺ يقول: ألا ومن ادّعى إلى غير أبيه أو تولّى غير مواليه رغبة منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل منه صرف ولا عدل^(٣).

إذن فكل من يغيّر نسبه فعليه لعنة الله.

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٦٨ كتاب الفرائض ومسلم ج ١ ص ٤٧١ باب الرضاع، والنسائي ج ٢ ص ١١٠ والبيهقي ج ٧ وسنن أبي داود ج ١ باب اللعان.

(٢) فقد شهد أبو مريم السلولي على أنه شهد أبا سفيان وهو يتغشّى سمية أتيام الجاهلية. انظر مروج الذهب ج ٣ ص ٧ / المترجم.

(٣) صحيح البخاري ومسلم وسنن النسائي والترمذي وأبي داود ومسنند أحمد نقلاً عن الصواعق المحرقة ج ٢ ص ٦٣٤، ط: مؤسسة الرسالة ١٩٩٧.

سؤال أحد الحاضرين : أرجو أن تبين لنا هذه الحادثة ولماذا سعى معاوية لمثل هذا الفعل؟

الجواب : إن الدافع الذي حرك معاوية لعملية استلحاق زياد بنفسه واعتباره أخاً له هو تحشيد أكبر عدد ممكن من الأتباع لمواجهة الإمام الحسن عليه السلام ، فمعاوية رجل أقام سياسته على المكر والدهاء والحيل ، فلما رأى أن زياداً بإمكانه تجميع قطاعات عريضة من الأتباع لجهته ضد الإمام الحسن عليه السلام سعى وراء استلحاق زياد لهذا الهدف ، فهي ورقة سياسية ولعبة مأكرة استخدمها معاوية ، وإلا فلماذا كان معرضاً طيلة (٤٤) عاماً عن هذه الفكرة؟ هذا وقد دلت التواريخ الإسلامية أن سمية لم تكن زوجة أبي سفيان أبداً.

سؤال : وكأنكم تجزمون حول هذه المسألة مع أنه يُحتمل أن تكون سمية قد تزوجت من أبي سفيان في فترة من الزمن.

اعتراض أبي بكر على أخيه زياد

الجواب : لقد ذكرت لكم من مصادركم التاريخية حقيقة حال سمية وعندما نجزم بذلك لأن التاريخ جزم به ، ومع ذلك فإن هناك شواهد تدل على ما ذكرناه لكم مثل اعتراض أبي بكر لما سمع أن معاوية استلحق أخاه زياداً فلما سمع أبو بكر أن زياداً جاء للحج جاء إلى بيته وأخذ ابناً له وقال له : يا بني قل لأبيك : إنني سمعت أنك تريد الحج ولا بد من قدومك إلى المدينة ولا شك أن تطلب الاجتماع بأُم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ فإن أذنت لك فأعظم به خزياً مع رسول الله ﷺ وإن منعتك فأعظم به فضيحة في الدنيا وتكذيباً لأعدائك ، فترك زياد الحج وقال : جزاك الله خيراً فقد أبلغت في

النصح^(١).

اعتراض بني أمية على معاوية

وذكر بعض المؤرخين أنَّ زياداً أراد الاستئذان على أم حبيبة بنت أبي سفيان زوجة رسول الله ﷺ فلم تأذن له، هذا وقد تأثر بنو أمية على ما قام به معاوية من استلحاق زياد به فقال عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص لمعاوية: لو لم تجد إلا الزنج لاستكثرت بهم علينا قلة وذلة. ثم اعترض مروان بن الحكم على معاوية وجرى بينهما حوار قال في نهايته معاوية: ألم تسمع قول من قال:

ألا أبلغ معاوية بن صخر	لقد ضاقت بما تأتني اليدان
أتغضب أن يقال أبوك عف	وترضى أن يقال أبوك زان
فأشهد أن رحمك من زياد	كرحم الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنها حملت زياداً	وصخر من سمية غير دان

اعتراض يونس بن عبيد

ومن جملة من اعترض على معاوية علناً يونس بن عبيد أخو صفية بنت عبيد بن أسد بن علاج الثقفي - وكانت صفية مولاة سمية - فقال: يا معاوية قضى رسول الله ﷺ أن الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقضيت أنت أن الولد للعاهر

(١) الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٠٢.

أقول: قال ابن الأثير صاحب التاريخ الكامل: وكان استلحاقه أول ما ردت به أحكام الشريعة علانية فإن رسول الله ﷺ قضى بالولد للفراش وللعاهر الحجر. ثم قال: وهذا مردود لاتفاق المسلمين على إنكاره ولأنه لم يستلحق أحد في الإسلام مثله ليكون به حجة / المصدر نفسه ص ٣٠١ - ٣٠٢ / المترجم.

وَأَنَّ الْحَجَرَ لِلْفَرَّاشِ، مخالفةً لكتاب الله تعالى وانصرافاً عن سَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بشهادة أبي مريم على زنا أبي سفيان.

فقال معاوية: والله يا يونس لتنتهين أو لأطيرن بك طيرة بطيئاً وقوعها، فقال يونس: هل إلّا إلى الله ثمّ أقع؟ قال: نعم^(١).

وهذا منطق الظالمين الذين يفشلون وينهارون أمام منطق الحق والدليل الصادع، وكان تهديد معاوية بهذه اللهجة رسالة لكلّ الناس أنّ كلّ من يعترض عليه فإنّ مصيره القتل والموت، ولكن مع ذلك فقد حفظ التاريخ لنا هذه الحقائق وسطرها الشعراء والمؤرخون.

سؤال أحد الحاضرين: لا يعقل أنّ معاوية وهو من دهاة العرب والخليفة المعروف بذكائه ينسب إلى نفسه زياداً ويعتبره أخاً له وهو أجنبي عنه. نعم، يحتمل أنّ مقصوده هو أخوه بالإيمان.

الجواب: قد تقدّم الكلام حول هذه القضية وقلّت إنّ معاوية أقام الشهود على أنّ زياداً ابن أبي سفيان، بينما لو كان أخاه إيمانياً لما عاد الأمر بحاجة إلى إقامة الشهود وأمام الناس حتّى أنّ معاوية تمسك بشهادة أبي مريم السلولي ومن خلالها أثبت للناس أخوة زياد له.

ولكن ما يدعو للدهشة والعجب أنّ الشهود شهدوا على أنّ أبا سفيان زنا بسمية فهم شهدوا بإثبات الزنا وكان زياد جالساً يستمع إلى كيفية الزنا بأمّه فأين غيرة هؤلاء الرجال؟ ألا ترون أنّ أي رجل لو قيل له أنّ أمك زانية فإنه سيغضب ويثور ويضرب ويهجو... و

بينما زياد كان يتلقّى هذا الخبر بكلّ هدوء وراحة أعصاب وهكذا يفتخر أمام معاوية بفساد أبيه ولا أدري أين غيرتهم واحساسهم.

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٧ دار الأندلس بيروت.

استيضاح أحد الحاضرين: من خلال كلامكم انضح لنا أن زياداً هو ابن عبيد الثقفي وعبيد هو زوج سمية كان معها في الطائف، وطبيعياً فإن زياد ابنه على الظاهر، ولكن لا نعلم ما الذي دفع معاوية لاستلحاقه به وبهذه الطريقة التي لطخ بها سمعة الخلافة وخالف الشرع وأثبت الرنا لأبيه؟

الجواب: ما يؤسف له أن المؤرخين اكتفوا بذكر الحادثة فقط كما هي عادتهم ولم يركزوا على التحليل أو الإشارة إلى الأسباب والأغراض والأهداف، مع أن سبب اندفاع معاوية لاستلحاق زياد واضح جداً. وأنا سوف أذكره لكم - بعد إذنكم -:

بدأ حكم بني أمية وعلى رأسهم معاوية الذي توسل بكل الأسباب الخبيثة للوصول إلى رأس السلطة فمارس الاحتيال والتزوير والحرب والدهاء وتعاون معه كافة بني أمية إلا زياد بن أبيه فإنه كان من عمال أمير المؤمنين عليه السلام فقد ولّاه الأهواز وفارس وكان هواء مع الإمام علي عليه السلام ولم يعر أي اهتمام لمعاوية، ومضافاً إلى ذلك فإنه من دهاء العرب وخطبائهم المبرزين وكان سخياً شجاعاً، قائماً بأمور مصره بأحسن ما يكون حتى استشهد أمير المؤمنين عليه السلام وجاء الإمام الحسن عليه السلام إلى السلطة وواصل نهج أبيه إلا أن زياداً لم يصمد أمام الدنيا هذه المرة وراح منزلقاً في ركابها طالباً البروق.

ففي عام ٤٠ هـ عندما كاتب معاوية أغلب الأمصار مهدداً إياهم طالباً منهم الخضوع لولايته وإمارته فكتب إليه: من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان! إلى زياد بن عبيد أما بعد: فإنك عبد قد كفرت النعمة واستدعيت النقمة ولقد كان الشكر أولى بك من الكفر وإن الشجرة لتضرب بعرقها وتتفرع من أصلها. إنك لا أم لك بل لا أب لك قد هلك وأهلك وظننت أنك تخرج من قبضتي ولا ينالك سلطاني هيهات ما كل ذي لب بصير رأيه ولا كل ذي رأي ينصح في مشورته أمس عبد واليوم أمير خطّة ما ارتقاها مثلك يابن سمية وإذا أتاك كتابي

هذا فخذ الناس بالطاعة والبيعة وأسرع الإجابة فإنك إن تفعل فدمك حقنت ونفسك تداركت وإلا اختطفتك بأضعف ريش ونلتك بأهون سعي وأقسم قسماً مبروراً أن لا أوتي بك إلا في زمارة تمشي حافياً من أرض فارس إلى الشام حتى أقيمك في السوق وأبيعك عبداً وأردك إلى حيث كنت فيه وخرجت منه والسلام.

وأول ما يلفت الانتباه في هذه الرسالة أن معاوية نسب نفسه إلى أبي سفيان ونسب زياد إلى عبيد مما يعني أن فكرة الاستلحاق لم تختمر بعد في ذهن معاوية، بل أنها كانت في العدم ولم تخطر على باله بعد وهو يعني أن زياد لا تربطه أي علاقة بمعاوية^(١).

إذ كان معاوية يعتقد أن الطريقة الأولى - وهي طريقة التهديد والرعب - ستأتي بالنتائج المطلوبة، ولكنه لما عرف أن زياداً لم يعر أي اهتماماً إلى تهديده عزم على طريقة ثانية وهي الاستلحاق ومحاولة احتواء زياد بهذا الشكل، والظريف بالأمر أن معاوية يعلن لزياد أنه لا أم له ولا أب فحتى عندما خاطبه بابن عبيد إنما ذلك من باب الشهرة لا على وجه التحقيق. ومع ذلك فقد دفعته أهدافه وسياسته الماكرة أن يعلن أمام الناس دون أدنى حياء أن زياداً ابن أبي سفيان!!

وحاول معاوية برسائله أن يشير إلى الجانب الحساس في حياة زياد وهو تعبيره بأُمّه سمية البغية وقد أراد إثارته وأنه يملك ورقة الضغط عليه، إلا أن هذا الأمر المهم والحساس كان بالنسبة إلى زياد من الأمور العادية والطبيعية جداً فكان أدهنى من معاوية في ذلك.

(١) نهج البلاغة رقم الكتاب ٤٤ ص ٥٧١ باهتمام الدكتور صبحي الصالح.

جواب زياد لمعاوية

فلما قرأ زياد رسالة معاوية نادى الصلاة جامعة ثم ارتقى المنبر وقال: إن ابن آكلة الأكباد وقائلة أسد الله ومظهر الخلاف ومسرّ النفاق ورئيس الأحزاب ومن أنفق ماله في إطفاء نور الله كتب إليّ يرعد ويبرق عن سحابة جفل لا ماء فيها وعمّا قليل تصيرها الرياح قزعاً والذي يدلّني على ضعفه تهذّده قبل القدرة أضمن إشفاق عليّ تنذر وتعدّر كلا ولكن ذهب إلى غير مذهب وقعقع لمن روى بين صواعق تهامة كيف أربهه وبينه ابن بنت رسول الله ﷺ وابن ابن عمّه في مائة ألف من المهاجرين والأنصار، والله لو أذن لي فيه أو ندبني إليه لأريته الكواكب نهاراً ولأسعطنه ماء الخردل دونه الكلام اليوم والجمع غداً والمشورة بعد ذلك إن شاء الله ثم نزل من على منبره وجلس في مجلسه وأمر بكتابه ثم أملى عليه قائلاً - في ردّ رسالة معاوية - :

أما بعد فقد وصل إليّ كتابك يا معاوية وفهمت ما فيه فوجدتك كالغريق يغطيه الموج فيتشبّث بالطحلب ويتعلّق بأرجل الضفادع طمعاً في الحياة، إنّما يكفر النعم ويستدعي النقم من حادّ الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً، فأما سبّك لي فلو لا حلم ينهاني عنك وخوفي أن أدعى سفيهاً لأثرت لك مخازي لا يغسلها الماء، وأما تعييرك لي بسميّة فإن كنت ابن سميّة فانت ابن حمامة، وأما زعمك أنّك تختطفني بأضعف ريش وتتناولني بأهون سعي، فهل رأيت بازياً يفزعه صغير القنابر أم هل سمعت بذنب أكله خروف، فامض الآن لطيتك واجهد جهدك فلست أنزل إلاّ بحيث تكره ولا أجتهد إلاّ فيما يسوؤك وستعلم أيّنا الخاضع لصاحبه الطالع إليه والسلام.

ولما قرأ معاوية هذه الكلمات أصابه اليأس وشعر بالخيبة وعرف أنّ زياداً ليس ممّن يخشاه ويهابه أو يحترمه وبالتالي فكّر معاوية بطريقة أخرى لاحتواء

زياد، وبعبارة أخرى للسيطرة على ما تحت إمارة زياد، فاستعان بالماكر المحتال المغيرة بن شعبة.

مَن هو المغيرة بن شعبة؟

هو أحد أربعة عُدوا من دهاة العرب وممن يحتالون بكل وسيلة للفوز بالدنيا، فعندهم الغاية تبرّر الوسيلة.

سؤال: هل من الممكن أن نذكر لنا الثلاثة؟

الجواب: معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وزياد بن أبيه ورابعهم المغيرة بن شعبة.

وهؤلاء الأربعة كانوا من ضمن مجموعة العقبة الذين دبروا محاولة لاغتيال النبي ﷺ ليلة العقبة، وعُرف المغيرة بالحنكة السياسية والآراء الدنيوية الصائبة وكانت آراؤه السياسيّة في المواقف الصعبة معروفة وكان الكثير من العرب من يرجع ويستعين به، إلا أمير المؤمنين عليه السلام الذي أعرض عن آراء المغيرة التي لم يكن لها أي اتصال بالمعاد ولم تستق روحها من المبادئ الإنسانية الشريفة.

سؤال أحد الحاضرين: متى قدّم المغيرة آراءه إلى أمير المؤمنين ولماذا؟

الجواب: وذلك عندما تمّت البيعة لأمر المؤمنين علي عليه السلام وعزم عليه أن يعزل عمّال عثمان بن عفّان ويردّ الحقوق إلى أهلها، فجاءه المغيرة وقال له: إنّ لك حقّ الطاعة والنصيحة وإنّ الرأي اليوم تحوز به ما في غد وإنّ المضاع اليوم تضيع به ما في غد أقرر معاوية على عمله وأقرر ابن عامر على عمله وأقرر العمّال على أعمالهم حتّى إذا أنتك طاعتهم وطاعة الجنود استبدلت أو تركت، فقال له أمير المؤمنين: والله لا أداهن في ديني ولا أعطي الرياء في أمري^(١). وفي

رواية أخرى قال له : أتضمن لي عمري يا مغيرة فيما بين توليته إلى خلعه؟ قال : لا، قال .. «وما كنت متخذ المضللين عضداً»^(١).

وكانت نصيحة المغيرة تنفع من كانت الدنيا هدفه والرئاسة مقصده والتغلب طموحه، بينما كان العدل والحق ورضا الله هدف أمير المؤمنين عليه السلام فإنه يرى ترك معاوية وأمثاله من الولاة الظلمة على مناصبهم مشاركة منه معهم، ولذلك أعرض عن المغيرة وترك نصيحته فقام المغيرة وهو ينشد:

نصحتُ علياً في ابن هند مقالة وزدت فلا يسمع لها الدهر ثانية
وقلت أرسل إليسه بعهده على الشام حتى يستقر معاوية
ويعلم أهل الشام أن قد ملكته وأم ابن هند عند ذلك هاوية
فتحكم فيه ما تريد فبأنه لداهية فافرق به أي داهية
فلم يقبل النصيح الذي جثته به وكانت له تلك النصيحة كافية
ثم أعرض المغيرة عن بيعة الإمام علي عليه السلام فلم يبايعه وغادر إلى مكة^(٢)،
ومن ذلك الحين ابتعد عن أمير المؤمنين وناصبه العداء والتحق بمعاوية فيما
بعد وأصبح والياً على الكوفة من قبل معاوية إلى أن توفي عام ٥٠ أو ٥١ هـ، ثم
أخذ يلعن ويسب أمير المؤمنين علياً والحسن والحسين من على منبر الكوفة
وهو الذي كان يضيق على حجر بن عدي وأصحابه حتى قتلهم معاوية بسببه.
وقد قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: عن أبي جعفر النقيب: قد صح
عندنا أن المغيرة لعنه على منبر العراق مرّات لا تحصى^(٣).

(١) بحار الأنوار ج ٣٢ ص ٣٤.

(٢) الكامل ج ٣ ص ٨٨، دار الكتب العلمية ١٩٨٧.

(٣) شرح النهج ج ١ ص ٣٦٠ ط مصر ج ٣ ص ٦٩.

وقدّم المغيرة خدمات جليلة لمعاوية منها عملية استلحاق زياد بمعاوية وذلك عندما هدد معاوية زياداً كما تقدّم الكلام منّا، جاء المغيرة إلى زياد بعد أن كان عند معاوية وواعده بترتيب الأمر له وقال لزياد: ارمِ بالغرض الأقصى ودع عنك الفضول فإنّ هذا الأمر لا يمدّ إليه أحد يداً إلّا الحسن بن علي فخذ لنفسك قبل التوطين، فقال زياد: فأشر عليّ، قال: أرى أن تنقل أصلك إلى أصله وتصل حبلك بحبله وأن تعير الناس منك أذنأ صمّاء فقال زياد: يا بن شعبة أغرس عوداً في غير منبته ولا مدرّة فتحييه ولا عرق فيسقيه؟ ثمّ إنّ زياداً عزم على القبول وأخذ برأي ابن شعبة..^(١).

زنا المغيرة بن شعبة في البصرة

وكانت نصيحة المغيرة لزياد من باب الحرص على زياد لأنّه كان يعرف دهاء معاوية وإجرامه وأنّه قد يقتل زياداً غيلة فلذلك اقترح عليه ذلك، وكان سبب هذا الحرص ردّاً للجميل الذي قدّمه زياد للمغيرة عام ١٧هـ أيام خلافة عمر بن الخطّاب لمّا حضر المغيرة أمام عمر وهو متّهم بالزنا فامتنع زياد أن يشهد ضدّ المغيرة وبذلك وهبه فرصة جديدة للحياة.

سؤال أحد الحاضرين: ما تفاصيل هذه الحادثة التي امتنع زياد أن يشهد فيها على المغيرة؟

الجواب: استناداً إلى ما ذكره أصحاب الموسوعات التاريخية كالطبري

→ أقول: وقد ذكر ابن أبي الحديد ما لفظه: وقد برئ كثير من أصحابنا من قوم من الصحابة أحبّوا ثوابهم كالـمغيرة بن شعبة / الشرح ج ١ ص ٩ ط دار إحياء الكتب العربية.

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٧، دار الأندلس.

وابن الأثير وابن أبي الحديد وغيرهم؛ ذكروا ضمن حوادث سنة ١٧هـ أن المغيرة بن شعبة كان والياً على البصرة من قِبل عمر بن الخطاب وكان ذات يوم في بيته وهو مجاور لبيت أبي بكر وكان في مشربتين متقابلتين لهما في داريهما في كل واحدة منهما كؤة مقابلة الأخرى فاجتمع إلى أبي بكر نفر يتحدثون في مشربته فهبت ريح ففتحت باب الكؤة فقام أبو بكر ليصفقه فبصر بالمغيرة وقد فتحت الريح باب كؤة مشربته وهو بين رجلي امرأة فقال للنفر: قوموا فانظروا فقاموا فنظروا ثم قال: اشهدوا قالوا: من هذه؟ قال: أم جميل ابنة الأرقم - وكانت أم جميل غاشية للمغيرة وتغشى الأمراء والأشراف - فلما خرج المغيرة إلى الصلاة حال أبو بكر بينه وبين الصلاة وقال: لا تصل بنا فكتبوا إلى عمر بذلك فأرسل عمر أبا موسى الأشعري محلل المغيرة واستدعى المغيرة والشهود وكانوا كلًا من أبي بكر وشبل بن معبد البجلي ونافع بن كلفة وزباد بن أبيه.

فسأل عمر أبو بكر - وهو من صحابة رسول الله ﷺ -: كيف رأيته؟ فقال: إنني رأيته بين رجلي أم جميل وهو يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة ثم دعا شبل بن معبد فشهد بمثل ذلك وشهد نافع بمثل ذلك، ولم يشهد زباد مثل شهادتهم، بعدما سمع كلاماً من عمر عرف منه أن عمر غير راغب في إقامة الحد على المغيرة، حيث قال لزباد لما استدعاه: ما عندك يا سلح العقاب؟ فقال زباد: رأيته جالساً بين رجلي امرأة فرأيت قدمين مخضوبتين تخفقان واستين مكشوفتين وسمعتُ حَفْزاً شديداً، قال: هل رأيت الميل في المكحلة؟ قال: لا، فأمر عمر بترك المغيرة^(١).

وممن ذكر إرادة عمر بن الخطاب في عدم رغبته في رجم المغيرة ونَبَه زباد

بن أبيه على ذلك أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني حيث ذكر أن عمر لما سمع شهادة الأول تغير وجهه ولما سمع الثاني بان الانكسار في عمر وهكذا كلما سمع شهادة رجل تغير وجهه ولما دخل زياد من الباب رفع عمر صوته عالياً: ما عندك يا سلح العقاب^(١)، فلما رأى زياد التغير في ملامح عمر وسمع منه هذه العبارة عرف أن عمر لا يرغب في الاقتصاص من المغيرة بدهائه وذكائه، وقد حفظ المغيرة هذا الفضل لزياد.

معاوية يرأسل زياداً

وبعدما اتفق معاوية مع المغيرة على إرضاخ زياد لحكومته بعث بيد المغيرة كتاباً وهدايا ثمينة إلى زياد جاء في الكتاب «من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان - ثم ذكر له الوعود والإغراءات - فإن بني عبد شمس أبغض إلى بني هاشم من الشفرة إلى الثور الضريع وقد أوثق للذبح فارجع رحمك الله إلى أصلك واتصل بقومك ولا تكن كالموصل يطير بريش غيره».

(١) الأغاني، ج ١٤، ص ٣٢٨، ط: دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصري.

ذكر ابن أبي الحديد: قال أبو جعفر: وكان المغيرة بن شعبة يلحن علياً عليه السلام لعناً صريحاً على منبر الكوفة وكان بلغه عن علي عليه السلام في أيام عمر أنه قال: لئن رأيت المغيرة لأرجمته بالحجارة - يعني واقعة الزنا بالمرأة التي شهد عليه فيها أبو بكر - ونكل زياد عن الشهادة.

وقال أبو جعفر أيضاً: وكان المغيرة بن شعبة صاحب دنيا يبيع دينه بالقليل النزر منها ويرضي معاوية بذكر علي بن أبي طالب / انظر شرح النهج ج ٤ ص ٦٩ - ٧٠ دار إحياء الكتب العربية / المترجم.

ظلم زياد بن أبيه في حكومة البصرة

وبعد مرور بعض الشهور على مهزلة الاستلحاق ومسرحية إهدار الكرامة الإنسانية التي قام بها معاوية والمغيرة وزياد بن أبيه، جعل معاوية زياداً والياً على البصرة عام ٤٥هـ ثم جمع له الهند والبحرين وعمان وقدم زياد البصرة فخطب خطبة بتراء لم يذكر الحمد فيها ثم أخذ يهددهم ويرعبهم وعين أربعة آلاف شرطة يطوفون في سكك البصرة ليلاً يقتلون كل من خرج ليلاً بعد صلاة العشاء^(١) حيث قال لهم: إناي ودلج الليل فإني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه..^(٢) ثم أمر شرطته أن يقطعوا رأس كل من خالف أمره فطرح أمام باب قصره في اليوم الأول (٧٠٠) رأساً وفي اليوم الثاني طرح (٥٠) رأساً وفي اليوم الثالث طرح رأس واحد أمام باب القصر وهكذا استقامت له الأمور بالقتل والإرهاب.

وفي عام (٤٩هـ) توفي المغيرة بن شعبة والي الكوفة فضم معاوية ولاية

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٨.

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٧.

وذكر الطبري: أنهم وجدوا أعرابياً في الليل فأتى به زياداً فقال: هل سمعت النداء؟ - أي بعدم الخروج ليلاً - قال: لا والله، قدمت بخلوية لي وغشيني الليل فاضطررتها إلى موضع فأقمت لأصبح ولا علم لي بما كان من الأمير. قال: أظنك والله صادقاً ولكن في قتلك صلاح هذه الأمة ثم أمر به فضربت عنقه!!

وذكر الطبري واصفاً زياد: وأخذ بالظنة وعاقب على الشبهة وخافه الناس في سلطانه خوفاً شديداً.. / المصدر السابق.

وذكر المقدسي وهو مؤرخ سني معروف: كان زياد غشوماً ظلوماً مضموماً جبي العراق مائة ألف ألف.. وكان ينال من علي رضي الله عنه فضربه التقياد ذو الرقة يعني الغالج فقتله بالكوفة / البدء والتاريخ ج ٦ ص ٢ دار صادر بيروت / المترجم.

الكوفة إلى زياد أيضاً ليوسع رقعة ظلمه إليها وليريق أكبر قدر ممكن من دم الأبرياء والمؤمنين، فكان زياد يقيم ستة أشهر في البصرة وستة أشهر في الكوفة^(١)، وكان أول من شد أمر السلطان وأكد الملك لمعاوية وألزم الناس طاعته جبراً وقسراً وشهر السيف بوجه كل من خالف لاسيما شيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام لأنه كان أدرى بهم وبأسماهم فقد عاش وسطهم أيام صلاحه فكان يطاردهم ويتعقبهم ويتبع أخبارهم فأينما وجد أحداً منهم قتله، فقد ذكر المؤرخ ابن أعثم الكوفي: أنه كان يقطع أعضاءهم ويسمل عيونهم.

وبسبب هذا الإرهاب والقساوة الفظيعة فرّ شيعة علي عليه السلام إلى الجبال والصحاري والبلاد النائية فكان من جملة الفارين سعيد بن أبي سرح مولى حبيب بن عبد شمس وهو من الموالين المخلصين لأمر المؤمنين علي عليه السلام، فلما سمع سعيد بقدوم زياد إلى الكوفة خرج منها إلى المدينة وذهب إلى الإمام الحسن عليه السلام وقص عليه الأخبار الإجرامية التي مارسها زياد في البصرة، فلما عرف زياد ذلك أمر بهدم دار سعيد وحبس زوجته وأولاده وأخ سعيد وبعد التوسط والتشفع عنده تركهم.

رسالة الإمام الحسن لزياد

لما ادعى معاوية زياداً وولاه طلب زياد رجلاً كان دخل في صلح الحسن وأمانه فكتب الحسن عليه السلام فيه إلى زياد ولم ينسبه إلى أب فكتب إليه زياد: أما بعد: فقد أتاني كتابك في فاسق تزوي مثله الفساق من شيعتك وشيعة أبيك فأيم الله لأطلبينه ولو بين جلدك ولحمك فإن أحب لحم إلي أن أكله للحم أنت منه^(٢).

(١) الكامل ج ٣ ص ٣١٧.

(٢) أشرف الأنساب، ج ٣ ص ٥٢.

رسالة معاوية لزياد

فأرسل الإمام الحسن عليه السلام رسالة زياد إليه إلى معاوية ليطلع له على خباته عامله فلمّا قرأها معاوية تأثر على رغم عدائه هو الآخر لأهل البيت عليهم السلام لكنّه تأثر لعدم واقعية الرسالة فكتب جواباً إلى زياد يوبّخه:

«فأكثر العجب منك وعلمت أنّ لك رأيين أحدهما من أبي سفيان والآخر من سمية فأما الذي من أبي سفيان فحلم وحزم، وأما الذي من سمية فما يكون من رأي مثلها من ذلك كتاب الحسن تشتم أباه وتعرض له بالفسق ولعمري إنّك لأولى بالفسق من أبيه».

ثمّ تعرّض إلى موضوع سعيد بن أبي سرح وأمره بإطلاقه وعدم التضييق عليه وجاء في آخر الرسالة: «وأما كتابك إلى الحسن باسمه واسم أمّه ولا تنسبه إلى أبيه، فإنّ الحسن ويحك من لا يرمى به الرجوان وإلى أي أمّ وكلته، لا أمّ لك أما علمت أنّها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فذاك أفخر له لو كنت تعلمه وتعهقه»، ثمّ ختم رسالته بهذه الأبيات:

أما حسن فابن الذي كان قبله	إذا سار سار الموت حيث يسير
وهل يسلد الريبال إلا نظيره	وذا حسن شبه له ونظيره
ولكنّه لو يوزن الحلم والحجا	بأمر لقالوا يذبل وثبير

وكُلّ عاقل عندما يقرأ هذه الرسالة يقطع أنّ هؤلاء القوم الذين حاربوا وعادوا أهل البيت كانوا أولاد زنا، إذ مع علمهم بهذه المنازل الشامخة والكمالات العالية قتلوهم وحاربوهم وشرّدوهم وهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وهذا ليس استنتاجاً مني بل هو ما قاله الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عليّ: «لا يحبك إلا طاهر الولادة ولا يبغضك إلا خبيث الولادة»^(١).

(١) قال ابن عباس بينما نحن بفناء الكعبة ورسول الله صلى الله عليه وآله يحدّثنا إذ خرج علينا ممّا

استشهاد عمرو بن الحمق الخزاعي

لقد ذكر المؤرخون كالطبري والعسقلاني وابن عبد البر وابن الأثير وغيرهم أن عمرو بن الحمق جاء بعد صلح الحديبية إلى رسول الله ﷺ وأسلم على يديه وبقي مدة مع النبي ﷺ حفظ منه بعض الأحاديث والأحكام ثم هاجر إلى الكوفة - كما ذكر ذلك الكشي عليه الرحمة - ولم تكن الكوفة بتلك المنزلة والشهرة، وظل فيها سنين، بعدها اشترك إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام في حرب صفين والنهروان وبعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام عمل عمرو بن الحمق وحجر بن عدي وجماعة من الشيعة على نشر فضائل الإمام علي عليه السلام مقابل ما قام به بني أمية من المنع والسب للإمام^(١).

→ يلي الركن اليماني شيء عظيم كأعظم ما يكون من الغيلة قال: فتفل رسول الله ﷺ وقال: لُعنت فقال علي: ما هذا يارسول الله؟ قال: أو ما تعرفه يا علي؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: هذا إبليس فوثب إليه فقبض على ناصيته وجذبه فأزاله عن موضعه وقال: يارسول الله أقتله؟ قال: أو ما علمت أنه قد أجل إلى الوقت المعلوم؟ قال: فتركه من يده فوقف ناحية ثم قال: مالي ولك يا ابن أبي طالب والله ما أبغضك أحد إلا وقد شاركت أباه فيه اقرأ ما قاله الله تعالى «وشاركهم في الأموال والأولاد» / تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٨٩، دار الكتب العلمية / المترجم.

(١) أقول: قال ابن أبي الحديد المعتزلي:

قد صح أن بني أمية - لعنهم الله - منعوا من إظهار فضائل علي عليه السلام وعاقبوا على ذلك الراوي له حتى أن الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلق بفضله عليه السلام بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه فيقول: عن أبي زينب!!

فالأحاديث الواردة في فضله لو لم تكن في الشهرة والاستفاضة وكثرة النقل إلى غاية بعيدة لانقطع نقلها للخوف والتقية من بني مروان مع طول المدة وشدة

إلى أن جاء المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة وأسس اللعن والسبّ لأمر المؤمنين عليه السلام على المنابر فكان عمرو وجماعته يقفون بوجه هذا الخبيث الملعون ويحرضون الناس على عدم السكوت إلى أن توفي المغيرة وجاء زياد بن أبيه فسمع أن مجموعة من الصحابة يمنعون ويعترضون على لعن وسب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فأمر بالقبض على حجر بن عدي ومجموعة معه وأرسلهم إلى الشام ومارس السيف بين صفوف الشيعة كما تقدّم ففرّ أغلب الشيعة إلى خارج الكوفة وكان من جملةهم عمرو بن الحمق، فعندما سمع أن شرطة زياد تبحث عنه قال: الفرار ممّا لا يطاق من سنن المرسلين فخرج مع رفاعه بن شدّاد إلى جهة الموصل وبعدها استشهد هناك، وقد ذكروا قصّةين لكيفيّة استشهاده:

الأولى: ذكروا أنّه عندما كان يسير مع رفاعه في طريقه إلى الموصل رأى خلفه رجال بني أميّة تلاحقه فطلب من رفاعه أن يفرّ ويتركه معهم، ثمّ نزل هو من الفرس والتحق بأحد الجبال واختبأ بمغارة وهناك لسعته حيّة فمات على أثرها، ثمّ جاء الرجال وصعدوا الجبل خلفه فشاهدوه ميتاً فحزّوا رأسه وأخذوه معهم إلى زياد ومن ثمّ إلى معاوية وكان أوّل رأس في الإسلام حمل من بلد إلى بلد.

الثانية: ما ذكره ابن الأثير والطبري من أن عمرو بن الحمق ورفاعة خرجا إلى الموصل فاختفيا بجبل هناك فرفعّ خبرهما إلى عامل الموصل فسار إليهما فخرجا إليه فأما عمرو فكان قد استسقى بطنه ولم يكن عنده امتناع، وأمّا رفاعه فكان شاباً قوياً فركب فرسه ليقا تل عن عمرو فقال له عمرو: ما ينفعني قتالك

→ العداوة، ولولا أن الله تعالى في هذا الرجل عليه السلام سرّاً يعلمه من يعلمه لم يرو في فضله حديث ... / انظر شرح النهج ج ٤ ص ٧٣ ط دار إحياء الكتب العربية.

عني انج بنفسك فحمل عليهم فأخرجوا له فنجاً وأخذ عمرو أسيراً إلى عامل الموصل عبد الرحمن بن عثمان الثقفي الذي يُعرف بـ (ابن أم الحكم) وهو ابن أخت معاوية فكتب معاوية إليه أنه زعم أنه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص معه فأطعنه كما طعن عثمان فأخرج وطعن فمات في الأولى أو الثانية^(١) ثم بُعث رأسه إلى معاوية وأرسله معاوية إلى زوجة عمرو بن الحمق التي كانت سجينه عنده.

والآن عليكم أن تحكموا بقولكم وإنصافكم على هؤلاء الذين لوثوا سمعة الإسلام وقتلوا الأبرياء وأراقوا دماء الصالحين من أجل حكومة بني أمية وعلى رأسها معاوية عليه الهاوية وأسسوا الإرهاب والعنف في الأمة.

صانع الأحاديث سمرة بن جندب

وأيضاً من جملة المنافقين الذين خذلوا الإسلام وأطاحوا بالمؤمنين وسفكوا الدماء الطاهرة هو سمرة بن جندب، يروي ابن أبي الحديد: قال أبو جعفر: وقد روي أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب «ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام». وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد^(٢). وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم لعنه الله «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاءاً مِرْصاة

(١) الكامل ج ٣ ص ٣٢٩، وقد ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أن قبر عمرو في الموصل وهو ظاهر وأول من بناه أبو عبدالله سعيد بن حمدان ابن عم سيف الدولة وناصر الدولة أولاد حمدان عام ٣٣٦هـ.

(٢) البقرة: ٢٠٤-٢٠٥.

الله^(١) فلم يقبل - سمرة - فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل فبذل له ثلاثمائة ألف درهم فلم يقبل فبذل له أربعمائة ألف فقبل وروى ذلك^(٢)، مع أنه لم يجرؤ أي مفسر محب أو مبغض على مثل هذا الكلام الخطير. وفي هذا أكبر دلالة على خروج سمرة من الإسلام، وكان أبو حنيفة ينقل عن كل الصحابة سوى ثلاثة: أبي هريرة وأنس وسمرة.

مجازر سمرة في البصرة

لما استخلف معاوية زياداً على البصرة والكوفة كان يقضي ستة أشهر في البصرة ومثلها في الكوفة وعندما ارتحل إلى الكوفة عين على البصرة مكانه سمرة بن جندب، فلما استخلفه أكثر القتل فيها، فقال ابن سيرين: قتل سمرة في غيبة زياد هذه ثمانية آلاف فقال له زياد: أما تخاف أن تكون قتلتَ بريئاً؟ فقال سمرة: لو قتلتُ معهم مثلهم ما خشيتُ.

وقال أبو السوار العدوي: قتل سمرة من قومي في غداة واحدة سبعة وأربعين كلهم قد جمع القرآن^(٣).

فهذه الأعمال كفيلة بتنبية الغافلين والمعادنين الذين مازالوا يصفون سمرة ابن جندب بأنه من صحابة النبي ﷺ وهي كافية للحكم عليه بأنه من أهل النار كما قال النبي ﷺ لجماعة فيهم أبو هريرة وسمرة وكانوا عشرة: آخركم موتاً في النار. وفعلًا كان آخرهم موتاً سمرة بن جندب^(٤)، فقد ذاق نار الدنيا

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٢) شرح النهج ج ٤ ص ٧٣ ط دار إحياء الكتب العربية.

(٣) الكامل ج ٣ ص ٣١٨ ومثله في الطبري.

(٤) دلائل النبوة للبيهقي ج ٦ ص ٤٥٨ دار الكتب العلمية ١٩٨٥ م.

قبل نار الآخرة ، فقد ذكروا أَنَّ سمرة استجمر ففعل عنه أهله حتى أخذته النار^(١).

فهؤلاء هم أعوان معاوية الذي شدَّ سلطانه بالكذب على الله ورسوله ومعاودة أولياء الله وأحبابه، وهذا التاريخ أماننا ينطق بالحق.

بُسر بن أرطاة

ومن جملة عمال معاوية الظالم الحقود بُسر بن أرطاة، وهو من الجلادين الأشقياء الذين باعوا دينهم لدنيا غيرهم فما أخسرهم، ولقد عُرِف بُسر بقساوة القلب وخشونة الطبع وبخبائنة الفطرة وشرائية السلوك وكان محباً لإراقة الدماء وارتكاب المحرمات، فقد وصفه ابن أبي الحديد المعتزلي بقوله: وكان قاسي القلب فظاً سفكاً للدماء لا رأفة عنده ولا رحمة^(٢).

وكان بُسر شديد العداوة والبغض لأمير المؤمنين علي وللمن والاه فهذا دليل نفاقه وخبائنة نطفته كما قال النبي ﷺ.

وقد اشترك مع معاوية في حربه ضدَّ الحق المتمثل بعلي بن أبي طالب في صفتين، ومن المضحك أن يصفه البعض بالبطولة والشجاعة بينما التاريخ بين أيدينا لا يتقل عنه إلا الجرائم ضدَّ الأطفال والنساء والأبرياء إذ لم يتقل عنه أي

→ أقول: ذكر البيهقي في دلائل النبوة ج ٦ ص ٤٦٠: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عَامِرُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ قَالَ: كُنَّا فِي مَجْلِسِ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ فِي أَصْحَابِ الْخَزْ قَالُوا: مَا فِي الْأَرْضِ بَقْعَةٌ نَشَفَتْ مِنَ الدَّمِ مَا نَشَفَتْ هَذِهِ - يَعْنُونَ - دَارَ الْإِمَارَةِ قُتِلَ فِيهَا سَبْعُونَ أَلْفًا فَجَاءَ يُونُسُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ مِنْ بَيْنِ قَتِيلٍ وَقَطِيعٍ، قِيلَ لَهُ: وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؟ قَالَ: زِيَادُ بْنُ زِيَادٍ وَسَمُرَةُ!! / المترجم.

(١) دلائل النبوة ج ٦ ص ٤٦٠.

(٢) شرح النهج ج ٢ ص ٦ دار إحياء الكتب العربية.

موقف شامخ، نعم هذه الجرائم والمخازي يعدّها البعض بطولة، ولا بأس هنا أن نشير إلى أبرز موقف لهذا البطل الوهمي بسر بن أرطاة وهو:

كشف العورة سلاح النجاة

في يوم صفين كان بسر مع معاوية فأمره أن يلقي علياً عليه السلام في القتال، وقال له: سمعتك تتمنى لقاءه، فلو أظفرك الله به وصرعته حصلت على دنيا وآخره، ولم يزل به يشجعه ويمنيه حتى رآه، فقصده في الحرب، فالتقيا فصرعه علي عليه السلام بضربة سقط فيها على الأرض ولما أجهز عليه الإمام عليه السلام رفع بسر ثيابه وأظهر عورته كما صنع ابن العاص فأعرض عنه الإمام عليه السلام^(١) حتى أنشد ابن الكلبي:

أفي كل يوم فارس ليس ينتهي	وعورته وسط العجاجة بادية
يكف لها عنه علي سنانه	ويضحك منه في الخلاء معاوية
بدت أمس من عمرو فقنع رأسه	وعورة بسر مثلها حذو حاذية
فقلوا لعمرو ثم بسر ألا انظرا	سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية
ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما	هما كانتا والله للسفوس واقية
ولولاهما لم ينج من سنانه	وتلك بما فيها عن العود نامية
متى تلقيا الخيل المشيخة صُحبة	وفيهما علي فاتر كالخيل ناحية
وكونا بعيداً حيث لا تبلغ القنا	نحوركما إن التجارب كافية ^(٢)

فمع هذا المستوى السحيق من العار والجبن هل يبقى مجال للقول عن

(١) الاستيعاب ج ١ ص ٢٤٥ دار الكتب العلمية ١٩٩٥ م.

(٢) المصدر نفسه.

بُسر لعنه الله: كان بُسر من الأبطال الطغاة^(١) أين بطولته؟ اللهم إلا أن تكون له بطولات في كشف العورة أمام كل خطر يهدد حياته!

ومن مواقفه الجبابة التي ملؤها الخزي والذعر والجبن هو أنه لما سمع أمير المؤمنين عليه السلام أن بُسراً يريق دماء المسلمين في اليمن وأطرافها بعث حارثة بألفين ووهب بن مسعود بألفين صوب اليمن، فلما سمع بُسر بذلك ترك اليمن فاراً هنا وهناك حتى التحق بالشام ووصل إلى معاوية^(٢). ومن تتبع السير والتواريخ يلاحظ المجازر التي قام بها بُسر وعمليات الإبادة والحرق والتهجير و... فهل يصدق على مثل هذا الفاسق وصف الشجاعة والبطولة؟

مجازر بُسر في اليمن

لقد ذكر المؤرخون^(٣) أن معاوية أرسل بُسراً إلى اليمن لقتل شيعة علي عليه السلام^(٤) وهكذا صنعاء فأتى أهل جيشان وهم شيعة لعلي عليه السلام^(٥). وهكذا الحجاز فكانت حصيلة ما قام به بُسر من مجازر أن قتل ثلاثين ألفاً. وقال ابن أبي الحديد: بعثه معاوية في جيش كثيف وأمره أن يقتل كل من كان في طاعة علي عليه السلام فقتل خلقاً كثيراً^(٦).

وكان من جملة وصايا معاوية لبسر: واقتل شيعة علي حيث كانوا، وقال له

(١) المصدر نفسه.

(٢) شرح النهج ج ٢ ص ١٦ دار الجيل، والكامل ج ٣ ص ٢٥١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.

(٣) كالطبري وابن الأثير وابن أبي الحديد وابن حجر وابن عبد البر وآخرين.

(٤) الاستيعاب ج ١ ص ٢٤٣.

(٥) شرح النهج ج ٢ ص ١٦ دار الجيل.

(٦) المصدر ص ٦-٧.

أيضاً: سر حتى تمرّ بالمدينة فاطرد الناس وأخف من مررت به وانهب أموال كل من أصبت له مالاً ممّن لم يكن دخل في طاعتنا.. وارهب الناس عنك فيما بين المدينة ومكة واجعلها شرداً..^(١) وهكذا صنع بسر لعنه الله فقد قتل الناس لاسيما الشيعة وأحرق البيوت ونهب الأموال وسبى الأعراض، وكان أبو أيوب الأنصاري الصحابي الجليل والي المدينة من قبل أمير المؤمنين عليه السلام فلما سمع بقدوم بسر وهو بهذه الوحشية والقساوة ورأى أن لا طاقة لأهل المدينة بمحاربه خرج منها إلى الكوفة وجاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلما وصل بسر إلى المدينة أحرق بيت هذا الصحابي الجليل ومعه منازل ودور آخرين وأجبر الناس على بيعه معاوية بحدّ السيف^(٢)، ثم خرج من المدينة بعد أن عاث فيها الفساد ونصب أبا هريرة والياً عليها بعد أن كان الأخير مغموراً في طرق وسكك المدينة.

ومن بعد المدينة اتجه بسر صوب اليمن وفي الطريق كان يقتل كل من شايع علياً عليه السلام، حتى قال الطبري: وقتل بسر في مسيره ذلك جماعة من شيعة علي باليمن، وذكر ابن الأثير في البداية والنهاية: ويقال إن بسرأ قتل خلقاً من شيعة علي في مسيره هذا، وهذا الخبر مشهور عند أصحاب المغازي والسير. وأكبر وحشية وقساوة سجلها اللعين بسر في تاريخه الأسود هو قتله لابني عبيدالله بن عباس في اليمن.

(١) المصدر السابق، وانظر الاستيعاب ج ١ ص ٢٤٤.

أقول: جاء في الإصابة: وكان معاوية وجهه إلى اليمن والحجاز وأمره أن ينظر من كان في طاعة علي عليه السلام فيوقع بهم ففعل ذلك / ج ١ ص ٤٢٢ دار الكتب العلمية ١٩٩٥ م.

(٢) المصدر نفسه.

قتله ابني عبيدالله بن عباس

فلَمَّا وصلت أنباء بَسْر بن أَرْطاة إلى اليمن خرج عبيدالله بن عباس فارًّا إلى عليٍّ عليه السلام وترك عياله في صنعاء وكان لديه طفلان صغيران هما (سليمان وداود) أو (قثم وعبد الرحمن) وأُمُهُما جويرية ابنة خالد بن قرظ الكنانية فأودعتهما عند أحد الرجال خوفًا عليهما، فلَمَّا وصل بَسْر إلى اليمن وقتل كلَّ الشيعة فيها وكان قد سمع بقصة الطفلين فطلبهما وقتلهما بلا رحمة بعد قتل الرجل الكناني الذي تكفل بهما، ولَمَّا وصل خبرهما إلى أُمَّهُما أنشدت:

يا مَنْ أَحْسَ بابني اللذين هما	كالدرّتين تشظى عنهما الصدف
يا مَنْ أَحْسَ بابني اللذين هما	مخ العظام فمخّي اليوم مزدهف
يا مَنْ أَحْسَ بابني اللذين هما	قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف
مَسَّن دَلَّ والهة حيرى مولَّهة	على صبيّين ذلًّا إذ غدا السلف
نُبْتُ بَسْرًا وما صدقتُ ما زعموا	من إفكهم ومن القول الذي اقترفوا
أحسني على ودجي ابني مرهفة	من الشفار كذاك الإثم يعترف ^(١)

انتهاكه لحرمة المسلمات

ولم يتوقّف المسلسل الدامي والمخازي التي مارسها الملعون بَسْر ولم يشبع قلبه الخبيث من ارتكاب عظام الأمور حتّى مارس سبي النساء المسلمات المؤمنات، فقد جاء في الاستيعاب: أرسل معاوية بَسْرًا بن أَرْطاة إلى اليمن فسبى نساء مسلمات فأقمن في السوق فكنّ أوّل مسلمات سبين في الإسلام^(٢).

(١) الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٢٥١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧

(٢) الاستيعاب ج ١ ص ٢٤٣.

والآن وبعد كل هذه المخازي والمجازي والكبائر التي أمر بها معاوية ومارسها بُسر^(١) وأمثاله هل يصدق على مثل هؤلاء اسم الاجتهاد أو الصحابة؟ حاولوا أن تنصفوا الموقف والتاريخ بعيداً عن التعصب، فهذا هو معاوية على حقيقته وهذه هي خدماته للإسلام والمسلمين!! وتقدم منا تطبيق آيات الظالمين عليه ولعلها الآن تكون أكثر وضوحاً لكم بعدما سمعتم بهذه المسيرة الدموية المخزية التي شوّهت الإسلام وأبادت الصحابة وشرذمتهم وخذلتهم.

دعاء أمير المؤمنين (ع) على بُسر

وجاء في الكامل لابن الأثير: بعدما وصل خبر قتل ابني عبيدالله بن عباس إلى أمير المؤمنين عليه السلام حزن عليهما وتأثر ثم رفع يديه ودعا على بُسر فقال: «اللهم اسلبه دينه وعقله» فأصابه ذلك وفقد عقله^(٢).

ونقل ابن أبي الحديد دعاء الإمام على بُسر:
اللَّهُمَّ إِنْ بُسراً باع دينه بالدنيا وانتَهك محارمك وكانت طاعة مخلوق فاجر
أثر عنده ممّا عندك، اللَّهُمَّ فلا تُمتِه حتّى تسلبه عقله ولا توجب له رحمتك ولا
ساعة من نهار، اللَّهُمَّ العن بُسراً وعمراً ومعاوية وليحلّ عليهم غضبك ولتنزل
بهم نقمتك وليصبهم بأسك ورجزك الذي لا تردّه عن القوم المجرمين» فلم
يلبث بُسر بعد ذلك إلّا يسيراً حتّى وسوس وذهب عقله فكان يهذي بالسيف
ويقول: اعطوني سيفاً أقتل به، لا يزال يردّد ذلك حتّى اتّخذ له سيف من خشب

→ أقول: وجاء في الخبر: فيُكشف عن سوقهن فأيتهن كانت أعظم ساقاً أشترت على
عظم ساقها - إنّا لله وإنّا إليه راجعون - .

(١) أقول: جاء في الإصابة: كان -بُسر- يلي لمعاوية الأعمال وله أخبار شهيرة في
الفتن / ج ١ ص ٤٢٢.

(٢) تاريخ الكامل ج ٣ ص ٢٥٢ دار الكتب العلمية ١٩٨٧م.

وكانوا يدنون منه المرفقة فلا يزال يضربها حتى يغشى عليه فلبث كذلك إلى أن مات^(١).

مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَهُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ

وأيضاً من الأدلة الأخرى على جواز لعن معاوية - مضافاً لما تقدّم منا - والحكم عليه بالخلود بالنار هو قوله تعالى: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً»^(٢)، فالآية تقرّر أنّ القتل العمدي من الكبائر يستحقّ بسببه القاتل الخلود في النار واللعن والعذاب الأليم، وقوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ»^(٣) وهذه الآية أيضاً تصرّح بخلود قتلة المؤمنين في النار، ثمّة آية ثالثة كأنّها تعطي حجم هذا الجرم العظيم قال تعالى: «مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً»^(٤).

ومن جهة السُنّة النبويّة أيضاً فالأمر في غاية الوخامة كما عرضه القرآن، فقد ذكر النسائي في سننه عن رسول الله ﷺ قوله: «الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقول الزور»^(٥)، ويشدّ الإثم والعذاب إذا كان

(١) شرح النهج ج ٢ ص ١٨ دار الجيل.

(٢) النساء: ٩٣.

(٣) آل عمران: ٢١، ٢٢.

(٤) المائدة: ٣٢.

(٥) سنن النسائي ج ٨ ص ٤٥ رقم ٤٨٦٧ دار الكتب العلمية ١٩٩٥ م.

المقتول مؤمناً بريئاً من الصالحين، فقد روي عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: والذي نفسي بيده لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا. إذن يمكن القول وبالدليل القاطع استناداً إلى الآيات والروايات أن معاوية من الملعونين والمطرودين من الرحمة الإلهية ومن المغضوب عليهم ومن المخلدن في نار جهنم، والعجب أنه روي عنه - معاوية - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً»^(١) وروي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لو اجتمع على قتل مؤمن أهل السماء والأرض ورضوا به لأدخلهم الله جميعاً جهنم»^(٢).

بينما نرى معاوية الراوي لمثل هذه الأحاديث قد قتل المؤمنين عمداً وظلماً من أجل المنصب والمال!!

سؤال أحد الحاضرين: كيف يمكن تصوّر خليفة رسول الله ﷺ والقائم مقامه يفعل هذه الكبائر؟ بينما المطلوب منه حفظ الدين الإسلامي والمسلمين فكيف مع صريح القرآن والسنة يرتكب مثل هذه الموبقات العظام؟

الجواب: نعم خليفة رسول الله ﷺ الحقيقي لا يفعل ذلك بل يعمل عمل رسول الله ﷺ، أما معاوية فهو ليس خليفة رسول الله ولا هو قائم مقامه بل هو رجل انتهب الفرصة وآلب الناس وخدعهم واستولى على كرسي الحكم، وأعماله تدل على أنه كان حاكماً جائراً وسلطاناً ظالماً وسفكاً لدماء الصحابة والمؤمنين

(١) المستدرک علی الصحیحین ج ٤ ص ٣٩١ رقم ٨٠٣١ دار الكتب العلمية.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٩٢ رقم ٨٠٣٦.

أقول: وذیل الحديث الأخير كما في المستدرک هو: والذي نفسي بيده لا يبقضنا أهل البيت أحد إلا أكتبه الله في النار.

الأبرياء انتقاماً وثأراً لحرب بدر وأُخذ والأحزاب ..

سؤال أحد الحاضرين: نرجو من جنابكم أن تذكروا لنا بعض أسماء

المؤمنين الذين قتلهم معاوية حتى تنكشف الحقيقة لنا؟

الجواب: تنقسم الجرائم الدموية التي مارسها أو أمر بها معاوية إلى ثلاثة

أقسام:

أولاً: القتل الجماعي، كما مر عليكم حيث أمر بـسُر بقتل كل من خالفه.

ثانياً: قتل المؤمنين المتألمين وأصحاب المكانة الشامخة في الدين

والإيمان والعلم لاسيما من أهل بيت النبي ﷺ.

سؤال أحد الحاضرين: أرجو أن تذكر لنا بعض الأسماء؟

سَمِّ الْإِمَامَ الْحَسَنَ بِأَمْرِ معاوية

نعم هناك الكثير ممن أمر بقتلهم معاوية من أهل الفضل والإيمان، ولكنني

أذكر لكم مثلاً وهو الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب سبط النبي ﷺ وأحد

سيدي شباب أهل الجنة، ففي عام ٤٩هـ انقذت فكرة الوراثة في الحكم في

ذهن معاوية فصمم أن يعهد بالأمر إلى ولده الملعون يزيد، ولكن هذا الأمر لا

يمكن إجراؤه ما دام الحسن عليه السلام على قيد الحياة، إذ كان ضمن الشروط التي

تعاهد عليها الإمام الحسن ومعاوية أن تنتقل الخلافة من بعد معاوية إلى الإمام

الحسن عليه السلام ولذلك كان وجود الإمام الحسن عليه السلام مانعاً من انتقال السلطة إلى يزيد

لعنه الله.

ولذلك سعى إلى تصفية الإمام الحسن عليه السلام بطريقة السم فحاول مرات

عديدة لسمه إلا أنها لم تؤد إلى وفاته عليه السلام إلى أن استطاع بالتعاون مع مروان بن

الحكم الذي أغرى زوجة الإمام الحسن عليه السلام جعدة بنت الأشعث لعنهما الله بأنها

إن وضعت السم للحسن عليه السلام وقتلته فإن معاوية يزوجه من ولده يزيد لعنه الله،

فقبلت وقامت بالدور، فدفعت معاوية سماً خاصاً جاء به لهذه المهمة وكان سماً أسود من جبل هلاهل في الصين^(١) فدفعه إلى مروان والأخير دفعه إلى جعدة وقامت هذه الملعونة بوضعه في ظرف الماء الذي كان يشرب منه الإمام الحسن عليه السلام، فلما شرب منه سرى السم في عروقه وجسمه كله حتى تمزقت أحشاؤه فكان يلفظ أحشائه وقطع الدم في طست وضعوه أمامه فلم يعض كثيراً من الوقت عليه حتى أوصى وصيته واستشهد مظلوماً.

ولما وصل خبر وفاته أرسل معاوية مائة ألف درهم إلى جعدة ولم يزورها من ولده يزيد واعتذر إليها أنه لا يستطيع أن يأمن على ولده يزيد من قتل مثل الإمام الحسن عليه السلام!!

سؤال من أحد الحاضرين: سم الإمام الحسن من قبل معاوية هل انفرد الشيعة به أم ذكره علماء السنة أيضاً؟

الجواب: نعم، ذكره أكابر علماء السنة والجماعة أيضاً.

سؤال: من أين يعلم أن معاوية هو الذي أعطاه لجعدة وأمرها بقتل الحسن عليه السلام؟ إذ من المحتمل أن جعدة هي التي أقدمت على مثل هذه الجريمة لخبائث طبيعتها.

(١) لقد ذكر الحكيم مؤمن في التحفة ومير محمد حسين الخراساني الشيرازي في مخزن الأدوية عن مخاطر بعض الأعشاب التي لو استعملت خطأ فإنها تؤدي إلى أخطار فظيعة وذكر أربعة أنواع للسموم وأشدّها السم الأسود الموجود في جبل هلاهل في الصين فإنه لو وضعوه على قرن الثور لخرج الدم من أنفه، ولو وضع على سرج الفرس لوقع الراكب من ظهره، وذكر أن استعماله يتطلب لبس القفازات ولا يمكن مسّه باليد لأنه لو وقع منه بمقدار خردل ودخل جوف الإنسان فإنه يقطع أمعاءه، وكان معاوية قد أعطى هذا السم إلى جعدة ثم شربه الإمام الحسن عليه السلام.

الجواب: قلتُ أن أكابر علماء السنّة ذكروا أن معاوية أمر جعده بذلك ولا يوجد أي تعصّب في القضية وسأذكر لكم بعض المصادر منها: ربيع الأبرار للزمخشري وابن عساكر في تاريخه وابن أبي الحديد في شرح النهج والاستيعاب ومقاتل الطالبين وتذكرة الخواص^(١) وغيرهم.

فرح معاوية بوفاة الإمام الحسن عليه السلام

ولم يكتف معاوية بقتل الإمام الحسن سبط النبي الأكرم عليه السلام وإنما طار فرحاً يوم وصله نبأ رحيل الإمام الحسن عليه السلام عن هذه الدنيا، فقد ذكر ابن قتيبة وابن عبد ربه والزمخشري والراغب الإصفهاني والدميري^(٢) بألفاظ متفاوتة قليلاً أن مروان لما أرسل خبر رحيل الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية، أظهر - معاوية - فرحاً وسروراً حتّى سجد وسجد من كان معه!!

اعتراض ابن عباس على معاوية

فلما وصل هذا الخبر إلى مسامع ابن عباس الذي كان آنذاك في الشام (وكان قد ذهب بصره) ذهب إلى معاوية فلما رآه معاوية قال له: يا بن عباس هلك الحسن!! فقال ابن عباس: نعم، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ثمّ قال: قد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته، أما والله ما سد جسده حفرتك ولا زاد نقصان أجله في عمرك ولقد مات وهو خير منك ولئن أصبنا به لقد أصبنا بمن

(١) أنظر مقاتل الطالبين ص ٤٧، ومروج الذهب ج ٢ ص ٤٢٧ دار الأندلس، وتاريخ ابن الوردي ج ١، ص ١٥٨، وأنساب الأشراف ج ٣، ص ٤٨، وتاريخ أبي الفداء ج ١، ص ١٨٣.

(٢) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٧٤، العقد الفريد، ربيع الأبرار، المحاضرات للراغب، حياة الحيوان الكبرى، ج ١، ص ٨٣ ط: القاهرة.

كان خيراً منه جدّه رسول الله ﷺ فجبر الله مصيبيته وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة ثم شقّ ابن عباس وبكى^(١).

سؤال أحد الحاضرين: من المعلوم أنّ لكل عمل لابدّ من وجود نتيجة فما هي النتيجة التي جناها معاوية في قتله الحسن رضي الله عنه لم يكن آنذاك محارباً له إذن لماذا قتله؟ وماذا حصل من قتله؟

الجواب: أولاً: من المعلوم أنّ وجود العالم أمام الجاهل هو بحدّ ذاته يُعدّ أمراً ينزعج منه الجاهل البليد، وهذا أحد أسباب مخالفة الجهالة لحركة الأنبياء على طول التاريخ لأنّ الجاهل يشعر بالحقارة والنقص أمام العالم، فالحسن رضي الله عنه كان أعلم أهل زمانه وأشهر الناس سخاءً وجوداً وورعاً وزهداً... وعلى العكس كان معاوية، وهذا بالطبع يقلق معاوية لأنّه يشعر بحقارته.

وثانياً: قلتُ سابقاً إنّ أحد بنود المعاهدة بين الإمام الحسن رضي الله عنه ومعاوية هو أن تكون الخلافة للحسن رضي الله عنه من بعد معاوية بينما سعى معاوية لتنصيب يزيد ملكاً من بعده وبالتالي كان عليه أن يتجاوز الإمام الحسن رضي الله عنه فسعى لقتله بهذه الطريقة، فقد ذكر ابن أبي الحديد وأبو الفرج الاصفهاني: وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن عليه شيء أثقل من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص فدسّ إليهما سمّاً فماتا منه^(٢).

قتل حجر بن عدي

ومن المؤمنين المخلصين في إيمانهم وإسلامهم الذين أمر بقتلهم معاوية هو حجر بن عدي الزاهد المعروف وستّة من رفاقه^(٣)، وكان حجر من أصحاب

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٧٥، مؤسسة الوفاء.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٣١.

(٣) أسد الغابة ج ١ ص ٦٩٨ دار الكتب العلمية.

النبي ﷺ وكانت دعوته مستجابة^(١) شديد العبادة يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وكان طاهر الأعضاء دائماً وطاهر القلب حتى قيل عنه : حجر الخير^(٢) وقد ذكره أهل التراجم كافة بالخير والمدح والثناء والإطراء كابن الأثير والطبري وابن حجر العسقلاني وابن عبد البر والحاكم وابن كثير وابن قتيبة وغيرهم . ولم يقدح أحد من المحدثين أو المؤرخين في وثاقة وإيمان وطهارة واستقامة حجر ، لقد كان محباً لأمر المؤمنين ﷺ حيث شارك معه في حروبه الثلاث فكان معه في الجمل وهو أحد أمراء جيشه في صفين وكان قائد الميسرة في النهروان^(٣) ، وكان حبه وإخلاصه لأهل البيت ﷺ هو الذنب الوحيد الذي قتله لأجله معاوية !! فقد كان حجر يدافع عن أمير المؤمنين ﷺ ولا يرضى بسببه . من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وكان المغيرة بن شعبة شديد العداء والبغض لأمر المؤمنين ﷺ وشيعته ، فهو أول من سبَّ هذا الإمام العظيم وأمر الناس بذلك إذ كان والي الكوفة من قبل معاوية كما بينا ذلك سابقاً وكان يترحم على عثمان ويلعن قتلته ثم ينال من أمير المؤمنين ﷺ وكان الناس بين خائف مغفل ومتقٍ يعمل بالتقية و... في صمت رهيب مقابل ما يقوم به هذا الطاغية الفاسق ، ولم يتصدَّ له إلا حجر وأصحابه الذين كانوا على درجة عالية من الوعي والشجاعة والعلم والولاء الخالص للإسلام ، فقد نهض يوماً من بين الناس وقاطع المغيرة قائلاً : إن الله عز وجل يقول : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ وأنا أشهد أن من تذمَّون أحقَّ بالفضل ومن تزكَّون أولى بالذمَّ ، بل إياكم ذمَّ الله ولعن^(٤) ، وأيضاً كان لحجر مثل

(١) المصدر نفسه .

(٢) أسد الغابة ج ١ ص ٦٩٧ رقم ١٠٩٣ دار الكتب العلمية ١٩٩٤ م .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) تاريخ الكامل ج ٣ ص ٣٢٦ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٨ .

هذا الموقف في آخر أيام المغيرة فقد نال المغيرة لعنة الله من أمير المؤمنين علي عليه السلام وقام بالترحم والمدح لعثمان، فقام حُجر فصاح صيحةً بالمغيرة سمعها كل من بالمسجد وخارجه وقال له «مر لنا أيها الإنسان بأرزاقنا فقد حبستها عنا وليس ذلك لك وقد أصبحت مولعاً بذم أمير المؤمنين عليه السلام» فقام أكثر من ثلثي الناس يقولون: صدق حجر وبرُّ مرُّ لنا بأرزاقنا فإن ما أنت عليه لا يجدي علينا نفعاً، وأكثروا من هذا القول وأمثاله حتى نزل المغيرة وهكذا كان حجر يحرك الوجدان الإسلامي ويصرخ بالحق لا يهاب أحداً، إلى أن توفي المغيرة عام ٥١ هـ ثم ولي الكوفة زياد بن أبيه الذي أصبح في فقه بني أمية ابن أبي سفيان!!

بين زياد وحُجر^(١)

ولما ولي الكوفة زياد الذي لم يكن غريباً عن الأجواء العقائدية فيها فهو من شيعة علي عليه السلام في الزمان المنصرم وهو اليوم من محبّي معاوية، وفي ذلك الوقت كان زياد على دراية بالقواعد الشيعية لأنه كان واحداً من هذه القواعد الموالية لأمر المؤمنين عليه السلام، فلما قدم الكوفة افتتح عهده بها بالوعيد والتهديد وصعد المنبر وترحم على عثمان وشرع في لعن علي وشيعته فقام إليه حُجر وردّة كما كان يرّد المغيرة، وهكذا كانت هذه المواقف المبدئية تتكرّر من حجر لوجود المؤيدين لبني أمية الذين صار عندهم سب الوصي من الأمور الضرورية بل صار لعن وسب علي عليه السلام شعاراً لمعاوية وشيعته أهل الضلال، فكان حجر يقف بالمرصاد لهذه البدع والأهواء، فلما سمع زياد بذلك اجتمع مع بعض أهل الكوفة وقال لهم «يا أهل الكوفة أتشجعون بيد وتأسون بأخرى، أبدانكم معي

(١) جميع تفاصيل هذه الحادثة تجدها مفصلة في تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٨-٢٣٦،

دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.

وأهواؤكم مع حُجر، هذا الهجهاجة الأحمق المذبوب، أنتم معي وإخوانكم وأبنائكم وعشائركم مع حُجر، هذا والله من دحسكم وغشكم والله لتظهرن لي براءتكم أو لآتينكم بقوم أقيم بهم أودكم وصعركم».

فوثبوا إلى زياد وقالوا: معاذ الله سبحانه أن يكون لنا فيما هاهنا رأي إلا طاعتك وطاعة معاوية، فقال لهم: فليقم كل امرئ منكم إلى هذه الجماعة حول حُجر فليدع كل رجل منكم أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته حتى تقيموا عنه كل من استطعتم أن تقيموه، ففعلوا ذلك فأقاموا جُل من كان مع حُجر بن عدي.

وفي المرحلة التالية: قال زياد لشذاد بن الهيثم الهلالي أمير شرطته: انطلق إلى حجر فإن تبعك فأتني به وإلا فمر من معك فليتنزعا عُمَد السوق ثم يشدوا بها عليهم حتى يأتوني به ويضربوا من حال دونه، وفعلاً جرت بين الطرفين معركة وزياد قائم على المنبر ينظر إلى أن أخرج أبو العمرطة .. وهو الوحيد الذي كان يحمل سيفاً من أصحاب حجر - حجراً من المسجد وهرباً فأرسل خلفه زياد من يقبض عليه، بينما انتهى حجر وأبو العمرطة إلى بيت حجر ولما نظر حجر إلى قلة من معه من قومه قال لهم: انصرفوا فوالله ما لكم طاقة بمن قد اجتمع عليكم من قومكم وما أحب أن أعرضكم للهلاك فذهبوا وانصرفوا.

وخرج حجر إلى منزل سليم بن يزيد ومنه إلى عشيرة بني ذهل ومنهم إلى عشيرة النخع ثم إلى منزل عبدالله بن الحارث أخي مالك الأشتر ولكن كانت هناك أمة سوداء أخبرت الشرطة التي كانت تتبع حجر من منزل إلى منزل، فخرج إلى قبيلة الأزد فنزلها يوماً وليلة فلما أعجزهم أن يقدروا عليه دعا زياد بن أبيه محمد ابن الأشعث وهذده بهدم دوره إن لم يأتهم بحجر فطلب منه مهلة ثلاثة أيام، وهكذا انقضت الأيام الثلاثة فاجتمع ابن الأشعث وحجر بن يزيد وجريز بن عبدالله وعبدالله بن الحارث إلى زياد فكلّموه وطلبوا إليه أن يؤمن

حُجْر بن عدي ويبحث به إلى معاوية فيرى فيه رأيه فوافق زياد، فجاءوا إليه بحجر بن عدي وأمر زياد بحبسهم.

وفي اليوم التالي طلب رؤساء أصحاب حجر فطاردهم حتى فرّوا إلى الجبال فقتل من قتل منهم وقبض على بعضهم وحبسهم مع حُجْر.

ولم يكتف زياد بذلك بل عمل أن يرسل تقريراً مزوراً يشوّه فيه صورة حُجْر وأصحابه لدى معاوية ليكون الموت حتمياً عليهم فطلب بعض كبار الكوفة وهم عمرو بن حُرث وخالد بن عُرْفطة وقيس بن الوليد وأبو بردة بن أبي موسى فشهد هؤلاء الأربعة أنّ حجراً جمع إليه الجموع وأظهر شتم الخليفة ودعا إلى حربه وأنه خلع الطاعة وكفر بالله... وكتبوا كتاباً بذلك.

ثم طلب زياد أن يقرأوا هذا الكتاب على الناس ثم قال زياد: على مثل هذه الشهادة فاشهدوا وأمرهم بذلك فشهد سبعون رجلاً، وكُتبت شهادة هؤلاء الشهود في صحيفة ثم كتبت من ضمن الأسماء أسماء أناس لم يحضروا ولم يشهدوا؛ منهم شريح بن هاني^(١) ولَمَّا سمع شريح بذلك تأثر كثيراً وأرسل كتاباً إلى معاوية أخبره به أنّه لم يشهد ضدّ حجر وإنّه لم يعرف حجراً إلا بالصلاح والعبادة... وإنّه حرام الدم والمال فإن شئت فاقتله وإن شئت فدعه^(٢).

بعدها أمر زياد بحمل حُجْر وأحد عشرة من أصحابه إلى الشام وأرسل بيد رئيس الشرطة وائل بن حجر الحضرمي تلك الشهادات المزوّرة ضدّ حُجْر. فمضوا بهم حتى نزلوا في منطقة اسمها - مرج عذراء - وهي قرية تبعد عن دمشق اثنا عشر ميلاً فحبسوا حُجراً وأصحابه فيها وذهب وائل بن حجر وكثير

(١) كان من شيعة أمير المؤمنين المخلصين وكان صوّماً قوّاماً اشترك في الجمل إلى جانب الإمام علي عليه السلام استشهد هذا الرجل الصالح عام ٧٨هـ أو ٧٩هـ في سجستان.

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٢٨.

بن شهاب إلى معاوية فأدخلهما وفضّ كتابهما وقرأهما وقرأ كتاب شريح أيضاً ثم تبادل الرسائل بينه وبين زياد إلى أن صمّم معاوية أخيراً بقتل حجر فبعث معاوية هذبة بن فياض القضاعي والحصين بن عبدالله الكلابي وأبا شريف البدي وأمرهم أن يذهبوا إلى مرج عذراء ويعرضوا على حجر وأصحابه البراءة من عليّ واللعن له، فإن فعلوا أحقنت دماؤهم وإلا قتلوهم، وفعلوا جاءوا إلى حجر وأصحابه وقالوا لهم: إنّا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللعن له فإن فعلتم تركناكم وإن أبيتم قتلناكم وأنّ - معاوية - يزعم أنّ دماءكم قد حلّت له بشهادة أهل مصركم عليكم، قالوا: اللهمّ إنّا لسنا فاعلي ذلك فقاموا الليل كلّه يصلّون ويتعبّدون كما هي عادتهم إلى أن أصبح الصباح فأرسل حجر كتاباً إلى معاوية بيد عامر بن الأسود العجلي من أهل عذراء وكتاباً آخر بيد يزيد بن حجية التميمي يحذّره فيهما ويوعظه من إهدار دمائهم، إلّا أنّ معاوية لمّا قرأ الكتاب قال: زياد أصدق عندنا من حجر!!

فجدّدوا عليهم البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام.

إلّا أنّهم قالوا: بل نتولاه ونتبرأ ممّن تبرأ منه.

فأخذ كلّ رجل منهم رجلاً من أصحاب حجر فقتلوهم ولمّا وصل الأمر إلى حجر قال لهم: اتركوني أتوضّأ وأصلّي فأبّي ما توضّأت إلّا صلّيت فتركوه فصلّيت ثمّ انصرف وقال: اللهمّ إنّا نستعديك على أمّتنا فإنّ أهل الكوفة شهدوا علينا وإنّ أهل الشام يقتلوننا أما والله لئن قتلتموني بها فأبّي لأوّل فارس من المسلمين هلك في واديها وأوّل رجل من المسلمين نبخته كلابها^(١) فقتلوه صبراً ودفنوه هناك.

وقد ذكر المؤرّخون أسماء من استشهد مع حجر وهم:

- ١ - شريك بن شدّاد الحضرمي .
- ٢ - صيفي بن فسيل الشيباني .
- ٣ - قبيصة بن ضبيعة العبسي .
- ٤ - محرز بن شهاب السعدي ثمّ المنقري .
- ٥ - كدام بن حيان العنزي .
- ٦ - عبد الرحمن بن حسان العنزي^(١)

سؤال أحد الحاضرين : إذا أردنا أن نحكم حول هذه الحادثة وبدون أي تعصب نرى أن معاوية لا دخل له بالأمر، بينما قضيت أنت على معاوية وجعلت الذنب ذنبه مع أنه اعتمد على شهادة أكثر من سبعين رجلاً من أهل الكوفة وقد قرأ في هذه الشهادات أن حजर من أهل الفساد وممن يحاولون تحريض وتفجير الواقع ضدّ الخليفة وقد حكم معاوية بالحكم الإسلامي بعد أن اطمأن بهذه الشهادات .

الجواب : ظاهر كلامك صحيح ، ولكن عندما ندقق معاً في تفاصيل الحادثة فأنا وأنتم وجميع المنصفين في العالم نحكم على معاوية ونعتبره مقصراً ومذنّباً وهو المسؤول عن دماء هؤلاء الصالحين وذلك :

أولاً : أن معاوية هو المسؤول عن الولاة الظلمة الذين عينهم ونصبهم في الولايات المتعدّدة لتقوية سلطانه ، فهو على علم ودراية بفسقهم أو ظلمهم ، ومع ذلك فإنه يجعل لهم المناصب الخطيرة والمواقع المهمة ليحكموا الناس بالإرهاب والقتل كما مرّ الكسلام عن بُسر بن أرطاة . وهؤلاء الولاة كانوا يستخدمون كلّ الوسائل القذرة لتحجيم شيعة أهل البيت عليه السلام ومدّ نفوذ بني أمية وقد مرّ بعض الكلام عن ذلك ، إذن فمعاوية هو وراء هؤلاء الظلمة الذين

(١) المصدر السابق ص ٢٣١ والإصابة ج ١ والمستدرک وأسد الغابة وغيرها .

يضطهدون الناس ويعملون بالتزوير والاحتيال لإراقة دماء المظلومين.

ثانياً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١).

فطبقاً لهذه الآية الكريمة كان المفروض على معاوية أن لا يعتمد على رسائل زياد لاسيما وهو على دراية بمستوى الجريمة عنده وبمستوى الصلاح والإيمان عند حجر بن عدي، وعليه كان المقرر من ناحية العقل والشرع أن يتثبت - معاوية - بأن يرسل من يثق بهم إلى الكوفة ويعرفوا حقيقة الحال، أو يأمر بإحضار حجر وأصحابه ويسمع منهم، إذ يتعين سماع أقوال الطرفين في مثل ذلك.

وفضلاً عن كل ذلك قلنا إن شريح بن هاني الرجل الصالح بعث برسالة إلى معاوية جاء فيها «لعبد الله معاوية ... من شريح بن هاني أما بعد: فإنه بلغني أن زياداً كتب إليك بشهادتي على حجر بن عدي وأن شهادتي على حجر أنه ممن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويديم الحج والعمرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حرام الدم والمال فإن شئت فاقتله وإن شئت فدعه»^(٢).

وهذه الرسالة على أقل تقدير فإنها إن لم توجب الإذعان بصدق حجر وصلاحه فإنها تولد الشك لدى معاوية فإنها ستعارض الرسالة التي بعثها زياد، وفي حالة الشك لا يمكن لأي حاكم أن يعجزم بأحد الطرفين ما لم يتثبت ويتأكد بالبرهان القاطع والدليل الناصح.

ونعتقد أن الأمر لا يحتاج إلى كثير من العناء، بل يكفي أن معاوية عارف بسوء وفسق زياد وصلاح الطرف المقابل، فزياد الذي قبل أن يكون أنحاً

(١) الحجرات: ٦.

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٢٨.

لمعاوية تحت تأثير المغيرة بن شعبة والمصالح المشتركة بينهما يكون واضح الانحراف لدى معاوية، ولكن كل هذا لا ينفع لأن الأخير هو الذي كان يأمر عماله بقتل شيعة علي عليه السلام وكان يأمرهم بلعنه وإعلان البراءة منه ولأجل هذا كان معاوية هو السبب وراء كل جريمة وقعت.

سؤال أحد الحاضرين: ما هو الهدف وراء قتل هؤلاء المؤمنين الأبرياء؟
الجواب: الأمر في غاية الوضوح لدى الباحث المنصف والمتتبع العادل وذلك أن معاوية كان قد عزم على إزالة اسم أهل البيت عليه السلام لاسيما الإمام علي عليه السلام وإزاحة مكانتهم من قلوب الناس ودفن ذكرهم، ولهذا قتل حُجر وأمثاله الذين كانوا من كبار أهل الولاء والإخلاص لعلي عليه السلام، ويدل عليه أيضاً أن حُجر طلب - وهو في الكوفة - أن يلتقي بمعاوية ليوضح له الأمر، ولكن لم يلتفت زياد ومعاوية إلى ذلك.

وإن بعض الرجال المهمين شفع لبعض أصحاب حُجر فقبل معاوية شفاعتهم بينما تقدّم مالك بن هبيرة ليشفع لابن عمّه حُجر بن عدي فرفضه معاوية ولم يقبل شفاعته، وهذه الأمور كلّها تدلّ على أن معاوية من البداية كان يعمل على تصفية الرجال المهمين من الشيعة وتغيبب الواقع الشيعي.

وأما رسالة زياد والشهود فإنّها لا علاقة لها بذلك، غاية ما في الأمر أن معاوية كان بحاجة إلى مثل هذه الرسالة ليعرضها لأهل الشام ويخدع بها عقولهم الضعيفة وقد مرّ عليكم كلام المؤرّخين كالطبري وغيره أن معاوية كان يأمر عماله أن يقتلوا كل من والى علياً عليه السلام.

رسالة الإمام الحسين إلى معاوية

وأول شخص انتقد معاوية على جريمته النكراء هذه هو الإمام الحسين بن علي عليه السلام فقد أرسل كتاباً إلى معاوية جاء فيه:

«أولست قاتل حجر بن عدي وأصحابه المصلحين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع ولا يخافون في الله لومة لائم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعدما أعطيتهم الموائيق الغليظة والعهود المؤكدة جرأة على الله واستخفافاً بعهده»^(١).

وعائشة تعترض أيضاً

وكانت عائشة من جملة المعترضين على معاوية فلما وصلها الخبر قالت: لولا أنا لم نغيّر شيئاً إلا آلت بنا الأمور إلى أشدّ ممّا كنّا فيه لغيرنا قتل حجر، أما والله إن كان ما علمتُ لمسلماً حجّاجاً معتمراً^(٢).

وحين حجّ معاوية مرّ على عائشة فاستأذن عليها، فأذنت له فلما قعد قالت له: يا معاوية أأمنت أن أخبئ لك من يقتلك؟! قال: بيت الأمن دخلت، قالت: أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه؟!^(٣).

اعتراض الحسن البصري على معاوية

ومن جملة المنتقدين لمعاوية، الحسن البصري حيث قال أبو مخنف عن الصقعب بن زهير عن الحسن البصري أنّه قال: أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلا واحدة لكانت موبقة: انتزاعه على هذه الأمة بالسفهاء حتّى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكّيراً خميّراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير وأدعاؤه زياداً وقد قال

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٨١، مؤسسة الوفاء.

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٣٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.

(٣) أقول: أليس هذا الكلام دليلاً على إياحة دم معاوية؟!.

(٤) المصدر السابق.

رسول الله ﷺ: الرلد للفراش وللعاشر الحجر، وقلتلهُ حُجراً، وبلأله من حُجر مرتين^(١).

بقية جرائم وموبات معاوية

ومن موباته العظيمة أنه كان يأمر شيعة علي عليه السلام بالبراءة منه واللعن له ويأمر عماله كلهم بذلك كما مر عليكم مع حُجر وأصحابه، وهذا الاتجاه أو الأسلوب الابتزازي له ظاهر وباطن، فأما ظاهراً فإنه لعنه الله كان يسعى لمحو ذكر علي عليه السلام وتصفيته من الواقع الإسلامي وإزالة سمعته واسمه، وأما باطناً فإنه كان يعمل على قلع الإسلام ودثره ومحوه لأن دين علي بن أبي طالب هو الإسلام بل هو سيد المسلمين والمتقين وقائدهم، فلما يطلب من بعض المسلمين إعلان البراءة من علي عليه السلام يعني إعلان البراءة من الإسلام، ولهذا علّق الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار على هذه المفارقة في حاشيته على تاريخ الكامل لابن الأثير حيث قال: هذا عنت فاحش من معاوية فإننا نعلم والناس يعلمون ومعاوية يعلم أن دين علي عليه السلام، فكيف يحمل الناس على البراءة من الإسلام، إن هؤلاء الناس الذين قتلهم الأهواء السياسية كانوا أقوى على الحق وأقوم قياً من معاوية الذي يريق دماءهم على صراحتهم وعدم إدهانهم في دينهم.

قتل مالك الأشتر

وأيضاً من جملة موباته وجرائمه أمره باغتيال مالك الأشتر وهو من الشخصيات العريقة في الولاء والحب لعلي عليه السلام، وله قدم راسخة في الإيمان

وعُرف مالك بالزهد وحُسن التدبير في السياسة مضافاً إلى شجاعته. تبدأ قصة اغتياله بهذا الشكل:

في عام ٣٨هـ كان محمد بن أبي بكر وهو عامل لأمير المؤمنين علي عليه السلام في مصر وفي هذه السنة بعث معاوية ستة آلاف رجل بقيادة معاوية بن حُديج وعمرو بن العاص لأخذ مصر من محمد بن أبي بكر بالقوة وضَمَّها إلى عمرو ابن العاص كما كان معاوية قد واعد عمرأ بذلك، فبلغ أمير المؤمنين عليه السلام ذلك فأرسل كتاباً إلى مالك الأشتر وهو في الجزيرة يطلب منه القدوم، فلَمَّا قدم الكوفة دخل على الإمام وحَدَّثه بحديث مصر وقال عليه السلام: ليس لها غيرك اخرج رحمك الله، فخرج مالك وهو يحمل معه كتاباً من أمير المؤمنين عليه السلام ولَاه مصر بدل محمد بن أبي بكر^(١)، ولَمَّا سمع معاوية بذلك علاه الهم والغم^(٢)؛ لأنَّ

(١) تجده في نهج البلاغة - قسم الكتب - وتاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢٧ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، وهذا نص الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أمة المسلمين الذين غضبوا الله حين عُصي في الأرض وضرب الجور بأرواقه على البرِّ والفاجر فلا حقَّ يُستراح إليه ولا منكرٌ يُتناهى عنه سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، أما بعد فقد بعثت إليكم عبداً من عبيد الله لا ينأى أيام الخوف ولا ينكل عن الأعداء جِذار الدوائر أشدَّ على الكفار من حريق النار وهو مالك بن الحارث أخو مذحج فاسمعوا له وأطيعوا فإنه سيف من سيوف الله لا نابي الضريبة ولا كليل الحد فإن أمركم أن تقدموا فاقدموا وإن أمركم أن تنفروا فانفروا فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمرى وقد أترتكم به على نفسي لنصحه لكم وشدة شكيمته على عدوكم عصمكم الله بالهدى وثبتكم على اليقين والسلام».

(٢) جاء في الكامل ج ٣ ص ٢٢٦ ما لفظه: فخرج الأشتر يتجهز إلى مصر وأتت معاوية عينونه بذلك فعظم عليه وكان قد طمع في مصر فعلم أن الأشتر إن قدمها كان أشدَّ عليه من محمد بن أبي بكر.

القتال مع مالك في غاية الخطورة بخلافه مع محمد بن أبي بكر ولذلك عزم على قطع الطريق على مالك والحيلولة دون وصوله إلى مصر.

فبعث معاوية إلى الجايستار - رجل من أهل الخراج - فقال له: إن الأشتر قد ولي مصر فإن أنت كفيئته لم آخذ منك خراجاً ما بقيت، فاحتل له بما قدرت عليه، فخرج الجايستار حتى أتى القلزم وأقام به وخرج مالك من العراق إلى مصر فلما انتهى إلى القلزم استقبله الجايستار فقال: هذا منزل وهذا طعام وعلف وأنا رجل من أهل الخراج فنزل به الأشتر فأتاه الدهقان بعلف وطعام حتى إذا طعم أتاها بشرية من عسل قد جعل فيها سمّاً فقاه إياه فلماً شربها مات^(١).

ولما وصل خبر موت الأشتر إلى معاوية طار فرحاً واشتد سروره ثم خطب بالناس قائلاً: فإنه كانت لعلي بن أبي طالب يدان يمينان، قُطعت إحداهما يوم صقّين - يعني عمار بن ياسر - وقُطعت الأخرى اليوم - يعني مالكا^(٢).

وأظهر الفرح هو وأهل الشام كما ذكر ابن كثير ذلك، بينما ينقل التاريخ عندما وصل خبر موت مالك إلى أمير المؤمنين عليه السلام حزن عليه وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون مالك وما مالك؟ وهل موجود مثل مالك؟ لو كان من حديد لكان قيداً أو من حجر لكان صلداً، على مثله فلتبك البواكي»^(٣).

قتل محمد بن أبي بكر

بعد قتل مالك الأشتر، تقدّم عمرو بن العاص إلى مصر ونزل بالقرب منها

(٢١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، وذكر ابن الأثير في تاريخه بدل الجايستار الحابسات، الكامل ج ٣ ص ٢٢٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

(٣) الكامل ج ٣ ص ٢٢٧.

وبعث كتاباً إلى محمد بن أبي بكر جاء فيه: فتنح عني بدمك يابن أبي بكر فإني لا أحب أن يصيبك مني ظفر إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك وندموا على اتباعك فهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان فاخرج منها فإني لك من الناصحين والسلام.

وبعث مع كتابه كتاب معاوية هو الآخر يهدده فيه، فلما وصل الكتابان طواهما محمد وبعث بهما إلى أمير المؤمنين عليه السلام وكتب معهما يطلب العون والمدد لمواجهة ابن العاص، ثم بعث ردّاً شديد اللهجة على رسالة ابن العاص ومعاوية، بعدها أرسل كنانة بن بشر بألفي رجل وسار هو بألفي رجل، واستقبل كنانة عمرو بن العاص وأخذت الكتائب تفرّ أمام كنانة ورجاله، فلما رأى ذلك عمرو بعث إلى معاوية بن خديج يطلب العون وكان معاوية بن أبي سفيان قد أرسل إلى معاوية بن خديج يأمره بنصرة عمرو، وهكذا سار معاوية بن خديج - وهو العدو التقليدي لأمر المؤمنين وشيعته - لنصرة عمرو، فلما التحم جيش معاوية وجيش عمرو وصارت أعدادهم تفوق الطرف المقابل حينها قال كنانة «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين» فصار بهم بسيفه حتى استشهد^(١)، ولما سمع المصريون بذلك انفضوا عن محمد بن أبي بكر حتى بقي وليس معه أحد من أصحابه فلما رأى ذلك محمد خرج يمشي في الطريق حتى انتهى إلى خربة في ناحية الطريق، وخرج ابن خديج في طلب محمد حتى دله بعض العلوج عليه فقبض عليه وكاد أن يموت عطشاً فأقبلوا به نحو فسطاط مصر فوثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر وكان مع ابن العاص وطلب من عمرو أن يكلم معاوية في عدم قتل محمد، فبعث عمرو بن العاص إلى معاوية

بن خديج أن أرسل إلينا محمداً سالماً، فقال معاوية: أكذاك قتلتم كنانة بن بشر - وهو ابن عمه - وأنا أخلي محمداً بن أبي بكر؟ هيهات.

فقال لهم محمداً: اسقوني من الماء فقال له معاوية: لا سقاه الله إن سقاك قطرة أبداً إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه، والله لأقتلنك يا بن أبي بكر فيسقيك الله الحميم والغساق. قال له محمداً: يا بن اليهودية النساجة ليس ذلك إليك وإلى من ذكرت إنما ذلك إلى الله عز وجل يسقي أوليائه ويظمئ أعداءه أنت وضرباؤك ومن تولاه، أما والله لو كان سيفي في يدي ما بلغت مني هذا، فقال معاوية: أتدري ما أصنع بك أدخلك في جوف حمار ثم أحرقه عليك بالنار، فقال له محمداً: إن فعلتم بي ذلك فطالما فعل ذلك بأولياء الله وإنني لأرجو هذه النار التي تحرقني بها أن يجعلها الله عليّ برداً وسلاماً كما جعلها على خليله إبراهيم وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وأوليائه إن الله يحرقك ومن ذكرته قبل وإمامك - معاوية - وهذا وأشار إلى عمرو بن العاص بنار تلظى عليكم، فقال معاوية: إنني إنما أقتلك بعثمان، فقال محمداً: وما أنت وعثمان إن عثمان عمل بالجور ونبذ حكم القرآن وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فنقمنا ذلك عليه فقتلناه وحسنت أنت له ذلك ونظراؤك... فغضب معاوية فقدمه فقتله ثم ألقاه في جيفة حمار ثم أحرقه بالنار^(١).

ولما وصل خبره إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام حزن عليه حزناً شديداً لأن محمداً كان قد تربى في أحضانه^(٢) وكان يقول عنه: محمداً ابني.

(١) المصدر السابق.

(٢) حياة الحيوان ج ١ ص ٣٢٤.

حزن أسماء بنت عميس على محمد

أسماء بنت عميس شخصية شريفة وماجدة في الإسلام^(١) وهي أم محمد بن أبي بكر، وقد نقل وروى عنها الحديث كل من ابن عباس وعبدالله بن جعفر

→ أقول: لما سمعت أم حبيبة - أخت معاوية بن أبي سفيان - زوجة النبي ﷺ بقتل محمد بن أبي بكر أمرت بكبش فشوى ويعثت به إلى عائشة نكايه بها في قتل محمد وقالت لها: هكذا قد شوى أخوك!! وكانت نانلة تُقبل رجل معاوية بن حُديج وتقول: بك أدركت ناري!!

حياة الحيوان ج ١ ص ٣٥١ ط القاهرة، وتذكرة الخواص، الباب الرابع ص ١٠٧ تمام حديث الخوارج / المترجم.

(١) ذكر ابن الأثير في ترجمة أسماء - في أسد الغابة ج ١ - أن أسماء نالت الشرف من عدة جهات فأختها ميمونة زوجة النبي ﷺ وأختها سلمى زوجة حمزة أسد الله وأختها لبابة أم الفضل زوجة العباس عم النبي ﷺ، وأما هي فزوجة جعفر الطيار هاجرت معه إلى الحبشة وكان لها من جعفر ثلاثة أولاد هم: عبدالله وهو من أسيخاء بني هاشم وهو زوج السيدة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين علي عليه السلام والآخر هو محمد والثالث عون، ثم تزوجت من أبي بكر وكان لها منه محمد بن أبي بكر، وولد محمد في عام حجة الوداع.

وذكر بن أبي الحديد في نهج البلاغة أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر في غزوة فأت أسماء في المنام أن زوجها يلبس ثوباً أبيض وعليه الخضاب فذهبت إلى عائشة في اليوم الثاني وقصت عليها الرؤيا فقالت لها عائشة إن أبا بكر سوف يُقتل وعندما جاء النبي ﷺ وسمع ذلك قال: لا، إن أبا بكر سيولد له ولد يجعله الله غيظاً على الكافرين والمنافقين، فكان ذلك محمد.

وبعد وفاة أبي بكر تزوجت أسماء أمير المؤمنين عليه السلام فتربى محمد في حجر الإمام عليه السلام وكان لأسماء من الإمام علي عليه السلام ولد اسمه عون قُتل في كربلاء يوم عاشوراء / المؤلف.

- ابنها - والقاسم بن محمد بن أبي بكر - حفيدها - وعبد الله بن شذاد وعمر بن الخطّاب وعروة بن الزبير وابن المسيب وغيرهم.

ولمّا وصلها خبر مقتل ابنها العزيز محمد وبهذه الطريقة البشعة التي تدلّ على حقارة القاتل قالت: إنّ حزننا على قتله على قدر سرورهم، لا بل يزيد أضعافاً^(١).

وأيضاً لمّا وصل خبر مقتله لأُمير المؤمنين عليّ عليه السلام سعد المنبر خطيباً وهو حزين على محمد حتّى رثي ذلك في وجهه فقال: ألا إنّ مصر قد افتتحها الفجرة أولو الجور والظلم الذين صدّوا عن سبيل الله وبغوا الإسلام عوجاً، ألا وإنّ محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله فعند الله نحسبه، أما والله إن كان ما علمت لممن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويبغض شكل الفاجر ويحبّ هدي المؤمن^(٢).

ثمّ كتب إلى ابن عباس: أمّا بعد فإنّ مصر افتُتحت ومحمد بن أبي بكر قد استشهد فعند الله نحسبه ولدنا ناصحاً وعاملاً كادحاً وسيفاً قاطعاً وركناً دافعاً^(٣). فمن مجموع ما تقدّم يظهر لكم أنّ جرائم وفضائع معاوية لا يمكن تأويلها بأيّ شكل من الأشكال، وعليه لا يمكن تبرئة ساحته أبداً ولا المسامحة في مثل هذه الجرائم الدموية التي راح ضحيتها عشرات الآلاف، ولا يمكن تذيب هذه الأحداث بعناوين فارغة وشعارات سياسيّة، بل هي تدعو كلّ منصف أن يحكم على معاوية بالضلال والفسق، وقد حاول - معاوية - ومن جاء بعده أن يبرّروا كلّ هذه الجرائم والفواحش بقميص عثمان الذي صار شماعة جيّدة تعلّق عليها

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٣٤ والمبارة فيه لأُمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٣٤.

(٣) نهج البلاغة المختار من كتبه ٣٥.

الجرائم الأموية كلها برمتها. والحقيقة أنه ليس هناك أي اتصال أو أي علاقة بين جرائم معاوية وبين عثمان، بل يُعدّ معاوية أحد المضطهدين لعثمان وأحد المسؤولين عن خذلانه وترك نصرته مع قدرته.

سؤال: كيف يمكن قبول هذه الفكرة؟ مع أن عثمان هو الذي أقرّ معاوية في الشام وبالمقابل كان معاوية يعمل على تقوية خلافة عثمان في الشام؟
الجواب: نعم، على الظاهر كلامك صحيح لأن عثمان هو الذي قرّب بني أمية وبني العاص إلى الحكم وجعل أمور المسلمين بأيديهم، حتّى عدّ ذلك أحد أكبر أخطائه فقد أعرّض عليه لأنه ولّى اليمن يعلى بن أمية والشام معاوية بن أبي سفيان وكلاهما فاسقان وهكذا أرخى العنان لمروان بن الحكم الظالم الجائر، وقد تقدّم هذا في كلام الشهرستاني حتّى عيب على عثمان بذلك وحصل الاختلاف والافتراق في الأمة الإسلامية إلى أن انقلب السحر على الساحر فقتل عثمان بسبب عمّاله الفسقة.

محاصرة عثمان بن عفان

لما جاء أشراف مصر إلى عثمان بن عفان يشكون عنده عبدالله بن أبي سرح وسياسته الظالمة جلس عثمان واستمع إليهم وواعدهم ببعض الوعود الفارغة فانصرفوا عنه بينما كتب سرّاً كتاباً ودفعه إلى أحد الأشخاص وطلب منه أن يسلمه إلى عامله في مصر^(١)، وفي الطريق شك المصريون بهذا الراكب ولما فتشّوه وجدوا عنده هذا الكتاب وعليه ختم عثمان إلى عامله بمصر يطلب منه أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، فأقبلوا إلى المدينة مرّة أخرى وحاصروا عثمان وسألوه عن الكتاب فأنكره أشدّ الإنكار إلا أنهم لم

يتركوه وطلبوا منه أن يعزل مروان وأن لا يسمع لقوله، إلا أنه امتنع. وهناك تفاصيل تجدونها في مظانها الخاصة، حتى حوَّص عثمان في منزله وكان قد بعث إلى معاوية أن يبعث إليه جيشاً يدفع عنه هذا الحصار ويرد المصريين عنه وكتب إلى عبدالله بن عامر بن كريز يستنجد به أيضاً وهو في البصرة، فأما أهل البصرة فإنهم كانوا قد ذاقوا الاضطهاد الأموي فلم يبدو أي استعداد لنصرة عثمان، وأما معاوية فلما وصله كتاب عثمان فإنه لم يعتنِ بالأمر كثيراً وقال للرسول: اعلم أن عثمان لما ولي هذا الأمر كان حسن السيرة ولكنه بذل وغير وسار في الناس على خلاف الدين وسيرة من كان قبله وإن الله يسلبه ملكه لامحالة، وأنا لا أقدر على أن أرد إليه ما يريد الله سلبه عنه^(١).

ولذا أمر جيشه أن يذهب إلى حدود الشام وأمرهم أن لا يتحركوا نحو المدينة^(٢) وبالتالي قُتل عثمان.

وبعد ذلك استغل معاوية قميص عثمان ورفعهُ أمام جرائمه فكان يقتل ويحارب أهل الحق بذريعة الطلب بدم عثمان حتى صار قميص عثمان مثلاً سائراً فيما بعد على كل حالة سلبية ومناقضة للحق فيقال عنها: كقميص عثمان. حتى رده أمير المؤمنين عليه السلام فيما بعد حيث كتب إلى معاوية ما نصّه: وأما قولك ادفع إلينا قتلة عثمان فما أنت وعثمان إنما أنت رجل من بني أمية وبني عثمان أولى بذلك منك فإن زعمت أنك أقوى على دم أبيهم منهم فادخل في طاعتي ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على الحجّة^(٣). وهذه أقوى حجّة وأثبت برهان وبه انقطع معاوية.

(١) الفتن لابن أعمش الكوفي ص ٢٠٤.

(٢) ذكر أكثر المؤرخين أن معاوية تناقل من نصرة عثمان.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٠٢.

منزلة عمار بن ياسر

ويكفي لإدانة معاوية واعتباره من أهل الهاوية هو موضوع عمار بن ياسر الذي عُذَّ قتلُه فيصلاً بين الحقِّ والباطل لقوله ﷺ: «عمار تقتله الفئة الباغية»^(١) وقد قُتل عمار في صفين وهو يحارب جيش الباطل المتمثل بمعاوية.

وبعدَ عمار من المسلمين الأوائل والمُعذَّبين الأوائل حتَّى نال شرف السبق إلى الإسلام والإيمان، وقد استشهدت أمه سمية وهي أوَّل شهيدة في الإسلام وكذا والده الماجد ياسر حتَّى مرَّ عليهم النبي ﷺ وقال: صبراً آل ياسر فإنَّ موعدكم الجنة^(٢)، فكان عمار وأمه وأبوه من المبشرين بالجنة قبل الهجرة، ثمَّ هاجر عمار إلى المدينة بعد أن وضعوا على جسمه الحديد على الرمال الحارقة في بطحاء مكة، ولم يكن من آل ياسر إلَّا الاستقامة كما قال الله تعالى: «وإنَّ الذين قالوا ربَّنَا الله ثمَّ استقاموا تتنزلُ عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون»^(٣).

وفي المدينة كان عمار من المقربين جدًّا لرسول الله ﷺ وخلَّد رسول الله ﷺ في حقِّ عمار أحاديث عظيمة تدلُّ على عظمة عمار ومقامه الشامخ وثبات قدمه في الإيمان ورسوخ العقيدة في قلبه منها قوله ﷺ: «إنَّ عمار ملئ إيماناً إلى مشاشه»^(٤). وقد ذُكر في الاستيعاب وحلية الأولياء والإصابة

(١) سنن الترمذي ج ٣ ص ٥٣٦ رقم ٣٥٧١ تهذيب جامع الإمام الترمذي / دار المعرفة المغرب، وذكره كلُّ أصحاب التراجم والحديث الذين تعرضوا للذكر عمار بن ياسر فراجع.

(٢) تاريخ بغداد ج ١ ص ١٥٠ دار الكتب العلمية.

(٣) سورة فصلت: ٣٠.

(٤) سنن النسائي ج ٨ ص ٨١ دار الكتب العلمية ١٩٩٥م وابن ماجه في السنن ج ١

والمستدرك وغيرها.

وقوله عليه السلام: "مرحباً بالطيب المطيب"^(١) وهو دال على طهارته ونقاؤه وإخلاصه في الإيمان.

وقد ذكر في الحلية والاستيعاب وأسد الغابة والإصابة والمستدرك وتلخيصه ومسند أحمد وسنن ابن ماجه البخاري والجامع الكبير والبداية لابن كثير وغيرها، قوله عليه السلام: "من عادى عماراً عاداه الله ومن أبغض عماراً أبغضه الله"^(٢). وقد ذكره أكابر علماء السنة كابن عبد البر في الاستيعاب وأسد الغابة وسنن الترمذي والمستدرك وتلخيصه وغيرهم.

وكذلك قوله عليه السلام: "إن الجنة تشاق إلى أربعة: إلى عمار وعلي وسلمان والمقداد"^(٣) وفي بعض النصوص: علي وعمار وسلمان وبلال^(٤).

وعلى كل حال فهذه النصوص أدلة دامغة وبراهين ناصعة على منزلة عمار العظيمة وأنه من أهل الجنة، وكانت بشارته بالجنة من أيام مكة كما قلنا، وعليه يعد قتل مثل هذا الشخص الطيب جريمة بحق الإنسانية والدين معاً، ومع ذلك فقد تم قتل عمار في حرب صفين على يد علوج جيش معاوية، فكما نال ياسر وسمية الشهادة على يد علوج بني أمية في مكة فكذلك نال شرف الشهادة عمار

→ ص ٦٣ رقم ١٤٧ دار الفكر بيروت ١٩٩٥م، والاستيعاب ج ٣ ص ٢٢٩ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

(١) تاريخ بغداد ج ١ ص ١٥١ دار الكتب العلمية، وابن ماجه في السنن ج ١ ص ٦٣ رقم ١٤٦ دار الفكر بيروت.

(٢) المصدر نفسه ص ١٥٢، والاستيعاب ج ٣ ص ٢٢٩ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

(٣) أسد الغابة ج ٥ ص ٢٤٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤.

(٤) الاستيعاب ج ٣ ص ٢٢٩ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

على يد جيش معاوية. وهكذا يقف معاوية وراء هذه الجريمة باعتباره المحرّض والمتصدّي والمتزعم لهذا الجيش.

سؤال: متى استشهد ياسر وسمية؟

الجواب: في أوائل البعثة المباركة في مكة المشرفة، فقد أسلمت هذه الأسرة الكريمة (آل ياسر) بعد سبعة وثلاثين شخصاً دخلوا الإسلام عن رغبة صادقة وتحدياً صارخ لكل الطواغيت والجبابرة آنذاك وقد استشهد ياسر وزوجته الصالحة سمية تحت التعذيب القاسي بينما فرّ عمار وأخوه عبدالله إلى المدينة مع من هاجر إليها^(١).

سؤال: في أي سنة قُتل عمار؟

الجواب: بناءً على ما ذكره الطبري وابن الأثير وابن أعثم الكوفي وابن أبي الحديد والحاكم النيشابوري وابن حجر وابن عبد البرّ وأضرابهم أنه قُتل عام ٣٧هـ وعمره فوق التسعين في حرب صفين.

سؤال: عفواً أريد الاستيضاح لا الاعتراض، لقد اعتبرنا ياسراً وسمية شهيدين لأنهما قُتلا على يد الكفار فيكون إطلاق لفظة (الشهيد) عليهما إطلاقاً حقيقياً في محله بينما قتل عمار على يد المسلمين فيكف اعتبارنموه شهيداً؟

الجواب: إنّه سؤال جيّد، وعلينا الآن أن نعطي توضيحاً لمعنى الشهيد لكي يرتفع الإبهام عند كثير من الناس ونكون قد أجبنا أيضاً على سؤالك.

مع الأسف أنّ هذه اللفظة (الشهيد) استُخدمت في زماننا هذا استخداماً خاطئاً بحيث صار الفاسق والفاجر ومن لا يعرف الدين شهيداً أيضاً في العرف السياسي؟ وهكذا المناضلون السياسيون الذين لا علاقة لهم بالدين ولا يهدفون

إلى الدفاع عنه أو نشره صاروا شهداء حسب منطق الصحف السياسيّة واللغة الحاكمة فتمّ استعمال هذا اللفظ في غير محلّه إلى درجة أنّهم قد يطلقونه على من يموت بحادث سيارة أو حادث طائرة وما شابه ذلك؛ لأنّه كان في مهمّة دولية أو وطنية فهو شهيد بهذا الاعتبار!! حتّى فهم الناس من هذه اللفظة الخداع والسخرية والاستخدام السيئ فصارت اللفظة بمرور الزمن أداة للاستهلاك الدولي أو الوطني وبالتالي صارت تعني ما تعني عند كلّ فريق، ونحن بدورنا صرنا نحذر من استعمالها أو إطلاقها على الشهداء الحقيقيّين كشهداء بدر وغيرهم، إذ يتبادر إلى أذهان الناس أنّ هؤلاء الشهداء مثل شهداء الأحزاب السياسيّة والحركات القوميّة والوطنية الذين أساءوا استعمالها، بينما الشهيد في الإسلام هو مَنْ يبيع نفسه ابتغاء مرضاة الله فقط ويطمع في الرضا والمغفرة والتوبة لا غير، ثمّ إنّ للجهاد شروطه الخاصّة وبالتالي للشهيد أيضاً شروطه الخاصّة به وليس هنا محلّ بحث ذلك إلّا أنّ رسول الله ﷺ قال: فوق كلّ ذي برٍّ حتّى يُقتل - الرجل - في سبيل الله فإذا قُتل في سبيل الله فليس فوقه برٌّ. فللشهيد مقام رفيع ليس فوقه مقام. نعم، هناك مراتب في الشهادة أعلاها أن يجاهد المسلم بأمر الإمام المعصوم عليه السلام دفاعاً عن الدين وهكذا دفاع العلماء عن حريم الدين والذب عنه^(١).

وبعد هذه المقدّمة أقول لك: صحيح أنّ عماراً قُتل على يد المسلمين من جيش معاوية إلّا أنّ هؤلاء في حقيقتهم لم يكونوا مسلمين ولا مؤمنين، بل هم خرجوا من ربة الإيمان واستحقّوا النار بكفرهم وفسادهم وفي مقدّمهم معاوية وإليك أدلّة ذلك:

(١) لقد ألّف العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني كتاباً أسمه شهداء الفضيلة ذكر فيه مجموعة من الشهداء العلماء الذين نالوا شرف الشهادة / المؤلف.

الأدلة على أن معاوية وأتباعه من أهل الباطل

توجد أدلة كثيرة لإثبات ذلك ولكنني سأكتفي بالإشارة إلى بعضها:

أولاً: ما روي عن رسول الله ﷺ في حق علي عليه السلام بشكل مكرّر في عدة محافل ومواقع «علي مع الحق والحق مع علي»^(١) «علي مع القرآن والقرآن مع علي»^(٢). وهذا يعني دوام استمرار الحق والقرآن مع علي عليه السلام وبالتالي كلّ من يقف ضده فهو باطل؛ لأنّ الحق هو علي والقرآن معه وكلّ من يحاربه ويعاديه سواء أكان فرداً واحداً أم جماعة من الناس فنحكم عليهم بالبطان والضلال والخروج عن الدين والإيمان وفقاً لحديث رسول الله ﷺ المروي عند الفريقين وهو يُعدّ قاعدة يتمّ من خلالها إفراز وتمييز أهل الباطل والضلال، لاسيّما مَنْ كان يعرف مقام أمير المؤمنين عليه السلام أمثال معاوية وعمرو بن العاص وأبي هريرة ونظرائهم الذين سمعوا بهذه الأحاديث بنحو أو بآخر ومع ذلك جعلوها خلف ظهورهم وسعوا في إطفاء نور علي عليه السلام بكلّ ما أوتوا من قوّة. وعليه لا يمكن عدّهم من المسلمين لإصرارهم وعنادهم في محاربة الحق والقرآن المتمثّلين بعلي عليه السلام، يقول الشهرستاني: وبالجملة كان علي عليه السلام مع

(١) المناقب للخوارزمي ص ٢٢٣ وفي سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٩٧: اللهم أدر الحق معه حيث دار، ومثله في مناقب الخوارزمي ص ٥٦. وما ذكره المؤلف عليه تجده في شرح النهج ج ٢ ص ٢٩٧، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) كنز العمال ج ١١ رقم ٣٢٩١٢ والمعجم الأوسط للطبراني ج ٥ رقم ٤٨٧٧ مكتبة المعارف بالرياض، والصواعق المحرقة لابن حجر ج ٢ ص ٣٦١ مؤسسة الرسالة بيروت، ومجمع البحرين في زوائد المعجمين ج ٣ دار الكتب العلمية، وتاريخ الخلفاء للسيوطي فصل علي بن أبي طالب، ونور الأبصار ص ٨٩، والمستدرک ج ٤ ص ٩٣ رقم ٤٦٨٥، دار المعرفة، بيروت ١٩٩٨.

الحقَّ والحقَّ معه^(١).

وجاء في تذكرة الخواص قوله ﷺ: اللَّهُمَّ وأدر الحقَّ معه - مع عليّ - حيثما دار وكيفما دار، ثم علق المصنّف بقوله: فيه دليل على أنّه ما جرى خلاف بين عليّ عليه السلام وبين أحد من الصحابة إلّا والحقَّ مع عليّ عليه السلام^(٢).

وعلى ضوء ذلك لا نتردّد في كفر معاوية وكلّ من كان معه بعد أن وضع النبيّ الأكرم ﷺ هذه القاعدة والتي أقرّها كبار علماء أهل السنّة إذ لا توجد واسطة بين الحقّ والباطل لنجعل معاوية فيها. وليس الأمر قابلاً للاجتهاد بعد وضوحه كالشمس في رابعة النهار، وحتى لو كان معاوية في شبهة أو جهل من ذلك، فإنّه صار عالماً بعد رسائل أمير المؤمنين له وبقية الصحابة، وكيف يشتهيه عليه مثل هذا الأمر الواضح بعد أن جعل النبيّ ﷺ عليّاً وأهل البيت كلّهم عدل القرآن؟

سؤال: مَنْ هو عدل القرآن؟

الجواب: إنّهُ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بلا شك.

سؤال: إنّ مقام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لا يُنكر ولكن ما هو دليلك على أنّه

هو عدل القرآن؟

الجواب: الدليل هو حديث رسول الله ﷺ المروي من الطرفين حيث قال ﷺ: عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لا يفترقان (لن يفترقا) حتّى يردا عليّ الحوض^(٣)، فقد ذكره كلّ من الفخر الرازي في تفسيره والحاكم في المستدرک والذهبي في تلخيص المستدرک والخطيب في تاريخ بغداد الجزء

(١) الملل والنحل ج ١ ص ٢٧ دار المعرفة بيروت ١٩٧٥.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي ج ١ ص ٨٨ ط: الأولى في استنبول.

(٣) مرّت بعض مصادره بالتفصيل.

الرابع والسيوطي في تاريخ الخلفاء والجامع الصغير والصواعق المحرقة ومجمع الزوائد والطبراني في الأوسط وينايع المودة وفرائد السمطين ومناقب الخوارزمي وربيعة الأبرار والجامع الصغير للسيوطي وفيض القدير وفردوس الأخبار والإمامة والسياسة ومسند أحمد وغيرهم.

فهذا الحديث يعطي معنى الملازمة التامة بين القرآن والإمام علي عليه السلام وأن هذه الملازمة مستمرة إلى يوم القيامة.

وكذلك قوله عليه السلام: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يرثي علي الحوض فأسألهما ما خلفت فيهما^(١).

وهذا الحديث صريح الدلالة أنه عليه السلام عدل القرآن والملازم له فيثبت المطلوب.

ثم نعود إلى ذكر الأدلة على إثبات باطل وضلالة معاوية وخروجه عن الإسلام والإيمان.

ثانياً: ومن الأدلة على كفر معاوية هو سبه للنبي الأكرم عليه السلام صريحاً وعلناً وعناداً، بل كان يحرض عماله كالمنغرة وبُسر وغيرهما على هذه البدعة. وكل من آذاه وسبه عليه السلام فهو كافر^(٢).

(١) الصواعق المحرقة ج ٢ ص ٣٦١ مؤسسة الرسالة بيروت.

(٢) أقول: يزعم بعض المسلمين أن الشيعة كفار لأنهم يلعنون الصحابة المنحرفين!! فكيف بمعاوية وهو بسب أقدم وأشرف وأفضل الأمة بعد النبي! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: علي باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً. الصواعق المحرقة لابن حجر ج ٢ ص ٣٦٦ وكنز العمال ج ١١ ص ٦٠٣ رقم ٣٢٩١٠ وفردوس الأخبار ص ٧٨ رقم ٣٩٩٨ ج ٢.

سؤال: نحن لم نسمع أن معاوية وأتباعه آذوا رسول الله ﷺ أو أهانوه فضلاً عن سبه ﷺ؟

الجواب: نعم على الظاهر أن معاوية لم يسب رسول الله ﷺ بشكل مباشر بعد أن دخل الإسلام، إلا أنه كان يسبه بشكل غير مباشر.

سؤال: نرجو منك أن توضح لنا ذلك؟

الجواب: هنا لابد من ذكر مقدمة ليتضح لكم المطلوب وهي أن إيذاء أمير المؤمنين عليه السلام بأي شكل كان يعدّ إيذاءً للنبي ﷺ ولا ينكر أن سب الإمام علي عليه السلام ومحاربه وتحريض الناس لحربه هو من جملة إيذائه فقد قال ﷺ: من آذنى علياً فقد آذاني^(١)، وقال ﷺ: من آذنى علياً فقد آذاني، أيها الناس من آذى علياً بعث يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً^(٢).

وأيضاً ما رواه جماعة من علماء أهل السنة كالحاكم النيشابوري في المستدرک وتلخيصه للذهبي من قصة عمرو بن شاس الأسلمي عندما عاد من اليمن فدخل المسجد وفيه رسول الله ﷺ فأخذ عمرو يشكو علياً عليه السلام أمام النبي ﷺ فقال له ﷺ: يا عمرو أما والله لقد آذيتني. فقال عمرو: أعوذ بالله

→ وهذا الحديث صريح في كفر كل من لم يدخل إلى ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، فكيف الحال بالذين خالفوه وحاربوه وسبوه علناً؟ / المترجم.

(١) كفاية الطالب باب ٦٨ والصواعق المحرقة ج ٢ ص ٣٦٠ مؤسسه الرسالة، وينابيع المودة والاستيعاب ج ٣ ص ٢٠٤ دار الكتب العلمية، وكنوز الدقائق والجامع الصغير للسيوطي وفرادي السمطين.

(٢) المناقب للخوارزمي، وتاريخ الخلفاء ص ٦٧، وفي مناقب ابن المغازلي قال ﷺ: يا علي لا يبالي من مات وهو يبغضك مات يهودياً أو نصرانياً. ولا يبغضه من قرئش إلا سفحي ولا من الأنصار إلا يهودي ولا من العرب إلا دعي ولا من سائر الناس إلا شقي / فرادى السمطين ج ١ ص ١٣٥ ط بيروت ١٩٧٨ م.

أن أؤذيك يا رسول الله! فقال ﷺ: بلى من آذى علياً فقد آذاني^(١).

وأيضاً ما رواه أحمد بن حنبل في المسند والهمداني في مودة القريبين والخوارزمي في المناقب وأبو نعيم فيما نزل من القرآن في علي وابن المغازلي في المناقب والحسكاني في الشواهد أن رسول الله ﷺ قال: يا علي من آذى شعرة منك فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فعليه لعنة الله^(٢).

وهذه النماذج من الأحاديث الكثيرة التي ذكرها علماء المسلمين صريحة في أن إيذاء الإمام علي عليه السلام يعدّ إيذاءً لله وللرسول.

وأنتم أيها السادة الكرام تعرفون مدى ما بذله معاوية لإزعاج وإيذاء أمير المؤمنين علي عليه السلام وبمختلف السبل كما ذكرنا سابقاً كالدعاية وتأليف الأحاديث ضده ومحاربه وقتل أصحابه وأتباعه ولعنه على المنابر وغير ذلك، فهل هذه الأمور إلا دليل واضح عن الحقد والبغض الذي يكنّه معاوية لله ولرسوله ولأمير المؤمنين؟ وبذلك يستحقّ اللعن والطرّد في الدنيا والآخرة ويوجب الحكم عليه بالكفر.

ثالثاً: ومن الأدلة الأخرى على كفر معاوية؛ استناداً إلى ما اتفق عليه الجمهور من قوله ﷺ: يا عليّ حربك حربي وسلمك سلمي^(٣). إذن فمعاوية

(١) كنز العمال ج ١٥ ص ١٢٥ والمستدرک ج ٤ ص ٨٩ رقم ٤٦٧٧ دار المعرفة، بيروت ١٩٩٨.

(٢) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ٢ ص ٩٨ عند قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ...». ونظم درر السمطين لجمال الدين الحنفي القسم الثاني من السمط الأول.

(٣) نصّ الحديث: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم، قاله لعلي وفاطمة والحسن والحسين، أنظر المستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٦١ رقم ٤٧١٣ ومسنّد فاطمة

في حرب صفين كان يمثل الشرك والكفر الذي يحارب رسول الله ﷺ المتمثل في علي عليه السلام ومعلوم أن كل من حارب رسول الله ﷺ عالماً عادماً فهو كافر.

رابعاً: ومن جملة الأدلة أيضاً على كفره هو سبه لأمر المؤمنين عليه السلام، ومعلوم أن سبه يعد سباً للرسول ﷺ والاعتداء عليه يعد اعتداءً على رسول الله ﷺ وفاقاً للأحاديث النبوية الشريفة.

سؤال: نطلب من سماحتكم أن تذكروا لنا هذه الأحاديث.

أحاديث في كفر من سب علياً

الجواب: نعم، لقد ذكر في المستدرك وتلخيصه بسند صحيح حديثان عن بكير بن عثمان البجلي قال: سمعت من أبي إسحاق التميمي قال: سمعت من أبي عبد الله الجدلي قال: سمعت من أم سلمة زوجة رسول الله ﷺ وهي تنادي: يا شيث بن ربعي فأجابها رجل جلف جاف: لبيك يا أمّاه، قالت: يسب رسول الله ﷺ في ناديكُم؟ قال: وأتني ذلك؟ قالت: فعلي بن أبي طالب، قال: إنّا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا. قالت: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله تعالى^(١).

وغير ذلك ذكر أكابر علماء أهل السنة أحاديث متفاوتة في الألفاظ أو

→ الزهراء ص ١١٦ للسيوطي وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٦٠ وكنز العمال ج ١٢ ص ٩٧ وغيرها.

والذي ذكره المؤلف رحمه الله موجود في شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٩٧ دار إحياء الكتب العربية.

(١) المستدرك ج ٤ ص ٨٧ رقم ٤٦٧٣ دار المعرفة بيروت ١٩٩٨ م.

الإجمال والتفصيل كلها بهذا الصدد منها قوله عليه السلام: من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله^(١).

وأيضاً روي أن ابن عباس مرّ على ضفة زمزم فإذا قوم من أهل الشام يشتمون علياً عليه السلام فقال لهم: أيكم السابّ الله عزّ وجلّ فقالوا: سبحان الله ما فينا أحد سبّ الله، قال: فأَيكم السابّ لرسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: سبحان الله ما فينا أحد سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فأَيكم السابّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقالوا: أمّا هذا فقد كان، قال: فأشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله سمعته أذناي ووعاه قلبي يقول لعليّ بن أبي طالب: من سبّك فقد سبني ومن سبني فقد سبّ الله ومن سبّ الله أكبه الله على منخرجه في النار^(٢) ثمّ تولّى عنهم وقال لسعيد بن جبير: ماذا رأيتمهم صنعوا قال:

نظروا إليك بأعين محرّمة نظر التيوس إلى شفار الجازر
فقال زدني، فقال:

خزر العيون نواكص أبصارهم نظر الذليل إلى العزيز القاهر
فقال زدني: فقال ليس عندي، فقال ابن عباس:
أحيائهم عار على أمواتهم والميتون مسبّة للغابر^(٣)

(١) خصائص أمير المؤمنين للنسائي وتاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء ص ٦٣٤ دار النشر العربي، والصواعق المحرقة ج ٢ ص ٣٦٠ مؤسسة الرسالة وفضائل الصحابة لأحمد ج ٢ ص ٥٩٤ ط السعودية، والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ وكنز العمال ج ١١ رقم ٣٢٩٠٣ ومناقب الخوارزمي ص ٨٢ ونور الأبصار ص ٨٩ وتاريخ الخلفاء للسيوطي.

(٢) كفاية الطالب الباب ١٠ ونور الأبصار ص ٩٩ والحاكم في المستدرک وصحيح مسلم ج ٧ في فضائل علي والفصول المهمة للمالكي ص ١٢٧.

(٣) كفاية الطالب، الباب ١٠.

سعد بن أبي وقاص يمتنع من سب علي

وقد عرف بعض الصحابة أن بدعة معاوية هذه ليست إلا مؤامرة يُراد منها تثبيت ملك بني أمية ومحو ذكر أهل البيت الذين يمثلون الإسلام فامتنع بعض الصحابة من مسابقة معاوية وإن كانوا هم ضد الإمام علي عليه السلام بنفس الوقت إلا أنهم لم يشاركوا في سب علي عليه السلام. ومنهم سعد بن أبي وقاص فعندما طلب منه معاوية أن يشتم ويسب علياً عليه السلام اعتذر سعد بقوله: لا أسب ما ذكرتُ ثلاثاً قالهنَّ له رسول الله ﷺ لأن تكون لي واحدة منهنَّ أحبُّ إليَّ من حمر النعم، قال له معاوية: ما هنَّ يا أبا إسحاق؟ قال: لا أسبَّه ما ذكرتُ حين نزل عليه الوحي ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾. دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي. ولا أسبَّه ما ذكرتُ حين خلفه في غزوة تبوك غزاها رسول الله ﷺ فقال له علي: يا رسول الله خلقتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي. ولا أسبَّه ما ذكرتُ يوم خيبر قال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله على يديه فتناولها فقال: ادعوا لي علياً، فأُتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه^(١).

وأيضاً كان لسعد موقف آخر وهو أنه سمع بعض الرجال في المدينة يشتمون علياً فوقف عندهم وقال لهم: يا هذا على ما تشتم علي بن أبي طالب؟

(١) كفاية الطالب باب ١٠ وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٥ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٠١ والمستدرک علی الصحيحین ج ٣ ص ١١٦ والمناقب للخوارزمي ص ٥٩ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٥ وصحيح مسلم باب فضائل الصحابة.

ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلي مع رسول الله ﷺ؟ ألم يكن أزهده الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ وذكر حتى قال: ألم يكن ختن رسول الله ﷺ على ابنته؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله ﷺ في غزواته؟ اللهم إن هذا يشتم ولياً من أوليائك فلا تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك، قال قيس: فوالله ما تفرقنا حتى ساخت به (بالذي كان يشتم) دابته فرمته على هامته في تلك الأحجار فانفلق دماغه ومات^(١)، وهكذا كان سعد يقف معارضاً بوجه كل من يسب علياً لعلمه بمقام أمير المؤمنين الشامخ.

فبعد استشهاد الإمام الحسن المجتبي عزم معاوية على حج بيت الله ثم جاء إلى المدينة وارتقى المنبر وشرع في لعن وشتم وسب الإمام علي عليه السلام فقليل له: إن سعداً في المدينة وهو لا يرضى بذلك، فأرسل إليه ليرى رأيه في هذا الموضوع فأرسل إليه سعد إنك لو فعلت ذلك فإني أخرج من المسجد ولن أدخله ثانية أبداً، فرفع معاوية السب في تلك اللحظة، ولما مات (سعد عام ٥٤هـ أو ٥٥ أو ٥٨هـ ودفن في المدينة) لعنه - معاوية - على المنبر وكتب إلى عماله أن يلعنوه على المنابر ففعلوا^(٢).

فلما سمعت أم سلمة بذلك أرسلت رسالة إلى معاوية جاء فيها: إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله^(٣). واستمر معاوية يلعن ويسب ويشتم أمير المؤمنين علياً عليه السلام وجرت بدعته هذه أكثر من ستين عاماً إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز فرفع السب، وكما سمعتم فإن هذه الأدلة لكافية في كفر معاوية

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٧.

(٢) ينابيع المودة ص ١٨٢.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٧.

وفسقه وخروجه عن ربة الإسلام والإيمان.

خامساً: وأيضاً من أدلة كفر وارتداد معاوية، أنه كان يظهر الإسلام والإيمان ويتظاهر بالعبادات مع أنه كان يلعن أشرف الناس بعد النبي ﷺ ويقتل أزهد الناس من أصحابه وشيعته ويأمر بنهب أموال شيعة علي عليه السلام وما هذا التناقض والازدواجية إلا النفاق الذي يُعدُّ أشدَّ من الكفر لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾^(١) وبذلك استحقَّ معاوية هذه الدركة من النار.

سؤال: هذه الآية تتكلم عن المنافقين الذين لم يدخل الإسلام والإيمان في قلوبهم باطناً فهل لديك أدلة على أن هذه الصفة كانت في معاوية أيضاً؟
الجواب: نعم إنَّ كلَّ من أبغض علياً فهو منافق.

سؤال: ما هو الدليل على ذلك؟

الجواب: الدليل هي الأحاديث النبوية الشريفة المصرحة بذلك.

سؤال: ما هي هذه الأحاديث؟

الجواب: لقد تناولنا ذلك سابقاً فلا نكرّر ولكن أذكر لكم نصّ بعض الأحاديث، قال أمير المؤمنين عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي أن لا يحبّني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق.

وقال أبو سعيد الخدري: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ إلا بثلاث: بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلاة وبغضهم علي بن أبي طالب^(٢). وما إلى ذلك، بل وأكثر من هذا كله قوله عليه السلام: لا يحبّ علياً إلا مؤمن

(١) النساء: ١٤٤.

(٢) مرّت مصادرّه.

ولا يبيغضه إلا كافر^(١)، فتكون النتيجة أن معاوية كافر ومنافق.

سادساً: وأيضاً من أدلة خروج معاوية عن الإسلام ما ذكره رسول الله ﷺ في أماكن وأوقات متعددة أن علياً يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل هو ﷺ على تنزيله وهو يعطي أن من حارب علياً هو كالمشرك الذي حارب النبي ﷺ.

سؤال: هل توجد هذه الأحاديث في كتب أهل السنة؟

الجواب: نعم وبالألفاظ متعددة وفي العديد من مصادر أهل السنة.

سؤال: أرجو أن تذكر لنا من هذه الأخبار؟

الجواب: نعم لقد ذكر الإمام النسائي والحنفي في ينابيع المودة حديث رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله فقال أبو بكر: أنا فقال ﷺ: لا، فقال عمر: أنا فقال ﷺ: لا، ولكن خاصف النعل، وكان قد أعطى نعله لعلي يخصفها^(٢)». وذكره ابن الأثير في أسد الغابة دون أن يذكر اسم أبي بكر وعمر.

وذكر أحمد بن حنبل في المسند وابن الجوزي في التذكرة والبلخي في ينابيع والنسائي في الخصائص والكنجي في الكفاية وابن أبي الحديد في شرح النهج مسنداً عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال لأم سلمة: هذا علي بن أبي طالب لحمه لحمي ودمه دمي وهو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، يا أم سلمة هذا علي أمير المؤمنين وسيّد

(١) مودة القريبى للهمداني الشافعي المودة ٣، والدر المثور للسيوطي ج ٦ ص ٦٦،

سورة محمد ﷺ.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٧٧ دار إحياء الكتب العربية وينابيع المودة ج ١ باب

١١ ص ٥٨ ط الأعلمی بیروت.

المسلمين ووعاء علمي ووصي وبابي الذي أؤتى منه وأخي في الدنيا والآخرة ومعني في المقام الأعلى يقتل الناكثين والقاسطين والمارقين^(١).

ثم علق الشافعي الكنجي بعد إيراد هذا الحديث: وفي هذا الحديث دلالة على أن النبي ﷺ وعد علياً بقتل هؤلاء الطوائف الثلاث وقول الرسول ﷺ حق ووعد صدق وقد أمر ﷺ علياً بقتالهم.

وعن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيوب الأنصاري وهو يعلف خيلاً له قال: فقلنا عنده فقلت: يا أبا أيوب قاتلت المشركين مع رسول الله ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين؟! قال: إن رسول الله ﷺ أمرني بقتال ثلاثة الناكثين والقاسطين والمارقين^(٢).

وجاء في أسد الغابة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: عهد إلي رسول الله ﷺ أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين^(٣).

ومن البديهي جداً أن رسول الله ﷺ لا يأمر بقتال المسلمين تبعاً للآية وما أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين...^(٤) فهو ﷺ مأمور بقتال الكفار والمنافقين الذين هم أشد كفراً ونفاقاً وفسقاً وبما أنه أمر علياً وبعض الصحابة الذين سمعوا منه الحديث بقتال هذه الفرق الثلاث فنحكم انطلاقاً من القرآن على هذه الطوائف بالضلال والكفر والنفاق وماؤاهم جهنم وبئس المصير، ومن

(١) كفاية الطالب باب ٣٧ وكنز العمال ج ٦ ص ١٥٤ وكنوز الحقائق ص ١٦١.

(٢) كفاية الطالب باب ٣٧ ومثله في أسد الغابة ج ٤ ص ٣٣ ط: مصر، وذكره الحاكم النيسابوري في المستدرک أيضاً، والمناقب للخوارزمي ص ١٢٢، الفصل الثالث، ط: النجف.

(٣) أسد الغابة ج ٤ ص ٣٣ ط مصر وقوله ﷺ له: ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين / شرح النهج ج ١ ص ٢٠١ دار إحياء الكتب العربية.

(٤) التوبة: ٧٣.

الخطأ أن يطلق عليهم اسم المسلمين والآن فهم ليسوا بمسلمين، كيف وقد أمر النبي ﷺ بقتالهم. ومن جهة ثانية فقد صرح النبي ﷺ باتفاق وإجماع المسلمين كلهم أنه وصف فرقة معاوية بالبغي، ومعلوم أن القرآن يأمرنا بقتال أهل البغي، بل أمرنا بقتال الفرقة الباغية وإن كانت متسمية بالإسلام^(١).

سؤال: ما هو هذا الخبر الذي وصف من خلاله فرقة معاوية بالبغي؟
الجواب: نعم، هو خبر متواتر عند المسلمين بلا أدنى خلاف أنه ﷺ قال لعمار بن ياسر: ستقتلك الفئة الباغية وأنت من أهل الجنة^(٢). ذكره الحاكم في

(١) أقول: قال ابن أبي الحديد: وأما أصحاب صفين فإنهم عند أصحابنا رحمهم الله مخلدون في النار لفسقهم فصيح فيهم قوله تعالى: «وَأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً» شرح النهج ج ١ ص ٢٠١ دار إحياء الكتب العربية / المترجم.

(٢) كنز العمال ج ١١ ص ٧٢٢ رقم ٣٣٥٣١ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٣٣ وشذرات الذهب ج ١ ص ٤٥ وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٥٢ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٥١ ومروءة الجنان ج ١ ص ١٠٠ والكامل ج ٣ ص ١٨٧.

وامتاز عمار بصموده على الحق وتحمل الأذى والبلاء في سبيل ذلك من مكة إلى المدينة وهكذا بعد رحيل النبي ﷺ استقام عمار في متابعة أهل البيت وفي طليعتهم أمير المؤمنين علي عليه السلام فكان عمار كامل الإخلاص في ولائه له حتى قال عنه رسول الله ﷺ: إن عماراً مع الحق والحق معه، ذكره ابن سعد في الطبقات ج ٣ ص ١٨٧، واشترك عمار في حرب صفين وله من العمر أكثر من تسعين عاماً وهو شديد الاستقامة لم يشك في إيمانه قط وكان يقول: والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت أنا على الحق وأنهم على الباطل / الكامل ج ٣ ص ١٨٦ وكان يقول:

محمداً وحزبه

اليوم ألقى الأحبه

وكان يقول: قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله ﷺ وهذه الرابعة ما هي بأبر

المستدرك وفي تلخيصه وابن حجر في الإصابة وابن الأثير في أسد الغابة والاستيعاب وشرح نهج البلاغة والملل والنحل لابن حزم وطبقات ابن سعد وكنز العمال وتاريخ ابن كثير وسيرة ابن هشام وتاريخ الطبري والكامل وينايع المودة وغيرهم.

وعلق ابن عبد البر في الاستيعاب على هذا الحديث بقوله: وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوته ﷺ وهو من أصح الأحاديث.

حتى قال عمارة بن خزيمة بن ثابت: أنا لأضلّ أبداً بقتل عمار فانظروا من يقتله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتلك الفئة الباغية فلما قُتل عمار، قال خزيمة قد حانت له - للقاتل - الضلالة ثم اقترب وكان الذي قتل عمار أبو غادية المزني طعنه بالرمح فسقط فقاتل حتى قُتل وكان يؤمّنذ يقاتل وهو ابن أربع وتسعين^(١).

اضطراب العسكر بسبب وجود عمار

وبعد ما انتشر خبر حديث رسول الله ﷺ في عمار والكل كان يتطلع إلى

→ وأتقى / المصدر نفسه، وكان يرتجز قائلاً:

نحن ضربناكم على تنزيله	فاليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله	ويذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحق إلى سبيله

ومن أكبر الأدلة على استشهاد عمار وأنه من جملة الشهداء وأن حرب صفين كانت حرب الحق المتمثل بجانب علي عليه السلام ضد الباطل والكفر المتمثل بمعوية هو أن أمير المؤمنين لم يغسل عماراً بل دفنه بملابسه ودمائه بعد أن صلى عليه / تاريخ بغداد ج ١ ص ١٥١ وص ١٥٣ / المؤلف.

(١) المستدرك ج ٣ ص ٢٢٩ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م، وقريب منه في مناقب الخوارج ص ١٢٣.

وجود عمار، فلما شاهدوه مع عليّ عليه السلام حصل الشك والاضطراب فخرج الحصين بن مالك والحارث بن عوف فذهب أحدهما إلى حمص والآخر إلى مصر، وخرج بعضهم إلى جهة أمير المؤمنين عليه السلام كعبد الله بن عمر العنسي^(١) عندما سمع الحوار بين عمار وعمرو بن العاص وعرف الحق بعدما طرقت مسامعه حديث الفئة الباغية فانطلق إلى جهة الحق المتمثل بعلي المرتضى عليه السلام، وكان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية وآخر شربة تشربها ضياح من لبن فكان ذو الكلاع يقول لعمرو: ما هذا ويحك يا عمرو فيقول عمرو: إنه - عمار - سيرجع إلينا فقتل ذو الكلاع قبل عمار^(٢)، وكان عبد الله بن عمر العنسي قد أرسل إلى ذي الكلاع أشعاراً منها:

إذا الكلاع فدع لي معشراً كفروا أو لا فسدتك عين فيه تعزير
ما في مقال رسول الله في رجلٍ شكٌ ولا في مقال الرسل تخيير

تأويل مضحك للحديث

وبعد استشهاد عمار دخل الشك والريب في قلوب بعض جيش معاوية منهم عبد الله بن عمرو بن العاص فقال لأبيه معترضاً: يا أبتِ قتلتم هذا الرجل - عمار - في يومكم هذا وقد قال رسول الله ﷺ ما قاله، قال: وما قال؟ قال: ألم يكن المسلمون ينقلون في بناء مسجد النبي ﷺ لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين

(١) كان عابداً زاهداً شجاعاً في الشام / انظر تاريخ ابن أضم الكوفي ص ٢٤٢.

(٢) الكامل ج ٣ ص ١٨٧ ولما قُتل ذو الكلاع قال عمرو بن العاص: ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً بقتل عمار أو بقتل ذي الكلاع والله لو بقي ذو الكلاع بعد قتل عمار لمال بعامة أهل الشام إلى عليّ.

فغشي عليه فأتاه رسول الله ﷺ فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: ويحك يابن سمية الناس ينقلون لبنة لبنة وأنت تنقل لبنتين لبنتين رغبةً في الأجر وأنت ذلك تقتلك الفئة الباغية، فقال عمرو لمعاوية: أما تسمع ما يقول عبدالله؟ قال: وما يقول؟ فأخبره فقال معاوية: أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جاء به، فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون: إنما قتل عماراً من جاء به^(١)، ولما وصلت هذه الأخبار إلى مسامع أمير المؤمنين عليه السلام قال: إذا قتل رسول الله حمزة لأنه أخرجه^(٢) وهو إلزام لا جواب عنه وحجة لا اعتراض عليها^(٣).

سؤال: هل تسمح لي بسؤال حتى ترتفع عني هذه الشبهة؟
الجواب: لكم المجال في أي موقع تحبون أن تسألوا لرفع الشبهة فاسألوا دون أي تردد.

سؤال: المعروف أن معاوية كان عاقلاً ذكياً فكيف يعقل أنه يتكلم بكلام يُضحك السامع، إذ بين القاتل وبين من يدعو أو يأمر الإنسان إلى ميدان القتال فرق كبير، فكيف أول معاوية العاقل حديث النبي ﷺ؟ إنه تأويل عجيب!!
الجواب: أولاً: لم يكن معاوية كما وصفت، لأن العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أصل الإنسان لبه وعقله ودينه ومروته، وهذه الأوصاف كلها لانجدها عند معاوية، فليس ما فيه من ذلك العقل^(٤).
وثانياً: قلنا سابقاً إنه من دهاة العرب الذين كانوا يمارسون ذكاءهم المتوقّد

(١) الكامل ج ٣ ص ١٨٨.

(٢ و ٣) شذرات الذهب ج ١ ص ٤٥.

(٤) سئل الإمام الصادق عليه السلام: ما العقل؟ فقال: ما عبد به الرحمن، واكتسب به الجنان. فسأله الراوي: فالذي كان في معاوية [أي ماهو؟] فقال عليه السلام: تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل. راجع أصول الكافي، كتاب العقل والجهل، ج ١، ح ١١ / ٣ ط: الدار الإسلامية / المترجم.

في الدجل والمكر والتزوير والاحتيال وقتل الناس وتبرير الجريمة والخطأ وما إلى ذلك، دون أن يكون لديهم أدنى توجه إلى رضا الله تعالى ورسوله ﷺ، بل لا يوجد لديهم أي توجه نحو العمل الصالح، وإنما كان هدفهم الملك والرياسة فكانوا يعملون أي شيء من أجل ذلك، مع أن هذا الملك قد ينتهي بعد أيام قلائل ويؤول عنهم ولو كانوا أصحاب عقول لما فعلوا ذلك ولأدركوا أنه تفكير خاطئ.

ولذلك فإن الإطلاع على أفعالهم يؤكد لك أنهم كانوا يستخرون الدين لأجل أغراضهم الخبيثة فقد وصلت بهم الحالة أن يتخذوا القرآن العظيم وسيلة وألعبوا لحفظ مناصبهم ومراكزهم وذلك عندما رفعوا المصاحف على الرماح بعدما أراقوا دماء عشرات الآلاف من البشر.

مرور على واقعة صفين

ذكر أرباب التواريخ أن حرب صفين استمرت أربعة عشر شهراً كان قوام جيش أمير المؤمنين (١٢٠/٠٠٠) وكان قوام جيش معاوية (١٥٠/٠٠٠) وقتل خلالها (٩٠/٠٠٠) من جيش البغي والتحقوا بالنار بينما استشهد من جيش الحق (٢٠/٠٠٠) من أهل العراق^(١)، ومن هؤلاء كان خمسة وعشرون من صحابة رسول الله ﷺ نالوا شرف الشهادة مع أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام خلال هذه الفترة يبعث الرسائل والرسل إلى معاوية يدعوه إلى الطاعة وترك الحرب والإذعان للحق والقرآن، ولكن استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله.

حتى جاء اليوم الذي وقف الطرفان بعضهم مقابل بعض وذلك في العاشر

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٩٣ دار الأندلس بيروت.

من صفر عام ٣٨هـ. فخرج أمير المؤمنين وهو يرتدي ملابس الحرب التي كان يرتديها رسول الله ﷺ ويركب فرس النبي ﷺ أيضاً ويحمل رايته ثم أخذ بالوعظ والإرشاد ودعوة الناس إلى التي هي أحسن... (١).

بعدها قام الأشتر خطيباً فقال: «الحمد لله الذي جعل فيكم ابن عم نبيكم أقدمهم هجرة وأولهم إسلاماً، سيف من سيوف الله، صبه على أعدائه فانظروا إذا حمى الوطيس، وثار القتال وتكسر المران وجالت الخيل بالأبطال فلا أسمع إلا غمغمة أو همهمة» (٢).

ثم تقدم أمير المؤمنين وعلى يمينه مالك الأشتر البطل المخلد وعن شماله ابن عباس وقد نشر أمير المؤمنين ﷺ راية رسول الله ﷺ لأول مرة وقال للأشتر مخاطباً إياه: عندما دنت الوفاة من رسول الله ﷺ قال لي: يا أبا الحسن إنك لتحارب الناكثين والقاسطين والمارقين وأي تعب ونصب يصيبك من أهل الشام فاصبر على ما أصابك إن الله مع الصابرين (٣).

ليلة الهرير

وهي من أقسى ليالي الحرب وأشهرها في التاريخ حيث استمر القتال فيها من النهار إلى الليل ثم إلى مطلع الفجر بلا توقف ولا استراحة فاقتتل الناس تلك الليلة كلها إلى الصباح فتطاعنوا حتى تقصعت الرماح وتراموا حتى نفذ النبل وأخذوا السيوف وعليهم ﷺ يسير فيما بين الميمنة والميسرة ويأمر كل كتيبة أن

(١) ذكر المؤلف بعض كلام أمير المؤمنين ﷺ وقد تركناه رعاية للاختصار وهو موجود في الكتب الخاصة التي تناولت هذه الحادثة.

(٢) ينابيع المودة ج ١ ص ١٥٥ ط: الأولى في استانبول.

(٣) الفصول المهمة ص ٩٤.

تقدم على التي تليها فلم يزل يفعل ذلك حتى أصبح والمركة كلها خلف ظهره!! وكان الأشتر في الميمنة وابن عباس في الميسرة وأمير المؤمنين في القلب والناس يقتتلون من كل جانب، وكان أمير المؤمنين عليه السلام كلما قتل واحداً كبر (الله أكبر) ليزيد من معنويات جيشه حتى عدت تكبيراته فكانت خمسمائة تكبيرة^(١).

وقد ذكر ابن أعثم الكوفي في تاريخه أن المقتولين في ليلة الهرير فقط كانوا (٣٦٠٠٠) من الطرفين، (٤٠٠٠) من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والبقية من جيش البغي، ولما ارتفعت الشمس ارتفع النصر يلوح لأمر المؤمنين عليه السلام ووصلت طلائع جيشه إلى أواخر جيش معاوية وحسم الموقف وكاد أن ينتهي أهل الشام ومعاوية معهم.

مكر ابن العاص في رفع المصاحف

ولما اشتد الأمر على معاوية وأفراده وعرفوا أن النهاية قد دنت منهم جاء عمرو بن العاص إلى معاوية وقال له: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة؟ قال: نعم، قال: نرفع المصاحف، ثم نقول: لما فيها هذا بيننا وبينكم فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول ينبغي لنا أن نقبل فتكون فرقة بينهم وإن قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا إلى أجل^(٢)!! فرفعوا المصاحف وكانت أكثر من (٥٠٠) مصحف وكان من جملة هذه

(١) مروج الذهب، ج ٢ ص ٣٨٩، ط: دار الأندلس ١٩٦٥، وينابيع المودة للقندوزي ج ١ ص ١٥٥ ط: الأولى في استنبول.

(٢) الكامل ج ٣ ص ١٩٢.

المصاحف وفي مقدّماتها مصحف مكتوب بخط عثمان يمسكه عشرة رهط^(١) فرفعوها وقالوا: هذا كتاب الله عزّ وجلّ بيننا وبينكم^(٢).

فاتفرق جيش أمير المؤمنين إلى مجيب إلى وقف القتال وإلى مخالف، فكان الأشعث بن قيس وزملاؤه المنافقون أول من دعا إلى وقف القتال وقالوا: نجيب إلى كتاب الله عزّ وجلّ وننيب إليه.

أمير المؤمنين يحاول أن يكشف اللعبة

ولمّا رفع بعض أصحاب الإمام عليّ عليه السلام أيديهم عن القتال قال لهم عليه السلام: «عباد الله امضوا على حقّكم وصدقكم وقاتل عدوّكم فإنّ معاوية وعمراً وابن أبي معيط وحبيّاً وابن أبي سرح والضخّاك (بن قيس) ليسوا بأصحاب دين وقرآن، أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم أطفالاً ثمّ رجالاً فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال ويحكم والله ما رفعوها إلّا خديعة ووهناً ومكيدة (كلمة حقّ يُراد بها باطل)^(٣)».

فقال الأشعث بن قيس الكندي وشقيق بن ثور البكري وسفيان بن ثور البكري وبكر بن وائل وجماعة آخريّن ممّن انطلت عليهم هذه الخدعة أو نافقوا وداهنوا في تلك اللحظات: لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله. فقال لهم أمير المؤمنين: فإنّي إنّما أقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب، وأخذ أمير المؤمنين يوضّح لهم أنّها لعبة وخديعة اصطنعها ابن العاص لدفع الموت والخسارة عنه وعن معاوية بعد أن بانّت طلائع النصر، إلّا أنّ القوم أصروا في

(١) شرح النهج ج ٢ ص ٢١٢ دار إحياء الكتب العربية.

(٢) الكامل ج ٣ ص ١٩٢.

(٣) الكامل ج ٣ ص ١٩٣ وشرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢١٦ دار إحياء الكتب العربية.

المخالفة، ثم تكلم كبراء أصحاب علي عليه السلام مثل عدي بن حاتم الطائي وعمرو بن الحمق الكوفي وسعيد بن قيس الهمداني وكردوس بن هاني البكري فتكلموا مع القوم وحصلت بعض المشادات الكلامية والمشاجرات إلا أن مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن الحصين انفصلوا بعشرين ألف مقاتل مقتعين في الحديد شاكي السلاح سيوفهم على عواتقهم وقد اسودت جباههم من السجود يتقدمهم مسعر وزيد فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين بكل وقاحة وجراءة: يا علي أجب إلى كتاب الله عز وجل إذ دُعيت إليه وإلا دفعناك برمئتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان، فقال لهم: ويحكم أنا أول من دعا إلى كتاب الله وأول من أجاب إليه وليس يحل لي ولا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله إني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم القرآن فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونقضوا عهده ونبذوا كتابه ولكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم وأنهم ليس العمل بالقرآن يريدون. فقالوا: ابعث إلى الأشر وقد كان أشرف على عسكر معاوية ليدخله فأرسل الإمام عليه السلام يزيد بن هاني فذهب إليه وقال له الأشر: ليست هذه الساعة بالساعة التي ينبغي لك أن تريلني عن موقعي إني قد رجوت أن يفتح الله لي، فعاد يزيد فأخبره بمقالة الأشر فارتفع الراج من الخوارج وأتهموا علياً أنه هو الذي أرسله بمواصلة الحرب فأرسل الإمام يزيد مرة ثانية فجاءه يزيد وقال له: أقبل فإن الفتنة قد وقعت. فقال الأشر: أرفع المصاحف؟ قال: نعم، قال: والله لقد ظننت أنها ستوقع اختلافاً وفرقة، إنها مشورة ابن العاهر، ألا ترى إلى الفتح؟ ألا ترى ما يلقون؟ ألا ترى ما صنع الله لنا؟ لن ينبغي أن أدع هؤلاء، وانصرف عنهم فقال له يزيد: أنتحب أن تظفر وأمير المؤمنين يُسلم إلى عدوه أو يقتل؟ قال: لا والله^(١).

(١) الكامل ج ٣ ص ١٩٣ وشرح النهج ج ٢ ص ٢١٧ دار إحياء الكتب العربية.

وكان مالك شديد الولاء والطاعة لأمير المؤمنين فترك الحرب وعاد إلى أمير المؤمنين عليه السلام وتوجه إلى الأشعث وأسمعه كلاماً خشناً وردّ عليه الأشعث بمثله حتى أمره الإمام بالسكوت.

رسالة معاوية إلى أمير المؤمنين

ولمّا نجحت لعبة ابن العاص وآنت ثمارها فرح معاوية أشدّ الفرح وهكذا ابن العاص وأراد معاوية أن يظهر نفسه أمام هؤلاء البسطاء بمظهر الحريص على الإسلام فأرسل إلى أمير المؤمنين رسالة يدعوه فيها إلى التحكيم جاء فيها «أن يحكم بيننا وبينكم حكمان مرضيان أحدهما من أصحابي والآخر من أصحابك فيحكم بما في كتاب الله بيننا فإنه خيرٌ لي ولك وأقطع لهذه الفتنة»^(١)، ولمّا عرف الخوارج بذلك رفعوا أصواتهم بالتأييد، فأرسل إليه أمير المؤمنين عليه السلام رسالة جاء فيها:

«إنك قد دعوتني إلى حكم القرآن ولقد علمتُ أنك لست من أهل القرآن ولست حكمه تريد والله المستعان وقد أجبنّا القرآن إلى حكمه ولسنا إياك أجبنّا ومن لم يرض بحكم القرآن فقد ضلّ ضلالاً بعيداً»^(٢).

ثمّ ضغطت جماعة - الخوارج - على أمير المؤمنين بقبول التحكيم واختاروا أبا موسى الأشعري بينما اقترح عليهم الإمام مالك الأشتر أو ابن عباس إلّا أنهم رفضوا وأصرّوا على أبي موسى مع تحذير الإمام عليه السلام لهم، بعدها قال عليه السلام: «ألا إنّي كنتُ أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأموراً وكنتُ ناهياً فأصبحت منهياً؟ وقد أحببتكم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون!!»

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٢٥ دار إحياء الكتب العربية.

(٢) المصدر نفسه.

التحكيم بين الفريقين

بعدها بعث معاوية بعض القراء من أهل الشام وبعث أمير المؤمنين عليه السلام بعض القراء من أهل العراق فاجتمعوا وتدارسوا - بعيداً عن العقل والرشد والهدى وإنما دفعتهم العصبية وقادهم الجهل - ثم اختار أهل الشام عمرو بن العاص حكماً منهم واختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، وقد مارس الأشعث بن قيس الإصرار على ذلك كاشفاً عن نواياه الخبيثة ضد أمير المؤمنين عليه السلام فقال لهم الإمام عليه السلام: فإنه - أبا موسى - ليس لي برضاً وقد فارقتي وخذّل الناس عني وهرب مني حتى أمنتته بعد أشهر ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك، فلم يقبلوا... ثم قال لهم: إن معاوية لم يكن ليضع هذا الأمر أحداً هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص وإنه لا يصلح للقرشي إلا مثله فعليكم بعبد الله بن عباس فارموه به فإن عمراً لا يعقد عقدة إلا حلّها عبد الله ولا يحلّ عقدة إلا عقدها ولا يُبرم أمراً إلا نقضه... فامتنعوا^(١)، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: فإنكم قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن إنني لا أرى أن أولي أبا موسى، ثم اقترح عليهم الأشر فرفضوا، وكلما استخدم معهم المنطق وعرض عليهم العقل وطلب منهم التعقل والتدبر ما كانوا ليرضوا بذلك أبداً.

وأخيراً لم يجد أمير المؤمنين أي نافذة إلى عقولهم إذ لم تبق لهم قبلتهم أي مجال للتأمل أو الامثال لقائدهم العظيم بل انساقوا وراء الغوغاء.

سؤال: إذن يُعلم من ذلك أن شيعة أمير المؤمنين قد اتفقوا على موضوع تحكيم أبي موسى الأشعري ورضوا به أخيراً.

الجواب: لا أيها السادة لم يحصل اتفاق ولا رضا بأبي موسى الأشعري

وإنما فرضه إصرار الأشعث بن قيس وجماعته المنافقين الذين صاروا فرقة الخوارج فيما بعد، وهؤلاء مجموعة من قراء القرآن الذين لا يبلغ القرآن تراقيهم وإنما هم كتلة من المغفلين البسطاء، وأما بقية أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فإنهم لم يرضوا بأبي موسى لا سيما ابن عباس ومالك الأشتر والأخنف بن قيس ومنذر بن جارود والطرماح بن عدي وعبدالله بن الحارث الطائي ورفاعة بن شداد وعمرو بن الحمق وكردوس بن هاني البكري وشفيق بن ثور وحريث بن جابر وصعصعة بن صوحان العبدى والحارث بن مرة وشريح بن هاني المذحجي وزجر بن قيس الجعفي وسهل بن حنيف وعبدالله بن حباب وخالد بن معمر والحصين بن المنذر وغيرهم جم غفير كلهم كانوا مع أمير المؤمنين عليه السلام وقد صرحوا أثناء خطاباتهم ومحاججاتهم أنهم ملتزمون ببيعة الإمام وأنه خليفة المسلمين ووصي رسول الله ﷺ ولا يحتاج الأمر إلى تنصيب حكم ولا إلى أي تحكيم^(١). ولكن لما عزم الأشعث لعنه الله على المواجهة مع أمير المؤمنين وإشغال فتيل الحرب مع عشرين ألف مقاتل معه، لأجل ذلك استجاب الإمام وبقية الأصحاب إخماداً للفتنة.

سؤال: قلتم إن أكثر الأصحاب كان رأيهم مع أمير المؤمنين عليه السلام فلماذا لم يقاتلوا هؤلاء الجماعة ويمنعونهم؟

الجواب: كان إعلان الحرب ضد هؤلاء سهلاً يسيراً من قبل الإمام أو جماعته ولكن في تلك الفترة لم تكن الحرب موافقة للحكمة إذ سيقال إن علينا استفاد واستخدم رجاله ما داموا موافقين لرأيه ولكن بمجرد أن خالفوه في الرأي قتلهم، ولذلك صبر أمير المؤمنين عليه السلام وأعلن لهم عدم رضاه عن التحكيم^(٢).

(١) المصدر السابق ص ٢٢٠.

(٢) ذكر المؤلف في متن الكتاب بعض الأمور المرتبطة بقضايا صفين ورأينا أن

سؤال: لقد تكرر منك ذكر الأشعث بن قيس وأنه من المنافقين، فهل بالإمكان أن تذكروا لنا بعض سيرته وحالاته لتتعرف عليه؟

مقتطفات من سيرة الأشعث بن قيس

الجواب:

هو الأشعث^(١) بن قيس اسمه معدي كرب الكندي أسلم عام ١٠هـ وأسلم

→ نذكرها في الهامش لعدم الترابط بينها وبين ما ذكره سابقاً ولاحقاً؛ منها: أن معاوية بعث كتاباً إلى أيمن بن خزيمة وكان رجلاً عابداً مجتهداً وقد كان معاوية جعل له فلسطين على أن يتابعه ويشايه على قتال علي^{عليه السلام} فقال أيمن وبعث بها إليه: ولست مقاتلاً رجلاً يصلي على سلطان آخر من قریش له سلطانه وعليّ إثمي أقتل مسلماً في غير جرم انظر المصدر السابق ص ٢٣٢.

وكذلك ذكر قصة بعث معاوية حلوى مخلوطة بالزعفران إلى أبي الأسود الدؤلي كمحاولة منه لصد أبي الأسود عن مشايعة الإمام علي^{عليه السلام} وكان لأبي الأسود بنت صغيرة فرحت بالحلوى وأرادت أن تأكل منها فقال لها والدها: إن معاوية يريد أن يخذعنا بهذه الحلوى ويصدنا عن أمير المؤمنين^{عليه السلام} فلفظتها الفتاة الصغيرة وأنشدت:

أبالشهد المزعفر يابن هند نبيح عليك إيماناً وديناً
معاذ الله كيف يكون هذا ومولانا أمير المؤمنين

فكتبها أبو الأسود في رسالة وبعثها إلى معاوية.

وأمام هؤلاء المخلصين يقف على الضد والقبض المنافقون أمثال الأشعث بن قيس صاحب الفتنة / المؤلف.

(١) كان الأشعث أبداً أشعث الرأس فسُمي بذلك وغلب عليه حتى نُسي اسمه.

معه ستون أو سبعون رجلاً من بني كندة، ثم ارتد بعد رحيل النبي ﷺ فبعث إليه أبو بكر جيشاً وانكسرت شوكته وجيء به أسيراً إلى المدينة فعفا عنه أبو بكر، ثم زوجه أخته أم فروة فأنجبت للأشعث ثلاثة أولاد هم محمد وإسماعيل وإسحاق^(١) وبناتاً واحدة هي جعدة.

فأما محمد بن الأشعث، فقد تعاون مع عبيد الله بن زياد - لعنهما الله - لقتل مسلم بن عقيل بن أبي طالب سفير الإمام الحسين عليه السلام، كما اشترك في واقعة كربلاء ضد الإمام السبط الحسين عليه السلام وحضر الميدان واشترك في الحرب.

وأما جعدة فهي زوجة الإمام الحسن بن علي عليه السلام وهي التي سمته وقتلته كما تقدم ذلك.

وأما الأشعث فقد كان يبغض علياً عليه السلام ويكنّ له أشد الحقد. ولو دققتم لرايتم في حرب صفين أمراً عجيباً وهو أنه لما أشرفت الحرب على النهاية وبدت طلائع النصر لأمير المؤمنين عليه السلام وأراد معاوية الفرار من الحرب، وقف الأشعث موقفاً غير مجرى الأحداث إذ أصرّ مع جماعته على ضرورة التحكيم وإيقاف القتال وبالتالي هو قد أعطى فرصة كافية لمعاوية لأن يعيد شتاته.

نعم، اشترك الأشعث مع أمير المؤمنين ضد معاوية ولكنه كان يمثل العدو الداخلي لأمير المؤمنين وهو يعني الطابور الخامس لصالح معاوية بدليل ما تقدم.

ولذلك لعنه أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين حائك ابن حائك منافق ابن كافر^(٢). وقد جاء مثل هذا اللعن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ

(١) شرح النهج ج ١ ص ٢٩٦.

(٢) خطبة رقم ١٩ من شرح النهج ج ١ ص ٢٩١.

الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون^(١).

وقال شارح النهج ابن أبي الحديد: وكان الأشعث من المنافقين في خلافة علي عليه السلام وهو في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كما كان عبدالله بن أبي بن سلول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل واحد منهما رأس النفاق في زمانه^(٢).

وقال في موقع آخر: كل فساد كان في خلافة علي عليه السلام وكل اضطراب حدث فأصله الأشعث^(٣).

وقد أغرى الأشعث عبدالله بن قيس الأشعري المعروف بأبي موسى الأشعري ودفعه إلى التحكيم وكان الأخير مثل الأشعث في نصبه وعدائه لأمر المؤمنين كما تقدّم بعض الكلام عنه.

بين الحديبية وقضية التحكيم في صفين

وقد ذكر المؤرخون أنه لما حضر الإمام علي عليه السلام ومعاوية للتوقيع على معاهدة الصلح كتب عبدالله بن أبي رافع وهو كاتب أمير المؤمنين: هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان، فقال معاوية: بنس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته وقال عمرو: بل نكتب اسمه واسم أبيه، فطلبوا منه أن يمحي اسم (أمير المؤمنين) فامتنع عبدالله فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله أكبر سنة بسنة ومثل بمثل إن هذا اليوم كيوم الحديبية حين كتب الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) البقرة: ١٥٩.

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٧ دار إحياء الكتب العربية.

(٣) المصدر ج ٢ ص ٢٧٩ دار إحياء الكتب العربية.

وسهيل بن عمرو، فقال سهيل: لو أعلم أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أخالفك، إنني إذا لظالم لك إن منعتك أن تطوف ببيت الله الحرام وأنت رسوله ولكن اكتب من محمد بن عبدالله، فقال لي رسول الله ﷺ: يا علي إنني لرسول الله وأنا محمد بن عبدالله ولن يمحو عني الرسالة كتابي لهم من محمد بن عبدالله فاكْتُبها وامح ما أراد محوه، أما أن لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد، إن ذلك الكتاب أنا كتبه بيننا وبين المشركين واليوم أكتبه إلى أبنائهم كما كان رسول الله كتبه إلى آبائهم شهاباً ومثلاً^(١)، وكان الأشعث يضغط على عبدالله بن أبي رافع أن يمحو هذا الاسم المبارك^(٢). عندها قال عمرو بن العاص لأمر المؤمنين: سبحان الله أتشبهنا بالكفار ونحن مسلمون؟ فقال الإمام عليّ: يا بن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين ولياً وللمؤمنين عدواً؟^(٣)

وهذا تصريح لا غبار عليه في خروج عمرو بن العاص من الإسلام والإيمان، بل وأشد من ذلك ما قاله أمير المؤمنين في كفر معاوية وأتباعه كلهم حيث قالوا له: أتقر أنهم مؤمنون ومسلمون؟ فقال عليّ: ما أقر لمعاوية ولا لأصحابه أنهم مؤمنون ولا مسلمون ولكن يكتب معاوية ما يشاء ويقر بما شاء لنفسه ولأصحابه ويستمي نفسه بما شاء وأصحابه^(٤).

توريط أبي موسى الأشعري

ثم إن علياً عليه السلام بعث أربعمائة رجل عليهم شريح بن هاني ومعه عبدالله بن عباس يصلّي بهم ومعهم أبو موسى الأشعري، وبعث معاوية عمرو بن العاص

(١) شرح النهج ج ٢ ص ٢٣٢ والكامل ج ٣ ص ١٩٥.

(٢) الكامل ج ٣ ص ١٩٥.

(٣) الكامل ج ٣ ص ١٩٥ وشرح النهج ج ٢ ص ٢٣٣ دار إحياء الكتب العربية.

(٤) شرح النهج ج ٢ ص ٢٣٣ دار إحياء الكتب العربية.

في أربع مائة^(١)، فالتقى أبو موسى بعمر وحوال الأخير إبراز الاحترام المصطنع له والاطمئنان من جانبه وكسبه إلى جهته، مع أن عمراً أشهر من أبي موسى بين العرب فلما اختلّى به عرض عليه أموالاً طائلة ووعوداً مغرية وواعده بالسلطان والولاية والإمارة ثم قال له: ألسنت تعلم أن عثمان قُتل مظلوماً؟ قال أبو موسى: بلى، قال: فما يمنعك من معاوية وهو وليّ عثمان ثم إن بيت معاوية من قريش ما قد علمت فإن خشيت أن يقول الناس: ولي معاوية وليست له سابقة فإن لك حجة أن تقول: وجدته وليّ عثمان الخليفة المظلوم، والطالب بدمه، الحسن السياسة، وهو أخو أمّ حبيبة أم المؤمنين وزوج النبي ﷺ، وقد صحبه، وهو أحد الصحابة ثم عرض له بالسلطان فقال له: إن هو وليّ الأمر أكرمك كرامة لم يكرمك أحد قط مثلها، فقال أبو موسى: اتق الله يا عمرو أمّا ما ذكرت من شرف معاوية فإن هذا الأمر ليس على الشرف يولّاه أهله ولو كان على الشرف كان أحقّ الناس بهذا الأمر أبرهة بن الصباح، إنما هو لأهل الدين والفضل مع أنني لو كنت أعطيه أفضل قريش شرفاً لأعطيته عليّ بن أبي طالب، وأمّا قولك: إن معاوية وليّ عثمان فولّه هذا الأمر، فإني لم أكن أوليّه إياه لنسبه من عثمان وأدع المهاجرين الأولين، وأمّا تعريضك لي بالإمرة والسلطان فوالله لو خرج لي من

(١) المصدر ص ٢٤٤.

ابن النابغة: فقد كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمة رجل من عنزة فُسبِيت فاشترها عبدالله بن جدعان فكانت بغياً ثم عُتقت ووقع عليها أبو لهب وأمّية بن خلف وهشام بن المغيرة وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل في طهر واحد!! فولدت عمراً فأذاعه كلّهم فحكمت فيه أمّه فقالت: هو للعاص لأنّ العاص كان ينفق عليها وقالوا: كان أشبه بأبي سفيان وفي ذلك يقول أبو سفيان:

أبوك أبو سفيان لاشك قد بدت لنا فيك منه بيّنات الشمال

انظر ربيع الأبرار للزمخشري ج ٣ ص ٥٥٠ / المؤلف.

سلطانه ما وليته وما كنت أرثسي في الله^(١). وكان أبو موسى يرغب في تنصيب عبدالله بن عمر بن الخطاب لأنه انزوى عن الساحة السياسية ولم يشترك في الحرب^(٢).

سؤال: عفواً سيدي هل يُعدّ الانزواء والانعزال من شروط الخلافة ومن صفات الخليفة؟

الجواب: كان عليك أن توجه هذا السؤال إلى أبي موسى الأحمق البليد، إذ لو كان الانعزال والانزواء وعدم الاشتراك في الحروب صفات الخليفة وكل من حارب ودخل معترك الصراع فهو لا يستحقها لكان أكثر أنبياء الله العظام لا يستحقون خلافة الأرض مثل داود وسليمان وموسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين، بينما نجد العكس تماماً فقد أمرهم الله تعالى بالجهاد وقمع المعاندين واستئصال المشركين ومع ذلك هم خلفاؤه في أرضه وأحباؤه، إذ لم يمنع ذلك من كونهم خلفاء وقادة، وبهذا المستوى كان يحارب رسول الله المشركين ويأمر أصحابه بالمقاومة والثبات والصبر في الحرب، وهو الذي دفع سيف ذي الفقار إلى أمير المؤمنين علي^{عليه السلام} وأمره أن يقاتل به فأراق به دماء المشركين من بني أمية وغيرهم^(٣)، حتى جاء معاوية بعد سنين طوال يحاول الانتقام والثأر لتلك الدماء النجسة والأرواح الخبيثة بذريعة (دم عثمان).

إذن الدخول في الصراع وإراقة دماء الكفار والمنافقين ليس من الصفات

(١) شرح النهج ج ٢ ص ٢٥٢ دار إحياء الكتب العربية.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) لقد ذكر أكابر علماء المسلمين في أحد نداء جبرئيل بين السماء والأرض (لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار) تخليداً للموقف البطولي لأمير المؤمنين^{عليه السلام} بعد أن فر كبار الصحابة بذرائع شتى / انظر المناقب للخوارزمي ص ١٠٣

القييحة بل هي من الصفات الحسنة التي تستحق المدح، لأن السيف هو الخيار الوحيد مع المعاندين والفاستدين لرفع فسادهم وحماقاتهم من الأرض وحماية الناس الأبرياء من شرهم، ولكن هذا لا يعني أنهم عليهم السلام رجال حرب فحسب، وإنما الحرب هي آخر الخيارات، وعليه فإننا نرى النبي ﷺ طيلة وجوده في مكة لم يمارس العنف حتى في مجال الدفاع عن النفس وذلك دليل على نقاء وطهارة منهج الأنبياء، حتى قال ﷺ: ما أودى نبي مثل ما أوديت. ولكنه بعد ١٣ عاماً مارس الحرب بعنوان الجهاد الدفاعي لحفظ الدين والأنفس واستئصال الكفر والشرك وقتل صناديد وأئمة الكفر مثل أبي جهل وعتبة والوليد وغيرهم، وجاءت النصوص الشرعية المتظافرة لتقول إن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه.

سؤال: إذن لماذا تكلم أبو موسى بهذه الطريقة المخالفة لسنن المرسلين؟ فاعتبر عدم الاشتراك في الحرب صفة مذمومة؟

الجواب: الجواب عند أهل التحقيق والتحليل في غاية السهولة لأنه من الواضح على درجة عالية، وذلك لأن أبا موسى من جملة الحاقدين والباغضين لأمير المؤمنين علي عليه السلام ولذلك فإنه كان ينتظر مثل هذه الفرص التي تطيح بالإمام عليه السلام.

فمن أدلة بغضه وسعيه الدؤوب ضد أمير المؤمنين ما فعله أثناء حرب الجمل، فإنه كان عاملاً لأمير المؤمنين في الكوفة، وعندما توجهت طلائع جيش الحق من صحابة الرسول ﷺ وغيرهم مع أمير المؤمنين عمل أبو موسى في البصرة على تشييط عزائم الناس وأخذ يحذرهم من مغبة الالتحاق بعلي عليه السلام ويمنعهم بطريقة وأخرى.

فبعث إليه سهل بن حنيف رسالة من المدينة يدعوه فيها إلى دعوة الناس من أهل الكوفة بالالحاق بإمامهم علي عليه السلام في البصرة، إلا أن أبا موسى امتنع

فخرج هاشم بن عتبة المرقال إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره بأمر أبي موسى فقال عليه السلام: لقد أردتُ عزله وسألني الأشر أن أقرّه فردّ علي عليه السلام هاشماً إلى الكوفة وكتب إلى أبي موسى: إنّي وجهت هاشم بن عتبة ليُنهض من قبلك من المسلمين إليّ فأشخص الناس فإني لم أولك الذي أنت به إلّا لتكون من أعواني على الحقّ. فدعا أبو موسى السائب بن مالك الأشعري فقال له: ما ترى؟ قال: أرى أن تتبع ما كتب به إليك، قال: لكنّي لا أرى ذلك!! ثمّ مرّق الكتاب وبعث إلى هاشم يخوفه ويتوعّده بالسجن.

فكتب هاشم إلى أمير المؤمنين: إنّي قد قدمت على رجلٍ غالٍ مشاق ظاهر الغلّ والشنآن!!

فبعث أمير المؤمنين عليه السلام ابنه الحسن مع عمّار بن ياسر إلى الكوفة يستنفران الناس وبعث كتاباً في عزل أبي موسى كتب فيه: أمّا بعد فقد كنتُ أرى أن بعدك من هذا الأمر الذي لم يجعل الله عزّ وجلّ لك منه نصيباً سيمنعك من ردّ أمري وقد بعث الحسن بن علي وعمّار بن ياسر يستنفران الناس وبعث قرظة بن كعب والياً على مصر فاعتزل عمّلنا مذموماً مدحوراً، فإن لم تفعل فإني قد أمرته أن يناديك فإن نابذته فظفر بك أن يقطعك آراباً!!^(١)، وكان أمير المؤمنين عليه السلام من قبل قد بعث إليه محمّد بن أبي بكر ليستنهض الناس في الكوفة فلم يجبه أحد بعد أن مارس أبو موسى فعلته الخبيثة في تشييط عزائم الناس فكان أبو موسى يقول للناس كلّما سأله عن الخروج مع علي عليه السلام: إنّما هما أمران القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا فاخترّا^(٢) فلا ينفر أحد،

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٥-٣٦ وجاء في مروج الذهب ج ٢ ص ٣٥٩: اعتزل عملنا يابن الحائك مذموماً مدحوراً فما هذا أوّل يومنا منك وإنّ لك فينا لهنّات وهنّيات.

(٢) الكامل ج ٣ ص ١١٨ وجاء في المستدرک ج ٤ ص ٨٣ رقم ٤٦٦٠ دار المعرفة

ثم أرسل إليه الأشر و ابن عباس فكلّماه في استنهاض الناس إلّا أنّه كان يقول للناس: «وهذه فتنة صمّاء النائم فيها خير من اليقظان واليقظان خير من القاعد والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب... فكونوا جرثومة من جراثيم العرب فأغمدوا السيوف...»^(١) ثم أرسل الإمام ولده الحسن مع عمّار كما قلنا سابقاً.

بعدها قام الإمام الحسن عليه السلام وخطب في مسجد الكوفة وذكّرهم بمناقب أمير المؤمنين عليه السلام في أنّه أوّل من صلّى وصدّق نبوة الخاتم عليه السلام وأنّه شارك معه في جميع غزواته - إلّا تبوك - يطلب في كلّ ذلك رضا الله، وأنّه الوحيد الذي تولّى غسل جثمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ساعدته الملائكة فيه وكان الفضل بن عباس يأتيه بالماء، وأنّه أنزل جسد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قبره... وأنّ الناس أقبلت إليه بعد قتل عثمان إقبال الإبل إلى حياض الماء وأنّ طلحة والزبير أوّل من بايعه وهما أوّل من نكث حسداً وحقدأ وطلباً للدنيا... فلمّا سمع الناس كلام الإمام الحسن عليه السلام قاموا معه إلى قتال أهل الجمل.

ومع ذلك كلّ واحد واصل أبو موسى تشييطه للناس ونهيه لهم عن الخروج مع أمير المؤمنين عليه السلام وهذا أكبر أدلّة بغضه وحقده لعلي عليه السلام الذي لا يحبّه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق أو كافر.

فقام إليه عمّار وقال له: اسكت لا أمّ لك إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي عليه السلام: يقتال الناكثين والقاسطين والمارقين^(٢).

→ بيروت ط عام ١٩٩٨م: عن الشعبي: خطب أبو موسى وهو على الكوفة فنهى الناس عن القتال والدخول في الفتنة فعزله علي عليه السلام.

(١) المصدر السابق.

(٢) مرّت بعض مصادره، وانظر البحار ج ٣٢ باب ٧ والمستدرک ج ٤ ص ١١٥ رقم

خطبة الإمام الحسن عليه السلام

ومن جملة ما قاله الإمام الحسن عليه السلام لأهل الكوفة: أيها الناس قد كان من أمير المؤمنين عليه السلام ما يكفيكم جملة وقد أتيناكم مستنفرين لكم لأنكم جبهة الأنصار وسنام العرب وقد نقضا طلحة والزبير بيعتهما وخرجا بعائشة وهي من النساء وضعف رأيهن كما قال الله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ أما والله لئن لم تنصروه لينصره الله يتبعه من المهاجرين والأنصار وسائر الناس فانصروا ربكم ينصركم^(١).

خطبة قيس بن سعد بن عباد^(٢)

ثم قام سعد فقال: أيها الناس إن هذا الأمر لو استقبلنا به أهل الشورى لكان علي عليه السلام أحق الناس به لمكانه من رسول الله ﷺ وكان قتال من أبى حلالاً فكيف بالحجة على طلحة والزبير وقد بايعاه طوعاً ثم خلعا حسداً وبغياً وقد جاءكم علي عليه السلام في المهاجرين والأنصار^(٣).

كلام أبي موسى الأشعري

ولم يتحمل أبو موسى الحاق هذه الكلمات وهي تشيد بأمر المؤمنين عليه السلام فقام وقال: ... إن علينا إنما يستنفركم لجهاد أمكم عائشة وطلحة والزبير حوارى رسول الله ومن معهم من المسلمين وأنا أعلم بهذه الفتنة أنها إذا أقبلت شبهت

→ ٤٧٣٠ دار المعرفة بيروت.

(١) الجمل ص ١٣٢ للمفيد.

(٢) كان قيس من المخلصين في حبه لأهل البيت عليه السلام ثابت الإيمان / المؤلف.

(٣) الجمل: ص ١٣٣.

وإن أدبرت أسفرت وإن هذه الفتنة نافذة كداء البطن تجري بهما الشمال والجنوب..^(١).

زيد بن صوحان^(٢) يردّ على الأشعري

فقام زيد بن صوحان وكانت يده قُطعت يوم جلولاء أو القادسية وكان رسول الله ﷺ قد أخبر مسبقاً بقطع يده، حيث قال إنها تسبقه إلى الجنة^(٣) قال زيد ردّاً على كلام أبي موسى: يا أبا موسى تريد أن ترد الفرات عن أدراجه، إنه لا يرجع من حيث بدأ فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد، ويلك «ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون» أيها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين وأطيعوا ابن سيّد المرسلين - الإمام الحسن - وانفروا إليه أجمعون تصيبوا الحق وتظفروا بالرشد قد والله نصحتكم فأتبعوا رأيي ترشدون^(٤) ثم قام

(١) المصدر السابق.

(٢) يكنى أبا سلمان وقيل أبو سليمان وهو أخو صعصعة وسيحان ابني صوحان، أسلم على عهد رسول الله ﷺ وكان قد أدرك النبي ﷺ وصحبه وكان فاضلاً ديناً خيراً سيّداً في قومه هو وإخوته، وروي من وجوه أنّ النبي ﷺ كان في مسيرة له إذ هوّم فجعل يقول: زيد وما زيد فُشل عن ذلك فقال: تسبقه يده إلى الجنة ثم يتبعها سائر جسده / أسد الغابة ج ٢ ص ٣٦٣ رقم ١٨٤٨ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٤ م، والإصابة برقم ١٩١٧، والاستيعاب برقم ٨٥٧ / المترجم.

(٣) مرّ مصدره.

(٤) كانت راية قبيلة عبد القيس في حرب الجمل بيد زيد بن صوحان وقد أصيب في الحرب بعدة جراحات بليغة أدّت إلى استشهاده فقال له أمير المؤمنين ﷺ: رحمتك الله يا زيد كنت خفيف المؤونة عظيم المعونة، فقال زيد: وأنت فجزاك الله خيراً يا

بعده عبد خير وتكلّم راداً بكلامه على أبي موسى ثم تكلّم عمار وهيثم بن مجمع العامري وهند بن عمرو وغيرهم.

طرّد أبي موسى من قصر الإمارة

ومع إصرار أبي موسى على عدم مساندة الإمام علي عليه السلام بل تثبيطه الناس، بعث أمير المؤمنين علي عليه السلام مالك الأشتر ليطرده من مكانه ويعزله بالقوة، فأنتهى الأشتر إلى قصر الإمارة فدخله وأبو موسى في المسجد يخطبهم ويشبطهم فأخرج الأشتر غلمان أبي موسى من القصر فخرجوا يعدون وينادون: يا أبا موسى هذا الأشتر قد دخل القصر فضربنا وأخرجنا، فنزل أبو موسى فدخل القصر فصاح به الأشتر: أخرج لا أم لك أخرج الله نفسك فقال: أجلني هذه العشية، فقال: هي لك ولا تبيتن في القصر الليلة، ودخل الناس ينهبون متاع أبي موسى فمنعهم الأشتر وقال: أنا له جار فكفّوا عنه فنفر الناس مع مالك لمحاربة جيش البصرة^(١).

فمن جميع ذلك اتضح من هو أبو موسى لديكم، وكم هو حجم الحقد والبغض الذي يكنّه ضدّ أمير المؤمنين علي عليه السلام فماذا تنتظرون أن يحكم هذا الرجل المناق في موضوع التحكيم بعد حرب صفين؟ بلا شك أنه سيصدر حكماً لا يصبّ في مصلحة الإمام وشيعته بل سيسعى - أيضاً - إلى عزل الإمام علي عليه السلام لأنها

→ أمير المؤمنين فوالله ما عرفتك إلا بالله عليمًا وفي أم الكتاب عليًا حكيمًا وإن الله في صدرك لعظيم والله لم أقاتل معك عن جهل وإنما سمعت من أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله فكرهت أن أخذلك فيخذلني الله / المؤلف.

فرصته الوحيدة للإطاحة بأمير المؤمنين عليه السلام وهذا ما حصل بالفعل ، فليس الغباء (الذي تمثّل به أبو موسى) هو السبب في موضوع التحكيم بل يضاف إليه البغض الذي تحمله فطرة أبي موسى ضدّ الإمام علي عليه السلام .

خداع عمرو لأبي موسى

أما عمرو بن العاص فإنه قد وجد ضالّته في أبي موسى إذ عرف أنّه يحمل بين جنباته خبثاً وحقدّاً وبغضاً لعلي عليه السلام فسعى ليستغلّ منه هذا الجانب وهو القاسم المشترك بينهما فقال له : أنت تخلع صاحبك من الخلافة وأنا أخلع صاحبي منها أيضاً ونجعل الأمر شورى ، فوافق أبو موسى وتقدّم إلى الناس وقال عمرو لأبي موسى : يا أبا موسى أعلمهم أنّ رأينا قد اتّفق فقال أبو موسى : إنّ رأينا قد اتّفق على أمرٍ نرجو أن يصلح الله به أمر هذه الأمة فقال عمرو : صدق وبرّ تقدّم يا أبا موسى فتكلّم ، وأراد عمرو بذلك أن يقدّمه في خلع عليّ ، فلمّا تقدّم أبو موسى ليتكلّم قال له ابن عباس : ويحك والله إنّني لأظنّه قد خدعك إنّ كنتما اتّفقتما على أمرٍ فقدّمه فليتكلم به قبلك ثمّ تكلم به بعده فإنّه رجل غادر ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا بينكما فإذا قمّت في الناس خالفك .

وكان أبو موسى مغفلاً ومبغضاً لعليّ أيضاً لا يضرّه الأمر كثيراً فقال : إنّنا قد اتّفقنا وقال : أيّها الناس إنّنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نرْ أصلح لأمرها ولا ألمّ لشعثها من أمرٍ قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه وهو أن نخلع عليّاً ومعاوية ويولي الناس أمرهم من أحبّوا وإنّي خلعتُ عليّاً ومعاوية فاستقبلوا أمرهم وولّوا عليكم من رأيتموه أهلاً ، ثمّ تنحّى وقام عمرو فقال : إنّ هذا قد قال ما سمعتموه وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبتّ صاحبي معاوية فإنّه وليّ ابن

عَفَان والطالب بدمه وأحقَّ الناس بمقامه^(١).

وبرواية ابن أعثم الكوفي في تاريخه أنَّ عمرو بن العاص خلع خاتمه من يده وقال: كما خلعت خاتمي هذا خلعت علياً!! ثم لبس خاتمه وقال أنثبْتُ معاوية. وما إن سمعه أبو موسى حتَّى أدرك أنَّه مخدوع وكان عمرو طيلة هذه الفترة يضحك عليه ويخدعه فقال لعمرو: لا وفَّقك الله غدرت وفجرت إنَّما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، فأجابه عمرو: إنَّ مثلك مثل الحمار يحمل أسفارا^(٢) وكان تشبيهاً في موقعه المناسب لأنَّه يحكي صفة الغباء في أبي موسى، ثمَّ تساباً بينهما حتَّى روى البعض أنَّهم تضاريا بالأيدي والأرجل.

ما بعد التحكيم

بعد ذلك غضب أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته ووجَّهوا كلمات التأنيب والتحقير لأبي موسى المغفل الحاقد، فكان يقول: فما أصنع وافقني على أمرٍ ثمَّ نزع عنه. فقال ابن عباس: قَبِّحَ الله رأي أبي موسى حذرته وأمرته بالرأي فما عقل فكان أبو موسى يقول: حذرنِي ابن عباس غدره الفاسق^(٣).

فقالوا له: ألم ينصحك ابن عباس يا حمار الأشعرية أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قد علم حماقتك فلذلك كرهك للحكومة ولكنه أكرهه. فمن شدَّة خجله وندامته ركب بعيره وانطلق إلى مكَّة لكي لا يرى أمير المؤمنين عليه السلام.

عندها تحرَّك شريح بن هاني وهو من المخلصين لعلي عليه السلام فحمل علي

(١) أنظر تفصيله في الكامل ج ٣ ص ٢٠٦.

(٢) المصدر ص ٥٥٢ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ١١٣.

(٣) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١١٣.

عمرو ابن العاص بالسوط يضربه وحمل ابنُ عمرو على شريح فضربه بالسوط أيضاً وحجز الناس بينهم، وكان شريح يقول بعد ذلك: ما ندمتُ على شيء ندامتي على ضرب عمرو بالسوط ولم أضربه بالسيف^(١).

ولمّا وصلت أنباء الحكمين إلى الكوفة انتفض الشيعة وخطب كبارهم خطابات ثورية تدعو إلى رفض التحكيم وأعلنوا استعدادهم لخوض الحرب ضدّ معاوية مرةً أخرى، ووجهوا أشدّ كلمات النقد إلى الأشعث بن قيس الذي وقف وراء قضية التحكيم واختار الأشعري كحكم في الأمر لاسيّما كردوس بن هاني الذي حمل على الأشعث بن قيس بكلمات حادة رامية للوم عليه واعتبره السبب الرئيسي فيما حصل وحلّ بالمسلمين ثمّ أنشد:

ألا ليت من يرضى من الناس كلّهم	بعمرو وعبدالله في لجة البحر
رضينا بحكم الله لا حكم غيره	وبالله ربّاً والنبيّ وبالألذكر
وبالأصلح الهادي عليّ إمامنا	رضينا بذاك الشيخ في العسر واليسر
رضينا به حيّاً وميتاً وأنه	إمام هدئ في الحكم والنهي والأمر
فمن قال لا قلنا بلى إن أمره	لأفضل ما نعطاه في الليلة القدر
وما لابن هند بيعة في رقابنا	وما بيننا غير المثقفة السمر
ويض تنزل الهام عن مستقرّه	وهيهات هيهات الولا آخر الدهر
أت لي أشياخ الأرقام سبة	أسبّ بها حتّى أغيب في القبر

خطبة أمير المؤمنين بعد التحكيم

ولمّا وصلت هذه الأنباء المحزنة إلى مسامع أمير المؤمنين نالهم كثيرٌ ثمّ قام خطيباً فقال: الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل وأشهد

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،
أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالَمِ الْمَجْرَبِ تَوْرَثَ الْحَيَرَةِ وَتَعَقَّبَ النَّدَامَةَ
وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونٍ رَأْيِي، لَوْ كَانَ
يُطَاعُ لَقَصِيرُ أَمْرٍ فَأَيَّتُمْ عَلَيَّ إِيَاءَ الْمُخَالَفِينَ الْجَفَاءَ وَالْمُنَابِذِينَ الْعَصَاةَ حَتَّى ارْتَابَ
النَّاصِحُ بِنَصْحِهِ وَظَنَّ الزُّنْدَ بِقَدْحِهِ فَكُنْتُ أَنَا وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ :
أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوْىَ فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدَ^(١)

ظهور الخوارج

ولعلَّ أعجب من كلِّ عجب هو أمر الخوارج وهم أولئك الذين انطلقت
عليهم الخديعة السابقة وهي رفع المصاحف والخوا على أمير المؤمنين عليه السلام
بوجوب إيقاف القتال في صفين وأصرّوا على التحكيم واختاروا أبا موسى
الأحمر، وكان يتقدّم هؤلاء الأغبياء الأشعث بن قيس كما قلنا، وبعد انتهاء
التحكيم الذي أقاموه ودعوا إليه قام بعضهم وأطلق شعار «لا حكم إلا لله» وكان
أول من تكلم بذلك ذو النديّة، ورفضوا التحكيم كما رفضوا كلّاً من معاوية
باعتباره من الفرقة الباغية الكافرة وهكذا كفّروا عليّاً عليه السلام لأنّه قبل بالتحكيم مع
أنّهم هم الذين دفعوه والخوا عليه بقبول التحكيم فاستذوق بعض السفلة
والجهلة هذا الشعار (لا حكم إلا لله) والتفّوا حول حرقوص بن زهير (ذي
النديّة) ومسعر بن فدكي وزرعة بن البرج الطائي حتّى اجتمع حولهم خلق كثير
من البهائم البشرية ووقفوا ضدّ أمير المؤمنين عليه السلام الذي تمثّل الحقّ والصدق فيه
حتّى قال عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ» «عليّ مع القرآن

والقرآن مع علي^(١).

وقال الشهرستاني واصفاً الخوارج: مَن كان معه في حرب صفين وأشدَّهم خروجاً عليه ومروقاً من الدين الأشعث بن قيس ومسر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين^(٢).

وذكر الطبري في تاريخه: أن زُرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي دخلا على أمير المؤمنين فقالا له: لا حكم إلا لله فقال عليه السلام: لا حكم إلا لله، فقال حرقوص: تُب من خطيئتكَ وارجع عن قضيتكَ واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتَّى نلقى ربنا. فقال لهم الإمام: قد أردتكم على ذلك فعصيتُموني وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وشرطنا شروطاً وأعطينا عليها عهدنا وموائقنا وقد قال الله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بعهْد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون﴾^(٣) فقال حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما هو ذنب ولكنَّه عجز من الرأي، وضعف من الفعل، وقد تقدَّمت إليكم فيما كان منه ونهيتكم عنه.. ثمَّ خرجا من عنده بعدما لم ينفع معهما الدليل والبرهان والمنطق والحوار، وقد قال أمير المؤمنين لزُرعة: ما أشقاك كأني بك قتيلاً تسفي عليك الريح^(٤).

سؤال: كيف تحوَّل هؤلاء الأتباع إلى أعداء في وقت قصير مع مشاهدتهم الآيات وسماعهم الدلائل الواضحات في أحقية أمير المؤمنين عليه السلام؟

(١) مرَّت مصادره، وانظر فرائد السمطين ج ١ ص ١٧٦ ط بيروت، تحقيق المحمودي.

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١١٤ الفصل الرابع دار المعرفة بيروت ١٩٧٥ م.

(٣) النحل: ٩١.

(٤) الطبري ج ٣ ص ١١٣ - ١١٤.

الجواب: أولاً: هؤلاء لم يكونوا من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الحقيقيين ولا من محبيه المخلصين وإنما اعتبروا أنفسهم من شيعته وأتباعه بأن أقحموا أنفسهم في ركابه وتحت لوائه كما حصل ذلك مع رسول الله ﷺ بالنسبة للمنافقين الذين اتبعوا الرسول ﷺ بدون أي قناعة عقلية أو نفسية بل دفعتهم المصالح أو حرّكهم العقل الجمعي، لذلك نراهم في ساعة الابتلاء والامتحان يفشلون وينخرطون مع الفارين من سوح الميادين ومن كل موقف خطير.

ومن يقرأ صفات المنافقين في الصدر الأول - عصر النبي ﷺ - يلاحظ أنهم كانوا يقفون أحياناً بوجه النبي ﷺ بكل وقاحة وجراءة بل ويعترضون على بعض القرارات النبوية كما حصل ذلك في صلح الحديبية إذ قام جملة من المسلمين واعترضوا على رسول الله ﷺ في قبوله الصلح وامتنعوا حتى من تنفيذ أوامره، وهكذا الخوارج فإنهم منافقون نخلتهم الحروب وفضحتهم المواقف وكشفت زيفهم عدالة أمير المؤمنين عليه السلام.

وثانياً: وعندما نطالع يوميات المنافقين نلاحظهم أنهم كانوا يحافظون بقدر إمكانهم على الظواهر العبادية كالصلاة والصيام والحج بل ومن خلالها يعدّون من جملة المسلمين فينخدع بهم الجاهل البسيط.

وهكذا الخوارج فأكثرهم كان من قرّاء أو حفاظ القرآن الكريم ويغلب عليهم الزهد والتقشّف ليكسبوا بذلك قلوب العوام، ولكنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، هكذا أخبر عنهم رسول الله ﷺ في عهده.

سؤال: كيف أخبر عنهم رسول الله ﷺ ألا يمكن أن توضّح لنا ذلك؟

إخبار النبي ﷺ عن الخوارج

الجواب: لقد نقل الفريقان في مصادرهم المعتبرة أحاديث مختلفة عن رسول الله ﷺ فمثلاً ذكر البخاري في باب علامات النبوة ومسلم وأحمد بن

حنبل في المسند وشرح النهج لابن أبي الحديد^(١) والبخاري في مصابيح السنة وغيرهم ذكروا: أن رسول الله ﷺ عندما كان يقسم الغنائم حضر عنده ذو الخويصرة (حرقوص بن زهير ذو الثدية وهو من قبيلة تميم) وقال: يا رسول الله اعدل! فقال ﷺ: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل وقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، فقال عمر: انذن لي فأضرب عنقه. فقال رسول الله ﷺ: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلواتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر أحدكم إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرت والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على خير فرقة من الناس^(٢).

قال أبو سعيد: أشهد سمعتُ من النبي ﷺ وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ^(٣).

وذكر في العقد الفريد والإصابة في ترجمة ذي الثدية حرقوص بن زهير وهكذا مسند أبي يعلى عن أنس بن مالك قال: كان في عهد رسول الله ﷺ رجل يعجبنا تعبده واجتهاده وقد ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ باسمه فلم يعرفه، فوصفاه بصفته فلم يعرفه فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل قلنا: هو هذا.

قال: إنكم لتخبروني عن رجل أن في وجهه لسفعة من الشيطان، فلما جاء ونزل لم يُسلم على أحد فقال له النبي ﷺ: أنشدك الله هل قلت حين وقفت

(١) شرح النهج ج ٢ ص ٢٦٦ دار إحياء الكتب العربية والبحار ج ٣٣ ص ٣٣٥.

(٢) صحيح البخاري ج ٢٤ كتاب استتابة المرتدين ص ٥٢ رقم ٦٥١٨ دار إحياء التراث العربي بيروت بشرح الكرمانلي.

(٣) المصدر نفسه.

على المجلس ما في القوم أحد أفضل مني أو خير مني؟ قال: اللهم نعم، ثم دخل يصلي فقال رسول الله ﷺ: من يقتل الرجل؟ فقال أبو بكر: أنا فدخل عليه فوجده يصلي فقال: سبحان الله أقتل رجلاً يصلي وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل المصلين فخرج فقال رسول الله ﷺ: ما فعلت؟ قال: كرهت أن أقتله وهو يصلي وأنت قد نهيت عن قتل المصلين قال: من يقتل الرجل؟ قال عمر: أنا فدخل فوجده واضعاً جبهته، فقال عمر: أبو بكر أفضل مني فخرج فقال له النبي ﷺ: مه؟ قال: وجدته واضعاً وجهه لله فكرهت أن أقتله، فقال: من يقتل الرجل؟ فقال علي: أنا، فقال: أنت إن أدركته، فدخل عليه فوجده قد خرج فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: مه؟ قال: وجدته قد خرج قال: لو قُتل ما اختلف من أمتي رجلان كان أولهم وآخرهم^(١).

وأخيراً نزعم هذا الرجل الضالّ المضلّ فرقة الخوارج فيما بعد حرب صفين وقُتل فيها وسبق إلى النار، إذن فالصلاة والزهد والعبادة لا تعصم الإنسان إذا كانت لغير وجه الله أو إذا كانت عن جهل أو نفاق.

وجاء في كتاب تلبيس إبليس والعقد الفريد عن ابن عباس لما بعثه أمير المؤمنين للتفاهم مع الخوارج وهدايتهم قبل الحرب قال: لم أر قط أشدّ منهم اجتهداً، جباههم قرحة من السجود وأياديهم كأثنا ثفن الإبل وعليهم قمص مرحضة مشمرين مسهمة وجوههم من السهر^(٢).

وجاء في كنز العمال وتلبيس إبليس والأوسط للطبراني وغيرها عن جندب

(١) الإصابة ج ٢ ص ٣٤١ رقم ٢٤٥٢ تحت اسم (ذو الثدية) دار الكتب العلمية بيروت

١٩٩٥م وشرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٦٧ دار إحياء الكتب العربية، والبحار ج ٣ ص ٣٢٧.

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٨٨، ٣٨٩، ط: دار الكتاب العربي ١٩٥٦م.

ابن زهير الأزدي الغامدي - وهو من كبار التابعين والمخلصين في الولاء لأمير المؤمنين عليه السلام والشجعان المعروفين اشترك في الجمل وصفين -: لما كنا مع أمير المؤمنين أمام الخوارج فإذا لهم دويّ كدويّ النحل من قراءة القرآن^(١).

نعم بهذا الشكل يخدعون أنفسهم ويخدعون المغفلين ويكسبون قطاعات واسعة من الجهلة المحاربين الذين يعتقدون بقداسة هؤلاء، وقد غاب عنهم أن ترجمة القرآن إلى واقع عملي والالتزام بآياته في مقام الفعل هو الأصل من تنزيله، ولذلك نجد الخوارج في مقام العمل لا تظهر عليهم آثار القرآن بل لا يلتزمون به أبداً فيقتلون الأبرياء والصحابة والنساء والأطفال وقد أوصى رسول الله ﷺ في الحروب كافة أن لا يتعرّضوا إلى الشيوخ المستنّين والأطفال والجرحى والنساء، ولو أسر مثل هؤلاء فمن الأدب والخلق الإسلامي أن يُحترموا كثيراً، بينما نجد الخوارج قد قتلوا أناساً أبرياء وبقروا بطن المرأة الحامل وقتلوا الأطفال.

سؤال: أرجو أن تذكر لنا بعض هذه الأمور كيف قتلوا النساء والأطفال؟
الجواب: فمن باب المثال أكتفي بذكر هذه الحادثة المؤلمة:

استشهاد عبدالله بن خُبَّاب

لما أقبل بعض الخوارج من البصرة إلى الكوفة لقوا عبدالله بن خُبَّاب^(٢)

(١) المصدر نفسه.

(٢) خُبَّاب والد عبدالله كان من خيار أصحاب النبي ﷺ وهو سادس من أسلم في مكة وكان من الفقراء والمعذبين فيها. قال الشعبي: إنَّ خُبَّاباً صبر ولم يعط الكفَّار ما سألوا فجعلوا يلزقون ظهره بالزُصْف حتى ذهب لحم متنه (والزُصْف هي الحجارة التي حُميت بالنار).

ومعه امرأته فقالوا له: مَنْ أنت؟ قال: أنا عبدالله بن خبّاب صاحب رسول الله ﷺ فسألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ فأثنى عليهم خيراً فذبحوه فسال دمه في الماء وقتلوا المرأة وهي حامل متمّ فقالت: أنا امرأة ألا تتقون الله؟ فبقروا بطنها^(١)، وعبدالله هذا هو أوّل مولود ولد في الإسلام مع ابن الزبير وقد سمّاه رسول الله ﷺ عبدالله وقال لوالده: أنت أبو عبدالله^(٢).

وقد تربّى هذا الوليد المبارك في بيت ملؤه الإيمان وشرب حبّ الوصي عليه السلام منذ نعومة أظفاره، وقد ذكرت حادثة قتله في المصادر بين الإجمال والتفصيل، فقد ذكر البعض أنّه لما خرج كان على حمار له ومعه امرأته فلما صادفوه أولئك النفر من الخوارج خاف منهم فقالوا له: لا روع عليك هل سمعت حديثاً عن أبيك عن النبي ﷺ؟ قال: نعم قال ﷺ: إن فتنة تكون

→ وكان رسول الله يألّفه فأخبرت به مولاته فكانت تأخذ الحديد المحمّاة فتضعها على رأسه فشكا ذلك إلى رسول الله فقال: اللّهمّ انصر خبّاباً وشهد مشاهد رسول الله كلّها وكذا شهد الجمل وصفين وتوفّي عام ٣٩هـ ودفن في ظهر الكوفة فقال عنه أمير المؤمنين عليه السلام: رحم الله خبّاباً فقد أسلم وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً وابتلي في جسمه ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً / أسد الغابة ج ٢ ص ١٤٧ رقم ١٤٠٧ دار الكتب العلمية بيروت.

(١) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٢٣ رقم ٢٩١٧ والإصابة ج ٤ ص ٦٤ رقم ٤٦٦٦ بعد أن طلبوا منه حديثاً فقال: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: يكون من بعدي قوم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم.

وقد ذكر قصّة قتل عبدالله بن خبّاب كلّ من الطبري والكامل وأسد الغابة وشرح النهج وتلبّيس إبليس والفتوح والإصابة وغيرهم كما ستأتي بعض هذه المصادر لاحقاً.

(٢) الإصابة ج ٤ ص ٦٤ رقم ٤٦٦٦ دار الكتب العلمية بيروت.

يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه يمسي فيها مؤمناً ويصبح فيها كافراً ويصبح فيها كافراً ويمسي فيها مؤمناً^(١).

وعلى رواية ابن أبي الحديد المعتزلي: إن فتنة جاءت القاعد فيها خير من القائم.. الحديث وقال غيره بل حدثهم: إن طائفة تمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقرأون القرآن صلاتهم أكثر من صلاتكم... الحديث^(٢).

فقالوا له: ما تقول في أبي بكر وعمر وعثمان، فأثنى عليهم، ثم قالوا: فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده؟ قال: إنه أعلم بالله منكم وأشدّ توفياً على دينه وأنفذ بصيرة^(٣) ثم ذبحوه على شاطئ النهر^(٤).

وفي تاريخ الكامل: قالوا له: والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحداً فأخذوه وكثفوه ثم أقبلوا به وبامراته وهي حُبلى متمّ حتى نزلوا تحت نخل مواقير فسقطت منه رطبة فأخذها أحدهم فتركها في فيه فقال آخر: أخذتها بغير جلّها وبغير ثمن فألقاها، ثم مرّ بهم خنزير لأهل الذمة فضربه أحدهم بسيفه فقالوا: هذا فساد في الأرض، فلقي صاحب الخنزير فأرضاه فلماً رأى ذلك منهم ابن خباب قال: لئن كنتم صادقين فيما أرى فما عليّ منكم من بأس إنّي مسلم ما أحدثت في الإسلام حدثاً ولقد أمنتهموني، قلت: لا روع عليك، فأضجعوه فذبحوه فسال دمه في الماء وأقبلوا إلى المرأة فقالت: أنا امرأة ألا تتقون الله فبقروا بطنها وقتلوا ثلاث نسوة من طيء وقتلوا أمّ سنان الصيداوية^(٥).

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١١٩ دار الكتب العلمية ١٩٨٨.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ٢٦٩ دار إحياء الكتب العربية.

(٣) الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٢١٨.

(٤) شرح النهج ج ٢ ص ٢٨٢ دار إحياء الكتب العربية.

(٥) الكامل ج ٣ ص ٢١٨ والطبري ج ٣ ص ١١٩.

فهذه نماذج من أفعال هؤلاء القراء الذين لا يتجاوز القرآن حناجرهم الذين مرقوا من الدين وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾^(١) وقد صرح عبدالله لهم بأنه مسلم ومع ذلك قتلوه وامرأته وطفلها، فهذه الأفعال ليست من الإسلام في شيء وهؤلاء القوم ليسوا من القرآن والإسلام في شيء تماماً.

ولما وصلت هذه الأنباء إلى مسامع أمير المؤمنين عليه السلام تألم وتأثر كثيراً، وقال: اللهم رب البيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور والكتاب المسطور، أسألك الظفر على هؤلاء الذين نبذوا كتابك وراء ظهورهم وفارقوا أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إتمام الحجة على الخوارج

ولم يرغب الإمام عليه السلام في قتالهم قبل إتمام الحجة عليهم مع ما لزمهم من الحجج فبعث إليهم الإمام الحسن عليه السلام وعبدالله بن جعفر تارة، وأخرى عبدالله بن أبي عقب وصعصعة بن صوحان. ولا نريد أن نذكر كلمات هؤلاء الرجال العظام لئلا يطول بنا المقام، ثم أرسل إليهم بعض الرسائل في الموعظة والنصيحة عسى أن يرجعوا إلى عقولهم ويهتدوا إلى الحق، إلا أنهم كانوا يردون بأقسى الكلمات وأخشنها. عندها أمر أمير المؤمنين عليه السلام بقتالهم بعد أن وصلت إليه ثلاث رميات منهم وهم ينادون لا حكم إلا لله ولو كره المشركون، فبعث إليهم ابن عباس ليكلّمهم فقال ابن عباس: إني أخاف هؤلاء القوم، فقال له: إذهب وأنا من خلفك، فذهب واحتجّ عليهم بالدلائل الواضحة والبراهين اللائحة إلا أنهم أصروا على مقابلة الإمام والتحدّث معه.

احتجاج الخوارج على أمير المؤمنين

فرجع ابن عباس ونقل ما حدث لأمر المؤمنين عليه السلام وقال له: إن القوم يرغبون في التحدث معك، فذهب إليهم الإمام وسلم عليهم فقالوا له: ... فإن عمراً لما أبى عليك أنقول في كتابك هذا ما كتبه عبدالله علي أمير المؤمنين محوت اسمك من الخلافة وكتبت علي بن أبي طالب فقد خلعت نفسك؟ فقال عليه السلام: لي في رسول الله ﷺ أسوة حين أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب: هذا كتاب كتبه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو، وقال له: لو أقررت بأنك رسول الله ما خالفتك ولكني أقدمك لفضلك فاكذب محمد بن عبدالله فقال لي: يا علي امح (رسول الله) فقلت: يا رسول الله لا تشجعني نفسي على محو اسمك من النبوة قال: فقصي عليه فمحاها بيده...^(١). وبهذا انتهت شبهتهم الأولى فقالوا: هذه لك خرجت منها.

ثم قالوا له: إنك شككت في نفسك حين قلت للحكمين: انظرا فإن كان معاوية أحق بها فأثبتاه وإن كنت أولى بها فأثبتاني.. فقال عليه السلام: إن ذلك لم يكن شكاً مني ولكني أنصفت في القول، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَا أَوْ يَاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ولم يكن ذلك شكاً وقد علم الله أن نبيه على الحق، قالوا: وهذه لك.

ثم قالوا: إنك جعلت الحكم إلى غيرك وقد كنت عندنا أحكم الناس؟ فقال: فهذا رسول الله ﷺ قد جعل الحكم إلى سعد بن عباد يوم بني قريظة وقد كان أحكم الناس وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فتأسيت برسول الله ﷺ. قالوا: وهذه لك بحجتنا.

(١) شرح النهج ج ٢ ص ٢٧٥ دار إحياء الكتب العربية.

ثم قالوا: إِنَّكَ حَكَمْتَ الرجال في دين الله ولم يكن ذلك إليك؟ فقال ﷺ: فما حَكَمْتَ الرجال وإنَّما حَكَمْتَ كلام ربي الذي جعله الله حكماً بين أهله وقد حَكَمَ الله الرجال في طائر فقال: «ومن قتل منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم» فدماء المسلمين أعظم من دم طائر، قالوا: وهذه لك بحجتنا.

ثم قالوا: إِنَّكَ قَسَمْتَ بيننا الكراع والسلاح يوم البصرة ومنعنا النساء والذرية؟ فقال: فَإِنِّي مَنَنْتُ على أهل البصرة كما منَّ رسول الله ﷺ على أهل مكة فإن عدوا علينا أخذناهم بذنوبهم ولم نأخذ صغيراً كبيراً وبعد فأَيْكُمْ كان يأخذ عائشة في سهمه؟ قالوا: وهذه لك بحجتنا.

ثم قالوا: إِنَّكَ كُنْتَ وصياً فُضِّعَت الوصية؟ فقال ﷺ: فَأَنْتُمْ كَفَرْتُمْ وَقَدْ مَتَمَّ عَلَيَّ وَأَزَلْتُمْ الْأَمْرَ عَنِّي وَلَيْسَ عَلَى الْأَوْصِيَاءِ الدَّعَاءُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا يَبْعَثُ اللَّهُ الْأَنْبِيَاءَ ﷺ فَيَدْعُونَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَالْوَصِيُّ مَدْلُولٌ عَلَيْهِ مُسْتَفْنٍ عَنِ الدَّعَاءِ إِلَى نَفْسِهِ وَذَلِكَ لِمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ﷺ وَلَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ ذِكْرَهُ: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» فَلَوْ تَرَكَ النَّاسُ الْحِجَّ لَمْ يَكُنِ الْبَيْتُ لِيَكْفُرَ بِتَرْكِهِمْ إِيَّاهُ وَلَكِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِتَرْكِهِمُ الْبَيْتَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَصَبَهُ لَهُمْ عِلْماً وَكَذَلِكَ نَصَبَنِي عِلْماً حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عَلِيُّ أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ الْكَعْبَةِ تَوْتِي وَلَا تَأْتِي، فَأَذَعْنُوا فَرَجَعَ بَعْضُهُمْ وَبَقِيَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ لَمْ يَرْجِعُوا^(١).

ثم قال ﷺ: نحن أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وعنصر الرحمة ومعدن العلم والحكمة نحن أفق للحجاز بنا يلحق البطيء والينا يرجع التائب أيها القوم. ثم قال لهم: وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فأبَيْتُمْ

(١) رواه الطبرسي في الاحتجاج ج ١ ص ١٨٧ بيروت.

عليّ إياه المخالفين المنابذين حتّى صرفت رأيي إلى هواكم وأنتم معاشر أخفاء الهام سفهاء الأحلام ولم آت لأبأ لكم بجرا ولا أردتُ بكم ضرراً^(١).

ثمّ بشرهم بالقتل في صبيحة اليوم الثاني:

إنّي نذير لكم أن تصبحوا تليفكم الأمة غداً صرعى بأثناء هذا النهر.. بغير بيّنة من ربّكم^(٢).

وفي الصباح اصطفّى من بقي مع الخوارج يطلبون القتال وكان ذلك في التاسع من شهر صفر ٤٠هـ - في يوم النوروز - فلم تنفع معهم كلّ الحجج الدامغة فهم كما قال الله تعالى: ﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا أن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾.

فوقف جيش أمير المؤمنين عليه السلام أمامهم وخرج الإمام فنادى فيهم وطلب أن ينزعلوا فرقتين من كان معه في صفّين ومن لم يحضرها معه فاتفرجوا، ثمّ قال لهم: امسكوا عن الكلام وانصتوا لقولي بأفئدتكم إليّ فمن نشدناه شهادة فليقل بعلمه فيها، ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف - حيلة وغيلة ومكرّاً وخديعة - إخواننا وأهل دعوتنا استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه، فالرأي القبول منهم، والتنفيس عنهم فقلّت لكم: هذا أمر ظاهره إيمان وباطنه عدوان وأوله رحمة وآخره ندامة فأقيموا على شأنكم والزموا طريقتكم وعصّوا على الجهاد بنوا جذكم ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق إن أجيب أضلّ وإن ترك ذلّ وقد كانت هذه الفعلّة وقد رأيتمكم أعطيتموها، والله لئن أبيتها ما وجبت عليّ فريضتها ولا حمّلني الله ذنبها ووالله إن جثتها إنّي للمحقّ الذي يتّبع وإنّ الكتاب لمعي، ما

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢٠ - ١٢١ وقريب من ألفاظه في الكامل ج ٣ ص ٢٢٠.

(٢) الطبري ج ٣ ص ١٢٠.

فارقته مذ صحبتہ..^(١).

ولكن كان الشيطان قد فعل فعلته مع هؤلاء، وكانوا هم مرتعاً له فقسّت قلوبهم فهي كالحجارة لا يفقهون شيئاً كأنهم خشب مسندة فامتنعوا عن الجواب.

بعدها أعطى أمير المؤمنين عليه السلام الراية لأبي أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ وقال لهم: من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل فهو آمن ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن^(٢)، فانصرف قسم كبير منهم وبقي ألفان وثمانمائة وعلى رواية أربعة آلاف^(٣) زحفوا نحو أمير المؤمنين عليه السلام ومع ذلك لم يرغب الإمام في إراقة دمائهم ودفعته عاطفته ورحمته إلى محاولة أخيرة فقال لأصحابه وقد مسك بيديه قرآناً: أيكم يأخذ هذا القرآن ويذهب إلى القوم ويدعوهم إلى الله ورسوله فيقتل ومكانه في الجنة؟

فقام فتى من بني عامر بن صعصعة فقال: أنا يا أمير المؤمنين، فلما رآه الإمام فتى يافعاً قال له اجلس في مكانك، ثم أعاد كلامه الأول فلم يقم إلا هذا الفتى ثم كرّره ثالثاً فقام الفتى وقال: لييك، فقال له الإمام: إنك مقتول، فأخذ القرآن بيده وتقدّم إلى القوم ودعاهم إلى الله ورسوله ﷺ فرشقوه بالسهام على يده ووجهه ومزقوا القرآن بسهامهم فعاد الفتى إلى الإمام وسقط من جواده ميتاً ليدخل الجنان من أوسع أبوابها^(٤).

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ١٢٢، ط: دار الأسوة، ١٤١٥هـ.

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢١.

(٣) مروج الذهب ج ٢ ص ٤٠٦.

(٤) المناقب للخوارزمي ص ١١٨ - ١١٩ ورويت الحادثة في حرب الجمل والله

بداية الحرب ونهايتها

ثُمَّ شَدُّوا عَلَى جَيْشِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَنَهَضَ إِلَيْهِمُ الرِّجَالُ بِالرِّمَاحِ وَالسِّيفِ
فَمَا لَبَثُوا أَنْ أَنَامُوهُمْ فَكَأَنَّمَا قِيلَ لَهُمْ: مَاتُوا فَمَاتُوا، وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَالَ
لَأَصْحَابِهِ: وَاللَّهِ لَا يَقْتُلُ مِنْكُمْ عَشْرَةً وَلَا يَسْلِمُ مِنْهُمْ عَشْرَةً^(١).
وَفَعَلًا لَمْ يَقْتُلْ مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ إِلَّا تِسْعَةً أَوْ سَبْعَةً وَلَمْ يَفْلِتْ مِنَ الْخَوَارِجِ
إِلَّا ثَمَانِيَةً^(٢).

وَكَانَ أخطرُ عناصرِ الْخَوَارِجِ رَجُلَانِ هُمَا حَرْقُوصُ بْنُ زُهَيْرٍ ذُو الشَّدِيدَةِ
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ لَعْنَهُمَا اللَّهُ وَقَدْ قَتَلَهُمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَكَانَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ ذَلِكَ كَمَا صَرَّحَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: يَقْتُلُهُ خَيْرُ أُمَّتِي مِنْ
بَعْدِي^(٣) أَيِ لَذِي الشَّدِيدَةِ، وَأَمَّا الْفَارَّوْنُ فَقَدْ انْطَلَقَ اثْنَانِ مِنْهُمْ إِلَى خِرَاسَانَ وَبَقِيََا
فِي سَجِسْتَانَ، وَاثْنَانِ مَضَى إِلَى الْيَمَنِ وَاثْنَانِ مَضَى إِلَى عَمَانَ وَاثْنَانِ مَضَى إِلَى
الْجَزِيرَةِ قَرِبَ الْفَرَاتِ، وَوَاحِدٌ فَرَّ إِلَى تَلِّ قَافَانَ.

وَالْخَوَارِجُ الَّذِينَ تَشَكَّلُوا بَعْدَ سِنِينَ طَوِيلَةٍ مِنْ نَسْلِ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ الَّذِينَ
فَرَّوْا مِنَ الْحَرْبِ، وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَخْبَرَ بِذَلِكَ بَعْدَ نِهَايَةِ الْحَرْبِ فَقَدْ سَجَدَ
سُجْدَةَ الشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى فَقَالَ لَهُ أَحَدُ أَصْحَابِهِ: قَدْ قَطَعَ اللَّهُ دَابِرَهُمْ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ،
فَقَالَ الْإِمَامُ عليه السلام: كَلَّا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَإِنَّهُمْ لَفِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ

→ العالم / المترجم.

(١) شرح النهج ج ٢ ص ٢٧٣ دار إحياء الكتب العربية، وذكر الطبري ج ٣ ص ١٢٣ أَنَّ
المقتولين من جيش الإمام سبعة.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) شرح النهج ج ٢ ص ٢٦٨ دار إحياء الكتب العربية.

النساء لا تخرج خارجة إلا وقد خرجت بعدها مثلها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الأسط، يخرج إليه رجل من أهل البيت فيقتلهم ولا يخرج بعدها خارجة إلى يوم القيامة^(١). ثم قَسَمَ أمير المؤمنين عليه السلام غنائم الحرب بين أصحابه.

نتيجة ما تقدّم والإجابة عن السؤال الثاني لأصل موضوع الكتاب عن سبب تفرّق الأُمَّة

هذا حاصل ما تفرّع وما فرضته طبيعة البحث حول الاختلافات العشرة التي ذكرها الشهرستاني وذكرناها عنه لبيان الحقيقة عن الأسباب الرئيسية وراء تفرّق الأُمَّة إلى ثلاث وسبعين فرقة كما تقدّم، وقد رأيت كيف أنّ الاختلافات كان بعضها يتبع بعض فلولا الاختلاف الأول لما وصلت الأُمَّة إلى الاختلاف الثاني وهكذا، إذ إنّ الاختلاف الأول أعطى لبعض الأفراد الجرأة والوقاحة على الاعتراض.

سؤال : ما هو قصدكم عن الاختلاف الأول الذي أوجب التفرقة؟
الجواب : لقد ذكره الشهرستاني في الملل والنحل وذكرناه أيضاً في بداية الكتاب وذلك عندما طلب النبي ﷺ في مرض موته كتباً ودواة ليكتب كتاباً لا تضلّ بعده الأُمَّة أبداً فمنع عمر بن الخطاب من ذلك وقال إنّ ﷺ يهجر أو غلبه الوجد أو المرض حسبنا كتاب الله!!!^(٢)
وعلى أثر هذه الجرأة من عمر بن الخطاب افترق الرجال إلى فريقين

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٤٠٧ دار الأندلس بيروت ١٩٦٥.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٦ المقدمة الرابعة، دار الفكر.

بعضهم قال ما قاله عمر وبعضهم أمر بكتف ودواة طاعة لأمر النبي ﷺ إذ إن أمره واجب الطاعة من جهة، ولأن في كتابة مثل هذا الكتاب هداية للأمة، فما فعله عمر بن الخطاب في ذلك اليوم أدى إلى أمرين:

١- دفع الناس إلى الوقاحة والجرأة والاعتراض على أوامر رسول الله ﷺ وعلى كل قائد وخليفة ديني يريد مصلحة الأمة.

٢- وشتت الوحدة الإسلامية التي صنعها رسول الله ﷺ بأخلاقه وجهاده وفرق - عمر - بفعله هذا بين الرجال إلى أن انجر الأمر إلى حصول الافتراق الثاني في الأمة.

وبهذا الجواب المختصر نكون قد أجبنا عن السؤال الثاني حول سبب افتراق الأمة وعرفتم من هو الموجد لهذا الافتراق.

سؤال: كيف يُعقل أن الخليفة عمر المعروف بسياسته وحنكته يكون سبباً لافتراق الأمة مع أنه خليفة رسول الله ﷺ؟
الجواب:

أولاً: إن هذه الكلمة التي قالها عمر يومذاك قالها ولم يكن خليفة، غاية ما في الأمر أنه كان والد زوجة النبي ﷺ وبالتالي كان فرداً من أفراد الأمة، لا غير.

ثانياً: لقد دفعته الأغراض السياسية ليقف دون كتابة هذا الكتاب المهم حول خلافة الأمة، ولكن هذا العمل بحد ذاته - سواء كان يقصد أو لا - أدى إلى حصول التفرقة فاستفاد بقية المنافقين من هذه الأجواء.

إن المنافقين الذين كان يرأسهم عبدالله بن أبي بن سلول كانوا دائماً يبحثون عن الفرص الاستثنائية ومن خلالها يدفعون بعض الأشخاص إلى مواقع خطيرة، والتي بدورها توجد الاختلاف والتفرقة.

فعندما قال عمر كلمته هذه في مرض النبي ﷺ استغل المنافقون الفرصة وصاروا إلى جانب عمر وكثروا وأيدوا ما قاله، بينما التزم جماعة من الصحابة رأياً مخالفاً لرأي عمر ومن هناك بدأت بوادر ظهور الاختلاف بين أكبر فرقتين اليوم أعني الشيعة والسنة، وعمل هذا الفريق العمري الذي استغل من قبل بني أمية والخوارج والنواصب لتشويه حقائق الشيعة منذ ذلك الوقت وإلى اليوم، حتى كنتم أنتم ضحية هذه الأكاذيب والدعايات التي قالت لكم إن الشيعة ظهرت أيام خلافة عثمان على أثر دعوة عبدالله بن سبأ اليهودي لعنه الله في مصر.

الشيعة هم أهل السنة

فالشيعة هم الذين يتابعون محمداً وآل محمد ﷺ من اليوم الأول لهم وهم الذين يتبعون رسول الله ﷺ في جميع أقواله وأفعاله ويسيرون بهدي سنته وسيرته، فهم أهل السنة إذن، بينما عمل المنافقون على خلط الأوراق فجاءوا بسنة عمر وادّعوا أن السني هو من اتبع سنة عمر أو سيرة الشيخين خلافاً للمعنى الصحيح للسنة وهي متابعة رسول الله ﷺ وأهل بيته من بعده. فالسني الذي يلتزم بسيرة عمر بن الخطاب ليس من السنة في شيء لأن سنة عمر غير سنة النبي ﷺ، فالنبي ﷺ لما يأمر بإحضار كتف ودواة ليكتب كتاباً لا تفضل الأمة بعده أبداً، بلا شك أن هذا الأمر جاء عن طريق الوحي وبالتالي فهو أمر إلهي ومع ذلك تجزأ عمر ووقف أمام النبي ﷺ ومنع من تحقق كتابة الكتاب، والحال أنه من غير المعقول أن يقف المسلم هذا الموقف السلبي ويرد الأمر الإلهي، فأطلقوا على كل من سار خلف سيرة عمر أنه سني وعلى كل من خالف سيرة عمر أنه رافضي!!

إذن عليكم أن تدركوا حقائق التاريخ بدقّة علمية وبتفحص بعيداً عن التعصب والأغراض الجانيبة وما يمليه علينا الاتجاه السائد الذي نحن فيه فإن العودة إلى أحداث سنة ١١ هـ وبالذات في مرض النبي ﷺ تعطي الإنسان زخماً ورصييداً من التأمل الفاعل الذي يكشف لك النوايا والدوافع التي وقفها بعض الرجال الذين منعوا النبي ﷺ من كتابة هذا الكتاب.

سؤال: ما المانع أن يتحد الشيعة والسنة اليوم وتُرفع جميع هذه الاختلافات لنعيد إلى الأمة الإسلامية مجدها المسلوب منها وقوتها العظيمة؟

الجواب: هذا الذي تتكلم عنه هو هدف رسول الله ﷺ وهو الغرض الذي أراد الله لنا إذ قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾^(١) وقال تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾^(٢).

وقد جسّد النبي ﷺ هذا الغرض من خلال سيرته فقد جمع العرب في الدين الواحد على اختلاف أذواقهم وعاداتهم، ولكن مع الأسف ذهبت هذه الجهود الجبارة بفعل المنافقين وشياطين الإنس والجنّ فقد رموا بحجر التفرقة وكان أولها في يوم مرض النبي ﷺ كما تقدّم.

تعصب بعض أهل السنة يحول دون وحدة المسلمين

وأما قولك إننا نرفع الاختلافات فيما بيننا فهو أمر جيّد بحدّ ذاته ولكن الأمر أكثر تعقيداً ممّا تتصوّر فإنّ الهوة بيننا اليوم أصبحت واسعة والفاصلة كبيرة جداً وقد سعى البعض لتوسيع الفارقة وتكريس الاختلاف انطلاقاً من (فرق تسد) كبني أميّة الذين كان مثل هذا الاختلاف يصبّ في مصلحتهم وتوسيع رقعة

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

حكمهم، بل سرى هذا الاختلاف والافتراق إلى نفس أبناء وطوائف المذهب السنّي فإنّ الاختلافات فيما بين المذاهب السنّية لعلّه أكثر من الاختلاف بين الشيعة والسنة انطلاقاً من العقائد والتفسير والكلام وإلى الفقه، ولو أُلقيت نظرة إلى هذه الكتب الثلاثة (الفرق بين الفرق) للبغدادي و(الفصل) لابن حزم و(الملل والنحل) للشهرستاني لوجدت أنّهم يذكرون خمسين مذهباً من مذاهب أهل السنة وبعضهم يكفر البعض الآخر ضمن كتبهم الخاصّة في المواقع الخاصّة أيضاً^(١).

فالمطلوب أولاً من زعماء وكبراء أهل السنة أن يعقدوا مؤتمراً خاصاً فيما بينهم ليتحاوروا حول الاختلافات التي مضى عليها أكثر من ألف عام فيما بينهم كمذاهب سنّية، ويخرجوا في نهاية الأمر بمذهب سنّي واحد فيكون الطريق إلى التفاهم والوحدة مع الشيعة يسيراً جداً، وإلا فلو فكّرنا كشيعة أن نتحد مع إخواننا أهل السنة يتابنا التحير مع مَنْ نتحد؟ فلو مددنا أيدينا إلى الأشاعرة لتتحد معهم فإنّ الأمر يغيض المعتزلة وسوف يخالفوننا بلا شكّ وهكذا العكس، وهكذا لو فعلنا واتحدنا مع الحنفية أو المالكية أو الحنبلية أو الشافعية فكلّ فرقة ستنظر إلى الأمر من زاويتها الخاصّة فالمشكلة إذن ليست فينا والاتحاد لا ينحصر سببه فينا وإنّما هو فيما بين المذاهب السنّية نفسها.

ولو أغمضنا العين عن كلّ ذلك واتصلنا مع الجميع فإنّ الوهابية ستخالف، بل وستعمل لضرب هذه الوحدة لأنّهم ينظرون إلى أنفسهم كمذهب مستقلّ. ولعلّ أكبر شاهد على صدق الأمر هو ما حصل قبل عدّة سنين عندما أفتى الشيخ محمود شلتوت زعيم الأزهر في مصر بجواز العمل بمذهب الشيعة الاثني عشرية وأنّهم مسلمون.

(١) سيتناول المؤلف هذا البحث حول فرق أهل السنة.

فقامت ضده أقسى الحملات الإعلامية من قبل الوهابية عبر جرائدها الصادرة في الرياض وهكذا من قبل بعض أهل السنة هنا وهناك أنه لماذا تُعدّ مذهب الشيعة (الروافض المشركين) من الإسلام!!
والحال أنه لم يحصل أي اتحاد بعد، ولم يُرفع أي اختلاف فكيف تتصوّرون الأمر إذا اتحدنا!!

نص فتوى الشيخ شلتوت بجواز العمل بمذهب الشيعة الاثني عشرية

١- إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معيّن بل نقول: إن لكلّ مسلم الحقّ أن يقلّد بأيّ مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً والمدوّنة أحكامها في كتبها الخاصّة، ولمن قلّد مذهباً من هذه المذاهب (أي المذاهب الأربعة) أن يتقلّد إلى غيره - أي مذهب كان - ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

٢- إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك وأن يتخلّصوا من العصبية بغير الحقّ لمذاهب معيّنة، فما كان دين الله وشريعته مبايعة لمذهب أو مقصورة على مذهب فالكُلّ مجتهدون مقبولون عند الله تعالى يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقرّونه في فقههم ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات^(١).

(١) أقول: نشرت نص الفتوى مجلّة الشراع اللبنانية في عددها ١١٩ الصادر عام

→ ١٩٨٤ - السنة الثالثة وإليك صورة منه :

فتوى الشيخ محمود شلتوت

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب شيخ الجامع الأزهر

نص الفتوى التي أصدرها السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، في شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية .

قيل لفضيلته : إن بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلد أحد المذاهب الأربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة الإمامية ، ولا الشيعة الزيدية ، فهل توافقون فضيلتكم عل هذا الرأي على إطلاقه ، فيمنعون تقليد مذهباً الشيعة الإمامية الاثني عشرية مثلاً؟

فأجاب فضيلته :

١ - إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه مذهباً معيناً ، بل يقول إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بادئ ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة ، ولمن قلّد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره - أي مذهب كان - ولا حرج عليه في شيء من ذلك .

٢ - إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة ، فما كان دين الله وشريعته مبايعة لمذهب أو مقصورة على مذهب فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقرّونه في فقههم ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات .

توقيع الشيخ شلتوت

الاعتراض على الشيخ شلتوت من أهل السنة

وبمجرد أن انتشر خبر الفتوى حتّى قامت قيامة البعض الذين أشربوا حبّ الاختلاف والافتراق وسرت الخطّة الأموية في قلوبهم وعقولهم، فقامت الصرخات من بلدان متعدّدة مثل (...) ضدّ الشيخ شلتوت ومنها ما كتبه إليه أبو الوفاء المعتمدي حيث ذكر في رسالته الاعتراضية أنّ علماء الشيعة يكتبون كتباً تزيد من افتراق الأمة ونعراتها الطائفية مثل كتاب الغدير وكتاب ليالي نيشاوي!! - أي يشارور - وهكذا أحيوا الكتب القديمة عندهم مثل كتاب النقض وكتاب إحقاق الحقّ وكلّ هذه الكتب تكرّس حالة الاختلاف، فلماذا أفتيت بجواز العمل بمذهبهم ... وما إلى ذلك من تهجّم.

وأما الشيخ شلتوت فإنّه قد أجابه بجواب مختصر وأوضح له الفتوى وقد طبعت رسالة الإسلام جوابه^(١) [.....]

→ السيّد صاحب السماحة العلامة الجليل الاستاذ محمّد تقي القميّ،

السكرتير العام لجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية.

سلام الله عليكم ورحمته.

أما بعد، فيسرّني أن أبعث إلى سماحتكم بصورة موقع عليها بامضائي من الفتوى التي أصدرتها تأتّي بشأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية، راجياً أن تحفظوها في سجلّات دار التقريب بين المذاهب الإسلامية التي أسهمنا معكم في تأسيسها ووفّقنا الله لتحقيق رسالتها.

والسلام عليكم ورحمة الله.

شيخ الجامع الأزهر

محمود شلتوت

(١) رسالة الإسلام العدد ٣ و ٤ السنة ١٢ بتاريخ جمادى الآخرة ١٣٨٠ هـ. طبع

بيان مختصر عن كتاب النقض

وأما هذه الكتب التي أشار إليها أبو الوفاء فأحييت أن أعرفكم بها بشكل مختصر، فأما كتاب النقض فهو معروف بـ (مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض) تأليف العالم الجليل والواعظ النبيل الشيخ عبد الجليل بن أبي الحسين بن أبي الفضل القزويني الرازي، كتبه في أواخر القرن السادس الهجري دفاعاً عن المذهب الشيعي الحقّ ورداً على اتهامات رخيصة شنها بعض أهل السنة المتعصبين، إبان الحكم السلجوقي، وقد أجاب المؤلف على جميع الإشكالات والاتهامات بأسلوب علمي رصين وأحاط بكل ما له علاقة بالبحث وهو دليل إحاطته العلمية وبراعته. إذ كان لديه إحاطة تامة بالتاريخ والرجال.

بيان مختصر عن إحقاق الحق

وأما كتاب إحقاق الحق فهو من تأليف العالم الكبير حجة الإسلام ومتكلم الشيعة ومحبي الشريعة القاضي سيّد نور الله الحسيني المرعشي الشوشري الشهيد في أكبر آباد من بلاد الهند عام ١٠١٩ هـ. وهو أيضاً صنّفه ردّاً على الاتهامات التي وجهها المتعصبون من أهل السنة ضدّ المذهب الشيعي. وحول هذا الكتاب يوجد كلام كثير نوره لفائدته إليكم ولكن علينا أن نذكر مقدّمة عن ذلك وهي تدور عن العلامة الحليّ رحمته الله.

→ القاهرة.

[...] بين المعقوفتين كلام للمؤلف رحمته الله أجاب فيه على أبي الوفاء ورأينا أن الأمر لا علاقة له بأصل موضوع الكتاب فلم نترجمه لاسيّما وأنّ الحادثة مضي عليها عشرات السنين وأنّ أبا الوفاء هذا غير معروف الحال حتّى نهتمّ بالأمر / المترجم.

العلامة الحلي

هو جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن زين الدين علي بن محمد بن المطهر الحلي المشهور بالعلامة يُعدّ من مفاخر الشيعة ومجدداً للمذهب المقدّس في أوائل القرن السابع الهجري، ولد في شهر رمضان عام ٦٤٨هـ وتوفي في محرم عام ٧٢٦هـ ودفن في النجف الأشرف قرب قبر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الأيوان الذهبي، ونحن نعجز عن وصف هذا الرجل الكبير صاحب الخدمات الجليلة وذلك لأنّه جمع العلوم العقلية والنقلية والصفات الحميدة والأخلاق السامية حتّى أحبّه العدو والصديق وأطروا عليه إطرأً عالياً، فقد كان على درجة من العلم والزهد والورع والتقوى ما يشار إليه بالبنان.

ومن خدماته الكبيرة أنّه كان السبب وراء بروز المذهب الشيعي إلى الأجواء الطبيعية بعد حالات القمع والإرهاب التي مارسها بنو أمية وبنو العباس ضدّ الشيعة والمذهب الشيعي، وكان هذا البروز والانفراج إبان سلطنة الملك الجايتو محمد المشهور بـ (خدا بنده). ومن بركات هذا العالم الجليل أن سرى المذهب الشيعي إلى بلاد إيران بفضلّه بعدما قدّم الأدلّة القانعة والبراهين الساطعة للملك المغولي (خدا بنده) عن حقيقة الشيعة ممّا أدّى إلى تشييع الملك على يديه.

فنعمت الفرقة الناجية بالحرية في ظلّ هذا الملك بعد قرون متمادية من القمع والإرهاب والعنف.

سؤال: ألا يمكن أن تتفضّل علينا بشرح مختصر عن هذا الملك؟ فمن

هو؟ وفي أيّ زمان كان؟ وكيف تشييع؟

ظهور المغول والتتار

الجواب: جاء في التواريخ - مثل روضة الصفا وحبيب السير وغيرهما - أن مغول وتتار كانا توأمين، ولما دنت الوفاة لوالدهما (النجة خان) المنحدر من نسل يافث بن نوح شيخ الأنبياء على نبينا وآله وعليه السلام أوصى بجميع ما يملك لولديه مغول وتتار، فحكما الاخوان سنين عديدة وكان للأول تسعة أولاد وللثاني ثمانية أولاد، ومن هؤلاء تشعبت العائلة المغولية والتتارية وسكنوا الجبال والصحاري وكانوا من عبّاد الأصنام ولم تكن لهم عقائد سليمة ولا فطرة مستقيمة، بل كانوا يأكلون مطلق الحيوانات حتّى الكلاب والذئبة والخنازير^(١) ولم يكن عندهم عقد للزواج وإنما سفاح عام وليست هناك ضوابط للنكاح فالرجل ينكح ما شاء ولربما يتزوج أمّه بعد رحيل والده، ويشربون الخمر ويغيرون على القبائل فيقتلون وينهبون، وهكذا عاشت قبيلتا المغول والتتار بحكم القبيلتين كلّ من كانت له القوة والسلطة بحيث يقهر المقابل. وبطبيعة الحال فإن المجتمع يضمّ بين أفراد الصالحين على رغم إفراط المفسدين وشيوع حالات الانزلاق الخلقي، فعاشوا بهذه الطريقة قروناً متتالية حتّى ظهر جنگيزخان عام ٥٩٩هـ، وكان جنگيزخان من نسل المغول. سيطر على أطراف العائلة المغولية وأخضعها لسلطانه ثمّ تحرّك إلى قبيلة التتار فسيطر عليهم أيضاً وأسّس مملكته بفترة زمنية قصيرة جداً، ثمّ وطّد ملكه بالسياسة والحنكة ولبس التاج المرصّع وجلس مجلس الملوك حتّى لقّبه أحد المرتاضين في يوم من الأيام بـ (جنگيزخان) يعني ملك الملوك واشتهر به ثمّ بعث سفراءه إلى الملوك والزعماء للدول المجاورة لمملكته ومنها إيران التي كان يملكها

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٢٢١ دار إحياء الكتب العربية.

آنذاك محمد خوارزم شاه فكانت علاقته مع السلطان محمد جيدة^(١)، وفي تلك الفترة ضعفت حكومة بني العباس الثانية وكان الخليفة الرمزي والتقليدي آنذاك هو الناصر لدين الله العباس أحمد وهو الواحد والثلاثون في تسلسله ضمن ملوك بني العباس وامتازت خلافته بالضعف والانهايار مما أدى بالسلطان محمد شاه إيران أن يعقد بيعة مع السيد علاء الملك الترمذي وهو من العلويين ودعمه بشكل كبير كمحاولة لإقصاء الخليفة العباسي فسعى ناصر الدين للانتقام من السلطان محمد فأرسل رسولاً إلى ملك المغول جنگيزخان وحرّضه لحرب السلطان محمد، إلا أن جنگيزخان لم يتسرع ولم يندفع لاسيما وأنه تربطه مع السلطان محمد علاقات سياسية جيدة.

إلى أن أخطأ السلطان محمد في حقّ المغول ولم يعتنِ بشأنهم بل قتل أفراداً من تجّار المغول ٤٥٠ شخصاً في بغداد أثناء تردّدهم في التجارة^(٢)، مما أغاض جنگيزخان فبعث رسولاً إلى السلطان محمد ليطلع على سبب قتل هؤلاء، إلا أن الشاه المغرور دفعه غروره إلى قتل هذا المبعوث بلا أيّ دليل وسبب وجيه، بل بدافع الاغترار والتباهي والتحدّي^(٣)، ولذا تحرك جنگيزخان نحو الحرب وكان ذلك عام ٦١٥هـ فقصّد إيران محارباً ومنتقماً.

هجوم المغول على إيران

فأمر جنگيزخان قوّاده وأمراء جيشه أن يقتلوا كلّ من يصادفهم ويهدّثوا معالم البلد، فكانوا يمرّون بالمدن والقرى وكلّ من لم يرضخ لهم يقتلونه فأبادوا

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٢٢٠ دار إحياء الكتب العربية.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٢١.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٢.

الناس وخربوا القرى وقتلوا النساء والأطفال وحتى الحيوان لاسيما في هرات ونيشابور وقزوین وبغداد.

فكانت لهم مجازر مروعة لم يرتكبها أي ظالم في التاريخ، حتى بخت نصر أو الضحاک أو الأمير تیمور وبُسر بن أرتاة وأبي قتيبة وأبي مسلم والحجاج وأبي العباس السفاح وغيرهم لم یأتوا ما أتى علیه المغول، فإنهم لم یفرقوا بین أحد بل كانوا یقتلون کلّ من خالفهم، فكانوا یضعون رؤوس القتلى الأبرياء فی المنجنیق ویرمون بها المدن والأسوار فعمّ الرعب والخوف فی الناس وكانوا یدخلون المدينة فیخربونها على بكرة أبيها، فمثلاً لما دخلوا نیشابور استمرّ قتل الناس فیها اثني عشر يوماً، وعلى ما ذكره فی روضة الصفا أن القتلى فی نیشابور بلغ عددهم مليوناً وسبعة وأربعين ألف عدا الأطفال والنساء!! والسبب فی هذه المجررة أن سهماً أصاب (تقاجار) صهر جنگیزخان فمات فأراد جنگیزخان أن یثار له فقتل کلّ أهل نیشابور عدا أربعين رجلاً كانوا من أصحاب الحرف الفنیة فبعثهم إلى ترکستان، وخربوا معالم البلدة خلال سبعة أيام متواصلة وفتحوا الماء علیها وحرثوا الأرض وزرعوها لیمحوا کلّ أثر منها، وبقي القتلى على الأرض حتى اصطبغت من دمانهم وكانت رائحتهم تصل على بعد مسافات طويلة حتى مات بعض الناس المارين من هناك بسبب رائحة الموتى المتفسخين.

ثمّ أجهزوا على قوّات خوارزم شاه والجيش العباسي وقوّات الإسماعيلية الملاحدة فأبادوا الجميع واستقرّ الحكم لهم بلا منازع، وفتحت بغداد بواسطة هولاکو بعد أن قتل المستعصم بالله وهكذا انتهت الاسطورة العباسية التي امتدت (٥٠٠) عاماً، كما هجموا على آذربيجان واحتلوها قهراً وحكم فيها سبعة

عشر حاكماً من أولاد وأحفاد جنگيزخان لمدة مئة وخمسين عاماً^(١)، ولكن بمرور السنين تأثر المغول بالأفكار الإسلامية ودخلوا في حوارات مع العلماء والصالحين في مختلف الأصعدة حتى اهتدى بعضهم إلى طريق الصواب، فمثلاً لما دخل هولاءكو بغداد كان فيها آنذاك العالم الشيعي الكبير نصير الدين الطوسي فتكلم معه بأسلوب جعله يرفع اليد عن قتل الإبرانيين، وبالتالي دخل الإسلام واعتنقه.

ومن جملتهم أيضاً (غازان خان) ابن هولاءكو اعتنق الإسلام على أثر حواره مع العالم الشيعي الكبير صدر الدين الزنجاني عام ٦٩٤هـ، وكان (غازان خان) ملك عصره فأعلن إسلامه وتمسكه بشريعة خاتم الأنبياء وأمر بضرب السكة بـ (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وكان يكتب في أعلى رسائله ومكاتيبه هذه العبارة (الله أعلى) وأمر بأن يكون الدين الرسمي للبلاد هو الإسلام، وكانت له ميول نحو التشيع والمذهب الجعفري لأنه كان محباً لأهل البيت عليه السلام، ولكن لم تكن الظروف السياسية تسمح لهم بالإعلان عن ذلك رسمياً إلى أن جاء زمن الحاكم (الجايتو) خدابنده الذي أطلق على نفسه اسم محمد وذلك عام ٧٠٣هـ الذي حكم إيران وهو ابن (أرغون خان) ابن (اباخان) ابن (هولاءكو) ابن (تولي خان) ابن (جنگيزخان) الذي وصفه صاحب روضة الصفا وحبيب السير ومنتخب التواريخ، بأنه على خلاف سيرة آبائه فقد امتاز باللطف والرحمة والعدالة وجمع الخصال الحميدة وسار في الناس سيرة طيبة محارباً لكل ألوان الفساد والمنكر، ومقرباً العلماء والصالحين وأجرى الأحكام الإسلامية الشرعية

(١) لمن أراد الوقوف على تفصيل الحروب والوقائع بين المغول والمسلمين لاسيما في بلاد إيران فليراجع شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٢١٨ دار إحياء الكتب العربية تحت عنوان [فصل في ذكر جنگيزخان وفتنة التتار] / المترجم.

في البلاد وعمُر البلاد فبنى المساجد والمشافي والمدارس حتّى قيل إنّه بنى أكثر من ألف بناء في مختلف المجالات، وكان في ذكر الموت دائماً. فهذه خلاصة عن المغول والتتار وكيفية وصولهم إلى الحكم وبالذات عن السلطان محمّد الجايتو.

سبب تشييع خدابنده

وأما عن السؤال الآخر وهو سبب تشييعه، فقد ذكرتُ هذا الموضوع في كتاب ليالي بيشاور ولا بأس بذكره هنا أيضاً لأنكم سألتُموني. كان سبب تشييعه بعدما سمع المناظرات بين العلامة الحليّ وعلماء أهل السنّة حول عدّة قضايا اختلافية وعلى أثرها عرف الحقّ من خلال هذه المناظرات والاحتجاجات.

سؤال: ما موضوع هذه المناظرات وما هي الأدلّة التي اقتنع بها السلطان؟
الجواب: لقد ذكر المؤرّخون والعلماء الكبار هذه المناظرات منهم العلامة الكبير آية الله السيّد محسن الأمين العاملي (المتوفى عام ١٣٧١هـ والمدفون في دمشق ناحية السيّد زينب) في أعيان الشيعة نقلاً عن العالم الكبير المولّي محمّد تقي المجلسي في شرحه لكتاب الصدوق (من لا يحضره الفقيه) حيث قال: كما أنّه كان سبب إيمان سلطان محمّد جايلتو (جايتو) أنّه غضب على امرأته وقال لها أنت طالق ثلاثاً ثمّ ندم وجمع العلماء فقالوا لا بدّ من المحلّل، فقال: عندكم في كلّ مسألة أقاويل مختلفة أفليس لكم هنا اختلاف؟ فقالوا: لا، وقال أحد وزرائه: إنّ عالماً بالحلّة يقول ببطلان هذا الطلاق فبعث كتابه إلى العلامة الحليّ وأحضره، ولَمّا بعث إليه قال علماء العامّة إنّ له مذهباً باطلاً ولا عقل للروافض ولا يليق بالملك أن يبعث إلى طلب رجل خفيف العقل، قال الملك: حتّى يحضر. فلَمّا حضر العلامة بعث الملك إلى جميع علماء المذاهب الأربعة وجمعهم، فلَمّا دخل العلامة أخذ نعليه بيده ودخل المجلس، وقال: السلام

عليكم وجلس عند الملك فقالوا للملك: ألم نقل لك أنهم ضعفاء العقول؟
قال الملك: اسألوا منه في كل ما فعل، فقالوا له: لِمَ ما سجدت للملك
وتركت الآداب؟ فقال: إن رسول الله ﷺ كان ملكاً وكان يُسَلِّمُ عليه وقال الله
تعالى: ﴿إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ وَلَا
خِلَافَ بَيْنِنَا وَبَيْنَكُمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ السُّجُودُ لِغَيْرِ اللَّهِ.

قالوا له: لِمَ جلست عند الملك؟ قال: لم يكن مكان غيره. وكل ما يقوله
العلامة بالعربي كان يترجمه المترجم للملك.

قالوا له: لأي شيء أخذت نعلك معك وهذا ما لا يليق بعامل بل إنسان؟
قال: خفت أن يسرقه الحنفية كما سرق أبو حنيفة نعل رسول الله ﷺ.
فصاحت الحنفية: حاشا وكلاً متى كان أبو حنيفة في زمن رسول الله ﷺ بل
كان تولده بعد المائة من وفاة رسول الله ﷺ. فقال العلامة: فنسيت لعلّه كان
السارق الشافعي، فصاحت الشافعية وقالوا: كان تولد الشافعي في يوم وفاة أبي
حنيفة وكان أربع سنين في بطن أمه ولا يخرج رعاية لحرمة أبي حنيفة فلما مات
خرج وكان نشوءه في المائتين من وفاة رسول الله ﷺ!! فقال: لعلّه كان مالك،
فقالت المالكية بمثل ما قالته الحنفية فقال: لعلّه كان أحمد بن حنبل فقالوا بمثل
ما قالته الشافعية.

فتوجه العلامة إلى الملك فقال: أيها الملك علمت أن رؤساء المذاهب
الأربعة لم يكن أحدهم في زمان رسول الله ﷺ ولا في زمان الصحابة فهذه
إحدى بدعهم أنهم اختاروا من مجتهديههم هذه الأربعة، ولو كان منهم - من أهل
السنة - من كان أفضل منهم - من الأئمة الأربعة - بمراتب لا يجوزون أن يجتهد
بخلاف ما أفتاه واحد منهم فقال الملك: ما كان واحد منهم في زمان رسول
الله ﷺ والصحابة؟ فقال الجميع: لا، فقال العلامة: نحن معاشر الشيعة تابعون
لأمير المؤمنين عليه السلام نفس رسول الله ﷺ وأخيه وابن عمه ووصيه، وعلى أي

حال فالطلاق الذي أوقعه الملك باطل لأنه لم تتحقق شروطه ومنها العدلان فهل قال الملك بمحضرهما؟ قال: لا، وشرع في البحث مع علماء العامة حتى ألزمهم جميعاً فتشيع الملك وبعث إلى البلاد والأقاليم حتى يخطبوا للأئمة الاثني عشر في الخطبة ويكتبوا أساميهم عليهم السلام في المساجد والمعابد ^(١)..

وممن حضر ذلك المجلس نظام الدين عبد الملك المراغي قاضي القضاة، الذي حاور العلامة عليه السلام في موضوع الإمامة وأتى بمختلف الشبهات والإشكالات على العلامة الحلبي، إلا أن العلامة دفعها كلها وأجاب عنها بالدلائل الواضحة والبراهين الساطعة حتى أذعن نظام الدين لما أورده العلامة من أدلة قانعة إلا أنه تمسك بما تمسك به سلفه حفاظاً على طريقتهم في إضلال العوام وتفرقة الأمة. وأما الملك فإنه أمر أن يكون المذهب الجعفري هو المذهب الرسمي في البلاد بعد أن سمع أدلة الطرفين وأذعن عقله وقلبه إلى الدلائل التي قدمها العلامة عليه السلام ثم أمر بضرب السكة المنقوش عليها أسماء الأئمة عليهم السلام على أحد طرفيها وفي الطرف الآخر كتب «السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم الجايئو سلطان غياث الدنيا والدين خدابنده محمد خلد الله ملكه».

وعندي شخصياً اثنين من هذه السكك المباركة.

وقد دُوت أسماء الأئمة الكرام عليهم السلام في معبد (بيرمكران لنجان) ومعبد (شيخ نور الدين نطنزي) وعلى منارة دار السيادة التي بناها أخو السلطان

(١) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ج ٩ ص ٣٠ كتاب الطلاق المطبعة

خدابنده غازان خان محمود وأتمها السلطان خدابنده^(١).

ثم أمر هذا السلطان بتشكيل مدرسة متنقلة تسير مع الموكب المهيّب لهذا السلطان تضم كبار العلماء والفضلاء، وقدّم طلباً للعلامة الحلي أن يقوم بالتدريس في هذه المدرسة أيضاً فاستجاب وجاء من الحلة إلى إيران ثم عاد إلى الحلة وجاء الملوك الصفويّون من بعد المغول فالتزموا المذهب الجعفري أيضاً وقدّموا خدمات جليلة للبلاد والعباد.

كان هذا جواباً على سؤالكم عن سبب تشييع السلطان خدابنده ولا بأس أن أذكر شيئاً من حياة العلامة فقد عاش العلامة ٧٤ عاماً قضاها بالعلم والورع والتقوى والتأليف وترويج مذهب الجعفرية فقد ألف وصنّف أكثر من مائة كتاب في مختلف العلوم والفنون كالفقه والأصول والفلسفة والمنطق والتفسير والحديث والدراية والرجال والأدعية والفضائل لأهل البيت عليه السلام وإثبات الإمامة وعلم الكلام وغيرها، وكلّها في غاية الإتقان حتّى بقي صداها وأهمّيّتها إلى يومنا هذا.

ومن جملة كتبه المهمة كتاب (نهج الحق وكشف الصدق) الذي جمع فيه المسائل الخلافية في الأصول والفروع والعقائد بين السنة والشيعة وأجاب عن الشبهات والإشكالات بأنّم الدلائل وأجمل البراهين حتّى جاء الفضل بن روزبهان الشيرازي الاصفهاني عام ٩٠٩ هـ وهو من علماء الشافعية بل من أكابرهم في عصره فكتب كتاباً ردّاً على نهج الحق وأسماءه بـ (إبطال نهج الباطل) وقد امتاز كتابه كما ينبئ عنوانه على العصبية والوقاحة والاتهامات الرخيصة^(٢).

(١) المصدر نفسه.

(٢) أقول: وقد ردّ العالم الكبير محمّد حسن المظفر على إبطال الباطل بكتاب أسمائه دلائل الصدق في ثلاث مجلّدات / المترجم.

استشهاد القاضي سيّد نور الله الشوشتري مؤلف كتاب إحقاق الحقّ

وفي أواخر القرن العاشر الهجري تمّ قتل العالم الكبير والمجتهد الفذّ جامع المنقول والمعقول العابد الزاهد المحدث الفقيه الأصولي القاضي سيّد نور الله الحسيني المرعشي رحمته الله الذي كرمه أكبر شاه ملك الهند وعيّنه قاضياً في تلك البلاد، وبعدها مات هذا الملك واستلم زعامة البلاد جهانگیر شاه تيموري سعى بعض أهل السنّة إلى هذا الملك - الذي كان على المذهب السنّي - وقالوا له إنّ القاضي نور الله رافضي كافر، فأمر الملك بقتله فأحضره حافياً وضربوه بالحديد على جسده حتّى مات وقيل إنّهم قطعوا رأسه عن بدنه!!

وليست هذه أوّل قارورة كُسرت في الإسلام، اللهمّ العن أوّل ظالم ظلم حقّ محمّد وآل محمّد وآخر تابع له على ذلك، اللهمّ العن بني أميّة والنواصب والخوارج الذين دأبوا من يومهم على قتل شيعة أهل البيت عليهم السلام.

فهذا العالم الكبير لما وصلته نسخة من كتاب روزبهان (إبطال الباطل) تأثر كثيراً من الأسلوب الوقح الذي استخدمه روزبهان لردّ العلامة الحليّ والكلمات الحادة النابية التي دوّنها، فعزم على ردّ هذا الكتاب ردّاً علمياً منطقياً خالياً من العناد والسباب والشتم والاتّهامات الرخيصة فكتب كتاب (إحقاق الحقّ) خلال سبعة أشهر وطبع عام ١٠١٤هـ في بلدة (أكبر آباد) من الهند، وهناك قُتل هذا العالم ودفن وقد زرت قبره عام ١٣٤٥هـ فقد كان مزاراً عاماً للمسلمين الشيعة والسنّة وحتّى عبّاد الأصنام وقد نقش على حجره هذا البيت:

الظالم أطفئ نور الله

وقرة عين النبيّ مقطوع الرأس - ١٠١٩

وقد طبع (إحقاق الحق) عدّة مرّات على أهمّيّته فقد طبع عام ١٢٧٣هـ. في إيران والطبعة الثانية في مصر ولكن أسقط منه بعض المطالب.

ثمّ طبع ثالثاً عام ١٣٢٦هـ. ^(١) ورابعاً مع تعليقات العلامة الشيخ محمّد حسن المظفر الذي أسماه بـ (دلائل الصدق) عام ١٣٧٩هـ، ثمّ طبعة خامسة مع تعليقات وملحقات العلامة آية الله شهاب الدين المرعشي النجفي في قم عام ١٣٧٨هـ.

حول كتاب الغدير

وأما كتاب الغدير الذي ذكره أبو الوفاء فهو عبارة عن أحد عشر مجلّداً كبيراً، وعند مطالعة هذه الدورة المهمّة يجد القارئ في:

القسم الأول: نصوص رسول الله ﷺ حول واقعة الغدير من طرق الفريقين وهي واقعة غدير خمّ في حجة الوداع التي خطبها النبي ﷺ في منطقة خمّ وأوضح فيها فضائل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حين قال ﷺ: أَلَسْتُ أَوْلَىٰ بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فقال: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ... ثمّ تناول المؤلف في مجلّده الأول أسانيد هذا الحديث من طرق أهل السنة ^(٢).

القسم الثاني: ثمّ ذكر المؤلف الرسائل والأشعار التي تطرّقت لواقعة الغدير

(١) تصدّى لطبعه العالم الفاضل الشيخ حسن بن شيخ دخيل الحجامي النجفي / المؤلف.

(٢) وعلى غرار عبقات الأنوار لآية الله السيّد مير حامد حسين الهندي إذ أفرّد مجلّدين لهذا الحديث دراسة في السند والمتن وقد تناولت ذلك في ليالي بيشاور وسيأتي لاحقاً في الجزء الثاني من هذا الكتاب أيضاً / المؤلف.

فبدأ من حسان بن ثابت وإلى ما شاء الله فأورد أشعارهم وكلماتهم في هذا الصدد.

القسم الثالث: ثم أورد تحت كل شعر من الأشعار التي تناولت الفضائل حديثاً نبوياً يشير فيه إلى الفضيلة التي تناولها الشاعر في أبياته، وكان يتطرق حسب المناسبة إلى الإشكالات أو الاتهامات التي كان الخصوم يوردونها على بعض الفضائل، فكان يردّها ويدفعها بالأدلة والبراهين.

هذا وقد أجاد العلامة الأميني رحمته الله فيما كتبه ويعدّ عمله هذا جهاداً في سبيل الله أسأل من الله تعالى أن يشيبه عليه.

ونحن بدورنا نقول لكل من يقدح أو يتهجم على الغدير أمثال أبي الوفاء: هل قرأتم الغدير؟ وأي قسم منه قرأتم؟ وأين الإشكال في هذا الكتاب؟ وهلا نظرتم بعين البصيرة والإنصاف إلى الأدلة وإلى المصادر المستقاة من كتب أهل السنة؟

حول كتاب ليالي بيشاور

وما أثار تعجبي واستغرابي من أبي الوفاء أنه ذكر اسم كتابي (ليالي بيشاور) في جملة رسالته إلى الشيخ شلتوت، واعتقد أنه لم يقرأ الكتاب أبداً ولم يره أيضاً لأن عنوانه (كتاب ليالي بيشاور في الدفاع عن التشيع) يحكي لك أنه حالة دفاعية وليس هجوماً، لأنه عبارة عن مناظرات بيني وبين بعض علماء أهل السنة بعدما طلبوا مني المناظرة والحوار خلال عشرة ليالي في منطقة بيشاور الحدودية بين باكستان وأفغانستان عام ١٣٤٥ هـ، فهو كتاب يدفع الاتهامات التافهة التي كانوا يروجونها في أوساط تابعيهم بأن الشيعة يهود أو مشركون أو كفار وما إلى ذلك، فهل صار الدفاع عن المذهب في نظر أبي الوفاء وأمثاله تفريقاً للأمة الإسلامية؟ وهل صارت هذه الكتب الدفاعية كالغدير وإحقاق الحق

وليالي بيشاور - التي ملؤها الدليل والبرهان - كتباً خطيرة؟ أم أن دفع تهمة اليهودية والكفر عنا صارت ممنوعة؟!

ومن أكبر الأدلة على أن أبا الوفاء هذا لم يركب لياالي بيشاور ولم يقرأه أنه ذكره باسم (لياالي بيشاوي) مما يعني أنه لا يعرف حتى اسم الكتاب فضلاً عن مضامينه، إذن هو التعصب لا غير يدفع هؤلاء إلى شن الهجمات علينا بلا أي دليل وبدون أي إنصاف، ويحكمون على أتباع مذهب أهل بيت النبي الأكرم ﷺ بأنهم روافض ويهود ومشركون، وأنك لتجد بالمئات من كتب أهل السنة التي تفوح منها رائحة العصبية ضدنا وتقرأ أنواع السباب والتهم المختلفة علينا بلا أي رادع، يحتفظون بمثل هذه الكتب التي تكرر الاختلاف والانشقاق في الأمة.

إشارة إلى بعض كتب أهل السنة

التي هاجموا بها الشيعة

واليكم بعض أسماء الكتب السنية التي هاجموا فيها إخوانهم الشيعة بدافع التعصب المقيت فزادت - هذه الكتب - الطين بلة وعمقت الاختلاف والخلاف؛

- ١ - دفع الضلال / ملا شمس الدين الهروي -
- ٢ - التمهيد في الرد على المعطلة والرافضة والمعتزلة والخوارج / أبو بكر الباقلاني -

٣ - الرد على الروافض / الشيخ محمد زاهد الكوثري -

٤ - إثبات الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق / سيد محمد بن مرتضى اليماني ومقدمة الشيخ عبد الستار الهندي -

٥ - الإبانة / الشيخ أبو الحسن الأشعري بمقدمة الدكتور محمد جمال الدين -

- ٦- الفرق بين الفرق / أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي.
- ٧- الإنصاف / القاضي أبو بكر الباقلاني بمقدمة محمد الكوثري.
- ٨- عقائد المسلمين والمشرّكين / الفخر الرازي بمقدمة الشهرستاني.
- ٩- الملل والنحل / محمد بن عبد الكريم الشهرستاني بمقدمة القاضي محمد عدوي.
- ١٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم الأندلسي.
- ١١- العقد الفريد / شهاب الدين بن عبد ربه المالكي.
- ١٢- البداية والنهاية / عماد الدين بن كثير أبي الفداء الدمشقي.
- ١٣- شرح المقاصد / التفنازاني مع مقدمة الشيخ سليم.
- ١٤- حركات الشيعة المتطرفين / د. محمد جابر عبد العال.
- ١٥- عقود الجوهر المنيعة / سيّد محمد مرتضى الزبيدي مع مقدمة الشيخ محيي الدين.
- ١٦- إنكار فضائل أهل البيت عليهم السلام / ابن تلميذ الحضرمي.
- ١٧- فرق المسلمين والمشرّكين / مقدمة وتعليق الشيخ مصطفى بيك عبد الرزاق.
- ١٨- الصواعق المحرقة / ابن حجر المكي الذي كتبه بأمر السلطان سليم العثماني في ردّ الشيعة مع مقدمة الشيخ عبد الوهاب الشيخ عبد اللطيف أستاذ في الأزهر.
- ١٩- المغني / القاضي عبد الجبار بن أحمد.
- ٢٠- الانتصار / أبي الحسين عبد الرحيم الخياط المعتزلي.
- ٢١- منهاج السنّة / ابن تيمية أحمد بن عبد الحلّيم الحراني الحنبلي.
- ٢٢- السنّة والشيعة / محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار.
- ٢٣- الوشيعة في نقد عقائد الشيعة / موسى جار الله بن فاطمة التركستاني.

٢٤ - محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية / الشيخ محمد الخضري .

٢٥ - الصراع بين الإسلام والوثنية / عبدالله علي القصيمي .

٢٦ - أسئلة موسى جار الله .

٢٧ - فجر الإسلام وضحي الإسلام وظهر الإسلام / أحمد أمين المصري .

٢٨ - الجولة في ربوع الشرق الأدنى / محمد ثابت المصري .

٢٩ - المهدي والمهدوية / أحمد أمين المصري .

٣٠ - تحفة اثنا عشرية / شاه صاحب الهندي .

٣١ - الفتاوي الحامدية / نوح الحنفي المفتي .

٣٢ - رسالة الصراط المستقيم / القاضي جلال الدين الحنفي .

٣٣ - الاتحاد / محمد مردوخ (مردود) الكردستاني .

[...] ^(١) تم بحمد الله الجزء الأول من كتاب الفرقة الناجية، رغم المرض

الذي ألمّ بي ورافقني لمدة طويلة، وإني أشكر الله تعالى على ذلك.

وقد تمّ في شهر رمضان المبارك عام ١٣٨٢ هـ . بقلم الفقير العبد الفاني

محمد الموسوي سلطان الواعظين الشيرازي - طهران .

هذا هو الجزء الأول من «الفرقة الناجية» ويليه الجزء الثاني وفيه تنمة

المباحث، وتمت ترجمته في شهر صفر من عام ١٤٢٢ هـ الموافق عام ٢٠٠١

للميلاد ، في جوار سيدتنا فاطمة المعصومة بقم المقدسة على يد أقل العباد

علماً وعملاً فاضل الفراتي.

(١) [...] ما بين المعقوفتين كلام للمؤلف عن بعض هذه الكتب وأسلوبها الحاد

حذفناه لكيلاً نخرج عن صلب الموضوع / المترجم.

الفرقة الناجية

مناظرات ومراسلات في العقائد والتاريخ
عن سبب الفراق المسلمين الى ٧٢ فرقة

تأليف

العلامة السيد محمد الموسوي سلطان الواعظين الشيرازي
(مؤلف ليالي بيشاور)

تعريب وتحقيق وتعليق

فاضل الفراتي

الجزء الثاني



للتحقيق والطباعة
والنشر والتوزيع
المطبعة الميمنية - بيروت - لبنان

الطبعة الثانية
جميع الحقوق محفوظة
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

من مراكز التوزيع:
سوريا. دمشق. السيدة زينب (ع) مكتبة الرسول الاعظم (ص)
هاتف ٦٤٧١١٦ مقسم ١٠٩
ايران. قم المقدسة. كنز خان جنب مسجد الفاطمية. هاتف : ٧٧٥١١٢٠ - ٢٥١ - ٩٨

التحقيق والطباعة
والنشر والتوزيع
دارالعلوم

المكتبة: حارة هريك - بكر المجد - شارع السيد عباس الموسوي - الهاتف : ٠١/٥٤٥١٨٢ - ٠٣/٤٧٣٩١٩ - ص.ب : ١٣/٦٠٨٠
المستودع: حارة هريك - بكر المجد - مقابل البنك الليباني الفرنسي - تلفاكس : ٠١/٥٤١٦٥٠
البريد الإلكتروني: daraloloum@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يبلغه بعد الهمم، ولا يناله حدس الفطن، الأول الذي لا غاية له فينتهي ولا آخر له فينقضي والصلاة والسلام على خير خلقه وأشرف بريته محمد خاتم النبيين ﷺ الذي أخرجه من أفضل المعادن منبتاً وأعز الأرومات مغرساً من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتخب منها أمناه عترته خير العتر وأسرته خير الأسر وشجرته خير الشجر وعلى أهل بيته الذين هم أعلام التقي وأركان الهدى والعروة الوثقى لاسيما ابن عمه ووصيه ووزيره وحافظ شريعته وأخيه وباب علمه وعلى الأئمة المعصومين الطاهرين من آله وعترته أعدال القرآن، من تبعهم وتمسك بهم فقد نجا ومن تخلف عنهم فقد هلك، ولعنة الله على أعدائهم ومبغضيههم والمتنكبين عن طريقتهم من النواصب والخوارج.

وبعد: فمن الثابت بالدلائل العقلية والبراهين النقلية أن القرآن الكريم هو الحجر الأساس للدين الإسلامي إلى يوم القيامة، ثم إن هذا القرآن يحتوي على آيات محكمة واضحة وآخر متشابهات ومجملات نحتاج في فهمها إلى مفسر وعالم بظاهرها وباطنها.

ويضم أيضاً آيات ناسخة وأخرى منسوخة ومجملة ومفصلة و... نحن كمسلمين بحاجة إلى مَنْ يبين لنا كل ذلك بحيث يكون المرجع لنا جميعاً.

وهذا أمرٌ بديهي فإن كل كتاب علمي فإنك حتى تفهمه تكون بحاجة إلى استاذ يشرح لك مضامينه ودلائله، ولا خلاف في أن رسول الله ﷺ هو المرجع للمسلمين في بيان القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(١)، ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

ولذلك كان المسلمون الأوائل يرجعون إلى النبي ﷺ في فهم القرآن الكريم، ولكن بما أن هذا الكتاب - الذي هو أساس الدين - سيقى إلى يوم القيامة صار من المفروض - عقلاً - على النبي ﷺ أن يعلم علوم القرآن كلها لمن بعده ليؤدي نفس الدور الذي كان هو ﷺ يؤديه وبه يرتفع الاختلاف الذي قد يحصل مع عدم وجود النبي ﷺ ويسد طريق الافتراق والاختلاف حول معاني ودلائل آيات القرآن الكريم، فزعم أهل السنة أن رسول الله ﷺ ترك القرآن لأئمة وقالوا حسبنا كتاب الله، وأما مفسر ومبين هذا الكتاب فهو موكول إلى علماء كل عصر، وهذا مبناهم إلى اليوم.

وإذا صح قولهم هذا، فإن الثمرة لن تتحقق لأن آيات القرآن لها ظاهر وباطن وبالتالي فهي تحتمل أكثر من معنى فكيف سيتم تحديد المعنى الحقيقي والمزاد عند الله؟ وهذا ما يؤدي إلى الاختلاف، وهو أمرٌ مرفوض وبالتالي تكون هذه العقيدة غير قابلة للهضم، لأنها أشبه بكتاب علمي نعطيه إلى الطلبة ونقول لهم: افهموا منه ما بدى لكم، فكل طالب سيفهم غير ما يفهمه زميله.

(١) النحل: ٤٤.

(٢) النحل: ٦٤.

أهل البيت والقرآن معاً

بينما يلتزم - الشيعة - بأن رسول الله ﷺ ورث علمه أهل بيته الأطهار أولهم أمير المؤمنين علي عليه السلام ومن بعده ولده الأئمة الطيبين فهؤلاء مرجع المسلمين ولهم دور التبيين لآيات الذكر الحكيم وإليه ملاذ العباد، وهذه العقيدة أسسها رسول الله ﷺ إذ أنه ﷺ صرح في أكثر من محفل ومجلس وبمختلف الأساليب والتعابير أنه ﷺ خلف أهل بيته والقرآن الكريم معاً وهم أعدال القرآن، وقد نقلت أحاديث النبي ﷺ في هذا الصدد كتب الفريقين الشيعة والسنة كقوله ﷺ: إني نارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً^(١).

وهذا الحديث يوجب رجوع المسلمين إلى أهل بيت النبي ﷺ وأولهم أمير المؤمنين عليه السلام لفهم الدين وتفسير القرآن وأخذ معالم التشريع، ولكونه عليه السلام نفس رسول الله ﷺ بدلالة آية المباهلة^(٢) إلا أنه ليس نبياً، بل ينطوي على صفات وكمالات الأنبياء، ولهذا ورد عن النبي ﷺ في كتب الفريقين: أنا مدينة العلم وعلي بابها ومن أراد العلم فليأت الباب^(٣).

(١) سوف نذكر تمام مصادر الحديث لاحقاً وإليك بعضها:

فضائل الصحابة لأحمد ج ٢ ص ٥٨٥ وص ٦٠٣ ط السعودية، ومصابيح السنة للبغوي الشافعي باب مناقب أهل بيت رسول الله ص ٥٢١ ج ١ دار القلم بيروت، وإسعاف الراغبين ص ١١٩ وهو هامش على نور الأبصار.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَغْدٍ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾.

(٣) نظم درر السمطين، جمال الدين محمد بن يوسف الحنفي، القسم الثاني من

وجاء في كنز العمال للمتقي الهندي عن أبي ذر، قال رسول الله ﷺ: علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي^(١).

وأيضاً في كنز العمال وفراند السمطين ومقتل الحسين للخوارزمي وينابيع المودة نقلاً عن المناقب لموفق بن أحمد عن سلمان الفارسي أنه قال: قال رسول الله ﷺ: أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب^(٢).

وذكر في ينابيع المودة عن مناقب ابن المغازلي الفقيه الشافعي وفي مناقب موفق بن أحمد الخوارزمي بسنده عن أبي الصباح عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: لما صرت بين يدي ربي كلمني وناجاني فما علمت شيئاً إلا علمته علياً فهو باب علمي، وفي مناقب الخوارزمي: ثم دعاه إليه فقال: يا علي سلمك سلمي وحربك حربي وأنت فيما بيني وبين أمتي^(٣).

→ السمط الأول ص ١٠٦، والصواعق المحرقة ج ٢ ص ٣٥٧ مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق: عبد الرحمن التركي، والمستدرک ج ٣ ص ١٣٨ رقم ٤٦٣٩ والاستيعاب للقرطبي ج ٣ ص ٢٠٥ دار الكتب العلمية، بيروت، وكنز العمال ج ١١ ص ٦٠٠ رقم ٣٢٨٩٠ والمناقب للخوارزمي ص ٤٠.
وجاء في فردوس الأخبار للدليمي ج ٢ ص ٧٨ رقم ٤٠٠٠ ط دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧ م.

قال رسول الله ﷺ: علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي، حبه إيمان وبغضه نفاق، والنظر إليه رافة ومودته عبادة / المترجم.

(١) كنز العمال ج ١١ ص ٦١٤ رقم ٣٢٩٨١ ط سوريا.
(٢) كنز العمال ج ١١ ص ٦١٤ رقم ٣٢٩٧٧ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٩ م، وفراند السمطين ج ١ ص ٩٧ رقم ٦٦ ط بيروت.

المناقب للخوارزمي ص ٤٠ ط النجف مع مقدمة العلامة محمد رضا الخراسان.
وينابيع المودة ج ١ باب ١٤ ص ٦٩.

(٣) ينابيع المودة ج ١ الباب ١٤ ص ٦٨.

وجاء في ينابيع المودة عن مناقب الخوارزمي والحموي وفردوس الأخبار ومناقب ابن المغازلي الشافعي عن مجاهد عن ابن عباس وعن جابر بن عبد الله الأنصاري أن رسول الله ﷺ أشار لعلي عليه السلام وقال:

هذا أمير البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله فمذ بها صوته، ثم قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها ومن أراد العلم فليأت الباب^(١).

وفي ينابيع المودة أيضاً عن الأصمعي بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: علمني رسول الله ﷺ ألف باب وكل باب منها يفتح ألف باب فذلك ألف باب حتى علمت ما كان وما يكون إلى يوم القيامة وعلمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب^(٢).

وفي هذا الصدد توجد أحاديث كثيرة في كتب الفريقين كلها تؤكد أن علياً عليه السلام هو أعلم وأفضى الأمة بعد النبي ﷺ ولا خلاف في ذلك أبداً لاسيما وهو أرفع الأمة لشدة حافظته واستيعابه العلم كما قال تعالى في حقه: ﴿وَوَعِيَهَا أَذْنٌ وَاعِيَةٌ﴾^(٣).

وقد ذكر الشيخ سليمان البلخي الحنفي في ينابيع المودة عن مناقب الخوارزمي والحافظ أبو نعيم الاصفهاني وشرح المواقف والشعلي بأسانيد مختلفة عن ابن عباس وبريدة الأسلمي ومكحول ويحيى بن سالم وجابر والأصمعي بن نباتة وعمر بن علي وأمير المؤمنين عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: إن هذه الآية نزلت في علي عليه السلام^(٤).

(١) ينابيع المودة ج ١ باب ١٤ ص ٧٠، وسنذكر تمام المصادر لاحقاً في محلها.

(٢) ينابيع المودة ج ١ باب ١٤ ص ٧٥.

(٣) الحاقة: ١٢.

(٤) معرفة الصحابة لأبي نعيم ج ١ ص ٣٠٦ ط السعودية، ونور الأبصار ص ٨٧ ومناقب الخوارزمي الفصل ١٨ ص ١٩٩، وينابيع المودة ج ١ باب ٣٩ ص ١٢٠.

ويؤيد هذا قوله ﷺ: عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض^(١).

وأيضاً ذكر سليمان البلخي الحنفي في الينابيع والحمويني بسنده عن شقيق عن عبدالله بن مسعود أنّه قال: نزل القرآن على سبعة أحرف، له ظهر وبطن، وأنّ عند عليّ عليه السلام علم القرآن ظاهره وباطنه^(٢) ولهذا لم يدع أحد بعد رسول الله ﷺ أنّ لديه الإحاطة بالقرآن سوى أمير المؤمنين عليه السلام. فقد ذكر سليمان البلخي عن شرح رسالة الفتح المبين لمحمد بن علي الحكيّم الترمذي عن ابن عباس إمام المفسّرين قال: يشرح لنا عليّ عليه السلام نقطة الباء من بسم الله الرحمن الرحيم ليلة فانقلب عمود الصبح وهو بعد لم يفرغ فرأيت نفسي في جنبه كالقواراة في جنب البحر المتلاطم.

وقال كرم الله وجهه: لو ثبتت لي الوسادة وجلست عليها لحكمت لأهل التوراة بتوراتهم ولأهل الإنجيل بإنجيلهم ولأهل القرآن بقرآنهم، ولهذا كان الصحابة يرجعون إليه في أحكام الكتاب، يأخذون عنه الفتاوى كما قال عمر بن الخطّاب في عدّة مواطن: لولا عليّ لهلك عمر، وقال ﷺ: أعلم أمّي عليّ بن أبي طالب^(٣).

وذكر في نفس الباب نقلاً عن مناقب الخوارزمي عن يحيى بن أم الطويل قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما بين لوعي المصحف من آية إلّا وقد علمت فيمن نزلت وأين نزلت، وإنّ بين جوانحي لعلماً جمّاً، فسلوني قبل أن تفقدوني. وقال: إذا قدمت عليه أقرأنيهِ ويقول: يا عليّ أنزل الله عليّ بعدك كذا

(١) المعجم الأوسط للطبراني ج ٥ ص ٤٥٥ رقم ٤٨٧٧ ط مكتبة المعارف، الرياض، ومزّت بقيّة مصادره في الجزء الأول.

(٢) ينابيع المودة ج ١ باب ١٤ ص ٦٨.

(٣) المصدر نفسه ص ٦٩.

وكذا وتأويله كذا ويعلمني تأويله وتنزيله^(١).

ولهذا قال عليه السلام من على المنبر ولعدة مرّات: (سلوني قبل أن تفقدوني).

وقد ذكر هذه العبارة أهل السنّة والشيعة سواء، فمثلاً أنكم تجدونها في عمدة القارئ وجامع بيان العلم ومفتاح السعادة والرياض النضرة وفتح الباري وتاريخ الخلفاء للسيوطي وتهذيب التهذيب أنه عليه السلام قال: سلوني، والله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليّل نزلت أم بنهار في سهل أم في جبل^(٢).

وذكر الشيخ سليمان الحنفي في مطلع الباب الرابع عشر من الينابيع شعراً نسب لأمير المؤمنين عليه السلام حيث قال:

لقد حزت علم الأولين وأنسي	ظنين بعلم الآخرين كتوم
وكاشف أسرار الغيوب بأسرها	وعندي حديث حادث وقديم
وأنسي لقيتوم على كلّ قيم	محيط بكّل العالمين عليهم

ثم قال عليه السلام: لو شئت لأوقرت من تفسير الفاتحة سبعين بعيراً، وقال النبي صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، قال تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾^(٣) فمن أراد العلم فليأتها من الباب^(٤). وقد جسّد أمير المؤمنين عليه السلام هذه القدرة الفائقة الموهوبة له من الله سبحانه وتعالى حيث قال ابن عباس: أخذ بيدي الإمام عليه السلام ليلة مقمرة فخرج بي إلى البقيع بعد العشاء وقال: اقرأ يا عبدالله فقرأت: بسم الله الرحمن الرحيم، فتكلّم لي في أسرار الباء إلى بزوغ الفجر^(٥).

(١) ينابيع المودة ج ١ باب ١٤ ص ٧٢.

(٢) مطالب السؤل لابن طلحة الشافعي ج ١، ص ١٢٥ - ط أم القرى.

(٣) البقرة: ١٨٩.

(٤) ينابيع المودة ج ١ باب ١٤ ص ٦٤ ط اسلامبول.

(٥) المصدر نفسه ص ٦٨.

وروي عن ابن عباس أيضاً أنه قال: عِلْمُ النَّبِيِّ ﷺ من علم الله وعلم علي من علم النبي ﷺ وعلمي من علم علي وما علمي وعلم الصحابة في علم علي إلا كقطرة في سبعة أبحر^(١).

فيعلم من جميع هذه الأدلة المسلمة عند المسلمين أن علياً عليه السلام هو المرجع للأمة بعد رحيل النبي ﷺ باعتباره باب علم النبي ﷺ لحل ما أشتكل على الناس ولبیان أحكام الدين، لاسيما وأن الصحابة وعامة الناس كانوا قد ألفوا طريقاً لمعرفة أسرار القرآن وذلك هو السؤال من النبي ﷺ فقط فلم تكن لهم أي وجهات نظر ولم يجتهدوا وإنما اعتادوا السؤال طيلة حياة النبي ﷺ ومن بعده كانوا يرجعون إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام على رغم ابتعاده أو إبعاده قهراً عن مسرح الحياة السياسيّة في الجملة، إلا أن ذلك لم يمنعه من إرشاد الناس وتعليمهم، بل حتى الخلفاء الثلاثة أيضاً رجعوا إليه لحل المعضلات وبعض المواضع الحساسة، فقد ذكر في ينابيع المودة عن رسالة الفتح المبين لمحمد بن علي الحكيم الترمذي (وقد ذكرناه قبل قليل): كانت الصحابة يرجعون إليه في أحكام الكتاب ويأخذون عنه الفتاوى كما قال عمر بن الخطاب في عدّة مواطن: لولا علي لهلك عمر، وقال عليه السلام: أعلم أمّي علي بن أبي طالب^(٢).

وقد كتب أكابر علماء أهل السنة أن عمرأ قال هذه العبارة: (لولا علي لهلك عمر) أكثر من سبعين مرّة كلّما عرضت عليه واقعة يعجز عن حلّها، وأحياناً كان يقول: (هذه معضلة لا يجيئها إلا أبا الحسن)، أو (لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن)^(٣).

(١) المصدر نفسه ص ٦٨ - ٦٩.

(٢) ينابيع المودة ج ١ باب ١٤ ص ٦٩.

(٣) مطالب السؤل ج ١ ص ١٤٢ ط أم القرى.

فيما بعد استشهاد أمير المؤمنين ﷺ

ولكن بعد استشهاد أمير المؤمنين ﷺ تسلط على رقاب المسلمين بنو أمية الذين ألحقوا الإسلام العار تلو العار فقد ظلموا واضطهدوا آل الرسول ﷺ ومعدن العلم وأعدال القرآن فقتلوهم وقتلوا شيعتهم وطاردوهم حتى صار العلم مفقوداً على أثر هذه الحملات التعسفية ضد أعلام الإسلام والتشيع وانتشر الجهل بكل ألوانه والتخلف على عدة مستويات فظهرت الأساطير والخرافات والإسرائيليات، بعدما لحق آل الرسول ﷺ وشيعتهم والعلماء ما لحقهم من القهر والظلم والاستبداد، فلم يعد المسلم يجد من يسأله أو يرشده إلى معضلات القرآن ومعارف الأحكام، واستمر الوضع تقريباً إلى زمن بني العباس، فكانت الفترة هذه فترة كفتنة بني إسرائيل يوم أضلهم السامري، فتم إخلاء الساحة الإسلامية من الرموز الأصيلة التي لها كفاءاتها واستعدادها في ميدان العلم وتوضيح معالم الدين وتمت عملية إبدال هؤلاء العلماء بعلماء قشريين وعاظ السلاطين يداهنون الظلمة ويحرصون على الدنيا أكثر من الدين.

بعض حالات الحسن البصري

ومن هؤلاء الحسن بن يسار البصري المعروف بالفصاحة والبيان والبلاغة، ولد قبل موت الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بستين وأمه أم ولد كانت تحت أم المؤمنين أم سلمة فأعقتها، وكانت ولادته بالمدينة المنورة، وتوفي عام ١١٠هـ في البصرة وله من العمر ٨٨ عاماً.

وقد ذكره ابن أبي الحديد المعتزلي أنه من جملة المنحرفين عن أمير المؤمنين ﷺ ومن جملة المخذلين عن نصرته، وروي أن أمير المؤمنين ﷺ رآه وهو يتوضأ للصلاة - وكان ذا وسوسة - فصب على أعضائه ماء كثيراً فقال له

الإمام: أُرقت ماءٌ كثيراً يا حسن، فقال: ما أراق أمير المؤمنين من دماء المسلمين أكثر، قال: أو ساءك ذلك؟ قال: نعم، قال: فلا زلت مسوءاً، قالوا: فما زال الحسن عابساً قاطباً مهموماً إلى أن مات^(١).

ولهذا السبب مدحه المخالفون للشيعة بينما سكتوا عن الأعلام الذين كانوا إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام فلم يتطرقوا إلى مدحهم مع عظيم مقامهم!! ثم إن الحسن البصري جعل لنفسه حلقة درس في مسجد البصرة وقام بتدريس القرآن الكريم والمسائل الفقهية، وكان يدلي برأيه الشخصي في تفسير القرآن وبيان الأحكام مما أدى إلى إضلال طائفة كبيرة من الناس الذين اعتمدوا عليه بجهلهم، وبذلك فتح الحسن البصري أول باب للاجتهاد مقابل النص، المتمثل بوجود أهل البيت عليهم السلام الذين أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرجوع إليهم والتمسك بهم.

إعتزال واصل بن عطاء

وأول من اعترض على آراء الحسن البصري هو واصل بن عطاء أحد تلامذته الذي عجز عن إقناع استاذ به خطئه لإصرار الأخير على المجادلة وعدم التواضع، فلذلك خرج واصل من حلقة الدرس واتخذ أحد أعمدة المسجد ليعقد عنده حلقة درسه مقابل حلقة درس استاذ، وذهب إلى حلقة درس واصل كل من كان مخالفاً لآراء الحسن البصري وبمرور الزمن أخذت هذه الدروس طابع التحرير والتدوين بعدما كانت سماعية وشفاهية، فأخذ الطلاب يدونون آراء واصل بن عطاء وهكذا آراء الحسن البصري حتى وضعت قواعد خاصة بهما لعلم الكلام.

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٩٥ دار إحياء الكتب العربية.

ظهور المعتزلة

ثم إن أتباع واصل بن عطاء عُرفوا فيما بعد بـ (المعتزلة) وكان يتزعمهم عمرو بن عبيد الذي عُرف بالزهد وقد حرص عمرو على إظهار عقائد المعتزلة بشكل علمي دقيق، فاشتهروا بالملك العقلي أي أن كل حديث أو آية لا يوافق ظاهرها القواعد العامة فإنهم يؤزلون ذلك بما ينسجم مع العقل وقواعدهم الكلامية.

بينما التزم جماعة الحسن البصري بظواهر النصوص وإن كانت تخالف العقل، واعتبروا المعتزلة مبتدعة في الدين ومنحرفين عن الإسلام، بينما أطلقوا على أنفسهم (أهل السنة) باعتبار تمسكهم بظواهر النصوص. وفي الحقيقة كانت لعبة سياسية نجح بنو أمية في ترويجها إذ أن الاختلاف والافتراق وتبادل الاتهامات يصب في مصلحتهم من خلال سياسة (فرق تسد) وبالتالي سوف ينشغل هؤلاء وهؤلاء بمباحث علمية فرعية ويستغرقون كامل عمرهم ووقتهم في المجادلات والمحاورات تاركين بني أمية يلعبون في وجدان الأمة ويقتلون الأبرياء.

وأكبر دليل على ضلالة الحسن البصري وأتباعه أنهم عملوا بالقياس في المسائل الفرعية واعتمدوا على آرائهم القاصرة مع أنه أمر باطل واعتمدوا على ظواهر النصوص في المسائل الأصولية (أصول الدين) تاركين العقل وتمسكين بالظاهر فحسب وهو أمر باطل، فاضطروا إلى القول بالتشبيه والتجسيم، فمثلاً قوله تعالى: ﴿الرَّخْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١) ونظائر هذه الآية كالنظر إلى الله سبحانه وما شابه ذلك، كانوا يحملون هذه الألفاظ على

معانيها الحقيقية ويقولون بتجسّم الله تعالى وتشبيهه، وهكذا فتحت للأمة الإسلامية أبواب الضلال من الحسن البصري وواصل بن عطاء الذين تركا أهل البيت عليه السلام وأعدال القرآن واعتمدا على نظرهما القاصر وعقليهما الصغيرين، ولم يتوقّف الأمر إلى هذا الحدّ، بل من خلال عقائدهما الفاسدة وآرائهما الكاسدة تفرّعت مدارس واتجاهات أخرى كثيرة في أوساط أهل السنة.

هذا كلّه ذكرته لكم لتعرفوا أنّ الاختلافات (في الأصول والفروع) بين فرق أهل السنة أكثر من اختلاف السنة مع الشيعة.

سؤال: نحن على ما سمعنا أنّ المسلمين عبارة عن أهل السنة والشيعة بينما فهمنا من كلامك المتقدم أنّ هناك فرقاً أخرى، فهل يمكن أن توضّحو لنا ذلك؟
الجواب: لستُ أوّل من أشار إلى وجود الفرق الإسلامية وتعدّدها وإنّما حصل ذلك من الصدر الأوّل للإسلام كما مرّ عليكم في المجلّد الأوّل، وكما ذكرت لكم مصادر قول النبي صلى الله عليه وآله: ستفترق أمتي بعدي على ثلاث وسبعين فرقة، وهو واضح وصريح بوجود التعدّد في الفرق الإسلامية وهكذا ذكر أصحاب الملل والنحل من أهل السنة - مثل أبي منصور عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق، وابن حزم في الفصل، والشهرستاني في الملل والنحل - أكثر من خمسين فرقة إسلامية كلّها من أهل السنة يختلفون في الأصول والفروع. وأذكر لكم مثلاً ما ذكره الشهرستاني في الملل والنحل وأقرأه لكم:

- ١- المعتزلة ٢- الواصليّة ٣- الهذليّة ٤- النظاميّة ٥- الخاطبيّة ٦- البشريّة ٧- المعمريّة ٨- المردارية ٩- الثماميّة ١٠- الهشاميّة ١١- الجاحظيّة ١٢- الخياطيّة ١٣- الجبائيّة ١٤- البهشميّة ١٥- الجبريّة ١٦- الجهميّة ١٧- البخاريّة ١٨- الضراريّة ١٩- الصفانيّة ٢٠- الأشعريّة ٢١- المشبهة ٢٢- الكراميّة ٢٣- الخوارج ٢٤- الأزارقة ٢٥- النجدات العاذريّة ٢٦- البيهسيّة ٢٧- العبادة ٢٨- الصلتيّة ٢٩- الحمزيّة ٣٠- الخلفيّة ٣١- الشيعيّة ٣٢- الميمونيّة ٣٣- الأطرافيّة ٣٤- الجازميّة

٣٥- الشعالية ٣٦- الرشيدية ٣٧- الأخنسية ٣٨- الشيبانية ٣٩- المكرمية ٤٠-
المعلومية ٤١- المجهولية ٤٢- الأباضية ٤٣- الحفصية ٤٤- الحارثية ٤٥- اليزيدية
٤٦- الصفرية ٤٧- المرجئة ٤٨- اليونسية ٤٩- العبيدية ٥٠- الغسانية ٥١- الثوبانية
٥٢- التومنية ٥٣- الصالحية^(١).

سؤال: ما ذكرته هو فهرست لأسماء هذه الفرق، ولكن يا حبذا لو شرحت
لنا وبشكل مختصر عن كل واحدة من هذه الفرق وما هي أسباب التراقها؟
الجواب: إن شرح حال كل فرقة يتطلب منا مجلدات ويخرجنا عن صلب
البحث، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله أحاول أن أذكر لكم ولو مختصراً عن
بعض هذه الفرق:

المعتزلة

المعتزلة: توجد آراء كثيرة لتسميتهم بهذا الاسم منها ما ذكره المسعودي:
لأنهم قالوا بالمعتزلة بين المنزلتين فبين المؤمن والكافر توجد مرتبة ثالثة وهي
الفاسق وبذلك خالفوا واعتزلوا كل آراء القدماء والأصحاب والتابعين وجميع
أهل العلم فسمّوا بذلك، بينما ذكر المقرئ أن سبب التسمية هو اعتزال واصل
بن عطاء عن حلقة الحسن البصري فسمّوا بالمعتزلة بعدما قال الحسن البصري:
اعتزل عنا واصل بن عطاء.

وبعض ذكر سبب آخر وهو بعدما عقد الإمام الحسن عليه السلام معاهدة الصلح
المشروطة مع معاوية بن أبي سفيان اعتزل أصحاب واصل بن عطاء كلاً
الفريقان وقالوا: لا نفترب بعد اليوم من أي فرقة فالتزموا الاعتزال عن المسلمين

(١) أنظر الملل والنحل للشهرستاني ج ١ الباب الأول ص ٤٠ دار المعرفة بيروت

وركنوا إلى المساجد للعبادة والمدارس فقط.

ثم إن للمعتزلة فرق داخلية تفرعت من الأصل ولكل واحدة اسم خاص بها. يقول زهدي حسن جار الله في كتابه (المعتزلة): وأهم من الجميع: أهل العدل والتوحيد فهي أهم من: أهل الحق، القدريّة، الشنوية، المجوسية، الجهمية، الخوارج، الوعيدية، المعطلة.

ويقول الشهرستاني: ويسمّون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدريّة والعدلية وقالوا: لفظ القدريّة يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى^(١).

إلا أن جميع فرق المعتزلة يشتركون في أصول عامّة ذكرها الشهرستاني في كتابه وهي:

أ - القول: بأن الله تعالى قديم، ونفوا الصفات القديمة أصلاً لكي لا يقعوا في محذور تعدّد القدماء فقالوا: هو عالم بذاته قادر بذاته حيّ بذاته لا يعلم ولا قدرة ولا حياة.

ب - القول: إن كلام الله تعالى محدّث مخلوق في محلّ وهو حرف وصوت كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه فإنّ ما وجد في المحل عرض قد فنى في الحال.

ج - القول: إن الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته سبحانه لكن اختلفوا في وجوه وجودها.

د - واتفقوا على نفى رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار ونفى التشبيه عنه من كلّ وجه: جهة، ومكاناً وصورة وجسماً وتحيزاً وانتقالاً وزوالاً وتغيّراً وتأثراً وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها وسَمّوا هذا النمط توحيداً.

هـ - واتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة والرب تعالى منزّه أن يضاف إليه شرّ وظلم وفعل هو كفر ومعصية، لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً، كما لو خلق العدل كان عادلاً.

و - واتفقوا على أن الله تعالى لا يفعل إلاّ الصلاح والخير ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد، وأما الأصلح واللفظ ففي وجوبه عندهم خلاف وسمّوا هذا النمط: عدلاً.

ز - واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضل معنى آخر وراء الثواب وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحقّ الخلود في النار، لكن يكون عقابه أخفّ من عقاب الكفار وسمّوا هذا النمط: وعداً ووعيداً.

ح - واتفقوا على أن أصول المعرفة وشكر النعمة واجبة قبل ورود السمع والحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل واعتناق الحسن واجتناب القبيح واجب كذلك وورود التكاليف أطاف للباري تعالى أرسلها إلى العباد بتوسط الأنبياء ﷺ امتحاناً واختباراً ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(١). واختلّفوا في الإمامة والقول فيها نصّاً واختياراً^(٢).

الواصلية

الواصلية: أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزالي البصري وهو من أكابر متكلّمي أواخر القرن الأوّل الهجري وكان فصيحاً بليغاً إلاّ أنّه ألثغ، أي كان

(١) الأنفال: ٤٣.

(٢) المصدر السابق ص ٤٣.

يلفظ حرف الراء غين وكان من ذكائه وفطنته عندما يتكلم مع الناس يتجنب الكلمات التي فيها حرف الراء لكي لا يعاب عليه.

وقد حضر فترة من الزمن عند أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية والحسن البصري وله تصانيف كثيرة منها (أصناف المرجئة) و(المنزلة بين المنزلتين) و(معاني القرآن) و(طبقات أهل العلم والجهل) و(السبيل إلى معرفة الحق).

وكان في أيام عبد الملك بن مروان المتوفي عام ٨٦هـ وهشام بن عبد الملك المتوفي عام ١٢٥هـ، وتوفي واصل في عام ١٣١هـ في البصرة وامتاز بأربع قواعد اختلف فيها عن كل المسلمين وهي:

أ - القول بنفي صفات الباري تعالى من العلم والقدرة والإرادة والحياة، وكان واصل يشرع في هذه المقالة على قول ظاهر وهو الاتفاق على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين، ومن أثبت معنى صفة قديمة فقد أثبت إلهين^(١).

ثم إن السبب الذي دفع واصل بن عطاء وكل من نهج نهجه بعده إلى الالتزام بهذه الفكرة الخاطئة هو الغور في الكتب الفلسفية اليونانية والأفكار النصرانية المنسوبة إلى الواقع الإسلامي التي تقول بتعدد القدماء الثلاثة (الأقانيم)، فاعتقد بعض المسلمين أن القول بقدّم الصفات إلهية يشبه عقيدة النصارى في تعدّد القدماء وفراً من هذا المحذور. قال بعضهم: إن الصفات الإلهية كلّها تعود إلى صفتين فقط هما العلم والقدرة، وبعضهم أرجعها إلى صفة واحدة، وبعضهم قال ما قاله واصل بن عطاء وهكذا.

الجواب عن هذه العقيدة:

علينا أن ندرك أن بين عقيدة الأقانيم الثلاثة وبين الصفات الإلهية فرق كبير

وبون واسع، لأن النصارى يعتقدون أن الأقانيم الثلاثة (الأب والابن وروح القدس) لكل واحد منها وجود مستقل عن الآخر وله خصائصه الخاصة به ولكن إن لم تجتمع هذه الأقانيم الثلاثة لن تصدر الأفعال الإلهية كالخالقية والرازقية..

بينما يقول الدين الإسلامي: إن الصفات الإلهية ليس لها وجود مستقل عن الذات المقدسة، بل هي عين ذاته وهو ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام: وكمال توحيده نفي الصفات عنه، أي أنها ليست زائدة عليه وقد أوضحنا هذا المطلب في كتابنا (مائة مقالة سلطانية) وسوف نتناوله هنا لاحقاً إن شاء الله.

ولكن كل من يعتقد بزيادة الصفات على الذات الإلهية فهو مشرك بلا شك، لاعتقاده بتعدد القدماء وهو باطل، لأنه تعالى واحد وصفاته عين ذاته غير زائدة عليه وهذه هي العقيدة الصحيحة التي طرحها آل بيت النبي عليهم السلام.

ب - القول بالقدر فقال واصل: إن الباري تعالى حكيم عادل لا يجوز أن يُضاف إليه شر ولا ظلم ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر.

فالعبد هو الفاعل للخير والشر والإيمان والكفر والطاعة والمعصية وهو المجازي على فعله والرب تعالى أقدره على ذلك كله، وأفعال العباد محصورة في الحركات والسكنات والاعتمادات والنظر والعلم.

قال الشهرستاني: إن المعتزلة سلكوا - في هذه العقيدة - مسلك معبد الجهني^(١) وغيلان الدمشقي^(٢) القدري^(٣).

(١) معبد الجهني هو أول من تكلم في القدر وقتله عبدالملك بن مروان بسبب عقيدته هذه وقيل الحجاج بن يوسف عام ٨٠هـ.

(٢) غيلان الدمشقي: صلبه هشام بن عبد الملك على باب دمشق.

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ٤٧.

وكان غيلان من القدرية ومن أصحاب الحرث الكذاب وقد اعتقد غيلان بنبوة الحرث، وقد جلس مكان الحرث بعد قتله وبعد محاججته ومناظرته مع الأوزاعي أفتى الأخير بقتل غيلان وتم قتله في زمن هشام بن عبد الملك.

ج - القول بالمنزلة بين المنزلتين والسبب فيه أنه دخل واحد على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر وهم وعيدية الخوارج وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر.

د - قوله - واصل بن عطاء - في الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين أحدهما مخطئ لا بعينه وكذلك قوله في عثمان وقاتليه وخاذليه، ولا تقبل شهادتهما فلا يجوز قبول شهادة علي عليه السلام وطلحة والزبير على باقة بقل.

الهذيلية

وهم أصحاب أبي الهذيل حمدان (محمد) بن الهذيل العلاف شيوخ المعتزلة ومقدم الطائفة ومقرر الطريقة والمناظر عليها، واقترب عن أصحابه بعشرة قواعد وانفصل بجماعته عن المعتزلة.

النظامية

هم أصحاب إبراهيم بن يسار بن هاني النظام البصري، وهو ابن أخت أبي الهذيل العلاف، وقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وتأثر بهم كثيراً وحاول أن يخلط المسائل الإسلامية بالمسائل الفلسفية وانفرد عن المعتزلة بثلاثة عشر مسألة وعرف مع جماعته بـ (النظامية).

الخابطية، الحديثية

الخابطية أصحاب أحمد بن خابط، والحديثية أصحاب الفضل الحديثي كانا من أصحاب النظم وطالعا كتب الفلاسفة أيضاً وضما إلى مذهب النظم ثلاث بدع.

البشرية

أصحاب بشر بن المعتمر، كان من أفضل علماء المعتزلة وهو الذي أحدث القول بالتولد وأفرط به وانفرد عن أصحابه بمسائل ست ذكرها الشهرستاني.

المعمرية

أصحاب معمر بن عباد السلمي، وهو من أعظم القدرية قربة في تدقيق القول بنفي الصفات ونفي خيره وشره من الله تعالى والتكفير والتضليل على ذلك وانفرد عن أصحابه بمسائل عديدة أهمها قوله: **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً غَيْرَ الْأَجْسَامِ، فَأَمَّا الْأَعْرَاضُ فَإِنَّهَا مِنْ اخْتِرَاعَاتِ الْأَجْسَامِ!!** بينما يقول الله تبارك وتعالى: **﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾**^(١)، وقال تعالى: **﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**^(٢).

المردارية

أصحاب عيسى بن صبيح المكنى بأبي موسى الملقب بالمردار وقد تتلمذ

(١) الرعد: ١٧.

(٢) الحديد: ٢.

عند بشر بن المعتمر الأنف الذكر وأخذ العلم منه وتزهّد حتّى عرف براهب المعتزلة وقد انفرد عن أصحابه المعتزلة بمسائل منها: إنّ الناس قادرون على مثل القرآن فصاحةً ونظماً وبلاغةً!!

مع أنّ الله تعالى يصف عجز الإنس والجنّ عن ذلك في قوله: ﴿قُلْ لَيْسَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(١)، ومن خلال ذلك يظهر أنّ المردار وأمثاله لا هدف لديهم سوى مخالفة القرآن الحكيم ورسالة سيّد الكائنات ﷺ.

الثّمانية

أصحاب ثمانية بن أشرس النميري، كان جامعاً بين سخافة الدين (أي دينه هو واعتقاداته) وخلاعة النفس مع اعتقاده بأنّ الفاسق يخلّد في النار إذا مات على فسقه من غير توبة وهو في حال حياته في منزلة بين المنزلتين، وهو الآخر انفرد عن أصحابه بمسائل خاصّة ذكرها الشهرستاني.

الهشامية

أصحاب هشام بن عمرو الغوطي، وقد بالغ في مسائل القدر أشدّ وأكثر المبالغة من أصحابه وكان يمتنع من إطلاق إضافات أفعال إلى الباري تعالى وإن ورد بها التنزيل!! منها قوله: إنّ الله لا يؤلّف بين قلوب المؤمنين بل هم المؤتلفون باختيارهم.

وهذا كما تلاحظون خلاف صريح للقرآن المجيد^(٢).

(١) بني إسرائيل: ٩٠.

(٢) قال تعالى: ﴿مَا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ الأنفال: ٦٣.

الجاحظية

أصحاب عمرو بن بحر أبي عثمان الجاحظ البصري اللغوي النحوي المعروف، كان من فضلاء المعتزلة والمصنفين لهم، وفي الاعتقادات كان يميل إلى الناصبية والعثمانية وقد كتب في هذا المجال كتاب العثمانية، الذي ردّه أبو جعفر الإسكافي شيخ المعتزلة في وقته، ومحمد بن النعمان الشيخ المفيد من الشيعة وسيد أحمد بن طاووس وقد دون ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة بعض آراء الجاحظ والردّ عليه في مواقع متعدّدة، وقد عاصر الجاحظ المعتصم والمتوكل وكان كثير المطالعة للكتب الفلسفية التي أثّرت عليه وجعلته صاحب مسلك خاصّ مخالف لجميع المسلمين وكانت جماعته والمتأثرون بأفكاره يميلون إلى الطبيعة أكثر من ميلهم إلى الخالق سبحانه وهذه عبارة الشهرستاني «ومذهب الجاحظ هو بعينه مذهب الفلاسفة إلا أنّ الميل منه ومن أصحابه إلى الطبيعيين منهم أكثر منه إلى الإلهيين»^(١) وقد أصيب الجاحظ في أواخر عمره بالفالج ومات فيه.

الخياطية

أصحاب أبي الحسين بن أبي عمرو الخياط، استاذ أبي القاسم بن محمد الكعبي وهما من معتزلة بغداد على مذهب واحد إلا أنّ الخياط غالى في إثبات المعدوم شيئاً، وهكذا كان تلميذه الكعبي إلا أنّه امتاز عن الخياط بمسائل انفرد بها عنه، فسمّيت جماعته بـ(الكعبية).

(١) المصدر السابق ص ٧٦.

الجبائية

أصحاب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي وهو من علماء معتزلة البصرة، وانفرد عن أصحابه بمسائل ذكرها الشهرستاني.

البهشية

أصحاب أبي هاشم عبد السلام ابن أبي علي الجبائي، واقترب عن والده وعن أصحابه بعدة مسائل ذكرها الشهرستاني.

الجبرية

وهم من المعتزلة الذين لا يشتون للعبد فعلاً ولا قدرة بل ينسبون كل شيء إلى الله ويعتبرون الإنسان مجبوراً في جميع أفعاله، والجبرية أصناف فهناك الجبرية الخالصة وهناك الجبرية المتوسطة، فالأولى تسلب القدرة عن العبد مطلقاً والثانية تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة.

الجهمية

وهم أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة وقد ظهرت بدعته بترمذ وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرور في آخر ملك بني أمية ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم أشياء.

النجارية

أصحاب الحسين بن محمد النجاري، وأكثر معتزلة الري وما حولها على مذهبهم وقد اختلفوا عن أصحابهم المعتزلة بعده مسائل باطلة فاسدة ذكرها الشهرستاني.

الضرارية

أصحاب ضرار بن عمرو وحفص الفرد وكان لهما عقائد فاسدة منها إمكان رؤية الله تعالى على نحو الحقيقة في الجنة، وقالوا: إن للإنسان حاسة سادسة بها يرى الله تعالى!

تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وسوف أوضح بطلان هذه الآراء عندما أتحدث عن الجبرية.

الصفاتية

وهم من المعتزلة أيضاً إلا أنهم أثبتوا الصفات الأزلية لله تعالى من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام.. ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوفاً واحداً، ولهم عقائد أخرى لا يمكن شرحها هنا.

الأشعرية

أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري، فهو علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري، فنسب أبي الحسن الأشعري ينتهي إلى اثنين من المنافقين المخالفين للحق والمبغضين لأمير المؤمنين علي عليه السلام، الأول هو أبو موسى الأشعري وقد تقدمت أدلة نفاقه ويغضه لأمير المؤمنين عليه السلام في الجزء الأول.

أبو بردة عامر بن أبي موسى الأشعري

والثاني هو أبو بردة عامر بن أبي موسى الذي جلس في مجلس القضاء في الكوفة بعد شريح القاضي، قال عنه ابن أبي الحديد المعتزلي: ورث البغضة لعلي عليه السلام لا عن كلاله^(١) ولم يكتفِ ببغض أمير المؤمنين علي عليه السلام بل كان يبغض حتى أصحابه وشيعته فقال أبو بردة يوماً لأبي العادية قاتل عمار بن ياسر: أنت قتلت عمار بن ياسر؟ قال: نعم، قال: ناولني يدك فقبّلها، وقال: لا تمسك النار أبداً!!، وقال ذات مرة لزياد بن أبيه: أشهد أن حजर بن عدي قد كفر بالله كفره أصلع، إنما عنى بذلك نسبة الكفر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام لأنه كان يُلقَّب بالأصلع^(٢).

وهو من جملة الذين شهدوا وكتبوا كتاباً إلى زياد بكفر حजर بن عدي وتقدّم ذلك منّا في الجزء الأول، وقد مات هذا المنافق اللعين عام ١٠٣ هـ والتحق برفاقه في جهنّم وبئس المصير.

أبو الحسن الأشعري إمام الأشعرية

أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري من أعاظم تلامذة أبي علي الجبائي، وهو من أكابر علماء المعتزلة في عصره وكان أبو علي زوج أم أبي الحسن الأشعري فأشرف على تربيته وتعليمه، وبعد أن تكامل في درسه قرّر أن يسلك مسلكاً مخالفاً لامتازده ووالده الروحي الجبائي فقرّر لنفسه طريقة خاصّة ومذهباً غير مذهب المعتزلة تماماً، فقد وضع مقابل كلّ أصل من أصول المعتزلة أصلاً

(١) يريد أنّه ورث البغض عن أبيه أبي موسى الأشعري.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٩٩ دار إحياء الكتب العربية.

جديداً مخالفاً له وشقّ لنفسه موقفاً جديداً في خضم التيارات العقائدية، وبمرور الزمن صار مذهب الأشعري هو صاحب الصيت الواسع وال جماهير المتكثرة حوله وذلك لدعم السياسة له - مثل آل أيوب - إذ كانت قواعده ونظرياته تصبّ في مصلحتهم، فلذا أيدّ خلفاء الجور مذهب الأشعري ووقفوا معه وفرضوه على قطاعات واسعة من الناس والعلماء حتّى صارت الأشاعرة مذهباً يقف مقابل المعتزلة في نقله الجماهيري والعلمي وآل الأمر إلى تكفير بعضهم البعض.

وكان مذهب المعتزلة يعتمد القواعد العقلية غالباً إلا أنّ أدلّتهم كانت جدلية وقياساتهم غير برهانية ولكنها على كلّ حال قريبة من الإنصاف والعقل، وعُرف المعتزلة باعتمادهم على الآراء الفلسفية اليونانية التي أدخلها وروجّ لها بعض خلفاء الجور مع أنّ المسلمين كانوا بعيدين كلّ البعد عن هذه الآراء والنظريات وغرباء عن هذا المسلك، لأنّه لا ينسجم مع أغلب قواعد الدين الإسلامي، إلا أنّ المعتزلة حاولوا التوفيق بين الأفكار الفلسفية والعقائد الدينية، ولكن كان من الصعب على عامة المسلمين فهم ذلك ولهذا لم يجد المعتزلة شهرة كالأشاعرة. وعلى خلاف المعتزلة كانت الأشاعرة الذين قالوا: كلّ ما لم يكن موجوداً في صدر الإسلام الأوّل فهو بدعة، وعليه فقد حرّموا قراءة الكتب الفلسفية والأفكار اليونانية، ممّا أدى إلى تعميق الخلاف بين الفريقين، حتّى ذكر ابن شحنة في روضة المناظر: لمّا توفّي أبو الحسن الأشعري عام (٣٢٩هـ) أو (٣٣٠هـ) في بغداد حمّله أصحابه في الخفاء دون علم أحد ودفنوه في شرعة الزوايا وأخفوا قبره، لخوفهم من الحنابلة (الذين كفّروهم الأشعري فأباحوا دمه) أن يقوموا بنش قبره وإهانة جثّته!!

المشبهة

لقد ذكر الشهرستاني: أنهم من الحشوية أصحاب مضر وكهمس (بن المنهال السدوسي أبو عثمان البصري اللؤلؤي) وأحمد بن عطا الهجيمي. وذكر غير الشهرستاني من أصحاب الملل والنحل أن المشبهة أصحاب يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري وإسحاق وداود بن علي الاصفهاني وغيرهم.

فرؤجوا العقيدة التشبيه وما يزال أتباعهم إلى اليوم يقولون بذلك، وقد انقسم مشبهة أهل السنة إلى فرقتين:

الأولى: الذين قالوا بأن الله تعالى مثل خلقه فله مكان خاص، لأن كل من ليس له مكان فهو معدوم، وقالوا: إن الله يجلس على العرش وقدماه على الكرسي ويثبتون له من الأعضاء ما للإنسان إلا الحلقوم والخرطوم!! وهذه بعض الخرافات والعقائد الفاسدة والنظريات الكافرة التي امتاز بها المشبهة.

الثانية: التي لم تشبهه بتلك الصفات البشرية وأنه تعالى لا يشبه المخلوقات، وكانت لكلا الفرقتين آراء وعقائد بعيدة كل البعد عن العقل والقرآن، لا يسمع المجال هنا لذكرها.

الكرامية

أصحاب أبي عبدالله محمد بن كرام وأصله من منطقة سجستان من نواحي (أبست) التي تبعد ثمانين فرسخاً جنوب هرات، وقد أبعد من منطقته بسبب عقائده الفاسدة إلى منطقة غرستان (الواقعة غرب هرات) ويقال عنها باللسان العامي غرجستان كما ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان، وأنه كان يتظاهر بالنسك والعبادة فقد انخدع به أهل (شومين) و(وافشين) وأتبعوه وعقدوا له

البيعة وتأثروا بعقائده، وفي زمان محمد بن طاهر بن عبدالله، تحرّك محمد بن كرام مع جماعته إلى نيشابور وخدع الناس البسطاء الذين يقطنون الصحراء فقبلوا أفكاره على جهلهم واتبعوه، وكانت له أفكار خطيرة جداً منها التجسيم والتشبيه للخالق تعالى!!

الخوارج

أصحاب حرقوص بن زهير ومسر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي الذين خرجوا وخالفوا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وقد تقدّم تفصيل ذلك في الجزء الأول، فبايعوا عبدالله بن وهب الراسبي وأبدعوا البدع في الدين والتف حولهم عوام الناس الذين لا يفهمون أي شيء من الدين والحياة، وكانوا يلعنون عثمان بن عفّان وعليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ويعلنون التبرّي منهم، ومع مرور الزمان فقد تفرّعت عنهم فرق ومذاهب مختلفة.

الأزارقة

وكبار الفرق منهم الأزارقة أصحاب أبي راشد نافع بن أزرع الذي خرج في البصرة عام ٦٥هـ واستولن عليها ثم اتّجهوا إلى الأهواز فغلبوا عليها وعلى كورها وما وراءها من بلاد فارس وكرمان في أيام عبدالله بن الزبير وقتلوا عمّاله بهذه النواحي، وأبدعوا بدعاً كفرهم جميع المسلمين^(١).

(١) من بدعهم أنّهم قالوا: إنّ الله أنزل في شأن عليّ بن أبي طالب: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُغْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَامِ»!! وصوّبوا عمل ابن ملجم وآتاه نزل في شأنه: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ

النجدة العاذرية

أصحاب نجدة بن عامر الحنفي الذي خرج مع أصحابه من اليمامة يريد للحدائق بالأزارقة وفي الطريق استقبله أبو فديك وعطية بن الأسود الحنفي في الطائفة الذين خالفوا نافع بن الأزرق فأخبروه بما أحدثه نافع من الخلاف: بتكفير القعدة عنه - أي الذين لم يقوموا معه بل قعدوا عنه - وعدم جواز التقية وإباحته قتل أطفال المخالفين والنساء معهم وسائر البدع الأخرى، فبايعوا نجدة ابن عامر وسمّوه أمير المؤمنين!! ولأنّ بيعتهم له لم تكن على أساس متين أو قناعة تامة ولهذا فإنها لم تدم طويلاً حتّى اختلفوا عليه وكفّروه وقتلوه لأمر عديده، منها: أنّه بعث ابنه مع جيش إلى أهل القطيف فقتلوا رجالهم وسبوا نساءهم وقوموها على أنفسهم وقالوا: إن صارت قيمتهنّ في حصصنا فذاك وإلا ردنا الفضل، وتكحوهن قبل القسمة وأكلوا من الغنيمة قبل القسمة، فلمّا رجعوا إلى نجدة وأخبروه بذلك، قال: لم يسعكم ما فعلتم؟ قالوا: لم نعلم أنّ ذلك لا يسعنا فعذرهم بجهالتهم وقال: الدين أمران:

الأول: معرفة الله تعالى ومعرفة رسله وتحريم دماء المسلمين يعنون موافقيهم (والأفالمسلمون في نظرهم كفّار) والإقرار بما جاء من عند الله جملةً فهذا واجب على الجميع والجهل به لا يُعذر فيه.

الثاني: ما سوى ذلك فالناس معذورون فيه إلى أن تقوم عليهم الحجّة في الحلال والحرام، ومن جوّز العذاب على المجتهد المخطئ في الأحكام قبل قيام

→ مَرَضَاتُ اللَّهِ.

ويتضح أنّ هذه الروايات التي افتعلها سمرة بن جندب بأمر معاوية كما ذكرنا ذلك في الجزء الأول قد انطلبت على أمثال هؤلاء البهائم / المترجم.

الحجة عليه فهو كافر.

وبعد هذه الحادثة اختلف أصحاب نجدة عليه فمنهم من وافقه ومنهم من خالفه، فالذين وافقوه سموا به (العاذرية).

ولما كاتب نجدة عبد الملك بن مروان وأعطاه الرضا نقم عليه بعض أصحابه فاستتابوه فأظهر التوبة فتركوا النقرة عليه والتعرض له وندمت طائفة على هذه الاستتابة وقالوا: أخطأنا وما كان لنا أن نستتيب الإمام، وفارقه أبو فديك وعطية ووثب عليه أبو فديك فقتله، ثم برئ أبو فديك من عطية، وعطية من أبي فديك وأنفذ عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي مع جيش إلى حرب أبي فديك فحاربه أياماً فقتله ولحق عطية بأرض سجستان، وبهذه الحرب الأخيرة ذهبت شوكة الأزارقة.

البيهسية

أصحاب أبي بيهس الهيصم بن جابر، وهو أحد بني سعد بن ضبيعة، كان في العراق فجمع حوله بعض الخوارج وخذعهم ببدعه وضلالاته، فطلبه الحجاج بن يوسف الثقفي فهرب إلى المدينة، فطلبه والي المدينة عثمان بن حيان المزني فظفر به وحبسه وكان يسامره إلى أن ورد كتاب الوليد بن عبد الملك بأن يقطع يديه ورجليه ثم يقتله ففعل به ذلك، ومن بعده افرقت البيهسية إلى العونية وهي فرقان لكل واحدة منها مجموعة من البدع والضلالات.

العجاردة

أصحاب عبد الكريم بن عجرد وافق عطية بن أسود الحنفي كما صرح أبو منصور البغدادي في الفرق بين الفرق، بينما صرح الشهرستاني أن عبد الكريم هذا وافق النجدات وقيل إنه كان من أصحاب أبي بيهس ثم خالفه وتفرّد بأقوال وبدع أخرى.

الصلتية

أصحاب عثمان بن أبي الصلت أو الصلت بن أبي الصلت، كان من العجاردة، إلا أنه تفرّد عنهم بعقائد خاصّة به وجماعته.

الحمزية

أصحاب حمزة بن أدرك الشامي الخارجي وافقوا الميمونية في القدر وفي سائر بدعها إلا في أطفال مخالفيهم والمشرّكين، هكذا ذكر الشهرستاني، بينما ذكر المقرئزي وأبو منصور البغدادي أنّ الحمزية كانوا مع العجاردة والجازمية ومن ثمّ انفردوا عنهم بمسائل القدر والاستطاعة، فغادر حمزة في عهد هارون العبّاسي (١٧٩هـ) إلى سجستان فتبعه أهلها وأهل خراسان ومكران وقهستان وكرمان وسَمَوَه بـ (أمير المؤمنين)، فأرسل إليه الرشيد جيشاً لمحاربته إلا أنّه فشل في الإجهاز عليه وكسر شوّكته إلى أن جاء المأمون العبّاسي فقتل أكثر الخوارج من البيهسية، ثمّ أرسل إلى حمزة رسالة ودعاه إلى نفسه، فلم يستجب له حمزة وخالف عليه، إلى زمان عبد الرحمن النيشابوري الذي حارب الحمزية فقتل منهم الآلاف وجرح زعيمهم حمزة في المعركة وفرّ منها إلى أطراف القرى بيثّ سمومه وبدعه إلى أن مات فيها.

الخَلْفِيَّة

أصحاب خلف الخارجي، الذي ضرب حمزة بن أدرك، وكان أوّل أمره منهم إلا أنّه انفرد عنهم بالقضاء والقدر وأضاف إلى بدع الخوارج بدعاً أخرى وكانت أكثر عقائدهم من الأزارقة أو موافقة لهم.

الشعبيّة

أصحاب شعيب بن محمّد الذي كان من العجاردة إلا أنّه برئ منهم حين أظهروا القول بالقدر فانفرد عنهم بآراء خاصّة.

الميمونيّة

أصحاب ميمون بن خالد كان من جملة العجاردة، إلا أنّه انفرد عنهم بإثبات القدر خيره وشره من العبد، وإثبات الفعل للعبد خلقاً وإبداعاً وله خرافات وبدع كثيرة منها أنّه أجاز نكاح بنات البنات وبنات أولاد الاخوة والأخوات وكان يقول للناس: إنّ الله تعالى حرّم البنات وبنات الاخوة والأخوات ولم يحرم نكاح أولاد هؤلاء!! كما وأنكر بعض السور القرآنية مثل سورة يوسف!! وعلى غرار هذه الأباطيل اجتمع حوله كلّ مريض في نفسه وقلبه.

الاطرافيّة

أصحاب غالب بن شاذان وهو من سجستان، وكان من تابعي حمزة بن ادرك في القول بالقدر إلا أنّه عذر أصحاب الاطراف في ترك ما لم يعرفوه من الشريعة فعرّفوا بالاطرافية وكانوا من أهل السنّة على غرار بقية الفرق المتقدّمة.

الحازمية

أصحاب حازم بن علي أو حازم بن عاصم، وكان أكثر عجاردة سجستان منهم، وأخذوا -الحازمية- بقول شعيب في أنّ الله تعالى خالق أعمال العباد أي أنّ الإنسان مجبور في أعماله وقالوا في باب القدر والاستطاعة ما قاله عامّة أهل السنّة، وفي ولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام توقّفوا وبنفس الوقت لم يصرّحوا بالبراءة منه ويصرّحون بالبراءة في حقّ غيره.

الثعالبة

أصحاب ثعلبة بن عامر^(١)، كان مع عبد الكريم بن عجرد يداً واحدة إلى أن اختلفا في أمر الأطفال فقال ثعلبة: إن أطفال المسلمين تحت ولاية أوليائهم حتى يكبروا فنرى منهم إنكاراً للحق، بينما قال عبد الكريم: تجب البراءة من الأطفال حتى يكبروا ويدعى إلى الإسلام، وبهذا افترقوا عن العجاردة.

الرشيديّة

أصحاب رشيد الطوسي وأصلهم من الثعالبة ثم افترقوا عنهم.

الأخنسيّة

أصحاب أخنس بن قيس وكانوا من جملة الثعالبة وانفردوا عنهم بمسائل وهم على أصول الخوارج في سائر المسائل.

الشيبيانيّة

أصحاب شيبان بن سلمة الخارجي، كان في ابتداء أمره من الثعالبة ومن رؤساء الخوارج، وقد كان مع الثعالبة قد اتحدوا مع أبي مسلم الخراساني داعية العباسيين فأعانوه في قتاله ضدّ نصر بن سيار وهو عامل بني أمية في خراسان، فلمّا تمتّ الأمور لأبي مسلم الخراساني دعى الناس إلى بيعته ومن جعلتهم دعى الشيباني إلى بيعته، فامتنع الأخير وقال: أنا أدعوك إلى بيعتي، فأرسل إليه أبو مسلم: إن لم تدخل في أمرنا فارتحل عن منزلك الذي أنت فيه، فسار شيبان

(١) وقال صاحب التبصير والفرق بين الفرق: إنه ثعلبة بن مشكان / المؤلف.

إلى سرخس واجتمع إليه جمع كثير فبعث إليه أبو مسلم بسام بن إبراهيم يأمره أن يسير إلى شيبان فيقاتله، ففعل فهزمه بسام وأتبعه حتى دخل المدينة فقتل شيبان وعدة من بكر بن وائل وكان ذلك عام ١٣٠هـ^(١).

ومذهب شيبان هو مذهب المجبرة على غرار جهم بن صفوان الذي ينفي القدرة عن العبد، وبعدهما قُتل شيبان قالت الثعالبة: لا تصح توبته لأنه قتل الموافقين لنا في المذهب وأخذ أموالهم ولا تقبل توبة من قتل مسلماً وأخذ ماله، إلا بأن يقتص من نفسه ويرد الأموال أو يوهب له ذلك، ويُنقل عن زياد بن عبد الرحمن الشيباني وأتباعه أنهم: تراءوا من شيبان وكفروه حين نصر أبا مسلم الخراساني.

المكرمية

أصحاب مكرم بن عبدالله العجلي كان من جملة الثعالبة وتفرد عنهم بمسائل.

المعلومية والمجهولية

كانوا في الأصل حازمية، إلا أن المعلومية قالت: من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه وصفاته فهو جاهل به وليس بمؤمن ومسائل أخرى، وعلى خلافهم تماماً كانت آراء المجهولية.

الأباضية

أصحاب عبدالله بن إياض الذي خرج في أيام مروان بن محمد المعروف

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٢٣ دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٨ م.

بالحمار! فوجه مروان إلى عبدالله بن إياض، عبدالله بن محمد بن عطية فقاتله بتيالة وهي بلدة بأرض تهامة في الطريق إلى صنعاء فدارت بينهما حرباً قُتل فيها عبدالله بن إياض وحُزَّ رأسه وبعث به إلى مروان الحمار كان ذلك عام ١٣٠هـ. وكانت للاباضية بدعاً لا تختلف عن بدع زملائهم الخوارج.

الحفصية

أصحاب حفص بن أبي المقدم، وهم من الاباضية إلا أنهم انفردوا عنهم بعدة مسائل عجيبة منها أن الشرك والإيمان خصلة واحدة!!

الحارثية

أصحاب الحارث بن يزيد الاباضي، خالف الاباضية في القدر والاستطاعة.

اليزيدية

أصحاب يزيد بن أنيسة الخارجي كان من أهل البصرة ثم هاجر إلى تون^(١) من بلاد فارس، وهو من الاباضية إلا أنه انفرد ببِدْعٍ وخرافات عجيبة عنهم فادّعى أن الله سيبعث رسولاً من العجم وينزل عليه كتاباً ويكون على ملّة الصابئة!! وتولّى يزيد من شهد للنبي ﷺ من أهل الكتاب بالنبوة وإن لم يدخل في دينه!!

الصفريّة أو الزياديّة

أصحاب زياد بن الأصفر خالفوا الأزارقة والاباضية في عدّة أمور.

(١) بالقرب من مدينة قائن.

المرجئة

مادة (ر ج ء) بمعنى تأخير الأمر، أرجأ الأمر إرجاءً من باب إفعال يعني تأخير العمل^(١).

وقد امتاز المرجئة عن الخوارج وعن الشيعة أيضاً وقدموا خدمة عظيمة للأمويين من خلال أفكارهم وعقائدهم الباطلة، وذلك لأن عقيدة الخوارج أن مرتكب الكبيرة كافر ومخلد في النار، بينما ذهبت المرجئة إلى أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر وإنما هو فاسق وتأخير حكمه إلى يوم القيامة فلا يقضى عليه بحكم في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار، وإرجائه إلى يوم الحساب.

والمرجئة على أربعة أصناف:

١ - مرجئة الخوارج ٢ - مرجئة القدريّة ٣ - مرجئة الجبرية ٤ - مرجئة الخالصة.

اليونسيّة

أصحاب يونس بن عون النميري وهم من المرجئة إلا أنهم اختلفوا عنهم بمسائل عديدة.

العبديّة

أصحاب عبيد بن مهران المكنب الكوفي، له عقائد فاسدة أشاعها في أوساط الجهلة والبسطاء من الناس مثل: أن الله تعالى - حسب قولهم - على

(١) راجع القاموس المحيط مادة (ر ج ء) للفيروزآبادي.

صورة الإنسان انطلاقةً من الحديث: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) فيكون المعنى أَنَّ آدَمَ ﷺ والرَّبَّ سبحانه وتعالى مثلاًن تجمعهما صفات واحدة. وهذا كفر صريح لا يَقَرُّ به العقل السليم أبداً.

الغسانية

أصحاب غسان الكوفي الذي كان من المرجئة في الكوفة ثم انفرد عنهم بمسائل ذكرها الشهرستاني.

الثوبانية

أصحاب أبي ثوبان المرجئي، ثم انفرد عن اليونسية والغسانية بعدة مسائل.

التومية

أصحاب أبي معاذ التومني الذي انفرد بمسائل وعقائد خاصة منها أَنَّهُ زعم أَنَّ الإيمان هو ما عصم من الكفر وهو اسم لخصال إذا تركها الإنسان كفر، وكذلك لو ترك خصلة واحدة منها!! وزعم أَنَّ كُلَّ معصية كبيرة أو صغيرة لم يجمع عليها المسلمون بأنها كفر لا يقال لصاحبها فاسق ولكن يقال فَسَقَ وعصى!!

الصالحية

أصحاب صالح بن عمر الصالحى، وهو من شيوخ المعتزلة جمع بين القدر والإرجاء وله عقائد ونظريات انفرد بها عن جماعته منها:
إِنَّ قول ثالث ثلاثة ليس بكفر لكنَّهُ لا يظهر إلَّا من كافر!! وزعم أَنَّ الصلاة ليست بعبادة الله تعالى وأَنَّهُ لا عبادة له إلَّا الإيمان به وهو معرفته وهو خصلة

واحدة لا تزيد ولا تنقص.

وكان على عقيدته محمد بن شبيب وأبو شمر وغيلان بن مروان وكلهم من المرجئة.

توضيح عن كتب الملل والنحل

وينبغي أن أقول لكم: إن جميع ما تقدّم عن هذه الفرق إنما ذكره أصحاب الملل والنحل من أهل السنة وبشكل واسع ومفصل، وكنت قد انطلقت معكم في اليوم الأول من المناظرات من كتاب الملل والنحل للشهرستاني يوم تحدثنا - في المجلد الأول - عن أسباب افتراق المسلمين الذي هو محور هذا الكتاب، وسوف أذكر لكم بعض كتب الملل والنحل من أهل السنة والشيعة الذين تطرّقا إلى ذكر هذه الفرق المارّة الذكر:

(فرق الشيعة) لأبي القاسم سعد بن عبد الله القمي المتوفى عام ٣٠٠هـ
ويقال: إنه لأبي محمد حسن بن موسى النوبختي المتوفى عام ٣٠٠هـ

(الفرق بين الفرق) لأبي منصور عبد القاهر البغدادي المتوفى عام ٤٢٩هـ

(فرق المسلمين والمشرّكين) لفخر الدين الرازي المتوفى عام ٦٠٦هـ

(الفصل في الملل والأهواء والنحل) لابن حزم الأندلسي المتوفى عام

٤٥٤هـ

(بيان الأديان) لأبي المعالي محمد الحسيني العلوي، ألفه عام ٦٨٥هـ

(تبصرة العوام في مقالات الأنام) لأبي تراب سيّد مرتضى بن الداعي

الحسيني الرازي^(١).

(١) السيّد مرتضى كان معاصراً لأبي محمد بن محمد الغزالي الطوسي صاحب كتاب

(الأنوار النعمانية) للمحدث السيد نعمة الله الجزائري.
 (المذاهب الإسلامية) لمحمد أحمد أبو زهرة استاذ الشريعة الإسلامية
 بكلية الحقوق في جامعة القاهرة.
 وغيرهم من الأعلام الذين كتبوا في هذا المجال بطرق مختلفة حول تفرق
 الأمة الإسلامية.
 سؤال: عفواً سيدي: هل توجد اختلافات في المذهب الشيعي كالتي في
 المذهب السني؟ وإذا كانت فما هي؟ وما أسماء هذه الفرق؟

اختلافات باسم التشيع

الجواب: أولاً: كما مرّ عليكم أنّ الاختلافات ظهرت بعد رحيل النبي ﷺ مباشرة وقام كل شخص أو كل جماعة تدعو إلى نفسها بغية الحصول على المناصب العالية لرئاسة الأمة الإسلامية باسم الدين، ولا يخفى أنّ بين هؤلاء من يدفعهم الشيطان إلى الانحراف ويغريهم بالإمارة والمال والجاه فكانوا يتنافسون لذلك تحت ذرائع متعدّدة وعقائد مختلفة، فمنهم من يطيع الشيطان في ذلك لعدم عصمته، بل الأكثر كانوا كذلك كما قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^(١)، فكان أكثر الأمة على هذا المستوى كما مرّت الإشارة إلى الفرق المنحرفة عن الحق، وكانت هذه سنة بقية الأمم المتقدّمة إذ كان الفسق والفجور والكفر والشرك هو الغالب عليها كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ

→ إحياء العلوم وهو من أعلام أهل السنة، والتقني به في طريق مكة ودارت بينهما مناظرات طويلة حول ولاية وإمامة أهل البيت ﷺ وقد قدّم السيد مرتضى الأدلة العقلية والنقلية التامة للغزالي حول ذلك إلى أن خضع للحق وعرفه وترك مذهبه ونشيع فكتب على أثر تشيعه كتاب (سرّ العالمين) / المؤلف.

خَيْرَ آلِهِمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ»^(١).

حتى أننا عندما نستعرض حياة أصحاب الأنبياء نجد الانحراف قد وصل إليهم فكثير من الذين التفوا حول الأنبياء عليهم السلام انحرفوا بمرور الزمن، أمثال الحواريين، وقد قال لهم عيسى في إحدى الليالي وهم مجتمعون حوله يأكلون معه الطعام: إِنَّ أَحَدَكُمْ يَدُهُ مَعَ يَدِي فِي ظَرْفٍ وَاحِدٍ إِلَّا أَنَّهُ يَسْمَعُنِي ضِدَّنَا لَدَى الْأَعْدَاءِ، وفعلًا فقد قبض (يهودا الخريوطي الحواري) ثلاثين قطعة من الفضة من اليهود ليدلهم على مكان عيسى بن مريم.

وهكذا الأمر بالنسبة لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أخبر القرآن عن ارتداد أكثرهم وقد تقدّم ذلك في المجلد الأول.

وأوضح صورة لذلك حرب الجمل وصفين، فقد ارتدّ طلحة والزبير مع أنهما من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله إلا أنهما نكثا بيعتهما وخرجا مع عائشة لحرب الإمام الحق وأوجدا أكبر فتنة، وهكذا بالنسبة لمعاوية عليه الهاوية الذي انحرف عن الحق مع جماعة كثيرة منهم أبو هريرة وعبيد الله بن عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص وغيرهم من الذين خدعتهم الدنيا ببروقها فانزلقوا في مزالقها.

إذن فالانحراف في أوساط بعض أصحاب الأئمة الهداة أي الذين كانوا في عداد الشيعة أمرًا لا يدعو إلى التعجب بعدما عرفنا أن مثل هذا الانحراف موجود في أوساط صحابة النبي صلى الله عليه وآله.

ثانيًا: ثم إنه لا يوجد أي اختلاف في المذهب الشيعي الذي أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وآله، لأن الشيعة بالمعنى الحقيقي هم الذين يعتقدون بإمامة الأئمة الاثني عشر من آل الرسول صلى الله عليه وآله ولا يوجد في صميم هذه الطائفة أي اختلاف

وافترق لا في الأصول ولا في الفروع.

ولكن في العصور الماضية كان يظهر إلى مسرح الحياة السياسية والعقائدية بعض الأفراد الذين يطلبون الدنيا من خلال الدين ويسعون إلى المناصب عبر العقائد فكان الدين أو العقيدة بالنسبة إلى هؤلاء أداة جيدة لتحقيق المآرب والمطامع الدنيوية، فظاهر من هؤلاء بالتشيع من تظاهر حتى عُدَّ من الشيعة بينما حقيقتهم نفس حقيقة المنافقين الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ، فجمعوا قطاعات بشرية واسعة حولهم وجمعوا أموال طائلة لهم باسم أمير المؤمنين علي عليه السلام والحال أن علياً عليه السلام بريء من هؤلاء، والشيعة لا تقرّ لمثل هؤلاء المنحرفين بأنهم منها.

بينما جاء المؤرخون الذين كتبوا عن الملل والنحل والفرق الإسلامية وأدرجوا أسماء بعض الفرق المنحرفة تحت اسم الشيعة إما سهواً وجهلاً منهم أو عمداً، مثل أبي منصور البغدادي والشهرستاني وابن حزم وغيرهم، ويتحتم عليّ الآن أن أكشف لكم عن الحقّ وأبين الحقيقة بشكل واضح، ولنا الحقّ الكامل في نقد بعض الأخطاء الموجودة في كتب الملل أو غيرها.

حقيقة عبدالله بن سبأ

قيل: إن أول من أوجد الغلو في أمير المؤمنين عليه السلام هو عبدالله بن سبأ اليهودي ومن خلاله ظهر الغلو في الشيعة، وهو أول من خدع الناس في هذا المجال والسبب هو أن بعض اليهود غالوا في وصي موسى يوشع بن نون في الزمان السابق فكانت عقيدة الغلو تسري في أوساط اليهود إلى زمان رسول الله ﷺ وكان عبدالله بن سبأ معاصراً للنبي ﷺ فأوجد الغلو في الإمام علي عليه السلام متعمداً في ذلك أم ساهياً، ولاقت أفكار الغلو التي طرحها ابن سبأ رواجاً جيداً عند البسطاء والقشريين من أهل الكوفة وبعض أهل افريقيا.

بولس اليهودي

وما ذكره عن عبدالله بن سبا اليهودي له حقيقة من الناحية السلوكية لا التاريخية، لأن اليهود لهم طريقان في الوصول إلى أهدافهم؛ الأول: هو الطريق الطبيعي والسلوك النظيف في تحقيق الأغراض ونيل الثمار ولكن لما يواجهون أو يُحاربون فإنهم يعمدون إلى الطريقة الثانية وهي الحيلة والتزوير والكذب والنفاق، وهو السلوك المنحرف والملتوي الذي يصلون من خلاله إلى مآربهم، وهو ما حصل في زمان محاربة المسيحية لليهود، فلما رأى بولس اليهودي زعيم اليهود أنهم ليسوا في مستوى الصراع والحرب عمد إلى الطريق الملتنوي، فتظاهر يوماً بالإغماء وغيبوبة الوعي وطالت حالته هذه ثلاثة أيام وبعدها أفاق وزعم أن عيسى المسيح تجلّى فيه وأمره بالتمسك بالمسيحية ولكن بعد تطهيرها من الانحرافات والخرافات، وبهذه الطريقة نفذ إلى صميم المسيحيين وبث سمومه فيها بعنوان الإصلاح والتطهير وأدخل إسرائيلياته وخرافاتهِ إلى دين المسيح حتى لم يبق اليوم من دين عيسى المسيح ﷺ إلا الاسم، وقد وجدت رسائل بولس اليهودي رواجاً فائقاً بين المسيحيين الذين انخدعوا به وقد ذكرت تفصيل هذه الأمور في كتابي (مائة مقالة سلطانية) في رد التوراة والإنجيل الموجودين الآن وإثبات القرآن ككتاب سماوي.

وعلى غرار ما فعله بولس قديماً، فعله بعض اليهود في بدايات الإسلام في المدينة حيث دخلوا الإسلام بعدما عجزوا عن محاربته وكان هدفهم من ذلك هو إيجاد الأفكار اليهودية بلباس إسلامي ونشر الخرافات عن هذا الطريق، إلا أن زعماء الدين الإسلامي وفي طلبعتهم رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليّ ﷺ - وحتى أثناء خلافة الخلفاء الثلاثة - وقفوا بوجه هذا التيار الخطير، ومن جملة هؤلاء اليهود هو عبدالله بن سبا المغالي.

وعلى كل حال، فإن أهل الملل والنحل اعتمدوا على نقل الطبري في مصير هذا اليهودي، حيث ذكروا أن أمير المؤمنين علي عليه السلام أحرق أصحابه وأتباعه بالنار ونفى عبدالله بن سبأ إلى المدائن!!

وأنا أعتقد أن هذه المعلومات التاريخية غير صحيحة، إذ كيف يتصرف أمير المؤمنين عليه السلام وهو سيد الحكماء بعد النبي صلى الله عليه وآله بهذا الشكل فكيف يحرق الأتباع ويدع صاحب الفتنة؟! فهذا ما لا يقبله العقل والشرع المقدس لأن قتل عبدالله بن سبأ واجب مع عدم توبته، فكيف يأمر بقتل الأتباع مع أنهم قد يكونون من المغرر بهم، ويترك عبدالله بن سبأ؟!

إذن نحكم ونقطع بأن هذه الأقاويل مفرضة وكانت مقصودة لئتم بعد ذلك نسبة المذهب الشيعي إلى هذا الرجل اليهودي.

عقيدة الشيعة في عبدالله بن سبأ

ويعتقد الشيعة - أتباع أهل البيت عليه السلام - أن أمير المؤمنين عليه السلام استتاب عبدالله ابن سبأ فلم يتب من اعتقاداته ومغالاته فأمر بحبسه ثلاثة أيام وكان خلالها يطلب منه التوبة والبراءة من الغلو، إلا أن عبدالله بن سبأ كان يصّر وفي نهاية الأمر أمر عليه السلام بحفر خندق وأحرقهم فيه مع زعيمهم ابن سبأ^(١).

سؤال: من المعلوم أن تاريخ الطبري مصدر معتبر عند أهل العلم والتحقيق بينما فهمنا من كلامك المتقدم عدم قبولك لما ذكره الطبري فنرجو توضيح ذلك؟

تعصّب أهل السنة في نقل الأخبار

الجواب: إن بعض علماء أهل السنة لهم حسن الظن بالمسلمين ولهذا

(١) ستمر عليك مصادر هذه الحادثة لاحقاً / المترجم.

كانوا يدّعون كلّ ما يسمعون من أحداث وأخبار من المسلمين، بدون أن يرتبوا أي أثر على ما يذكرونه، بينما يميل البعض الآخر إلى التعصّب وترتيب الآثار السلبية على بعض الأخبار ولا ينقلون إلا من أشخاص معيّنين.

سؤال: ما هو دليلك على تعصّب هؤلاء؟

الجواب: الأدلة كثيرة ولكن أدلّ دليل وأوضح برهان أنّ أهل السنة في جميع كتبهم الحديثة والتاريخية يعتمدون في نقلهم للأخبار على الكذابين والوضّاعين، بينما لا ينقلون شيئاً عن أهل بيت الرسول ﷺ وهم معدن الحكمة وأصول العلم وأعدال القرآن، إلا نادراً، وهذا النادر نلمس فيه الإهانة وتقليل القدر لهؤلاء العظاماء، ثمّ يوردون ملاحظاتهم عن مرويات أهل بيت الرسول ﷺ فيكتبون تحتها عبارة (ضعيف) (غير صحيح) (مجهول) بينما تكون الصّحّة نصيب حديث الكذابين والوضّاعين، ألا يكفي ذلك للحكم عليهم بالتعصّب؟!

سؤال: هل يوجد دليل على أنّ أهل السنة والجماعة يروون عن الكذابين والوضّاعين؟

الجواب: نعم، الأدلة كثيرة، ويتمّ ذلك من خلال معرفة الرجال الرواة وهذا بدوره يتمّ من خلال مراجعة تراجم كتب الرجال أو تمحيص المرويات، مثل كتاب ميزان الاعتدال وتهذيب التهذيب للذهبي واللساني المصنوعة في الأحاديث الموضوعة لجلال الدين السيوطي وتذكرة الموضوعات وغيرها.

فمثلاً الحاكم النيشابوري يروي عن عمرو بن زياد وعمرو بن الحسن الراسبي وأحمد بن عبدالله بن يزيد الحراني وإسحاق بن بشر الكاهلي ونوح بن دراج وعبّاس بن الوليد بن بكّار وفيض بن وثيق وآخرين.

وقد عدّهم الحافظ محمّد بن أحمد في تلخيص المستدرک من جملة الكذابين والوضّاعين وقد ردّ أحاديثهم وأخبارهم، وعلى هذا الفرار توجد

نظائر كثيرة في كتب أهل السنة، حتى ذكر العلماء الزهاد من أهل السنة أكثر من ألف راوي كذاب ووضاع، وضعوا الأحاديث المزيّفة تقريباً للسلطين من بني أمية وبني العباس وطمعاً في حطام الدنيا، وبعضهم وضع الأحاديث لدعم خلافة سلطين الجور وتقوية جانبهم بهالة قدسية مزيّفة، وبعضهم وضع الحديث للتضخيم من مقام أنمتهم فوضعوا أحاديث في أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والحسن البصري وغيرهم فقد كان الحديث أفضل وسيلة للإعلام فإنه يكسب أكبر قطعاً بشرية، وهكذا وضع البكريون أحاديث في فضل أبي بكر حار أمامها علماء السنة وصرّحوا بوضعها واختلافها ويمكن مراجعة كتب الجرح والتعديل لرؤية نماذج من هذه المجموعات.

ومن جملة الكذابين الذي اشتهر بالوضع هو أبو هريرة الدوسي الذي ملأت أحاديثه كتب أهل السنة وعدّوه من صحابة النبي ﷺ مع أن الصحابي لو كذب مرّة واحدة لكفى ذلك لسقوط مروياته وعدم الاعتماد عليه.

سؤال أحد الحاضرين: وهل كان أبو هريرة الصحابي كذاباً أيضاً؟

الجواب: نعم، هذا الموضوع من الوضوح على درجة، فقد اعترف به علماء السنة أيضاً فضلاً عن الشيعة فمثلاً قال ابن أبي الحديد المعتزلي «أبو هريرة مدخول عند شيوختنا غير مرضي الرواية، ضربه عمر بالدرة وقال: قد أكثرت من الرواية أخرى بك أن تكون كاذباً على رسول الله ﷺ»^(١).

وذكر المتقي الهندي أن عمر ضربه بالدرة وزجره ومنعه من الحديث وقال له: أكثرت يا أبا هريرة وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله ﷺ لتترك الحديث أو لألحقك بأرض دوس أو بأرض القردة^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٦٧-٦٨ دار إحياء الكتب العربية.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٢ ص ٤٣٣.

وأيضاً جاء في شرح نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال: «ألا أن أكذب الناس، أو قال أكذب الأحياء على رسول الله أبو هريرة الدوسي»^(١).
وقالت عائشة يوماً لأبي هريرة: أكثر يا أبا هريرة على رسول الله ﷺ^(٢).
وقد أشار الحاكم النيشابوري في المستدرک والذهبي في تلخيصه وابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ومسلم في صحيحه وآخرين إلى ذلك أيضاً.
إذن يتضح لكم ما سألتهم عنه، وهو أن أبا هريرة كان يلقق الحديث ممّا دعى عمر إلى ضربه مرتين بدرّته.

سؤال أحد الحاضرين: لأي أمر ضربه عمر مرتين بدرّته؟

الجواب: المرّة الأولى في حياة رسول الله ﷺ كما ذكره مسلم في صحيحه^(٣).

والمرّة الثانية في زمان خلافته فإنّه ضربه حتّى أدماه، فقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي وابن الأثير في الكامل، أنّ عمر جعل أبا هريرة والياً على البحرين عام ٢١هـ، ثمّ عزله عام ٢٣هـ بعدما جاءته الأخبار أنّ أبا هريرة جمع مالا كثيراً واشترى خيلاً كثيرة، فأمر بإحضاره، فلمّا وصل عنده ومثّل بين يديه قال له: يا عدوّ الله وعدوّ كتابه أسرقت مال الله؟ فقال أبو هريرة: بل عطايا الناس.

فقال عمر: هل علمت من حين أنّي استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين، ثمّ بلغني أنّك ابتعت أفراساً بألف دينار وستمائة دينار، قال: كانت لنا أفراس تناتجت وعطايا تلاحقت، فقال عمر: قد حسبت لك رزقك ومؤنّتك وهذا فضل فأده، قال: ليس لك ذلك، فقال له عمر: بلى والله وأوجع ظهرك ثمّ

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٦٨ دار إحياء الكتب العربية.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٢ ص ٤٣٥.

(٣) ج ١٧، ص ٩٣، ط دار الكتاب العربي، ١٩٨٧.

قام إليه بالدرة فضربه حتى أدماه..^(١) ثم أمر عمر بأن يقبض منه عشرة آلاف وفي رواية اثنا عشر ألفاً^(٢).

وأما شيوخ المعتزلة والحنفية فإنهم يردّون الأحاديث التي ينتهي طريقها إلى أبي هريرة.

وجاء في شرح نهج البلاغة عن أبي يوسف أن أبا حنيفة قال: الصحابة كلهم عدول ما عدا رجالاً ثم عدّ منهم أبا هريرة وأنس بن مالك^(٣).

فطمع أبو هريرة في حطام الدنيا كان أمراً جليلاً غير خافٍ عن العلماء، فشايع بني أمية لعنهم الله وأمدّهم بما يريدون من أحاديث مجعولة موضوعة دعماً لموقفهم السياسي.

أبو هريرة يضع الحديث بأمر معاوية

ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي عن شيخه أبي جعفر الاسكافي: أن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلاً يُرَغَّب في مثله، فاختلفوا ما أَرْضاه منهم أبو هريرة وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن التابعين هريرة بن الزبير^(٤).

وهكذا كان يندفع أبو هريرة لذم أمير المؤمنين علي عليه السلام تارةً بدوافع سياسية أموية، وتارةً بدوافع خبث الطينة وانحراف الفطرة، فقد روى الأعمش قال: لما قدم أبو هريرة إلى العراق مع معاوية عام الجماعة، جاء إلى مسجد

(١) و (٢) - طبقات ابن سعد ج ٤ القسم ٢ ص ٥٩.

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٦٨ دار إحياء الكتب العربية.

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٦٣ دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٥.

الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلته مراراً وقال: يا أهل العراق، أتزعمون أنني أكذب على الله وعلى رسوله، وأحرق نفسي بالنار، والله لقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إن لكل نبي حرماً وإن حرمني بالمدينة، ما بين عسير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها، فلما بلغ معاوية قوله أجازته وأكرمه وولاه إمارة المدينة^(١).

وروى سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن القاسم عن عمر بن عبد الغفار، أن أبا هريرة لما قدم الكوفة مع معاوية كان يجلس بالعشيات بباب كندة ويجلس الناس إليه، فجاء شاب من الكوفة فجلس إليه، فقال: يا أبا هريرة، أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: «اللهم والي من والاه وعاد من عاداه»؟ فقال: اللهم نعم، قال: فاشهد بالله، لقد واليت عدوه وعاديت وليه!!^(٢)

ومن أراد التفصيل عن فضائح وفجائع أبي هريرة ومخازيه فليراجع كتاب العلامة المجاهد الحاج السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي أعلى الله مقامه^(٣) فقد كشف الحقيقة فيه عن أبي هريرة ومن مصادر أهل السنة.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٦٧ دار إحياء الكتب العربية.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٦٨ دار إحياء الكتب العربية.

(٣) اسم كتابه (أبو هريرة) وعلى غرار (أبو هريرة) لمحمود أبو رية وهو من العلماء المعاصرين المنصفين لأهل السنة.

ولا بأس أن نذكر بعض ما ذكره أهل السنة عن أبي هريرة: فقد ذكر ابن أبي الحديد: وروى الرواة أن أبا هريرة كان يؤاكل الصبيان في الطريق ويلعب معهم!! / شرح النهج ج ٤ ص ٦٩.

أهل السنة ينقلون الأحاديث عن الضعاف والمتروكين

وأيضاً ينقل أهل السنة روايات الضعفاء والمتروكين مضافاً لروايتهم عن الكذابين كما مرّ عليكم في أبي هريرة، فمن جملة الضعفاء الذين ذكرهم علماء الجرح والتعديل من أهل السنة هو سيف بن عمر التميمي البرجمي الكوفي، وهو مؤلف كتاب (الفتوح) و(الردة)، وله أيضاً كتاب (الجمل ومسير عائشة وعلي) (١).

فقد ذكر شمس الدين الذهبي في الميزان وتهذيب التهذيب وابن النديم في الفهرست القول عن جماعة كابن معين وأبي حاتم وأبي داود والنسائي والدارقطني وابن عدي وابن حبان وعبّاس بن يحيى وغيرهم قالوا عنه: ضعيف الحديث وأنه ليس بشيء يروي الموضوعات عن الآثبات، وقالوا: إنّه كان يضع الحديث، واتهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط... (٢).

وأيضاً وضع الحديث ونسبه إلى الثقات، وعليه فروايته ساقطة عند علماء الرجال وأهل التحقيق.

→ وقد روى البخاري عن أبي هريرة هذا الحديث: «لقد رأيتني وإني لأخسر - أي يتغوّط - فيما بين منبر رسول الله إلى حجرة عائشة مغشياً عليّ فيجيء الجاني فيضع رجله على عنقي ويرى أنّي مجنون وما بي من جنون ما بي إلّا الجوع!!» أنظر فتح الباري ج ١٣ ص ٢٥٩ / المترجم.

(١) الفهرست لابن النديم: ص ١٠٦.

(٢) ميزان الاعتدال ٣ ص ٣٥٣ رقم ٣٦٤٢ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥، وفيه: قال ابن عدي: عامة حديثه منكر.

تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٦٨ رقم ٢٨١٩ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤.

ومضافاً إلى وضعه الحديث وزندقته فقد صرّح في الإصابة والاستيعاب
واللثالي المصنوعة أنّ سيف بن عمر ضعيف متروك الحال^(١).

ومع هذه الشهادات الصريحة والبيانات الواضحة في ضعف الرجل وعدّه
من الوضّاعين إلا أنّ مؤرّخي أهل السّنة ينقلون عنه الكثير من الروايات، فقد
نقل عنه الطبري وابن كثير وابن الأثير وغيرهم أخباراً كثيرة وتلقّوا أخباره
بالقبول والرضا، لاسيّما أكاذيبه ومزاعمه في عبدالله بن سبأ اليهودي ونسبة
المذهب الشيعي إلى هذا الرجل، فقد نقل روايته في ابن سبأ كلّاً من ابن الأثير
وأبي الفداء وابن كثير وغيرهم نقلاً عن تاريخ الطبري، وأقاموا الدّنيا ولم
يقعدوها حول هذا الموضوع الكاذب.

والآن عليكم أن تحكموا بإنصافكم على نهج علماء أهل السّنة الذين
يتقبّلون روايات الوضّاع والجعّال والكذّابين.

سؤال أحد الحاضرين: على ماذا يعتمد علماء الشيعة في قبولهم
للأحاديث والروايات؟

الجواب: يعتمد الفطاحل من علماء الشيعة على الرواة الصادقين الموثّقين،
فإنّهم يدقّقون في سلسلة الرواية بكاملها ويلاحظون حال رواتها إلى أن يحصل
لديهم اليقين بوثاقته، فعند ذاك تُقبّل الرواية، فالعدالة والوثاقة والصدق
والإيمان من أهم صفات الراوي عندنا حتّى فيما يتّصل بالصحابة، فالمهمّ نقاء
السيرة وطهارتها وإيمان الصحابي ووثاقته وعدالته.

ولا أريد هنا أن أخوض معكم حول علم الرجال أو الدراية، بل أجيّب على

(١) الإصابة ج ٣، ص ٢٧٣، ط، دار الجيل.

الاستيعاب ج ٢، ص ٢٤٩، ط دار الكتب العلمية.

اللثالي المصنوعة ج ٢، ص ٢٥٠، دار الكتب العلمية.

قدر سؤالكم، فمثلاً حتى الروايات التي تنتهي إلى الأئمة من أهل البيت عليهم السلام فإن علماء الشيعة يلاحظون أساسيد هذه الروايات بمنتهى الدقة ومن ثم تُقبل الرواية إذا كان رجالها ثقة عدول.

وأما عن عبدالله بن سبأ اليهودي الكافر المغالي، فقد أوضحت روايات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام - وهي على خلاف روايات أهل السنة - أمره إذ أن أمير المؤمنين عليه السلام أمر بإحراقه بالنار مع سبعين شخصاً ممن تابعه في زندقته ومغالاته.

سؤال أحد الحاضرين: كيف يمكن أن يخطأ علماء أهل السنة الكبار حول هذا الموضوع؟ هلأ قدمت دليلاً يمكن قبوله عن هذا الأمر مع جزيل الشكر؟

أخطاء علماء أهل السنة - عمداً أو سهواً - في نقل الأخبار

الجواب: أولاً: أن علمانكم ليسوا بمعصومين وبالتالي فالخطأ والاشتباه في حقهم جائز، غاية ما في الأمر قد يكون هذا الخطأ عمدي أو سهوي، فالمتعمد منهم يدفعه الحقد والتعصب وغير المتعمد منهم يدفعه التساهل في قبول الأخبار وحسن الظن بكل راوي، فضلاً عن أهل الافتراءات والأكاذيب الذين يصطنعون الأخبار الكاذبة للنيل من الشيعة، وهذا أمر لا يمكن إنكاره تبعاً لأسلافهم، فأول الأكاذيب والبدع والافتراءات أنهم أشاعوا على طائفة كبيرة من المسلمين ومن أتباع رسول الله وأهل بيته الأطهار والتمسكين بسيرته وسنته، أنهم (روافض) دفعهم بنو أمية إلى أمثال هذه الافتراءات، وهكذا استمر علماء أهل السنة خلفاً عن سلف يستخدمون هذا الاسم (الروافض) في كتبهم أكثر من ألف عام مع اللعن والشتم والسب لإخوانهم الشيعة الذين اتبعوا أهل بيت

النبي ﷺ، وقد تصدَّى الفخر الرازي وهو من أكابر علماء أهل السنة لهذا الأمر، فكلمًا ذكر الشيعة في كتبه فإنه يوصمهم بهذا الاسم ثم ينزل سيلًا من اللعن والشتم، فإنكم تلاحظون هذا في تفسيره الكبير بكل وضوح، لاسيما عند نزول آية إكمال الدين وغيرها، فإنه يقول: وأما الرافضة لعنهم الله، هؤلاء الرفضة لعنهم الله، أما قول الروافض لعنهم الله!!^(١).

افتراءات وأكاذيب واتهامات أهل السنة على الشيعة

بينما مال المتعصبون من علماء أهل السنة إلى التفنن في ذكر أنواع وأقسام من التهم الموجهة إلى الشيعة - مذهب أهل البيت (عليهم السلام) -

فقد ذكر شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه المالكي الأندلسي المتوفي عام ٣٢٨ هـ في العقد الفريد - بعد أن ذكر الأقوال في باب الروافض وأنهم سموا بذلك لرفضهم خلافة أبي بكر وعمر وأنهم يفضلون علياً (عليه السلام) على عثمان - قال: أحذرك الأهواء المضلة، شرها الرافضة، فإنها يهود هذه الأمة يغيضون الإسلام، كما يغيض اليهود النصرانية، ولم يدخلوا في الإسلام رغبة ورهبة من الله، ولكن مقتاً بأهل الإسلام وبغياً عليهم^(٢).

ثم شرع في ذكر الاتهامات على الشيعة والافتراءات التي لا يجدها أي إنسان في أي كتاب شيعي.

ونظير هذا عبد القاهر البغدادي المتوفي عام ٤٢٩ هـ صاحب كتاب الملل والنحل، وكذا ابن حزم الأندلسي المتوفي عام ٤٥٦ هـ في الفصل في الملل

(١) مفاتيح الغيب ج ١١، ص ٣١٦، ط، الثالثة (مصر).

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ٤١١ دار الكتاب العربي.

والأهواء والنحل، ومثله الشهرستاني المتوفى عام ٥٤٨ في الملل والنحل وآخرين غيرهم ممن ينقلون الأخبار والأكاذيب بلا تحقيق وتدقيق فيصعب عدّهم ضمن قائمة العلماء، لأنّ العلماء يعتمدون على الدليل والإنصاف والتحقيق والمتابعة والتثبت في نقل أي شيء، بينما أضاف هؤلاء كلاماً مكذوباً ونسبوه إلى الشيعة، وسوف أشير إلى بطلانه لاحقاً فمثلاً أضافوا بعض أسماء الفرق كالهشامية والمفضلية والزارية واليونسية والمختارونية وغيرها، على أساس أنّ هذه فرق شيعية وكلّ واحدة منها تنتهي إلى أحد أصحاب الأئمة عليهم السلام، والحال أنّ هذه الفرق لا وجود لها أبداً، إلّا أنّهم اعتادوا الكذب والفرية علينا، فمثلاً قال ابن حزم: الروافض ليسوا مسلمين وإنّما ظهروا بعد ٢٥ سنة بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله على أثر دعوة عبدالله بن سبأ اليهودي وهم كاليهود والنصارى في الكذب، واشتهروا بالكذب والكفر^(١).

ويقول عبد القاهر البغدادي في الفصل الأوّل من الباب الرابع من كتابه الفرق بين الفرق، بعد نقله للخرافات والأكاذيب: عبدالله بن السوداء وابن سبأ كانا على عقيدة واحدة وقد أبعدا إلى المدائن^(٢)، وهذان خبران يدعوان إلى الضحك نقلهما ابن حزم وعبد القاهر بلا تثبّت، لأنّ عبدالله بن السوداء وابن سبأ هي شخصية واحدة، لأنّ السوداء لقب أطلق على أمّه وسبأ اسم أبيه، فتارة يُنسب إلى أمّه وتارة إلى أبيه، بينما صرّح عبد القاهر أنّهما اثنان... أفلا يدعو ذلك إلى الضحك؟ أفلا يدلّ ذلك على عدم التحقيق والتثبت؟ هذا وقد صرّح الطبري في تاريخه والمقرئزي في الخطط ضمن المجلّد الثاني وبقية كتب التاريخ

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٢، ص ٧٨، ط مكتبة المشنى بغداد، سنة

١٣٢١هـ.

(٢) الفرق بين الفرق: ص ٢٢٥، ط دار الآفاق، بيروت، ١٩٧٣م.

وحتى أحمد أمين المصري في فجر الإسلام كلهم اتفقوا على أن السوداء لقب أمه، وقد لُقِّب به عبدالله بن سبأ.

فيظهر لكم الخطأ (العمدي أو السهوي) الذي وقع فيه بعض العلماء كابن حزم وغيره بحيث صيِّرَ الواحد اثنين!! وفضلاً عن كل ذلك فإنكم تجدون في كتابه الكثير من الأخطاء والأكاذيب والخرافات التي دُونها بدافع التعصُّب والحقْد، فمثلاً عندما يذكر العقائد الباطلة للمجسِّمة والمشبَّهة لعنهم الله نراه ينسب هذه الأباطيل إلى الشيعة!! وأيضاً يذكر جملة من كبار المؤمنين أمثال هشام بن الحكم وهشام بن سالم ومؤمن الطاق والمفضل بن عمر ووزارة بن أعين ويونس بن عبد الرحمن وغيرهم من أصحاب أنمة أهل البيت (عليه السلام) ويعدهم من الفسقة والمقدوحين في عقائدهم وإيمانهم!! وسوف نجيب عن كل ذلك في المكان المناسب إن شاء الله.

ثم إن الإنسان عندما يلاحظ ويكتشف مثل هذه الأكاذيب الظاهرة في مثل هذه الكتب فإن الكتاب والمؤلف يسقطان عن نظر الاعتبار ولا يعتنى كثيراً ببقية مطالب هذه الكتب بغض النظر عن نوع هذه الأخطاء والأكاذيب هل هي بدافع الجهل وقلة الباع؟ أم بدافع العمد والتعصُّب؟

وللرد على هذه الأكاذيب مجال واسع يسع لتصنيف كتاب مستقل إلا أننا سنجيب بما يتناسب مع حجم هذا الكتاب كما قلنا إن شاء الله تعالى.

خبر كاذب من الشهرستاني حول قبر الإمام الهادي (عليه السلام)

من المطالب المضحكة والمدعاة للتعجب من هذا المؤرِّخ ما ذكره في كتابه الملل والنحل حول قبر الإمام الهادي (عليه السلام) محمد بن علي بن محمد) إذ قال: الإمام علي الرضا ومشهده بطوس ثم بعده محمد التنقي الجواد أيضاً وهو في مقابر قريش ببغداد

ثم بعده: علي بن محمد التقي ومشهده بقم!!^(١).

فيظهر من خطأ هذا أنه لم يكن لديه أدنى تحصيل حول القضايا التاريخية فضلاً عن خوضه في المطالب العقائدية والعلمية الدقيقة!

لقد عاش الشهرستاني في مناطق نائية عن مراكز العلم ولم يكلف نفسه عناء السفر لتحصيل العلم ورؤية الحقائق عن كتب بل اكتفى بكتب أسلافه أصحاب المشارب الأموية والناصبية من أهل السنة أمثال عبد القاهر البغدادي وغيره وصاغ كتاباته من كتب هؤلاء دون أن يميز أو يعرف الخطأ منها فكان ما أتى به حذو النعل بالنعل واكتفى بالظن دون اليقين وبالسماع دون الاطلاع، بدليل أن قبر الإمام علي بن محمد النقي عليه السلام في مدينة سامراء في العراق على ضفاف نهر دجلة وأمره كالشمس في رابعة النهار لا يشك فيه أحد.

فقد كتب المؤرخون أن الإمام عليه السلام دفن في محل سكناء فقد كان هذا المكان منزل الإمام وبالتدريج تحول إلى قبر كبير له صحن وأروقة وإلى جانبه دفن ولده الإمام الحسن العسكري عليه السلام والسيدة حكيمة ابنة الإمام الجواد عليه السلام وجنبها قبر السيدة الماجدة نرجس والدة الإمام الحجة (عجل الله فرجه) أرواحنا له الفداء، وقد بنيت في مطلع القرن الرابع عشر الهجري قبته الذهبية الكبيرة الزاهية حتى يستطيع أن يراها من كان على شاكلة الشهرستاني.

وأما مدينة قم المقدسة فهي في إيران تبعد عن العاصمة طهران ١٣٠ كيلومتر وليس فيها قبر الإمام الهادي عليه السلام كما زعم الشهرستاني بل فيها قبر السيدة فاطمة المعصومة ابنة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

فعندما يكتشف الإنسان مثل هذه الأخطاء - وهي من الأمور الواضحة - عندئذ لا يبقى للكتاب أدنى اعتبار في نظره لأنه لا يطمئن بيقية موارده ومطالبه.

(١) الملل والنحل، للشهرستاني ج ١ الفصل ٦ ص ١٦٩ في كلامه عن الاثنى عشرية.

خرافات وأكاذيب واتهامات ابن تيمية الحراني

ومن جملة العلماء المتعصبين من أهل السنة أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني الحنبلي، وهو صاحب عقائد فاسدة وفتاوى عجيبة حتى حكم عليه فقهاء أهل السنة بالضلال وأنه فاسد العقيدة إلى أوائل القرن الثامن الهجري، وعلى إثر ضلالاته سُجن بأمر والي مصر إلى سنة ٧٢٨هـ حتى مات في سجنه، وقد صنّف هذا الرجل العديد من الكتب الحاوية على المفاصد الأخلاقية والعقائدية ومن جملة كتبه كتاب منهاج السنة النبوية كُتبه ردّاً على كتاب منهاج الكرامة للعلامة الحلبي رحمته الله وهو من أكابر علماء الشيعة في أواخر القرن السادس الهجري، ويُعدّ منهاج السنة من أكبر الوثائق والأدلة الواضحة على ضلالة ابن تيمية وسخافة عقله ومحاربه ونصبه لأهل بيت النبوة عليهم السلام لأنه ينكر الكثير من فضائلهم الثابتة في كتابه هذا، فضلاً عن الخرافات والأكاذيب والافتراءات التي يتهم بها أهل البيت وشيعتهم، وإذا أردنا أن نردّ على كلّ واحدة من اتهاماته فإننا سنصل إلى مجلّدات ولكن تكفي الإشارة إلى واحدة منها:

لقد ذكر في المجلّد الثاني من منهاجه، قال: «ومن حماقاتهم: أنهم يجعلون للمتظنّ عدّة مشاهد يتظنّونه فيها كالسرداب الذي بسامراء الذي يزعمون أنّه غائب فيه ومشاهد أخر وقد يُقيمون هناك دابةً إمّا بغلة وإمّا فرساً وإمّا غير ذلك ليركبها إذا خرج ويُقيمون هناك إمّا في طرفي النهار وإمّا في أوقات أخر من يُنادي عليه بالخروج يا مولانا اخرج، ويشهرون السلاح ولا أحد هناك يقاثلهم وفيهم من يقوم في أوقات دائماً لا يُصليّ خشيةً أن يخرج وهو في الصلاة فيشتغل بها عن خروجه وخدمته»^(١).

(١) راجع منهاج السنة لابن تيمية ج ١، ص ١٠، ط مصر عام ١٣٢١ هـ.

وأحمق من ابن تيمية من يصدقَه ويأخذ بكلامه هذا ويؤسس عليه ويطمئن به بلا تفحص ولا سؤال، ومما يدل على كذب هذا الرجل وتعمده الافتراءات أن سكان مدينة سامراء أكثرهم من أهل السنة بل حتى مفتاح الروضة الطاهرة كانت بيد علماء أهل السنة، ولم نسمع منهم يوماً مثل هذا الادعاء والافتراء مع زيارة الشيعة للسرداب وغيره على مرأى ومسمع منهم، ومما يفصح أكاذيب ابن تيمية أن الشيعة والسنة منذ حوالي ألف عام صنّفوا الكتب حول الإمام المهدي عليه السلام وصفاته وعلامات ظهوره وما إلى ذلك ولم يذكر ولا واحد من المسلمين أن المهدي عليه السلام سيظهر من سرداب سامراء.

توضيح حول سرداب سامراء

غاية ما يمكن قوله عن السرداب أنه مكان عبادة ثلاثة من الأنمة - الهادي والعسكري والمهدي عليه السلام^(١) - ولما داهمت جلاوزة بني العباس منزل الإمام عليه السلام للقبض أو القضاء عليه غاب واختفى من السرداب بقدره الله تعالى فعُرف فيما بعد بـ(سرداب الغيبة) ولم يدع أحد من علماء الشيعة أن الإمام اختبأ في السرداب منذ ذلك الوقت وأنه سيظهر منه مما يدعوهم - كما زعم ابن تيمية - للوقوف على بابهِ ومناداة الإمام عليه السلام.

بل الموجود في كتب علمائنا من الأخبار المروية عن رسول الله والأنمة الأطهار عليه السلام قبل ميلاد الإمام المهدي عليه السلام أنه سيظهر من مكة المعظمة لا من سامراء وهذه عقيدة الشيعة اليوم.

وأما زيارة الشيعة لسرداب الغيبة فهو من باب التبرك لكونه مكان عبادة

(١) وسبب عبادتهم عليه السلام في السرداب لكونه أبعد من سطح الأرض وقد اعتاد الناس في العراق على النزول في السرايب أيام الصيف الحار للنوم والعبادة / المترجم.

بعض الأئمة من أهل بيت النبي ﷺ والتقرب إلى الله بذلك وفي ذلك السرداب يقرأ الزائر بعض الأدعية طالباً من الله تعجيل الفرج للإمام المهدي عليه السلام.

نعم توجد حفرة في آخر هذا السرداب كان السدنة - وهم من أهل السنة - قد عملوها يخرجون منها التراب ويبيعونه إلى عوام الشيعة بعنوان التبرك واستمروا على ذلك إلى عام ١٣٣٦هـ عندما هُزمت الامبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى وخرجت من العراق ضعفت شوكة - أهل السنة - فتدخل المرحوم والذي وطلب من الحكومة في سامراء أن تتدخل في موضوع حفرة السرداب التي ازداد عمقها يوماً بعد يوم وأخبرهم أن هذا العمل بدعة اخترعها سدنة الحرم من أهل السنة لخداع البسطاء من العوام، فعلاً فقد أمرت الحكومة بردم الحفرة بالاسمنت وكنث حاضراً آنذاك ومع ذلك فقد عمل هؤلاء السدنة على حفر مقدار صغير من الأرض بمقدار اصبعين وكانوا يأتون بالتراب من خارج السرداب ويضعونه في هذا الموقع موهمين للبسطاء أنه تراب السرداب فعادوا لما نُهوا عنه أولاً، فكتب علماء الشيعة في كتبهم عن سلبية هذه الظاهرة وأنها بدعة ابتدعتها السدنة طمعاً في المال، وأنا بدوري كنتُ كلما تشرفت بالزيارة أنصح بعض الزائرين كالإيرانيين والهنود من هذه البدعة وأقول لهم: بأن هذه الحفرة والتراب كله كذب ودجل اخترعه سدنة أهل السنة لأخذ أموالكم، وأما الإمام المهدي عليه السلام فهو ليس هنا وأحياناً كنتُ آخذ منهم التراب وأرميه في الأرض.

وأكبر الأدلة على ابتداعهم لهذه الحفرة: أن كتب الزيارة المتعارفة عند الشيعة منذ ألف عام وإلى هذا اليوم لم تتعرض إلى ذكر الحفرة أو التراب في أعمال وأذكار سرداب الغيبة.

وإني لأعجب من أمر ابن تيمية الذي أطلق على نفسه لقب شيخ الإسلام وهو يجهل هذه الأمور، بل يتهم ويفتري على الشيعة.

فمن جملة مفترياته أيضاً أنه ذكر في المجلد الأول من منهاجه: إن الشيعة لديهم كلاب في بيوتهم يطلقون عليها اسم أبي بكر وعمر ويلعنونها^(١).

وفي الواقع أنا أخجل من نقل هذه المزاعم والأكاذيب ولا أدري لماذا لا يخاف هذا الشيخ من الله ورسوله ﷺ؟ ويحاول بهذه الافتراءات أن يوجد الشقاق والافتراق بين المسلمين ويؤكد الحقد والبغضاء بينهم، ومن الأدلة على بطلان هذا الكلام وأنه مجموعة أكاذيب اخترعها ابن تيمية، إنك لو سافرت إلى أي بلد شيعي وأي قرية يسكنها الشيعة لما وجدت هذا الوصف الذي ذكره ابن تيمية بل حتى في أقاصي القرى والبلدان، ونسأل الله تعالى أن يجازي شيخ الإسلام على أكاذيبه هذه بما هو أهله بعد أن أضل الناس بكلماته وافتراءاته وصارت سبباً للخلاف والشقاق والانحراف عن الحق.

ومن جملة أكاذيبه أيضاً ما ذكره في المجلد الثاني من منهاجه:

إن الشيعة يعبدون يزدان وأنهم يرتكبون جميع المحرمات والفواحش ويرونها حلالاً!!

ولا يكفي بذلك بل تراه يرد جميع فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام والعترة الطاهرة المتواترة عند الفريقين والمروية عن طريق أكابر العلماء، ينكرها ويردّها بكل وقاحة ودون أي رعاية للإيمان والعلم بحيث لو أردنا أن نجيبه ونردّ عليه بأباطيله لاتسع بنا المجال إلى مجلدات ضخمة، ولكنني أكتفي بما ذكرته ليتضح لكم الموقف العدائي الذي يتخذه بعض علماء أهل السنة ضد الشيعة بحيث يصل بهم الأمر إلى الافتراء والتلفيق والاثهام والتشنيع، ولذا نحن لا نعجب كثيراً من هؤلاء المتعسفين أمثال ابن حجر وروزبهان وابن تيمية ومؤلفي الملل والنحل وغيرهم، لأنهم كانوا في سباق دائم في إشاعة الفرقة وبث

(١) منهاج السنة النبوية ج ١، ص ١٠ و ١١، ط مصر عام ١٣٢١ هـ.

الإشاعات الرخيصة والاتهامات الباطلة في العصور الماضية، ولكننا نتعجب من بعض علماء هذا العصر الذين يزعمون التجدد والتمدن من علماء مصر وسوريا، فبعد مرور ألف عام أو أكثر على أكاذيب أولئك الأمويين في مشاربهم وعقائدهم جاء من يدعي التجدد ليحمل تلك الأكاذيب والاتهامات ويصوغها بلغة العصر الجديد ويدسّها في الكتب أمثال أحمد أمين المصري وموسى جار الله ومحمد ثابت وعبدالله القصيمي وغيرهم فقد ذكروا في كتبهم (فجر الإسلام) و(المهدي والمهدوية) و(الوشيعية في نقد عقائد الشيعة) و(الجولة في ربوع الشرق الأدنى) و(الصراع بين الإسلام والوثنية)، ذكروا ما سطره أسلافهم من أباطيل واتهامات ضد الشيعة دون أدنى تفحص وتحقيق وتدقيق، مع أن العصر الذي نعيش فيه عصر العلم وتقارب الأفكار وسهولة الاتصال فيما بيننا أو الحصول على المصادر الشيعة، فإن المنصف من العلماء إذا أراد أن يكتب عن عقائد أو تاريخ فرقة من الفرق عليه أن يطالع كتب تلك الفرقة لا أنه يعتمد على ما كتبه أعدائهم، بل يُعدّ ذلك تعسفاً وظلماً في القرار للتاريخ والأجيال.

فأنا شخصياً يوجد في مكتبتي الشخصية أكثر من (٥٠٠) مجلد من تفاسير وكتب الحديث والفقه والعقائد وعلم الرجال والدراية والتاريخ و... من مؤلفات علماء أهل السنة وكذلك من كتب اليهود والنصارى والمجوس والهنود والبوذيين والطبيعيين وغيرهم، مضافاً إلى الكتب الشيعة وقد طالعتها كلها بدقة حتى اخترت المذهب الحق وهكذا أطلعها عندما أفكر أن أرد على بعض المطالب فيها أو انتقد الباطل منها، وهذا الاتجاه هو الذي يرتضيه العقل والإنصاف، إذ ليس من الصحيح أن يعتمد العالم على غير كتب ومصادر الفرقة التي يريد أن يكتب عنها، بل ومن الخطأ أن يركن إلى ما كتبه أصحابه وأهل مسلكه عنها.

ردّ مفتریات محمد رشید رضا في كتابه السنّة والشيعة

وأكثر ما يثير دهشتي وتعجّبي هو انسياق محمد رشيد صاحب تفسير ومجلّة المنار وهو عالم فاهم وراء التقليد الأعمى واستغراقه في نهج أسلافه الذين أثاروا التفرقة بأقلامهم وروّجوا الأباطيل ورخصوا لأهل الفتن أن يطعنوا في المذهب الشيعي بلا دليل وبرهان، وقد سائر محمد رشيد أسلافه في هذا الاتجاه الجاهلي، ولقد نقلوا لي بعض كلماته إلّا أنّني كنتُ أستبعد ذلك من هذا الرجل الذي جعل من نفسه مفسراً للقرآن الكريم حتّى وقع بين يدي كتابه (السنّة والشيعة) وهو ردّ على سيّد الفقهاء والمجتهدين مفخرة الشيعة آية الله العظمى المرحوم السيّد محسن أمين العاملي رحمته الله وانتابنتي الدهشة وأنا أقرأ كلماته النابية وألفاظه الحادة واسلوبه الوقح وأنهاماته الرخيصة وتعذّبه الصارخ أنّه ليس من العلماء، بل من الأفراد العاديين وكأنّه لم يطالع كتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية.

فقد ملئ كتابه بالأكاذيب والافتراءات التي ابتكرها أسلافه كما أشرنا سابقاً واكتفى محمد رشيد بالركون إليها دون أن يطالع الحقيقة في كتب الشيعة. فإن كان لا يعلم فتلك مصيبة عظيمة أن يكرّر أخطاء وأكاذيب لا يدري صحتها من سقمها، وإن كان يعلم بكذبها فالمصيبة أعظم كما يقول الشاعر:

فإن كان لا يدري فتلك مصيبة وإن كان يدري فالمصيبة أعظم

فقد ذكر في كتابه أنّ الشيعة (وهم أتباع مذهب أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله) يهود لأنهم أتباع عبدالله بن سبأ!! وأنهم مغالون لاعتقادهم بربوبية أنتمهم.. معاذ الله - وأنهم يعتقدون بتحريف القرآن... الخ.

وكان عليه أن يطالع أو يلاحظ ما كتبه علماؤنا الأعلام قبل ألف عام أمثال

الشيخ الكليني والشيخ المفيد والشيخ الطوسي والسيد المرتضى والشيخ الصدوق والعلامة الحلي والعلامة المجلسي وإلى هذا العصر في تفاسيرهم أو كتبهم العقائدية أو حتى كتبهم المتفرقة بأنهم يعدّون الغلات من الكفار، ولم يدع أي أحد من علماء الشيعة الإمامية الاثني عشرية بربوبية الأئمة، فما له لم يطالع كتبنا؟ ألم يلاحظ الرسائل العملية إلى هذا العصر. إن فقهاؤنا يعتبرون الغلات من الكفار والنجاسات؟!

أين هو عن هذا الكم الهائل من مصنّفات الشيعة الإمامية؟ وهو يعدّ نفسه من أهل العلم؟ فإذا كان قليل الاطلاع أو ممن لا يرغب أن يطالع الحقيقة في مظانها كان عليه أن لا يورط نفسه بأشياء لا علم له بها، وبالتالي عليه أن يستعدّ للحساب الإلهي يوم القيامة.

نعم، إذا كان قد سمع أو قرأ في كتب أسلافه أن في الشيعة غلو فهم ليسوا من الشيعة الإمامية الاثني عشرية، وأنما هم ممن نسبوا أنفسهم إلى الشيعة كما يحصل ذلك في صفوف الفرق الإسلامية الأخرى كالمصوّفة والحلولية والقائلين بوحدة الوجود وما إلى ذلك من العقائد الباطلة التي تفوح منها رائحة الغلو. وأما الشيعة الإمامية الاثني عشرية فكتبهم مليئة بكلمات التوحيد منذ أقدم العصور.

نقل أقوال علماء الشيعة على عدم تحريف القرآن

وأما عن قولنا في تحريف القرآن كما زعمه محمد رشيد تباعاً لأسلافه فهو محض الكذب والافتراء ومن جملة الحملات الدعائية التي شنّها الحاقدون علينا، والحق أن إجماع الشيعة قد انعقد على عدم تحريف القرآن لو كان يعلم ذلك محمد رشيد ويترك التقليد الأعمى للسلف، ويظهر ذلك في جميع تفاسير علماء الشيعة وكان حريّ به (محمد رشيد) أن يراجعها أو يطالع بعضها بعد أن

عدُّ نفسه من مفسري القرآن.

فمثلاً قال الشيخ الطوسي في تفسيره (التبيان):

(وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به (القرآن) أيضاً لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانه والنقصان منه أيضاً، وهو الأليق بالصحيح من مذهبه وهو الذي نصره المرتضى رحمة الله عليه. ورويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آي القرآن ونقل شيء منه من موضع إلى موضع طريقها الأحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً والأولى الإعراض عنها وترك التشاغل بها، لأنه يمكن تأويلها ولو صححت لما كان ذلك طعناً على ما هو موجود بين الدفتين فإن ذلك معلوم صحته لا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه، ورواياتنا متناصرة بالحث على قرائته والتمسك بما فيه ورد ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه وعرضها عليه فما وافقه عمل عليه وما خالفه تُجَنَّب ولم يلتفت إليه^(١).

وهكذا أمين الإسلام الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي رحمته الله وهو من أكابر علماء ومفسي الشيعة في القرن السادس الهجري وقد توفي عام ٥٤٨هـ في سبزوار ودفن بمدينة مشهد يقول في مقدمة تفسيره: فأما الزيادة فيه - القرآن - فمجمع على بطلانه وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من الحشوية العامة أن في القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا - الإمامية - خلافه^(٢) وعلى غرارهما الفيض الكاشاني في تفسير الصافي والمولوي فتح الله الكاشاني في منهج الصادقين والعلامة البلاغي في تفسير آلاء الرحمن والمحقق النهاوندي في نفحات الرحمن وآخرون غيرهم إذ

(١) التبيان، ج ١، الطبعة الحجرية الرحلي، ص ٢، ضمن مقدمة التفسير.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ١٥ مقدمة الكتاب، الفن الخامس، ط دار إحياء التراث العربي

لا يسع المجال لسرد أسمائهم هنا كلهم يصرون بعدم تحريف القرآن في تفاسير، بل حتى الكتب الكلامية للشيعة تذكر ذلك مثل الاعتقادات للشيخ الصدوق عليه السلام وأوائل المقالات للشيخ المفيد، والشافعي وأجوبة المسائل الطرابلسيات للسيد المرتضى علم الهدى، وحقيقة الإيقان في عدم تحريف القرآن للمحقق الكركي، والمجلد التاسع عشر من بحار الأنوار للعلامة المجلسي، وكشف الغطاء للشيخ جعفر الكبير النجفي، ومصابب النواصب للقاضي الشهيد نور الله المرعشي، ومعالم الأصول للشيخ حسن بن زين الدين الشهيد الثاني، والمجلد الأول من قوانين الأصول للميرزا أبي القاسم الجيلاني، وشرح تجريد الأصول لمحمد مهدي النراقي^(١) وغيرهم من أكابر علماء الشيعة من المفسرين والفقهاء والنوابغ ومن المتقدمين والمتأخرين أجمعوا على عدم تحريف القرآن وبالألفاظ متعددة وبأساليب متفاوتة في التفصيل والإجمال، ودافعوا عن هذه العقيدة من جانب الزيادة أو النقص.

وقد ذكرتُ تفصيل ذلك كله في كتابي (مائة مقالة سلطانية) وأوردت الأدلة القاطعة بعدم تحريف القرآن مع كلمات علماء الشيعة. وأما ما نقل من بعض الأخبار من طرق السنة أو الشيعة حول نقيصة القرآن الكريم، فهي أخبار آحاد لا يعمل بها ولا يُركن إليها، لأنها لا توجب علماً وعملاً.

(١) الشيخ الصدوق توفي عام ٣٨١هـ. والشيخ المفيد توفي عام ٤١٣هـ. والسيد المرتضى توفي عام ٤٣٦هـ. والمحقق الكركي توفي عام ٩٤٠هـ. والمجلسي توفي عام ١١١١هـ. وكاشف الغطاء توفي عام ١٢٢٨هـ. والمرعشي توفي عام ١٠١٩هـ. وصاحب المعالم توفي عام ١٠١١هـ. وصاحب القوانين توفي عام ١٢٣١هـ. والنراقي توفي عام ١٢٠٩هـ / المؤلف.

أقول: كان هذا المقطع في المتن ورأيت من المناسب درجه في الهامش / المترجم.

وحتى لو كتب أحدهم عن نقصان آيات القرآن من الشيعة فإن كلامه غير مسموع لأنه يمثل رأي شخصي مقابل الإجماع والاتفاق.

نعم لا يقال إن هذا من خصائص الشيعة بل هو مروي عن أكابر علماء السنة أيضاً - وياليت محمد رشيد طالع ذلك - مثل المجلد الرابع من صحيح البخاري في كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة ضمن باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، وكذلك المجلد الخامس من مسند أحمد بن حنبل وتفسير الدر المنثور نقلاً عن الطبراني والبيهقي وابن زريس، وكذلك في تفسير الطبري، وكذا المجلد الأول من كتاب الأحكام في أصول الأحكام للأُمدي الشافعي وغيرهم، يذكرون عدة أخبار حول نقصان القرآن الكريم!! فليس من الإنصاف غص الطرف عن ذلك كله والطعن على الشيعة^(١) فإن أكابر علماء الشيعة لا يعيرون اهتماماً لهذه الأخبار، لكونها أخبار آحاد كما صرح السيّد المرتضى علم الهدى في جواب المسائل الطرابلسيات والشيخ الطوسي في التبيان والطبرسي في مجمع البيان وغيرهم، بينما استند لهذه الأخبار الضعيفة بعض علماء الشيعة والحشوية من أهل السنة.

أما جلّ علماء الشيعة الإمامية فهم متفقون على نحو القطع واليقين بصحة القرآن وعدم تحريفه بأي نحو كان، ومع ذلك كله ترى الاتهامات الباطلة

(١) قال عمر بن الخطاب: ... فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها.

وقال أيضاً: ثم إنّا كنّا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم أو إن كفرأ بكم أن ترغبوا عن آبائكم... / انظر صحيح البخاري ج ٢٣ ص ٢١٤ رقم الحديث ٦٤٢٤ بشرح الكرمانى كتاب المحاربين ط ٢ دار إحياء التراث العربى، بيروت ١٩٨١م.

أقول: وهذا تصريح واضح من الخليفة عمر بنقصان القرآن، لأنه تلا آية لا توجد اليوم فى القرآن الكريم!! / المترجم.

والشائعات الرخيصة التي يروجها علماء أهل السنة ضد الشيعة بأنهم يقولون بتحريف القرآن، بل لم يكتفوا بذلك وإنما تطوّر الأمر عندهم أن يعتدوا بألفاظهم النابية وكلماتهم القاسية على مفخرة العلم والأدب وحليف الورع والزهد الشيخ المفيد وكذا الشيخ الصدوق رحمة الله عليهما، وهذا ليس من أدب العلماء ولا من صفات المؤمنين المتّقين.

وأيضاً من جملة الأمور المضحكة التي ذكرها محمّد رشيد في كتابه السالف والتي يهزأ بها كلّ من رآها وطالعاها حيث يزعم أنّ سبب اختلال وضع العراق يعود إلى أمر هو: فرح شيعة العراق وشيعة إيران بكلّ نكبة وذلة يتعرّض لها المسلمون حتّى أنّهم اتخذوا من يوم انتصار روسيا على المسلمين عيداً لهم فكانوا يتعايدون في ذكرى ذلك اليوم وكان الإيرانيون يزيّنون مدنهم ويظهرون الفرح والسرور في مثل ذلك اليوم!!!

ياله من كلام مضحك بل أنّه يقلّل من قدر وقيمة كاتبه لأنّه يدلّل على عدم اطلاعهم بأبسط الأمور التاريخية وجهله بواقع البلدان المجاورة له، فأين هذا العيد وما اسمه؟! لماذا لا نجد مثل هذا العيد إلّا في كتاب السنة والشيعة؟! وما شاكله كالقصيمي والألوسي؟

وكان الأليق به - محمّد رشيد - أن لا يركن إلى الأكاذيب المضحكة بل يسأل أهل السنة في العراق في البصرة والموصل وتكريت وبغداد... عن وجود مثل هذا العيد، فكانوا يجيبونه بالنفي القاطع، أو يرسمون على وجوههم ابتسامة الهزأ من هذا السؤال.

فعندما يركن علماء أهل السنة إلى مثل هذه الأباطيل والأكاذيب دون أيّ اطلاع أو استفسار بل يجزّهم التعصّب والحقد، عندها لا تبقى عندنا أيّ ثقة بمثل هؤلاء ولا بكلامهم ولا بمروياتهم وهذا سبب عزوفنا عنهم وعمّا يروونه من أحاديث وأخبار.

نعم نحن ننقل ونقبل روايات الثقات العدول الذين وثقهم علماء الرجال فقط ولا نقبل روايات المعاندين والمتعصبيين الذين أشربوا حبّ الأمويين واعتادوا على التلفيق والكذب والعناد والدجاج، فمثلاً تراهم يصرون في نسبة التشيع إلى عبدالله بن سبأ الملعون والحال أن أئمة أهل البيت عليهم السلام وعلماء الشيعة منذ أكثر من ألف عام يصرحون ويعلنون في النوادي والكتيب والحوارات.. براءتهم من عبدالله بن سبأ وأنه مغال، ومع ذلك ترى الشريف والوضيع من أهل السنة - ومنهم محمد رشيد - يصرف في نسبة الشيعة إلى هذا الرجل الكافر!!

فحال بعض علماء أهل السنة كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾^(١) وقد ذكرت سابقاً أن أمير المؤمنين عليه السلام قد أجرى القصاص على ابن سبأ.

سؤال أحد الحاضرين: هل لديكم أخبار عن قتل عبدالله بن سبأ؟
الجواب: الأخبار في ذلك كثيرة ولكن أذكر لكم نموذجين منها رعاية للاختصار، فقد نقل المرحوم آية الله الشيخ عبدالله المامقاني في تنقيح المقال عن رجال الكشي عن محمد بن قولويه القمي مسنداً عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: إن عبدالله بن سبأ كان يدعي النبوة وزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله!! تعالى عن ذلك علواً كبيراً فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعاه وسأله فأقر بذلك وقال: نعم أنت هو وقد كان ألقى في روعي أنك أنت الله وإني نبي، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا نكلتك أمك وتب، فأبى فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب فأحرقه بالنار، وقال عليه السلام: إن الشيطان استهواه فكان يأتيه ويلقي في روعه ذلك^(٢).

(١) الأعراف: ١٧٩.

(٢) تنقيح المقال ج ٢ ص ١٨٤ ط النجف ١٣٥٢ هـ

وأيضاً روي عن الإمام الصادق عليه السلام وهو يحدث أصحابه عن عبدالله بن سبأ، قال عليه السلام: إنه لما ادعى ذلك استتابه أمير المؤمنين عليه السلام فأبى أن يتوب وأحرقه بالنار^(١).

ويعد أن أحرقه مع سبعين من أصحابه الذين قالوا بمقاتلته بقيت منهم بقية لم تكشف عن رأيها في الغلو بل ظلت مستترة واستطاعوا بمرور الأيام والسنين أن يكسبوا بعض البسطاء - أضل من الأنعام - ويقنعوهم بأفكارهم الفاسدة في حق أمير المؤمنين عليه السلام وعبدالله بن سبأ وتحولوا إلى فرقة (السبئية).

من عقائد السبئية الفاسدة

وقد ظل تيار السبئية مستمراً إلى سنة ٤٠هـ بعدما أستشهد أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: إنه لم يمت، وأن الذي قُتل إنما هو الشيطان بعدما ألقي عليه شبه من أمير المؤمنين عليه السلام لأنه الله - تعالى عن ذلك - ولا يجوز لأحد أن يتمكن منه، كما حصل مثل هذا مع عيسى بن مريم «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ»^(٢)، وهكذا حصل مع أمير المؤمنين عليه السلام فإنه قد صعد إلى السماء وسوف ينزل منها عندما تمتلئ الأرض بالفساد والظلم لينشر العدل فيها!!

وقال بعض السبئية: إن علياً عليه السلام في السحاب وأن الرعد صوته والبرق تبسمه، وكلما سمع السحاب صوت الرعد قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين. وكما تعلمون فإن الشيعة لا تعتقد بهذه الأمور أبداً، وقلت سابقاً: إن عقائد الشيعة متمثلة بالتوحيد الخالص لله تعالى شأنه، وأن السبئية ليست من الشيعة، ولكن مع ذلك يصر أصحاب الملل والنحل على درجتها ضمن فرق الشيعة مع

(١) المصدر السابق.

(٢) النساء: ١٥٧.

أَنَّ الشيعة الإمامية الاثني عشرية فرقة واحدة ولا توجد أي اختلافات في عقائدهم ومبانيهم.

إلا أَنَّ الشهرستاني (جرباً على ما ذكره عبد القاهر البغدادي في ملله) ذكر بعض فرق السنية على أَنهم من فرق الشيعة، وسأُنقل لكم كلامه وأشير إلى مواقع الخطأ فيه مصححاً لتلك المعلومات.

قال الشهرستاني وهو في معرض ذكر الفرق الغالية:

«الكاملية»: أصحاب أبي كامل أكفر جميع الصحابة بتركهم بيعة علي عليه السلام، وطعن في علي عليه السلام أيضاً بتركه طلب حقه ولم يعذره في القعود قال: وكان عليه أن يخرج ويظهر الحق على أنه غلا في حقه وكان يقول: الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص وذلك النور في شخص يكون نبوة وفي شخص يكون إمامة، والغلاة على أصنافها كلهم متفقون على التناسخ والحلول ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة في كل ملة تلقوها من المجوس المزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابئة ومذهبهم أَنَّ الله تعالى قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر في كل شخص من أشخاص البشر وذلك بمعنى الحلول، وقد يكون الحلول بجزء وقد يكون بكل، أما الحلول بجزء فهو كإشراق الشمس في كوة أو كإشراقها على البلور، وأما الحلول بكل فهو كظهور ملك بشخص أو شيطان بحيوان، ومراتب التناسخ أربع: النسخ، والمسح، والفسخ، والرسخ. انتهى^(١).

(١) يقول أهل النسخ: إِنَّ الإنسان إذا مات انتقلت روحه إلى بدن إنسان آخر فإن كان صالحاً صارت روحه في بدن صالح وإن كان طالحاً انتقلت روحه إلى بدن إنسان طالح وهكذا.

(٢) ويقول أهل المسح: إِنَّ الإنسان إذا مات انتقلت روحه إلى أبدان الحيوان فإن كان

أقول: وقد عدَّ الأئمة الأطهار عليهم السلام جميع طوائف أهل التناسخ من الكفار. «العلبائية»: أصحاب العلباء بن ذراع الدوسي أو الأسدي وكان يفضل علياً على النبي صلى الله عليه وآله، وزعم أن علياً عليه السلام بعث محمداً ليدعو إليه فدعا إلى نفسه ويسمّون هذه الفرقة الذميمة.

ومنهم من قال بالهَيْتَمَا جميعاً ويقدمون علياً في أحكام الإلهية ويسمّونهم العينية، ومنهم من يفضلون محمداً في الإلهية ويسمّونهم الميمية، ومنهم من قال بالإلهية لجملة أشخاص أصحاب الكساء: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وقالوا: خمستهم شيء واحد والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد منهم على الآخر، وكرهوا أن يقولوا فاطمة بالتأنيث بل قالوا فاطم بلا هاء وفي ذلك يقول بعض شعرائهم:

تولّيت بعد الله في الدين خمسة نبيّاً وسبطيه وشيخاً وفاطماً^(١)

→ صالحاً انتقلت روحه إلى أبدان الحيوانات الجيدة واللطيفة كحصان السلطان أو أسد السلطان، وإن كان طالهاً صارت روحه إلى أبدان الحيوانات الرديئة كالكلب والحمار والخنزير والبغل..

(٣) ويقول أهل الفسخ: إذا مات الإنسان انتقلت روحه إلى النباتات، فأرواح الصالحين تصير في الورود وأشجار الفاكهة، وأرواح الطالحين تصير في أشجار الفاكهة المرة أو تتحول إلى نباتات.

(٤) وهم أحق جميع الأصناف فهم يعتقدون أن الأرواح تنتقل إلى الأحجار والجماد، فالصالحين تحلّ روحهم في الجواهر الثمينة، وأرواح الطالحين تحلّ روحهم في الأحجار العادية التي تكون في معرض سحق الإنسان والحيوان لها / المؤلف رحمه الله.

(١) راجع الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٧٤ - ١٧٥، دار المعرفة، بيروت

«المغيرة»: أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي (البجلي) الكوفي الكذاب، ادّعى أن الإمامة بعد محمد بن علي بن الحسين عليه السلام في محمد النفس الزكية بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليه السلام الخارج بالمدينة وزعم أنه حي لم يمت، وادّعى الإمامة لنفسه وبعد ذلك ادّعى النبوة لنفسه واستحل المحارم وغلا في حق أمير المؤمنين عليه السلام غلو لا يعتقده عاقل وزاد على ذلك قوله بالتشبيه، وقال: إن الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء على مثال حروف الهجاء وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور وله قلب تنبع منه الحكمة، وزعم أن الله تعالى لما أراد خلق العالم تكلم بالاسم الأعظم فطار فوقه على رأسه تاجاً وذلك قوله: «سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى»^(١).

ثم أطلع على أعمال العباد وقد كتبها على كفه فغضب من المعاصي ففرق فاجتمع من عرقه بحران: أحدهما مالح والآخر عذب والمالح مظلم والعذب ينير ثم أطلع في البحر النير فأبصر ظله فانتزع عين ظله فخلق منها الشمس والقمر وأفى باقي ظله وقال: لا ينبغي أن يكون معي إله غيري، قال: ثم خلق الخلق كله من البحرين فخلق المؤمنين من البحر النير وخلق الكفار من البحر المظلم وخلق ظلال الناس أول ما خلق، وأول ما خلق هو ظل محمد عليه السلام وظل علي قبل خلق ظلال الكل ثم عرض على السماوات والأرض والجبال أن يحملن الأمانة وهي أن يمنعن علي بن أبي طالب من الإمامة فأبين ذلك ثم عرض ذلك على الناس فأمر عمر بن الخطاب أبا بكر أن يتحمل منعه من ذلك، وضمن له أن يعينه على الغدر به على شرط أن يجعل الخلافة له من بعده فقبل

(*) خرج ضد المنصور الدوانيقي عام ٢٥٠هـ فأرسل إليه المنصور عيسى بن موسى فقتله بعد حرب دامية.

منه وأقدا على المنع متظاهرين فذلك قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(١) وزعم أنه نزل في حق عمر قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾^(٢).

ولما قتل المغيرة اختلف أصحابه فمنهم من قال بانتظاره ورجعته ومنهم من قال بانتظار إمامة محمد كما كان يقول هو بانتظاره.. وتبرأ منه الإمام الباقر عليه السلام ولعنه وقال المغيرة لأصحابه: انتظروه فإنه يرجع وجبرئيل وميكائيل يسايغانه بين الركن والمقام^(٣).

«المنصورية»: أصحاب أبي منصور العجلي - وهو من قبيلة عبد القيس من أهل الكوفة، كان من أهل البادية لكنه سكن الكوفة وهو رجل أمي يجهل القراءة والكتابة!! - وقد عزا نفسه إلى أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام في الأول فلما تبرأ منه الباقر عليه السلام وطرده زعم أنه هو الإمام ودعا الناس إلى نفسه، ولما توفي الباقر عليه السلام قال: انتقلت الإمامة إلي وتظاهر بذلك وزعم حين ادعى الإمامة أنه عرج به إلى السماء ورأى معبوده فمسح بيده رأسه وقال: يا بني انزل فبلغ عني ثم أهبته إلى الأرض فهو الكسف الساقط من السماء، وزعم أيضاً أن الرسل لا تنقطع أبداً والرسالة لا تنقطع وزعم أن الجنة رجل أمرنا بموالاته وهو إمام الوقت وأن النار رجل أمرنا بمعاداته وهو خصم الإمام وتأول المحرمات كلها على أسماء رجال أمرنا الله تعالى بمعاداتهم وتأول الفرائض على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم، واستحل أصحابه قتل مخالفينهم وأخذ أموالهم واستحلل نسائهم وهم صنف من الخرمية، وإنما مقصودهم من حمل الفرائض

(١) الأحزاب: ٧٢.

(٢) الحشر: ١٦.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٧٦ ط دار المعرفة، بيروت.

والمحرّمات على أسماء رجال: هو أنّ من ظفر بذلك الرجل وعرفه فقد سقط عنه التكليف وارتفع الخطاب إذ قد وصل إلى الجنّة وبلغ الكمال!!

ومما أبدعه العجّلي أنّه قال: إنّ أوّل ما خلق الله تعالى هو عيسى بن مريم عليه السلام ثمّ عليّ بن أبي طالب، وزعم أنّ عليّاً هو الكسف الساقط من السماء، وخرجت جماعة أصحابه ومريديه بالكوفة من بني كندة حتّى وقف يوسف بن عمر الثقفي - ابن عمّ الحجاج - والي العراق في أيام هشام بن عبد الملك على قصّته وخبث دعوته فأخذه وصلبه^(١).

«الخطابية»: أصحاب أبي الخطاب محمّد بن أبي زينب الأسدي الأجدع مولى بني أسد واسمه محمّد بن مقلّاص الزراد البزاز، عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فلمّا وقف الصادق عليه السلام على غلوّه الباطل في حقّه تبرّأ منه ولعنه وأمر أصحابه بالبراءة منه وشدّد القول في ذلك وبالغ في التبرّي منه واللعن عليه^(٢) فلمّا اعتزل عنه ادّعى الإمامة لنفسه، وقد زعم أنّ الأنّمة أنبياء ثمّ آلهة وقال بالهية جعفر بن محمّد عليه السلام والهية آبائه عليهم السلام وهم أبناء الله وأحباؤه والإلهية نور في النبوة، والنبوة نور في الإمامة، ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار، وزعم أنّ جعفرًا هو الإله في زمانه وليس هو المحسوس الذي يروونه

(١) المصدر السابق ص ١٧٨.

(٢) روى الكليني عن إسحاق بن يعقوب قال: ورد التوقيع على يد محمّد بن عثمان العمري: وأنا أبو الخطاب محمّد بن أبي زينة الأجدع ملعون وأصحابه ملعونون فلا تجالس أهل مقالاتهم فإنّي منهم بريّ وأبائي منهم براء. (البحار ج ٤٧ ص ٣٣٤ ح ٣ طهران).

أقول: فيظهر من التوقيع الشريف أنّ الأنّمة من بعد الإمام الصادق عليه السلام إلى الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) كلّهم لعنوا لهذا المغالي وأصحابه وتبرّءوا منهم، وأمرُوا الشيعة بالابتعاد عن الغلاة / المترجم.

ولكن لما نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها، ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته قتله بسبখে الكوفة وافترقت الخطائية بعده فرقاً، فرعمت فرقة أن الإمام بعد أبي الخطاب رجل يُقال له معمر ودانوا به كما دانوا بأبي الخطاب، وزعموا أن الدنيا لا تفنى وأن الجنة هي التي تصيب الناس من شرٍّ ومشقةً وبليةً واستحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة والفرائض.

وزعمت طائفة أخرى أن الإمام بعد أبي الخطاب بزيغ وكان يزعم أن جعفرًا هو الإله، وزعم أن كل مؤمن يوحى إليه من الله وتأول قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْثِقَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١) أي يوحى إليه من الله، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾^(٢)، وزعم أن من أصحابه من هو أفضل من جبريل وميكائيل وأن الإنسان إذا بلغ الكمال لا يقال له أنه قد مات ولكن الواحد منهم إذا بلغ النهاية قيل رجع إلى الملكوت وادّعوا كلهم معاينة أمواتهم وزعموا أنهم يرونهم بكرة وعشية وتسمى هذه الطائفة البريغية^(٣).

وزعمت طائفة أن الإمام بعد أبي الخطاب عمير بن بيان العجلي وقالوا كما قالت الطائفة الأولى، إلا أنهم اعترفوا بأنهم يموتون وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة الصادق عليه السلام فرفع خبرهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة فأخذ عميراً فصلبه في كناسة الكوفة، وتسمى هذه الطائفة العجلية والعميرية.

وزعمت طائفة أن الإمام بعد أبي الخطاب مفضل الصيرفي وكانوا يقولون

(١) يونس: ١٠٠.

(٢) النحل: ٦٧.

(٣) وقد سماه في الفرق بين الفرق بزيغ بن يونس أو بن موسى الحائك.

بربوبيّة جعفر دون نبوته ورسالته وتسمّى هذه الفرقة المفضلية وتبرأ من هؤلاء كلّهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وطردهم ولعنهم فإنّ القوم كلّهم حيارى ضالّون جاهلون بحال الأئمة تائهون^(١).

دراسة عن الفرقة المفضليّة

ولا بأس أن أُشير إلى نقطة مهمّة حول هذه الفرقة التي ذكرها الشهرستاني وعبد القاهر وهي:

إنّا لم نجد في كتب الحديث والتراجم والرجال - الشيعيّة - إشارة إلى هذه الفرقة وإنّما هي من صناعة أهل الأخبار والقضية بجملتها مجعولة ومنسوبة إلى الخطابية.

والسبب في اختراع مثل هذه الفرقة وبهذا الاسم بالذات يعود إلى محاولة الطعن في شخصية شيعيّة متألّقة في العلم والزهد وهو المفضّل بن عمر الذي كان من المقرّبين لدى الصادق عليه السلام ومن أصحابه المؤثّقين المخلصين وكان على درجة عالية من العلم والزلفى لدى الإمام الكاظم عليه السلام والصادق عليه السلام، فحاول الشهرستاني وعبد القاهر وأضرابهما الإساءة إلى أمثال هؤلاء الرجال العلماء عبر هذا الطريق - التهمة والجعل - ويعد سبب اتّهام المفضّل بذلك أيضاً لكونه لم يرجّح أحداً من الأمويّين والنواصب على العترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام فهذا مثال واحد يجعلك في شكّ ممّا يكتبه هؤلاء إذ كيف نطمئنّ أن الشهرستاني وأمثاله لم يتهموا غير المفضّل من الأناس المخلصين المؤمنين؟!

سؤال أحد الحاضرين: إذا كان الأمر كما تقول فما هو سبب اشتهار المفضّل بذلك؟

الجواب: إنَّ علَّةَ تشهيرهم بالمفضَّل واثِّهامه بالغلُو تعود إلى عدَّة أمور، منها:

أولاً: الحسد، وهو من الصفات الذميمة التي يُصاب بها بعض الناس الذين يحاولون بكلَّ جهدهم التخلص منها إلا أنَّهم لا يضبطون أنفسهم أمام تقدُّم ونجاح الآخرين بالعلم أو التقوى أو... فيحسدونهم ويحاولون إسقاطهم اجتماعياً والصاق التهم بهم وإشاعة الافتراءات ضدَّهم..

وهذا السبب كان يدفع أولئك الذين يحسدون المفضَّل أمثال حجر بن زائدة وعامر بن جذاعة وغيرهما، إلى نسبة الغلو للمفضَّل واثِّهامه بأنواع التَّهم، ولم يتوانوا من اتِّهامه في محضر الإمام الصادق عليه السلام أيضاً فقد نقل العلامة الثاني المرحوم الشيخ عبدالله المامقاني في تنقيح المقال مسنداً عن محمد بن سنان عن بشير الدهان أنَّه قال: قال الإمام الصادق عليه السلام لمحمد بن كثير الثقفي: ما تقول في المفضَّل ابن عمر؟ قال: ما عسيت أن أقول فيه لو رأيت في عنقه صليلاً وفي وسطه كسيحاً (كشحاً، كسطيحاً) لعلمت أنَّه على الحقِّ بعدما سمعتك تقول فيه ما تقول، قال عليه السلام: رحمه الله، لكن حجر بن زائدة وعامر بن جذاعة أتياي فشتماه عندي!! فقلت لهما: لا تفعلوا فإنِّي أهواه فلم يقبلا فسألتهما وأخبرتهما أنَّ الكفَّ عنه حاجتي فلم يفعلوا فلا غفر الله عنهما، أمَّا إنِّي لو كرمت عليهما لكرم عليهما من يكرم عليَّ، ولقد كان كثير عزَّة في مودَّته لها أصدق منهما في مودَّتهما لي حيث يقول:

لقد علمت بالغيب أنَّي أحبُّها إذا هو لم يكرم على كريمها
أمَّا أنَّي لو كرمت عليهما لكرم عليهما من يكرم عليَّ وقريب منه إلى قوله
فلا غفر الله لهما^(١).

(١) تنقيح المقال ج ٣ باب المفضَّل من أبواب الميم ص ٢٣٩ ط النجف ١٣٥٢ هـ

ثم قال بعد إيراد الخبر: فإنه يكشف عن أنه سمع منه عليه السلام في حق المفضل مدحاً عظيماً وعلو مرتبة تلزم محمداً على حمل كل ما يراه منه على الصحة مثل رؤية الصليب في عنقه وقد قرره الإمام عليه السلام على قوله ذلك فيكشف عن غاية جلاله المفضل عند مولانا الصادق عليه السلام.

ثم إن نقله عليه السلام لفعل حجر وعامر واسفاده عليهما يكشف عن أن الدم المروي فيه قد نشأ من حجر وعامر ونحوهما من أعداء المفضل، أو منه عليه السلام حفظاً لدم المفضل كما لا يخفى على من وعى وتدبر^(١).

وكذلك أورد المامقاني رواية عن روضة الكافي وأصوله في كتاب الحجة عن ابن أبي عمير عن الحسين بن أحمد المنقري عن يونس بن ظبيان قال: قلت للإمام الصادق عليه السلام: ألم تمنع حجر بن زائدة وعامر بن جذاعة عن المفضل بن عمر؟ قال عليه السلام: يا يونس قد سألتهما أن يكفّا عنه فلم يفعلا فدعوتهما وسألتهما وكتبت إليهما وجعلته حاجتي إليهما فلم يكفّا عنه فلا غفر الله لهما فوالله لكثير عزة أصدق في مودته منهما فيما يتحلان من مودتي حيث يقول:

ألا زعمت بالغيب أن لا أحبها إذا أنا لم أكرم على كريمها^(٢)

وأيضاً ذكر العلامة المامقاني عن رجال الكشي حديثاً مسنداً عن يونس بن ظبيان قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: جعلت فداك لو كتبت إلى هذين الرجلين بالكف عن هذا الرجل فإنيتهما مؤذيان؟ فقال عليه السلام: إذا أغريهما به كان كثير عزة في مودتها أصدق منهما في مودتهما حيث يقول...^(٣).

فيظهر من مجموع ذلك أن الإمام الصادق عليه السلام كان كثير العناية واللفظ

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٦.

(٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٣٩.

بالمفضل بن عمر حتى عدَّ عدم إكرام واحترام المفضل بمثابة عدم إكرامه وهذا أدل دليل على منزلة المفضل وقربه من أهل البيت عليه السلام.

ثانياً: وعادة أرباب الأباطيل - دعماً لباطلهم - فإنهم يلصقون الأسماء الكبيرة وينسبون الشخصيات المتألقة - في العلم - إلى أنفسهم ومذهبهم، ويشيعون في الأوساط أن فلاناً منا أو أننا ننتمي إلى فلان أو أن طريقنا تنتهي إليه أو هي مستوحاة منه، أو إنه يتبنّى أفكارنا وما إلى ذلك.

فمثلاً نلاحظ الصوفية يرجعون طرقهم إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وتراهم يفتتحون حلقات ذكرهم باسمه المبارك وهكذا ينسبون طريقتهم إلى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، مع أن جميع طبقات الصوفية من أهل السنة الذين لا يعتقدون بإمامة الأئمة عليهم السلام !!

وهكذا البهائية - الفرقة الضالة - خذلهم الله فإنهم يحاولون إلصاق أسماء الزعماء الدينيين الكبار من الإمامية الاثنا عشرية إلى فرقتهم الضالة دعماً لمذهبهم وخداعاً للباطل الذين يصدقون مثل هذه الألاعيب، وأذكر ذات مرة قبل أكثر من عشرة سنين ذهبت إلى منزل أحدهم في شارع «انتظام السلطنة» في طهران بعد طلب مجموعة من الأصدقاء فرأيت في منزل هذا الرجل البهائي صورة العلامة الكبير الشيخ مرتضى الأنصاري رحمته الله وصورة آية الله العظمى السيد محمد حسن الشيرازي رحمته الله وهما من أكبر فحول الشيعة فنظرت إلى الصورتين وتعجبت من وجودها في بيت هذا الرجل، وعندما سألت الرجل عن سبب وجود هذه الصور؟ قال: هذين العالمين من الفرقة البهائية، فلما سمعته ضحككت وقلت له: ما الدليل على ما تزعم؟ قال: لأنه عندما ظهر (علي محمد) الباب أفقأ أغلب العلماء ضده ما عدا هذين العالمين. فضحككت كثيراً من هذا الدليل ثم قلت له: لو أن مجنوناً من المجانين ادعى الإلهية لنفسه وسكت كبار

العلماء والمراجع عنه ولم يعلنوا الحرب ضده، فهل يصلح ذلك لأن يكون دليلاً على أنهم يعتقدون بمزاعم هذا المجنون؟

وعلى هذا الأساس لا نتعجب كثيراً من نسبة الغلو للمفضل بن عمر وذلك طلباً للفضائل والكمالات التي يتحلّى بها هذا الرجل الجليل ليكون هذا الرصيد العلمي والأخلاقي لصالح الخطابية الغلاة ممّا يساعدهم على كسب القطاعات الساذجة التي تنطلي عليهم هذه الخزعبلات.

وأقوى الأدلة على صحة ما قلناه هو أنّ المفضل نفسه روى أحاديث في ذمّ الغلاة وبالخصوص في ذمّ أبي الخطاب المغالي، فقد روى العلامة المامقاني في التنقيح عن رجال الكشي مسنداً عن المفضل بن عمر أنّه قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: اتق السفلة واحذر السفلة فإنّي نهيت أبا الخطاب فلم يقبل منّي ^(١).

فيظهر لكم أنّ المفضل أعلى وأنزه ممّا نسب إليه وأنّهم به من متابعة الغلاة إلا أنّ المخالفين يصرون على نسبة المفضل إلى الغلاة حسداً وحقداً منهم وهي تهمة وافتراء لا غير، كما فعله الطبري في تاريخه وهكذا أحمد أمين المصري وأمثالهما ممّن يظهر ميلهم إلى معاوية بالنسبة إلى أبي ذرّ الغفاريّ الصحابيّ الجليل حينما نسبوه إلى ابن سبأ، وقد تناولت ذلك مفصلاً في «ليالي بيشاور». هذا وقد رويت عدّة روايات تشيد بالمفضل عن الإمام الصادق عليه السلام والإمام الكاظم عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام منها ما ذكره المجلسي عن عبدالله بن الفضل الهاشمي قال: كنت عند الصادق عليه السلام إذ دخل المفضل بن عمر فلما بصر به ضحك إليه ثم قال: إليّ يا مفضل فورّبي إليّ لأحبّك وأحبّ من يحبّك يا مفضل لو عرف جميع أصحابي ما تعرف ما اختلف اثنان، فقال له المفضل: يا ابن رسول

الله لقد حسبت أن أكون قد أنزلت فوق منزلتي؟ فقال ﷺ: بل أنزلت المنزلة التي أنزلك الله بها^(١).

وأيضاً ذكر العلامة المامقاني مسنداً عن رجال الكشي عن هشام بن الأحمر، قال: دخلت على أبي عبدالله ﷺ وأنا أريد أن أسأله عن المفضل بن عمر وهو في ضيعة في يوم شديد الحر والعرق يسيل على صدره فابتدأني فقال: نعم العبد والله الذي لا إله إلا هو المفضل بن عمر الجعفي حتى أحصيت بضعا وثلاثين مرة يقولها ويكررها ويقول إنما هو والد بعد والد^(٢).

وروي عن نصر بن الصباح عن ابن أبي عمير بإسناده لما أحدث أبو الخطاب فنتته ذهب جماعة من الشيعة إلى الإمام الصادق ﷺ فقالوا: أقم لنا رجلاً نفزع إليه من أمر ديننا وما نحتاج إليه من الأحكام، قال ﷺ: لا تحتاجون إلى ذلك متى ما احتاج أحدكم خرج إليّ وسمع مني وينصرف فقالوا: لا بد، فقال: قد أقمت عليكم المفضل اسمعوا منه واقبلوا عنه فإنه لا يقول على الله وعليّ إلا الحق فلم يأت عليه كثير شيء حتى شنعوا عليه وعلى أصحابه^(٣).

وجاء في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ﷺ مسنداً عن هشام بن الأحمر أنه قال: حملت إلى أبي إبراهيم - الكاظم ﷺ إلى المدينة أموالاً، فقال ﷺ: ردّها وادفعها إلى المفضل بن عمر فرددتها إلى الجعفي فحططها على باب المفضل^(٤).

وروي أيضاً عن موسى بن بكر أنه قال: كنت في خدمة أبي الحسن ﷺ فلم

(١) البحار ج ٤٧ ص ٣٩٥ ح ١٢٠ ط طهران.

(٢) تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٣٩ وتجده في البحار ج ٤٧ ص ٣٤٠ ح ٢٤ ط طهران، والغيبة ص ٢١٠.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٤٠.

(٤) الغيبة للطوسي ص ٢١٠ في ذكر الممدوحين من وكلاء الأئمة، وتجده في البحار

ج ٤٧ ص ٣٤٢ ج ٢٩ و ج ٣٠.

أكن أرى شيئاً يصل إليه إلا من ناحية المفضل وربما رأيت الرجل بالشيء فلا يقبله منه ويقول: أوصله إلى المفضل.^(١)

وعلى غرار هذه الأخبار الدالة على وثاقة وعدالة المفضل ومنزلته العظيمة عند الأئمة عليهم السلام حتى فاز بشرف الوكالة منهم في أخذ الأموال والحقوق الشرعية وبيان أحكام الدين، توجد أخبار وروايات كثيرة.

وقد روى العلامة المامقاني عن أصول الكافي عن محمد بن سنان وهو من ثقات الشيعة عن أبي حنيفة وأمير الحاج قال: مرّ المفضل علينا ونحن نتشاجر في الميراث فوقف عندنا ثم قال لنا: تعالوا إلى المنزل فأتيناها فأصلح بيننا بأربعمائة درهم فدفعها إلينا من عنده حتى إذا انتهى الشجار وتراضينا بالميراث وبما دفعه إلينا المفضل قال: أما إنها ليست من مالي ولكن أبو عبد الله عليه السلام أمرني إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء أن أصلح بينهما بالمال فهذا من مال أبي عبد الله عليه السلام.^(٢)

فهذا الخبر يدل على وثاقة المفضل وأنه رجل أمين مما يدعو الإمام الصادق عليه السلام أن يجعل بعض الأموال بيده ليحلّ بها المشاجرات، والأمر أعلى من هذا عندما نرى في بعض الأخبار أن وجود المفضل سبب لأنس الإمام المعصوم واستراحته، فقد روى العلامة المامقاني عن عيون أخبار الرضا عليه السلام - وبين يدي الآن كتاب العيون - في باب النص على إمامة الرضا عليه السلام بإسناده عن محمد بن سنان أنه سمع الإمام الكاظم عليه السلام قال: يا محمد أن المفضل كان أنسي ومستراحي.^(٣)

(١) المصدر نفسه.

(٢) تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٣٨.

(٣) تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٣٨.

وأيضاً في نفس الباب عن محمد بن سنان أنه سمع الإمام الكاظم عليه السلام قال له: يا محمد يمد الله في عمرك وتدعو إلى إمامته وإمامة من يقوم مقامه من بعده فقلت: من ذاك جعلت فذاك؟ قال: محمد ابنه قال: قلت فالرضا والتسليم؟ قال: نعم ثم قال: يا محمد أن المفضل كان أنسي وأنت أنسهما (أي الرضا والجواد عليه السلام) ومستراحهما حرام على النار أن تمسك^(١).

وأيضاً روى عن رجال الكشي عن نصر بن الصباح مسنداً عن عيسى بن سليمان أنه قال: قلت للإمام موسى الكاظم عليه السلام: جعلت فذاك خلّفت مولاك المفضل عيلاً فلماذا دعوت الله له؟ فقال عليه السلام: رحم الله المفضل قد استراح. فعدت إلى أصحابي وقلت لهم: والله لقد مات المفضل، فلما دخلنا الكوفة كان المفضل قد توفي قبل ثلاثة أيام.

وأيضاً روى عن محمد بن مسعود مسنداً عن موسى بن بكر قال: لما وصل خبر وفاة المفضل للإمام موسى الكاظم عليه السلام قال: رحمه الله كان الوالد بعد الوالد أما أنه قد استراح^(٢).

وهذا المقدار من الأخبار يكفي لإثبات وثاقة وأمانة وعدالة وجلالة الرجل العظيم المفضل بن عمر، وإلا فالأخبار في هذا الصدد كثيرة جداً، ولكن لو أحب أهل الفضل والتحقيق في أكثر من ذلك فعليهم بمراجعة خاتمة المستدرک للمحدث النوري رحمة الله عليه، وما أشرنا إليه من تنقيح المقال للمامقاني فإنهما قد بسطا الكلام حول المفضل بن عمر.

هذا وقد اعتبره فقهاء الشيعة من الرواة الثقة فقد وصفه فخر الشيعة الشيخ المفيد رضوان الله عليه بهذه الكلمات: من شيوخ أبي عبد الله عليه السلام وخاصته

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٣٩.

وإبطانه وثقافته الفقهاء الصالحين رحمهم الله المفضل بن عمر الجعفي ومعاذ بن كثير^(١).

وهكذا بقيّة عظماء وفقهاء الطائفة الإمامية كالطوسي في كتاب الغيبة والوحيد البهبهاني في رجاله وبقية المتأخرين اعتبروا المفضل بن عمر من الرجال الثقة والمعتمدين وصاحب منزلة عالية جداً.

ويكفي في إثبات وثاقة المفضل والإشارة إلى جلالة قدره رسالته المسماة بـ (توحيد المفضل) والتي تُعدّ من أكبر الأدلة الدامغة للبغدادي والشهرستاني وابن حزم وأمثالهم ممّن اتهم هذا الرجل العظيم بالغلو، لأنها دالة على لياقته لحمل مثل هذه العلوم الشريفة، وإيمانه المستقر، وهي دالة أيضاً على كذب ما زعمه هؤلاء من نسبة الغلو للمفضل وأنّ ما ذكره محض الجعل والافتراء.

ولو فرضنا جدلاً أنّ المفضل كان من الغلاة كما زعمه البغدادي والشهرستاني و... لتبرأ منه الإمام الصادق عليه السلام والكاظم عليه السلام كما تبرّءوا من أبي الخطاب وأمثاله، بينما نجد العكس تماماً إذ لم يصريح الأئمة عليهم السلام بغير الترخّم والمدح والفضل لهذا الرجل الشريف ممّا يشير إلى كمالاته المعنوية وإيمانه.

فبعد كلّ هذه الأدلة يتضح زيف الأقاويل التي أشاعها الأعداء ضدّ المفضل. ويمكن لنا أن نقول أيضاً - على فرض صدور الذمّ للمفضل من قبل الأئمة - أنّ الذمّ فيما لو صدر إنّما يُراد منه الدفاع عن المفضل كما حصل مع زرارة بن أعين وذلك لدفع الخطر عنه وإبعاد الأشرار عنه وتفويت الفرصة على السلطة الغاشمة، ولكن عندما نريد أن ندوّن شيئاً عن زرارة أو المفضل علينا أن ننظر إلى كلا الطائفتين من الروايات المادحة والروايات الذمّة ونعادل بينهما مع ملاحظة الظروف الخارجية والملابسات السياسية ثم نخرج بنتيجة مرضية، هذا

(١) رجال الشيخ الطوسي ص ٣٠٧ رقم (٤٥٣٠).

ما يفرضه العقل والإنصاف بينما تمسك البغدادي والشهرستاني وغيرهما بما يحلو لهم من الأخبار - على فرض صدورها - وأنهموا المفضل بالغلو خلافاً للعقل والإنصاف، وبعيداً عن أسلوب التحقيق والتحليل والتدبر.

وخلاصة الأمر أن القضية قضية منهج واختلاف في الأسس والمباني، فالشيعة تعتقد بالأئمة الاثني عشر من آل الرسول ﷺ وأنهم أوصياؤه وخلفائه من بعده وأنهم معصومون يتلقون العلم اللدني بإذن الله تعالى وهم في عصرهم أفضل الناس وأشجعهم وأورعهم وأتقاهم و... وهذه العقيدة تعتبر غلو في نظر أهل السنة وبالتالي لم يكن المفضل بن عمر لوحده مغالياً في نظرهم بل كل الشيعة الإمامية الاثني عشرية، وذلك لاختلاف المنهج الفكري والعقائدي بيننا وبين أهل السنة.

الكليالية: أتباع أحمد بن الكيال وكان من الملحدين الضالين وكتب كتاباً كله خرافات وموهومات، وأبدع مقالة في كل باب علمي على قاعدة غير مسموعة ولا معقولة وربما عاند الحُسن في بعض المواضع، ولما وقف الأئمة عليهم بدعته تبرأوا منه ولعنوه وأمروا شيعتهم بمنابدته وترك مخالطته ولما عرف الكيال ذلك منهم صرف الدعوة إلى نفسه وأدعى الإمامة أولاً، ثم ادعى أنه القائم ثانياً^(١)، وأقام مجموعة أقاويل ومزخرفات غير علمية وغير مفهومة دلالةً لمذهبه الفاسد فاتبعه جماعة من البسطاء الذين ينعدم التدبر في عقولهم.

الهشامية: وقد ذكر الشهرستاني في الملل والنحل والبغدادي في الفرق بين الفرق وآخرين من كتاب أهل السنة هذه الفرقة وعدوها ضمن الفرق الشيعية ونسبوا إلى هشام بن الحكم الكوفي وهشام بن سالم الجواليقي الجعفي، ونسبوا إليهما القول بالتجسيم والتشبيه!!^(٢)

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٨١.

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٤.

وهذه المزاعم لا تختلف عن التي لصقوها بالمفضل بن عمر كما مر، لأنّ الهشامين كانا من الرجال الكبار في العلم والإيمان وما تُسب إليهما محض الكذب والافتراء، فقد كان هذان الرجلان من الفضلاء والعلماء الموثقين في رواياتهم والمقربين جداً من الأئمة عليهم السلام لاسيّما هشام بن الحكم، وقد جرت بينهم وبين المخالفين مناظرات في التوحيد والإمامة وغيرهما ممّا يدلّ على مقامهما الشامخ في الدفاع عن الحق.

إشارة إلى هشام بن الحكم الكوفي

لقد ذكر السيّد الجليل المجاهد القاضي السيّد نور الله المرعشي الشهيد في كتاب (مجالس المؤمنين) نقلاً عن كتاب (الفصول المتقاة) لفخر الشيعة السيّد علم الهدى نقلاً عن استاذة الكبير الشيخ المفيد رحمته الله، ومثله ذكر العلامة المامقاني في التنقيح عن خط العلامة المجلسي رحمته الله عن السيّد الشريف علم الهدى المرتضى عن استاذة الشيخ المفيد أنّه قال: «هشام بن الحكم من أكبر أصحاب أبي عبدالله عليه السلام وكان تقيّاً وروى حديثاً كثيراً، وصحب أبا عبدالله وبعده أبا الحسن موسى عليه السلام وكان يُكنّى أبا محمّد وأبا الحكم وكان مولى بني شيبان وكان مقيماً بالكوفة، وبلغ من مرتبته وعلوّه عند أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليه السلام (١)».

وأنه دخل على الإمام الصادق عليه السلام وهو غلام أوّل ما اختط عارضاه وفي مجلسه عليه السلام شيوخ الشيعة كحمران بن أعين وقيس الماصر ويونس بن يعقوب وأبي جعفر الأحول وغيرهم فرفعه على جماعتهم وليس فيه إلّا من هو أكبر منه سنّاً، فلما رأى أبو عبدالله عليه السلام أنّ ذلك الفعل كبر على أصحابه قال: هذا ناصرنا

بقلبه ولسانه ويده وقال له أبو عبدالله عليه السلام وقد سأله عن أسماء الله واشتقاقها فأجابه ثم قال له: أفهمت يا هشام فهماً تدفع به أعدائنا الملحدين مع الله تعالى؟ قال هشام: نعم، قال أبو عبدالله عليه السلام: نفعك الله به وثبتك، قال هشام: فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي^(١).

فهل يعقل بعد كل هذه الجلالة والمنزلة والكمالات الرائعة أن يكفر هذا الرجل؟ أو يتهم بالكفر؟

سؤال أحد الحاضرين: كيف يمكن أن يتهم هذا الرجل بالكفر والتجسيم بدون أي دليل؟ يا حبذا لو قدّمت لنا الأدلة المتوافرة التي يقبلها العقل السليم؟
الجواب: لقد نفى أكابر علماء الشيعة كالشيخ الطوسي والشيخ الكشي والشيخ النجاشي والشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الكراجكي وابن نديم والعلامة الحلي والقاضي نور الله والعلامة المجلسي والعلامة المامقاني وغيرهم من علماء الرجال والحديث كل هذه التهم التي أوردها علماء أهل السنة على هشام وقدّموا الأدلة الكافية والمسكتة عن ذلك، ونحن نذكر موجز ما كتبه:

أولاً: على فرض صدور بعض الكلمات الملحدة كعقيدة التجسيم أو التشبيه من هشام، فإن ذلك - على فرض الصدور - كان منه في أوائل شبابه وصباه عندما كان جهمي المذهب تابعاً لجهنم بن صفوان^(٢)، ولكنه عندما التقى بالإمام الصادق عليه السلام ودخل نوره في قلبه وأبطل له عقيدة جهنم بن صفوان وأنكر عليه بالأدلة عقيدة التجسيم والتشبيه أذعن هشام بالحقّ وندم على ما فرط.

سؤال أحد الحاضرين: هل ثبت فعلاً أنه رجع من الجهمية وتاب من أفكارهم وعقائدهم، فإن كان لديك في هذا الصدد رواية أو خبر نرجو أن تذكره لنا ليثبت أصل الموضوع؟

(١) المصدر السابق.

(٢) سفينة البحار ج ٢ ص ٧٢٠ / المترجم.

لقاء هشام بالإمام الصادق ورجوعه عن الجهمية

الجواب: نعم، لقد ذكر العلامة المامقاني في تنقيح المقال عن الكشي، روي عن عمر بن يزيد أنه قال: وكان ابن أخي هشام يذهب في الدين مذهب الجهمية خبيثاً فيهم فسألني أن أدخله على أبي عبدالله عليه السلام ليناظره فأعلمته أنني لا أفعل ما لم أستاذنه فيه فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فاستأذنته في إدخال هشام عليه، فأذن لي فيه، فقممت من عنده وخطيت خطوات فذكرت رداءته وخبثه فانصرفت إلى أبي عبدالله عليه السلام فحدثته رداءته وخبثه، فقال عليه السلام: يا عمر لا تتخوف عليّ، فخرجت من قولي وعلمت أنني قد عثرت فخرجت مستحياً فدخلت معه، فلما تمكّن من مجلسه، سأله أبو عبدالله عليه السلام عن مسألة فحار فيها هشام وبقي، فسأله هشام أن يؤجله فيها فأجله أبو عبدالله عليه السلام فذهب هشام واضطرب في طلب الجواب أياماً فلم يقف عليه فرجع إلى أبي عبدالله عليه السلام فأخبره عليه السلام بها، وسأله عن مسألة أخرى فيها فساد أصله وعقد مذهب فخرج هشام من عنده مغتماً متحيراً قال: فبقيت أياماً لا أفيق من حيرتي، قال عمر بن يزيد: فسألني هشام أن أستاذن له على أبي عبدالله عليه السلام ثانياً، فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فاستأذنت له، فقال عليه السلام: ليستظرنني في موضع سمّاه بالحيرة لألتقي معه فيه غداً إن شاء الله إذا راح النهار.

وقال عمر: فجئت إلى هشام فأخبرته بمقالته وأمره فسرّ بذلك واستبشر وسبقه إلى الموضع الذي سمّاه، ثم رأيت هشاماً بعد ذلك فسألته عما كان بينهما فأخبرني أنه سبق أبا عبدالله عليه السلام إلى الموضع الذي كان سمّاه فبينما هو إذا بأبي عبدالله عليه السلام قد أقبل على بغلة فلما بصرت به وقرب منّي هالني منظره وأرعيني حتى بقيت لا أجد شيئاً أتفوّه به ولا انطلق لساني لما أردت من مناطقه ووقف على أبو عبدالله عليه السلام ملياً ينتظر ما أكلّمه وكان وقوفه عليّ لا يزيديني إلا تهيباً

وتحيراً فلما رأى ذلك مني ضرب بغلته وسار حتى دخل بعض السكك في الحيرة وتيقنت أن ما أصابني من هيبة لم يكن إلا من قبل الله عز وجل ومن عظم موقفه ومكانه من الربّ الجليل، قال عمر: فانصرف هشام إلى أبي عبد الله عليه السلام وترك مذهبه ودان بدين الحق وفاق أصحاب أبي عبد الله عليه السلام كلهم والحمد لله (١).

ولذا فقد وصف علماء الشيعة الكبار هشاماً بالعظمة والجلالة، فمثلاً قال عنه أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم المعروف بابن أبي يعقوب الورّاق النديم البغدادي الكاتب الفاضل الخبير المتبحر الماهر الشيعي الإمامي المولود في جمادى الآخرة عام ٢٩٧هـ والمتوفي في شعبان عام ٣٨٥هـ في فهرسته ضمن المقالة الخامسة قال: أبو محمد هشام بن الحكم مولى بني شيان كوفي تحول إلى بغداد من الكوفة وهو من أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام ومن متكلمي الشيعة ممن فتح الكلام في الإمامة، وهذب المذهب بالنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام، حاضر الجواب، سئل هشام عن معاوية أشهد بداراً؟ فقال: نعم، من ذاك الجانب، وكان منقطعاً إلى يحيى بن خالد البرمكي، وكان القيم بمجالس كلامه ونظره، وكان ينزل الكرخ من مدينة السلام، وتوفي بعد نكبة البرامكة بمديدة مستتراً، وقيل في خلافة المأمون وله من الكتب: كتاب الإمامة، كتاب الدلالات على حدوث الأشياء، كتاب الردّ على الزنادقة، كتاب الردّ على أصحاب الاثنين، كتاب التوحيد، كتاب الردّ على هشام الجواليقي، كتاب الردّ على أصحاب الطبايع، كتاب الشيخ والغلام، كتاب التدبير، كتاب الميزان، كتاب الميدان، كتاب الردّ على من قال بإمامة المفضول، كتاب اختلاف الناس في

(١) تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٩٥ من الأخيار السادسة ح ١، وتجده في رجال الكشي ص ٢٥٦ رقم ٤٧٦ ط مشهد، وسفينة البحار ج ٢ ص ٧٢٠ / المترجم.

الإمامة، كتاب الوصية والردّ على مَنْ أنكرها، كتاب في الجبر والقدر، كتاب الحكمين، كتاب الردّ على المعتزلة في طلحة والزبير، كتاب القدر، كتاب الألفاظ، كتاب المعرفة، كتاب الاستطاعة، كتاب الثمانية الأبواب، كتاب على شيطان الطاق، كتاب الأخبار وكيف تصحّ، كتاب على ارسطاليس في التوحيد، كتاب المعتزلة^(١).

وقد عدّه الكشي في رجاله والنجاشي - المتوفى عام ٤٥٠هـ في مطير من نواحي سامراء وهو من أعلم علماء الشيعة في علم الرجال - في رجاله أيضاً من الثقات وهو - هشام - عندهما من أهل التوحيد الكامل والتقوى^(٢).

وهكذا وثّقه شيخ الطائفة وفخر الشيعة ومحي الشريعة الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي^(٣) وقد دافع وردّ كلّ الاتّهامات الباطلة

(١) الفهرست لابن النديم ص ٢٢٣، الفن الثاني: من المقالة الخامسة، ط طهران، ١٩٧١م.

(٢) قال العلامة الكبير النجاشي: وروى هشام عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى^(عليه السلام)، وكان ثقة في الروايات، حسن التحقيق بهذا الأمر.

أنظر رجال النجاشي ج ٢ ص ٣٩٨، ط بيروت، دار الأضواء ١٩٨٨م / المترجم.

(٣) انتهت إليه رئاسة المذهب الشيعي في القرن الرابع الهجري وكان على درجة عالية من العلم والفضل والعدالة والواقعة، وكان يتغلّب في مناظراته على كلّ من ناظره، وقد جرت بينه وبين علماء أهل السنّة مناظرات كثيرة منها مناظراته مع أبي بكر الباقلاني وعليّ بن عيسى الرماني والقاضي عبد الجبار المعتزلي وفاضل كتبي وغيرهم، وكان يلزمهم الحجّة في جميع محاوراته ومجابهاته، حتّى قال القاضي عبد الجبار لما عجز عن جواب الشيخ: أنت المفيد حقّاً، ومنذ ذلك الحين عرف في الأوساط بالشيخ المفيد، وفي ليلة الثالث من شهر رمضان المبارك من عام ٤١٣هـ ارتحل الشيخ المفيد^(عليه السلام) إلى الرفيق الأعلى بعد ٧٦ عاماً من الجهاد في ميدان العلم

عن هشام في أكثر من كتاب، وعلى غرارهِ السيّد المرتضى علم الهدى^(١) في

→ والفضائل، ودفن في مقابر قريش إلى جانب قبري الإمام الكاظم والجواد عليهما السلام في بغداد وقد اشترك في تشييعه ثمانون ألف إنسان من الشيعة والسنة وذلك لجلالة قدره وعلو منزلته عند الخاصّ والعام، وانفرد الشيخ المفيد بأمور منها: حصوله وتشرفه بالتوقيع المبارك الذي خرج من الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) وقد خاطبه بـ (لأخ السديد السعيد الشيخ المفيد).

ومنها: ما ذكره المحدث القمي في الكنى والألقاب، عن جماعة من العلماء الأعلام منهم الميرزا محمد مهدي الشهرستاني أنه قال: شوهدت على قبر الشيخ المفيد مرثية من وليّ العصر صاحب الأمر عجل الله فرجه وهي:

لا صوّت الناعي بفقدك أنه يوم على آل الرسول عظيم
إن كنت قد غيّبت في جدث الثرى فالعدل والتوحيد فيك مقيم
والقائم المهدي يفرح كلما تليت عليك من الدروس علوم

وقد قال عنه علماء أهل السنة: هو شيخ مشايخ الإمامية، رئيس الكلام والفقه والجدل، وكان يناظر أهل كلّ عقيدة وكان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، خشن اللباس، وكان شيخاً ربعة نحيفاً أسمر، عاش ستاً وسبعين سنة وله أكثر من مائتي مصنف، كانت جنازته مشهورة، شيّعه ثمانون ألفاً من الرافضة والشيعة وأراح الله منه أهل السنة، وكان كثير التقشّف والتخشّع والإكباب على العلم وكان يقال له على كلّ إمامي منة.

وقد ذكر أسماء كتبه الشيخ الطوسي في الفهرست / المؤلف.

أقول: كان هذا الكلام في المتن ورأيت من المناسب وضعه في الهامش للمحافظة على سياق الموضوع / المترجم.

وأما التوقيع المبارك له تجده في البحار ج ٥٣ باب التوقيعات.

(١) السيّد المرتضى: جامع العلوم من الفقه والأصول والحديث والكلام والأدب والشعر واللغة وغيرها، وفاق في زمانه كلّ أهل العلم والفضل حتّى أذعن لرئاسته

→ المخالف والمؤلف، ومن خصائصه كما ذكرها العلامة المامقاني في تنقيح المقال ج ٢ ص ٢٨٥ والمحدث القمي نقلاً عن خط السيد صفي الدين محمد بن معد الموسوي في الكاظمية وآخرين أن وزير القادر بالله العباسي وهو أبو سعيد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم قد مرض في سنة ٤٢٠هـ فرأى في منامه أمير المؤمنين عليه السلام يقول: قل لعلم الهدى اقرأ عليك حتى تبرأ فقال: يا أمير المؤمنين ومن علم الهدى؟ قال عليه السلام: علي بن الحسين الموسوي، فكتب الوزير إليه بذلك فقال المرتضى: الله الله في أمري فإن قبولي لهذا اللقب شناعة علي، فقال الوزير: ما كتبت إليك إلا بما لقبك به جدك أمير المؤمنين عليه السلام، فعلم القادر الخليفة بذلك فكتب إلى المرتضى تقبل يا علي بن الحسين ما لقبك به جدك فقبل وأسمع الناس. أقول: تجد هذه القصة في الكنى والألقاب ج ٢ ص ٤٨١ ط طهران، وتنقيح المقال ج ٢ ص ٢٨٥ / المترجم.

ومن كراماته أيضاً ما ذكره العلامة المامقاني في التنقيح عن فخار بن معد العلوي الحسني عن الشيخ المفيد عليه السلام أنه رأى في منامه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله دخلت إليه وهو في مسجده بالكرخ ومعها الحسن والحسين رضي الله عنهما صغيرين فسلمتهما له وقالت: علمهما الفقه، فانتبه متعجباً من ذلك، فلما تعالى النهار في صبيحة تلك الليلة دخلت عليه فاطمة بنت الناصر وحولها جواربها وبين يديها ابنها محمد الرضي وعلي المرتضى رحمهما الله صغيرين فقام إليها وسلم عليها، فقالت: أيها الشيخ هذان ولداي قد أحضرتهما إليك لتعلمهما الفقه، فبكى الشيخ المفيد وقص عليها المنام وتوكل تعليمهما وأنعم الله عليهما وفتح لهما أبواب العلم والفضائل ما اشتهر في آفاق الدنيا / تنقيح المقال ج ٢ ص ٢٨٥ / لاسيما السيد المرتضى الذي وصلت إليه زعامة المذهب بعد الشيخ المفيد، وقد حضر يوماً الشيخ درس تلميذه المرتضى فقام الأخير احتراماً للشيخ إلا أن الشيخ أمره بإكمال الدرس فأكماله ولما سمعه الشيخ تعجب من بيان السيد وإحاطته وقدرته على الكلام، والسيد المرتضى

كتابه الشافي وغيره، ووثقه أيضاً العلامة الجليل والمتكلم الفقيه محمد بن علي ابن عثمان الكراجكي وهو من تلامذة الشيخ المفيد والسيد المرتضى علم الهدى وسَلار بن عبد العزيز الديلمي وحسين بن عبيد الله الواسطي، وأبي الحسن بن شاذان القمي.

وقد ذكره العلامة المجلسي وعده من أجلة العلماء والفقهاء ومتكلمي

→ هو الذي صُلِّيَ على جنازة الشيخ المفيد، وعُدَّ مجدداً للمذهب على رأس المائة، فقد قال ابن الأثير في جامع الأصول: إنه مروج مذهب الإمامية في رأس المائة الرابعة. وقال في موضع آخر: إنه مجدد مذهب الإمامية، إذ كان ميلاده في رجب عام ٣٥٥ ووفاته في ربيع الأول عام ٤٣٦ هـ.

ومن خصائصه أيضاً: أنه لُقِّبَ بالثمانين، لأنه كان له من كل شيء ثمانون فكانت له ثمانون قرية تُجَبَّى إليه بين بغداد ومكة من إرث آبائه كما ذكره المحقق الثاني عليه السلام في رسالته الخراجية / لاحظ تنقيح المقال ج ٢ ص ٢٨٤ / المترجم.

وكانت مدة عمره ثمانين سنة وثمانية أشهر، ووجد في مكتبته ثمانين ألف مجلد، وله عدة مصنفات في مختلف العلوم منها «الغرر والدرر» الذي ذكره ابن خلكان في الوفيات.

وقال عنه: وهي مجالس أملاها تشتمل على فنون من معاني الأدب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك وهو كتاب ممتع يدل على فضل كبير وتوسع في الاطلاع على العلوم / لاحظ وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣١٣ رقم ٤٤٣ ط الشریف الرضي / المترجم.

وأهم مصنفاته هو كتاب الشافي وهو رد على كتاب المغني للقاضي عبد الجبار من علماء أهل السنة المتعصبين، وتدور مباحثه حول الإمامة، وفيه أيضاً بعض الردود على من اتهم هشام بن الحكم، ودافع عنه دفاعاً علمياً وأبطل كل الترهات والخزعات / المؤلف.

أقول: كان هذا الكلام في المتن ورأيت من المناسب وضعه في الهامش / المترجم.

الإمامية في القرن الخامس الهجري وله تصانيف كثيرة أهمها كنز الفوائد وهو من نفائس الكتب وعلى جميع أهل العلم والفضل مطالعته بدقّة، وقد ذكر تحقيقاً رشيقيّاً في كتابه هذا في الدفاع عن هشام بن الحكم وردّ جميع التّهم عنه^(١).
وأيضاً وثّقه شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي رحمه الله وهو من أكبر علماء الإمامية وانتهت إليه رئاسة المذهب في القرن الخامس الهجري، وكان على درجة عالية من العلم بشئى أصنافه كالفقه والكلام والأصول والأدب والرجال... وقد جمع الفضائل النفسانية والأخلاقية إلى جانب علمه، وقد ولد رحمه الله^(٢) وقد تنلّم لمُدّة خمس سنوات عند الشيخ المفيد رحمه الله وعند السيّد المرتضى لمُدّة ٢٨ عاماً، وبعد رحيل السيّد تصدّى الشيخ الطوسي لزعامة المذهب لمُدّة ٢٤ عاماً قضّاها في الدفاع عن حرم هذه الطائفة الحقّة وقد نُصِبَ له كرسي التدريس في علم الكلام من قِبَل خلفاء بني العباس، وكان يحضر درسه أكثر من ثلاثمائة شخص من أكابر علماء ومجتهدي الشيعة والسنة وكان الجميع ينهل من فيضه المبارك.
إلى عام ٤٤٣هـ عندما تحرّك أهل العناد واللجاج، والتعصّب والأحقاد، أولئك الحساد الذين أرادوا إشعال نار الفتنة وتمزيق الوحدة وإثارة النعرات الطائفية، فقاموا - بعض أهل السنة - بإحراق الكرسي الذي يجلس عليه الشيخ الطوسي في تدريسه والذي أهده إليه الخليفة العبّاسي كما وأشعلوا النار في مكتبة الشيخ في داره، إلّا أنّ الشيخ الطوسي تصرّف بحكمة وصبر وحكمة، فلم يرّد على القوم ولم يتّهم أحداً بل ترك بغداد مهاجراً إلى النجف الأشرف وبقي

(١) كنز الفوائد ج ٢ ص ٤١ ط دار الأضواء بيروت ١٩٨٥م / المترجم.

(٢) ولد الشيخ الطوسي في شهر رمضان عام ٣٨٥هـ بعد وفاة الشيخ الصدوق بأربعة سنين في مدينة طوس، وفي عام ٤٠٨هـ أي بعد وفاة السيّد الرضويّ بستين، هاجر إلى العراق وكان عمره آنذاك ٢٣ عاماً واستقرّ في بغداد / المؤلف.

فيها إلى عام وفاته ٤٦٠هـ ودفن في المسجد الموسوم باسمه بالقرب من الصحن الشريف، وطيلة ٩٠٠ عاماً كان أكابر مراجع الشيعة والعلماء يجعلون من مسجد الطوسي محلاً لدرسهم.

سؤال أحد الحاضرين: أرجو أن تبين لنا سبب مخالفة أهل بغداد للشيخ الطوسي صاحب المقام الشامخ والمنسوب من قبل الخليفة للتدريس؟

سبب الفتنة بين الشيعة والسنة في عام ٤٤٣هـ في بغداد

الجواب: أولاً: أن السبب الرئيسي في مثل هذه الأحداث والفتن التي تهدد كرامة المسلم وتريق دمه، هو الحسد، لاسيما من العلماء غير العاملين كما ورد في الحديث «آفة العلم الحسد»^(١)، فالحسد يأكل العلم والإيمان كما قال رسول الله ﷺ: «الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»^(٢).

فلما ذاع صيت الشيخ وانتشرت أخباره وعلميته الفائقة وافتخار تلامذته - من الشيعة والسنة - به واتساع حلقة درسه، وصلت أنباءه إلى الخليفة العباسي ممّا دفع الأخير أن يبعث للشيخ هدية تدلّ على اهتمامه به وكانت عبارة عن كرسي عظيم فكان الشيخ يجلس عليه للتدريس، ممّا أثار هذا العمل حفيظة بعض حُساد أهل السنة فقاموا بإشاعة الكلام غير اللائق عن الشيخ في السر والعلن.

ثانياً: ولم يكتفِ هؤلاء بهذا المستوى من الذنوب بل دفعتهم الرواسب الأموية التي ورثوها من أسلافهم، إلى التعصب وإغراء بعض العوام وخذاعهم

(١) أصول الكافي ج ٢، ص ٢٣٢ ح ٤، ط المكتبة الإسلامية.

(٢) نفس المصدر ص ١٣١.

والكذب والتمويه عليهم ودفعهم إلى قتل الشيعة تحت مزاعم وأكاذيب منها: إن الشيعة مشركون كفار، لأنهم يخالفون الصحابة...

مما أدى إلى حصول حرب داخلية بين الشيعة والسنة عام ١٤٢٣هـ في بغداد راح ضحيتها الأبرياء، ثم هجم بعض الهمج الرعاع على منزل الشيخ الطوسي وأشعلوا النار فيه، فاحترقت مكتبته الثمينة وذهب ذلك التراث الإسلامي بعمل الجهال.

ولم يقف علماء السوء إلى هذا الحد بل ذهبوا للسعاية فقد قدموا على الخليفة العباسي وقالوا له: إن الشيخ الطوسي قد كفر، لأنه يجوز لمن الصحابة في كتابه «مصباح المنهج» في دعاء يوم عاشوراء المروي عن الإمام الباقر عليه السلام: اللهم خص أنت أول ظالم باللعن متي وابدأ به أولاً ثم العن الثاني والثالث والرابع اللهم العن يزيد خامساً.

فأمر الخليفة العباسي بإحضار الشيخ، فلما جاءه ودخل عليه كان أولئك الحساد جالسون عند الخليفة العباسي أيضاً، فلما سأله الأخير عن موضوع الدعاء ولعن الصحابة، قال الشيخ: إن هؤلاء القوم أرادوا السعاية بي حسداً من عند أنفسهم ولم أصرح بلعن الصحابة، فقال الخليفة: فما معنى هذه العبارات في الدعاء؟ فقال الشيخ:

أما الظالم الأول: فهو قابيل بن آدم عندما قتل هابيل ظلماً.

وأما الظالم الثاني: فهو قidar (أو قدار) عاقر ناقة صالح عليه السلام.

وأما الظالم الثالث: فهو قاتل النبي يحيى عليه السلام وقد ذبحه ووضع رأسه في طشت.

وأما الظالم الرابع: فهو عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وأما الخامس: فهو يزيد بن معاوية الذي أمر بقتل سيد شباب أهل الجنة

وابن رسول الله ﷺ الحسين بن علي عليه السلام فقتلوه وذبحوه وسبوا عياله وأهل بيته

كما يسبى الكفار وأدخلوهم إلى الشام بعد أن أعلنوا الفرج والسرور بذلك^(١). فلما سمع الخليفة جواب الشيخ ورأى أنه كلام منطقي مطابق لما هو معهود عند المسلمين، أكرمه واحترمه وأهان علماء السوء - من أهل السنة - الذين أرادوا الإضرار بالشيخ، من خلال هذه السعاية وعاقبهم على فعلهم وفتنتهم التي أوقدوها.

إلا أن الشيخ منذ ذلك الوقت ارتحل من بغداد إلى النجف إخماداً للفتنة، وبقي في النجف ١٧ عاماً مجاوراً أمير المؤمنين علي^{عليه السلام}، وهناك أسس الحوزة العلمية التي تنهل الأجيال منذ عصر الشيخ وإلى هذا اليوم من علومها وفنونها، وقد تخرج فحول الشيعة منها أيضاً.

هذا وقد أصرَّ الخليفة العباسي وبعض أهل العلم في بغداد على الشيخ بالعودة إليها، إلا أنه رفض وظلَّ في النجف إلى أن توفي في ليلة الاثنين ٢٢ محرم عام ٤٦٠هـ والتحق بالرفيق الأعلى، بعد أن ترك تراثاً هائلاً في كتبه ومصنفاته في مختلف العلوم والمعارف^(٢) وقد ذكر في عدة مواضع من كتبه ما

(١) أيضاً نقل هذه القصة الشيخ حبيب الله الكاشاني المتوفى في (١٣٤٠هـ) في شرحه على زيارة عاشوراء المطبوعة أخيراً ص ١٠٥، ط قم، دار الأنصار.

(٢) لقد ذكر الشيخ الطوسي^{رحمته} في آخر باب الميم من كتابه (الفهرست) بعض أسماء كتبه منها: التبيان، الجامع لعلوم القرآن، وهو تفسير للقرآن الكريم وقد نهل منه الشيخ الطبرسي الشيء الكثير كما ذكر ذلك في مقدمة تفسيره، وكتاب تهذيب الأحكام الذي جمع فيه روايات الأحكام من الطهارة إلى الديات، والاستبصار، والنهاية في أصول الفقه، والمفصّل في الإمامة، وتلخيص الشافي في الإمامة أيضاً، والعدة في أصول الفقه، ومسائل الخلاف بين فرقة الإمامية وسائر المخالفين (وقد طبع مؤخراً بأمر آية الله العظمى المرحوم السيد البروجردي)، والمبسوط الحاروي

يَتَّصِلُ بِوِثَاقَةِ هِشَامَ بْنِ الْحَكَمِ أَوْ الدِّفَاعِ عَنْهُ وَرَدَّ تِلْكَ الْأَكَاذِيبَ، لَا سِيَّمَا فِي كِتَابِهِ (الفهرست) الَّذِي ذَكَرَ فِيهِ: هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ كَانَ مِنْ خَوَاصِّ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام وَكَانَتْ لَهُ مَبَاحِثَاتٌ كَثِيرَةٌ مَعَ الْمُخَالَفِينَ فِي الْأَصُولِ وَغَيْرِهَا وَكَانَ لَهُ أَصْلٌ ... وَلَهُ مِنَ الْمَصْنُفَاتِ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ ... (حَتَّى عُدَّ مِنْهَا ٢٨ كِتَابًا) ثُمَّ

→ عَلَى ٨١ فِصْلًا فِي جَمِيعِ فُرُوعِ الْفِقْهِ الَّذِي قَالَ عَنْهُ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ: (لَا يَوْجَدُ مِثْلُهُ لَا فِي الشَّيْعَةِ وَلَا عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ)، وَالْجَمْلُ وَالْعُقُودُ فِي الْعِبَادَاتِ، وَالْإِيجَازُ فِي الْفَرَائِضِ، وَشَرْحُ جَمْلِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَالنَّقْضُ عَلَى ابْنِ شَاذَانَ فِي مَسْأَلَةِ الْغَارِ، وَمَنَاسِكُ الْحَجِّ، وَمَصْبَاحُ الْمُتَهَجِّدِ، وَالْاِقْتِصَادُ فِيمَا يَجِبُ عَلَى الْعِبَادِ، وَمَخْتَصَرُ الْمَصْبَاحِ، وَالْغَيْبَةِ، وَهَدَايَةُ الْمُسْتَرَشِدِ، وَالْمَجَالِسُ، وَمَقْتُلُ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَكِتَابُ فِي الْأَصُولِ، وَبَعْضُ الرِّسَالِ الصَّغِيرَةِ فِي: الْعَمَلِ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ، وَمَسَائِلِ الْخُنَابَلِيَّةِ (أَوْ الْجِيلَانِيَّةِ) فِي ١٤ مَسْأَلَةٍ، وَمَسَائِلِ الرَّحْبِيَّةِ، وَالْمَسَائِلِ الدِّمَشْقِيَّةِ ١٢ مَسْأَلَةً، وَالْمَسْأَلَةُ الرَّازِيَّةُ فِي الْوَعِيدِ، وَمَسَائِلُ فِي الْفُرُقِ بَيْنَ النَّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ، وَالْمَسَائِلُ الْحَلِّيَّةُ، وَالْمَسَائِلُ الْإِلْيَاسِيَّةُ فِي ١٠٠ مَسْأَلَةٍ فِي فُنُونٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَالْمَسَائِلُ الْحَاثِرِيَّةُ فِي ٣٠٠ مَسْأَلَةٍ.

وَقَالَ الْعَلَمَةُ الْمَامَقَانِي: أَوَّلُ كِتَابٍ صَنَّفَهُ الشَّيْخُ هُوَ كِتَابُ النِّهَايَةِ فِي الْفِقْهِ وَالْفَتَوَى وَآخِرُ مَصْنُفَاتِهِ هُوَ الْمَبْسُوطُ.

وَكُتِبَ أَكْثَرُ مَوْلاَفَاتِهِ فِي زَمَانِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ، إِذْ كَانُوا يَظْهَرُونَ وَدَّهَمَ وَحَبَّيْهِمْ وَتَعْظِيمَهُمُ لِلْعُلَمَاءِ مِنَ الْخَاصَّةِ أَوْ الْعَامَّةِ، فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْمَقْطَعُ الزَّمَانِي مَدْعَاةً لِلتَّقِيَّةِ بَلْ كَانَ نَفْسُ بَعْضِ الْخُلَفَاءِ يَحْضُرُ حَلْقَةَ الْمَنَاطِرَاتِ فِي الْأَصُولِ وَالْفِقْهِ وَالْإِمَامَةِ، كَمَا يَرَوِي عَنْ الرَّشِيدِ وَالْمَأْمُونِ.

وَأَيْضًا مِنَ الْمَصْنُفَاتِ الْمَهْمَةِ لِلشَّيْخِ كِتَابُهُ فِي الرِّجَالِ، وَالْفَهْرَسْتُ الَّذِي ذَكَرَ فِيهِ أَسْمَاءَ عُلَمَاءِ الشَّيْعَةِ وَكُتُبَهُمْ إِلَى زَمَانِهِ / الْمُؤَلَّفِ.

أَقُولُ: كَانَ هَذَا الْكَلَامُ فِي الْمَتْنِ أَدْرَجْتُهُ فِي الْهَامِشِ حِفَافًا عَلَى تَسْلُسِلِ الْمَوْضُوعِ / الْمُتَرَجِّمِ.

قال: وكان مَن فتق الكلام في الإمامة وهذا المذهب في النظر وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب^(١).

وأيضاً مَن وثقه المولى رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب السروي (أعلى الله مقامه) الذي أقرّ بعظمته وجلالة قدره الشيعة والسنة^(٢)، قال هذا العالم الكبير في كتابه (معالم العلماء) عن هشام ما لفظه:

إنه - هشام - كان مَن فتق الكلام في الإمامة وتهذّب المذهب بالنظر، ورفع الصادق عليه السلام على الشيوخ وهو غلام، وقال: هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده، وقال عليه السلام: هشام بن الحكم رائد حقنا وسائق قولنا، المؤيد لصدقنا والدافع لباطل أعدائنا، مَن تبعه وتبع أثره تبعنا، ومَن خالفه وألحد فقد عادانا وألحد فينا^(٣).

وأيضاً مَن ذكر وثاقة هشام العلامة الحلبي عليه السلام في كتاب الخلاصة حيث

(١) الفهرست للطوسي ص ٢٠٣ رقم ٧٨٢ ط ٢ النجف ١٩٦٠ م.

(٢) عاش هذا العالم الكبير في القرن السادس الهجري وحمل لواء العلم والفقاهة، وتوفي في حلب عام ٥٨٨ هـ ودفن بها، وقبره اليوم مزاراً للخاص والعام وقد تشرفت بزيارة قبره عام ١٣٧٤ هـ عند عودتي من الحج، ولهذا العالم الكبير عذة كتب في الفقه والتفسير والأخبار والأحاديث وأصول الاعتقاد والفروع وهي كتب ثرية مليئة بالفائدة / المؤلف.

أقول: كان هذا الكلام في المتن أدرجته في الهامش حفاظاً على سياق الموضوع / المترجم.

(٣) معالم العلماء ص ١١٥ حرف الهاء، ط إيران ١٣٥٣ هـ.

(٤) هو الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلبي، عاش في القرن السابع وكان كالشمس بين علماء الشيعة والسنة، وقد نبغ في كافة العلوم في عصره فبرع في

ذكر فيه:

هشام بن الحكم أبو محمد مولى كندة وكان ينزل ببني شيبان بالكوفة وانتقل إلى بغداد سنة ١٩٩هـ، ويقال: إن في هذه السنة مات، ومولده كان بالكوفة ومنشأه واسط وتجارته بغداد، ثم انتقل إليها في آخر عمره ونزل قصر وضاح، روي عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليه السلام، وكان ثقة في الروايات حسن التحقيق بهذا الأمر، ورويت مدائح له جليلة عن الإمامين الصادق والكاسم عليهما السلام وكان ممن فتن الكلام في الإمامة وهذب المذهب بالنظر وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب، وقال الكشي: ... ترخم عليه الرضا عليه السلام، ثم قال العلامة: وهذا الرجل عندي عظيم الشأن رفيع المنزلة^(١).

وممن وثقه أيضاً العلامة المامقاني رحمته الله وهو من أعاضم الشيعة ورموزها الكبار في القرن الرابع عشر، وله عدة مصنفات أهمها ثلاث مجلدات: تنقيح المقال في علم الرجال، الذي امتاز بالتحقيق والتدقيق مع أسلوبه الظريف وقد

→ الفقه والأصول والكلام والحكمة والمنطق والهندسة والرياضيات. وبالجملية: حمل علم المعقول والمنقول، وترك تراثاً هائلاً في مختلف العلوم والفنون كان بعضها سبباً لتشيع بعض أهل السنة، فله أكثر من مائة مصنف منها كتاب الألفين وكتاب نهج الحق وكشف الصدق؛ فقد كان كل واحد من هذين الكتابين مشعلاً يستنار به.

ومن جملة كتبه أيضاً: كتاب في علم الرجال وآخر باسم خلاصة الأقوال في معرفة الرجال وثالث باسم الكتاب الكبير في شرح حالات الرجال من الصحابة إلى أصحاب الأنمة / المؤلف.

أقول: كان هذا الكلام في المتن أدرجته في الهامش حفاظاً على وحدة الموضوع / المترجم.

قال فيه عن هشام: هذا الرجل مَمَّنْ اتَّفَقَ الأصحاب على وثاقته وجلالته وعظم قدره ورفعة منزلته عند الأئمة الأطهار سلام الله عليهم^(١).

ثم يذكر إشارات الأعلام في حق هشام كالأئمة المجلسي والكراجكي والمرتضى والشيخ المفيد، وقد أورد ١٨ رواية عن رجال الكشي عن الأئمة^(٢) كلها في وثاقة هشام والإشادة به ودعاء بعض الأئمة له.

وأيضاً ذكر مقابل هذه الأخبار، خبر واحد في ذم هشام إلا أن العلامة - المامقاني - يردّ هذا الذمّ بأسلوب علمي قائم على الأدلة والبراهين المقنعة، ثم يقول: وبالجملّة لا ريب في كونه - هشام - من شيعتهم^(٣) والمتدينين بقولهم والمؤتمرين بأمرهم وأنه في أكثر الأوقات يصل إلى خدمتهم ويواجههم للأخذ عنهم وأنه أخذ ما أخذ ممّا لا يخفى فكيف ما منعه ومن عندهم ما طردوه بل في خواصهم نظموه ومن أجلة أصحابهم اتّخذوه، بل لا يخفى على المستتبع المتأمل أنه لا يكاد يتحقّق نظيره في الجلالة والاختصاص بهم فما ورد في ذمّه، شبهة في مقابل العلم القابلة لتوجيه ظاهر^(٤).

وبعد أن ينتهي من ردّ هذا الذمّ وتوجيهه بأسلوب منطقي معقول يقول: فتخلّص من ذلك كلّ براءة ساحة الرجل عمّا يشينها وأنه بلغ في الجلالة حدّاً لا يؤثّر فيه تهمة التاهمين ولا يزرّي به عناد المعاندين ولا انتقاد الحاسدين والحمد لله ربّ العالمين^(٥).

وهذا الذي نقلته لكم من أقوال العلماء نزر يسير جداً من باب «ما لا يدرك كلّ لا يترك كلّ» في وثاقة هشام وكونه من أعلام الشيعة ولا يعتنى بما قاله

(١) تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٩٤، ط حجري.

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٨.

(٣) المصدر السابق ص ٣٠٠.

البغدادى والشهرستاني وابن حزم وأمثالهم من أهل السنة الذين اتسموا بالعناد والتعصب.

وكل من يطالع أخبار هشام ومناظراته مع أهل السنة يدرك جيداً أنه من مصاديق قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾^(١) لأنه كان يجاهدكم بسيف المنطق وحرية الدليل والإقناع مما لا يجدون بداً من قبوله، ولذا لما عجزوا عن التغلب عليه ذهبوا إلى طرق ملتوية في تلطيخ الرجل بالافتراءات والأكاذيب كما قال الإمام الرضا عليه السلام: رحمه الله كان - هشام - عبداً ناصحاً أودى من قبل أصحابه حسداً منهم له^(٢).

وأرى من المناسب أن أذكر لكم نموذجاً من مناظراته واسلوبه وقدرته العلمية.

مناظرة هشام بن الحكم مع عبدالله بن زيد الخارجي

يُنقل أنَّ هارون العباسي أحب أن يسمع مناظرة هشام فأمر وزيره يحيى البرمكي أن يعقد مجلساً لهذا الغرض، فدعى يحيى زعماء الخوارج مثل عبدالله بن زيد الخارجي وكان من أصدق الناس لهشام بن الحكم وكان يشاركه في التجارة، فلما دخل هشام سلم على عبدالله بن زيد من بينهم، فقال يحيى بن خالد لعبدالله: يا عبدالله كلم هشاماً فيما اختلفتم فيه من الإمامة فقال هشام: أيها الوزير ليس لهم علينا جواب ولا مسألة، فقال عبدالله بن زيد: وكيف ذلك؟ فقال هشام: لأنكم قوم قد اجتمعتم معنا على ولاية رجل وتعديله والإقرار بإمامته

(١) الفرقان: ٥٢.

(٢) رجال الكشي ج ٣ ص ٥٤٧ رقم ٤٨٦ ط مؤسسة آل البيت، قم.

وفضله، ثم فارقتمونا في عداوته والبراءة منه، فنحن على إجماعنا وشهادتكم لنا، وخلافكم علينا غير قادح في مذهبنا، ودعواكم غير مقبولة علينا، الاختلاف لا يقابل الاتفاق، وشهادة الخصم لخصمه مقبولة وشهادته عليه مردودة.

قال يحيى بن خالد: لقد قرّبت قطعه يا أبا محمد، ولكن جاره شيئاً فإن أمير المؤمنين - هارون - يحب ذلك، قال: فقال هشام: أنا أفعل ذلك غير أن الكلام ربّما انتهى إلى حدّ يغمض ويدقّ على الأفهام، فيعاند أحد الخصمين أو يشبهه عليه فإن أحبّ الإنصاف فليجعل بيني وبينه واسطة عدلاً إن خرجت عن الطريق ردني إليه وإن جار في حكمه شهد عليه، فقال عبدالله بن زيد: لقد دعا أبو محمد إلى الإنصاف، فقال هشام: فمن يكون هذه الواسطة؟ وما يكون مذهبه؟ أيكون من أصحابي أو من أصحابك أو مخالفاً للملة لنا جميعاً؟ قال عبدالله: اختر من شئت فقد رضيت به، قال هشام: أما أنا فأرى أنه إن كان من أصحابي لم يؤمن عليه العصبية لي، وإن كان من أصحابك لم آمنه في الحكم عليّ، وإن كان مخالفاً لنا جميعاً لم يكن مأموناً عليّ ولا عليك، ولكن يكون رجلاً من أصحابي ورجلاً من أصحابك فينظران فيما بيننا ويحكمان علينا بموجب الحق ومحض الحكم بالعدل، فقال عبدالله: فقد أنصفت يا أبا محمد وكنت أنتظر هذا منك.

فأقبل هشام على يحيى بن خالد فقال له: قد قطعتة أيها الوزير ودمرت على مذهبها كلها بأهون سعي، ولم يبق معه شيء، واستغثت عن مناظراته، قال: فحرك الستر الرشيد، وأصغى يحيى فقال: هذا متكلّم الشيعة واقف الرجل موافقة لم يتضمّن مناظرة، ثم ادّعى عليه أنه قد قطعه وأفسد مذهبه، فمره أن يبيّن عن صحّة ما ادّعاء على الرجل، فقال يحيى بن خالد، قال: فقال هشام عليه السلام: إن هؤلاء القوم لم يزلوا معنا على ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام حتى كان من أمر الحكمين ما كان، فأكفروا بالتحكيم وضلّوهم بذلك وهم الذين

اضطروه إليه والآن فقد حَكَمَ هذا الشيخ وهو عماد أصحابه مختاراً غير مضطراً رجلين مختلفين في مذهبهما: أحدهما يكفره، والآخر يعدّله، فإن كان مصيباً في ذلك فأمر المؤمنين أولى بالصواب، وإن كان مخطئاً كافراً فقد أراحنا من نفسه بشهادته بالكفر عليها والنظر في كفره وإيمانه أولى من النظر في إكفاره علياً عليه السلام قال: فاستحسن ذلك الرشيد وأمر بصلته وجانزته^(١).

مناظرته مع عمرو بن عبيد

ومن جملة مناظراته المهمة ما جرى بينه وبين فقيه وعالم المعتزلة في البصرة. قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد، وجلوسه في مسجد البصرة وعظم ذلك عليّ فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة وأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة وإذا بعمر بن عبيد عليه شملة سوداء مؤتزر بها من صوف وشملة مرتد بها، والناس يسألونه فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت: أيها العالم أنا رجل غريب، أتاذن لي فأسألك عن مسألة؟
قال: اسأل.

قلت له: ألك عين؟

قال: يا بني أي شيء هذا من السؤال، إذا كيف تسأل عنه؟

فقلت: هذه مسألتني.

قال: يا بني، سل وإن كانت مسألتك حمقى.

قلت: أجبني فيها.

قال: سل.

قلت: ألك عين؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع بها؟

قال: أرى بها الألوان والأشخاص.

قلت: ألك أنف؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أشمّ به الرائحة.

قلت: ألك لسان؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أتكلّم به.

قلت: ألك أذن؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع بها؟

قال: أسمع بها الأصوات.

قلت: ألك يدان؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع بهما؟

قال: أبطش بهما وأعرف بهما اللّين من الخشن.

قلت: ألك رجلان؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع بهما؟

قال: أنتقل بهما من مكان إلى مكان.

قلت: ألك فم؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أعرف به المطاعم والمشارب على اختلافها.

قلت: ألك قلب؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أُمَيِّزُ به كُلِّمَا ورد على هذه الجوارح.

قلت: أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟

قال: لا.

قلت: وكيف ذاك وهي صحيحة سليمة؟

قال: يَأْتِي إِنْ الجوارح إِذَا شَكَّتْ فِي شَيْءٍ شَمَّتَهُ أَوْ رَأَتْهُ أَوْ ذَاقَتْهُ رَدَّتَهُ إِلَى

القلب فَتَتَقَنَّنَ بِهَا الْبَقِيْنَ وَأَبْطَلَ الشَّكَّ.

قلت: فَإِنَّمَا أَقَامَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الْقَلْبَ لَشَكِّ الْجَوَارِحِ؟

قال: نعم.

قلت: لَا لِأَبَدٍ مِنَ الْقَلْبِ وَإِلَّا لَمْ تَسْتَقِنِ الْجَوَارِحُ؟

قال: نعم.

قلت: يَا أَبَا مَرْوَانَ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَتْرِكْ جَوَارِحَكُمْ حَتَّى جَعَلَ لَهَا

إِمَامًا، يَصْحُحُ لَهَا الصَّحِيحُ وَيَنْفِي مَا شَكَّتْ فِيهِ وَيَتْرِكُ هَذَا الْخَلْقَ كُلَّهُ فِي

حَيْرَتِهِمْ وَشَكِّهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ لَا يَقِيمُ لَهُمْ إِمَامًا يَرُدُّونَ إِلَيْهِ شَكَّهُمْ وَحَيْرَتَهُمْ وَيَقِيمُ

لَكَ إِمَامًا لَجَوَارِحِكَ تَرُدُّ إِلَيْهِ حَيْرَتَكَ وَشَكَّكَ؟

قال: فسكت، ولم يقل لي شيئاً، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: أَنْتَ هَسَامُ؟ قلت: لا.

قال: أجالسته؟

قلت: لا.

قال: فمن أين؟

قلت: من أهل الكوفة.

قال: فأنت إذاً هو، ثم ضمّني إليه، وأقعدني في مجلسه وما نطق حتّى قمت، فلما سمع الإمام الصادق عليه السلام ذلك ضحك ثم قال: يا هشام من علّمك هذا؟ قلت: يابن رسول الله جرى على لساني. قال: يا هشام هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى^(١).

حواره مع يحيى البرمكي أمام هارون

وذكر القاضي السيّد نور الله الشهيد في مجالس المؤمنين نقلاً عن منتقاة السيّد علم الهدى عليه السلام أنّه سأل يحيى البرمكي من هشام بحضور هارون الرشيد: أيّمكن أن يكون الحقّ في جهتين مختلفتين؟ فقال: لا يمكن ذلك، فقال يحيى: فإذا اختلف اثنان أيّمكن أن يكون كلاهما على حقّ أم كلاهما على باطل أم أحدهما محقّ والآخر على باطل؟

فقال هشام: هذا يُعلم من كلامك السابق، إذ لا يمكن أن يكونا على حقّ معاً، فقال يحيى: إذن فاخبرنا عن مخاصمة علي عليه السلام والعبّاس في ميراث رسول الله عندما ذهباً إلى أبي بكر كي يحكم بينهما؟

فقال هشام: قلت في نفسي: إن قلت: الحقّ مع عليّ كنت قد أغضبت هارون الرشيد، وإن قلت: الحقّ مع العبّاس كنت قد حكمتُ على نفسي

(١) الاحتجاج ج ٢ ص ١٢٦، ط النجف ١٩٦٦م، ورجال الكشي ٣: ٥٤٩ رقم ٤٩٠، ط مؤسسة آل البيت قم.

ودينني، فبقيت في حيرتي وتذكرت قول الصادق عليه السلام: لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك، عندها خطر في ذهني هذا الجواب، فقلت له: كلاهما كانا على الحق ولم يكن أحدهما مبطلاً، ولم يختلفا، ونظير هذه القضية ما حصل مع النبي داود عليه السلام والملكين الذين حضرا عنده ليحكم بينهما كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۖ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ۖ﴾^(١) فأنأ أسألك أي الملكين الذين جاءا للمخاصمة والمحاكمة عند داود عليه السلام أيهما كان محقاً وأيها مبطلاً؟

قال يحيى: لم يكن أي أحد منهما على باطل بل كلاهما محققان وإنما جاءا عنده عليه السلام لتنبية داود عليه السلام في مورد الحكم كي لا يتسرع.

فقال هشام: وكذا جاء علي عليه السلام والعباس عند أبي بكر لم يكن عن مخاصمة حقيقة حول الإرث وإنما حضرا لتنبية الخليفة عندما تسرع في غضب الخلافة ومنع إرث رسول الله صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، فاصطنعا المخاصمة ولم تكن حقيقة لإبلاغ الخليفة هذه الرسالة، فسكت يحيى لما سمع هذا الجواب، واستحسن هارون هذا الجواب^(٢).

مناظرته مع سليمان بن جرير حول الإمامة

ذكر أبو عمرو الكشي قال: أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد الخالدي قال: أخبرني محمد بن همام البغدادي أبو علي... قال: كان يحيى بن خالد البرمكي قد وجد على هشام بن الحكم شيئاً من طعنه على الفلاسفة وأحب أن

(١) سورة ص: ٢٢.

(٢) مجالس المؤمنين ج ١ في ترجمة هشام بن الحكم، فارسي.

يُغري به هارون ويضربه على القتل، قال: وكان هارون لما بلغه عن هشام مأل إليه وذلك أن هشاماً تكلم يوماً بكلام عند يحيى بن خالد في إرث النبي ﷺ فنقل إلى هارون فأعجبه وقد كان قبل ذلك يحيى يشرف أمره عند هارون ويرده عن أشياء كان يعزم عليها من إيذائه فكان ميل هارون إلى هشام أحد الأسباب التي غيرت يحيى على هشام فسبه عنده وقال له: إني قد استنبطت أمر هشام فإذا هو يزعم أن الله في أرضه إماماً غيرك مفروض الطاعة، قال سبحان الله؟ قال: نعم، ويزعم أنه لو أمره بالخروج لخرج وإنما كنا نرى أنه ممن يرى الالباد بالأرض، فقال هارون ليحيى: فاجمع عندك المتكلمين وأكون أنا من وراء الستر بيني وبينهم لا يفظنون بي ولا يمتنع كل واحد منهم أن يأتي بأصله لهييتي. قال: فوجه يحيى فأشحن المجلس من المتكلمين وكان منهم ضرار بن عمرو وسليمان بن جرير وعبدالله بن زيد الاباضي وموبذان موبذ ورأس الجالوت، قال: فسألوا وتكافوا وتناظروا وتناهاوا إلى شاذ من مقال الكلام كل يقول لصاحبه لم تجب ويقول قد أجبت، وكان ذلك من يحيى حيلة على هشام، إذ لم يعلم بذلك المجلس واغتم ذلك لعلّه كان أصابها هشام بن الحكم، فلما أن تناهاوا إلى هذا الموضع قال لهم يحيى: ترضون فيما بينكم هشاماً حكماً؟ قالوا: قد رضينا أيها الوزير، وأنت لنا به وهو عليل، قال يحيى: فأنأوجه إليه فأسأله أن يتجشم المجيء، فوجه إليه فأخبره بحضورهم، فدخل هشام المجلس فمضى نحو يحيى فسلم عليه وسلم على القوم وجلس قريباً منه.

فقال يحيى: إن القوم حضروا وكنا مع حضورهم نحب أن نحضر، لالتناظر بل لأن نأنس بحضورك إذ كانت العلة تقطعك عن المناظرة.. وهؤلاء القوم قد تراضوا بك حكماً بينهم، فقال هشام للقوم: ما الموضع الذي تناهت به المناظرة إليه؟ فأخبره كل فريق بموضع مقطعه فكان من ذلك أن حكم لبعض على بعض فكان من المحكومين عليه سليمان بن جرير فحقدها على هشام.

قال: ثم إن يحيى بن خالد قال لهشام: إن غرضنا المناظرة منذ اليوم ولكن إن رأيت أن تبين عن فساد اختيار الناس لإمام وأن الإمامة في آل الرسول ﷺ دون غيرهم؟ فلما فرغ مما قد ابتدأ فيه من الكلام في إفساد اختيار الناس للإمام. قال يحيى لسليمان بن جرير: سأل أبا محمد عن شيء من هذا الباب، فقال سليمان: أخبرني عن علي بن أبي طالب مفروض الطاعة؟ قال: نعم، قال: فإن أمرك الذي بعده بالخروج بالسيف معه تفعل وتطيعه؟ قال: لا يأمرني، قال: ولم؟ إذا كانت طاعته مفروضة عليك؟ قال: عن هذا فقد تبين فيه الجواب، قال سليمان: فلم يأمرك في حال تطيعه وفي حال لا تطيعه؟ قال هشام: ويحك لم أقل لك إنني لا أطيعه فتقول إن طاعته مفروضة، إنما قلت لك لا يأمرني.

قال سليمان: ليس أسألك إلا على سبيل سلطان الجدل ليس على الواجب أنه لا يأمرك، فقال هشام: كم تحول حول الحمى هل هو إلا أن أقول لك إن أمرني فعلت فينقطع أقبح الانقطاع ولا يكون عندك زيادة، وأنا أعلم ما تحت قلبي وما إليه يؤول جوابي. قال: فتمعر هارون، وقال هارون: قد أفصح وقام الناس واغتنمها هشام فخرج على وجهه إلى المدائن، قال: فبلغنا أن هارون قال ليحيى شديدا بهذا وأصحابه وبعث إلى أبي الحسن ﷺ فحبسه^(١) بعدها هرب هشام واختبئ في منزل بشير النبال (وهو من أصحاب الصادق ﷺ) وقال المرحوم عباس القمي: ونزل على بشير وكان من أصحاب الصادق فأخبر الخبر ثم اعتل علة شديدة فقال له بشير: آتيك بطبيب؟ قال: لا أنا ميت، فلما حضره الموت قال لبشير: إذا فرغت من جهازي فاحملني في جوف الليل وضعني بالكناسة واكتب رقعة وقل هذا هشام بن الحكم الذي طلبه الأمير فمات حتف أنفه، وكان هارون قد بعث إلى إخوانه وأصحابه فأخذ الخلق به، فلما أصبح أهل الكوفة

(١) رجال الكشي ج ٣ ص ٥٣٠ رقم ٤٧٧ ط مؤسسة آل البيت، قم.

وأوه وحضر القاضي وصاحب المعونة والعامل والمعدلون بالكوفة وكتب إلى الرشيد بذلك فقال: الحمد لله الذي كفانا أمره فخلّني عمن كان أخذ به^(١).
وفعلًا فقد فعل بشير كل ذلك، فلمّا حضر الناس وشاهدوا جنازته أخبروا الوالي إلى أن وصل النبا إلى هارون فقال: لقد أراحنا الله منه.
وكان هدف هشام من ذلك هو أن يتأكّد هارون الرشيد من موته فيطلق سراح أقربائه الذين سجنهم بسببه، واعتقد بعض أن هذا الأمر حصل بعد نكبة البرامكة.

خلاصة الكلام في هشام

نستطيع أن نلخص ما تقدّم حول هشام بن الحكم فنقول:

- ١ - كان هشام في أوائل شبابه من الجهمية.
- ٢ - وبعد لقائه مع الإمام الصادق عليه السلام تنوّر بالحقّ فالتزم المذهب الشيعي.
- ٣ - وبمرور الزمان تحوّل إلى عالم كبير وراوي ثقة وصحابي جليل للإمام الصادق والكاظم عليه السلام.
- ٤ - وكلّ ما نسب إليه من اتهامات وافتراءات من غلوّ وكفر و... كلّها باطل لا أساس له، جاء على أثر الحسد والحقد.
- ٥ - وقد ترخّم عليه بعض الأنمة عليه السلام وهذا دليل آخر على علوّ منزلته وجلالة قدره وبراهته.

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ٧٢٠، وروي أنّ الطبيب إذا دخل عليه وأمره بشيء سأله فقال: يا هذا هل وقفت على علّتي؟ فإذا أخبره كذّبه ويقول: علّتي غير هذه، إنّما علّتي فزع القلب ممّا أصابني من الخوف، وقد كان قدّم ليضرب عنقه فنزع قلبه لذلك حتّى مات رحمه الله.

راجع البحار ج ٤٨ ص ١٩٥ ط إيران.

ورجال الكشي ج ٣ ص ٥٣٠، ط مؤسسة آل البيت قم / المترجم.

الإنصاف مطلوب

علينا أن نعرف أن الأحاديث والروايات قد مرَّ عليها أكثر من ألف عام، وبطبيعة الحال ففيها الصحيح والسقيم والقوي والضعيف، وقد اتَّفَق الفريقان على وجود آلاف من الأحاديث المجعولة التي أقحمت بين الأحاديث الصحيحة بدوافع متعدّدة، كمدح أشخاص أو ذمهم.

حالتها حال الذهب المغشوش عندما يُدَسّ بين الذهب الأصيل والحقيقي، وعليه فلا بدّ من تمييز هذه الأحاديث والعمل وفق الصحيح منها، وهذه العملية تحتاج إلى قوّة فكرية عالية، وإلى ورع وتقوى والابتعاد عن منطلقات التعصّب والحقد، إذن فقوّة التمييز لهذه الأخبار تتقوّم وتتوقّف على نقاء الباطن ومجانبة مظاهر القومية والعصبيّة مع درجة فائقة في العلم والفكر. فمثلاً يمكن الركون إلى الخبر الواحد في مقابل الأخبار الكثيرة والصحيحة بداع أو بأخر، وأيضاً يلزم لمن يريد أن يميّز هذه الأحاديث أن تتوفّر لديه ملكة علمية يستطيع من خلالها ومن خلال التجربة العملية أن يعرف الأجواء التي انطلقت فيها هذه الأحاديث ويقارن بينها، إذن هناك أصول وقواعد علمية وإيمانية ينطلق منها العالم لتمحيص وتمييز الأخبار، ومن الشقاء والبؤس أن ينطلق من روااسب جاهلية ونظرة ضيّقة فارغاً من العلم والإنصاف.

فمثلاً عندما نريد أن نعرف منزلة أحد الصحابة علينا أن نذكر الروايات الدائمة له والمادحة، وهكذا مواقفه وتاريخه السلبي والإيجابي ونقوم بعملية غربلة وتحقيق لهذه الأخبار ونخرج بنتيجة مرضية قائمة على أساس علمي. وهذا الأسلوب اتّبعه ولا يزال يتّبعه علماء الشيعة فاطبةً لأنّه ممّا يفرضه العقل والوجدان والإنصاف، كما هو الحال في هشام بن الحكم، فالعلماء ذكروا أنّه كان جهمي المذهب في بداية حياته العلمية وهي مرحلة سلبية في حياته، وبعد

أن تنور بالحق ذكروا الأخبار المادحة له وهي مرحلة إيجابية، وقاموا بمتبّع أخباره ومواقفه إلى أن خرجوا بقناعات قائمة على الأدلة العلمية أنّه من الأجلاء والثقات و... كما تقدّم.

بينما نرى البغدادي وابن حزم والشهرستاني وكلّ من كان على شاكلتهم يبعدون كلّ البعد عن هذا الأسلوب في معرفة الحقائق، فهم يكتفون بالقاء نظرة - عابرة - على بعض الأخبار التي تلقوها من آبائهم أو أسانذتهم، وبما أنّ أسلافهم ذكروا الفرقة المفضلية والهشامية و... تراهم لم يزيّدوا شيئاً غير التكرار، وهذا أسلوب العاجز والأعمى ومن ليس أهلاً للتحقيق والنظر.

إذن لا يحقّ لمن سمع أو قرأ شيئاً من أسلافه أن يقرّ بدون أن يصل إلى مستوى القطع واليقين وذلك بملاحظة الأخبار المتعارضة ودراستها على ضوء قواعد أصولية ثابتة، وإلاّ لتحوّل الإنسان إلى ببغاء يكرّر ما يسمع بلا فهم ودراية.

إشارة عن هشام بن سالم*

وما تقدّم عن اتهاماتهم لهشام بن الحكم جرى على هشام بن سالم الجواليقي مولى بشر بن مروان، وهو من المؤمنين الثقات عندنا، إلّا أنّهم اتهموه بالتجسيم وأنّه مختلّ العقيدة فاسد الفكر!!

فقد ذكر علماؤنا الأعلام كالنجاشي والكشي والحلي والطاوسي والمفيد والمرتضى وغيرهم أنّ هشام بن سالم من الثقات، بل عبّر بعضهم عنه بأنّه (ثقة ثقة) وذكروا أنّه كان من المقرّبين لدى الإمام الصادق (عليه السلام) وأنّه (عليه السلام) كان يحيل عليه أحياناً من يسأله عن التوحيد ممّا يعني أنّ هشاماً كان من الموحّدين بل المتقدّمين في إيمانهم والبارزين في علومهم الإسلامية النقيّة المستقاة من أهل

(*) هشام بن سالم كان فطحى أوّل أمره، أنظر سفينة البحار ج ٢ ص ٧٢٠ / المترجم.

البيت عليه السلام، فمثلاً من جملة ما روي في هذا المجال ما ذكره العلامة المجلسي في البحار والعلامة المامقاني في التنقيح مسنداً عن يونس بن يعقوب ^(١) عن هشام بن سالم قال: كنت مع جماعة من الأصحاب عند الإمام الصادق عليه السلام إذ دخل رجل من أهل الشام فسلم علينا ثم قال له الإمام عليه السلام: ألك حاجة؟ فقال: نعم، بلغني أنك عالم بكل ما تُسأل عنه، فجئت إليك لأناظرك، فقال عليه السلام: في ماذا؟ فقال: في القرآن وقطعه وإسكانه وخفضه ونصبه ورفع، فقال عليه السلام لحمران ابن أعين: دونك الرجل، فقال: إنما أريدك أنت لا حمران، فقال عليه السلام: إن غلبت حمران فقد غلبتني فأقبل الشامي فسأل حمران حتى ضجر وملّ وعرض وحمران يجيبه، فقال أبو عبدالله عليه السلام: كيف رأيته يا شامي؟ قال: رأيته حاذقاً ما سأله عن شيء إلا أجابني فيه، فقال أبو عبدالله: يا حمران سل الشامي فما تركه يكثر فقال الشامي: أريد أن أناظرك في العربية، فقال عليه السلام: يا أبا ن بن تغلب ناظره، فناظره فما ترك الشامي يكثر، فقال: أريد أن أناظرك في الفقه، فقال أبو عبدالله عليه السلام: يا زرارة، فناظره فما ترك الشامي يكثر، قال: أريد أن أناظرك في الكلام، قال: يا مؤمن الطاق ناظره، فسجل الكلام بينهما ثم تكلم مؤمن الطاق بكلام فغلبه فقال: أريد أن أناظرك في الاستطاعة فقال عليه السلام للطيار كلمه فيها، فكلمه، فما تركه يكثر، ثم قال: أريد أن أكلمك في التوحيد فقال عليه السلام لهشام بن سالم: كلمه، فسجل الكلام بينهما ثم خصمه هشام، فقال: أريد أن أتكلم في الإمامة، فقال عليه السلام لهشام بن الحكم: كلمه يا أبا الحكم، فكلمه، فما تركه يريم ولا يحلي ولا يمري، قال: فبقى يضحك أبو عبدالله عليه السلام حتى بدت نواجذه،

(١) يونس بن يعقوب بن قيس أبو علي الجلاب الكوفي من أكابر رواة الشيعة ومن أصحاب الإمام الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام وعده علماء الرجال من الشقاة وله روايات كثيرة / المؤلف.

فقال الشامي: كأنك أردت أن تخبرني أن في شيعتك مثل هؤلاء الرجال؟ فقال عليه السلام: هو ذاك.

فقال الشامي: اجعلني من شيعتك وعلمي؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: يا هشام علمه فأني أحب أن يكون تلميذاً لك، قال علي بن منصور وأبو مالك الحضرمي: رأينا الشامي عند هشام بعد موت أبي عبدالله عليه السلام ويأتي الشامي بهدايا أهل الشام وهشام يرده بهدايا أهل العراق وكان الشامي ذكي القلب^(١).

فهذا الخبر يكفي لوحده لرد جميع الأكاذيب والافتراءات التي سجلها البغدادى والشهرستاني وابن حزم وغيرهم على هشام بن الحكم وهشام بن سالم والمفضل وغيرهم من أكابر رجال الشيعة الأعلام.

وهذا الخبر وأمثاله يكشف الزيف الذي مارسه هؤلاء الناس ويفضح جميع المحاولات التي عملوها لتلوّث سمعة رجال أكابر لهم قصب السبق في الإيمان والعلم، لأنهم كانوا ملازمين للأئمة من أهل البيت عليه السلام، وكانت جميع حركاتهم مدروسة وهم على دراية تامة بمجريات الأحداث، فلذا لم ينزلقوا في مزالق السياسة ولم يخرجوا عن الصراط المستقيم.

وهذا هو الفرق بيننا وبين أهل السنة، فإنهم يتبعون رموزهم إلى حد الغلو في بعضهم، ومع ذلك يعترفون بعدم عصمتهم، بل ويحاولون جاهدين أن يغضوا الطرف عن جميع أعمالهم المنحرفة وحتى عبادة بعضهم للأصنام قبل الإسلام، ثم يرجعون عظمة الإسلام كله إلى مثل هؤلاء.

وعندما نتصفح التاريخ لا نجد مبررات هذا الحب ولا دوافع هذا الاتباع الأعمى، بل نجد ملفات رموز أهل السنة خالية من أي موقف بطولي يدل على

(١) تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٩٨ ورجال الكشي ج ٤ ص ٥٥٤ رقم ٤٩٤، ط مؤسسة آل

شجاعته، أو أي حدث علمي يدل على علميتهم، وكل ما قيل عنهم إنما هو نسج الرواة بدوافع الغلو والتعصب.

بينما نحن نقول - وفقاً للأدلة - إن بعض صحابة رسول الله ﷺ وبعض أصحاب الأئمة كانوا منحرفين وبعضهم كافر ومشرك ومرتكب للكبائر باستثناء أمير المؤمنين علي عليه السلام إذ باتفاق المسلمين أنه لم يعبد صنماً ولم يشرب خمرًا، وما حصل من الإيمان لبعضهم هو من بركات الإسلام، فالإسلام له المنّة عليهم وإلى عود الفضل لا أن الفضل في ازدهار الإسلام يعود إليهم.

وأيضاً نحن نقول: إن أصحاب الأئمة عليهم السلام لم يكونوا معصومين ولا ندعي أنهم كانوا على الصراط المستقيم منذ ولادتهم، بل نقول: إن الخطأ والانحراف ممكن في حقهم وقد كان بعضهم منحرفاً في بداياته ثم اهتدى بنور الأئمة عليهم السلام بعدما جرت مناظرات وحوارات في هذا الصدد كما مرّ عليكم في هشام بن الحكم أو المفصل بن عمر، إلا أنهم استقاموا إلى نهاية الخط ولم ينحرفوا بعد ذلك أبداً تبعاً واستناداً لما في أيدينا من وثائق تاريخية تثبت ذلك^(١).

فمثلاً ما حصل بعد رحيل الإمام الصادق عليه السلام، يقول هشام بن سالم: كنّا بالمدينة بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام أنا ومؤمن الطاق أبو جعفر والناس مجتمعون على أن عبد الله صاحب الأمر بعد أبيه فدخلنا عليه أنا وصاحب الطاق والناس مجتمعون عند عبد الله وذلك أنهم روي عن أبي عبد الله عليه السلام: إن الأمر في الكبير ما لم تكن به عاهة، فدخلنا نسأله عما كنّا نسأل عنه أباه عليه السلام فسألناه عن الزكاة في كم تجب؟ قال: في مائتين خمسة، قلنا: ففي مائة؟ قال: درهمان ونصف درهم، فقلنا له: والله ما نقول المرجئة هذا، فرفع يديه إلى السماء فقال: والله لا

(١) أنظر على سبيل المثال تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٩٥ - ٣٠٠ في ترجمة هشام بن الحكم إذ نجد الأخبار المادحة والأخبار الدائمة / المترجم.

أدري ما تقول المرجئة، قال: فخرجنا من عنده ضلّالاً لا ندرى إلى أين نتوجه أنا وأبو جعفر الأحول فقعدنا في بعض أزقة المدينة باكين حيارى لا ندرى إلى من نقصد وإلى من نتوجه، نقول إلى المرجئة إلى القدرية إلى الزيدية إلى المعتزلة إلى الخوارج، قال: فبينما نحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه يومئذٍ إليّ بيده فخفت أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر (المصور) وذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس ينظرون على من اتفق شيعة جعفر عليه السلام فيضربون عنقه فخفت أن يكون منهم، فقلت لأبي جعفر: تنح فإنني أخاف على نفسي وعليك وإنما يريدني ليس يريدك فتنح عني لا تهلك وتعين على نفسك، فتنحى غير بعيد وتبع الشيخ وذلك أنني ظننت أنني لا أقدر على التخلص منه فما زلت أتبعه حتى ورد بي باب أبي الحسن موسى عليه السلام ثم خلّاني ومضى فإذا خادم بالباب فقال لي: ادخل رحمك الله، فدخلت فإذا أبو الحسن عليه السلام فقال لي ابتداءً: لا إلى المرجئة ولا إلى القدرية ولا إلى الزيدية ولا إلى المعتزلة ولا إلى الخوارج، إليّ إليّ إليّ، فقلت: جعلت فداك مضى أبوك؟ قال: نعم، قلت: مضى في موت؟ قال: نعم، قلت: جعلت فداك فمن لنا بعده؟ فقال: إن شاء الله يهدك هداك، قلت: جعلت فداك أن عبد الله يزعم أنه فتن بعد أبيه فقال: يريد عبد الله أن لا يعبد الله، قلت: جعلت فداك فمن لنا بعده؟ فقال: إن شاء الله يهدك هداك، قلت: جعلت فداك أنت هو؟ قال: ما أقول ذلك، قلت في نفسي: لم أصب طريق المسألة، فقلت جعلت فداك: عليك إمام؟ قال: لا، فدخلني شيء لا يعلمه إلا الله إعظماً وهيبة أكثر ما كان يحلّ بي من أبيه إذا دخلت عليه، قلت: جعلت فداك أسألك عما كان يسأله أبوك؟ قال: سلّ تُخبر ولا تدع فإن أذعت فهو الذبح^(١).

(١) إلى هنا تجد الرواية ضمن معجزاته عليه السلام في إثبات الهداة ج ٥ ص ٤٩٨ ح ٩

فسألته فإذا هو بحر قال: قلت: جعلت فداك شيعتك وشيعة أبيك ضلال فألقي إليهم وادعهم إليك فقد أخذت علي بالكتمان؟ فقال: من أنست منهم رشداً فألق عليهم وخذ عليهم بالكتمان فإذا أذاعوا فهو الذبح وأشار بيده إلى حلقه، قال: فخرجت من عنده فلقيت أبا جعفر فقال لي: ما وراءك؟ قال: قلت: فحدثته بالقصة ثم لقيت المفضل بن عمر وأبا بصير قال: فدخلوا عليه وسلموا وسمعوا كلامه وسألوا ثم قطعوا عليه ثم لقينا الناس أفواجا وكان كل من دخل عليه قطع إلا طائفة عمار وأصحابه فبقي عبدالله لا يدخل عليه أحد إلا قليلاً من الناس، فلما رأى ذلك وسأل عن حال الناس قيل له: إن هشام بن سالم صد الناس عنه، قال هشام: فأقعد - عبدالله - لي في المدينة غير واحد ليضربوني^(١).

→ وص ٥٢٣ ح ٤٤ / المترجم.

(١) تنقيح المقال ج ٣ ص ٣٠١.

أقول: أوصى الإمام الصادق عليه السلام في مرض موته إلى المنصور العباسي وعبدالله ابنه الكبير ومحمد ابن سليمان والي المدينة وابنه موسى الكاظم عليه السلام وحميده زوجته، وسبب هذه الوصية أن الإمام أراد أن يفوز الفرصة على المنصور العباسي الذي عزم على قتل وصي الإمام الصادق عليه السلام بعد أن عرف أن وصيه هو إمام الشيعة فصنم على تصفيته بمجرد معرفته، وقد ذكر ذلك بعض المؤرخين والعلماء الأعلام كالشيخ الكليني والطوسي وابن شهر آشوب أن المنصور أوعز إلى واليه في المدينة أن ينظر إلى من يوصي الصادق فيضرب عنقه، ولما خرجت الوصية بهذا الشكل فشلت الخطة وضاعت الفرصة على المنصور الدوانيقي.

إلا أن الإنسان العاقل والواعي يعرف من هذه الوصية الإمام الذي يلي الصادق عليه السلام كأبي حمزة الثمالي لما سمع بأمر الوصية قال: الحمد لله الذي هدانا إلى الهدى وبين لنا عن الكبير ودل على الصغير وأخفى عن أمر عظيم، فستل عن سر قوله ومعناه: فقال: بين عيوب الكبير (وهو عبدالله الكبير) ودل على الصغير (الكاظم) لإضافته

وبالجملة يظهر لكم الحقّ في هذين الرجلين هشام بن الحكم وهشام بن سالم وأنهما من المؤمنين المخلصين في ولائهما ومتابعتهما للأنعمة الهداة من ولد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وكلّ ما قاله عنه أهل السنّة محض الافتراء والبهتان.

«النعمانية»: وهذه الفرقة لا وجود لها في الواقع كما مرّ الكلام حول الهشامية والمفضلية، وقلت لكم: إنّ أهل السنّة لمّا يأسوا من الطعن على الأنعمة الهداة حاولوا الطعن في أصحابهم واختلاف الأكاذيب ونسبتها إليهم كما بيّنا ذلك فيما تقدّم.

ومن جملة الذين طعن فيهم علماء السنّة هو أبو جعفر محمّد بن عليّ بن النعمان الأحول المعروف بـ (مؤمن الطاق) فكما اختلقوا فرقة باسم الهشامية ونسبوا إلى هشام كذلك اختلقوا فرقة المفضلية ونسبوا إلى المفضل في محاولة للحطّ من شأنهما وكذلك اختلقوا فرقة النعمانية (التي لا واقع ولا أساس لها) ونسبوا إلى مؤمن الطاق للحطّ من منزلته وتلوّث سمعته.

مَنْ هُوَ مُؤْمِنُ الطَّاقِ؟

هو محمّد بن عليّ بن النعمان الأحول المعروف بـ (مؤمن الطاق) وهو من أكابر الشيعة وثقه كلّ من الشيخ الطوسي والكشي والنجاشي والمفيد والمرتضى وابن داود وابن طاووس والعلامة الحليّ وابن النديم والوحيد البهبهاني والمامقاني .. وغيرهم، كان ثقة متكلماً حاذقاً حاضر الجواب، له كتب منها:

→ إتياء وكنم الوصية للمنصور لأنّه لو سأل المنصور عن الوصي لقبل: أنت / المؤلف.

أقول: راجع مناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٤٣٤ للاطلاع على وصيّة الإمام الصادق عليه السلام / المترجم.

كتاب الإمامة والمعرفة والردّ على المعتزلة في إمامة المفضول على الفاضل، وكتاب الجمل في أمر طلحة والزبير وعائشة، وكتاب إثبات الوصية وكتاب افعّل ولا تفعل^(١)، وكتاب كلامه على الخوارج وكتاب مجالسة مع أبي حنيفة والمرجئة وقد عُرف عند الشيعة بمؤمن الطاق ويلقبه المخالفون بشيطان الطاق وهو من أصحاب أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام والكاظم عليه السلام، وسبب لقبه هذا أنّه كان له دكانٌ نقد تحت طاق المحامل في الكوفة.

والعجيب من أهل السنة أنّهم أطلقوا اسم الشيطان على هذا الرجل المؤمن^(٢)، وأعجب منهم العلماء المعاصرون من أهل السنة إذ بعد مرور مئات السنين لا يزالون يسمّونه شيطان الطاق جرياً على عادة أسلافهم وتقليداً أعمى بلا تحقيق ومطالعة، ويمكن أن يكون سبب إطلاقهم عليه هذا الاسم يرجع إلى أحد الأسباب التالية:

١ - لأنّه كان خبيراً بالنقد فيعرف الدراهم والدنانير المغشوشة من غيرها بمجرد أن يراها أو يلمسها، فكان الناس يرجعون إليه في ذلك، ولخبرته الفائقة في هذا المجال أطلقوا عليه شيطان الطاق^(٣).

(١) تنقيح المقال ج ٣ ص ١٦٠.

(٢) أقول: قال الشهرستاني: النعمانية أصحاب محمد بن النعمان أبو جعفر الأحول

الملقب بشيطان الطاق وهم الشيطانية أيضاً. الملل والنحل ج ١ ص ١٨٦/المرّجم.

(٣) ذكره ابن النديم في الفهرست والنجاشي، أنظر تنقيح المقال ج ٣ ص ١٦١. وجاء

في البحار نقلاً عن الاختصاص ورجال الكشي: أبو جعفر الأحول محمد بن

النعمان، مؤمن الطاق، مولى لبجيلة وكان صيرفياً ولقبه الناس شيطان الطاق، وذلك

أنّهم إذا شكوا في درهم فعرضوه عليه فقال لهم: ستوق (أي مزيف ومغشوش)

فقالوا: ما هو إلا شيطان الطاق وأصحابنا يلقبونه مؤمن الطاق.. البحار ج ٤٧

ص ٣٩٤ ح ١١٧/المرّجم.

٢- أو لأنه كان حاضراً الجواب سريع البديهة، فكان يرد الخصوم ويدفع شبهاتهم حول الإمامة وينكفأون مغلوبين خاسرين من عنده، فكان الحق والحسد يغلي في صدورهم فيقلبون لقبه من مؤمن إلى شيطان، وله في هذا المجال مناظرات وحوارات كثيرة جداً مع أبي حنيفة وغيره.

سؤال أحد الحاضرين: هل بإمكانكم أن تذكروا لنا بعض هذه المناظرات؟

الجواب: نعم، سأنقل لكم نموذجاً من مناظراته مع أبي حنيفة، فقد ذكر شيخ الطائفة الطوسي في الفهرست وابن النديم في تكملة الفهرست والقاضي سيّد نور الله المرعشي في مجالس المؤمنين والعلامة المامقاني في التنقيح والكشي في المختار وصفحة ١٠٨ ج ٥ من لسان الميزان و...

ذكروا أنّ أبا حنيفة سأل أبا جعفر: أتقول بالرجعة؟ فقال له: نعم، فقال أبو حنيفة: أقرضني من كيسك هذا خمسمائة دينار فإذا عدت أنا وأنت رددتها إليك، فقال أبو جعفر في الحال: أريد ضميماً يضمن لي أنّك تعود إنساناً فأبني أخاف أن تعود قرداً فلا أتمكن من استرجاع ما أخذت مني^(١).

وذكر في فهرست الشيخ ص ١٣١ وفي التكملة لابن النديم ص ٨ ومجالس المؤمنين وج ٥ ص ٣٠٠ من لسان الميزان أنّ أبا حنيفة بعد رحيل الإمام الصادق عليه السلام التقى بأبي جعفر مؤمن الطاق فقال له من باب الشماتة: مات إمامك، فأجابه في الحال: نعم، ولكن إمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم^(٢).

(١) تنقيح المقال ج ٣ ص ١٦١.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ

وذكر القاضي الشهيد في مجالس المؤمنين أنَّ أبا حنيفة كان جالساً بين أصحابه يوماً فأقبل نحوهم مؤمن الطاق، فقال أبو حنيفة: قد جاءكم الشيطان فقرأ أبو جعفر ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزْأُهَا﴾^(١).

وذكر العلامة المامقاني في التنقيح: ومن جملة قضاياها مع أبي حنيفة ما رواه في باب المتعة من الكافي قال: سأل أبو حنيفة أبا جعفر محمد بن النعمان صاحب الطاق، فقال: ما تقول في المتعة أتزعم أنَّها حلال؟ قال: نعم، قال: فما يمنعك أن تأمر نساءك أن يستمتعن ويكتسبن عليك؟ فقال له أبو جعفر: ليس كلِّ الصناعات يُرغب فيها وإن كانت حلالاً وللناس مراتب يرفعون أقدارهم، ولكن ما تقول يا أبا حنيفة في النبيذ أتزعم أنَّه حلال؟ قال: نعم، قال: فما يمنعك أن تقعد نساءك في الحوانيت نباذات فيكتسبن عليك؟ فقال أبو حنيفة: واحدة بواحدة وسهمك أنفذ^(٢).

→ الْمُتَنَظِّرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، وتجده في اختيار معرفة الرجال ج ٣ ص ٤٢٦ ط مؤسسة آل البيت قم.

وقد ذكر أبو الفرج الاصفهاني في أغانيه هذه القصة بين السيد الحميري وأبي حنيفة حيث قال: وكان السيد يدين بالرجعة فجاء رجل إليه فقال: بلغني أنَّك تقول بالرجعة؟ - علماً أنَّه لا أحد يقول بها إلا الشيعة - فقال: صدق الذي أخبرك وهذا ديني.

قال: فتعطيني ديناراً بمائة دينار إلى الرجعة؟ قال السيد: نعم، وأكثر من ذلك إن وثقت لي بأنك ترجع إنساناً، قال: وأي شيء أرجع؟ قال: أخشى أن ترجع كلباً أو خنزيراً فيذهب مالي، فأفحمه.

أنظر تجريد الأغاني ج ٢ ص ٨٧٦ / المترجم.

(١) مریم: ٨٣.

(٢) تنقيح المقال ج ٣ ص ١٦١.

ونظير هذه الحوارات ما ذكره الشيخ البهائي عليه السلام في الكشكول والمماقاني في التنقيح أن أبا حنيفة قال لمؤمن الطاق في محضر المهدي العباسي: بلغني عنكم معشر الشيعة شيء، فقال: وما هو؟ قال: بلغني أن الميت منكم إذا مات كسرت يده اليسرى لكي يعطى كتابه بيمينه، فقال: مكذوب علينا يا نعمان، ولكن بلغني عنكم معشر المرجئة أن الميت منكم إذا مات قمعتم في دبره قمعاً فصببتم فيه جرّة من ماء لكي لا يعطش يوم القيامة، فقال أبو حنيفة علينا وعسليكم، وضحك الخليفة العباسي ووهب لمؤمن الطاق عشرة آلاف درهم^(١).

(١) تنقيح المقال ج ٣ ص ١٦٢ وكشكول البهائي، وتجده في اختيار معرفة الرجال ج ٣ ص ٤٣٣ ط مؤسسة آل البيت، قم / المترجم.

(*) إن سرعة البديهة التي تحلّى بها مؤمن الطاق والكثير من علماءنا إنما هي عناية إلهية لا يحصل عليها المرء بالتجربة، وممن عُرف بذلك الشيخ كاظم الأزرى المتوفى في جمادى الأولى عام ١٢١١هـ والمدفون ببغداد في الكاظمية جنب المقبرة المنسوبة للسيد المرتضى وهو من الأدباء والشعراء المشهورين في مدحهم وورثاتهم لأهل البيت عليهم السلام فله قصيدة أكثر من ألف بيت في مدح أهل البيت عليهم السلام، ومن قصص بدهاته وسرعة جوابه ما روي أنه التقى الشاعر الناصبي ابن الراوي فقال ابن الراوي للشيخ الأزرى: سمعت أنك رافضي؟ فقال: سمعت أنك مصاب بمرض الأبنة فإن صدق الراوي فيما قال عني وعنك، فقله حقّ فينا، وإن كذب الراوي فيما قال عنا فلعنة الله على الراوي (وهو يقصد والده لأنّه كان معروف بابن الراوي) فلما سمع ابن الراوي ذلك عرف مراد الشيخ فسكت وهو خجل.

وذاث مرّة دخل الشيخ الأزرى إلى مجلس والي بغداد في زمانه، وكان ممّن حضر المجلس الشاعر الناصبي ابن الراوي، وكان الشيخ في لباس فاخرة وطلعة بهيّة،

٣- وقد يكون سبب إطلاقهم «الشیطان» على مؤمن الطاق، هو حبه وتمسكه واعتقاده بأهل البيت عليهم السلام وهذا هو السبب الرئيسي لذلك، لأننا قلنا إنهم لا يجرون على القدر أو الانتقاص من أئمة أهل البيت أنفسهم ولذا يعمدون إلى تشويه سمعة أتباعهم والصاق التهم بهم ونسبة بعض الألقاب والقبائح إليهم، وهي محاولة للانتقاص من أهل البيت بصورة غير مباشرة، ولكن جميع هذه المحاولات الفاضحة لم تنجح ولم تعمل فعلها أبداً، ولم تؤثر على شخصية مؤمن الطاق بل كانت تزيد حباً وتمسكاً بالأئمة حتى قال عنه

→ فلما رآه ابن الراوي قال: فلو، فأجابه الشيخ فوراً: لو، فتغير وجه ابن الراوي لما سمع ذلك من الشيخ.

فتعجب الوالي من هذه الألفاظ وطلب منهما البيان، فقال الشيخ الأزري لما رأيته ابن الراوي في ملابسي الفاخرة قال: فلو، إشارة إلى قول الشاعر:

فلو ليس الحمار ثياب خرّ فما اسم الحمار إلا حمار

فأجبت أنا ب: لو، إشارة إلى قول الشاعر:

لو كل كلب عوى أقمته حجراً لصار قيمة قيراط بغير طار

هذا وقد عرف الأزري بحبه لأهل البيت عليهم السلام، وأكبر دليل هو إنشاده الأشعار في مدحهم وذم ظالمهم وغاصبي حقوقهم.

ومن أشعاره قصيدته الهائية، فقد سأل أحد أهل السنة من أحد الشيعة: أتعرف أنّ لعائشة فضائل كثيرة؟ فقال الرجل: بلى إنها حفظت أربعين ألف حديث، فقال الرجل السني: وكيف عرفت ذلك؟ قال لقول الأزري:

حفظت أربعين ألف حديث ومن الذكر آية نسيها

فلما سمع السني ذلك قال: قبح الله وجه الأزري.

وكان مراده من الآية قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ فإنها نستها وخرجت من مكة إلى المدينة ثم إلى البصرة لحرب أمير المؤمنين عليه السلام / المؤلف.

الإمام الصادق عليه السلام: أربعة أحب الناس إليّ أحياء وأمواتاً، بريد بن معاوية العجلي ووزارة بن أعين ومحمد بن مسلم وأبو جعفر الأحول، أحب الناس إليّ أحياء وأمواتاً^(١).

وهل يتصور أحد أن الإمام الصادق عليه السلام يحب رجلاً فاسد العقيدة؟! بالطبع كلا، لأن آل محمد عليه السلام لم يكونوا ينظرون إلى ظاهر الرجال بل كانوا يحبون الرجال في الله ويبغضون في الله وذلك بالتوسم. إذن فمن جميع ما تقدّم يظهر زيف محاولات علماء أهل السنة في تشويه سمعة مؤمن الطاق وهشام والمفضل ويونس... وكل ما قيل فيهم كذب وافتراء بدوافع الهوى والعصية.

«اليونسية»: وزعم الشهرستاني وابن حزم وعبد القاهر البغدادي أن فرقة اليونسية واحدة من فرق الشيعة، وهم أتباع الراوي العظيم يونس بن عبد الرحمن الذي زعم - في زعمهم - أن الملائكة تحمل العرش والعرش يحمل الرب تعالى، إذ قد ورد في الخبر أن الملائكة تنط أحياناً من وطأة عظمة الله تعالى على العرش، وهو من مشبهة الشيعة...^(٢).

والحقيقة أن هذا مجرد كلام نسجه هؤلاء ونسبوه إلى يونس ظلماً وعدواناً ومحاولة - لا تختلف عن سابقتها - للخط من شأنه باعتباره من أصحاب الأئمة عليه السلام وأحد كبار علماء ورواة الحديث عند الشيعة، وكل ما قلنا من الأسباب والدوافع التي دفعت علماء السنة لمثل هذه الافتراءات سابقاً يأتي هنا أيضاً فلا نكرر، ولكن علينا أن نبين شخصية هذا الرجل.

(١) تنقيح المقال ج ٣ ص ١٦١.

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٨٨ ط دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٥.

مَنْ هُوَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَمِّي؟

لقد ذكر علماؤنا الأعلام كالنجاشي والكشي والطوسي وابن النديم وابن داود والمفيد والمرتضى والصدوق والعلامة وابن طاووس والقاضي سيد نور الله والأردبيلي والعلامة المامقاني وغيرهم من أهل الحديث والرجال، كلهم ذكروا -استناداً على مرويَّات الأئمة عليهم السلام - أنَّ يونس بن عبد الرحمن مولى علي ابن يقطين كان من الثقة ومن أصحاب أبي الحسن الثاني موسى بن جعفر عليه السلام وأبي الحسن الثالث علي بن موسى الرضا عليه السلام، وكان عالماً جليلاً مؤمناً كاملاً موحداً، عظيم القدر والمنزلة.

فمثلاً ذكر العلامة المامقاني في تنقيح المقال في الجزء الثالث نقلاً عن رجال النجاشي والكشي: روي عن الفضل بن شاذان أنه قال: حدَّثني عبد العزيز بن المهدي (وكان خير فقيه رأيته وكان وكيل الرضا عليه السلام وخاصة) قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت: إنِّي لا ألقاك في كلِّ وقت فعن مَنْ آخذ معالم ديني؟ قال: خذ من يونس بن عبد الرحمن^(١)، وليس فوق هذا الكلام مرتبة ومنزلة، إذ أرجع الإمام الرضا عليه السلام الناس إلى يونس لأخذ معالم الدين الحنيف، فإن لم يكن مستقيماً في دينه لما أمر بالرجوع إليه.

وأيضاً روي مسنداً عن الكشي عن الحسن بن علي بن يقطين أنه قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت: جعلت فداك إنِّي لا أكاد أصل إليك أسألك عن كلِّ ما أحتاج إليه من معالم ديني أفیونس بن عبد الرحمن ثقة، آخذ عنه ما أحتاج إليه من معالم ديني؟ فقال عليه السلام: نعم^(٢).

(١) تنقيح المقال ج ٣ ص ٣٣٩ واختيار معرفة الرجال ج ٢ ص ٧٧٩ رقم ٩١٠.

(٢) تنقيح المقال: ج ٣ ص ٣٤٠.

وهذا بيان فيه توثيق صريح منه عليه السلام ليونس، لأن كلمة نعم تعيد كلمة ثقة فكأنه عليه السلام قال: نعم هو ثقة أخذ منه ما تحتاج إليه من معالم الدين.

وقد أدرك يونس كل من الإمام الباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام، إلا أنه لم يرو إلا عن الكاظم والرضا عليهم السلام.

وقال الفضل بن شاذان: سمعت من رجل ثقة يقول: سمعت الرضا عليه السلام يقول: أبو حمزة الثمالي في زمانه كسلمان الفارسي في زمانه وذلك أنه خدم أربعة منّا علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وبرهه من عصر موسى عليه السلام، ويونس في زمانه كسلمان الفارسي في زمانه^(١).

وقد ذكر العلامة المجلسي في البحار والعلامة المامقاني في التنقيح أن الإمام الرضا عليه السلام ضمن ليونس الجنة ثلاث مرات^(٢)؛ لأنه أدرك عن علم ويقين منزلة أهل البيت عليهم السلام وحمل علومهم الربانية وعمل جاهداً لنشرها، ومعلوم أن كل من يدخل الجنة لابد أنه قد وصل إلى مرتبة الإيمان الكامل لأن الأخير هو علة دخول الجنة، فيكون يونس من جملة الكاملين في إيمانهم وفي علومهم لأن العلم يؤثر في كمال الإيمان وازدياده، وفي هذا المجال توجد روايات تدل على المقام العلمي ليونس، منها ما ذكره العلامة المجلسي في البحار والعلامة المامقاني في التنقيح، فعن مختار الكشي ينقل أنه:

انتهى علم الأئمة إلى أربعة نفر أولهم سلمان الفارسي، والثاني جابر (الجعفي) والثالث السيد (الحميري) والرابع يونس بن عبد الرحمن^(٣).

ولذا كان كلما ذكر اسم يونس عند الأئمة عليهم السلام كانوا عليهم السلام يذكرونه بالتجليل

(١) المصدر السابق ص ٣٣٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر السابق.

والتقدير ويترحمون عليه ويعظمون شأنه وفي ذلك دلالة قوية على علو منزلة الرجل وشموخ مقامه، فمثلاً يذكر العلامة المامقاني مثل هذه الأخبار بالفاظ متعددة، منها خبر داود بن القاسم قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في يونس؟ فقال: رحمه الله فإنه كان على ما نحب^(١)، وعن أبي هاشم الجعفري قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن يونس؟ قال: رحمه الله^(٢).

وعنه أيضاً قال: سألت أبا جعفر عليه السلام (الجواد عليه السلام) عن يونس؟ فقال: رحم الله يونس رحم الله يونس نغم العبد كان لله جلّ وعلا^(٣).

وعن عبد العزيز المهندي قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام: ما تقول في يونس بن عبد الرحمن؟ فكتب إليّ بخطه: أحبه وأترحم عليه وإن كان يخالف أهل بلدك^(٤).

وعن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري عن أبي جعفر عليه السلام - الجواد - قال: سألته عن يونس؟ فقال: رحمه الله كان عبداً صالحاً^(٥).

ونظير هذه الأخبار كثيرة، وهي تدفع جميع تخريصات علماء أهل السنة الذين طعنوا في يونس.

سؤال أحد الحاضرين: إن جميع ما نقلته من الأخبار تدلّ على جلاله ومنزلة يونس، ولكن إلى جانبها لكم أخبار تذمّ يونس هذا، فعلى ماذا تحملونها؟ ولماذا لا تدقق في الاتهامات - كما تقول - التي وُجّهت إلى يونس ما دام هناك أخبار في ذمّه؟ بل الأمر لم يقتصر على بعض علماء أهل السنة بل

(١) المصدر نفسه ص ٣٤٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

هوجم يونس من قبل الشيعة أيضاً، فماذا تقول؟ نتمنى أن تجيبنا عن ذلك كي نتضح لنا الصورة.

الجواب:

الأسباب لورود بعض الأخبار الدائمة كثيرة منها:

١- ما أشرت إليه سابقاً من أن الداعمين لم يستطيعوا أن يذموا أو يعيبوا على أنمة أهل البيت (عليه السلام) فحاولوا ذم أتباعهم والمقربين منهم، وهو تعريض واضح كما لا يخفى على أهل العلم والعقل.

ويُضاف إلى ذلك أن ذم - بعض - علماء أهل السنة لرجال الشيعة لاسيما المقربين من الأنمة (عليه السلام) كان يوفّر لهم - للمخالفين - فرصة كبيرة للتقرب إلى الخلفاء والملوك.

٢- وأن عدم الفهم الصحيح والإدراك التام لدى المخالفين كان أحد أسباب اتهام يونس وأمثاله، فإن المرء عدو ما جهل، فجهلهم بما يقوله يونس كان سبباً لاتهم.

٣- ووقوف يونس ضد الواقفية ومخالفته إياهم هو السبب الآخر الذي دفع الواقفية للهجوم عليه وتسقيطه والخط من شأنه وذلك عبر الاتهامات والافتراءات.

سؤال أحد الحاضرين: من هم الواقفية ولماذا خالفهم يونس بن عبد الرحمن؟

أسباب ظهور الواقفية

الجواب: في البدء أحاول أن أذكر لكم مقدّمة مختصرة عن الأحوال والأوضاع السائدة آنذاك، ففي عهد الإمام الكاظم (عليه السلام) الذي عاصر الخليفة العباسي الظالم هارون الرشيد، كانت الأجواء السياسية بالنسبة إليه (عليه السلام) متوتّرة

جذاً وصعبة للغاية لما يكنه هارون من الحقد والعداوة له ﷺ ولبني هاشم والعلويين، ممّا فرض على الإمام الكاظم ﷺ أن يعمل بالتقية بشكل مكثّف وملحوظ، بل أمر شيعته وأتباعه العمل بالتقية دفعاً للمحاولات السياسية التي تريد الإطاحة بهم عبر الجواسيس والعملاء السريين الذين كانوا يراقبون الإمام الكاظم ﷺ في تحرّكاته وتنقلاته وحواراته ممّا فرض عليه أن يمارس التقية والتورية حتّى في رسائله.

فهذا الوضع القلق تسبّب في تجمّع الأموال عند وكلاء الإمام الكاظم ﷺ وهي أموال الخمس - حقّ النبي وأهل بيته -، فظلت في أيديهم خوفاً من بطش هارون بهم^(١) بعدما طرق سمعه أنّ الأموال تجبى لأبي الحسن موسى الكاظم ﷺ فكانت السعاية لا تتوقّف ضدّ الكاظم ﷺ، ممّا عسّر عملية توزيع الأموال في المدينة أو غيرها للفقراء من بني هاشم والمساكين وأبناء السبيل... بسبب الرقابة المشدّدة التي فرضتها السلطة العباسية على الإمام وأتباعه فكان الجواسيس على اتصال دائم مع يحيى البرمكي وهو وزير هارون والعدوّ للدود للإمام الكاظم ﷺ^(٢).

(١) قال الشيخ الصدوق: لم يكن موسى بن جعفر ﷺ ممّن يجمع المال ولكنّه قد حصل في وقت الرشيد وكثر أعداؤه ولم يقدر على تفريق ما كان يجمع إلّا على القليل ممّن يثق بهم في كتمان السرّ، فاجتمعت هذه الأموال لأجل ذلك وأراد أن لا يحقّق على نفسه قول من كان يسعى به إلى الرشيد ويقول: إنّهُ تحمل إليه الأموال وتعتقد له الإمامة، ويحمل على الخروج عليه ولولا ذلك لفرّق ما اجتمع من هذه الأموال، على أنّها لم تكن أموال الفقراء وإنّما كانت أمواله يصل بها مواله لتكون له إكراماً منهم له وبرّاً منهم به ﷺ.

البحار ج ٤٨ ص ٢٥٣ ح ٦ نقلاً عن العيون ج ١ ص ١١٤ / المترجم.

(٢) قال المحدث عباس القمي: ولقد كانت البرامكة مبغضين لآل رسول الله ﷺ

سؤال أحد الحاضرين: لقد تعلّمنا في المدارس أن عائلة البرامكة كانت تميل إلى التشيع لاسيما يحيى البرمكي، بل بسبب تشيعه - وهو الرجل الإيراني الوحيد - الذي تسبّب في غضب الخليفة وبالتالي أمر بقتلهم والتنكيل بهم. كيف تقول إن يحيى كان العدو اللدود للإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)؟ فيرجى منكم إيضاح هذا الموضوع لنا؟

حقيقة البرامكة

الجواب: موضوع تشيع عائلة البرامكة وبالأخص يحيى بن خالد البرمكي من الأخطاء الشائعة، التي لا أصل لها، وكما يُقال: ربّ مشهور لا أصل له، لكنّه جرى على أقلام بعض الكتاب بدون تحقيق وتدقيق.

لأننا عندما نراجع تاريخ هذه العائلة نجدها تمتاز بالتلون والتقلّب حسب ما تقتضيه المصلحة والمكاسب الشخصية، لأنّ أصل عائلة البرامكة من أهل بلخ وكانوا من أعظم الزرادشتيين المتصدّين لواحد من معابد النار في بلخ واسمه (نوبهار) أي المعبد الجديد، ولأنّ المتصدّين لمعابد النار والمسؤولين عنها كانوا يسمّون عند الناس بـ (برمك) فعرفت هذه العائلة بـ (البرامكة)^(١).

→ مظهرين العداوة لهم، سفينة البحار ج ١ ص ٧٣ / المترجم.

(١) ذكر المسعودي: بيت البرامكة ببلخ، فقال: والبيت الرابع هو النوبهار الذي بناه منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر، وكان من يلي سدائته تعظّمه الملوك في ذلك الصقع وتنقاد إلى أمره وترجع إلى حكمه وتحمل إليه الأموال وكانت عليه وقوف وكان الموكل بسدائته يدعى البرمك، وهو سعة عاقمة لكلّ من يلي سدائته، ومن أجل ذلك سمّيت البرامكة، لأنّ خالد بن برمك كان من ولد من كان على هذا البيت، وكان بنيان هذا البيت من أعلى البنيان تشييداً / أنظر مروج

وظل هذا المعبد إلى زمن إمارة الفضل بن يحيى البرمكي على خراسان، فلما دخل بلخ أمر بهدم المعبد وبني محله مسجداً كبيراً، وكان الجد الأعلى لهذه الأسرة أسلم في زمن عثمان بن عفان عندما فتحت تلك البلدة، ولكن ارتد مع أولاده فيما بعد ورجع إلى عبادة النار مرة أخرى، إلى أن برز نجم أبي مسلم الخراساني وهو يدعو ويحرض الناس للثورة ضد بني أمية والدعوة لآل محمد ﷺ فكانت عامة الناس نائمة على سياسة بني أمية فوجدت في دعوة وحركة أبي مسلم فرصة مناسبة للخلاص فالتفت حوله وكان خالد بن يحيى من ضمنهم ورأى أن الواقع السياسي والاجتماعي يميل بجملته إلى التشيع وإعلان حب آل محمد ﷺ فأظهر تشيعه وميله إلى أهل البيت طمعاً في الحصول على المناصب السياسية الخطيرة، فعرف بذلك بمرور الأيام، ولكن لما لم يؤيد الإمام الصادق ثورة الخراساني فمال الأخير إلى بني العباس ومن ثم قتل على أيديهم وأظهروا العداء لآل رسول الله ﷺ، فكشف خالد بن يحيى عن حقيقته وبغضه لآل الرسول ﷺ ووضع يده بيد بني العباس لاسيما في عهد هارون الرشيد، عندما اشتد الاضطهاد والظلم على آل علي وشيعتهم، فأظهر البرامكة عن مكنون حقدهم لآل البيت حتى كانوا السبب الرئيسي في استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام على يد هارون الرشيد.

فقد ذكر أكابر علماء الفريقين ومنهم ابن عبد ربّه في العقد الفريد.
عن علي بن جعفر في حديث أن محمّد بن إسماعيل دخل على موسى بن

→ الذهب ج ٢ ص ٢٢٨ ط دار الأندلس، بيروت ١٩٦٥.

وذكر المحدث عباس القمي: وبرمك جد يحيى بن خالد البرمكي كان منجوساً قدم إلى الرصافة مع ابنه خالد وكان قد تعلّم العلم في جبال كشمير وهو برمك الأصغر / أنظر سفينة البحار ج ١ ص ٧٣ مادة برمك / المترجم.

جعفر عليه السلام وهو يريد بغداد فودّعه فقال له: أوصني يا عمّ، فقال: أوصيك أن تتقي الله في دمي، ثم أرسل إليه مع علي بن جعفر ثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم فقال له: إذا كنت تخاف منه مثل الذي ذكرت فلم تعينه على نفسك؟ فقال: إذا وصلته وقطعني قطع الله أجله، قال: فمضى على وجهه حتى دخل على هارون فسلم عليه بالخلافة، وقال: ما ظننت أن في الأرض خليفتين حتى رأيت عمي موسى بن جعفر يسلم عليه بالخلافة، فأرسل إليه هارون بمائة ألف درهم، فرماه الله بالذبيحة فما نظر منها إلى درهم ولا مسّه ^(١).

وفي حديث آخر أنه عليه السلام قال لعلي بن إسماعيل بن جعفر وقد أراد الخروج إلى بغداد: انظر يا ابن أخي أن لا تؤتم أولادي، وأمر له بثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم، فلما قام من بين يديه، قال أبو الحسن عليه السلام لمن حضره: والله ليسعين في دمي ويؤتمن أولادي ^(٢).

امتحان وكلاء الإمام الكاظم عليه السلام

ونظراً لطول فترة السجن التي قضاها الإمام الكاظم عليه السلام إذ أنها استغرقت عدة سنين، تجمعت الأموال عند وكلائه في الولايات وعندما وصل خبر استشهاد الإمام عليه السلام تحركت الرغبات الخبيثة عند بعض الوكلاء وطمعوا في الأموال التي بأيديهم وراوهم الشيطان فتغلب عليهم وجذبهم إليه، وكان في طليعة هؤلاء زياد بن مروان القندي الذي استحوذ على سبعين ألف دينار، وعلي بن أبي حمزة البطائني الذي استولى على ثلاثين ألف دينار، وعثمان بن عيسى الرواسي الذي اغتصب ثلاثين ألف دينار وخمس جوازي «على أنها لم

(١) إثبات الهداة ج ٥ ص ٥٠٤ ح ١٧.

(٢) إثبات الهداة ج ٥ ص ٥٢٠ ح ٣٧ / المترجم.

تكن أموال الفقراء وإنما كانت أمواله ﷺ يصل بها مواله لتكون له إكراماً منهم له وبراً منهم به ﷺ^(١).

ولكن كان هذا امتحانهم في الحياة، كما أن لكل مكلف امتحان وابتلاء إلا أنهم فشلوا وخابوا باختيار الشيء «أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَبْتَزُّوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ^(٢).

فالابتلاء والامتحان سُنَّةُ إلهية قائمة في بني البشر فبعضهم يصبر ويستقيم وبعضهم يفشل ويشقى، ولم ينحصر الأمر في وكلاء الإمام الكاظم بل ابتلي أصحاب الأنبياء أيضاً وفشل الكثير منهم كبعض اليهود الذين آمنوا واتبعوا عيسى بن مريم ثم انقلبوا على أعقابهم من أجل ثلاثين قطعة من الفضة وصاروا يطاردونه ويحرّضون الناس لقتله.

ولما كان لهؤلاء الوكلاء وجهة اجتماعية مرموقة وموقع متميز عند الشيعة كان من الصعب عليهم أن يعترفوا بانحرافهم أو فشلهم ولذلك حاولوا توجيه هذا الانحراف وتأطير - استغلال المال - بإطار عقائدي فزعموا أن الإمام الكاظم لم يمت وإنما غاب وسيعود بعد حين لينتقم الله به من الظالمين، فهو القائم من آل محمد ﷺ ولم يصلنا أي توجيه منه ﷺ في شأن الأموال وبالتالي فهي تبقى في أيدينا إلى أن يرجع إلينا ويأمرنا بها.

وبهذه الفكرة الساذجة خدعوا العوام فتبعوهم وأصبح هؤلاء الوكلاء - المنحرفون - يشدّ بعضهم بعضاً لكسب قطاعات واسعة من البسطاء والمغفلين أو الانتفاعيين إلى أن شكّلوا بمرور الزمن تيار الواقفية، أي أنهم توقّفوا على

(١) نصّ كلام الشيخ الصدوق، أنظر العيون ج ١ ص ١١٤.

(٢) العنكبوت: ٢-٣.

إمامة الكاظم عليه السلام وأنكروا إمامة الرضا عليه السلام وأولاده من بعده.
وقد راسلهم الإمام الرضا عليه السلام وطلبهم بأموال أبيه باعتباره الوريث الشرعي،
إلا أنهم اعتذروا إليه بأن الكاظم عليه السلام غائب وسيعود ولم يدفعوا الأموال إليه.
وبعد أن تشكّلت هذه الفرقة المنحرفة - عن التشيع والتي لا تُعدّ ولا
تُحسب على الشيعة - على أساس الكذب والاحتيال ندم بعض الناشطين فيها
في أواخر عمره وأعلن الحقيقة لأتباعه فقد ذكر العلامة المجلسي في البحار عن
علي بن حبشي بن قوني عن الحسين بن أحمد بن الحسن بن علي بن فضال
قال: كنت أرى عند عمّي علي بن الحسين بن فضال شيخاً من أهل بغداد وكان
يهازل عمّي، فقال له يوماً: ... أنا زوج بنت أحمد بن أبي السراج قال لي لما
حضرته الوفاة: إنّه كان عندي عشرة آلاف دينار وديعة لموسى بن جعفر
فدفعت ابنه عنها بعد موته، وشهدت أنّه لم يمّت فالله الله خلّصوني من النار
وسلّموها إلى الرضا عليه السلام، فوالله ما أخرجنا حبة ولقد تركناه يصلي في نار
جهنّم^(١).

(١) البحار ج ٤٨ ص ٢٥٥ ط إيران ح ٩.

أقول: روي في البحار أن الإمام الرضا عليه السلام بعث إلى زياد القندي وعثمان الرواسي:
أن احمّلوا ما قبلكم من المال وما كان اجتمع لأبي عندكم من أثاث وجوار فأبني
وارثه، وقائم مقامه وقد اقتسما ميراثه ولا عذر لكم في حيس ما قد اجتمع لي
ولو زائنه قبلكم، أو كلام يشبه هذا، فأما ابن أبي حمزة فإنه أنكره ولم يعترف بما
عنده، وكذلك زياد القندي، وأما عثمان بن عيسى فإنه كتب إليه: إن أباك صلوات
الله عليه لم يمّت وهو حي قائم، ومن ذكر أنّه مات فهو مبطل واعمل على أنّه قد
مضى كما تقول، فلم يأمرني بدفع شيء إليك، وأما الجوّاري فقد أعتقتهن
وتزوّجت بهن. (البحار ج ٤٨ ص ٢٥٥).

وهنا نأتي إلى أصل موضوعنا عن يونس بن عبد الرحمن فهو الذي تصدى لنفضح الواقفية وكان حجر عثرة بالنسبة إليهم وآلئ على نفسه أن لا يسكت أمام هذا الانحراف الخطير، ولذا فكر رموز الواقفية كعلي بن أبي حمزة وزياد بن مروان أن يستميلوا يونس إليهم وذلك عبر الإغراءات المادية، إلا أنه كان أكبر من هذه المحاولة وأجل من هذا المستوى الوضع فامتنع ورد عليهم تلك العروض المغرية وواصل طريقه وجهاده بكل إصرار وصمود وتمسك بإمامة الرضا عليه السلام بعد أبيه الكاظم عليه السلام.

ينقل العلامة المجلسي وكذا المامقاني في التنقيح مسنداً عن يونس بن عبد الرحمن قال: مات أبو الحسن عليه السلام وليس من قوامه - يعني وكلائه - أحد إلا وعنده المال الكثير وكانت سبب وقفهم وجحودهم وكان عند زياد العبدي سبعون ألف دينار وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار قال: فلما رأيت ذلك وتبين الحق وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام ما علمت تكلّمت ودعوت الناس إليه قال: فبعثنا إلي وقالوا: ما يدعوك إلى هذا إن كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمنا لي عشرة آلاف وقالوا لي كف، فأبيت وقلت لهم: إنا روينا عن الصادقين عليه السلام أنهما قالوا: إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فإن لم يفعل سلب نور الإيمان وما كنت لأدع الجهاد في أمر على كل حال فناصراني

→ وروى ربيع بن عبد الرحمن قال: كان والله موسى بن جعفر عليه السلام من المتوسمين يعلم من يقف عليه بعد موته ويجحد الإمام بعده إمامته فكان يكظم غيظه عليهم ولا يبدي لهم ما يعرفه منهم فسَمي الكاظم لذلك.

البحار ج ٤٨ ص ٢٥٥ ط إيران، وللإطلاع على أسماء الوكلاء الذين وقفوا على إمامة الكاظم عليه السلام راجع رجال الكشي ج ٦ من المجلد ٣ ص ٧٦٨ ط مؤسسة آل البيت قم / المترجم.

وأضمر الي العداوة^(١).

وأما هذا الامتناع عمل زعماء الواقفية على الطريقة الثانية لإسقاط يونس ألا وهي تلويت سمعته ونسبة الأكاذيب والكفر والاعتقادات الباطلة إليه وهي أفضل طريق لابتعاد الناس عنه وعدم سماعهم من يونس، كما صنع ذلك قارون عندما أراد التخلص من موسى عليه السلام إذ اتهمه بالزنا بعدما اتفق مع إحدى العواهر وأعطاهها مبلغاً من المال مقابل شهادتها أمام الناس أن موسى زنا بها، وهكذا جرياً على هذه الطريقة اتهم اليهود السيدة العذراء مريم عليها السلام بالزنا، وقد برأ الله تعالى ساحة موسى ومريم من هذه الافتراءات والأكاذيب والمحاولات اليائسة التي يؤسسها أهل الدنيا، ولعلنا اليوم نشهد مثل هذه الأكاذيب ضد أهل التوحيد أو ضد العلماء والمفكرين والأنبياء والأوصياء من قبل وعَاظ السلاطين.

فعلينا إذن أن نتفحص وندقق في الكلام قبل البت والحكم به كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا قَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٢).

ولو عمل المسلمون بهذه الآية الكريمة لما حصل النفاق والشقاق في الأمة، ولما استطاع الأعداء من نشر الأكاذيب والإشاعات ولكن - مع الأسف - لم يعمل المسلمون بالقرآن الكريم فكانت الفرص للأعداء كثيرة، لأن الضعف كان يدب في الصف الإسلامي والإيماني ممّا أدى إلى إضعافه، فكانت الهجمات والانتهاكات لا تتوقف عن المخلصين والمؤمنين الذين يجاهدون الانحراف والفساد، ومنهم كان يونس بن عبد الرحمن المؤمن الخالص في حبه

(١) تنقيح المقال ج ٣ ص ٣٣٩ والبحار ج ٤٨ ص ٢٥٢، ورجال الكشي ج ٦ ص ٧٨٦

رقم ٩٤٦ ط مؤسسة آل البيت قم / المترجم.

(٢) الحجرات: ٦.

واعتقاده لآل الرسول ﷺ.

ولما كانت الوكالة لهؤلاء الرجال تمثل امتيازاً وتعطيهم مكانة خاصة في المجتمع وبالتالي تكون الأذان صاغية لهم، وهم بدورهم كانوا يستغلون هذه المكانة في إسقاط يونس بن عبد الرحمن فكان عامة الناس يصدقون كلامهم وبمرور الزمن صارت الأكاذيب حقائق لكثرتها وكثرة ترددها على الألسن فتحول يونس بمرور الأيام إلى إنسان زنديق ومنحرف، وصار المنحرفون أناساً صالحين ومستقيمين، وهذه نتيجة طبيعية للمجتمع البعيد عن القرآن الكريم، وبهذه الطريقة وقفت هذه الفرقة المنحرفة صفاً واحداً لإسقاط يونس وتحقيق ما قاموا به.

ونذكر هذه الرواية على سبيل المثال، روي عن جعفر بن عيسى قال: كنا عند أبي الحسن الرضا عليه السلام وعنده يونس بن عبد الرحمن إذ استأذن عليه قوم من أهل البصرة فأومئ أبو الحسن عليه السلام إلى يونس أدخل البيت فإذا بيت (غرفة) مسبل عليه ستر وإياك أن تحرك حتى يؤذن لك، فدخل البصريون وأكثروا من الوقعة والقول في يونس، وأبو الحسن عليه السلام مطرق حتى لما أكثروا وقاموا فودعوا وخرجوا وأذن ليونس بالخروج فخرج باكياً فقال: جعلني الله فداك إنني أحامي عن هذه المقالة وهذه حالي عند أصحابي، فقال له أبو الحسن عليه السلام: يا يونس وما عليك مما يقولون إذا كان إمامك عنك راضياً، يا يونس حدث الناس مما يعرفون واتركهم مما لا يعرفون كأنك تريد أن تكذب على الله في عرشه، يا يونس ما عليك أن لو كان في يدك اليمنى درة ثم قال الناس بكرة أو بكرة ثم قال الناس درة هل ينفعك ذلك شيئاً؟ فقلت: لا، فقال: هكذا أنت يا يونس إذ كنت على الصواب وكان إمامك عنك راضياً لم يضرك ما قال الناس^(١).

(١) تنقيح المقال ج ٣ ص ٣٤٠ ورجال الكشي ج ٦ من المجلد ٣ ص ٧٨١ رقم ٩٢٤/المترجم.

وعن يونس قال: قال العبد الصالح عليه السلام: يا يونس ارفق بهم فإن كلامك يدق عليهم، قال: قلت: إنهم يقولون لي زنديق! قال: وما يضرُّك أن يكون في يدك لؤلؤة فيقول الناس هي حصاة وما كان ينفعك أن يكون في يدك حصاة فيقول الناس هي لؤلؤة^(١).

خلاصة الكلام في يونس

فيظهر ممَّا تقدَّم أنَّ جميع ما قيل عن يونس من اتهامات باطلة وافتراءات سخيفة كلُّها من صنع أعدائه والحاسدين له، ثمَّ جاء بعد ذلك علماء أهل السنة وتلقَّفوا هذه الكلمات ودوَّنوها في كتبهم بدون أدنى تحقيق مع قدرتهم على مثل هذا التحقيق والبحث والتحليل، إلَّا أنَّهم رضوا بهذا المقدار من المعرفة لغايات أخرى، ثمَّ أضافوا إليها شيئاً من عندهم مثل ادَّعائهم أنَّ للمفضَّل فرقة باسم المفضلية ولهشام فرقة الهشامية وليونس اليونسية وهكذا، لتكتمل حلقات الأكذوبة وليحوِّلوها إلى حقيقة وواقع عند بسطاء الناس، ومن ثمَّ جاء الكتاب المعاصرون ليرددوا صدى الأكذوبة بكلِّ ثقة دون تحقيق وتدقيق ودراسة مع أنَّ الإسلام يدعو المؤمن والمسلم إلى التثبت في الأقوال والتأكَّد من الأخبار قبل ترتيب الأثر عليها ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾^(٢) وسيندم أمثال هؤلاء عندما يقرأون الحقيقة أولاً، ومع كشف الواقع يوم القيامة ثانياً، عندما يطالبهم الحقُّ جَلَّ وعلا بما كتبوا وعندما يسألهم عن إعراضهم عن القرآن والعمل به ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(٣).

(١) المصدر نفسه، وفي رجال الكشي رقم ٩٢٨.

(٢) الحجرات: ٦.

(٣) الفرقان: ٢٧.

وبخلاف هؤلاء تجدون علماء الشيعة فإنهم يذكرون الأخبار المأدحة للرجل والأخبار الدائمة له أيضاً ثم يجرون دراسة وتحليل على ضوء المعجزات والملابسات والأجواء التي انطلقت فيها هذه النصوص ليصلوا في خاتمة المطاف إلى نتيجة مقنعة على أساس الدليل والعقل.

فحقيقة الأمر في يونس أنه رجل ذمه الأعداء ومدحه الأئمة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام مع أنه كان رجلاً من أصحاب التأليف والتصنيف فقد صنّف عدّة كتب منها: كتاب السهو وكتاب الأدب وكتاب الدلالة على الخير وكتاب الزكاة وكتاب جوامع الآثار وكتاب الشرائع وكتاب الصلاة وكتاب العلل الكبير وكتاب اختلاف الحج وكتاب الاحتجاج في الطلاق وكتاب علل الحديث، وكتاب الفرائض الصغير، وكتاب الفرائض، وكتاب الجامع الكبير في الفقه، وكتاب التجارات، وكتاب تفسير القرآن، وكتاب الحدود، وكتاب الآداب، وكتاب المثالب، وكتاب علل النكاح، وكتاب تحليل المتعة، وكتاب البداء، وكتاب نوادر البيوع، وكتاب الردّ على الغلاة، وكتاب ثواب الحج، وكتاب النكاح، وكتاب المتعة، وكتاب الطلاق، وكتاب المكاسب، وكتاب الوضوء، وكتاب البيوع والمزارعات، وكتاب اللؤلؤ في الزهد، وكتاب الإمامة، وكتاب فضل القرآن وكتاب يوم وليلة^(١).

وكانت بعض كتبه قد عُرضت على بعض الأئمة عليهم السلام فكانوا يترحمون عليه، فقد ذكر المامقاني في التنقيح عن مختار الكشي مسنداً عن أحمد بن أبي خلف ظرّ أبي جعفر عليه السلام - الجواد - قال: كنت مريضاً فدخل عليّ أبو جعفر عليه السلام يعودني في مرضي، فإذا عند رأسي كتاب يوم وليلة، فجعل يتصفّحه ورقة ورقة حتّى أتى عليه من أوّله إلى آخره، وجعل يقول: رحم الله يونس رحم الله يونس

رحم الله يونس^(١).

وأيضاً روي عن داود بن القاسم أن أبا جعفر الجعفري قال: أدخلت كتاب يوم وليلة الذي ألفه يونس بن عبد الرحمن على أبي الحسن العسكري عليه السلام فنظر فيه وتصفحه كله، ثم قال: هذا ديني ودين آبائي وهو الحق كله^(٢).

وقيل: إن مصنفاته وصلت إلى ألف كتاب فقد جاء في مختار الكشي مسنداً عن الفضل بن شاذان أنه قال: حجّ يونس بن عبد الرحمن أربعاً وخمسين حجة واعتمر أربعاً وخمسين عمرة وألف ألف جلد رداً على المخالفين^(٣).

فيونس كان من العلماء الكبار ومؤمن شيعي، اثني عشري، إمامي، وقد وثقه علماء الشيعة ومدحه الأئمة الهداة عليهم السلام.

فهذا ذنبه الوحيد لا غير، فحاربته الواقفية لأنه اثني عشري وحاربه بعض علماء أهل السنة لأنه شيعي إمامي وهذا أوضح دليل على الاستبداد والاضطهاد الفكري في الوعاء الإسلامي - مع شديد الأسف ..

عود على بدء

«التصيرية والإسحاقية»: وقد ذكرهما الشهرستاني في الملل والنحل وعدهما من غلات الشيعة وقال: من جملة غلاة الشيعة ولهم جماعة ينصرون مذهبهم ويذبون عن أصحاب مقالاتهم وبينهم خلاف في كيفية إطلاق اسم الإلهية على الأئمة من أهل البيت، قالوا: ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل، أمّا في جانب الخير فكظهور جبريل عليه السلام ببعض الأشخاص والتصور بصورة أعرابي والتمثل بصورة البشر، وأمّا في جانب الشر فكظهور

(١) رجال الكشي ج ٦ ص ٧٧٩ رقم ٩١٣، ط مؤسسة آل البيت، قم.

(٢) رجال الكشي ج ٦ من المجلد ٣ ص ٧٨٠ رقم ٩١٥.

(٣) المصدر نفسه، رقم ٩١٧.

الشیطان بصورة إنسان حتى يعمل الشرّ بصورته وظهور الجنّ بصورة بشر حتى يتكلّم بلسانه فكذلك نقول: إنّ الله تعالى ظهر بصورة أشخاص، ولمّا لم يكن بعد رسول الله ﷺ شخص أفضل من عليّ عليه السلام وبعده أولاده المخصوصون وهم خير البرية فظهر الحقّ بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم فعن هذا أطلقنا اسم الالهية عليهم وإنّا أثبتنا هذا الاختصاص لعليّ عليه السلام دون غيره، لأنّه كان مخصوصاً بتأييد إلهي من الله تعالى فيما يتعلق بباطن الأسرار، قال النبي ﷺ: أنا أحكم بالظاهر والله يتولّى السرائر.

وعن هذا كان قتال المشركين إلى النبي ﷺ وقاتل المنافقين إلى عليّ عليه السلام. وعن هذا شبّهه بعيسى بن مريم عليه السلام فقال النبي ﷺ: لولا أن يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى بن مريم لقلت فيك مقالاً...

وربّما أثبتوا له شركة في الرسالة إذ قال النبي ﷺ: فيكم من يُقاتل على تأويله كما قاتلتُ على تنزيله، ألا وهو خاصف النعل.

فعلم التأويل وقاتل المنافقين ومكالمة الجنّ وقلع باب خبير لا بقوة جسدانية من أوّل الدليل على أنّ فيه جزءاً إلهياً وقوة ربّانية ويكون هو الذي ظهر الإله بصورته وخلق بيديه وأمر بلسانه وعن هذا قالوا: كان موجوداً قبل خلق السماوات والأرض، قال: كنّا أظلمة عن يمين العرش فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا فتلك الظلال وتلك الصورة التي تنبئ عن الظلال: هي حقيقته وهي مشرقة بنور الرّبّ تعالى إشراقاً لا يفصل عنها سواء كانت في هذا العالم أو في ذلك العالم، وعن هذا قال عليّ عليه السلام: أنا من أحمد كالضوء من الضوء، يعني لا فرق بين النورين إلّا أنّ أحدهما سابق، والثاني لاحق به، تالي له، قال: وهذا يدلّ على نوع من الشركة فالنصيرية أميل إلى تقرير الجزء الإلهي، والإسحاقية أميل إلى تقرير الشركة في النبوة^(١).

(١) نص كلام الشهرستاني في الملل والنحل ج ١ ص ١٨٨.

توضيح عن النصيرية

أما النصيرية فهم أتباع محمد بن نصير النميري وقد ذكره الشيخ الطوسي في الغيبة والعلامة الحلبي في الخلاصة والكشي وابن الغضائري وابن داود والمجلسي والمامقاني وآخرين بالفاظ متفاوتة إلا أنهم أجمعوا على أنه كان ملعوناً وزنديقاً وقد روي في كتاب الغيبة عن ابن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمد أنه قال: كان محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن - العسكري عليه السلام - فلما توفي أبو محمد عليه السلام ادعى مقام أبي جعفر محمد بن عثمان - النائب الأول - وأنه صاحب الزمان وادعى البابية وفضح الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والجهل ولعن أبي جعفر محمد بن عثمان له وتبريه منه واحتجابه عنه ^(١).

سؤال أحد الحاضرين: إذا ظهر منه الإلحاد والجهل فكيف تبعه بعض الناس وقبلوا نيابته؟

الجواب: لا يخفى عليكم أن كل مجتمع لا يخلو من البسطاء والعوام الذين يتبعون كل ناعق بلا دليل، وهكذا حصل مع النميري، ولكن إلى جانب ذلك فهناك المؤمنون الواعون الذين حاربوا مثل هذا الانحراف، ولكي يتضح لكم الأمر أحاول أن أعود بكم إلى الوراء قليلاً.

لقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهكذا الأئمة الأطهار أن الجور والفساد يزداد يوماً بعد يوم حتى يخرج المهدي عليه السلام ابن الإمام الحسن العسكري وهو آخر الأئمة الاثنى عشر ليحارب كل ألوان الكفر والظلم وليملئ الأرض قسطاً وعدلاً.

(١) تنقيح المقال ج ٣ ص ١٩٥، والغيبة الشيخ الطوسي، ص ٢٤٢ في ذكر المذمومين

الذين ادعوا البابية.

وكان خلفاء بني العباس في انتظار هذا المولود لأجل تصفيته والتخلص منه باعتبارهم من الظلمة الذين يخشون منه، ولهذا فقد أخفى والده العسكري عليه السلام أمر ولادته الذي صادف في ليلة الجمعة ١٥ شعبان عام ٢٥٥هـ، إلا عن بعض الخواص من أجلاء وأكابر الشيعة، وظل أمره مخفياً بسبب الإرهاب السياسي إلى عام ٢٦٠هـ عندما استشهد^(١) والده العسكري عليه السلام في سامراء فقام مقامه ابنه أبو القاسم (محمّد) الحجة بن الحسن العسكري وقد كان عمره آنذاك خمسة سنين، وعلى الظاهر تولّى الشيخ عثمان بن سعيد العمري - وهو أقرب وأخص أصحاب العسكري والهادي عليهما السلام - أمر تهيئة الحنوط والماء للإمام عليه السلام، ثم وضعت جنازته للصلاة عليه فتقدّم جعفر (الكذاب) وهو أخو الإمام العسكري وقيل: إنّه كان منحرفاً - للصلاة عليه بأمر من الخليفة المعتمد العباسي فلما وقف للصلاة خرج إليه طفل أشبه الناس بالحسن العسكري عليه السلام فجزّه من ردائه وقال له: تأخر يا عمّ، ووقف مكانه وصلى على جنازة أبيه (إذ لا يجوز الصلاة على المعصوم إلا من قبل المعصوم) فاجتمع الحاضرون إلى جعفر وسألوه: من هذا الصبي؟ أهو ابن أخيك؟ فقال: لا أعرفه فإنّ أخي ليس له ولد!! فلما وصل الخبر إلى الخليفة العباسي أمر بالقبض عليه فوراً، فهرع الشرطة إلى منزل الإمام العسكري وحاصروه ثم قاموا بتفتيشه إلى أن وصلوا إلى السرداب فلما أرادوا دخوله شاهدوه مملوءاً بالماء، وفي مكان آخر منعزل عن الماء شاهدوا ذلك الصبي (وهو الإمام المهدي عليه السلام) جالس يصلي في المكان الذي كان يصلي فيه الإمام الهادي والحسن العسكري عليهما السلام فتقدّم رجلان إلى الماء فجزّهم الماء إلى الأسفل فخرجوا منه ومضوا إلى الخليفة ونقلوا له القصّة فأمر بهدم سقف

(١) لقد سقاه المعتمد العباسي سمّاً قاتلاً دسّه إليه، انظر البحار ج ٥٠ ص ٣٣٥ ح ١٢

السرداب عليه، فمضوا إلى ذلك ولَمَّا وصلوا إلى السرداب لم يجدوا ذلك الصبي (المهدي عليه السلام) واختفى أثره عنهم.

سؤال أحد الحاضرين: كيف غاب عنهم هل بقي في السرداب إلا أنهم لم يستطيعوا مشاهدته؟ أم أنه خرج منه؟

الجواب: على ما لدينا من الأخبار أنّ وليّ الله الحجّة بن الحسن العسكري عليه السلام خرج من السرداب دون أن يشاهده أحد.

سؤال أحد الحاضرين: لقد سمعنا أنه في السرداب وأن الشيعة يذهبون كل جمعة إلى هناك وينادونه أخرج يا مولانا؟

الجواب: لقد ذكرت سابقاً أنّ هذه اتهامات وافتراءات بعض أهل السنة ضد الشيعة وهي محض الكذب والخرافة، حتّى أنكم لو ذهبتم إلى مدينة سامراء التي يسكنها أهل السنة بنسبة عالية جداً بالقياس إلى الشيعة وسألتم منهم هذا السؤال لضحكوا وسخروا منه.

ومثل هذه الأكاذيب دليل قطعي على عدم إيمان أولئك الذين نسجوا هذه الخرافات ونسبوا إلينا، وعدم تورّعهم وتقواهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنْعاً.

وغاية ما في الأمر أنّ السرداب أُعدّ في ذلك الزمان كموقع بارد ينزل إليه الناس في أيام الصيف الحارّ، وهو أمر مألوف جداً، فالسرداب الذي كان في منزل الإمام عبارة عن مكان بارد ينزل إليه الإمام الهادي والحسن العسكري عليه السلام للعبادة في أوقات الحرّ وقد خرج منه الإمام المهدي عليه السلام وغاب عن أنظار الناس إلى وقت الظهور من مكّة المكرمة كما ذكرت هذا سابقاً.

سؤال أحد الحاضرين: إنك قلت قبل قليل أنّ منزل الإمام كان محاصراً فكيف خرج الإمام المهدي دون أن يراه أحد؟

الجواب: ألم تقرأ في القرآن الكريم وهو يستعرض أحداث هجرة النبي

الأكرم ﷺ في الليلة الأولى من ربيع الأول عام ١٣ للبعثة عندما حاصر المشركون منزل رسول الله ﷺ لقتله، فهبط عليه جبرئيل وأمره بالهجرة من مكة، فخرج من بينهم دون أن يراه أحد وذهب إلى غار ثور، فكيف خرج من وسطهم دون أن يراه أحد من الكفار والمشركين؟

جواب السائل: نُقِلَ أَنَّهُ ﷺ خرج سالماً من بينهم بعدما ألقى الله تعالى على أعينهم حجاباً فلم يشاهدوه.

جواب السيد: والأمر نفسه فيما نحن فيه فكما تعلقت مشيئته تعالى بحفظ رسوله الكريم ﷺ بالإعجاز، كذلك تعلقت مشيئته بحفظ وليه من شر الأعداء وكان ذلك أول يوم من الغيبة الصغرى.

سؤال: ما معنى الغيبة الصغرى، نرجو أن توضّحها لنا؟

الجواب: لقد كان للإمام المهدي غيبتان صغرى وكبرى، وامتدت الغيبة الصغرى إلى سبعين عاماً، وأما الكبرى فهي نهاية الغيبة الصغرى وإلى وقت ظهوره الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى وقد أخبر عن رسول الله ﷺ والأنمة الهداة عن هاتين الغيبتين، فمثلاً ذكر ثقة الإسلام الكليني في الكافي عن إسحاق بن عمار عن الصادق عليه السلام قال: للغائب غيبتان إحداهما قصيرة والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعة والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه. (١)

سؤال: هل الفرق بين الغيبة الصغرى والكبرى هو طولها وقصرها أم أنّ هناك أمراً آخر؟

الجواب: نعم هناك عدّة أمور أخرى منها أَنَّهُ ﷺ في الغيبة الصغرى كان له منزلاً أو موقعاً معيناً يعرفه خواصّ شيعة الذين امتازوا بالعلم والتقوى والورع

والشجاعة أيضاً بأن كانت لهم القدرة على حفظ السرّ وعدم البوح به، وكانوا يوصلون رسائل الشيعة إلى الإمام عليه السلام ومنه يحملون الأجوبة إلى الناس.

ومنها أنه عليه السلام كان له أربعة وكلاء خاصين يتصلون بما يقارب سبعين شخصاً من الشيعة - كما ذكره المجلسي في البحار - وقد صرح أكابر علماؤنا كالطوسي والكليني والصدوق والمفيد والمرتضى والعلامة وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين، بل حتى بعض أهل السنة أيضاً، ذكروا وثيقة هؤلاء الوكلاء الأربعة الذين كانوا الملاذ والملجأ للشيعة طيلة الغيبة الصغرى، وقد ظهرت الكرامات الخارقة للعادة على أيدي بعضهم مما يكون دليلاً قطعياً على صدقهم ومقامهم القريب عند الله تعالى.

سؤال: هل ذكرت أسماء هؤلاء السبعين في الكتب؟

الجواب: نعم، فلقد ذكرهم الشيخ الصدوق والعلامة المجلسي^(١) وغيرهما ولكن رعاية للاختصار لن أذكر لكم أسمائهم بل يمكنكم مراجعة المصدر.

سؤال: نرجو أن تذكر لنا أسماء الوكلاء الأربعة؟

النائب الأول عثمان بن سعيد

الجواب: نعم أولهم هو أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري الأسدي وكان اسم جدّه جعفر العمري الأسدي فعرف به، وقد تشرف هذا الرجل الصالح بصحبة الإمام الهادي ومن بعده الإمام الحسن العسكري عليه السلام وكان محلّ وثوقهما واعتمادهما حتى صار وكيلاً عنهما في قبض الاختماس وتقسيمها سرّاً

(١) البحار ج ٥٣ باب ٣١ ص ١٥٠ وانظر جامع الرواة ج ١ وج ٢ والغيبة للطوسي والوسائل ج ٢٠ وفهرست الشيخ وغيرها / المترجم.

وخفية نظراً للوضع الإبراهيمي الذي فرضته الخلافة العباسية على الواقع الشيعي فكان هذا الرجل يجبي الأموال في السمن وينقلها إلى الإمام عليه السلام وكانت مهته الظاهرية بيع السمن (الدهن) وذلك لدفع الشكوك عن نفسه^(١)، فكان في غاية الوثاقة والعدالة لدى الأنسمة عليه السلام حتى ذكر العلامة المجلسي عن الشيخ الصدوق عليه السلام مسنداً عن أحمد بن إسحاق القمي - وهو من أجلاء علماء الشيعة - قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد صلوات الله عليه في يوم من الأيام فقلت: ياسيدي أنا أغيب وأشهد، ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت فقول من تقبل؟ وأمر من نمثل؟ فقال عليه السلام: هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعني يقوله وما أذاه إليكم فعني يؤذيه، فلما مضى أبو الحسن عليه السلام وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن صاحب العسكر عليه السلام ذات يوم، فقلت له مثل قولي لأبيه عليه السلام فقال لي: هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في الحياة والممات، فما قاله لكم فعني يقوله وما أذى إليكم فعني يؤذيه^(٢).

وروي عن علي بن عبد الله قال: دخلنا على أبي محمد الحسن عليه السلام بسامراء وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته حتى دخل عليه بدر خادمه فقال: يا مولاي بالباب قوم شعث غبر، فقال لهم: هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن في حديث طويل إلى أن قال عليه السلام لبدر: فامض فائتنا بعثمان بن سعيد العمري، فما لبثنا إلا يسيراً حتى دخل عثمان، فقال له سيدنا أبو محمد عليه السلام: امض يا عثمان فإني الوكيل والثقة المأمون على مال الله، واقبض من هؤلاء نفر اليمنيين ما حملوه من المال، ثم ساق الحديث إلى أن قال: ثم قلنا بأجمعنا: ياسيدنا والله إن عثمان لمن خيار شيعتك ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك وأنه وكيلك

(١) البحار ج ٥١ ص ٣٤٤ باب ١٦ أحوال السفراء.

(٢) المصدر نفسه.

وثقتك على مال الله، قال: نعم واشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي وأن ابنه محمداً وكيل ابني مهديكم^(١).

وقد ذكر الكليني خبراً يدل على عظمة عثمان بن سعيد في كتابه الكافي، وذكر العلامة المجلسي أيضاً عن الشيخ الصدوق عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري البراز عن جماعة من الشيعة منهم علي بن بلال وأحمد بن هلال ومحمد بن معاوية بن حكيم والحسن بن أيوب بن نوح في خبر طويل مشهور قالوا: اجتمعنا إلى أبي محمد الحسن بن علي^{عليه السلام} نسأله عن الحجّة من بعده، وفي مجلسه أربعون رجلاً فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري فقال له: يا ابن رسول الله أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به منّي، فقال له: اجلس يا عثمان فقام مغضباً ليخرج، فقال: لا يخرجن أحد فلم يخرج منا أحد إلى بعد ساعة فصاح^{عليه السلام} بعثمان فقام على قدميه فقال: أخبركم بما جئتم؟ قالوا: نعم يا ابن رسول الله، قال: جئتم تسألوني عن الحجّة من بعدي، قالوا: نعم، فإذا غلام كأنه قطع قمر أشبه الناس بأبي محمد^{عليه السلام} فقال: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تنفروا من بعدي فتهلكوا في أديانكم ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتّى يتمّ له عمر فاقبلوا من عثمان ما يقوله وانتهوا إلى أمره، واقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه^(٢).

ولذا تكفل عثمان بن سعيد بهذا الأمر وتصدّى له بكل ورع وتقوى وهو الذي تكفل بتهيئة الكفن والحنوط لغسل جسد الإمام العسكري^{عليه السلام} بعد موته (علماً أنّه لا يغسل المعصوم إلا المعصوم ونعتقد أنّ الذي غسل الإمام العسكري هو الإمام المهدي)، واستلم منصب الوكالة للإمام المهدي^{عليه السلام} وقام

(١) المصدر السابق ص ٣٤٧.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٤٦.

بالأمر على أحسن ما يكون في الغيبة الصغرى، وكان يستلم رسائل الناس ويعرضها على الإمام عليه السلام ثم يرجع الأجوبة إليهم.

النائب الثاني أبو جعفر محمد بن عثمان العمري

وهو ابن النائب الأول وقد عينه للنيابة الإمام المهدي عليه السلام، فلما مضى أبو عمرو قام ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان مقامه بنص أبي محمد عليه السلام ونص أبيه عثمان عليه بأمر القائم عليه السلام، وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد أشار إليه فقال: العمري وابنه ثقتان فما أديا إليك فعنّي يؤديان وما قال لك فعنّي يقولان فاسمع... (١).

وقد ذكر العلامة المجلسي في البحار عن محمد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي أنه خرج إليه التوقيع التالي بعد وفاة أبي عمرو: والابن وقاه الله لم يزل ثقتنا في حياة الأب رضي الله عنه وأرضاه ونصر وجهه، يجري عندنا مجراه ويسد مسدّه وعن أمرنا يأمر الابن وبه يعمل تولاه الله فانتبه إلى قوله وعرف معاملتنا ذلك (٢).

ولم تزل الشيعة مقيمة على عدالته ووثاقته والرجوع إليه في المهمات طول حياته وقد نقلت عنه دلائل كثيرة ومعجزات الإمام التي ظهرت على يده وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم في هذا الأمر بصيرة، وكان يلتقي بالإمام المهدي عليه السلام مراراً حتى أنه قال: والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه (٣).

(١) المصدر نفسه ص ٣٤٨.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٤٩.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٥٠.

وسئل ذات مرة: رأيت صاحب هذا الأمر؟ قال: نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول: اللهم أنجز لي ما وعدتني.
وقال: رأيت صلوات الله عليه متعلقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول: اللهم انتقم بي من أعدائك^(١).

النائب الثالث أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي

وهو النائب الثالث وقد عينه الإمام عليه السلام وأخبر بذلك محمد بن عثمان وأمر الشيعة بالرجوع إليه في المهمات، وكان أبو القاسم ثقة ومحل اعتماد الإمام عليه السلام وقد ذكر العلامة المجلسي عن كتاب الغيبة للشيخ الطوسي أن جعفر بن أحمد ابن متيل القمي كان من خواص ووكلاء النائب الثاني وكان الشيعة لا يشكّون في كونه هو النائب بعد العمري الثاني، وقد روي عن علي بن محمد بن متيل عن عمه جعفر بن أحمد بن متيل قال: لما حضرت أبا جعفر محمد بن عثمان العمري الوفاة كنتُ جالساً عند رأسه أسأله وأحدثه وأبو القاسم بن روح عند رجله فالتفت إليّ ثم قال: أمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح قال: فقممت من عند رأسه وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني وتحولت إلى عند رجله^(٢) وهذا يدلّ على ورع وتقوى هذا الرجل وشدة تسليمه لإمامه مع أن الناس كانوا أقرب إليه من الحسين بن روح، ولكن مع ذلك امتثل للأمر وأطاع بكل تواضع.

وبذلك استلم مهام النيابة الحسين بن روح النوبختي وهو من عائلة عرفت بالعلم والفضل والإخلاص لأهل البيت عليهم السلام وخرج منهم المنصفون وأهل العلم

(١) المصدر نفسه ص ٣٥١.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٥٤ ح ٥.

والكلام، واستمرت نيابة الحسين بن روح أكثر من ٢١ عاماً كان خلالها المرجع للشيعة إلى عام ٣٢٦هـ عندما التحق بربّه وودّع هذه الدُّنيا ودفن في بغداد ويقع قبره الآن داخل سوق (الشورجة) إلى جانب مسجد وهو مزار الخواص والعوام.

النائب الرابع أبو الحسن علي بن محمّد السمری

وقبل وفاة الحسين بن روح أوصى إلى علي بن محمّد السمری بأمر النيابة، كما أمره الإمام المهدي عليه السلام بذلك، وأبلغ الحسين بن روح ذلك الأمر إلى كبار الشيعة عنده، فقام السمری بما كان يقوم به النواب قبله من العمل والاتصال بين الإمام عليه السلام وشيعته ومواليه إلى أن التحق بربّه.

فكانت فترة الغيبة الصغرى (٧٠) عاماً كلّها مليئة بالتوتر والحساسية وذلك لمراقبة جواسيس بني العباس لكبار الشيعة ودخولهم في مجالسهم وطرح المواضيع الحساسة أيضاً ممّا فرض على الوكلاء الأربعة العمل بالتقية والحيلة والحذر والسرية التامة، بينما كان خلفاء بني العباس يعتقدون أنّ المهدي موجود وأنّ نهايتهم ونهاية كلّ ظالم ستكون على يديه ممّا دعاهم ذلك إلى دسّ الجواسيس في الوسط الشيعي، فعلى سبيل المثال ذكر الكليني في الكافي عن الحسين بن الحسن العلوي قال: كان رجل من ندماء روز حسني وآخر معه فقال له: هو ذا - يقصد الإمام المهدي - يجبي الأموال وله وكلاء وسمّوا جميع الوكلاء في النواحي وأنهى ذلك إلى عبيدالله بن سليمان الوزير فهم الوزير بالقبض عليهم فقال السلطان: اطلبوا أين هذا الرجل فإنّ هذا أمر غليظ، فقال عبيدالله: نقبض على الوكلاء، فقال السلطان: لا، ولكن دسّوا لهم قوماً لا يعرفون بالأموال، فمن قبض منهم شيئاً قبض عليه، قال: فخرج - توقيع من الإمام المهدي - بأن يتقدّم إلى جميع الوكلاء أن لا يأخذوا من أحد شيئاً وأن يمتنعوا من ذلك ويتجاهلوا الأمر، فاندس لمحمّد بن أحمد رجل لا يعرفه

وخلا به فقال: معي مال أريد أن أوصله، فقال له محمد: غلظت أنا لا أعرف من هذا شيئاً، فلم يزل يتلفّفه ومحمد يتجاهل عليه ويثو الجواسيس وامتنع الوكلاء كلهم لما كان تقدّم إليهم^(١).

ولشدّة الأوضاع السياسية الضاغطة خرجت الأوامر بحرمة تداول اسم الإمام، فقد ذكر الكليني أن عبدالله بن جعفر الحميري سأل عثمان بن سعيد العمري: أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمد^(٢)؟ فقال: إي والله... فقلت: فالاسم؟ قال: محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي فليس لي أن أحلّل ولا أحرّم ولكن عنه^(٣) فإن الأمر عند السلطان أن أبا محمد مضي ولم يخلف ولداً وقسم ميراثه وأخذ من لا حق له فيه وهوذا، عياله^(٤) يجولون ليس أحد يجسر أن يتعرّف إليهم أو ينيلهم شيئاً، وإذا وقع الاسم وقع الطلب فاتّقوا الله وأمسكوا عن ذلك^(٥)، حتّى أن وكلائه^(٦) ما كان يتلفّظون باسمه الصريح بل كانوا يقولون «صاحب الزمان» أو «بقية الله» أو «حجة آل محمد» أو غير ذلك.

فقد ذكر الكليني عن أبي عبدالله الصالحى قال: سألتني أصحابنا بعد مضي أبي محمد^(٧) أن أسأل عن الاسم والمكان، فخرج الجواب: إن دللتهم على الاسم أذاعوه وإن عرفوا المكان دلّوا عليه^(٨). وحرمة التلفّظ باسمه الشريف

(١) أصول الكافي ج ١ كتاب الحجّة، باب مولد صاحب^(٩) ح ٣٠ ص ٥٢٥.

(٢) المصدر، باب في تسمية من رآه، ذيل حديث ١.

(٣) المصدر السابق، باب النهي عن الاسم ح ٢.

أقول؛ وروي أنّه خرج توقيع منه عليه الصلاة والسلام في غيبته الصغرى: ملعون ملعون من سمّاني في محفل من الناس.

وعنه^(١٠) أيضاً: من سمّاني في مجمع من الناس باسمي فعليه لعنة الله. راجع بحار

خاصة بالغيبة الصغرى فقط .

فهذه الروايات تعطي الانطباع الواضح عن مستوى الإرهاب والظلم والاضطهاد الذي مارسه الخلفاء العباسيون ضد أهل البيت عليهم السلام ، ومع موت النائب الرابع دخل الإمام عليه السلام في غيبته الكبرى وانتهى موضوع النيابة الخاصة ، فلا أحد يتصل بالإمام بعد ذلك على أساس الوكالة الخاصة ولا يمكن لأحد أن يدعي هذا وكل من زعم ذلك فهو كاذب قطعاً ، كما حصل هذا لكثير من المفترين منهم (علي محمد ابن الميرزا رضائي البزاز الشيرازي وأمه خديجة) الذي ادعى أنه نائب الإمام المهدي وبابه الخاص فأعلن دعوته هذه في شيراز واصفهان ثم قبض عليه وأعدم في عهد ناصر الدين شاه ، وسُمي أتباعه بـ (البابية) ثم انشقوا على أنفسهم إلى (البابية) و(البهائية) علماً أنه لم يتبعه إلا البسطاء والمغفلون وأصحاب الأطماع الذين غرتهم الأموال ، وقد فات عليهم أن الإمام المهدي اسمه (محمد) وهذا المدعي الكذاب اسمه (علي) واسم أم الإمام (السيدة نرجس) بينما اسم أم المدعي (خديجة) ووالد الإمام عليه السلام هو الإمام الحسن العسكري وليس الميرزا رضائي ، ثم إن الإمام عليه السلام ولد في سامراء والمدعي مولود في شيراز في زقاق (شمشيرگرها) والإمام يظهر من مكة ، وقد أعلن المدعي الكذاب دعوته من بوشهر ثم شيراز وأخيراً في اصفهان ، والإمام لا يزال على قيد الحياة إلى وقت ظهوره بينما سُجن علي محمد في شيراز واصفهان وتبريز ثم أُعدم ومات .

وهكذا فإنك لا تجد أي نقطة يشترك بها هذا المفتري مع الإمام المهدي عليه السلام

→ الأنوار ج ٥٣ ص ١٨٤ ح ١٣ و ١٤ .

وهذا المنع واللعن مختص بالغيبة الصغرى وذلك لخصوصية النيابة الخاصة . /
المترجم .

ومع ذلك تبعه أصحاب المطامع والأهواء^(١).

على أن الإمام سلام الله عليه كان قد أغلق الطريق أمام هؤلاء المفترين من خلال رسالته التي حملها التائب الرابع إلى الشيعة، وقد ذكرها الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة وغيره من أكابر العلماء، وجاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم: يا علي بن محمد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك؛ فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسيأتي من شيعتي من يدعي المشاهدة ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(٢).

ومن هذه الرسالة المباركة تتضح لنا عدة أمور منها:

أولاً: أنه ﷺ ذكر بعض العلامات الحتمية قبل ظهوره منها السفيناني والصيحة، فكل من ادعى المهدوية قبل ظهور وحصول هذه العلامات فهو كاذب.

ثانياً: وذكر ﷺ العلامة الأخرى وهي عمومية الفساد في الأرض، ومن الفساد أيضاً هو ظهور السفيناني نفسه^(٣).

(١) لزيادة التفصيل حول كيفية ظهور وصناعة تيار البابية يراجع كتاب مذكرات الجاسوس الروسي كينياز دالگوركي ففيه القصة الكاملة والكتاب باللغة الفارسية / المترجم.

(٢) كتاب الغيبة للطوسي ص ٢٥٧.

(٣) السفيناني: هو عثمان بن عنبسة يظهر في الشام ثم يحتل العراق فيبيع القتل فيه لثلاثة أيام ويملكه لمدة ٩ أشهر ثم يرسل ثلاثمائة ألف جندي لاحتلال الحجاز

ثالثاً: والعلامة الأخرى التي ذكرها الإمام عليه السلام هي الصيحة، وتكون في وقت السحر عندما يظهر الإمام عليه السلام مع جيشه في مكة، والظاهر أن كل قوم يسمعون النداء بلغتهم والعبارة هذه «قد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً»^(١). فهذه الرسالة الشريفة التي ذكرت هذه العلامات سدت الطريق أمام المفتريين الذين يدعون المهدوية، فلا نيابة خاصة في الغيبة الكبرى، نعم لقد أرجع الإمام المهدي عليه السلام شيعته إلى نوابه غير الخاصين وهم الفقهاء والمراجع وكل واحد منهم يمارس النيابة العامة لا الخاصة، وفي الأمور الشرعية.

سؤال: ما هو الفرق بين النائب الخاص والنائب العام؟

الجواب: النائب الخاص هو المعين من قبل الإمام نفسه عليه السلام ولهم اطلاع وعلم عن مكان الإمام ومحل سكناه ويجالسونه ويحاورونه ويجلبون إليه رسائل شيعته ثم يأخذون منه الأجوبة ويردوها إليهم.

أما النائب العام فكل واحد من الفقهاء والمجتهدين الكبار هو نائب عام فليس هناك تحديد لاسمه بل هناك تحديد لبعض الصفات التي ذكرها الإمام عليه السلام وكل من تحلى بها فهو بمنزلة النائب العام، إلا أنه غير عالم بمكان الإمام ولا يلتقيه، أما صفاته فهي قوله عليه السلام: «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا في بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم»^(٢).

→ فيُخسف بهم في الصحراء عندها يظهر الإمام عليه السلام في مكة ويقاتل جيش السفيناني في بيت المقدس، فيفر السفيناني إلى الكوفة فيلحقه الإمام عليه السلام ثم يهرب إلى الشام وهكذا إلى أن يقتله ويقيم دولة الحق. / المؤلف

(١) أنظر علامات الظهور في غيبة الطوسي ص ٢٦٥ / المترجم.

(٢) تفسير البرهان ج ١ ص ١١٨، ط الرحلي القديم.

وورد أيضاً عن الإمام المهدي عليه السلام توقيع عن طريق نائبه محمد بن عثمان عندما سُئل عليه السلام عمن تؤخذ الأحكام فكتب عليه السلام: أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم^(١).

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام: انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فارضوا به حكماً فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنّما بحكم الله استخفّ وعلينا ردّ والرادّ علينا رادّ على الله وهو في حدّ الشرك بالله^(٢).

وفي رواية أخرى قال: مجاري الأمور بيد العلماء بالله الأئمّة على حلاله وحرامه^(٣).

فيستفاد من هذه المرويات أن كلّ من حصلت له القدرة على استنباط الحكم الشرعي من الكتاب والسنة مع بقية الصفات المذكورة يكون نائباً عاماً، ومعنى نيابته هو وجوب رجوع العوام إليه وأخذ الأحكام عنه، لأنّ حكمه حكم الأئمّة عليهم السلام.

سؤال: كم هي مدّة الغيبة للإمام ومتى تنتهي؟

الجواب: قلت سابقاً إنّ الغيبة الصغرى امتدّت إلى أربعة وسبعين عاماً وكان اللقاء يتمّ بالنواب الأربعة، ومع موت الرابع حصلت الغيبة الكبرى ولا يعلم أمدّها إلا الله تعالى.

نعم، هناك علامات ذُكرت في الروايات (وعند الفريقين) تحصل قبل ظهوره ف+تكون دليلاً على قرب الظهور المبارك، ومنها الحتمية وغير الحتمية.

(١) البحار ج ٥٣ ص ١٨١ ح ١٠.

(٢) البحار ج ٢، ص ٢٢١ الرواية الأولى، الباب التاسع والعشرون.

(٣) البحار ج ١٠٠، ص ٨٠ الرواية (٣٧) الباب الأول.

سؤال: لقد قلت إنّ طيلة الغيبة الصغرى كان فيها نواب أربعة وكانت الشيعة تلتقي وتتعامل معهم، فمن أين يحصل الوثوق بهم وبما يدّعون، إذ من الممكن أن يدّعي ذلك الكثير من الناس وفي مناطق متعدّدة ونائية ويخدعون الناس بذلك؟

الجواب: أولاً: الشيعة لا يتبعون كلّ مَنْ يدّعي شيئاً بل هم يتبعون الدليل المقنع والبرهان الواضح.

وثانياً: فقد نصّ الإمام الهادي والحسن العسكري عليهما السلام على نيابة عثمان بن سعيد العمري وابنه محمد بن عثمان (النائب الأول والثاني للإمام المهدي) وقد سمع الشيعة هذه النصوص واشتهرت بينهم في حياة هذين الإمامين عليهما السلام. وثالثاً: ومضافاً لذلك فقد حصلت بعض الأمور الخارقة للعادة التي تدلّ على صدق الدعوى^(١) أو من خلال بعض الاختبارات التي تعرّض لها النواب فحصل الوثوق بهم من مجموع ذلك، ولكي يتّضح المطلوب أذكر لكم ثلاثة وقائع كلّ واحدة منها تدلّ على صحّة مدّعى الوكلاء.

خبر أبي العباس ومعجزة الإمام في تعيين النائب الحكاية الأولى

في البحار عن أحمد الدينوري السراج المكنى بأبي العباس الملقّب باستارة قال: انصرفت من أربيل - مدينة إيرانية - إلى دينور وأريد أن أحجّ

(١) عُرفت المعجزة: إنّها العمل الخارق للعادة غير قابل للتقاضي في معرض التحدي أو غيره وتدلّ على صدق الدعوى، فعندما تظهر المعجزة على يد النبي تكون دليلاً لا يمكن رده على صدق دعوته ونبوته وهكذا بالنسبة للإمام، وهكذا بالنسبة للسفراء الأربعة، وهذا ما قصده المؤلف رحمه الله / المترجم.

وذلك بعد مضي أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام بسنة أو سنتين وكان الناس في حيرة فاستبشر أهل دينور بموافاتي واجتمع الشيعة عندي فقالوا: اجتمع عندنا ستة عشر ألف دينار من مال الموالي ونحتاج إلى أن نحملها معك ونسلمها بحيث يجب تسليمها قال: قلت يا قوم هذه حيرة ولا نعرف الباب في هذا الوقت، فقالوا: إنما اخترناك لحمل هذا المال لما نعرف من ثقتك وكرمك فاعمل على أن لا تخرجه من يدك إلا بحجة، قال: فحمل إلي ذلك المال في صرر باسم رجل رجل فحملت ذلك المال وخرجت فلما وافيت قرميسين كان أحمد بن الحسن بن الحسن مقيماً بها فصرت إليه مسلماً فلما لقيني استبشر بي ثم قال لي: احمل هذا معك ولا تخرجه عن يدك إلا بحجة، قال: فقبضت المال والتخوت بما فيها من الثياب فلما وردت بغداد لم يكن لي همة غير البحث عمّن أشير إليه بالنيابة فقبل لي إن هاهنا رجلاً يُعرف بالباقطني يدعي النيابة وآخر يعرف بإسحاق الأحمر يدعي النيابة وآخر يُعرف بأبي جعفر العمري يدعي النيابة، قال: فبدأت بالباقطني وصرت إليه فوجدته شيخاً مهيباً له مروة ظاهرة وفرس عربي وغللمان كثير ويجتمع إليه الناس يتناظرون قال: فدخلت إليه وسلمت عليه فرحب وسرّ وقرب قال: فأطلت القعود إلى أن خرج أكثر الناس قال: فسألني عن ديني فعرفته أنني رجل من أهل دينور وافيت ومعني شيء من المال أحتاج أن أسلمه فقال لي: احمله، قلت: أريد حجة؟ قال: تعود إلي في غد، قال: فعدت إليه من الغد فلم يأت بحجة وعدت إليه في اليوم الثالث فلم يأت بحجة قال: فصرت إلى إسحاق الأحمر فوجدته شاباً نظيفاً منزله أكبر من منزل الباقطني وفرسه ولباسه ومروته أسرى وغلمانه أكثر من غلماناه ويجتمع عنده من الناس أكثر ممّا يجتمع عند الباقطني، قال: فدخلت وسلمت فرحب وقرب قال: فصبرت إلى أن خفّ الناس، قال: فسألني عن حاجتي؟ فقلت له كما قلت للباقطني وعدت إليه ثلاثة أيّام فلم يأت بحجة، فصرت إلى

أبي جعفر العمري فوجده شيخاً متواضعاً عليه مبطنة بيضاء قاعد على لبد في بيت صغير ليس له غلمان ولا له من المروة والفرس ما وجدت لغيره قال: فسلمت فردّ الجواب وأذناني وبسط منّي ثم سألني عن حالتي فعرفته أنّي وافيت من الجبل وحملت مالا، قال: فقال: إن أحببت أن يصل هذا الشيء إلى من يجب أن يصل إليه تخرج إلى سرّ من رأى وتسأل دار ابن الرضا وعن فلان بن فلان الوكيل، وكانت دار ابن الرضا عامرة بأهلها فإنك تجد هناك ما تريد، قال: فخرجت من عنده ومضيت نحو سرّ من رأى وصرت إلى دار ابن الرضا وسألت عن الوكيل فذكر البواب أنّه مشغول في الدار وأنّه يخرج آنفاً فقعدت على الباب أنتظر خروجه فخرج بعد ساعة فقمّت وسلمت عليه وأخذ بيدي إلى بيت كان له وسألني عن حالتي وما وردت له، فعرفته أنّي حملت شيئاً من المال من ناحية الجبل وأحتاج أن أسلمه بحجّة، فقال: نعم، ثمّ قدّم إليّ طعاماً وقال لي تغد بهذا واسترح فإنك تعبت فإنّ بيننا وبين الصلاة الأولى ساعة فبأنّي أحمل إليك ما تريد. قال: فأكلت ونمت فلما كان وقت الصلاة نهضت وصليت وذهبت إلى المشرعة واغتسلت وانصرفت إلى بيت الرجل وسكنت إلى أن مضى الليل ربه فجانني بعد أن مضى من الليل ربه ومعه درج فيه: بسم الله الرحمن الرحيم وافى أحمد بن محمد الدينوري وحمل ستّة عشر ألف دينار في كذا وكذا صرة فيها صرة فلان بن فلان كذا وكذا دينار إلى أن عدّد الصرر كلّها وصرة فلان ابن فلان الزّراع ستّة عشر ديناراً قال فوسوس لي الشيطان فقلت إنّ سيدي أعلم بهذا منّي فما زلت أقرأ ذكره صرة صرة وذكر صاحبها حتّى أتيت عليها عند آخرها ثمّ ذكر قد حمل من قرميسين من عند أحمد بن الحسن المادواني أخي الصّوان كيس ألف دينار وكذا وكذا تختاً من الثياب منها ثوب فلان وثوب لونه كذا حتّى نسب الثياب إلى آخرها بأنسابها وألوانها، قال: فحمدت الله وشكرته على ما منّ به عليّ من إزالة الشكّ عن قلبي فأمر بتسليم جميع ما حملت إلى حيث يأمرك

أبو جعفر العمري، قال: فأنصرفت إلى بغداد وصرت إلى أبي جعفر العمري قال: وكان خروجي وأنصرافي في ثلاثة أيام قال: فلما بصر بي أبو جعفر قال: لِمَ لم تخرج؟ فقلت: ياسيدي من سامراء أنصرفت، قال: فأنا أحدث أبا جعفر بهذا إذ وردت رقعة على أبي جعفر العمري من مولانا صاحب الأمر عليه السلام ومعها درج مثل الدرج الذي كان معي فيه ذكر المال والثياب وأمر أن يسلم جميع ذلك إلى أبي جعفر محمد بن أحمد بن جعفر القطان القمي فلبس أبو جعفر العمري ثيابه وقال لي: احمل ما معك إلى منزل محمد بن أحمد، قال: فحملت المال والثياب إلى محمد بن أحمد بن القطان وسلمتها إليه وخرجت إلى الحج فلما رجعت إلى دينور اجتمع عندي الناس فأخرجت الدرج الذي أخرجه وكيل مولانا عليه السلام إليّ وقرأته على القوم فلما سمع بذكر الصرة باسم الزراع سقط مغشياً عليه وما زلنا نعلله حتى أفاق فلما أفاق سجد شكراً لله عز وجل وقال: الحمد لله الذي من علينا بالهداية الآن علمت أن الأرض لا تخلو من حجة، هذه الصرة دفعها إلى هذا الزراع لم يقف على ذلك إلا الله عز وجل...^(١).

حكاية أحمد بن أبي روح

روي عن أحمد بن أبي روح قال: وجهت إلي امرأة من دينور فأتيتها فقالت: يابن أبي روح أنت أوثق من في ناحيتنا ديناً وورعاً وأني أريد أن أودعك أمانة أجعلها في رقبتك تؤذيها وتقوم بها، فقلت: أفعل إن شاء الله، فقالت: هذه دراهم في هذا الكيس المختوم لا تحله ولا تنظر فيه حتى تؤذيه إلى من يخبرك بما فيه وهذا قرطي يساوي عشرة دنائير وفيه ثلاث حبات تساوي عشرة دنائير ولي إلى صاحب الزمان حاجة أريد أن يخبرني بها قبل أن أسأله

(١) إلزام الناصب ج ١ ص ٤٠٥ الفصن الخامس من المعجزة الخامسة.

عنها فقلت: وما الحاجة؟ قالت: عشرة دنائير استقرضتها أمي في عرس ولا أدري عمّن استقرضتها ولا أدري إلى من أدفعها، قالت: إن أخبرك بها فأدفعها إلى من يأمرك بها، قال: وكيف أقول لجعفر بن علي، فقلت: هذه المحنة بيني وبين جعفر بن علي، فحملت المال وخرجت حتى دخلت بغداد فأتيت حاجز ابن يزيد الوشاش فسلمت عليه وجلست قال: ألك حاجة؟ قلت: هذا مال دفع إليّ لا أدفعه إليك حتى تخبرني كم هو ومن دفعه إليّ فإن أخبرني دفعته إليك، قال: يا أحمد بن أبي روح توجه به إلى سرّ من رأى، فقلت: لا إله إلا الله لهذا أجل شيء أردته فخرجت ووافيت سرّ من رأى فقلت: أبدأ بجعفر ثم تنكرت فقلت: أبدأ بهم فإن كانت المحنة من عندهم وإلا مضيت إلى جعفر - الكذاب - فدنوت من دار أبي محمد فخرج إليّ خادم فقال: أنت أحمد بن أبي روح؟ قلت: نعم، قال: هذه الرقعة اقرأها فإذا فيها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن أبي روح أودعتك عاتكة بنت الديناري كيساً فيه ألف درهم بزعمك وهو خلاف ما نظنّ وقد أدّيت فيه الأمانة ولم تفتح الكيسة ولم تدر ما فيه، وفيه ألف درهم وخمسون ديناراً ومك قرط زعمت المرأة أنه يساوي عشرة دنائير صدقت مع الفصين الذين فيه وفيه ثلاث حبّات لؤلؤاً شراؤها عشرة دنائير ويساوي أكثر فادفع ذلك إلى خادمتنا فلانة فبأنّ قد وهبناه لها، وصر إلى بغداد وادفع المال إلى الحاجز وخذ منه ما يعطيك لنفقتك إلى منزلك، وأمّا عشرة الدنائير التي زعمت أنّ أمّها استقرضتها في عرسها وهي لا تدري من صاحبها بل هي تعلم لمن هي، لكلثوم بنت أحمد وهي ناصبية فتخرجت أن تعطيها وأحبّت أن تقسمها في أخواتها فاستأذنتنا في ذلك، فلفرقها في ضعفاء أخواتها ولا تعودنّ يا ابن أبي روح إلى القول بجعفر والمحنة له وارجع إلى منزلك، فإنّ عدوك قد مات وقد رزقك الله أهله وماله، فرجعت إلى بغداد وناولت الكيس حاجزاً فوزنه فإذا فيه ألف درهم وخمسون ديناراً فناولني ثلاثون ديناراً وقال: أمرت بدفعها إليك

لنفقتك فأخذتها وانصرفت إلى الموضع الذي نزلت فيه وقد جاءني من يخبرني أن عمي قد مات وأهلي يأمررون بالانصراف إليهم فرجعت فإذا هو قد مات وورثت منه ثلاثة آلاف دينار ومائة ألف درهم^(١).

حكاية محمد بن الحسن الصيرفي

روي عن محمد بن الحسن الصيرفي المقيم بأرض بلخ: أردت الخروج إلى الحج وكان معي مال بعضه ذهب وبعضه فضة فجعلت ما كان معي من الذهب سبائك وما كان معي من فضة نقراً وكان قد دفع ذلك المال إلي لأسلمه إلى الشيخ الحسين بن روح، قال: فلما نزلت سرخس - مدينة إيرانية - ضربت خيمتي على موضع فيه رمل وجعلت أميز تلك السبائك والنقر فسقطت سبيكة من تلك السبائك مني وغاصت في الرمل وأنا لا أعلم فلما دخلت همدان - مدينة إيرانية - ميزت تلك السبائك والنقر مرة أخرى اهتماماً مني بحفظها ففقدت منها سبيكة وزنها مائة مثقال وثلاثة مثاقيل أو ثلاثة وتسعون مثقالاً، فسبكت مكانها من مالي بوزنها سبيكة وجعلتها بين السبائك فلما وردت مدينة السلام قصدت الشيخ الحسين بن روح وسلمت إليه ما كان معي من السبائك والنقر فمدّ يده من بين السبائك إلى السبيكة التي كنت سبكتها من مالي وقال: ليست هذه السبيكة لنا سبيكتنا ضيعتها بسرخس حيث ضربت خيمتك في الرمل فارجع إلى مكانك وانزل حيث نزلت واطلب السبيكة هناك تحت الرمل فإنك ستجدها وتعود إلي ها هنا فلا تراني فرجعت إلى سرخس ونزلت حيث كنت ووجدت السبيكة وانصرفت إلى بلدي فلما كان بعد ذلك حججت ومعني السبيكة فدخلت مدينة السلام وقد كان الشيخ الحسين بن روح مضى ولقيت أبا

الحسن السمرى فسلمت إليه السيكة^(١).

سبب انحراف بعض أصحاب الأئمة

إن انحراف بعض أصحاب الأئمة لا يختلف عن انحراف بعض أصحاب رسول الله ﷺ إذ يعود السبب الحقيقي إلى نفسيتهم التي لم تنهل شيئاً من نورانية النبوة أو الإمامة، كالأحجار السوداء التي تعكس كل أشعة الشمس الساقطة عليها، فهؤلاء كانت قلوبهم كما وصف الله تبارك وتعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(٢) فالحجاب النفسي منعهم باختيارهم من الإحساس بالرحمة الإلهية وفيض النبوة، وهكذا بالنسبة لبعض أصحاب الأئمة، وسبب هذا الحجاب هو حب الدنيا وما يتعلق بها كالمال والجاء والسمعة والشهرة.

فمثلاً بعد أن مضى الإمام العسكري عليه السلام وتصدى عثمان بن سعيد للنيابة الخاصة ومن بعده محمد بن عثمان، تحركت الأهواء في نفس أبي محمد حسن الشريعي وطمع في متاع الدنيا الزائل وخدعه شيطانه وأغراه بقليل من حطام هذه الدنيا، مع أنه كان من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام والإمام العسكري عليه السلام وهو أول من ادعى مقاماً لم يجعله الله فيه ولم يكن أهلاً له وكذب على الله وعلى حججه عليه السلام ونسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء، فلعبته الشيعة وتبرأت منه وخرج توقيع الإمام عليه السلام بلعنه والبراءة منه، ثم ظهر منه القول بالكفر والإلحاد. فافتضح أمره وخاب سعيه وانكشفت لعبته وخرج عن

(١) المصدر السابق ص ٤١٣ المعجزة ٧.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٩.

المذهب الحق^(١).

وبعد الشريعي كان محمد بن نصير النميري وقد تقدّم الكلام عنه سابقاً وهو من جملة المنحرفين عن المذهب، لأنه ادّعى النبوة والتناسخ وأباح السفاح وإتيان الرجال وكان يزعم أن ذلك من التواضع والإحبات والتذلل في المفعول به وأنه من الفاعل إحدى الشهوات والطيبات وأن الله عز وجل لا يحرم شيئاً من ذلك على لذة، وقد ذكر الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة:

أخبرني أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان أنه رآه عياناً وغلّام له على ظهره قال: فلقيته - أي للنميري - فعاتبته على ذلك - اللواط - فقال: إن هذا من اللذات وهو من التواضع لله وترك التجبر!!^(٢).

مع أن الله تعالى قد ذكر في قصة لوط أن هلاكهم كان بسبب هذه الفاحشة المقيتة القذرة، وأن الحكم الشرعي لمثل هؤلاء اللواطين هو القتل مع العذاب إما بالإحراق أو الرجم أو رميه من شاهق، ولهذا فإن الإمام الحسن العسكري عليه السلام لعنه مع الحسن بن محمد المعروف بابن (بابا) وفارس بن حاتم^(٣).

(١) أنظر كتاب الغيبة للطوسي ص ٢٤٤ / المترجم.

(٢) الغيبة للطوسي ص ٢٤٥ ورجال الكشي ج ٢ ص ٨٠٥ رقم ١٠٠٠، ط مؤسسة آل البيت عليه السلام قم.

(٣) المصدر نفسه ص ٢١٣.

قال سعد: حدّثني العبيدي (محمد) قال: كتب إلي العسكري عليه السلام ابتداءً منه: أبرء إلى الله من الفهري والحسن بن محمد بن بابا القمي فأبرء منهما فإنني محدّرك وجميع موالي وأتبي ألنهما عليهما لعنة الله، مستأكلين يأكلان بنا الناس فتانين مؤذنين أذاهما الله وأركسهما في الفتنة ركساً، يزعم ابن بابا أنني بعثته نبياً وأنه باب عليه لعنة الله سخر منه الشيطان فأغواه فلعن الله من قبل منه ذلك ... / اختيار معرفة الرجال المجلّد ٢، ج ٦ ص ٨٠٥ رقم ٩٩٩ ط مؤسسة آل البيت / المترجم.

وهكذا لعنه النائب الثاني أيضاً، ولم يبق معه إلا الفاسق الفاسد وهم الذين يقصدهم الشهرستاني وأصحاب الملل والنحل.

وبعدهما ظهر انحراف إسحاق بن زيد بن الحرث، ومذهبه على غرار النصيري في الإباحة والحلول والغلو وأن علياً شريك رسول الله ﷺ!! وأتباعه كأتباع النصيري المتقدم ذكره.

«الكيسانية»: قال الشهرستاني: أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه وقيل تلميذ للسيد محمد بن الحنفية رضي الله عنه، يعتقدون فيه اعتقاداً فوق حدّه ودرجته، من إحاطته بالعلوم كلّها، واقتباسه من السيّدين الأسرار بجملتها من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس... وحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل، وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت، فمن مقتصر على واحد - إمام واحد - معتقد أنّه لا يموت، ومن معتقد حقيقة الإمامة إلى غيره...^(١).

«المختارية»: أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان خارجياً ثم صار زبيرياً ثم صار شيعياً وكيسانياً، وكان يظهر أنّه من رجال محمد بن الحنفية.. وإنّما انتظم له ما انتظم بأمرين: أحدهما: انتسابه إلى محمد بن الحنفية علماً ودعوة، والثاني: قيامه بثأر الحسين بن عليّ رضي الله عنهما واشتغاله ليلاً ونهاراً بقتال الظلمة الذين اجتمعوا على قتل الحسين، وكان يدّعي علم ما يحدث من الأحوال إمّا بوحي يوحى إليه، وإمّا برسالة من قبل الإمام، فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة فإن وافق كونه قوله جعله دليلاً على صدق دعواه، وإن لم يوافق قال: قد بدا الربكم^(٢).

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١١٨ الفصل السادس.

(٢) المصدر السابق.

دراسة حول الكيسانية ومحمد بن الحنفية

هذه المعلومات التي أوردها الشهرستاني لا تختلف عن ترهاته فيما تقدم. نعم، يمكن أن نقول هنا إن كيسان فعلاً هو مولى أمير المؤمنين عليه السلام وكان تلميذاً لمحمد بن الحنفية، وقد زعم أن الإمام بعد الحسين هو ابن الحنفية واستدل بأن أمير المؤمنين عليه السلام أعطاه الراية في حرب الجمل وقال له: أنت إبنى حقاً^(١). ومع أن هذه الفرقة قد انقرضت ولم يبق منها إلا الاسم وفي الكتب فقط^(٢) ولكن مع ذلك سوف نذكر ما يتصل منها بشخصية محمد بن الحنفية ونكشف المغالطات في كلام الشهرستاني لأنها مسؤولة للحيلولة دون الانخداع بها من قبل الشباب أو الناس غير المطلعين فنقول:

محمد بن الحنفية هو الابن الثالث لأمر المؤمنين علي عليه السلام وقد عُرف بالعلم والزهو والشجاعة في زمانه، كما له بعض الخصائص التي انفرد بها منها اسمه كما ذكر العلامة المجلسي عن تفسير الشعلي ورسالة السمعاني وأصول الحديث لابن البيع وفصائل العشرة لأبي السعادات وتاريخ بغداد وتاريخ البلاذري وخصائص النطنزي بأسانيدهم عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) الغيبة للطوسي ص ١٦ / المترجم.

(٢) والعجيب أن الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٥٤٠هـ ذكر في كتابه الغيبة عن الفرقة الكيسانية فقال: انقرضت هذه الفرقة فإنه لم يبق في الدنيا في وقتنا - القرن الرابع - ولا قبله بزمان طويل قاتل يقول به، ولو كان ذلك حقاً لما جاز انقراضه / الغيبة ص ١٧.

علماً أن المؤلف تطرق إلى ذكر الكيسانية بشكل موجز جداً في ليالي بيشاور ص ١٣١ / المترجم.

إِنَّ ولدك غلام نحلته اسمي وكنيتي^(١)، وبرواية السمعاني وأحمد بن حنبل أَنَّهُ ﷺ قال: فسمه بإسمي وكنه بكنيتي وهو له رخصة دون الناس^(٢) لَأَنَّهُ ﷺ قال في حديث آخر: لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي، أنا أبو القاسم، الله يعطي وأنا القاسم^(٣)، وقال ﷺ في حديث آخر: سمّوا بإسمي وكنّوا بكنيتي ولا تجمعوا بينهما^(٤).

ولكن مع ذلك أُعطيت الرخصة لمحمد بن الحنفية فهو أبو القاسم محمد، وبلا شك فإن إعطاء مثل هذه الميزة والرخصة له دليل على امتيازهِ وشرفهِ.

سؤال: هل هذا المنع مختص ومحدد بزمان معين أم غير محدّد؟

الجواب: هذا المنع غير مقيد بزمان دون زمان بل هو عام باتفاق المسلمين وقد خرج من هذا العموم اثنان بالنصوص الخاصة بهما، الأول هو محمد بن الحنفية كما تقدّمت النصوص عليه، والآخر هو الإمام المهدي ﷺ فقد روى الشيعة والسنة قول رسول الله ﷺ عن الإمام المهدي أَن اسمه اسمي وكنيته كنيتي، فقد ذكر الشيخ المفيد والصدوق في كمال الدين والأربلي في كشف الغمّة والمجلسي في البحار وابن طاووس في الملاحم والفتن، وهكذا أبو نعيم الاصفهاني في نعت المهدي والأحاديث الأربعين والمتقي الهندي في البرهان في علامات مهدي آخر الزمان وسبط ابن الجوزي في حالات المهدي ﷺ والحنفي في ينابيع المودة والكنجي في البيان وغيرهم بألفاظ مختلفة وتعابير متعدّدة مع اتحادها في المعنى، وكذلك في فرائد السمطين ومناقب الخوارزمي

(١) البحار ج ٣٨ ص ٣٠٤ ط طهران.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) البحار ج ١٦ ص ١١٣ ح ٤٢.

(٤) المصدر نفسه ج ٣٨ ص ٣٠٤ ح ٥.

وأبو داود والزهرري عن عدة من الصحابة عن أمير المؤمنين عليه السلام وجابر بن عبدالله الأنصاري وأبو سعيد الخدري وعبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً يكون له غيبة وحيرة يضل فيها الأمم، يقبل كالشهاب الثاقب، يملأها عدلاً وقسطاً كما مثلت جوراً وظلماً^(١)، فيظهر أن هذا من خصائص المهدي عليه السلام ومحمد بن الحنفية فقط.

سؤال: عفواً ياسيدي أنا أسأل للاستيضاح، لماذا تُنسب محمد إلى أمه الحنفية مع أنه ابن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه؟ فإن نسبته إليه أفضل وأشرف من نسبته إليها؟

الجواب: هذا صحيح وكان في عهده يُنسب إلى علي عليه السلام أيضاً ولكن غلبت نسبته إلى أمه نظراً إلى أن أمه السيدة خولة (بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيدالله بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لجيم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل) عُرِفَت بالعفة والصلاح وقوة القلب وكمال الفصاحة والبلاغة في قبيلة بني يربوع واليمنة واليمن حتى اشتهر أمرها بذلك، فهو يُنسب إليها لشهرتها بتلك الخصال الجميلة، فهو قد جمع الشرف من جهتين الأب والأم.

(١) البحار ج ٥١ ص ٧١ باب ما ورد من الأخبار في القاسم عليه السلام ح ١٣ و ١٦ و ١٧ ط بيروت.

وكشف الغمّة ج ٢ ص ١٠١٦ ط الشريف الرضي قم.

والملاحم والفتن لابن طاووس.

وينايع المودة فصل فضائل المنتظر عليه السلام ص ٣٠٩.

وفراند السمطين ج ٢ ص ٣٣٤ رقم ٥٨٦ - ٥٨٩ ط بيروت بتحقيق المحمودي.

غاية المرام ص ٦٩٥ ح ٢٩.

سؤال: لقد قلت إن السيِّدة خولة من قبيلة بني يربوع في اليمامة واليمن، وأمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه كان في المدينة فكيف اتَّصل بها، مع أنَّ موضوع شهرتها ومنزلتها لم تكن معروفة في المدينة؟

الجواب: على أشهر الآراء أنَّ الاتصال بين أمير المؤمنين (عليه السلام) والسيِّدة خولة حصل في المدينة المنورة أيام خلافة الخليفة الأول، لأنَّها كانت من قبيلة مالك بن نويرة وهو من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) وأهل البيت، ولأجل ذلك قتله خالد بن الوليد ظلماً وعدواناً وزناً بإمرأته واعتدى على ماله وأسر أفراد قبيلته وكانت السيِّدة خولة من جملة الأسرى الذين أتى بهم خالد إلى المدينة، وقد أخذها أمير المؤمنين (عليه السلام).

سؤال: هل يوجد دليل على أنَّ خالد قتلهم وسباهم بسبب حبِّهم لأهل البيت (عليهم السلام)؟

الجواب: لقد تقدَّم الكلام مفصلاً حول هذه الحادثة فلا نكرهه^(١). ولكن أكتفي هنا بذكر خبر واحد وهو موجود في عدَّة مصادر من كتب الفريقين وأنا أنقله لك من البحار وهو كافٍ في جواب ما سألت عنه؛ ذكر العلامة المجلسي عن الخرائج والجرائح للشيخ قطب الدين الراوندي خبراً مفصلاً منه أنَّه لما أُدخل أسارى بني حنيفة مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) توجَّهت خولة بنت جعفر إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبكت ثمَّ قالت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أشكو إليك أفعال هؤلاء القوم سبونا من غير ذنب ونحن مسلمون^(٢).

وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنَّها قالت: السلام عليك يا رسول الله وعلى أهل

(١) تجده في الجزء الأوَّل ص ١١٨ الاختلاف السابع / المترجم.

(٢) البحار ج ٤١ ص ٣٠٣ ح ٣٥، الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٦٣ ح ٢١ ط مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام) قم ١٤٠٩ هـ.

بيتك من بعدك، هؤلاء أُمّتكَ سُبِينا سبي النوب والديلم، والله ما كان لنا إليهم من ذنب إلا الميل إلى أهل بيتك فجُعِلَتْ الحسنة سيئة والسيئة حسنة فسُبِينا!!!^(١).

وروي أَنَّ الإمام الباقر عليه السلام كان جالساً في مجلسه إذ جاءه رجلان فقالا له: يا أبا جعفر أليس ذكُرتَ لنا أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام ما رضي بإمامة مَنْ تقدّم عليه؟ فقال عليه السلام: وما الحجّة لكما في ذلك؟ قالوا: هذه خولة الحنفية من سببهم وقيل هديتهم ولم يخالف على أمر أحد منهم في أيام حياته؟ فقال عليه السلام: من فيكم يأتيني بجابر بن خزام؟ فأتني به إليه فسلمّ وجلس فقال عليه السلام: أتدري عمّا أريد أسألك به؟ فقال: لا يسامولاي، فقال عليه السلام: عندي رجلان ذكرا أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام رضي بإمامة مَنْ تقدّم عليه، فسألتهما عن الحجّة في ذلك فذكر لي خولة الحنفية فبكى جابر حتّى اخضلت لحيته من دموعه، ثمّ قال: والله يا باقر لو ددت أني أموت ولا أسئل عن هذه المسألة، فقال: أنا والله كنت جالساً من جانب أبي بكر وقد عرض عليه سبي من سبي بني حنيفة بعد قتل مالك بن نويرة وكانت فيهم خولة الحنفية وهي جابرية مراهقة، فلمّا دخلت المسجد قالت: يا أيّها الناس ما فعل رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ قالوا: قبُض، فقالت: ألهُ بنية تُقصد؟ فقالوا: نعم وهذه حجّرتي التي فيها قبره فدخلت عليه فنادت: السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمّد السلام عليك يا رسول الله: أشهد أنّك تسمع كلامي وتقدر على جوابي وتعلم أنّا سُبِينا بعدك وأنا أشهد أنّ لا إله إلا الله وأنك محمّد رسول الله، وجلستُ فوثب طلحة بن عبدالله والزبير بن العوام فطرحا ثوبيهما عليها فقالت: ما لكم معاشر العرب تصونون حلائلكم وتهتكون حلائل الغير؟ فقالا لها: لمخالفتكم الله ورسوله حتّى قلتم إنّنا نركي ولا نصلي أو نصلي ولا نركي، فقالت لهما: والله ما قالها أحد من بني حنيفة إنّنا لنضرب صبيانا على

الصلاة من التسع وعلى الصيام من السبع وإنّا لنخرج الزكاة من حيث أن يبقى في جمادى الآخرة عشرة أيام ويوصي مريضنا بها لوصيه والله يا قوم ما نكتنا ولا غيرنا ولا بدّلنا حتّى تقتلوا رجالنا وتسبوا حريمنا فإن كنت يا أبا بكر وليت بحقّ فما بال علي لم يكن سبقك علينا وإن كان راضياً بكتابتك فلم لا ترسله إلينا يقبض الزكاة منّا ويسلمها إليك؟ والله ما رضي ولا يرضى، قتلت الرجال ونهبت الأموال وقطعت الأرحام فلا نجتمع معك في الدُّنيا ولا في الآخرة إفعل ما أنت فاعله، فضجّ الناس وقال الرجلان اللذان طرحا ثوبيهما عليها: لتغالين في ثمنك، فقالت: أقسمت بالله ربّي وبمحمد نبيّ أن لا يملكني إلّا من يخبرني بما رأت أمّي في منامها وهي حامله بي وما قالت لي عند الولادة وما العلامة التي بيني وبينها؟ وإلّا إن ملكني أحد منكم بقرت بطني بيدي فتذهب نفسي وما له ويكون مطالباً بذلك في يوم القيامة، فقالوا: يا بنية أبدي رؤياك التي رأت أمك وهي حامله بك حتّى نبدي لك العبارة، فأخذ الرجلان ثوبيهما وعادا إلى المسجد، ودخل المسجد عقيب ذلك أمير المؤمنين عليه السلام وقال: ما هذا الرّجف في مسجد رسول الله؟

فقالوا: امرأة من بني حنيفة حرّمت نفسها على المسلمين وقالت... فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أخبروها تملكوها ما دعت إلى باطل، فقالوا: يا أمير المؤمنين ما فينا من يعلم الغيب على أنّ ابن عمك قبض وأخبار السماوات والأرض كان يخبره بها جبرئيل ساعة فساعة، فقال أبو بكر: أخبرها يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: أخبرها وأملكها بلا اعتداء على أحد منكم؟ فقال أبو بكر والمسلمون: نعم، فقال عليه السلام: يا حنيفة أخبرك وأملكك؟ فقالت: نعم، من أنت الجريء دون أصحابك؟ فقال لها: أنا علي بن أبي طالب، فقالت: لعلك الرجل الذي نَصَبه رسول الله ﷺ صبيحة يوم الجمعة بغدير خمّ علماً للناس؟ فقال: أنا ذلك، فقالت: إنّ من سبيلك أصبنا ومن نحوك أوتينا لأنّ رجالنا قالت: لا نسلم

الصدقات من أموالنا ولا طاعة أنفسنا إلا إلى الذي نصبه محمد ﷺ فينا وفيكم علماً، فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: إن أجركم لغير ضائع وأن الله تعالى يوتى كل نفس ما اقترنت ثم قال عليه السلام: يا حنفية ألم تحملك أمك في زمان قحط منعت السماء فيه قطرها والأرض نباتها وحتى أن البهائم ترعى فلا تجد رعيًا وكانت أمك تقول لك إنك حملٌ شؤوم في زمان غير مبارك فلما كان بعد سبع شهور رأت أمك في منامها كأنها قد وضعتك وهي تقول لك: إنك لولد شؤوم في زمان غير مبارك وكأنك أنت تقولين لها: يا أماء لا تشاءمي بي فأبى ولد مبارك أنشأ نشوًا حسنًا أملكني [سيملكني] سيد يولدني وليًا مباركاً يكون لبني حنفية عزاً، فقالت: صدقت يا أمير المؤمنين إنه كذلك، قال عليه السلام: إنه من إخبار النبي ﷺ لي، فقالت: وما العلامة يا أمير المؤمنين بيني وأمي؟ فقال: لما وضعتك أمك كتبت كلامك للرؤية في لوح من النحاس وأودعته يمنة الباب فلما كان بعد حولين عرضته عليك فأقررتي به فلما كان بعد ثمان سنين عرضته عليك فأقررت به فلما كان بعد ثمان سنين جمعت بينك وبينه وقالت لك: يا بنية إذا نزل بساحتكم سافك دماءكم وناهب أموالكم وسابي ذراريكم وسبيت فمن يسبى فخذني هذا اللوح معك واجهدي أن لا يملكك من الجماعة إلا من يخبرك بالرؤية واللوح، فقال: صدقت يا أمير المؤمنين وأين اللوح؟ فقال: في عنقك فدفعت اللوح إليه فملكها والله يا أبا جعفر، ثم قالت: يا معاشر الناس اشهدوا إنني قد جعلت نفسي عبدة، فقال عليه السلام: لا بل قلولي زوجة فقالت: اشهدوا أنني قد زوجته نفسي كما أمرني أهلي، فقال عليه السلام: قد قبلتك زوجة^(١).

(١) أنظر مدينة المعاجز للبحراني ج ١ ص ٣٥٣ رقم ٣٦١ ط مؤسسة النعمان، بيروت ١٩٩١ م، وإثبات الهداة ج ٤ ص ٤٥٧ رقم ٣٧ ط طهران، وانظر البحار ج ٤١ ص ٣٠٣ ح ٣٥ ط طهران، والخرائج ج ٢ ص ٥٦٣ ح ٢١.

ومن قبيل هذه الأخبار تعطينا تصوّراً واضحاً عن فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام ومقامه الشامخ ومنزلته الرفيعة وإحاطته ببواطن الأمور بإذن الله تعالى ، وأمور أخرى منها :

١ - إحاطته عليه السلام ببواطن الأمور وخفايا الأشياء وعلمه بالمغيبات بإذن الله .
٢ - ومثل هذه الأخبار تنسف قول البعض - لاسيّما الكردستاني من أهل السنة - في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام رضي بخلافة الخلفاء الثلاثة المتقدمين عليه ، بدليل أنّه قبل تقسيم الخليفة في الأسارى وأخذ خولة إليه وهي جزء من أسارى بني يربوع .

٣ - ويتّضح أيضاً المستوى الرفيع الذي تمتعت به السيّدة خولة والجلالة الظاهرة عليها بلا خلاف وإيمانها الواضح وتسليمها أمرها لله تعالى .

٤ - وفيها - الرواية - دلالة على منزلة محمّد بأن انتخب الله تعالى له مثل هذه الأمّ الطاهرة المؤمنة العالمة ، ومثل هذا الأب الطاهر عليه السلام .
لهذا وذاك عُرف محمّد ونُسب إلى أمّه نظراً لهذه الحادثة .

سؤال : إذا صحّت مثل هذه الأخبار ، وظهر خرق العادة من علي كرم الله وجهه فكيف تركه الناس وتابعوا غيره من الخلفاء ؟

الجواب : إنّ ظهور الكرامات والأمور الخارقة للعادة كالإخبار عن المغيبات من أمير المؤمنين لم ينحصر بما ذكرته لكم ، بل حصل منه ذلك مراراً وتكراراً في الخفاء والعلن وقد دوّنها جمهور المسلمين في كتبهم ومصنّفاتهم ، فيمكنكم مراجعة نهج البلاغة ففيه بعض الخطب والكلمات التي قالها الإمام عليه السلام وهي تحكي عن المغيبات من قبيل الملاحم وأحوال بعض الملوك وخروج الزنج وغلبة المغول وأوصاف خلفاء الجور واضطهادهم لشيّعتهم ... لاسيّما إذا راجعتم شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي وينابيع المودّة للشيخ

سليمان الحنفي^(١) ثم إن المنصفين من علماء السنة أقروا وأذعنوا بفضل أمير

(١) وسأذكر للقارئ مقاطع قصيرة من هذه الاخبار العجيبة في نهج البلاغة، منه قوله عليه السلام وهو يخبر عن حكم بني أمية لعنهم الله: والله لا يزالون حتى لا يدعوا الله محزماً إلا استحلوه ولا عقد إلا حلوه وحتى لا يبقى بيت مدد ولا وبر إلا دخله ظلمهم وبنا به سوء رعيته... نهج البلاغة خطبة ٩٨.

وقال عليه السلام وهو يصف الملاحم: ... وعقدت رايات الفتن المعضلة وأقبلن كالليل المظلم والبحر الملتطم هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف ويمر عليها من عاصف وعن قليل تلتف القرون بالقرون ويحصد القائم ويحطم المحصور. نهج البلاغة خطبة ١٠١.

وقال عليه السلام: ... ألا وإن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية فإنها فتنة عمياء مظلمة عمّت خطتها وخصّت بليتها.. والله لتجدن بني أمية لكم أبواب سوء بعدي كالناب الضروس تعذب فيها وتخطب بيدها وتزبن برجلها وتمنع درهما.. نهج البلاغة خطبة ٩٣.

ومن كلامه عليه السلام يخبر به عن زوال دولة بني أمية: فأقسم بالله يا بني أمية عما قليل لتعرفنها في أيدي غيركم وفي دار عدوكم.. نهج البلاغة خطبة ١٠٥.

وجاء في ينابيع المودة الباب ١٤ قال: وفي نهج البلاغة من كلامه عليه السلام لأصحابه: أما أنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه ألا وأنه سيأمركم بسبي والبراءة مني - وكان يقصد عليه السلام معاوية -.

ولما عزم على الخوارج قيل له إن القوم قد عبروا جسر النهر وان، قال عليه السلام: مصارعهم دون النطفة والله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة، فهرب منهم تسعة وقتل من أصحابه عليه السلام ثمانية وسمى ماء الفرات بالنطفة فقتل من الخوارج أربعة آلاف دون الفرات.

ومن كلامه يومئ إلى وصف الأتراك: كأنني أراهم قوماً كأن وجوههم المجان

المؤمنين وتقدمه بالفضل على الخلفاء، إلا أن السياسة هي التي فرضت نفسها أو بالأحرى فرضوها على الدين ومبادئه فقالوا بجواز تقديم المفضل على الفاضل، وهذا آخر تبرير تمسك به علماء السنة لتصحيح خلافة الأول وأوردوا عدة طرق ملتوية ودلائل غير تامة لإثبات هذه الدعوى، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أموية المنهج وقد تكلمت حول هذا الموضوع في كتاب ليالي بيشاور.

سؤال: إذن ما هي الحصيلة من موضوع الكيسانية الذين قالوا بإمامة محمد ابن علي، وإذا كان محمد صاحب مقامات عالية كيف تستنى له أن يدعي الإمامة ويضل الناس؟

الجواب: كما قلت لكم سابقاً أن الحياة لا تخلو من المكارين والمفسدين والكذابين وأهل الفتن والأهواء الذين يرغبون في خلق الانحراف وإيجاد التفرقة فبعد أن أستشهد الإمام الحسين (عليه السلام) زعم بعض الناس أن الإمامة تنتقل إلى محمد بن الحنفية باعتباره أخ الحسن والحسين (عليه السلام) من جهة، وأنه صاحب منزلة رفيعة وكمالات ظاهرة ومواقف مشهودة من جهة ثانية، فلهذا وذاك يكون هو الإمام بعد أخيه الإمام الحسين (عليه السلام) وأشاعوا في الناس ذلك، إلا أن محمد لم يرض بهذا، بل أبدى عدم رضاه.

سؤال أحد الحاضرين: ما هو الدليل على أن محمد لم يدع الإمامة، ولم

→ المطرقة يلبسون السرق والديباج ويعتقبون الخيل العتاق ويكون هناك استمرار قتل حتى يمشي المجروح على المقتول ويكون المفلة أقل من المأسور...

أنظر ينابيع المودة ج ١ باب ١٤ ص ٦٤ ط مؤسسة الأعلمي على طبعة نظارة المعارف في استانبول / المترجم.

يرض بما أشيع عنه؟

الجواب: إنَّ محمداً كان من المؤمنين الكاملين وإيمانه يمنعه من أن يدعي مقاماً ليس له، إذ الإيمان هو سبب سعادة الإنسان في العالمين وهو عبارة عن (التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد).

سؤال أحد الحاضرين: عقوا إنا منذ طفولتنا كنا نسمع من آبائنا أن أصول الدين ثلاثة (التوحيد والنبوة والمعاد) وهكذا درسنا في المدارس والآن أنت تقول أنها خمسة، فما هو الفرق بين القولين وأيها هو الصحيح؟

الجواب: كلا القولين صحيح إلا أن أحدهما مجمل والآخر مفصل فالقول الأول تفصيل لأصول الدين، والقول الثاني مجمل أصول الدين.

سؤال أحد الحاضرين: لم نفهم شيء مما تفضلت به نرجو أن تتكلم معنا بلغة بسيطة وتشرح لنا هذه الأمور؟

بيان مختصر عن أصول الدين

الجواب: نحن نعتقد أولاً بالأصول الثلاثة التي أجمع عليها كل المسلمين أولها التوحيد لله تعالى بأنه إلهاً واحداً وله صفات ثبوتية كالحياة والعلم والقدرة.. وهي عين ذاته المقدسة غير منفكة عنها وغير إضافية، وأستطيع أن أقرب هذا الموضوع بدهونة السمن وحلاوة السكر إذ لا يمكن التفكيك بين السكر وحلاوته ولا الدهونة والسمن في الواقع الخارجي، كذلك الصفات الإلهية لا يمكن تفكيكها عن الذات المقدسة لله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾^(١).

ونعتقد أنه إلهاً واحداً لا شريك له، وقد كفر من زعم أن له شريكاً كالبراهمة

والبوذيين والمجوس والصابئة والنصارى وغيرهم..

وأَنَّه تعالى لا مثل له وَأَنَّ صفاته خاصَّة به تعالى ولا توجد في غيره وهي غير زائدة عليه كما قلت.

سؤال أحد الحاضرين: إذا كانت هذه عقيدتكم في أَنَّ صفاته عين ذاته فلماذا تجعلون صفة العدل ضمن أصول الدين مع أَنَّها كِبَيَّة الصفات الإلهية؟
الجواب: هناك سرٌّ معنوي، وهو لأنَّ الأشاعرة - وهم أغلب أهل السنة - عندما كانوا يتعرضون في كتبهم إلى مباحث الصفات الإلهية فإنَّهم يفرِّدون القول في العدل، ويجعلونه بمعزل عن بقية الصفات، أمَّا نحن - الشيعة - فنعتقد أَنَّ صفة العدالة كِبَيَّة الصفات وذكَّرنا لها في أصول الدين هو إقرارنا بذلك، وهي طريقة لإعلان اختلافنا عن الأشاعرة وأتينا لا نقول بمقالتهم.

وأما النبوة: فعقيدتنا بها هي أَنَّ الله تعالى ليس جسماً وبالتالي لا يمكن أن تتمَّ المشافهة بينه (سبحانه) وبين خلقه ولذلك اختار عبداً انتجبههم للرسالة والنبوة وامتازوا بكلِّ صفات الخير التي تجسَّدت فيهم فكانوا مظاهر لصفات الله وأسمائه الحسنی، واقتضت الحكمة أن يبعث الله تعالى في كلِّ أمة رسولاً هادياً ومرشداً وعلماً واضحاً يهدي الناس إلى الربِّ سبحانه وتعالى عبر الأخلاق الحميدة والعلم والحكمة، فبعث الله من كلِّ أمة رسولاً منهم ليكون أقرب إلى اتباعه وإطاعته قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١) فأنبياء الله حججه على خلقه، وكانت هذه الحجج الإلهية على طائفتين، الأولى هم الأنبياء والمرسلين الذين يتصلون بالوحي أو الملك بشكل مباشر، والثانية هم الأوصياء الذين يتلقون التعاليم والأوامر الإلهية من

الأنبياء فطريقهم واتصالهم بالوحي غير مباشر، واقتضت الحكمة أن يكون لكل نبي وصي إماماً يأتي من بعده أو إماماً هادياً.

«بيان الإمامة»: وأما عقيدتنا في الإمام فهي أننا نعتقد أن بعد رسول الله ﷺ يأتي دور وصيه وهو الإمام، وليس المراد من الإمام هو المعنى اللغوي كإمام الجماعة أو الجمعة، وإنما الإمام الذي يتلو النبي ﷺ أي له مقام السلطة الدينية والسياسية والروحية وهذا هو المعنى الاصطلاحي فقد عرّف المولى علي القوشجي الإمامة - في شرحه على كتاب التجريد - بأنها الرئاسة العامة الإلهية في أمور الدين والدنيا خلافة عن رسول الله ﷺ (١).

ولذلك كان كل نبي من أنبياء الله ينص على وصيه أمام الناس وينصبه للناس إماماً وحاكماً وحجة لله تعالى ويأمر الأمة بالرجوع إليه من بعده ويحمل هذا الوصي كل صفات الخير التي تتجلى في سلوكه ونفسيته وكلامه وطريقة تعامله باعتباره حافظاً للشرع، ولا يمكن أن يرحل النبي ﷺ دون أن ينصب وصيه وبعينه للناس بشكل واضح، وبعبارة أخرى لا يمكن للنبي ﷺ أن يدع دينه وشريعته سدى دون أن يجعل من يقوم مقامه، وعلى ضوء هذه القاعدة العقلية عين رسول الله ﷺ وصيه من اليوم الأول وحتى قبل وفاته وفي كل موطن وقف فيه، وأشار إلى خصائص وفضائل وصيه، فكانت حادثة الدار الواقعة الأولى التي أعلن فيها رسول الله ﷺ عن وصيه طبقاً لقوله تعالى: ﴿وَأُنذِرَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢) فأعلن في حديث الدار عن وصيه علي بن أبي طالب عليه السلام.

وآخر مرة كرر فيها التأكيد على موضوع الوصي في السنة العاشرة للهجرة

(١) شرح القوشجي الطبعة الحجرية عام ١٣٠١، ص ٣٩٩.

(٢) سورة الشعراء: ٢١٥.

عندما رجع مع المسلمين من حجة الوداع وهي حجته الأخيرة فنزل عليه الوحي بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١) فأمر ﷺ المسلمين بالتوقف في منطقة غدير خم وكانوا سبعين ألف إنسان، وقالوا أكثر من ذلك كما صرح الثعلبي في تفسير كشف البيان وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ويوسف سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص بأن المسلمين في غدير خم كانوا مائة وعشرين ألف، فارتقى رسول الله ﷺ المنبر الذي صُنع له من الأمتعة وخطب خطبة طويلة فقال فيها: أيها الناس ألسن أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، قال ﷺ: مَنْ كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ثم دعا له بالنصر والحفظ ولكل من والاه، ودعا بالخزي والخذلان لكل من عاداه^(٢)، وأعلن للجميع إمامة

(١) سورة المائدة: ٦٧.

(٢) تذكرة الخواص ص ٢٨ الباب الثاني، وأسنى المطالب ص ٤٨، ونظم درر السمطين القسم الثاني من السمط الأول ص ١٠٦ وفضائل الصحابة للنسائي وجواهر العقدين والصحيح المسند من فضائل الصحابة «فضائل عليّ عليه السلام»، والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ قسم فضائل علي بن أبي طالب ط ١٩٩١م، وفضائل الصحابة لأحمد ج ٢ ص ٥٦٩ وص ٥٧٢ وص ٥٨٥ وص ٥٨٦ وص ٥٩٣ وص ٥٩٦ وص ٥٩٩ ط السعودية، ومصابيح السنة للبغوي الشافعي ج ١ باب مناقب علي ص ٥١٦ ط دار القلم بيروت. والصواعق المحرقة ج ٢ ص ٣٥٥ ط مؤسسة الرسالة بيروت، وكتاب السنة للشيباني المتوفي في ٢٨٧هـ ص ٥٩٠، وتاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء ص ٦٢٨ ط دار النشر العربي بيروت، والاستيعاب ج ٣ ص ٢٠٣ ط دار الكتب العلمية بيروت، وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٠ ط دار الكتب العلمية، ومختصر المحاسن المجتمعة للصفوري المتوفي في ٨٩٤هـ ص ١٦٨ ط دار ابن كثير، بيروت / المترجم.

عليه السلام وأمرهم بالبيعة له كما أمره الله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ وبعد ثلاثة أيام رحلوا إلى المدينة.

فالإمامة من لوازم النبوة، أو هي متممة لمنهج النبوة وبالتالي فهي من أصول الدين، لأن الجهل بالإمام يستلزم الضلال والأمر ذاته في النبوة إذاً عدم معرفة النبي يوجب الضلال، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية فقد نصّ الحديث المروي عند الفريقين وبأسانيد صحيحة عند الشيعة وكذا عند بعض أهل السنة كالشعراني في اليواقيت ص ٢٧٣ نقلاً عن مسلم بن الحجاج، وذكره أيضاً الملاء علي القاري في الجلد الثاني من الجواهر المضئية^(١) نقلاً عن صحيح مسلم والتفتازاني (المتوفي عام ٧٩٢) في شرح العقائد النسفية^(٢) وفي شرح المقاصد المجلد الثاني وذكره آخرون، وصححه الحميدي في الجمع بين الصحيحين ونقله بألفاظ مختلفة عن رسول الله ﷺ أنه قال: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية^(٣)، ويستفاد من هذا الحديث أمران:

الأول: وجوب معرفة الإمام بالأدلة القاطعة في كل زمن على كل مسلم.
الثاني: إن هذه المعرفة (معرفة الإمام) من أصول الدين لا من فروعه كما يزعم أهل السنة، وذلك لأن الجهل بفرع من فروع الدين لا يؤدي إلى خروج الإنسان من الدين ولا أنه يموت ميتة جاهلية بينما نصّ الحديث على أن الجهل بالإمام يؤدي إلى ميتة جاهلية، فيظهر أن هذه المعرفة واجبة بلحاظ متعلقها

(١) طبعة عام ١٣٢٢هـ حيدر آباد ص ٥٠٩ / المؤلف.

(٢) طبعة عام ١٣٠٢هـ ص ١١٨ / المؤلف.

(٣) البحار ج ٨، ص ٣٦٨، ح ٤١، باب ٢٧، والجمع بين الصحيحين للحميدي ج ٢، ٢٩٦، رقم ١٤٩٨، ط دار ابن حزم بيروت ١٩٩٨م، ومجمع الفوائد ج ٥، ص ٤٠٥، رقم ٩١٣٨ كتاب الخلافة ط دار الفكر ١٩٩٤م / المترجم.

وهي الإمامة فهي إذن من أصول الدين بلا شك، فلو اعتقد الإنسان بالتوحيد دون النبوة فقد كفر أو اعتقد بهما دون الإمامة فقد كفر أيضاً لأنه آنذاك سيكون ضالاً جاهلياً خارجاً عن الدين.

إذن نتيجة ما تقدّم هو أنه عندما يُقال أن أصول الدين ثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد فالأمر صحيح وهذا إجمال للأصول، لأن التوحيد يستبطن العدل الإلهي وهو أحد صفات الله تعالى، والنبوة تستلزم الإمامة أيضاً لأنها من توابعها، فالاعتقاد بالتوحيد بدون عدل لا معنى له عند العقلاء، كما أن النبوة بلا إمامة أمر غير مقبول لأنه يستلزم نقض الغرض وهو قبيح عند العقل.

عود على بدء

إذن محمد بن الحنفية كان مؤمناً ملتزماً بأصول دينه ومنها إيمانه واعتقاده بالإمامة - للأنمة الاثنى عشر - فهو أجل من أن يدعى ما ليس له وفيه، لأن ذلك خلاف الإيمان وقلنا إنه كان مؤمناً ورعاً ملتزماً ولا يمكن - كما لم يقل به أحد - أن يخرج عن إيمانه^(١)، أو يموت جاهلاً، لاسيما بعدما قال أمير المؤمنين عليه السلام عنه: إن المحامدة تأبى أن يعصى الله عز وجل، قلت: ومن المحامدة؟ قال: محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة ومحمد بن الحنفية^(٢).

وهذه الرواية تشير إلى مستوى رفيع ومرتبة من مراتب العصمة التي يتمتع بها محمد وبالتالي لا يمكن لمثله أن يعصى الله في إدعاء الإمامة كذباً وزوراً. ثم إنه اعترف وأقر بإمامة السجاد علي بن الحسين عليه السلام كما ذكر ذلك

(١) أقول هذا الجواب مقتبس من العلامة الحلي، أنظر تنقيح المقال ج ٣ ص ١١٢ / المترجم.

(٢) تنقيح المقال ج ٣ ص ١١١.

العلامة المجلسي رحمته الله في البحار والمآقاني في التنقيح مسنداً عن أبي خالد الكابلي (وردان الملقب بكنكر وكان من رؤساء الكيسانية وملازماً لمحمد بن الحنفية معتقداً بإمامته) أنه سأل من محمد بن الحنفية قائلاً له: إن لي حرمة ومودة وانقطاعاً، فأسألك برسول الله صلى الله عليه وآله وبأمر المؤمنين عليه السلام ألا أخبرتني أنت الإمام الذي فرض الله طاعته؟ فقال: الإمام عليّ وعليك وعلى كل مسلم الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام ^(١).

ومن هذه الرواية يتضح أمران:

الأول: أن سؤال أبي خالد من محمد بن الحنفية دليل على أن الأخير لم يدع ذلك وإلا لسمعه منه أبو خالد وهو من ملازميه، ولو كان - جديلاً - قد سمعه منه لما سأله بل لم يقسم عليه بتلك الأقسام العظيمة.

الثاني: وقد صرح محمد بن الحنفية أنه ليس الإمام، بل الإمام هو عليّ بن الحسين عليهما السلام.

سؤال أحد الحاضرين: إذا كان الأمر كذلك فما هو تفسير المجادلة والمحااجة التي جرت بين علي بن الحسين ومحمد بن الحنفية؟
الجواب: لقد أبتلي محمد بن الحنفية بجماعة من أهل الفتن والخداع كما قلت لكم سابقاً ومنهم كيسان وهؤلاء جمعوا حولهم العوام والبسطاء والسذج الذين لا خبر عندهم من العلم والوعي ومجريات الأمور فكانوا يخدعونهم ويقولون لهم إن الإمام هو محمد بن الحنفية، وكلما تصدى الأخير لإنكار ذلك وتكذيب القوم إلا أنهم كانوا يقولون للناس أن الواقع السياسي هو الذي يفرض على محمد بن الحنفية الإنكار بسبب بني أمية ورقابتهم له. فرأى أن الإنكار والتكذيب (الاسلوب اللفظي) لا ينفع مع هؤلاء فلذا عمد إلى الاسلوب العلمي

فاصطنع محاورة ومحااجة مع الإمام السجّاد عليه السلام كان يهدف من خلالها إزالة الشك والانحراف الذي أصاب بعض الناس باعتقادهم أنّه هو الإمام، فذهب مع الإمام السجّاد عليه السلام إلى الحجر الأسود وأمام حشد من الناس، فأقرّ الحجر بالإمامة للإمام السجّاد فسمع الناس ذلك وأذعنوا للحق وبهذا الشكل استطاع ابن الحنفية أن يبطل افتراءات كيسان وغيره^(١).

سؤال أحد الحاضرين: كيف كان إقرار وتأييد الحجر الأسود لإمامة علي بن الحسين السجّاد؟

الجواب: لقد ذكر القصّة كلّ من الكليني في الكافي^(٢) والعلامة المجلسي في البحار^(٣) عن منتخب التواريخ والقطب الراوندي في الخرائج^(٤) والقاضي نور الله في مجالس المؤمنين^(٥) والعلامة المامقاني في التنقيح^(٦) والسيد هاشم البحراني في تفسير البرهان ومدينة المعاجز^(٧) والصفار في بصائر الدرجات^(٨) والطبري في الإمامة^(٩) ونوادر الحكمة والكامل للمبرّد وفي رجال الكشي

(١) جاء في البحار ج ٤٦ ص ٣٠: وقيل إنّ ابن الحنفية إنّما فعل ذلك إزاحةً لشكوك الناس في ذلك / المترجم.

(٢) ج ١، ص ٣٩١ و ٣٩٢ ح (٥).

(٣) البحار ج ٤٦ باب ٣ ص ٢٩ ح ٢٠ ط طهران.

(٤) الخرائج ج ١، ص ٢٥٧، ح ٣، ط مؤسسة صاحب الزمان ١٤٠٩ هـ قم.

(٥) الكافي ج ١، ص ٣٩١ و ص ٣٩٢ الرواية (٥)، ط دار الأسوة.

(٦) تنقيح المقال ج ٣، ص ٤٨٣، ط الحجرية.

(٧) مدينة المعاجز ص ٢٩٦ ط الحجري القديم.

(٨) منتخب التواريخ (فارسي) الباب السادس ص ٣٤٧، ط ايران، وبصائر الدرجات

ج ١٠، ص ٥٠١، باب ١٧، ح ٣، ط مكتبة المرعشي قم.

(٩) دلائل الإمامة للطبري ص ٨٧ ط الشريف الرضي، وكشف الغمّة ج ٢ ص ٦٥٢ ط

والاحتجاج للطبرسي وروضة الواعظين وآخرين غيرهم، بعبارات مختلفة كلّها مسندة عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أنّه قال: لَمَّا قُتِلَ الحسين بن علي عليه السلام جاء محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين (وفي بعض الروايات أنّه أرسل إليه أبا خالد الكابلي) فقال له: يا بن أخي أنا عمك وصنو أبيك وأنا أسرّ منك فأنا أحقّ بالإمامة والوصية فادفع إليّ سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال علي بن الحسين عليه السلام: يا عم اتّق الله ولا تدع ما ليس لك فإني (أعظك أن تكون من الجاهلين، إنّ أبي يا عم أوصى إليّ قبل أن يتوجّه إلى العراق وعهد إليّ في ذلك قبل أن يُستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله عندي فلا تتعرّض لهذا) أخاف عليك نقص العمر وشتات الأمر (إنّ الله تعالى جعل الوصية والإمامة في عقب الحسين عليه السلام) فقال محمد بن الحنفية: أنا أحقّ بهذا الأمر منك، فقال عليه السلام: يا عم فهل لك إلى حاكم نحتكم إليه؟ فقال: من هو؟ قال عليه السلام: الحجر الأسود، فقال محمد بن الحنفية: وكيف نحتكم إلى حجر جماد؟ فقال عليه السلام: إنّ إماماً لا يكلمه الجماد فليس بإمام، فتحاكما إليه، فلما وقفا عنده قال له: يا عم تكلم فأنت المطالب، قال: فتكلّم محمد بن الحنفية فلم يجبه، فقال له الإمام عليه السلام: تأخر يا عم لو كنت وصيّاً وإماماً لأجابه ثمّ تقدّم الإمام وصلى ودعا ووضع يده على الحجر وقال: ... أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء، وميثاق الناس أجمعين ^(١) لما أخبرتنا بلسان عربي مبين من الوصي والإمام بعد الحسين بن علي عليه السلام؟ فتحرّك الحجر حتّى كاد أن يزول عن موضعه، ثمّ أنطقه

→ الشريف الرضي، قم. ومختصر بصائر الدرجات للشيخ حسن بن سليمان الحليّ ص ١٧٠، ط النجف عام ١٩٥٠ م.

(١) وفي بعض النصوص «... بالذي جعل فيك موائيق العباد والشهادة لمن وافاك...» / المترجم.

الله بلسان عربي مبين: اللَّهُمَّ إِنَّ الوصية والإمامة بعد الحسين بن علي إلى علي بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

وبهذا رجع قسم كبير من الكيسانية إلى إمامة السجادة عليه السلام فكانت هذه الحادثة المعجزة مخطط لها من قبل ابن الحنفية كما قلت لكم.

إيمان أبي خالد الكابلي بإمامة السجادة عليه السلام

ذكر العلامة المجلسي والعلامة المامقاني نقلاً عن مختار الكشي عن أبي بصير أنه قال: سمعت الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول: كان أبو خالد الكابلي يخدم محمد بن الحنفية دهرًا، وما كان يشك في أنه إمام حتى أتاه ذات يوم ... إلى أن قال له محمد بن الحنفية: الإمام عليّ وعليك وعلى كل مسلم، الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام فأقبل أبو خالد لما أن سمع ما قاله محمد بن الحنفية وجاء إلى علي بن الحسين فلما دخل عليه ودنا منه، قال عليه السلام: مرحباً يا كنكر ما كنت لنا بذاثر ما بدا لك فينا؟ فخرّ أبو خالد ساجداً شاكرًا لله تعالى ممّا سمع من عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى عرفتُ إمامي فقال له عليه السلام: وكيف عرفت إمامك يا أبا خالد؟ قال: إنك دعوتني باسمي الذي سمّيتني به أمّي التي ولدتني وقد كنت في عمياء من أمري ... فعلمتُ أنك الإمام الذي فرض الله طاعته عليّ وعلى كل مسلم^(١)، ومنذ ذلك الحين ترك أبو خالد طريقة كيسان وقال بإمامة السجادة عليه السلام، وقد ذكر العلامة المجلسي عن أبي بجير عالم الأهواز وكان يقول بإمامة ابن الحنفية قال: حججت فلقيت إمامي وكنتُ يوماً عنده فمرّ به غلام شاب فسلم عليه، فقام فتلّقاه وقبل ما بين عينيه وخاطبه بالسيادة ومضى الغلام وعاد محمد إلى مكانه، فقلت له: عند الله أحسب عناية

فقال: وكيف ذاك؟ قلت: لأننا نعتقد أنك الإمام المفترض الطاعة تقوم تتلقّى هذا الغلام وتقول له: ياسيدي؟ فقال: نعم، هو والله إمامي فقلت: ومن هذا؟ قال: عليّ بن أخي الحسين عليه السلام اعلم أنني نازعته الإمامة ونازعني فقال لي: أترضى بالحجر الأسود حكماً بيني وبينك؟ فقلت: وكيف نحتكم إلى حجر جماد؟ فقال: إن إماماً لا يكلمه الجماد فليس بإمام، فاستحييت من ذلك، وقلت: بيني وبينك الحجر الأسود، فقصدنا الحجر وصلّني وصلّيت، وتقدّم إليه وقال: أسألك بالذي أودعك موثيق العباد لتشهد لهم بالموافاة إلا أخبرتنا من الإمام منّا؟ فنطق وتحلحل حتّى ظننته يسقط فأذعنت بإمامته ودّنت له بفرض طاعته، قال أبو بجير: فانصرف من عنده وقد دنت بإمامة عليّ بن الحسين عليه السلام وتركت القول بالكيسانية^(١).

فيظهر لكم أنّ محمداً كان من المؤمنين المنصفين الكاملين في إيمانهم، وكان مقرراً بالله ورسوله وإمامة الأئمة الاثني عشر الذين نصّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله ومنهم الإمام السجّاد عليه السلام.

سؤال أحد الحاضرين: إنّ جوابك واضح ودقيق ونشكرك كثيراً فقد نورّتنا وأوضحت لنا الأمر، ولكن إذا كان محمد بن الحنفية بهذه المنزلة من الإيمان والاعتقاد بإمامة الأئمة لاسيّما إمامة أخيه الحسين عليه السلام فإنه بلاشك كان مدّعياً ومأتمراً بأمره لأنّه يعلم أنّ التمرد على إمامه يعدّ نقضاً لإيمانه، فكيف لم ينصره في نهضته وثورته بكر بلاء؟ ألا يعدّ هذا خسراناً وعصياناً؟ مع أنّ جميع اخوته ذهبوا معه إلى كربلاء ونالوا الشهادة معه إلا هو^(٢)؟

(١) البحار ج ٤٦ ص ٢٢ ذيل الحديث ١.

(٢) أقول: هذا السؤال سأله مهنا بن سنان من العلامة الحلي رحمته الله، فأجاب العلامة: قد

سبب عدم حضور ابن الحنفية في كربلاء

الجواب: لقد اتضح لكم مقام محمد بن الحنفية وإخلاصه في الإيمان وارتباطه بأخيه أبي عبدالله الحسين عليه السلام واعتقاده بإمامته فضلاً عن أسرة الأخوة بينهما ولذا فهو يعتقد بوجوب طاعة أخيه الحسين باعتباره إماماً مفروض الطاعة، وأما عدم الخروج معه فإنه كان بعذر شرعي إذ لا يمكن التمرد على الإمام بدون عذر شرعي أو عقلي.

سؤال أحد الحاضرين: اذكر لنا هذا المانع الشرعي من لطفك؟

الجواب: لقد ذكر القرآن الكريم مثل هذه الأعذار الشرعية التي يعد أصحابها معذرون عند الله تعالى، فقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ...﴾ (١).

وكان محمد بن الحنفية مشغولاً بهذه الآية الكريمة، لأنه كان ضعيفاً ومريضاً.

سؤال أحد الحاضرين: وما هو سبب مرضه؟

الجواب: لقد عرف محمد بالشجاعة والقوة حتى عُدَّ في عصره من جملة الأبطال والشجعان، وكان الفرسان يتحززون من مقابلته في الحروب وقد اشترك

→ ثبت في أصول الدين، أن أركان الإيمان التوحيد والعدل والنبوة والإمامة، والسيد محمد بن الحنفية وعبدالله بن جعفر وأمثالهما أجل وأعظم شأناً من اعتقادهم خلاف الحق وخروجهم من الإيمان الذي يحصل بارتكابه الشواذ والخلاص من العقاب، وأما تخلفه عن نصرته الحسين عليه السلام فقد نُقِلَ أنه كان مريضاً..

/انظر تنقيح المقال ج ٣ ص ١١٢/ المترجم.

في حربي الجمل وصفين وكانت له مواقف مشهودة ذكرها المجلسي في البحار ولكن حصل له ما حصل مما أثر على قوته وقدرته وعزله عن خوض الحروب بعد ذلك^(١).

سؤال: وماذا حصل له؟

الجواب: لقد ذكر البعض أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام استطال درعاً كانت له فقال: لينقص منها كذا وكذا حلقة، فقبض محمد بن الحنفية بإحدى يديه على فضلها ثم جذبها فقطع من الموضع الذي حده أبوه، وكان عبدالله بن الزبير إذا حدث بهذا الحديث غضب واعتراه أفكل وهو الرعدة لأنه كان يحسده على قوته^(٢).

فيظهر أن الذي حسده هو عبدالله بن الزبير المعروف بقوته فأصابته عينه محمداً وشلت يديه وسقطنا عن العمل إلى آخر عمره.

وقيل أنه أهدي إلى الإمام الحسين عليه السلام درعاً منسوجة نسجها داود النبي عليه السلام فكانت طويلة عليه بمقدار شبر وكان محمد حاضراً فأخذها وقطعها بيديه وكان في المجلس رجلاً قد حسد محمداً على قوته هذه، فأصابت أصابعه بداء فكان يخرج منها الدم والقيح باستمرار، ولم ينفع لها الدواء، وبقيت على هذا الشكل. ولهذا لم يشترك مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء إذ لا يمكنه قبض السيف أبداً.

سؤال: اسمح لنا أن نسألك فنقول لك: إنكم تعتقدون أن المعجزات وخرق العادة قد ظهر على يد أمير المؤمنين عليّ وهكذا الإمام الحسين، فلماذا إذن لم يمارسوا مثل هذه القدرة لعلاج وشفاء محمد بن الحنفية؟

(١) تاريخ ابن خلكان أو وفيات الأعيان ج ٢، ص ٢١ - الطبعة الحجرية القديمة.

(٢) تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٢١ - ٢٢ حرف الميم ط الحجرية القديمة.

المعجزة لا تكون إلا في موقع التحدي والحكمة

الجواب: نعم نحن نعتقد أن الإمام (الخليفة والوصي) قادر بإذن الله أن يخرق العادة ويظهر على يده الأمر المعجز، ولكن لا أنه يفعل ذلك أينما كان بل في موقع التحدي وإثبات الحق أمام الأعداء أو قل في موقع الحكمة، فهو لا يفعل المعجزة لرفع الجوع والعطش والمرض مثلاً، فلذا نجد أنبياء الله العظام يتحملون الأذى مع قدرتهم على التخلص منه بالإعجاز، فإبراهيم الخليل عليه السلام ذبح الطيور الأربعة ثم خلط أوصالها وبعد ذلك أحيها بإذن الله تعالى وقدرته، فمع قدرته هذه نراه تحمل عاماً كاملاً في سجن نمرود، وسبعة أعوام قضاه متغرباً في جبال فارس ولم يمارس الإعجاز لرفع هذه المشاكل عن نفسه.

وأيضاً موسى الكليم عليه السلام فقد ظهرت على يده الآيات التسعة من العصا التي التقمت الحبال إلى عيون الماء التي فجرها وانشقاق البحر... ولكن مع ذلك لم يفعل المعجزة لإنقاذ بني إسرائيل من العذاب اليومي الذي يتعرضون له من فرعون نساءً ورجالاً.

وهكذا الحال مع عيسى بن مريم عليه السلام الذي كان يحيي الموتى ويرى الأكمه والأبرص ويرد البصر إلى الأعمى ويخلق من الطين طيوراً تحلق في السماء، ومع كل هذه القدرة ظل يعاني من ملاحقة اليهود له وفراره منهم. ومثلهم بقية الأنبياء كأيتوب الذي لم يمارس الإعجاز وقد فقد أولاده وأنعامه وماله وأصابه الضرر ست سنوات ولم يبق معه إلا زوجته الرحيمة ابنة نبي الله يوسف الصديق وتحمل ما تحمل من الشماتة..

ونبي الله دانيال الذي سجنه بخت نصر في بئر لمدة سنين وتحملها ولم يمارس الإعجاز لإنقاذ نفسه.

ولعل أقرب من هذه الصور هي أحداث نبينا الكريم محمد عليه السلام فقد ظهرت

على يده الشريفة ما يقرب من ٤٠٠٠ معجزة مع البشر والنباتات والحيوانات والأجرام السماوية.

ومع ذلك لم يظهر المعجزة في حالات الشدة والضيقة، فهو ﷺ تحمل كل أذى قريش طيلة ١٣ عاماً في مكة حتى أنه ﷺ كان يغمى عليه في بعض المواقف من شدة الإيذاء، والدم يسيل من قدمه الشريفة ولم يختلف الأمر كثيراً في شعب أبي طالب فقد تحمل الجوع وتضاريس الصحراء الصعبة لمدة ثلاث سنوات دون أن يمارس الإعجاز وحتى في موضوع خروجه من بيته مهاجراً إلى المدينة فإنه خرج خائفاً مترقباً مجاهداً فقد اختبئ في الغار ثلاثة أيام ثم ذهب إلى المدينة وكان ﷺ يرى أصحابه وأتباعه المسلمين في مكة يُعذَّبون أشد العذاب ومع ذلك لم ينقذهم بالمعجزة، فقد مر ﷺ على آل ياسر (عمار والديه) وهم يُعذَّبون حتى مات ياسر وزوجته سميه تحت التعذيب فلم يقل أكثر من: (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة).

وهكذا كل الأنبياء لم يخرقوا العادة في مثل هذه المواضع إلا في مقام التحدي والحكمة كإظهار النبوة أو الإمامة.

ففي ذيل سورة (هل أتى) ذكر المفسرون أن رسول الله ﷺ عاد الحسن والحسين ﷺ وهما مريضان فتأثر - مع حبه لهما - فقال لعلي وفاطمة ﷺ انذرا لله تعالى مع قدرته على شفائهما بالمعجزة.

فبعد كل هذا لا يصح أن نقول لماذا لم يمارس الإمام علي أو الحسين ﷺ المعجزة لرفع الابتلاءات الشخصية والمشاكل الاجتماعية التي تصيبهم أو تصيب أبناءهم أو أتباعهم، فبقي محمد بن الحنفية يعاني من يديه إلى زمن الإمام الحسين ﷺ وبسبب ذلك لم يخرج معه، وقد يكون ذلك خيراً (وفق الحكمة الربانية) كما قال تعالى: ﴿عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى

أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»^(١).

ومن الأمثلة التي توضح هذه الآية أو موقف محمد بن الحنفية ما حصل للإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام الذي كان له من العمر آنذاك ٢٢ عاماً بعد وصوله إلى كربلاء مع أبيه الحسين عليه السلام وقافلته، فقد مرض هناك ولازم الفراش ولم يستطع من النهوض أو القتال وبقي على مرضه طيلة أيام أسره، حتى أنه قد سئل مني مراراً عن سبب إصابته عليه السلام بمثل هذا المرض وهو إمام معصوم في ريعان الشباب؟ ولكن بعد مدة من الزمن ظهر أن هذا المرض كان مفيداً للإمام عليه السلام وللدّين بشكل عام إذ بسببه بقي الإمام علي بن الحسين عليه السلام على قيد الحياة فلم يقتلوه لمرضه وبعدما انتهت الأحداث مارس الإمام زعامة الشيعة وحفظ الدين به عليه السلام.

سؤال أحد الحاضرين: ما هو الخير في مرض الإمام؟

الجواب: نحن لا نعلم الأسرار الباطنية للأمور لأن ذلك من شأن الله تعالى: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»^(٢)، ولكن نستطيع أن نستقرأ الأحداث التاريخية الماضية فنعرف من خلالها عدّة أمور منها:

أولاً: إن الإمام السجاد عليه السلام لو كان سليماً غير مريض لوجب عليه نصره أبيه الحسين عليه السلام في جهاده ضدّ الباطل، وبالتالي ستكون نتيجة القتل كباقي الشهداء الذين نالوا شرف الشهادة مع سيّد شباب أهل الجنة ومع قتله عليه السلام تنقطع سلسلة الأنمة عليه السلام لأنهم عليه السلام من ذريته وبالتالي تتوقف الإمامة.

وحتى لو لم يشترك في الحرب ولم يقتل مع من قُتل، فإنّ الأعداء كانوا يقتلونه فيما لو كان سليماً، كما أنهم أرادوا قتله عند أسره ولكن منعهم ابن سعد

(١) سورة البقرة: ٢١٦.

(٢) سورة البقرة: ٢١٦.

لَمَّا رَأَى حاله ومرضه وسقوطه من ظهر الجمل وقال لهم إِنَّ هذا الفتى نأخذُه -
حيّاً إلى الأمير.

فكان المرض هو السبب الوحيد لبقائه على قيد الحياة كما قال تعالى:
﴿عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

ثانياً: وكان من الضروري أن يبقى الإمام السّجّاد على قيد الحياة - ولا يتم ذلك إلا وهو مريض - لكي يؤدّي دوره في الكوفة والشام من خلال كلماته وخطبه التي فضح فيها بني أمية ومظلومية أهل البيت (عليه السلام)، فقد ألقى الإمام خطباً رائعاً أمام آلاف من الناس في الشام بيّن فيه فضائل أهل البيت (عليه السلام) وأنهم أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأن هذه النساء بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنهم مع كلّ هذا الفضل أسرهم بنو أمية حتّى عرف الناس الحقيقة وضجّ بعضهم بالبكاء والندم، فلم يحرّ يزيد جواباً فاضطرّ أن يغادر المسجد وبعد هذه الحادثة سمح بإرجاع السبائا معزّزين إلى مدينة جدّهم (عليه السلام).

سؤال أحد الحاضرين: نرجو أن تذكّر لنا بعض خطابات الإمام السّجّاد (عليه السلام) لكي تتوضّح لنا الحقيقة؟

الجواب: نعم، لقد تطرّق أرباب المقاتل وغيرهم لهذه الخطب والكلمات التي قالها الإمام السّجّاد (عليه السلام) بالإجمال والتفصيل منهم العلّامة المجلسي في البحار نقلاً عن المناقب وغيره وصاحب العوالم وأبي مخنف لوط بن يحيى وغيرهم ذكروا: أن يزيد دعا الخاطب وأمره أن يصعد المنبر فيذمّ الحسين وأباه صلوات الله عليهما فصعد وبالغ في ذمّ أمير المؤمنين والحسين الشهيد صلوات الله عليهما والمدح لمعاوية ويزيد، فصاح به عليّ بن الحسين (عليه السلام): ويلك أيّها الخاطب اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوّأ مقعدك من النار. ثمّ قال (عليه السلام): يا يزيد ائذن لي حتّى أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات الله فيهنّ رضا، ولهؤلاء الجلساء فيهنّ أجرٌ وثواب، قال: فأبى يزيد عليه ذلك فقال

الناس: يا أمير المؤمنين ائذن له فليصعد المنبر فلعلنا نسمع منه شيئاً، فقال: إنه إن صعد لم ينزل إلا بفضيحتي وبفضيحة آل أبي سفيان فقيل له: يا أمير المؤمنين وما قدر ما يُحسن هذا؟ فقال: إنه من أهل بيت قد زقوا العلم زقاً، قال: فلم يزالوا به حتى أذن له فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب خطبة أبكى منها العيون وأوجل منها القلوب، ثم قال: أيها الناس أُعطينا ستاً وقُضِلنا بسبع: أُعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وقُضِلنا بأنّ منّا النبي المختار محمداً، ومنّا الصديق، ومنّا الطيّار، ومنّا أسد الله وأسد رسوله، ومنّا سبطا هذه الأمة، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي، أيها الناس أنا ابن مَكَّةَ ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرُّدَا^(١)، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى أنا ابن خير من حجَّ ولَبَّى، أنا ابن من حُمِّل على البراق في الهواء، أنا ابن من أُسْرِيَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدره المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمّد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وباع البيعتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين رسول رب

(١) إشارة منه ﷺ إلى حادثة إعادة الحجر الأسود في مكانه وقد حمله النبي بيديه أيام الجاهلية قبل بعثته بعدما تنازع العرب فيمن يحمله / المؤلف.

العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين، والمجاهد أعداءه الناصبين وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين، وأول السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، وناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان حكمة الله، وغية علمه، سمح، سخي، بهي، بهلول^(١)، زكي، أبطي، رضي، مقدم، همام صابر، صوام، مهذب، قوام، قاطع الأصلاب، ومفرق الأحزاب، أربطهم عناناً، وأثبتهم جناناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدّهم شكيمة. أسد باسل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنة، وقربت الأعنة، طحن الرحا ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز، وكبش العراق، مكّي مدني خيفي عقبي، بدري أحدي شجري مهاجري، من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين وأبو السبطين الحسن والحسين، ذاك جدّي عليّ بن أبي طالب.

ثم قال: أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيّدة النساء^(٢)، فلم يزل يقول: أنا أنا

(١) أي مستجمع المحاسن / المترجم.

(٢) وفي بعض المصادر بعد هذه الفقرة قال **عليّ**: أنا ابن المذبوح من القفا أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن من منعه من الماء وأحلّوه على سائر الورى، أنا ابن صريع كربلاء، أنا ابن من راحت أنصاره تحت الثرى، أنا ابن من غدت حريمه أسرى، أنا ابن من ذبحت أنصاره من غير سوى، أنا ابن من أضرم الأعداء في خيمته لظى، أنا ابن من أضحى صريعاً بالنقى، أنا ابن من لا غسل له ولا كفن يرى، أنا ابن من رفع رأسه على القنا، أنا ابن من هتك حريمه بأرض كربلاء، أنا ابن من جسمه بأرض ورأسه بأخرى، أنا ابن من لا يرى حوله غير الأعداء، أنا ابن من سببت

حتى ضجَّ الناس بالبكاء والنحيب وخشي يزيد لعنه الله أن يكون فتنة فأمر المؤذَّن فقطع عليه الكلام فلما قال المؤذَّن الله أكبر الله أكبر قال علي عليه السلام: لا شيء أكبر من الله، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله قال عليه السلام: شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي، فلما قال المؤذَّن: أشهد أن محمداً رسول الله التفت من فوق المنبر إلى يزيد فقال: محمّد هذا جدّي أم جدّك يا يزيد؟ فإن زعمت أنّه جدّك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنّه جدّي فلم تلت عترته؟ قال: وفرغ المؤذَّن من الأذان والإقامة وتقدّم يزيد فصلى صلاة الظهر^(١).

فوائد خطبة الإمام السجّاد عليه السلام

وكان لهذه الخطبة الأثر الواضح والمنافع الجمة منها:

أولاً: إنّها كسرت غرور وكبرياء وتعالى يزيد، وجعلته ينهزم أمام الناس خجلاً مخذولاً منكوباً.

ثانياً: إنّها أيقظت أهل الشام من سباتهم ونبّهتهم من غفلتهم وأرشدتهم إلى الهداية وعزفتهم حقيقة الأمر من مظلومية وفضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام.

ثالثاً: أنّه عليه السلام ركّز على ذكر بعض مصائب كربلاء والسبي في خطبته فصار ذلك سبباً لمقت بني أمية ومقدّمة لقيام الثورات ضدّهم.

رابعاً: وقد عملت الخطبة عملها وضربت الحصار على يزيد وأجبرته أن يغيّر من أسلوبه الجاف مع أهل البيت عليه السلام ويتنازل عن طبعه القاسي - مؤقتاً -

→ حريمه إلى الشام تهدئ، أنا ابن من لاله ناصر ولا حمي.

أقول: هذا المقطع ذكره المؤلّف في متن الكتاب، ونحن جعلناه في الهامش لأننا ذكرنا الرواية من البحار وهذا المقطع غير موجود فيه. / المترجم.

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣٩ باب ٣٩ ط إيران.

بسبب الضغط الجماهيري والتعاطف العام مع مأساة الحسين عليه السلام وأهل بيته، فأمر بإكرامهم معززين مكرمين وحملهم إلى المدينة المنورة.

إذن من خلال هذا المختصر بان لكم الوجه في فائدة مرض الإمام زين العابدين عليه السلام أثناء استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وفترة الأسر إذ بواسطة كلماته وخطبته أفضل جميع مخططات معاوية التي سعى عدة سنين لتأسيسها، ولم يخف جهداً لتسوية صورة أمير المؤمنين علي عليه السلام من خلال سبّه على المنابر ومصادرة فضائله، فاستطاع الإمام زين العابدين أن يقلب المعادلة كلها ويجعل النتائج عكسية في صالح الأمة الإسلامية عموماً وفي صالح أهل البيت على وجه الخصوص.

والأمر نفسه في مرض محمد بن الحنفية فقد يكون هناك نوع مصلحة في مرضه ويقائه في المدينة وعدم خروجه مع الإمام الحسين عليه السلام ليكون سياسته المحنكة حافظاً ومشرفاً على بني هاشم مثلاً.

أو أنه بقي في المدينة بأمر الإمام الحسين عليه السلام ليوصل إليه أخبارها مثلاً.
سؤال أحد الحاضرين: وهل طلب منه الإمام الحسين عليه السلام أن يبقى في المدينة؟

الجواب: لقد ذكر العلامة المجلسي في البحار عن محمد بن أبي طالب الموسوي خبراً مفصلاً إلى أن قال في أواخره: ... (وأما أنت فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم لا تخفي عني شيئاً من أمورهم)^(١).

وروي أيضاً: إنه عليه السلام قال لأخيه محمد: والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية، ثم بكيا ساعة، فقال الإمام عليه السلام: يا أخي جزاك الله خيراً فقد نصحت وأشرت بالصواب، وأنا عازم على الخروج

إلى مكة، وقد تهيأت لذلك أنا وأخوتي وبنو أخي وشيعتي وأمرهم أمري، ورأيهم رأيي وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم لا تخفي عني شيئاً من أمورهم^(١).

فمن خلال هذه الرواية نعرف أن محمد بن الحنفية بقي في المدينة لأمرين لمرضه وعلته التي منعت من خوض الحرب، ولأمر الإمام الحسين عليه السلام له بالبقاء في المدينة ليكون عينه ويحمل إليه الأخبار بطريقة سرية، وهو أمر طبيعي بعد أن غادر الإمام الحسين المدينة فكان عليه أن ينصب لبني هاشم زعيماً يرجعون إليه بعدما كانوا يرجعون إلى الحسين عليه السلام وهكذا شيعته في المدينة.

ومن جهة أخرى لم يكن محمد بن الحنفية - في عدم خروجه مع الحسين - مخالفاً لأمر شرعي حتى يُعدَّ عاصياً أو مذنباً أو مقصراً، وذلك لأن الإمام الحسين عليه السلام لم يخرج بالجهاد الابتدائي، ولم يعلن أنه سيبادر بني أمية القتال والجهاد حتى يلزم على كل المؤمنين نصرته وجوباً عينياً ويُعدَّ المتخلف عن ذلك عاصياً مذنباً، بل أنه عليه السلام خرج فاراً من ظلم بني أمية^(٢) الذين عزموا على قتله في المدينة أولاً، ولذلك كان يقول عليه السلام: الفرار ممّا لا يُطاق من سنن

(١) راجع مقتل الحسين للمقرّم ص ١٣٥ عن ابن نما الحلبي.

(٢) لقد استفاد المؤلف هذا الكلام من العلامة المامقاني حيث قال في تنقيح المقال... والحسين عليه السلام حين حركته من الحجاز وإن كان يدري هو أنه يُستشهد بالعراق إلا أنه في ظاهر الحال لم يكن ليمضي إلى الحرب حتى يجب على كل مكلف متابعته وإنما كان يمضي للإمامة بمقتضى طلب أهل الكوفة فالتخلف عنه غير مؤاخذ بشيء، وإنما يؤاخذ لترك نصرته من حضر الطف أو كان بالقرب منه على وجه يمكنه الوصول إليه ونصرته ومع ذلك لم يفعل وقصر في نصرته، فالتخلفون بالحجاز لم يكونوا مكلفين بالحركة معه حتى يوجب تخلفهم الفسق... / تنقيح المقال ج ٣ ص ١١٢ / المترجم.

المرسلين فغادر فاراً إلى مكة فبعث إليه يزيد جماعة يقتلونه غيلة في الطواف أو أثناء العبادة، ولما علم الإمام عليه السلام ذلك - بعلم الإمامة - ترك مكة وغادرها حفاظاً على حرمتها، إذ أن قتله في الطواف يُعدّ هتكاً لحرمتها، فاتّجه صوب الكوفة وكانت رسائل بعضهم قد وصلته ويطلبون منه القدوم فهاجر إليهم ولم يطلب من أهل مكة النصرة - كما طلبها في يوم عاشوراء من أعدائه الأشقياء -

نعم، هو عليه السلام أرسل رسالتين بعد حركته الأولى من مكة والثانية من كربلاء إلى محمد بن الحنفية وبني هاشم وحملت هاتان الرسالتان مضموناً واحداً يظهر من خلال كلماته الشريفة عليه السلام وهو أنه عليه السلام مجبور في هجرته هذه إلى العراق بسبب ما تقدّم وقد كتب عليه السلام - كما في البحار نقلاً عن كامل الزيارات مسنداً عن الإمام الباقر عليه السلام - :

بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم أما بعد: فإن من لحق بي أسّشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح والسلام^(١).

وقال العلامة المامقاني بعدما نقل هذه الرسالة: فإنه يدلّ على أن المتخلف لا ينال تلك المرتبة العظيمة، لا أنه مؤاخذ معاقب وإلا لقال عليه السلام ومن لم يلحق مع قدرته فهو مأخوذ بذنبه وشبه هذا^(٢).

إذن فالمؤاخذ والمسؤول هم الذين كانوا في كربلاء الذين سمعوا استنصار الإمام عليه السلام ولم ينصروه وتمردوا عليه، وأما من لم يعلم ولم يسمع بالحسين عليه السلام أو لم يحضر فهو غير مؤاخذ ويدلّ على هذا ما ذكره العلامة المجلسي في

(١) أنظر تنقيح المقال ج ٣ ص ١١٢ والعبارة فيه هكذا: .. فمن لحق بي منكم أسّشهد ومن لم يلحق لم يبلغ مبلغ الفتح والسلام / المترجم.

(٢) المصدر نفسه.

البحار من رواية عمرو بن قيس المشرقي وعمه عندما التقيا بالحسين عليه السلام في قصر بني مقاتل واعتذرا من عدم المجيء معه إلى كربلاء، فقال عليه السلام لهما: فانطلقا فلا تسمعوا لي واعي ولا تريالي سواداً، فإنه من سمع واعتينا أو رأى سوادنا فلم يجبنا ولم يغثنا كان حقاً على الله عز وجل أن يكبه على منخريه في النار^(١).

وفي رسالته عليه السلام الثانية إلى محمد بن الحنفية كتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم أما بعد فكان الدنيا لم تكن وكأن الآخرة لم تزل والسلام^(٢).

وهو إشعار منه عليه السلام إلى بني هاشم أنه سوف يقتل ويستشهد في سبيل الله وينال الآخرة، فكان الدنيا لم تكن ولا قيمة لها أمام مشروع الاستشهاد العظيم، وهو ما حصل فعلاً بعد قتله عليه السلام فقد تحول بنو هاشم إلى مشاريع استهادية ضد بني أمية إذ صارت الدنيا في أعينهم حقيرة لا قيمة لها.

ومحل الشاهد من هذه الرسالة أنه عليه السلام لم يقل فيها: يجب على بني هاشم اللحق بي وكل من لم يلتحق مع قدرته فهو مذنب ومجرم ومسؤول أمام الله ورسوله.

إذن من مجموع هذا الكلام نعرف أن عدم التحاق محمد بن الحنفية وأمثاله بعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس وآخرين بالحسين عليه السلام وعدم تواجدهم في كربلاء لا يعد ذنباً منهم.

ومن الأدلة على براءة محمد بن الحنفية هو أن الإمام الحسين عليه السلام أعطى وصيته إليه، إذ أن المسافر أو الميت يعطي وصيته إلى من سيقف بعده لا أنه يعطيها إلى من سيموت معه، فلما أعطى الإمام الحسين عليه السلام وصيته إلى محمد

(١) البحار ج ٢٧ ص ٢٠٤ ح ٦ ط إيران.

(٢) البحار ج ٤٥ ص ٨٧ ح ٢٣ ط إيران.

ابن الحنفية كان ذلك دليلاً على رضا الحسين ببقاء محمد هذا، وإلا لم يعطه الوصية أو أنه كان يعطيها لشخص آخر ويأمر محمد بالسفر معه إلى كربلاء^(١). فمن خلال ما تقدم ظهر لكم أن محمد بن الحنفية عالي المقام ولا يمكن القدح في شخصيته من أي جهة، لأنه قضى عمره كله (٦٥ عاماً) معتقداً بالتوحيد والنبوة والإمامة والعدل والمعاد وبقية فروع الدين حتى لقب بـ (سيد التابعين)^(٢).

(١) كتب الإمام الحسين عليه السلام في وصيته: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية، أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي عليه السلام أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي عليه السلام وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. مقتل الحسين للمخوارزمي ج ١ ص ١٨٨ ط الغري.

أقول: كان المؤلف عليه السلام قد ذكر هذه الوصية في متن كلامه ورأيت من المناسب أن أجعلها في الهامش فنوهت لهذا / المترجم.

(٢) ولد في خلافة عمر بن الخطاب وتوفي في عام ٨١ هـ في ملك عبد الملك بن مروان، وقيل إنه توفي في الطائف ودفن فيها، وقيل في جبل رضوى قرب المدينة - أو أنه جبل متصل بجبال عمان - وحملت جنازته إلى المدينة وصلى عليه ابن عباس ودفن في البقيع، وزعم - باطلاً - الكيسانية أنه لم يمض بل هو في جبل رضوى وهو المهدي المنتظر .. / المؤلف.

أقول: كان هذا الكلام في المتن وقد جعلته في الهامش فاقتضى التنويه / المترجم.

إيمان السيّد الحميري وعدوله من الكيسانية

هو أبو عامر إسماعيل بن محمد الحميري، كان من الكيسانية الذين اعتقدوا بغيبة محمد بن الحنفية وأنه المهدي المنتظر عليه السلام حتى أنشد في ذلك أشعاراً عديدة منها قوله:

أيا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى فحتي متى تخفي وأنت قريب
فلو غاب عنا عمر نوح لا يقنت منا النفوس بأنه سيؤوب
وقوله:

ألا حي المقيم بشعب رضوى وأهد له بمنزله سلاما
وقال يابن الوصي فدتك نفسي أطلت بذلك الجبل المقاما
أضرر بمعشر والوك منا وسمون الخليفة والإماما
فما ذاق ابن خولة طعم موت ولا وارت له أرض عظاما^(١)
سؤال أحد الحاضرين: لقد عرف السيّد الحميري بأنه شاعر الكيسانية وكان يعتقد معتقداتهم بدليل ما تفضّلت به من أشعاره فهل بقي على ذلك إلى آخر عمره أم لا؟

الجواب: يوجد الكثير ممّن كان ضالّاً أو منحرفاً في مطلع شبابه بسبب الجهل وعدم الوعي والتدقيق في الأمور، أو بسبب الكفر والعصيان والفسوق ولكن بعد مدّة من الزمن يدرك أنّه كان مخطئاً متعجّلاً فيرفع عن عينيه غشاء العمى وعن قلبه حجاب الظلام فيبهتدي بهدى الله، والسيّد الحميري كان من الفضلاء والعلماء والأدباء والشعراء معروفاً في عصره (القرن الثاني الهجري)، فقد كان كيساني المذهب في مطلع شبابه بعدما خُدع بأكاذيبهم وافترائاتهم ودعائياتهم حتى أنشد أشعاراً مشيراً فيها إلى معتقدات الكيسانية، وقد كان

(١) كمال الدين ج ١ ص ٦٢، ط جامعة المدرسين، تحقيق علي أكبر الغفاري.

يشرب الخمر أيضاً.

ولكن بعدما التقى بالإمام الصادق عليه السلام وأراه الآيات الباهرات والدلائل الواضحات وأبطل له زيف الكيسانية رجع السيد الحميري إلى الهدى وعدل عن الضلال وصار مؤمناً كاملاً وقد هجر تلك المعاصي كلها.

سؤال أحد الحاضرين: كيف التقى الإمام الصادق عليه السلام أرجو أن تذكر لنا ذلك؟

تحول الخمر إلى لبن

الجواب: ذات مرة التقى السيد الحميري في الطريق بالإمام الصادق عليه السلام وكان الحميري يحمل معه إبريقاً من الخمر، فقال له الإمام الصادق عليه السلام: يا حميري ما في إبريقك؟ فقال: يابن رسول الله إنه لبن، فقال عليه السلام: صب في كفي من اللبن، فصبه في كفه، فإذا هو لبن فقال له الصادق عليه السلام: من إمام زمانك؟ فقال: الذي حول الخمر لبناً^(١).

لقاؤه بالإمام الصادق عليه السلام

وجاء في البحار عن حيّان السراج - وكان من كبار الكيسانية - قال: سمعت السيد ابن محمد الحميري يقول: كنت أقول بالغلو وأعتقد غيبة محمد بن علي ابن الحنفية عليه السلام، قد ضللت في ذلك زماناً، فمضى الله عليّ بالصادق جعفر بن محمد عليه السلام وأنقذني به من النار وهداني إلى سواء الصراط، فسألته بعدما صحّ عندي بالدلائل التي شاهدتها^(٢) منه أنه حجة الله عليّ وعلى جميع أهل زمانه،

(١) تنقيح المقال ج ١ ص ١٤٢ نقلاً عن تكملة الشيخ عبد النبي الكاظمي نقلاً عن حواشي الشيخ البهائي عن خلاصة العلامة.

(٢) أقول: من جملة الدلائل التي شاهدها السيد الحميري من الإمام الصادق عليه السلام ما

وأته الإمام الذي فرض الله طاعته وأوجب الاقتداء به.

فقلت له: يا ابن رسول الله قد روي لنا أخبار عن آبائك عليهم السلام في الغيبة وصحة كونها فأخبرني بمن تقع؟ فقال عليه السلام: ستقع بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله عليه السلام أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم القائم بالحق، بقية الله في الأرض، وصاحب الزمان والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، قال السيد: فلما سمعت ذلك من مولاي الصادق جعفر بن محمد عليه السلام تبت إلى الله تعالى ذكره على يديه وقلت قصيدة أولها:

فلما رأيت الناس في الدين قد غووا	تجففت باسم الله فيمن تجعفروا
تجففت بسم الله والله أكبر	وأيقنت أن الله يعفو ويغفر
ودنتُ بدين غير ما كنت دايماً به	ونهباني سيّد الناس جعفر
فقلتُ له هبني تهوّدت برهة	والأ فديني دين من ينتصر
فلست بغال ما حييتُ وراجعاً	إلى ما عليه كنت أخفي وأضمرُ

→ ذكره العلامة المجلسي عن داود الرقي: بلغ السيد الحميري أنه ذكر عند الصادق عليه السلام فقال: السيد كافر فأناه وقال: ياسيدي أنا كافر مع شدة حبي لك ومعاداتي الناس فيكم؟ قال عليه السلام: وما ينفعك ذاك وأنت كافر بحجة الدهر والزمان، ثم أخذ بيده وأدخله بيتاً فإذا في البيت قبر فصلّى ركعتين، ثم ضرب بيده على القبر، فصار القبر قطعاً، فخرج شخص من قبره ينفض التراب عن رأسه ولحيته، فقال له الصادق عليه السلام: من أنت؟ قال: أنا محمد بن علي المسمى بابن الحنفية، قال: فمن أنا؟ قال: جعفر بن محمد حجة الدهر والزمان، فخرج السيد يقول: تجففت باسم الله فيمن تجعفروا... / البحار ج ٤٧ ص ٣٢٠ ح ١١ ويحتمل أن السيد الحميري قد أنشد هذه القصيدة في عدة مناسبات كما لا يخفى على من تأمل / المترجم .

ولا قائلًا قولاً لكيسان بعدها وإن عاب جهال مقالي وأكبر
ولكنه عني مضي لسبيله على أحسن الحالات يقفي ويؤثر^(١)

عبادة الإمام الصادق للسيد الحميري

ومن دلائل عاقبته الحسنة ما رواه العلامة المجلسي في البحار والمماقاني في التنقيح عن رجال الكشي مسنداً عن محمد بن نعمان قال: دخلت على السيد ابن محمد وهو لما به قد اسودَّ وجهه وازرقت عيناه وعطش كبده وهو يومئذ يقول بمحمد بن الحنفية وهو من حشمة وكان ممن يشرب المسكر فجنّت وكان أبو عبدالله عليه السلام قدّم الكوفة لأنه كان انصرف من عند أبي جعفر المنصور فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت: جعلت فداك إنّي فارقت السيد ابن محمد الحميري وهو لما به قد اسودَّ وجهه وازرقت عيناه وعطش كبده وسلب الكلام وأنه كان يشرب المسكر فقال أبو عبدالله عليه السلام أسرجوا لي حماري فأسرج له وركب ومضى ومضيت معه حتّى دخلنا على السيد وأن جماعة محدّثون به فقعّد أبو عبدالله عليه السلام عند رأسه وقال: ياسيد، ففتح عينيه ينظر إلى أبي عبدالله عليه السلام ولا يمكنه الكلام وقد اسودَّ وجهه فجعل يبكي وعينيه إلى أبي عبدالله عليه السلام ولا يمكنه الكلام وأنا لتبين فيه أنّه يريد الكلام ولا يمكنه فأرأينا أبا عبدالله عليه السلام حرّك شفّتيه فنطق السيد فقال: جعلني الله فداك أبا وليائك يفعل هذا؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: ياسيد قل الحقّ يكشف الله ما بك ويرحمك ويدخلك جنّته التي وعد أوليائه فقال في ذلك:

تجعفرت باسم الله والله أكبر... الخ.

فلم يبرح أبو عبد الله ﷺ حتى قعد السيد على استه^(١).

سؤال أحد الحاضرين: إذا كان السيد من محبي أهل البيت فلماذا إذن اسودّ وجهه؟ وكيف يدعو الإمام لرجل منحرف ويطلب له النجاة؟
الجواب: قلت سابقاً إن السيد الحميري كان منحرفاً كيسانياً^(٢) في شبابه، ولكنه بعدما التقى بالإمام الصادق ﷺ ورأى الدلائل الصادقة عدل إلى الحق وصار جعفرياً ولكن آثار شربه للخمر أباتم شبابه ظهرت عليه في مرضه هذا ليعرف هو وغيره أن عصيان الله تعالى يعقبه الجزاء.

ثم إن الله تعالى - بركة الإمام الصادق - رفع هذا الجزاء والعقاب عن السيد الحميري لحبه الخالص لأهل البيت وتوبته مما كان يفعل، وباب التوبة مفتوح له ولغيره من العاصين، وكان في رفع السواد عن وجهه حكمة إلهية للناس ولأهل العلم والمعرفة خاصة وهي أن حب أهل البيت ينجي الإنسان من العذاب وتكون عاقبته طيبة.

فقد ذكر العلامة المجلسي عن أمالي الشيخ مسنداً عن أبي حرب عن أبيه قال: دخلت على السيد ابن محمد الحميري عائدأ في علته التي مات فيها فوجدته يساق به، ووجدت عنده جماعة من جيرانه وكانوا عثمانية، وكان السيد جميل الوجه، رطب الجبهة، عريض ما بين السالفتين فبدت في وجهه - يعني اسوداداً - فاغتم لذلك من حضره من الشيعة، وظهرت من الناصبة سرور وشماتة، فلم يلبث بذلك إلا قليلاً حتى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء، فلم تزل تزيد أيضاً وتتمنى حتى أسفر وجهه وأشرق واقترب السيد ضاحكاً وأنشأ يقول:

(١) تنقيح المقال ج ١ ص ١٤٣.

(٢) أنظر ذلك في التنقيح ج ١ ص ١٤٢ / المترجم.

كذب الزاعمون أن علياً
قد ورثي دخلت جنة عدن
لن ينجي محبه من هنات
وعفالي الإله عن سيئات
فابشروا اليوم أولياء علي
وتولوا علي حتى الممات
ثم من بعده تولوا بنيه
واحداً بعد واحد بالصفات^(١)

وغيرها من الأشعار في مدح أهل البيت (عليه السلام) حتى عُرف السيد الحميري بشاعر أهل البيت (عليه السلام)، فقد ذكر أبو الفرج الاصفهاني في الأغاني عن الموصلي عن عمه أنه قال: جمعت للسيد الحميري ألفين وثلاثمائة قصيدة في مدح بني هاشم^(٢).

وما كان هذا السيد ليجلس في مجلس لا يذكر فيه آل محمد (عليه السلام) فقد جاء

(١) البحار ج ٤ ص ٣١٢ ح ٤ ط إيران.

أقول: وقد ذكر في هامش البحار مصادر هذه القصة فراجع / المترجم.
(٢) قال أبو الفرج الاصفهاني عن السيد الحميري: وكان شاعراً مطبوعاً مكشراً، ويقال: إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام بشار وأبو العتاهية، والسيد فإنه لا يعلم أن أحداً قدر على جمع شعر واحد منهم حتى يستوعبه كله.. / تجريد الأغاني ج ٢ ص ٨٧٣ ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.
وحكى أبو داود وإسماعيل بن الساهر أنهما حضرا السيد عند وفاته بواسط وقد أصابه شرى - داء يأخذ في الجلد أحمر على هيئة الدرهم - وكرب فجلس ثم قال: اللهم هذا كان جزائي في حب آل محمد، فكانها كانت ناراً فطُفئت عنه / المصدر نفسه ص ٨٨٣.

وحكى بشير بن عمّار قال: حضرت وفاة السيد في الرملة ببغداد، .. وأنه ليتحسر تحسراً شديداً وإن وجهه لأسود وما يتكلم إلى أن أفاق إفاقة وفتح عينيه ونظر إلى ناحية القبلة وقال: يا أمير المؤمنين أتفعل هذا بوليك؟ قالها ثلاث مرّات مرّة بعد أخرى قال: فتجلّى والله في وجهه عرق بياض فما زال يتسع ويلبس وجهه حتى صار كله كالبدن وتوفي / المصدر نفسه ص ٨٨٤ / المترجم.

في الأغاني عن حسن بن علي بن حرب بن أبي الأسود الدؤلي أنه قال: كنّا جلوساً عند أبي عمرو بن العلاء فتذاكرنا السيّد فجاء وجلس وخضنا في ذكر الزرع والنخل ساعة فنهض فقلنا: يا أبا هاشم ممّ القيام؟ فقال:

إنّي لأكره أن أطيل بمجلس لا ذكر فيه لأل محمّد
لا ذكر فيه لأحمد ووصيه وبينه ذلك مجلس وصف الردي
إنّ الذي ينسأهم في مجلس حتّى يفارقه لغير مسد^(١)

لاسيما حول أمير المؤمنين عليه السلام فإنّه لم يكن ليجلس في مجلس ليس فيه ذكر علي عليه السلام، فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني أيضاً في أغانيه أنّ السيّد الحميري كان همّه نظم فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ونشره حتّى حكى أنّه وقف بالكناس وقال: من جاء بفضيلة لعلي بن أبي طالب لم أقل فيها شعراً فله فرسي هذا وما عليّ فجعلوا يحدثونه وينشدهم فيه حتّى روي رجل عن أبي الرعل المرادي أنّه قدّم أمير المؤمنين عليه السلام فتطهر للصلاة فنزع خفّه فانسابت فيه أفعى فلمّا دعي ليلبسه انقضت غراب فحلقت ثمّ ألقاها فخرجت الأفعى منه قال فأعطاه السيّد ما وعده وأنشأ:

ألا يا قوم للعجب العجائب
أتى خفّاً له فانساب فيه
فخر من السماء له عقاب
فطار به فحلّق ثمّ أهوى
إلى جحر له وانساب فيه
كره الوجه أسود ذو بصيص
لخف أبي الحسين وللجباب
لينهش رجله منه بناب
من العقبان أو شبه العقاب
به للأرض من دون السحاب
بعيد القمر لم يرتج بباب
جديد الناب أزرق ذو لعاب

(١) الأغاني ترجمة السيّد الحميري ج ٧، ص ١٦٧ - ط دار إحياء التراث.

ودفع عن أبي حسن علي نقيع سمائه بعد انسياب^(١)
وله أشعار كثيرة منها القصيدة اللامية والميمية (التي قال عنها ابن المعتز في
طبقات الشعراء أنه رأى جملاً في بغداد يحمل حملاً ثقيلاً فقال له: ما هذا؟
فقال الحمال: إنها ميميات السيد) والقصيدة المذهبة التي شرحها السيد
المرتضى علم الهدى، والقصيدة الغديرية والمشروحة في فضيلة ردّ الشمس
لأمير المؤمنين عليه السلام.

ومن جملة قصائده الرائعة التي حصل بسببها على عناية رسول الله ﷺ
والأنمة الأطهار عليهم السلام هي القصيدة العينية، وقد ذكر العلامة المجلسي طرفاً منها
ضمن هذه القصة، فعن الفضيل الرسان قال: دخلت على أبي عبد الله
الصادق عليه السلام بعدما قتل زيد بن علي فأدخلت بيتاً جوف بيت فقال لي: يا فضيل
قتل عمي زيد؟ قلت: جعلت فداك، قال عليه السلام: رحمه الله أما إنه كان مؤمناً وكان
عارفاً وكان عالماً، وكان صدوقاً، أما إنه لو ظفر لوفى أما إنه لو ملك لعرف كيف
يضعها، قلت: يا سيدي ألا أنشدك شعراً؟ قال: أمهل ثم أمر بستور فسدلت
وبأبواب ففتحت ثم قال: فأنشدته^(٢) القصيدة.

-
- (١) المصدر نفسه، وتجريد الأغاني ج ٢ ص ٨٧٧، والكنى والألقاب ج ٢ ص ٢٣٤.
(٢) أقول: جاء في كتاب تجريد الأغاني ج ٢ ص ٨٧٥: حكى بعضهم قال: كنت عند
أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، إذ استأذن أذنه للسيد، فأمر بإيصاله وأقعد حرمة
خلف ستر ودخل فسلم وجلس فاستنشه، فأنشده قوله:

امرر على جدث الحـ	حين وقل لأعظمه الزكية
يا أعظماً لا زلت من	وطفاء ساكية روية
وإذا مررت بسقبره	فأطل به وقف المطية
وابك المطهر للمطهر	والمطهرة النقية

قال: فسمعتُ نحيباً من وراء الستر وقال ﷺ: مَنْ قال هذا الشعر؟ قلت: السيد بن محمد الحميري، فقال ﷺ: رحمه الله^(١).

وفي خبر عنهم ﷺ أن رسول الله ﷺ أمر الشيعة بحفظ هذه القصيدة^(٢). سؤال أحد الحاضرين: عفواً ياسيدي لقد ذكرت أن السيد الحميري كان في القرن الثاني الهجري، ورسول الله ﷺ كان في القرن الأول، فكيف أمر ﷺ بحفظ قصيدة الحميري مع أنه لم يدركه؟

الجواب: نعم هذا صحيح فالفرق بين زمان رسول الله ﷺ وزمان السيد الحميري قرنين تقريباً، لأن السيد توفي في بغداد عام ١٧٩هـ في ملك هارون الرشيد.

سؤال أحدهم: إذن كيف تقول إن رسول الله أمر بحفظ قصيدته؟

رسول الله (ص) يأمر بحفظ القصيدة العينية

الجواب: لقد ذكر العلامة المجلسي والعلامة المامقاني عن عيون أخبار الرضا ﷺ أن الإمام الرضا ﷺ رأى رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين ﷺ في عالم الرؤيا وأمامهم السيد الحميري ينشد قصيدته العينية، ولما انتهى منها قال رسول الله ﷺ للإمام الرضا ﷺ: احفظ هذه القصيدة، ومر شيعتنا بحفظها واعلمهم أن من حفظها وأدمن قراءتها ضمنت له

يوماً لواحدھا المنية

→ كبكاء معولة أنت

قال: قرأت دموع جعفر بن محمد تنحدر على خديته ولحيته وارتفع الصراخ والبكاء من داره حتى أمره بالإمساك، فأمسك / المترجم.

(١) البحار ج ٤٧ ص ٣٢٥ ح ٢٢ ط إيران.

(٢) تنقيح المقال ج ١ ص ١٤٣.

الجنة على الله تعالى^(١).

سؤال أحد الحاضرين : هل يمكنك أن تبين لنا ما جاء في هذه القصيدة لكي نحفظها؟

الجواب : لقد ذكرها العلامة المجلسي وهي تتألف من (٥٤)^(٢) بيتاً ولكن رعاية للاختصار اذكر لكم منها (١٢) بيتاً إجابة لكم :

طامسة أعلامه بلقع	لام عمرو باللوى مريع
والعين من عرفانه تدمع	لما وقفت العيس في رسمه
فبت والقلب شجي موجع	ذكرت من قد كنت أهوى به
بلمحظة ليس لها مدفع	عجبت من قوم أتوا أحمداً
إلى من الغاية والمفرع	قالوا له لو شئت أخبرتنا
ومنهم في الملك من يطمع	إذا تولى وفارقتنا
ماذا عسيتم فيه أن تصنع	فقال لو أخبرتكم مفرعاً
هارون فالترك له أودع	صنيع أهل العجل إذ فارقوا
خمس فمناها هالك أربع	فالناس يوم البعث راياتهم
وسامري الأمة المفظع	قائدها العجل وفرعونها
أجدع عبد لكع أوكع	ومجدع عن دينه مارق
كأنه الشمس إذا تطلع	وراية قائدها حيدر

ثم أضاف إليها الإمام الرضا^(عليه السلام) هذه الأبيات :

غداً يلاقي المصطفى حيدر	وراية الحمد له تُرفع
مولي له الجنة مأمورة	والنار من إجلاله تفرع

(١) تنقيح المقال ج ١ ص ١٤٣.

(٢) البحار ج ٤٥، ص ٢٤٣ باب المراثي، ط دار إحياء التراث بيروت.

إمام صدق وله شيعة يرووا من الحوض ولم يمنع
بذاك جاء الوحي من ربنا يا شيعة الحق فلا تجزعوا
وقد ذكرت هذه القصيدة في عدة مصادر بالتفصيل والإيجاز مع اختلاف
يسير بالعبارات.

سؤال أحد الحاضرين: هل كان السيد الحميري من قريش ومن بني
هاشم - علوياً - حتى نال هذا الشرف؟

الجواب: لم يكن السيد إسماعيل قرشياً ولا هاشمياً ولا علوياً، بل ذكر
علماء الرجال أن هذا اللقب (السيد) لقبه به الإمام الصادق عليه السلام، فقد جاء في
البحار^(١) وتنقيح المقال^(٢) ومختار الكشي^(٣) الموجود أمامي الآن، أن الإمام
الصادق عليه السلام التقى السيد الحميري يوماً فقال له: سمّتك أمك سيّداً ووفقت في
ذلك، أنت سيّد الشعراء، وعرف منذ ذلك الوقت بلقب السيد، وأنشد بهذه
المناسبة:

ولقد عجبت لقائل لي مرّة	علامة فهم من الفقهاء
سمّاك قومك سيّداً فصدقوا	به أنت الموفق سيّد الشعراء
ما أنت حين تخصّ آل محمّد	بالمدح منك وشاعر بسواء
مدح الملوك ذوي الغنا لعطائهم	والمدح منك لهم بغير عطاء
فابشر فإنك فايّز في حبيهم	لو قد وردت عليهم بجزاء
ما يعدل الدنيا جميعاً كلّها	من حوض أحمد شربة من ماء

(١) البحار ج ٤٥ ص ٦٤ ح ٢٧.

(٢) تنقيح المقال ج ١ ص ١٤٣.

(٣) راجع ترجمته في مختار الكشي ص ٢٨٥، رقم (٥٠٥)، ط: مشهد عام ١٣٤٨ ش.

عاقبة السيّد الحميري

لقد توفي السيّد الحميري على ولاية آل محمد ﷺ عام ١٧٩ هـ في بغداد وكان لوفاته صيتاً ذائعاً ووقعاً كبيراً فقد حضر جنازته أشرف الكوفة وأرسلوا له من الكوفة تسعين كفنًا. وقال البعض (أبو الفرج الاصفهاني في الأغاني) سبعين كفنًا^(١)، إلا أن الخليفة العبّاسي هارون أرجع جميع الأكفان وكفنه هو بنفسه وصلى عليه المهدي العبّاسي وكبر عليه خمساً^(٢)، كان هذا خلاصة لترجمة السيّد الحميري المحبّ لأهل البيت لتتضح لكم الحقائق وهكذا للقراء، ولا تنخدعوا بترهات الشهرستاني أو ابن حزم وأمثالهم الذين اعتادوا على خلط الأوراق والتدوين بلا تحقيق حيث اتهموا السيّد الحميري بأنه كيسانياً ومات على هذا المذهب.

فالمطلوب من الكتاب والمحقّقين أن يكونوا منصفين ومطلعين ولا يجازفوا في ذكر أشياء أو البت بها دون دراية، أو بدافع العناد واللجاج، كما ذكر البعض عن والدي السيّد الحميري حيث قال إنّ والديه كانا من أهل السنّة!!

السيّد الحميري ولد شيعياً

روي السيّد البحراني في مدينة المعاجز مسنداً عن أبي عبد الله ﷺ قال:

(١) تجريد الأغاني ج ٢ ص ٨٨٤.

(٢) حكى عبّاد بن صهيب قال: كنت عند جعفر بن محمد ﷺ وأتاه نعي السيّد، فدعا له فقال له رجل: يا ابن رسول الله تدعو له وهو يشرب الخمر ويؤمن بالرجعة؟ فقال: حدّثني أبي عن جدّي: أنّ محبّي آل محمد لا يموتون إلاّ تائبين وقد تاب ورفع مصلّى كان تحته فأخرج كتاباً من السيّد يُعرفه أنّه قد تاب ويسأله الدعاء له / تجريد الأغاني للاصفهاني ج ٢ ص ٨٨٣ / المترجم.

خرج الحسن بن علي عليه السلام إلى مكة سنة ماشياً فورمت قدماء فقال له بعض مواليه لو ركبت أمسكت عنك هذه الورمة، فقال عليه السلام: كلاً، إذا أتينا هذا المنزل فإنه يستقبلك أسود ومعه دهن فاشتر منه ولا تماكسه، فقال له مولاه، بأبي أنت وأمي ما قدأنا منزل فيه أحد يبيع هذا الدهن، فقال: بلى إنه أمامك دون المنزل فسار ميلاً فإذا هو بالأسود فقال الحسن عليه السلام: لمولاه دونك الرجل فخذ منه الدهن واعطه الثمن فقال الأسود: يا غلام لمن رمت هذا الدهن؟ فقال (مولى الإمام): للحسن بن علي عليه السلام فقال (الأسود): انطلق بي إليه فانطلق به إليه، فأدخله إليه، فقال له: بأبي أنت وأمي لم أعلم أنك تحتاج إلى هذا أو ترى ذلك ولست آخذ له ثمناً إنما أنا مولاك، ولكن ادع الله أن يرزقني ذكراً سوياً يحبكم أهل البيت فأني خلّفت أهلي وهي تمخض، فقال عليه السلام: انطلق إلى منزلك فقد وهب الله لك ذكراً سوياً وهو من شيعتنا، فانطلق فوجد امرأته ولدت غلاماً، فكان هو السيد الحميري^(١)، وهذا صريح في أن أباه كان مالياً محبباً لهم عليهم السلام وأن السيد ولد شيعياً من أبوين شيعيين، نعم أصيب بانحراف في مطلع شبابه بسبب التيارات المتعددة والسياسية الحاكمة التي خلطت الأوراق وحجّمت المدّ الشيعي.

ومما يؤسف له أن كتاب أهل السنة لا يرغبون في تحقيق مثل هذه الأمور بل يكتفي المتأخرون بما كتبه المتقدمون بلا تحقيق وتدقيق، بل يكتبون الوقائع التاريخية أحياناً على ذوقهم وطبقاً لنزعاتهم المذهبية أو الشخصية!! وعلى سبيل المثال زعمهم - باطلاً - أن هناك طائفة تدعى بـ (المختارية) فقد ذكرها الشهرستاني في الملل والنحل^(٢) وعبد القادر البغدادي في الفرق بين

(١) تنقيح المقال ج ١ ص ١٤٤ ومدينة المعاجز الباب الثاني رقم المعجزة ٢٧ ص ٢٠٥ ط حجرى قديم.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٤٧ دار المعرفة بيروت ١٩٧٥ م.

الفرق^(١) وابن حزم في الفصل وآخرين أمثالهم ومن حذى حذوهم، وعدّوها إحدى فرق الشيعة وزعموا أنّهم أصحاب المختار بن أبي عبيد الشقفي كان خارجياً ثم صار زبيرياً ثم صار شيعياً وكيسانياً، وزعموا أنّه ادّعى النبوة.

ومع الأسف جرى على هذا المجرى كلّ من ابن الأثير في أسد الغابة^(٢) وابن كثير في تاريخه وآخرين غيرهما مضوا على ما كتبه الأولون بلا تفحص ولا تحليل ولا تدقيق، وعدّوا المختار ضالاً مضلاً وكذاباً، ونسبوا إليه أموراً عجيبة كالتي كان يقولها الحلاج، وهؤلاء الكتاب لا يمكن القول عنهم أنّهم لا يفهمون، بل هم من أهل العلم إلا أنّ العادة السائدة عندهم أنّهم يغمضون عيونهم أمام الحقائق ويكتبون وهم على وضوح مع أنفسهم أنّهم يكتبون باطلاً ولكن نصرّة لمذهبهم وطعناً في الشيعة ولو على حساب تزيف الحقائق للأجيال.

دراسة عن أسباب مخالفة أهل السنة للمختار

علينا أولاً أن نعرف سبب مخالفة أهل السنة للمختار، والسبب واضح وهو كون المختار كان شديد العداوة والبغض لبني أمية وجميع من ظلم أهل بيت النبي ﷺ، وأنّه قتل من هؤلاء النواصب ومن بني أمية أكثر من سبعين ألفاً وأدخل السرور على قلوب العلويات والعلويين من آل رسول الله ﷺ.

وبما أنّ المخالفين للشيعة - عادةً - من مريدي بني أمية فكان عليهم والحال هذه أن يبغضوا المختار ويسعون إلى تشويه صورته وإضلال الناس بذلك وصدهم عن معرفة الحقيقة فلم يوفروا جهداً في إضلال الأجيال بنسبة

(١) الفرق بين الفرق ص ١٩٠، ط دار الآفاق ١٩٧٣ م.

(٢) أسد الغابة ج ٥، ص ١١٧، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

المزخرفات والكفریات إلى المختار، حتَّى وصل بهم الحقد أن يزعموا أن هناك طائفة تُنسب إلى المختار وهم المختارية ويعدونها إحدى فرق الشيعة! ولكي أوقفكم على حقيقة هذا الموضوع عليّ أن أرجع قليلاً إلى سيرة المختار منذ ولادته وأذكر لكم حال والديه وشيئاً من سيرته وبعد ذلك أترك الحكم إليكم وعليكم أن تحكموا بالإنصاف.

مَنْ هو والد المختار؟

إنَّه أبو عبيدة بن مسعود الثقفي من زعماء وكبار قبيلة ثقيف وهو من كبار صحابة رسول الله ﷺ أيضاً، كان رجلاً مؤمناً معروفاً بالصلاح وعُدَّ من جملة التابعين، وكان شجاعاً قوي القلب شارك في الفتوحات ثلاثين مرّة، إلى أن نال الشهادة في وقعة الجسر.

سؤال أحد الحاضرين: ما هي وقعة الجسر أرجو أن تذكرها لنا؟

الجواب: قبل أن أوضح لكم وقعة الجسر عليكم أن تعرفوا أن رسول الله ﷺ بعد فتح مكّة واستقرار التوحيد فيها عزم على مراسلة ملوك الأرض وزعماء الطوائف والقبائل، ومن اللازم أن أذكر لكم هذا الموضوع لأنَّ وقعة الجسر لها ارتباط وثيق بذلك.

رسالة رسول الله ﷺ إلى خسرو پرويز ملك ايران

وقبل ذكر الرسالة^(١)، أذكر ما ذكره المؤرخون عن خسرو پرويز عندما

(١) أقول: قبل هذه الرسالة ذكر المؤلف ﷺ رسالة النبي ﷺ إلى ملك الحبشة مع جوابها، ورسالته ﷺ إلى ملك الروم وجوابها، ورسالته إلى المقوقس وجوابها، ولم أذكر كل ذلك لعدم ارتباطه بصلب الموضوع، ثم إنَّ الرسائل ذكرت في أصل الكتاب باللغة العربية ولا حاجة إلى ترجمتها ويمكن لمن يريد الوقوف عليها أن

وصل إلى منصب الحكم، فقد عمد هذا الملك الغاشم إلى عدّة أمور منها:

- ١- أودع والده (هرمزد) السجن ثم أعمى عينيه ثم قتله.
- ٢- فصل بين أولاده وزوجاتهم، ثم أمر بسجن كلّ أولاده وحجز زوجاتهم عنده، خوفاً من ولادة الحفيد الذي ستكون نهاية ملكه على يديه كما أخبره بذلك المنجّمون.
- ٣- اعتقل عشرين ألف محارب من رجاله - وذكر الطبري أنه اعتقل ثلاثين ألف - ثم أوعز إلى (فرّخ زاذ) رئيس الحرس بقتلهم كلّهم، وكان (فرّخ زاذ) يطلب منه تأجيل ذلك الأمر بعدّة أسباب.
- ٤- كان يقتل كلّ يوم ٥ - ٦ من السجناء.
- ٥- استمر في أخذ الضرائب (الخراج) من الناس كما كان يفعل ذلك (بهرام چوبين الملك السابق) وصنع لنفسه من هذه الأموال ثروات طائلة.
- ٦- اعتقل ثلاثة آلاف امرأة حرّة في قصره ومنعهنّ من الحمل بينما كان هو يلهو مع عشيقته وحبيته وأمه (شيرين).
- ٧- وقد أفرط في الظلم والتعسف حتّى سعى لقتل (يزدجرد) ابن (شهریار) وهو ابن خمس سنين بلا ذنب، إلّا أنّ أمّه شیرين منعتة من ذلك وسهّلت لـ(يزدجرد) أن يفرّ من القصر.
- ٨- وقتل النعمان بن المنذر لأنّه لم يزوجه إحدى بناته.
- ٩- وقتل خاله (كندوي أو بندي) وبعد فترة قصيرة قتل خاله الثاني (بسطام) بأذكي الحيل^(١).

→ يرجع إلى أصل كتاب (گروه رستگاره) ج ٢ من ص ٣٣٩ - ٣٥١ أو من كتب التأريخ كالطبري وغيره كما سأذكر ذلك لاحقاً / المترجم.

(١) ذكر المؤرّخ البعقوبي أنّ خسرو غضب على خاله بندي فسمّل عينيه وقطع يديه

١٠ - وسلط رجاله على الشعب وعلى ثروات البلد فكانوا يمارسون ألوان الظلم والاضطهاد مع الناس ويأخذون منهم الأموال بالقوة، ويرسلونها إلى المدائن وهي عاصمته الثانية فكانوا يعملون له الخزائن والثروات الطائلة، حتى ذكر المؤرخون أن خسرو پرويز كان يملك سبعة كنوز خطيرة جداً وعظيمة للغاية لم يتسنّ لغيره من ملوك السلسلة الساسانية ما حصل له^(١)، وبلغ ملكه

→ ورجلين وصلبه حيّاً.

أنظر تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ١٧١ / المترجم.

(١) وكانت لهذه الخزائن أسمائها الخاصة بها:

الأولى: خزينة العروس، وقد بذل خسرو جهداً جبّاراً لجمعها.

الثانية: خزينة الريح وذلك عندما خرج ملك الروم (فرخان) إلى حرب شهريار وهو أحد قواد خسرو، وقدّم ملك الروم خزائنه في البحر في ألف مركب ليرسلها إلى إيطاليا خوفاً من استيلاء الفرس عليها وكانت المراكب شرعية تجري بواسطة الريح، فجرت الريح بما لا تشتهي السفن فألقته على ساحل انطاكية عند شهريار فغنمها وحملها إلى برويز فسُميت خزانة الريح.

أقول: أنظر مروج الذهب ج ١ ص ٣٠٦ ط دار الأندلس ١٩٦٥ م / المترجم.

الثالثة: خزينة دبية خسروي.

تقول: دبية اسم الخزانة الثالثة من خزانة خسرو برويز الثمانية كما ذكرها الدكتور محمد التونجي في كتابه فرهنك فارسي عربي ص ٢٨٦ / المترجم.

الرابعة: خزينة افراسياب التي وجدها خسرو نفسه.

أقول: افراسياب اسم أحد ملوك الفرس أنظر ترجمته في مروج الذهب ج ١ ص ٢٤٩ وقد وجد برويز خزينته فسُميت باسمه / المترجم.

الخامسة: خزينة سنجيدة..

أقول: معنى سنجيدة كما جاء في كتاب فرهنك فارسي عربي: موزون أو مكال أو

على جميع بلاد إيران وأطراف الهند وجلس على سرير الملك وكان من أشدّ الملوك بطشاً وأنفذهم رأياً وأبعدهم غوراً وبلغ من البأس والنجدة والنصر والظفر ومساعفة الدهر إياه ما لم يتهياً لملك أكثر منه وذلك سمّي (برويز) وتفسيره بالعربية (المظفر).

وقد عرف خسرو برويز بالغدر فقد قتل أقرب المقرّبين عنده ورجاله الخاصين به الذين وطّدوا له ملكه وأحكموا قبضته على البلاد بسوء ظنه بهم واعتماده على قول المنجمين، ممّا أدّى إلى كراهية أولاده له وعملهم على إنهاء فترة حكمه.

وكذلك قتله (يزدين) وهو من المخلصين له الذي كان له الفضل الكبير في دعم وتقوية خزانته فإنّه كان يرسل الأموال الكبيرة إليه.

وذكر المؤرّخ المسعودي أنّ (بزرجمهر بن البختكان) كان وزير ابرويز والغالب عليه والمدير لأمره، فلمّا خلا من ملكه ثلاث عشرة سنة اتّهمه بالميل إلى بعض الزنادقة من الثنوية فأمر بحبسه ثمّ أمر بكسر أنفه وفمه وأمر به أخيراً فضرب عنقه، وندم على قتله وتأسّف عليه، ودعا (بخير أريس أو حبر أرثوس)

→ مسعر فراجع ص ٣٥٢ / المترجم.

السادسة: خزينة الخضراء وقد حصل عليها من العرب.

السابعة: خزينة شاد آور، وهي من بقايا ذو القرنين.

أقول: معنى (شاد آور) موجد السرور / المترجم.

وكُلّ واحدة من هذه الخزائن تحتاج إلى شرح مفصّل لا يسع المجال لذكره هنا، وقد تناولها المؤرّخون، وكان لهذه الخزائن الدور الكبير في دعم ملك خسرو برويز / المؤلّف.

أقول: كان هذا الكلام كلّه في متن الكتاب ورأيت من المناسب وضعه في الهامش / المترجم.

الوزير الثاني وكانت مرتبته دون مرتبة بزرجمهر، فلما رأى بزرجمهر قتيلاً أسف عليه وعلم أنه لا ينجو فأغلظ لأبرويز في الكلام، فأمر بقتله وأغرق في دجلة^(١).

وكانت سياسته هذه هي السبب في ضعف قدرته لاسيما عمليات القتل والغدر والإبادة والسجن مما أدى إلى انفلات الروم من تحت سلطته وسيطرته، وهكذا حكم بلاده بالقوة والحديد والنار وكثف من جواسيسه وشرطته في صفوف الشعب مما عزز فيهم الخوف والشعور بالقهر والانهازم النفسي أمام جبروته وظلمه فكان الغالب على مملكته الطابع البولييسي مما وفر له فرصة أكبر للحكم امتدت إلى ٣٨ عاماً^(٢)، وطال ظلمه واضطهاده حتى لأولاده كما ذكرت لكم ذلك، فتشكّلت شخصيته بهذه الصفات الجافة من التكبر والتعالي والاستهزاء بالآخرين وسحقهم.

عود علي بدء

وقد عاصر هذا الملك الجبار المتكبر آخر سنة من حياة رسول الله ﷺ وعندما راسل النبي ﷺ ملوك الأرض بعث برسالة إلى خسرو أبرويز يدعوه فيها إلى الإسلام جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

(١) مروج الذهب ج ١ ص ٣٠٦ دار الأندلس ١٩٦٥م.

(٢) مروج الذهب ج ١ ص ٣٠٩.

أقول: وكانت نهاية حياة هذا الملك الطاغوي أن قبض عليه أحد أولاده وهو (قباد) المعروف بشيرويه فخلعه من الملك ثم أمر بسمل عينيه ثم قتله!!
أنظر المصدر السابق / المترجم.

شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله (الإسلام) فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس - محمد رسول الله^(١).

وبعث هذه الرسالة مع عبدالله بن حذافة السهمي وأمره أن يدفع الكتاب إلى كسرى، ولما جاء الرسول ووصل إلى قصره، وعلم كسرى بقدمه وكتاب رسول الله ﷺ فأذن له بالدخول، فلما وصل إليه أمر كسرى أن يقبض منه الكتاب فقال عبدالله بن حذافة: لا حتى أدفعه إليك، كما أمرني رسول الله ﷺ فدنا وسلم الكتاب، فدعى كسرى من يقرأ له فقرأ فإذا أوله: من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، فأغضبه حين بدء رسول الله بنفسه وصاح وأخذ الكتاب فمزقه قبل أن يعلم ما فيه وقال: يكتب إلي بهذا وهو عبيدي وأمر بإخراج حامل الكتاب فأخرج وقعد على راحته وسار، فلما ذهب عن كسرى غضبه بعث فطلب عبدالله بن حذافة فلم يجده، وقال البعض إنه أعطاه كف من التراب، فلما وصل الرسول إلى النبي ﷺ وأخبره بالأمر، فقال ﷺ: مزق الله ملكه كما مزق كتابي وبعث إلي تراباً أما إنكم تملكون أرضه^(٢).

ولم يكتف بهذا بل كتب - كسرى - إلى عامله باليمن (بازان): أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز من عندك رجلين، فليأتاني به فبعث بازان إلى رجلين عرفا بالأدب والشجاعة هما (فيروز أو بابويه) و(خرخسرة) فخرجتا وقدا الطائف فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف فسألاه عنه، فقال: هو بالمدينة، فلما قدما عليه عليه السلام ﷺ المدينة قال له (فيروز): إن ملك الملوك كسرى

(١) أنظر كتاب مكاتيب الرسول ﷺ، علي بن حسين علي الأحمدي ص ٩٠ دار المهاجر بيروت، وفي هامشه ما يقارب عشرين مصدراً من كتب المسلمين التي ذكرت هذه الرسالة / المترجم.

(٢) مكاتيب الرسول ﷺ ص ٩٢ - ٩٣.

بعث إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك وقد بعثني إليك لتنتقل معي، فإن فعلت كتبت فيك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به، وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك.

وكانا دخلا على رسول الله ﷺ على زي الفرس وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره النظر إليهما وقال ﷺ: ويلكما من أمركما بهذا؟ قالوا: أمر ربنا - يعنيان كسرى - فقال ﷺ: لكن ربّي أمرني بإعفاء لحيتي وقصّ شاربي، ثمّ دفعا الكتاب له، فدعاهما إلى الإسلام وفرائصهما ترتعد ثمّ قال لهما: ارجعا حتّى تأتياني غدًا، فأخبركما بما أريد، وأتى رسول الله الخبر من السماء، أن الله قد سلّط على كسرى ابنه فقتله في شهر كذا وكذا لكذا وكذا من الليل، فلمّا أتاه الرسولان قال ﷺ: إن ربّي قد قتل ربكما ليلة كذا وكذا من شهر كذا وكذا بعدما مضى من الليل سبع ساعات سلّط عليه شيرويه فقتله (وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى) فقالا: هل تدري ما تقول؟ ما هو أيسر من هذا، فنكتب بها عنك فنخبر الملك (باذان)؟ قال ﷺ: نعم أخبراه ذلك عنّي وقولا له أن ديني وسلطاني سيبلى إلى منتهى الخفّ والحافر وقولا له إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك، وأعطى رسول الله ﷺ خرخرسة منطقة (حزام) فيها ذهب وفضّة وكان أهداها له بعض الملوك، فخرجا وقدما على (باذان) وأخبراه الخبر فقال: والله ما هذا كلام ملك وأنّي لأراه نبياً، ولننظرن فإن كان ما قال حقاً فإنّه لنبي مرسل، وإن لم يكن فترى فيه رأينا فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه، يخبره بقتل كسرى وجاء فيه «أما بعد فقد قتلت كسرى ولم أقتله، إلا غضباً لفارس فإنّه قتل أشرافهم فتفرق الناس فإذا جاءك كتابي هذا، فخذ لي الطاعة ممّن قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب إليك فيه فلا تزعجه حتّى يأتيك أمري فيه».

فلما أتاه كتاب شيرويه أسلم وأسلم معه أبناء فارس الذين كانوا باليمن،

فبعث باذان بإسلامه وإسلامهم إلى رسول الله ﷺ^(١).

ثم أرسل ملك اليمن وفداً إلى المدينة ليبايعوا رسول الله ﷺ وكان معهم من أبناء فارس، فالتقوا برسول الله ﷺ وبايعوه ثم رجعوا إلى اليمن، وقد أقر ﷺ ملك باذان على اليمن واستقل بحكم اليمن إلى آخر عمره.

بداية الحرب مع الفرس

كان زمن خسرو پرويز الذي عُرف بالكبر والتعالي زمناً قاسياً صعباً للغاية وذلك لشدة إجرامه وتعسفه وظلمه فإنه قتل الحكماء والأشراف وأهل التدبير في الحكم والسياسة وأشاع الخوف في الناس والضغط والقهر والكتب مما أدى إلى إضعاف الحكم بشكل عام من جهة، وفشل قوات خسرو في مقاومة الروم في بعض أطراف الدولة من جهة ثانية، ويضاف لذلك استهزائه برسالة النبي ﷺ كل هذه الأعمال أدت إلى سخط جماهيري وثوران شعبي ضد الملك الجبار خسرو پرويز مما أدى إلى قتله على يد ابنه بل كان ذلك مقدمة لانقراض السلسلة الساسانية من الحكم. حتى نقل المؤرخون أنه خلال أربعة سنين فقط اعتلى العرش في بلاد فارس عشرة ملوك كان أخيرهم يزدجرد.

وكان ملوك الفرس طيلة هذه السنين ينزلون شتى ألوان القهر والظلم على القبائل العربية التي كانت تحت سلطتهم، وفي زمن أنوشيروان نزل الفرس في أطراف الكوفة والحيرة وكانوا يضايقون المسلمين كثيراً فتحرك رجالان من بكر بن وائل، أحدهما المثنى بن حارثة الشيباني والآخر سويد بن قُطبة العجلي، فكان المثنى يغير على الفرس من ناحية الحيرة وسويد من ناحية البصرة، يحاولان قطع يد الظالم، فلما وصل هذا الخبر إلى يزدجرد أرسل جيشاً

نظامياً إلى تلك المناطق ليعيد فيها الحكم المركزي، وأرسل المثنى كتاباً إلى أبي بكر بن أبي قحافة يعلمه ضراوته بفارس ويعرفه وهنهم، ويسأله أن يمدّه بجيش، فلما انتهى كتابه إلى أبي بكر كتب الأخير إلى خالد بن الوليد وكان باليمامة يأمره بالسير إلى العراق لنصرة المثنى ومحاربة الفرس، فسار خالد حتى قدم العراق وسار مع المثنى وأصحابهما وأناخا على الحيرة وتحصّن أهلها في القلاع والحصون، ثمّ صالحوا خالداً على مائة ألف درهم يؤدّونها في كلّ عام إلى المسلمين ثمّ أرسل خمس الغنائم الحربية إلى المدينة وتوقّف هو في الكوفة وبعدها سار لمحاربة الروم...

ولمّا علم يزدجرد بذهاب خالد إلى محاربة الروم والمثنى بن حارثة في المدينة أمر (رستم) أن يتحرّك سريعاً إلى سواد الكوفة، فسار رستم ومعه ابنة خالة خسرو برويز (نرسي) التي كانت في الكوفة طيلة ١٢ عاماً ومعهما ثلاثون ألف مقاتل، ثمّ أردف خلفهم يزدجرد القائد (حابان) ومعه (مردان شاه) في أربعة آلاف فارس [...]^(١).

وقعة الجسر

ثمّ تحرّك رستم ومعه آلاف من الفرسان قد تهيّئوا للحرب واستعدّوا تماماً وكان معهم أيضاً ثلاثين فيلاً قد أعدّت لغرض الحرب ودرّبت على ذلك فتحرّكوا جميعاً إلى جهة الشرق نحو الفرات، وكان المسلمون بقيادة أبي عبيد^(٢)

(١) الأخبار الطوال ص ١١٣ ط ١، ١٩٦٠ مصر ولمن أراد الوقوف على تفاصيل هذه الأحداث فليراجع هذا المصدر / المترجم.

(٢) أبو عبيد بن مسعود وهو أبو المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي يدور الكلام عنه / المترجم.

قد تحرّكوا أيضاً ولَمَّا وصلوا إلى الفرات أمر أبو عبيد بالجسر فصنعوا له جسراً وعبروا عليه إلى الجهة الأخرى من الفرات، وفي اليوم الثاني التقى الفريقان عند نهر الفرات وسمّيت هذه الوقعة بـ (وقعة الجسر)، وجاءت (دومة) وهي زوجة أبا عبيدة وأم المختار، إلى زوجها وقالت له: لقد رأيت البارحة كأن رجلاً هبط من السماء ومعه قدحاً فيه شراب فقَدّمه لك وقال: اشرب إنّه شراب الجنّة، فشربت منه ثمّ دفعته إلى حيرة بن بعيرة الثقفي فشرب منه ثمّ أعطاه إلى رجل آخر فشرب إلى أن شربتم منه وكنتم سبعة رجال، فقال أبو عبيد: كلّ من شرب فأبّنه يُستشهد غداً.

ثمّ وقف أبو عبيد أمام جيشه وقال لهم: إن قُتلت فإنّ أميركم بعدي ولدي وهب، فإن أصابه شيء فبعده فلان وفلان... وعدّد أسماء الذين رأتهم زوجته في المنام، فإن قُتلوا جميعاً فأمرهم المشنّى بن حارثة، ثمّ بدأت الحرب وكان الجمل والفرس يفران من أمام الفيلة ممّا عقّد الموقف على المسلمين فقال أبو عبيد: علينا أن نفكر بالفيلة، ثمّ صاح بأعلى صوته: على قبر محمّد ﷺ منّي السلام وعلى أصحابه منّي السلام، ونزل من فرسه وركض باتجاه وسلّ سيفه وضرب خرطوم الفيل فقطعه فاضطرب الفيل وعدا خلف أبو عبيد، ففرّ من أمام غضبه راكضاً وبينما هو يعدو وينظر إلى الفيل إذ سقطت قدمه في حفرة فسقط على وجهه وسحقه الفيل حتّى نال شرف الشهادة، بينما واصل أبنائه الثلاثة (وهب ومالك وزجر) الحرب حتّى استشهدوا جميعهم^(١).

فهذا شطرٌ من وقعة الجسر ومختصر عن والد المختار الثقفي.

(١) أنظر تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٦٨ ط دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٨م.

عود على بدء

وكان المختار آنذاك له من العمر ثلاثة عشر عاماً فبقي مع أمه وعمه سعد بن مسعود في الطائف ثم هاجر إلى المدينة وسكنها، ومن هناك بدأ شبابه مع رجال وشباب بني هاشم فخالطهم وتعلم منهم الكثير الكثير لاسيما من شيخهم محمد بن الحنفية الذي كان من كبار الفقهاء والعلماء فتأثر المختار كثيراً باستاذة حتى اتهمه بعض المخالفين بأنه كيسانياً^(١).

وعندما غادر عمه سعد بن مسعود إلى المدائن بأمر من عمر بن الخطاب ليكون حاكماً وأميراً فيها ذهب معه المختار إلى هناك، واستمر فيها طيلة حكم عمر وعثمان وحتى مجيء أمير المؤمنين عليه السلام إلى الخلافة فأقره فيها^(٢). وهناك عمل المختار مساعداً مقتدرًا لعمه^(٣) وكان يدير الأمور على أحسن وجه حتى أن عمه كان ينصبه مكانه حينما يسافر أو يخرج من المدائن لكفاءته وأمانته وحنكته في إدارة شؤون البلاد.

وقد ذكر الدينوري أن سعداً خرج من المدائن ذات مرة وكان مكانه المختار فقام عبدالله بن وهب الراسبي - وهو من رؤساء الخوارج - معلناً خروجه ضد إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام في المدائن فسار إليه المختار مع جيش وأرسل إليه الكتب يدعوه فيها إلى السلم وعدم الشقاق^(٤).

(١) لقد أبطل المؤلف عليه السلام هذه التهمة عن محمد بن الحنفية عليه السلام سابقاً، فراجع / المترجم.

(٢) وقد اشترك سعد بن مسعود في حرب الجمل وصُفِّين ضد أعداء أمير المؤمنين / المؤلف.

(٣) البحار ج ٤٥ ص ٣٥٢ ط إيران.

(٤) الأخبار الطوال ص ٢٠٥ ط القاهرة ١٩٦٠م دار إحياء الكتب العربية.

وبعد ذلك استقر المختار في الكوفة وكانت مهبط الشيعة فسكن في قرية (لقفا) واشتغل بالزراعة مع أهلها، ولما كانت الكوفة شديدة العداء والبغض لبني أمية كذلك صار المختار من أشد الناقمين على بني أمية، لاسيما بعدما أخذ معاوية البيعة لولده المشؤوم يزيد - لعنه الله - الذي اشتهر بشرب الخمر واللعب بالقمار وارتكاب المحارم والتجاهر بالمعاصي وولعه بالمفاسد، فلذا أدى هذا الأمر إلى سخط جماهيري عام شمل كل المسلمين وخصوصاً أهل الكوفة الذين أعلنوا نقضهم لبيعة يزيد بعدما توفي معاوية، وعقد كبارهم مجلساً يناقشون فيه أوضاع البلاد في ظل حكم يزيد - لعنه الله - وضم هذا المجلس كلاً من: المسيب ابن القعقاع الخزاعي، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر الأسدي، ومسلم بن عوسجة، والمسيب بن نجبة، ومحمد بن كثير، وورقاء بن عازب، ومحمد بن الأشعث، وعبد الرحمن بن نحيف، وعبد الله بن عفيف، وطارق بن الأعمش، وأعمش بن طارق، وعمر بن سعد، والمختار بن أبي عبيد الثقفي ... الخ من أشرف الكوفة وكانوا يجلسون في بيت سليمان بن صرد الخزاعي وكان هذا الأخير من الشخصيات المرموقة والمعروفة بالفضل والإيمان والتدين، وهو من أصحاب رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وحضر في ركابه في حروبه الثلاثة^(١).

فلما علموا بسخط الإمام الحسين عليه السلام ومعارضته ليزيد - لعنه الله - وخروجه من المدينة من دون أن يبايع، اتفقوا على مناصرته والدعوة إلى إمامته، فقال لهم سليمان بن صرد - وكان له من العمر تسعين عاماً -: إن كان لكم الثبات في مناصرته والاستقامة في ولائه وإمامته فأقدموا على ذلك، فوافقوا على هذا الأمر ودعوا إلى نصره آل علي عليه السلام والوقوف ضد بني أمية ومخالفة يزيد - لعنه الله -

(١) أنظر أسد الغابة ج ٢ ص ٥٤٨ رقم ٢٢٣١ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٤م.

(١) ثم بعد ذلك أرسلوا الرسائل المتواترة إلى الإمام الحسين عليه السلام يدعونه إلى التصدي فأرسلوا رسائلهم بيد عبدالله بن مسمع الهمداني وعبدالله بن وال وقيس بن المسهر الصيداوي وعبدالله بن شذاد وعمارة بن عبدالله السلولي حتى ذكر السيد ابن طاووس أنه اجتمعت عند الإمام الحسين عليه السلام ستمائة رسالة في يوم واحد، وتواترت الكتب عنده عليه السلام حتى اجتمع في نوب متفرقة اثنا عشرة ألف كتاب، وكان مضمونها - كما ذكره ابن الأثير في الكامل:

بسم الله الرحمن الرحيم: سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فالحمد لله الذي قسم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فينها وتأمر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها، وأنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا عيد، ولو بلغنا إقبالك إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته / تجدها في تاريخ الكامل ج ٣ ص ٣٨٥ / المترجم.

ولم يكن الإمام الحسين عليه السلام يرد على هذه الرسائل إلى أن بعثوا إليه برسالة ذكروا فيها أنهم يخاصمونه أمام الله إن لم يقبل إليهم ويؤم جماعتهم، فكتب الإمام عليه السلام إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى الملامن المؤمنين والمسلمين، أما بعد، فقد فهمت كل الذي اقتضصتم وذكرتم ومقالة جللكم أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى، أنا باعث إليكم أخى وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأي ملثكم وذو الحجى منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين الحق والسلام / تجدها في المصدر السابق / المترجم.

اختلاف الأقوال في المختار

ولمّا ورد مسلم بن عقيل وهو رسول الحسين عليه السلام إلى الكوفة نزل في بيت المختار أولاً^(١) ثم نزل في منزل هاني بن عروة المرادي المذجحي^(٢)، وقال البعض إنّ المختار طلب الإذن من مسلم بن عقيل وذهب خارج الكوفة، وقال آخرون: إنّ استأذنه في الخروج إلى بعض أطراف الكوفة لأخذ البيعة منهم لمسلم وقال غيرهم: إنّ استأذنه في الخروج إلى ضيعته (لقفا أو بانقيا)، المهمّ أنهم اتفقوا على عدم وجوده أثناء الأحداث التي جرت على مسلم إلى

→ فأرسل عليه السلام إليهم مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام وهو أيضاً زوج رقية أخت الإمام الحسين عليه السلام فكان مسلم ثقة الإمام عليه السلام، فقد ذكر العلامة المامقاني في تنقيح المقال ج ٣ ص ٢١٤: أنّ مسلماً عاش مع أبيه ثمانية عشرة سنة وبعد أبيه إلى أن قتل عشر سنين - قضاها مع الحسن والحسين عليه السلام -.

وقد روى الصدوق مسنداً في أماليه عن ابن عباس قال: قال علي عليه السلام: يا رسول الله إنك لتحبّ عقيلاً، قال عليه السلام: أي والله إنني لأحبه حُبّاً له وحبّ لحبّ أبي طالب له وأنّ ولده لمقتول في محبة ولدك فتدمع عليه عيون المؤمنين وتصلّي عليه الملائكة المقربين، ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى جرت دموعه على صدره ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي.

وأعلى مقام ناله مسلم هو نيابته الخاصة عن الإمام الحسين عليه السلام وكونه سفيره الخاص إلى أهل الكوفة كما عبّر عن ذلك عليه السلام / المؤلف رحمته الله.

أقول: كان هذا الكلام كلّ في المتن ورأيت من المناسب أن أدرجه في الهامش للمحافظة على وحدة الموضوع.

(١) تاريخ الكامل ج ٣ ص ٣٨٦ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧م.

(٢) هاني بن عروة، وهو من أشرف أهل الكوفة وأعيانهم وقد حضر مع قبيلته في مناصرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل / المؤلف رحمته الله.

استشهاده، فقد بايعت جموع أهل الكوفة مسلماً ﷺ حتى بايعه في يوم واحد (١٨) ألف رجل، فلما رأى مسلم هيجان أهل الكوفة وتفاعلهم معه وإقبالهم عليه أرسل رسالة إلى الإمام الحسين ﷺ يخبره فيها بصدق نيات أهل الكوفة. ولكن بعد قدوم عبيد الله بن زياد - لعنه الله - إلى الكوفة بطريقة سرية وبثه الجواسيس في أوساط الناس اختلف الوضع تماماً، فقد عملت فيهم الدعاية وأرهبتهم الإشاعة ومزقت الأكذوبة وحدثهم، وألقى عبيد الله - لعنه الله - القبض على هاني بن عروة وجاء به إلى قصر الإمارة مستعيناً بالكذب والحيل ثم أمر غلمانَه فضرب بالعصا على وجهه فكسروا أنفه وجبهته وأودعوه السجن، فعلم مسلم بالأمر كله فأمر أهل الكوفة بمحاصرة قصر الإمارة، إلا أن عبيد الله استعان بالمناقب محمد بن الأشعث (وهو ابن أخت الخليفة الأول أبي بكر) وبرئيس شرطته عمرو بن حريث حيث أشاعا في الناس أن جيش الشام قادم وسيستقم منكم ويقتلكم عن بكرة أبيكم وو...

وبهذا أوجدا الانهزام النفسي في الناس وعملت فيهم هذه الأكذوبة ونجحت خطة عبيد الله بن زياد - لعنه الله - ففترق الناس عن مسلم حتى أنه لما صلى العشاء والتفت خلفه لم يجد أحداً يصلي خلفه فأيقن بالوحدة ولكنه شدَّ عزمه واستجمع قواه، ولم يستقبل مسلم أي أحد إلا امرأة اسمها طوعة استضافته في منزلها، ومع انفلاق الفجر علم ابنها أو صهرها بأمر مسلم وأنه في بيتهم، فانطلق ليخبر عبيد الله - لعنه الله - فبعث إليه محمد بن الأشعث بألف فارس وحاصروا المنزل، فخرج إليهم مسلم وقاتلهم قتال الأبطال فكانوا ينهزمون من أمامه، فطلب ابن الأشعث المدد من عبيد الله فأرسل إليه المزيد من الفرسان، وكان موقف مسلم فذاً لا نظير له لأنه كان يقاتلهم في الأرقعة الصغيرة والضيقة وقد حاصروه من كل جانب، فأينما كان يلتفت مسلم كان يجد العشرات تلو العشرات أمامه، ولا يخفى على كل ذي مسكة أن هذا الطراز من

القتال في غاية التعقيد بخلاف الصحراء إذ من الصعب أن تتم محاصرة المقاتل فيها، ولذلك كان على مسلم أن يقاتل في الجهات الأربع في آن واحد، بل أنهم لما عجزوا عن مناجزته صعدوا فوق سطوح البيوت وأخذوا يرمونه بالحجارة والنار، ومع ذلك واصل مسلم عليه السلام الصمود واستمر في القتال وهو يردي الرجال تحت قدميه مع ما يعاني من ألم الحجارة، فهو مسلم العلوي الهاشمي الذي ارتضع الشجاعة والبطولة والإقدام من بيت علي عليه السلام، وأخيراً ولما يأموا منه عمدوا إلى حيلة حقيرة واستعانوا بالمكر بعدما فقدوا شجاعتهم وخارت عزيمتهم أمام بطولة مسلم فحفروا له حفيرة كبيرة وجعلوا يحاربونه من الأمام وهو يترجع إلى الخلف حتى سقط في تلك الحفيرة، وكانت نهايته فأخذوا يضربونه بالسيوف وقد ضربه الملعون ابن الملعون محمد بن الأشعث بالسيف على وجهه الشريف فسقط حاجباه على عينيه وتكسرت أسنانه وجعلوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في القصب ويلقونها عليه، وعجز عن القتال، فألقوا القبض عليه بعدما أوثقوه وأخذوه إلى قصر الإمارة حيث اللعين عبيد الله بن زياد، فأمر أن يُصعد به إلى أعلى قصر الإمارة ويُضرب عنقه من هناك، فقام بكر ابن حمران الأحمر ويضرب عنقه وألقى بجسده من أعلى القصر، ثم أوثقوا قدميه وأخذوا يسحبون جسده المقطوعة الرأس في سكك الكوفة وأزقتها وهكذا فعلوا بهاني أيضاً، واستمر هذا المشهد المؤلم المفجع إلى غروب الشمس، فألقوا بجثتيهما في مكان بيع الأغنام، وأرسلوا برأسيهما مع هاني بن أبي حنيفة والزبير بن أروج إلى يزيد بن معاوية - لعنة الله - فأمر الأخير بتعليقهما على باب الشام^(١).

(١) أنظر الأخبار الطوال ص ٢٣١ - ٢٤٢ ط ١، القاهرة ١٩٦٠م، وتفاصيل ما تقدم في

وذكر بعضُ أن هذين الرأسين ظلّا معلقين إلى أن قدمت سبايا الحسين عليه السلام إلى الشام وكانت الرؤوس الشريفة على الرماح فلاصق رأس الحسين عليه السلام رأس مسلم فكانت فجيرة ما لها مثيل لأهل البيت عليهم السلام.

حرب المختار مع أبي قدامة

ولما علم عبيد الله بن زياد - لعنه الله - بمراسلة أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام حاول أن يغلق الطرق المؤدية إلى الكوفة فبعث ببعض رجاله من أهل الشام ليرابطوا على تلك الثغور، فكان من جعلتهم أبو قدامة الشامي وهو من الرجال المعروفين بالبطولة والشجاعة أرسله إلى ناحية القادسية، فقدم المختار مع جماعة من فرسان القبائل من نواحي الكوفة يريدون الدخول إليها، فمنعهم أبو قدامة، وقال للمختار يمكنك الدخول بدون هؤلاء فقال له: ومن جعلكم هنا؟ قال: الأمير عبيد الله بن زياد، فاستغرب المختار وقال: وهل قدم الكوفة؟ قال: نعم وقد عيّن أميراً على الكوفة وقتل مسلماً وهانئاً وجماعة من الشيعة.

فلما سمع المختار ذلك تأثر كثيراً وكلما حاول الدخول إلى الكوفة منعه أبو قدامة فاضطرّ أخيراً إلى مقاتلته مع رجاله فانصر عليهم المختار بمدة يسيرة، ثم أمر رجاله بالرجوع إلى قبائلهم وأبدل ملابس حربه بملابس أخرى ودخل الكوفة ومضى إلى داره، ثم خرج إلى الساحة المقابلة لقصر الإمارة فرأى الناس في هرج ومرج، وقال البعض إنه رأى خيمة عند قصر الإمارة تعلوها راية وفيها عمرو بن حريث رئيس شرطة الكوفة والمناذي ينادي: كل من دخل الخيمة فهو في أمان الأمير، ومن جاء غداً فهو في خطرٍ عظيم، فوقعت عيني عمرو بن حريث على المختار وهو مع الناس، فأرسل غلامه إليه، وقال له: من الخير أنك جئت اليوم، قم بنا إلى الأمير عبيد الله - لعنه الله - فرفض المختار وقال له: إن عبيد الله رجل شرير وهو لا يرغب فيّ، فقال عمرو: أنا أشفع لك عنده وأصلح

الأمر لك، فلما دخلا قصر الإمارة جلس المختار بلا إذن، فتغير وجه عبيد الله وأفحش له القول ثم قال له: يابن عبيد آويت مسلماً في دارك وأخذت البيعة له من الناس، فقال عمرو بن حريث: أيها الأمير إن مسلماً هو الذي جاء إلى دار المختار ثم غادر منه إلى دار هاني، وأن المختار بعد ذلك كان قد خرج من الكوفة، واليوم قد جاء لأمانك.

اعتقال المختار

وفي هذه الأثناء حضر بعض المجروحين والمصابين من رجال أبي قدامة الشامي وقالوا: أيها الأمير لقد جاء المختار مع جماعة من الرجال وقاتلونا وقتلوا أبا قدامة، فقال المختار: إن أبا قدامة منعني من الدخول وسأل السيف بوجهي فقتلته مدافعاً عن نفسي، فضربه ابن زياد بدواة^(١) كانت عنده على وجهه فشجّه وشتر عينه، وذكر البعض أنه أمر بضربه فضربوه ضرباً مبرحاً على رأسه ووجهه حتى سال الدم منه، ثم أمر بحبسه، وكان في الحبس ميثم التمار وعبد الله بن حارث بن نوفل وعمير بن عامر الهمداني أديب وشريف أهل الكوفة - الذي سجن بسعاية سنان بن أنس - وجماعة من الشيعة فحبسهم إلى أن قتل الإمام الحسين (عليه السلام)، ثم إن المختار بعث إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب يسأله أن يشفع فيه، وكان ابن عمر تزوج أخت المختار صفية بنت أبي عبيد، فكتب ابن عمر إلى يزيد - لعنه الله - يشفع فيه فأرسل يزيد إلى ابن زياد يأمره بإطلاق سراحه فأطلقه وأمر أن لا يقيم غير ثلاث^(٢)، فخرج المختار إلى الحجاز، وهناك كان ابن الزبير يدعو إلى نفسه سرّاً فالتقاء المختار وعرض عليه فكرة الطلب بثأر

(١) في الكامل أنه ضربه بالقضيب / المترجم.

(٢) أنظر البحار ج ٤٥ ص ٣٥٣ ط إيران.

الإمام الحسين بن علي عليه السلام فوافق عبدالله بن الزبير أولاً، ولكن بمجرد أن توفي يزيد^(١) -لعنه الله- ترك ابن الزبير الطلب بثأر الإمام الحسين عليه السلام ودعى الناس إلى نفسه، فتركه المختار وعاد إلى الكوفة.

ثورة المختار في الكوفة

وفي طريقه إلى الكوفة التقى بـ(هاني بن أبي حية) وسأله عن أهل الكوفة، فقال له: إن يزيد قد مات وعبيدالله ترك الكوفة وأن سليمان بن صرد الخزاعي وجماعة معه يريدون الثأر للإمام الحسين عليه السلام ولكنهم لم يجتمعوا على رجل، فقال المختار: أنا والله أجمعهم على الحق وألقي بهم ركباً الباطل، وأقتل بهم كل جبار عنيد، إن شاء الله ولا قوة إلا بالله، ثم ذهب المختار إلى نهر الحيرة فاغتسل فيه ولبس ثيابه ودخل الكوفة وكان كلما مر على جماعة من الناس سلم عليهم ثم يقول: ابشروا بالفرج (بالنصرة) فقد جئكم بما تحبون، وأنا المسلط على الفاسقين والطالب بدم أهل بيت نبي رب العالمين^(٢)، بعدها دخل المسجد وصلى ركعتين ورأى الناس تنظر إليه ثم ينظرون إلى أنفسهم ويقولون: جاء المختار لأمر عظيم عسى أن يفرج الله عنا به، ثم قام المختار ودخل منزله وأرسل إلى أشرف الكوفة وقال لهم: جئت من عند محمد بن الحنفية لأنتقم من قتلة آل بيت رسول الله ﷺ.

(١) ذكر العلامة المجلسي في البحار ج ٤٥ ص ٣٥٤ عن كتاب ذوب الضاد في شرح الثأر تأليف جعفر بن محمد بن نما نقلاً عن تاريخ المدائن أن يزيد توفي في يوم الخميس ١٤ ربيع الأول عام ٦٣ أو ٦٤ وله من العمر ٣٥ عاماً / المؤلف.

(٢) في الكامل ج ٣ ص ٤٩٤ قال المختار: ابشروا بالنصرة والفرج (الظفر) أتاكم ما تحبون، وكذا في مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٢١٣ / المترجم.

فقالوا له: لقد بايعنا شيخنا سليمان بن صرد الخزاعي صاحب رسول الله ﷺ وصاحب أمير المؤمنين ﷺ ورأينا أن لا تتعجل في أمرك هذا لئلا يقع الاختلاف فيما بيننا، فسكت المختار وانتظر^(١).

التوابون

وعندما تصدى مروان بن الحكم - الملعون بن الملعون - إلى الملك بعد تنازل معاوية بن يزيد، حكم في المسلمين - حمل امرأة - تسعة أشهر وهلك ليقوم مقامه أبناءه، فلما وصل خبر وفاته قام كبار وأشراف الكوفة مثل المسيب ابن نجبة الفزازي وعبدالله بن سعد بن نغيل الأزدي ورفاعة بن شداد البجلي وعبدالله بن وال التميمي وحكيم بن منقذ الكندي ووليد بن عصيد الكناني وعبدالله بن حازم وآخرين ممن ندم على عدم خروجه أو التحاقه بالإمام الحسين ﷺ وأقروا على أنفسهم بالتقصير وندموا على فعلهم الشنيع هذا، فقاموا وتجمعوا في منزل سليمان بن صرد ونادوا في الكوفة (يا ثارات الحسين) فتجمع حينذاك ستة عشر ألف رجل، فتحرك منهم أربعة آلاف مجاهد صوب كربلاء يريدون قبر الإمام المظلوم الحسين ﷺ وذلك يوم الجمعة الخامس من ربيع الثاني عام ٦٥هـ.

ولما وصلوا إلى قبر الإمام الحسين ﷺ رفعوا أصواتهم بالبكاء والنحيب ورموا أنفسهم عن دوابهم ومسحوا أبدانهم بتراب قبر الحسين ﷺ وأظهروا الندم والجزع وتعاهدوا عند القبر الشريف أن يأخذوا بثأر الحسين ﷺ، فتحركوا بسرعة نحو الشام حتى وصلوا عين الوردية، ولما سمع عبيدالله بن زياد بذلك

(١) أنظر الكامل ج ٣ ص ٤٩٤ - ٤٩٥، ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٢١٦

خرج إليهم بجيش كبير، وكان زعيم الثوار سليمان بن صرد الخزاعي فقام ووجه مواظته ونصائحها لعبيد الله بن زياد وجيشه، فلم ينفع معهم شيء ثم توجه إلى رفاقه وقال لهم: إن أنا قُتلت فأميركم بعدي المسيب بن نجبة فإن قُتل فأميركم عبدالله بن سعد، فإن حصل له شيء فأميركم خالد بن سعد وبعده أميركم عبدالله بن وال وبعده أميركم رفاعة بن شداد، ثم توجه المسيب بن نجبة مع أربعة آلاف مقاتل بعد أن صلوا الصبح لمقارعة شرحبيل بن ذي الكلاع الذي يقود جيش الشام فتلاحموا فيما بينهم حتى تصدع جيش الشام وانكسر أمام بطولة العراقيين ولاذوا بالفرار فغنم العراقيون غنائم كثيرة وعادوا إلى سليمان بن صرد وحذثوه بالنصر والظفر، فلما سمع عبيدالله بن زياد بالأمر أرسل الحصين ابن نمير ومعه عشرون ألف مقاتل لمقابلة العراقيين، وبرواية ابن الأثير في الكامل أنهم كانوا اثني عشر ألف، وقابلهم العراقيون وكانوا ثلاثة آلاف ومائة.

استشهاد سليمان بن صرد^(١)

واستمر القتال فيما بينهم ثلاثة أيام ساخنة وحافلة بالمشاهد البطولية والتضحيات الكبيرة التي قدمها التوابون فكانت الكفة لصالحهم والنصر يلوح فوق يبارقهم إلى اليوم الثالث، عندما عزم الحصين على عدم المواجهة بل أمر جيشه بالالتفاف حول التوابين ومن ثم أمرهم برمي النبال والسهام عليهم دون استخدام السيوف وكانت طريقة حقيرة في الحرب تدل على ضعف وجبن القوم فقتل على أثرها سليمان بن صرد، وغسل بدمائه عار التقصير عن نصره أهل البيت عليهم السلام سابقاً، وحمل اللواء من بعده المسيب بن نجبة وعبدالله بن سعد وخالد بن سعد وعبدالله بن وال.. واحداً بعد واحد إلى أن استشهدوا كلهم

(١) أنظر التفاصيل في البحار ج ٤٥ ص ٣٥٨ ط إيران / المترجم.

وانكسرت شوكتهم وفرّ الباقر إلى الكوفة وقرقيسياً^(١).

سؤال أحد الحاضرين: إنك لم تذكر المختار في جميع ما تقدّم، مع أنك قلت إن المختار جاء إلى الكوفة للثورة، فلماذا لم يخرج مع القوم؟
الجواب: لقد ذكر المؤرخون أن المختار حينها - أي حينما تحرّك سليمان بن صرد وجماعته - كان في السجن ولم يكن بقدرته المشاركة.
سؤال أحد الحاضرين: لقد تفضّلت سابقاً أن المختار خرج من السجن بأمر يزيد بن معاوية وذهب إلى الحجاز ثم إلى الكوفة، والآن تقول إنّه كان في السجن فياحبذا لو أوضحت لنا هذا اللبس.

اعتقال المختار

الجواب: نعم قلت لكم إنّه سجن أوّل مرّة وأفرج عنه بواسطة ابن عمر، ولكنّه لما عاد إلى الكوفة سجن مرّة ثانية حينما كانت الشيعة تباع سليمان بن صرد الخزاعي، وقد ذكر ذلك الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل^(٢) والعلامة المجلسي في البحار^(٣) نقلاً عن (شرح الثار) لابن نما، فبعد أن ورد المختار الكوفة وخطب في الشيعة خطاباً شديد اللحن وتوعّد أعداء أهل بيت رسول الله ﷺ بالقتل والانتقام، ثارت حميتهم ضده وكان في طليعتهم عمر بن سعد وشبث بن ربعي وزيد بن الحرث وآخرين فاجتمعوا وقال عمر بن سعد - لعنه الله -: إن المختار أشدّ عليكم من سليمان، إنّا خرج يقاتل عدوكم وإن المختار يريد أن يشب عليكم في مصركم، فسيروا إليه وأوثقوه بالحديد

(١) أنظر التفاصيل في مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٢٢٢ / المترجم.

(٢) الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٩٥ دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧ م.

(٣) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٥٧ ط إيران.

واسجنوه حتّى يستقيم أمر الناس، فأتوه فأخذوه بغتة فلما رأهم قال: ما لكم؟ فوالله ما ظفرت أكفكم، ثم حمل إلى السجن غير مقيد، وقيل: بل كان مقيداً^(١) فكان في السجن طيلة حرب التّوآبين مع الظلمة في الشام.

وطيلة فترة سجنه كان المختار كالأسد المقيد يهيج به الألم ويتمنى الخروج والالتحاق ويرتل كلمات الهيجان ويلهب روحه حماساً، كان يقول: أما وربّ البحار والنخيل، والأشجار، والمهامه، والقفار، والملائكة الأبرار، والمصطفين الاختيار لأقتلن كلّ جبار بكلّ لدن خطّار ومهند تبار في جموع من الأنصار، ليس بمثل أعمار ولا بعزل أشرار، حتّى إذا أقمت عمود الدين وزايلت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت ثار النّبیین لم يكبر عليّ زوال الدّنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى^(٢).

رسالة المختار من السجن

ولما وصلت الأنباء إلى المختار بعودة رفاعة بن شداد وباقي أفراد التّوآبين من عين الوردية في طلعتهم الأولى أرسل إليهم رسالة ذكرها المؤرّخ الطبري في تاريخ الأمم والملوك عن أبي مخنف وكذا العلامة المجلسي في البحار وهي ما يلي:

«فإنّ الله أعظم لكم الأجر وحطّ عنكم الوزر بمفارقة القاسطين وجهاد المحلّين، إنكم لم تنفقوا نفقة ولم تقطعوا عقبة ولم تخطوا خطوة إلّا رفع الله لكم بها درجة وكتب لكم بها حسنة إلى ما لا يحصىه إلّا الله من التّضعيف فابشروا فإنّي لو قد خرجت إليكم قد جرّدت فيما بين المشرق والمغرب في

(١) أنظر الكامل ج ٣ ص ٤٩٥.

(٢) الكامل ج ٣ ص ٤٩٥، ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٢٢١.

عدوكم السيف بإذن الله، فجعلتهم بإذن الله ركاماً وقتلهم فذاوتوا فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى، ولا يبعد الله إلا من عصي وأبى والسلام يا أهل الهدى^(١) فرصلت الرسالة بيد سيحان بن عمرو من قبيلة بني ليث وقرأها على أشرف الكوفة مثل رفاعه بن شداد والمثنى بن مخربة العبدى وسعد بن حذيفة ابن اليمان ويزيد بن أنس وأحمر بن شميظ الأحمسي وعبدالله بن شداد البجلي وعبدالله بن كامل، فأرسلوا عبدالله بن كامل إلى المختار في السجن وقال له: إن الشيعة فرحوا برسالتك وإن أحببت أخرجوك من السجن ليجتمع حولك الشيعة.

فقال المختار: لا تتعجلوا في أمري إنما هي أيام قلائل وأخرج من السجن فكتب المختار رسالة ودفعها إلى غلام يدعى زربيا إلى عبدالله بن عمر (زوج أخته) أخبره فيها أنه: أما بعد فإني قد حبست مظلوماً وظنّ بي الولاة ظنوناً كاذبة فاكتب فيّ يرحمك الله إلى هذين الظالمين كتاباً لطيفاً، عسى الله أن يخلصني من أيديهما بلطفك وبركتك ويمنك^(٢).

ليتوسطا له، فكتب عبدالله بن عمر رسالتين إلى عبدالله بن يزيد والي الكوفة وإبراهيم بن محمد يطلب منهما وساطتهما للإفراج عن المختار، فلما وصلتا إليهما طلبا من المختار كافلاً يكفله ويضمنه ويتعهد أن لا يخرج المختار عليهما، فحضر من أصحابه خلق كثير، فضمنه منهم عشرة من أشرف الكوفة وكفلوا المختار، بأن لا يخرج عليهما (عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد) ما كان لهما من سلطان فإن هو فعل فعليه ألف بدنة ينحرها لدى رتاج الكعبة،

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٣٣ حوادث سنة ٦٦هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٨، والبحار ج ٤٥ ص ٣٦٣ ط إيران.

(٢) المصدر السابق ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٢٢٢.

ومماليكهم ذكرهم وأنثاهم أحراراً، فحلف لهما بذلك^(١).

فلما خرج المختار من السجن وأتى داره يقول حميد بن مسلم سمعت المختار يقول: قاتلهم الله ما أجهلهم وأحمقهم حيث يرون أني أفي لهم بأيمانهم هذه؛ أما حلقي بالله فإنه ينبغي إذا حلفت يمينا، ورأيت ما هو أولى منها أن أتركها، وأعمل الأولى وأكفر عن يميني وخروجي خير من كفي عنهم، وأما هدي ألف بدنة فهو أهون عليّ من بصة وما هولني ثمن ألف بدنة، وأما عتق مماليكي فوالله لوددت أنه استتب لي أمري (من أخذ الثأر)، ثم لم أملك مملوكاً أبداً^(٢).

ثم دعى كبار الشيعة إلى منزله سرّاً وطلب منهم أن يبايعوه ليقوم بطلب الثأر لأهل البيت عليهم السلام، فبايعه بعضهم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله والثأر للإمام الحسين عليه السلام، وكان المختار قد أخبرهم أن محمّد بن الحنفية على علم وإطلاع من حركته هذه وأنه جاء من قبله لإحقاق حق أهل البيت عليهم السلام، فلما سمعوا منه ذلك أراد بعضهم التأكيد والتثبيت من الأمر مثل عبد الرحمن بن شريح وسعيد بن منقذ الثوري وسعر بن أبي سعر الحنفي وأسود بن جراد الكندي وقدامة بن مالك الجشمي وغيرهم، فتحرّك هؤلاء إلى المدينة لرؤية شيخ بني هاشم محمّد بن الحنفية، فلما انفردوا معه تكلم عبدالله بن شريح فقال - بعد الحمد والثناء -: فإنكم أهل بيت خصكم الله بالفضيلة وشرفكم بالنبوة، وعظم حقكم على هذه الأمة، فلا يجهل حقكم إلا مغبون الرأي مخسوس النصيب، قد أصبتم بحسين رحمة الله عليه، عظمت مصيبة ما قد خصكم بها فقد عمّ بها

(١) المصدر السابق ص ٤٣٤، والبحار ج ٤٥ ص ٣٦٣ ط إيران.

(٢) المصدر السابق، ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٢٢٢ ط إيران، والبحار ج ٤٥ ص ٣٦٤ ط إيران.

المسلمون، وقد قدم علينا المختار ابن أبي عبيد، يزعم لنا أنه قد جانا من تلقائكم، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والطلب بدماء أهل البيت، والدفع عن الضعفاء، فبايعناه على ذلك ثم إننا رأينا أن نأتيك فنذكر لك ما دعانا إليه وندبنا له، فإن أمرتنا باتباعه أثبناه، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه^(١).

فلما سمع محمد بن الحنفية كلامه قال:

فأما ما ذكرتم مما خصصنا الله به من فضل فإن الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فله الحمد، وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين عليه السلام، فإن ذلك كان في الذكر الحكيم، وهي ملحمة كتبت عليه وكرامة أهداها الله له رفع بما كان منها درجات قوم عنده ووضع بها آخرين، وكان أمر الله مفعولاً وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا فوالله لو ددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم^(٢).

وعلى رواية العلامة المجلسي في البحار - نقلاً عن جعفر بن نما - أن محمد ابن الحنفية قال بعد ذلك:

قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحسين ﷺ فلما دخل ودخلوا عليه أخبره خبرهم الذي جاؤوا لأجله، قال ﷺ: يا عم لو أن عبداً زنجياً تعصب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتكم هذا الأمر فاصنع ما شئت^(٣). فلما خرجوا قال بعضهم لبعض إن الإمام السجاد ﷺ ومحمد بن الحنفية قد أذنا لنا في مناصرة المختار، فعادوا إلى الكوفة ودخلوا على المختار وأخبروه

(١) المصدر السابق ص ٤٣٦.

(٢) المصدر السابق، مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٢٣٥ / المترجم.

(٣) البحار ج ٤٥ ص ٣٦٥.

بالأمر وبشّروه بكلام الإمام زين العابدين عليه السلام ومحمد بن الحنفية فأمر المختار جماعته وأصحابه بالتجمع عنده، فلما حضروا قال لهم: يا معشر الشيعة، إنّ نفرأ أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به فخرجوا إلى إمام الهدى والنجيب المرتضى وابن المصطفى المجتبي - يعني زين العابدين عليه السلام - فعرفهم أنّي ظهيره ورسوله، وأمركم باتباعي وطاعتي^(١).

وجاء في تاريخ الطبري وابن الأثير في الكامل أنّ المختار نقل لهم رأي ابن الحنفية فقال لهم:

أمركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم إليه من قتال المحلّين والطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفين^(٢).

ثمّ قام عبد الرحمن بن شريح وشرح للحاضرين لقائهم بالإمام زين العابدين عليه السلام ومحمد بن الحنفية فزادهم هيجاناً ورغبة في الانتقام من بني أمية^(٣) فبايعوا المختار زرافات، ثمّ اجتمع رؤساء القوم وتجاوزوا في كيفية تقوية جانبهم وإنجاح الثورة، فاقترح بعضهم أن يتصلوا بإبراهيم بن مالك الأشتر وهو رجل شريف بعيد الصيت وله عشيرة ذات عزّ وعدد وهو شجاع وجيه مطاع في قومه.

اتصال المختار بابن الأشتر

فاجتمعوا أمرهم أن يتصلوا بابن الأشتر فتّمت المراسلة بين المختار وبين إبراهيم إلى أن رأوا من المصلحة أن يلتقي المختار بإبراهيم، فذهب المختار مع (١٧) رجلاً إلى منزل إبراهيم فرحب بهم خير ترحيب وأجلس المختار إلى

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٣٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

جانبه، ثم أخرج المختار رسالة محمد بن الحنفية إليه وأعطاهما إلى إبراهيم وكان فيها طلب من محمد بن الحنفية لإبراهيم وقبيلته بضرورة مناصرة المختار ومساندته، ثم قال القوم: نشهد أن هذا كتابه - محمد بن الحنفية - رأيناه حين كتبه ونقلوا له لقاء عبد الرحمن بن شريح مع ابن الحنفية والإمام السجاد عليه السلام، فلما قرأ الكتاب وسمع منهم ذلك قام من مقامه وبأيع المختار.

وفي اليوم الثاني أحضر إبراهيم أشراف قبيلته وجاءوا إلى منزل المختار وتم الاتفاق على إعلان الثورة وتفجير الموقف بتاريخ ١٤ ربيع الأول عام ٦٦هـ^(١) (وكان هذا التاريخ - ربيع الأول - نفس تاريخ موت يزيد بن معاوية لعنهما الله) فتم السيطرة على الكوفة أولاً وعزل عبدالله بن مطيع^(٢).

خروج إبراهيم بن مالك الأشتر

في ليلة الثلاثاء خرج إبراهيم بن الأشتر إلى المختار، وقد بلغه أن تلك الجيانات شحنت بالخيول والرجال وأن الشرط - الشرطة - قد أحاطوا بالأسواق، فسار في مائة رجل من بني عمه عليهم الدروع قد ظاهروها بالأقبية، حتى إذا جاوز دار عمرو بن حريث إلى دار سعيد بن قيس ثم إلى درب أسامة استقبلهم أياس بن مضارب العجلي صاحب الشرطة في نفر من أصحابه وفي أيديهم السلاح والحرايب، فقال: من هؤلاء؟ فقال إبراهيم: نحن هؤلاء فامض لشأنك، فقال أياس: وما هذا الجمع الذي معك يا ابن الأشتر؟ فوالله إن أمرك لمريب، وقد بلغني أنك تمرّ هاهنا في كل ليلة بجمعك هذا فوالله لا تزيّلني حتى آتي بك إلى الأمير عبدالله بن مطيع فيرى فيك رأيه، فقال إبراهيم: خل ويحك سبيلنا

(١) في البحار ج ٤٥ ص ٣٣٣. ربيع الثاني نقلًا عن المفيد / المترجم.

(٢) أنظر التفاصيل الدقيقة في مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٢٣٦ / المترجم.

وامض لشأنك، أنت تمضي بي إلى الأمير؟! يا ماص بضئر أمه؟ قال: نعم، فقال إبراهيم: يا عدو الله ألسنت من قتلة الحسين بن علي؟ ثم التفت إلى رجل من أصحاب أبياس يكتئ قطن الهمداني فتناول رمحه من يده وطعن أبياس طعنة في صدره نكسته عن فرسه ثم قال لأصحابه: انزلوا فخذوا رأسه، فنزل بعض أصحابه فاحتز رأسه وفر أصحاب أبياس هرباً على وجوههم وأتى إبراهيم إلى المختار فقال: قم أيها الأمير فقد كنّا عزمنا على أن نخرج ليلة الخميس، وقد حدث أمرٌ فلا بدّ معه من الخروج الساعة، فقال المختار: وما الأمر رحمك الله؟ فحدثه الحديث، فقال المختار: بشرك الله بخير فهذا أول الظفر، ثم صاح المختار برجل من أصحابه فقال: يا سعيد بن منقذ قم فاشعل النار في هراوي القصب، وقم أنت يا عبدالله بن شدّاد فناد في الأزقة: يا منصور أمت، وقم أنت يا سفيان بن ليلى فناد في الناس بها، وقم أنت يا قدامة بن مالك فناد في الناس: يا ثارات الحسين بن علي (وكانت علامة خروجه للذين بايعوه) ثم قال: يا غلام عليّ بدرعي وسلاحي فصب الدرع على بدنه وخرج من منزله والتفّ حوله ثلاثة آلاف فارس، حتّى مطلع الفجر، فصلّى بهم المختار، وكان عبدالله بن مطيع يوجه الزحوف نحو المختار، فأول من زحف شيبث بن ربعي في أربعة آلاف، ثم راشد بن أبياس بن مضارب في ثلاثة آلاف، ثم حجار بن أبجر في ثلاثة آلاف، ثم الغضبان بن القبعري في ثلاثة آلاف ثمّ شعر بن ذي الجوشن في ثلاثة آلاف ثمّ عكرمة بن ربعي في ألف ثمّ شدّاد بن المنذر في ألف ثمّ عبد الرحمن بن سويد في ألف، واجتمع أصحاب المختار فكانوا عشرين ألفاً أو يزيدون.

وكان المختار كلّما نظر إلى قائد من قواد ابن مطيع وجّه إليه قائداً من قواده بمثل قوّته وعدده، وكان الفرق بين المعسكرين أنّ أصحاب ابن مطيع كانوا يقاتلون حفاظاً على العرش والزعامة، بينما كان أصحاب المختار يقاتلون للرّضا

من آل محمد ﷺ والانتقام من قَتَلَة أهل البيت ﷺ والتحم الفريقان واشتد القتال وعلت الأصوات وارتفع الغبار، فجعل إبراهيم يحمل من ناحية راشد بن أبياس قائد الشرطة، وكان عدد أصحابه - إبراهيم - غير متكافئ مع أصحاب راشد، ولكنهم قاتلوهم بالأيمن حتى استطاع خزيمة بن مضر العبسي أن يقتل راشد بن أبياس، وعلى أثر ذلك انكسر جيشهم وفرّوا من المعركة، وهكذا كان النصر حليف أصحاب المختار في جميع المواقع والمعارك، ولا يمكننا ذكر تفاصيل هذه المعارك هنا، ولكن نقول لمن يريد الاطلاع عليها أن يراجع تاريخ الطبري أو تاريخ الكامل أو بحار الأنوار في حوادث بعد استشهاد الحسين ﷺ أو ناسخ التواريخ.

وبعد ثلاثة أيام تمت محاصرة قصر الإمارة من قبل إبراهيم بن الأشتر، وكان في القصر عبدالله بن مطيع والي الكوفة من قبل ابن الزبير والذي ارتدى زي النساء وخرج مستتراً في الليل إلى دار أبي موسى الأشعري^(١).

المختار يسيطر على قصر الإمارة

وفي اليوم الثاني دخل الفاتحون إلى قصر الإمارة، ونادى المنادي الصلاة جامعة فاجتمع الناس من كل حدب وصوب فارتقى المختار منبر المسجد وقال: الحمد لله الذي وعد وليه بالنصر والظفر وكتب لعدوه الخسر والخذل والختر... فأنا المسلط على المحلّين، والطالب بدم ابن بنت الرسول الأمين اما ومنشئ السحاب شديد العقاب سريع الحساب منزل الكتاب العزيز الوهاب القدير الغلاب... ولأنفين الأحزاب إلى بلد الأعراب... الخ^(٢).

ثم بويع له على كتاب الله وسنة رسول الله والطلب بدماء آل محمد ﷺ.

(١) أنظر مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٢٤٥ فصل ١٥.

(٢) المصدر السابق.

قتل عبيد الله بن زياد لعنه الله

وفي عام ٦٤هـ استولى مروان بن الحكم على زمام الأمور في الشام وعزم على ضمّ العراق والحجاز إلى سلطته فبعث عبيد الله بن زياد ومعه ثمانين ألف رجل من أجناد أهل الشام وشجعانهم، فسار حتى نزل الجزيرة بقي فيها سنة حتى هلك مروان^(١) وجاء من بعده ابنه عبد الملك فأمر الأخير عبيد الله بمواصلة السير إلى العراق فتحرك عبيد الله بن زياد إلى الموصل حيث عامل المختار فيها وهو عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فلما رأى طلائع ابن زياد انحاز إلى تكريت وكتب كتاباً إلى المختار يخبره بالأمر، فبعث المختار إلى يزيد بن أنس فدعاه، وقال له: ... اخرج إلى الموصل حتى تنزل أدانيها فأني ممدك بالرجال بعد الرجال، فقال يزيد بن أنس: سرح معي ثلاثة آلاف فارس انتخبهم وخلصني والفرج الذي توجّهنا إليه فخرج بثلاثة آلاف رجل، بينما بقي المختار في الكوفة يواصل ترتيب أموره الداخلية.

فلما علم عبيد الله بن زياد بقدوم يزيد بن أنس جهّز سبعة آلاف فارس وأرسلهم إليه وكان لقاءهم في ٩ ذي الحجة أو يوم عرفة والعيد، وكانت معركة ضارية للغاية، قدّم فيها العراقيون التضحيات والبطولات حتى استطاعوا أن ينتصروا على أعدائهم وأعداء الله، بينما اشتدّ المرض بأميرهم يزيد بن أنس، وقد أسّر من أهل الشام ثلاثمائة أسير فأمر يزيد بن أنس بضرب أعناقهم فقتلوا جميعهم، ثم توفي يزيد على أثر مرضه وكان قد أوصى بإمارة الجيش وزعامته إلى ورقاء بن عازب الأسدي، فصلّى عليه ودفنه وحزن عليه أصحابه وكسرت قلوبهم، إلا أن قائدهم ورقاء شدّ على أيديهم وبثّ فيهم روح النصر والصمود فواجهوا أعدائهم إلى نهاية المطاف فانتصروا عليهم وعادوا إلى الكوفة ونقلوا

(١) لقد قتلته زوجته أم خالد بنت يزيد / المؤلف رحمه الله.

الأحداث كلها للمختار^(١).

تملح قتل الحسين في الكوفة

حينما وصلت الأنباء إلى المختار بموت يزيد بن أنس أرسل إلى إبراهيم بن الأشتر وطلب منه أن يلتحق بجيش يزيد ويكون بديلاً عن ورقاء، ثم جاءت الإشاعات والدعايات أن جيش المختار قد ضعف أمام جيش عبيد الله بن زياد، مما دفع المنافقين - قتل الإمام الحسين - أن يتحركوا من داخل الكوفة ويكونوا باعثاً لاضطراب الأوضاع الداخلية ضد المختار، وهم شمر بن ذي الجوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدي وغيرهم ممن أكبوا على النفاق والبغض لأهل البيت عليهم السلام فاجتمعوا في بيت شيب بن ربعي وتكلموا عن طريقة الاستفادة من هذه الفرصة وإسقاط حكم المختار، فانتظروا حتى خرج ابن الأشتر من الكوفة ووصل ساباط، فقاموا مع جملة من المنافقين أمثالهم ليلاً بسد المعابر والطرق المؤدية إلى قصر الإمارة وحاصروا المختار عن بُعد ومنعوا عنه حتى الماء، فلما علم المختار بذلك أرسل إلى إبراهيم أن عد إلى الكوفة بأسرع وقت، فلما وصلت الرسالة إلى إبراهيم وعرف بأمر القوم عاد مسرعاً ووصل في اليوم الثاني وصلى مع جيشه عند باب الجسر في الكوفة صلاة العصر، ثم التقى بالمختار الذي حوضر من جبهتين الأولى بقيادة أهل اليمن بجبانة السبيع والأخرى بقيادة أهل مضر ويرأسهم محمد بن عمير وشيب بن ربعي لعنه الله، فسار إبراهيم إلى مضر مع أصحابه بينما اتجه المختار مع رجاله وفرسانه إلى أهل اليمن، فلم يزل المختار يعرف بشدة النفس وقلة البقية على أهل اليمن وغيرهم إذ ظفر، فسار ابن الأشتر

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٥٣ وما بعدها ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨ م.

إلى كناسة الكوفة وهكذا اتّجه المختار إلى جبانة السبيح، فكانت وقعة جبانة السبيح في يوم الأربعاء ٢٤ ذي الحجة من عام ٦٦٦هـ^(١)، وقد ذكر صاحب روضة الصفا أن إبراهيم الأشتر قتل في حملته الأولى على قبيلة مضر خمسين شخصاً. ولما وصل جيش المختار إلى الجبانة نادوا: يا لثارات الحسين، فسمعها يزيد بن عمير بن ذي مران فقال: يا لثارات عثمان، فقال لهم رفاعة بن شداد: مالنا ولعثمان لا أقاتل مع قوم ييغون دم عثمان، ولما عاتبه قومه، أنشد:

أنا ابن شدّاد على دين علي لست لعثمان بن أروى بولي

لأصلين اليوم فيمن يصطلي بحر نار الحرب غير مؤتلي

فقاتل حتّى قُتل، وقُتل يزيد بن عمير ثم قُتل جميع رؤسائهم وانهزموا جميعهم وتشتّت جمعهم، فهرب بعضهم إلى البصرة واختفى الآخرون في البيوت، واستخرج من دور الوادعيين خمسمائة أسير فاتى بهم المختار مكّثين، فقال: انظروا كلّ من شهد منهم قتل الحسين عليه السلام فأعلموني، فقتل منهم مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً على رواية الكامل والبحار والطبري^(٢) ثم دعا المختار بمن بقي من الأسارى فأعتقهم وأخذ عليهم الموائيق ألا يجامعوا عليه عدواً ولا ييغوه ولا أصحابه غائلة.

ونادى منادي المختار: إنّه من أغلق بابه فهو آمن إلا رجلاً شرك في دم آل محمّد ﷺ.

قتل عمرو بن الحجاج

فلما سمع قتلة الإمام الشهيد المظلوم الحسين عليه السلام نداء المختار فرّ بعضهم من الكوفة وكان من جملتهم عمرو بن الحجاج وهو الذي منع الماء عن

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٦٢.

(٢) أنظر تفاصيل ذلك كلّ في الطبري - مثلاً - ج ٣ ص ٤٥٧ - ٤٥٩.

الحسين وعياله وأصحابه عليه السلام ، وفي رواية أنه أول من جرح الإمام المظلوم في بدنه، فركب راحلته ليلاً وذهب عليها فاراً من سطوة المختار حتى وصل إلى الصحراء ونفذ مائه بعدما ضل طريقه وتاه في وسط الصحراء وملؤه الخوف فسقط عن راحلته وعجز عن الحركة وأوشك على الهلاك، فأدركه رجال المختار وجاءوا به إلى الكوفة، فلما شاهدته الناس أخذوا برش الماء عليه حتى أفاق ثم بدأوا بضربه وإهانتته وزجره وإذلاله، فلما علم المختار أمر بضرب عنقه بكلّ إذلال واحتقار جزاء له على ما ارتكبه من جريمة شنعاء بحق سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وآله عليه السلام .

قتل حكيم بن طفيل

قاتل العباس عليه السلام

وكان من جملة المجرمين حكيم بن طفيل وهو الذي ضرب العباس بن علي عليه السلام غيلةً وأيضاً رمى الإمام الحسين عليه السلام بسهم، وكان قد استتر في داره، فأرسل إليه المختار عبدالله بن كامل فذهب إليه مع جماعة فأخذه ثم أقبل به فجاءت أخت حكيم وهي زوجة عدي بن حاتم الطائي تستغيث بعبدالله بن كامل وطلبت من عدي أن يشفع عند المختار في حكيم، فلحقهم - عدي - في الطريق وكلم عبدالله بن كامل فيه، فقال: ما لي من أمره شيء إنما ذلك إلى الأمير المختار، فقالت الشيعة لابن كامل: إنا نخاف أن يشفع الأمير عدي بن حاتم في هذا الخبيث فدعنا نقتله، قال: شأنكم به فأخذوا حكيم بن طفيل ونصبوه غرضاً ثم قالوا له: سلبت ابن علي ثيابه^(١).. ورميت حسيناً واتخذته غرضاً لنيلك وقلت تعلق سهمي بسر باله ولم يضره وإيم الله لرمينك كما رميته

(١) أنظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٦٥ أن حكيم هذا قد سلب العباس بن علي عليه السلام .

بنبال، فرموه رشقاً واحداً فوقعت به منهم نبال كثيرة حتى صار كالقنفذ، فخر ميتاً^(١).

قتل شمر بن ذي الجوش الضبابي

وأخذ المختار يتتبع القتل فاجتمع شمر بن ذي الجوشن الضبابي وإسحاق ابن الأشعث وسانن بن أنس ويزيد بن حارث ومرة بن عبد الصمد ومجموعة آخرين من القادة العسكريين الذين قاتلوا الإمام الحسين عليه السلام بكر بلاء، اجتمعوا وقالوا إن لم يشفع لنا عدي بن حاتم لدى المختار فإن القتل سيلنا ولا حيلة لنا إلا الفرار من الكوفة والالتحاق بالبصرة حيث ابن الزبير المخالف للمختار، فرفض بعضهم هذا الاقتراح بينما استقبله جماعة منهم، فخرج شمر بن ذي الجوشن مع خمسة عشر رجلاً ليلاً من الكوفة يريدون البصرة، وبعث المختار غلاماً له يدعى زريباً أو (خير) في طلب شمر حتى إذا انقطع إليه حمل عليه شمر فدق ظهره ومات في حينه، ثم انطلق شمر مع أصحابه إلى قرية تدعى (الكلتانية)^(٢) فاستقر فيها وبعث برسالة إلى مصعب بن الزبير في البصرة ودفعها إلى أحد دهاقين البصرة فانطلق الأخير حتى لقي رجلاً في طريقه من أصحاب أبي عمرة الذي أرسله المختار لقتل شمر، فرأى الكتاب وعنوانه لمصعب من شمر، فسألوه عن مكانه الذي هو به فأخبرهم فإذا ليس بينهم وبينه إلا ثلاثة فراسخ فأقبلوا يسيرون إليه، ومن جهة ثانية فإن المختار كان قد بعث عبدالله بن

(١) المصدر نفسه.

(٢) كلتانية: بفتح الكاف وسكون اللام وتاء مثاء وألف ونون مكسورة وباء مشددة ذكرها الحموي في معجم البلدان ج ٧ ص ٢٧٤ من تاريخ البصرة عند ذكره للأساوره وأنها تقع بين البصرة والكوفة من شرقي الفرات، وفيها قتل شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين بن علي عليه السلام / المؤلف.

كامل مع مجموعة من الفرسان للالتحاق بأبي عمرة، فاجتمع أبو عمرة وأصحابه مع عبدالله بن كامل وأصحابه عند قرية كلثانية وحاصروا شمرًا وأصحابه وهم نائمون، فلما سمعوا الأصوات قاموا مسرعين ولكن شاهدوا أنفسهم في حصار تام، وكان شمر متزراً يبرّد وكان أبرصاً والبرص على سائر جسده ولسرعة المفاجئة والمباغته لم يستطع شمر أن يحمل سيفه فأخذ يطاعنهم بالرمح أو النبال ثم حمل سيفه وأخذ يحاربهم، فتقدّم إليه عبد الرحمن بن عبيد وطعنه في نحره وسقط قتيلًا بعدما قُتل جميع من كان معه^(١)، وحملت رؤوسهم إلى المختار في الكوفة.

وقد رويت عدّة قصص في كيفية قتل شمر منها:

١- أن أبا الكنود وهو حامل رسالة شمر إلى مصعب هو الذي قتله في قتاله الأخير هذا وألقى جسده للكلاب تأكله^(٢).

٢- إنه لعنه الله قتله أحد الشيعة لا على التعيين في ميدان الحرب.

٣- إن الذي قتله هو عبد الرحمن بن عبيد كما تقدّم برواية الخوارزمي بعدما أنشد - عبد الرحمن :-

يا أيّها الغادر وابن الغادر	وقاتل الحسين ذي المفاجر
ابن النبي الطيّب العناصر	وابن الوصي الطاهر بن الطاهر
منيت من شيعته بثائر	يطعن في الضلوع والحناجر
أشجع من ليث عرين خادر	فابشر بخزي وبموت حاضر ^(٣)

(١) أنظر التفاصيل في تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٥٩ ط دار الكتب العلمية، ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٢٧٠ / المترجم.

(٢) أقول: لقد ذكر الطبري أن أبا الكنود هو نفسه عبد الرحمن بن عبيد، لاحظ التاريخ ج ٣ ص ٤٦٠ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٨ م / المترجم.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٢٧٠.

ثم عاد رجال المختار وأسروا سنان بن أنس وحارث بن قرين وأخذوهما معهما إلى الكوفة، فلما نظر المختار إلى رأس الشمر ورؤوس أصحابه خرواً ساجداً وقال: يا عبد الرحمن أقر الله عينك بقاء رسول الله ﷺ في الجنة ثم أمر برأس الشمر فنصب في رحبة الحذائين ازاء المسجد الجامع، وأمر بعشرة آلاف دينار لعبد الرحمن وولاه حلوان.

الاقتصاص من الذين رضوا جسد الإمام الحسين ﷺ

جاء في رسالة شرح الثار أن المختار تجرد لقتلة الحسين ﷺ وأهل بيته فقال موسى بن عامر: فأول من بدء به الذين وطئوا الحسين ﷺ بخيلهم، فأنامهم على ظهورهم وضرب سكك الحديد في أيديهم وأرجلهم وأجرى الخيل عليهم حتى قطعتهم وحرقهم بالنار^(١).

قتل قاتل ابن عقيل

ثم أخذ رجلين اشتركا في دم عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب ﷺ وفي سلبه، كانا في الجبانة فضرب أعناقهما ثم أحرقهما بالنار، ثم أحضر مالك بن بشير وطلب منه - من المختار - غلامه أن يدعه له، فأخذ غلام المختار مالك بن بشير إلى السوق فقتله هناك^(٢).

الانتقام من خولي بن يزيد

ثم بعث أبا عمرة فأحاط بدار خولي بن يزيد الأصبحي وهو حامل رأس الحسين ﷺ إلى عبيد الله - وهو أيضاً حامل الرأس الشريف إلى الكوفة قبل أن

(١) البحار ج ٤٥ ص ٣٧٤ ط إيران.

(٢) المصدر نفسه.

يصل إلى الشام، فلما بات في داره وضع الرأس الطاهر في التنور - فلما أحاطوا بيته خرجت امرأة خولي إليهم وهي النوار ابنة مالك الحضرمي وقيل اسمها العيوف وكانت محبة لأهل البيت عليهم السلام وكان في البيت امرأة أخرى لخولي محبة لبني أمية، فدخلوا البيت وسألوا من التي تشايح بني أمية فقالوا لها: أين خولي؟ فقالت: لم يدخل البيت منذ شهر، ثم سألوا النوار فقالت: لا أدري، وهي تشير بيدها إلى بيت الخلاء، فوجدوه وعلى رأسه قوصرة - للتمر - فأخذوه وقتلوه ثم أمر بحرقه ^(١).

وقيل: إن المختار أمر بضرب عنقه في منزله - منزل خولي ^(٢) - وذكر صاحب ناسخ التواريخ: أن المختار بعث عبدالله بن كامل للقبض على خولي فلما قبضوا عليه قالت زوجته (النوار) إذا أردتم أخذه للمختار فخذوا زوجته الأولى معه فإنها شريكة معه في الجرم وسأحضر بنفسه لأذكر قصتها للمختار فلما أخذ خولي وزوجته للمختار - وكان يغري عامل المختار أثناء الطريق بأن يعطيه خمسين ديناراً إذا هو تركه، فكان عامل المختار يجيبه أن قتلك أحب إلي من الدنيا كلها - أمر المختار بحبس خولي حبساً مؤقتاً حتى يسمع قصة النوار، فلما حضرت عند المختار قالت: لما جاء خولي برأس الإمام الحسين عليه السلام إلى منزله كنت خارج البيت فلما حضرت في الدار قالت تلك الزوجة الملعونة لي: أبشرك بخبر هام، فقلت: وما هو؟ فقالت وهي تظهر الفرح والسرور: إن جيش يزيد قد قتلوا ابن أبي تراب وحزوا رأسه عن بدنه ورفعوه على الرماح، فتأسفت لما سمعتُ منها ذلك ثم جلست باكية، فضحكت وسخرت مني وقالت: ستبكين عليه كثيراً إذا رأيته تحت ذلك الطشت، فهرعت ورفعته

(١) البحار ج ٤٥ ص ٣٧٤ - ٣٧٥ ط إيران.

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٦٤.

الطشت فإذا رأس الحسين عليه السلام فلما رأيته صرختُ عالياً، وهي تضحك مني وتوَلّمني أكثر بكلماتها التي كانت كالملح على الجروح، فلما سمع المختار ذلك أمر بإحضار المرأة الملعونة، فلما حضرت سألتها عن اعتقادها، فقالت: إن أمير المؤمنين هو يزيد بن معاوية وأن الحسين قد خرج عليه، فقتله لذلك. فقال المختار: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾^(١)، ثم أمر بقطع لسانها وأعضائها ثم أحرقتها في النار، ووهب لهذه المرأة الصالحة خمسمائة دينار، وأعطاهما عبدالله بن كامل خمسمائة درهم، وأعطاهما غلام المختار المخلص (خير) مائة درهم وهكذا أعطاهما كل من حضر ذلك المجلس شيئاً وعادت إلى منزلها فرحة^(٢).

وفي اليوم الثاني أرسل المختار على خولي، فلما حضر عنده قال له: أمسلم أم كافر أنت؟ فقال: بل مسلم، فقال المختار: أيها الملعون أين تجد في الإسلام جواز قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله والطواف برأسه في البلدان وإيجاد هذه الفتنة وإثارة مثل هذه المصيبة التي ضجت الأرض والسماء لها؟ فقال خولي: إن كثيراً مثلي من فعل ذلك. فقال المختار: كلكم لستم بمسلمين.

وذكر أبو مخنف في مقتلته أن المختار سأل خولي ما صنعت يوم كربلاء؟ فقال: بعد قتل الحسين ذهبت إلى خيامه فرأيت علي بن الحسين مريضاً نائماً على فراشه فسرقته متاعه وفراشه من تحته ثم أخذت مقنعة وأقراط بنت الإمام الحسين، فلما سمع المختار ذلك بكى ثم قال له: وما قالت لك؟ قال خولي:

(١) آل عمران: ٨.

(٢) ناسخ التواريخ ج ٤، ص ١٢٥، ط: المكتبة الإسلامية ١٣٣٦ فارسي.

أقول: ورأيت في مدينة المعاجز أن كلا المرأتين كانتا صالحتين، ص ٢٤٨ ط حجري، والله العالم / المترجم.

قالت لي وهي تصرخ: قطع الله يديك ورجليك وأذاقك نار الدنيا قبل نار الآخرة.

فقال المختار: لقد استجاب الله دعاءها، فأمر بقطع يديه أولاً ثم أمر بقطع رأسه وألقاه في النار^(١).

القبض على مُرّة بن منقذ قاتل عليّ الأكبر عليه السلام

ثم جاءت الأخبار للمختار أنّ مُرّة بن منقذ العبدي من قبيلة عبد القيس قاتل عليّ الأكبر ابن الإمام الحسين عليه السلام وهو مختبئ في داره، فبعث إليه رجاله وكان - مُرّة - رجلاً شجاعاً وشيخاً كبيراً فأحاطوا بداره فخرج ويده الرمح وهو على فرس جواد فطعن عبيد الله بن ناجية الشامي فصرعه ولم تضره الطعنة، وضربه عبد الله بن كامل بالسيف فأتقأها بيده اليسرى فأشرع فيها السيف وتمطرت به الفرس فأفلت ولحق بمصعب في البصرة بعدما شلت يده^(٢).

وذكر صاحب ناسخ التواريخ - لسان الملك سپهر - أنّ سعر بن أبي سعر ألقى القبض على مُرّة بن منقذ وجاء به إلى المختار فقال له: أيّها الملعون أنت الذي قتلت عليّ بن الحسين؟ فقال: لم أكن لوحدي بل كان معي ألف رجل، فقال له المختار: إن لم يكن معك أولئك الألف أكنت تستطيع قتله؟ ثم أمر بقطع لسانه من آخره ثم سمل عينيه وقطع شفتيه ثم قطعوا رأسه عن بدنه وألقوه في

(١) مقتل أبي مخنف ص ٩٢، ط دار البصري بغداد (عام ١٩٦٧م).

(٢) البحار ج ٤٥ ص ٣٧٥ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٦٦.

أقول: ذكر الخوارزمي في مقتل الحسين ج ٢ ص ٢٣٦ أنهم قتلوا مُرّة بن منقذ في تلك المعركة / المترجم.

النار والله العالم بحقائق الأمور^(١).

قتل زيد بن رُقَاد قاتل عبدالله بن مسلم بن عقيل

ثم بعث المختار عبدالله بن كامل إلى زيد (يزيد) بن رقاد وكان يقول: رميته - أي لعبدالله بن مسلم - بسهم فأتقاه بيده، فشك يده إلى جبهته فأثبتته بعدما مات فما قدرت والله أن أنزع سهمي من جبهته، فتركته مثبتاً فيها، ونُقل أن عبدالله بن مسلم لما ضرب بهذا السهم قال: اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ اسْتَغْلَوْنَا وَاسْتَذَلُّوْنَا، اللَّهُمَّ فَاقْتُلْهُمْ كَمَا قَتَلُونَا، وحاول نزع السم ولكن دون جدوى فرماه زيد (يزيد) بن الرقاد بسهم آخر في بطنه وكان سبباً لاستشهاده.

فلما أحاط عبدالله بن كامل بدار زيد بن الرقاد خرج شاهراً سيفه فقال عبدالله بن كامل لأصحابه لا تضربوه بسيف ولا تطعنوه برمح ولكن ارشقوه بالسهم كما رمى ابن عم رسول الله ﷺ، فرشقوه بالسهم والحجارة حتى سقط، فأمر عبدالله بنار فأحرقوه بها وهو حي^(٢).

وذكر لسان الملك سيهر: أن أصحاب عبدالله بن كامل القوا القبض على زيد بن الرقاد وجاءوا به عند المختار فسأله عن فعله يوم الطف وكيفية قتله لعبدالله بن مسلم؟ فقال: رميته بسهم أصاب عينه وخرج من قفاه، فأمر المختار أن يُرمى بنفس الطريقة، فرموه في عينه وخرج السهم من رأسه من القفا وقال له الناس: ذق أيها الملعون فهذه مكافأتك ثم رشقوه بالسهم حتى سقط ومات^(٣).

(١) ناسخ التواريخ ج ٤، ص ١٢٥، ط: المكتبة الإسلامية (١٣٣٦).

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٢٣٦ وانظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٦٦.

(٣) ناسخ التواريخ ج ٤، ص ١٢٥، ط: المكتبة الإسلامية (١٣٣٦).

قتل سنان بن أنس

وهرب سنان بن أنس إلى البصرة، فعلم المختار بفراره فأمر بهدم داره ثم خرج سنان من البصرة نحو القادسية وكان عليه عيون فأخبروا المختار بذلك فأرسل إليه رجاله فأخذوه بين العذيب والقادسية، فقطع أنامله ثم يديه ورجليه وأغلى زيتاً في قدر ورماء فيها كما ذكره العلامة المجلسي في بحاره في رسالة شرح الثار لابن نما^(١).

قتل حرملة بن كاهل قاتل عبدالله الرضيع

وأخبر المختار أن حرملة بن كاهل مع جماعة من قتلة الحسين يختبئون في داره فأرسل إليهم جماعة من رجاله فآلقوا القبض عليه - على حرملة - فخرج المختار إليه وفي الطريق التقى مع المنهال، يقول الأخير: وقدمت الكوفة والمختار بها فركبت إليه فلقيته خارجاً من داره فقال: يا منهال لم تشركننا في ولايتنا هذه؟ فعرفته أنني كنت بمكة فمشى حتى أتى الكناس، ووقف كأنه ينتظر شيئاً فلم يلبث أن جاء قوم قالوا: أبشر أيها الأمير فقد أخذ حرملة فجئنا به، فقال: لعنك الله الحمد لله الذي أمكنني منك الجزار.. الجزار فأنتي بجزار فأمره بقطع يديه ورجليه ثم قال: النار النار فأنتي بنار وقصب فأحرق.

فقلت: سبحان الله سبحان الله، فقال: إن التسبيح لحسن لم سبحت؟ فأخبرته أنني دخلت على الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام وأودعته وأنا أريد الانصراف من مكة فقال: يا منهال ما فعل حرملة بن كاهل؟ فقلت: إنه حي

بالكوفة، فرفع يديه وقال: اللَّهُمَّ أَذْقه حَرَّ النَّارِ، اللَّهُمَّ أَذْقه حَرَّ الْحَدِيدِ، فَلَمَّا سَمِعَ الْمُخْتَارَ ذَلِكَ وَقَالَ أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا؟ قُلْتَ: نَعَمْ، فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَأَطَالَ السَّجُودَ وَرَكِبَ وَسَارَ فَحَاضِي دَارِي فَعَزَمَتْ عَلَيْهِ بِالْزُّوْلِ وَالتَّحْرِمِ بِطَعَامِي فَقَالَ: إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ دَعَا بِدَعَوَاتٍ فَأَجَابَهُ اللَّهُ عَلَى يَدَيَّ ثُمَّ تَدْعُونِي إِلَى الطَّعَامِ؟ هَذَا يَوْمٌ صُومَ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى، فَقُلْتُ: أَحْسَنَ اللَّهُ تَوْفِيقَكَ^(١).

قتل محمد بن الأشعث

وأنفذ المختار إلى محمد بن الأشعث بن قيس وقد انهزم إلى قصر له في قرية إلى جنب القادسية فقال لهم: انطلقوا فإنكم تجدونه لاهياً متصدياً أو قائماً متبلداً أو خائفاً متلذداً أو كامناً متعمداً، فلما أحاطوا بالقصر وله بابان فخرج محمد بن الأشعث من الباب الثاني وانطلق فاراً إلى مصعب بن الزبير في البصرة فهُدم داره وأُخذ ما كان فيها.

وذكر الطبري في تاريخه: إن مصعب بن الزبير جعل محمد بن الأشعث على أهل الكوفة - شرازم الكوفة - حينما تقدّم مصعب لمحاربة المختار، فدارت الحرب بين الفريقين بشدة كأنها أيام صفين، حتى وثب خمسون رجلاً من رجال عبد الله بن كامل وذلك عند المساء فكرّ على أصحاب محمد بن الأشعث فقتل محمد بن الأشعث مع عاتمة أصحابه^(٢)، فذاق جزاءه أخيراً وهو مفاد قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٣).

(١) البحار ج ٤٥ ص ٣٧٥ ط إيران.

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٨٦ - ٤٨٧.

(٣) الشعراء: ٢٢٧.

قتل بجدل بن سليم

ولم تطل المدّة كثيراً حتّى جاءوا ببجدل بن سليم عند المختار، وكان بجدل قد قطع اصبع الحسين عليه السلام وسرق خاتمه، فأمر المختار بقطع يديه أولاً ثمّ رجليه ثمّ ترك على هذه الحالة فلم يزل ينزف حتّى مات والتحق بالجحيم^(١).

قتل إسحاق بن الأشعث

وهو من جملة الأشقياء والملعونين، فهو أول من جرح بدن الإمام الحسين، وقد نال جزاءه العادل على يد المختار عليه السلام.

قتل أبي خليك الشاعر

ومن جملة الذين أمر المختار بقتلهم أبو خليك الشاعر وكان هذا الرجل حاضراً في كربلاء يسجّل ويدوّن وقائع الحرب، فكان كلّما قُتل أحد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أو إخوته وأولاده، يكتب اسم القاتل ويمدحه ويضفي عليه الألقاب الرئانة، فلمّا طلبه المختار قال له: قص لنا ما حدث في كربلاء، فقال: أيّها الأمير أعطني الأمان؟ فقال له - توريةً -: أنا لا أقتلك، فقام أبو خليك وحدثهم بما جرى والمختار ومن معه يبكون فلمّا انتهى قال له المختار: لقد أعطيتك الأمان ولا أقتلك بنفسي أبداً ولكن أمل أن تنال جزاءك سريعاً، بعدها خرج أبو خليك من المجلس فأرسل عبدالله بن كامل غلامه خلفه وقال له أقتله أينما سنحت لك الفرصة، فتعقّب الغلام حتّى إذا وصل أبو خليك إلى السوق شهر الغلام سيفه ونال منه وقطّعه إرباً إرباً.

قتل أربعين رجلاً من قتلة الإمام الحسين عليه السلام

ذُكر في مشكاة الأدب للناصري أن جهيم بن سليمان الخباز كان من الشيعة جاء إلى عبدالله بن كامل وطلب منه الإذن في دخوله على المختار والخلوة به فأذن الأخير له ، فلما مثل بين يديه قال : أنا أعمل خباز ولي جار عندهم جارية جميلة أحببتها وأحببني ودعنتني إلى نفسها مراراً إلا أنني إلى اليوم لم أعص الله تعالى في ذلك ولم أذهب معها ، وكانت تجيئني كل يوم وتشتري مني خبزاً كثيراً فتعجبت من أمرها ، فسألته ذات يوم وقلت لها : إذا أخبريني لمن تأخذين كل هذا الخبز اشتريتك من مولاك وأعتقتك وتزوجتك ، فقالت : لقد جاء إلى بيت مولاي (٤١) شخصاً ممن اشتركوا في قتل الحسين عليه السلام واختبأوا عنده وهم عازمون على المسير إلى البصرة ، وهذا الخبز لهم ، فلما سمع المختار ذلك أعطى للخباز ألف درهم ثم أرسل عبدالله بن كامل وأبا عمرة الحاجب وسعر بن أبي شعر وغلामه (خير) مع مجموعة من الرجال إلى ذلك البيت ، فأحاطوا به من كل جانب ، وشعر من في الدار بقدم رجال المختار إليهم ، فقاموا وقتلوا صاحب الدار أولاً وقطعوه إرباً إرباً وبينما هم في ذلك إذ هجم عليهم رجال المختار وقتلوهم إلى آخرهم ورفعوا رؤوسهم على الرماح وجاءوا إلى المختار ، ففرح كثيراً وقسم ألف درهم على الفقراء تعبيراً لشكره لله تعالى ، وكان من جملة هؤلاء القتلة عروة بن عبد الصمد ، وحباب بن عمرو الحضرمي ، وعمر بن أصيل ، وعمر بن قرطه ، وسعد بن حنظلة ، وقد عُرف كل واحد من هؤلاء بقساوة القلب والغلظة والجفاف في يوم كربلاء .

قتل قيس بن حفص الشيباني

وفي هذه الأثناء قيل للمختار أن قيس بن حفص خرج على حمار له وهو يرتدي ملابس النساء يريد البصرة، فأرسل عبدالله بن كامل رجاله إليه، فقبضوا عليه في الطريق وشدّوا يديه وأحضروه أمام الناس وهو على هيئة النساء فأمر المختار أن يُقتل على هذه الحالة.

قتل ٤٢٠ رجلاً ممّن اشترك

في قتل الإمام المظلوم عليه السلام

وفي هذه الأثناء دخل أبو عمرة الحاجب على المختار وأخبره أن رجلاً يريد الخلوة به، فأمر بدخوله بعدما اختلّى به فقال الرجل للمختار: أنا رجل لديّ بستان خارج الكوفة في الطريق المؤدية إلى البصرة وهي تبعد عن الكوفة فرسخ واحد، ويأتي في البستان كلّ يوم مجموعة كبيرة من قتلة الإمام الحسين عليه السلام فراراً من الكوفة وهم يعزمون على السفر إلى البصرة ليلاً، وقد بلغوا أربعمئة وعشرين رجلاً، فلمّا سمع المختار ذلك أمر إبراهيم الأشتر وعبدالله بن كامل وأبو عمرة الحاجب وعلّامه خير بالتوجّه إلى بستان الرجل وقتل هؤلاء معزّزين بألف فارس، فلمّا وصلوا إلى البستان حاصروه من جميع الجهات ثمّ دخلوا عليهم وهم ينادون يالثرات الحسين، ودارت الحرب بينهم إلّا أنّها انتهت بسرعة بعدما قتل أصحاب المختار جميع أولئك القتلة وخزّوا رؤوسهم عن أبدانهم وحملوها معهم إلى الكوفة وسرّ المختار سروراً بالغاً.

إحصاء الذين قتلهم المختار

وهكذا كانت الأخبار تأتي المختار عن وجود بعض قتلة الحسين عليه السلام هنا وهناك فكان يأمر بقتلهم أينما وجدوا، طالباً بثأر الإمام المظلوم في كربلاء حتى مضى عليه (١٨) شهراً وهي فترة إمارته التي ابتدأت من ١٤ ربيع الأول عام ٦٦هـ وانتهت في ١٥ رمضان عام ٦٧هـ كما ذكره العلامة المجلسي في البحار نقلاً عن رسالة شرح الثار للشيخ ابن نما طيّب الله رسمه^(١)، وكان عدد المقتولين بسيفه ثمانية عشر ألف من كبار وزعماء الذين قتلوا السبط الشهيد في كربلاء^(٢).

وذكر صاحب روضة الصفا أن عدد المقتولين بأمر المختار ممن قتلوا الحسين عليه السلام كانوا ثمانية وأربعين ألف وخمسمائة وستين شخصاً.

وقد قُتل بقية الذين اشتركوا في قتل الإمام الحسين عليه السلام في حروراء مع محمد بن الأشعث عندما أرسلهم مصعب بن الزبير لحرب ابن الأشرع عدا شخصين مهمين كانا قد قادا الجيوش الجزارّة لقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وهما:

١- عبيد الله بن زياد، وأمه مرجانة من ذوات الرابات، كان عبيد الله في الشام من أتباع عبد الملك حينما انتقم المختار من قتلة الحسين عليه السلام.

٢- عمر بن سعد بن أبي وقاص، وهو زوج أخت المختار، وقد أعطاه المختار أماناً في بادئ إمارته نظراً للمصلحة العليا التي فرضتها طبيعة الأحداث آنذاك، لاسيّما بعدما التمس عبد الله بن جعدة بن هبيرة (وهو زوج أخت أمير المؤمنين علي عليه السلام) من المختار ذلك.

فكان عمر بن سعد وابنه يأتیان مجلس المختار كلّ يوم ويجلسان عنده

(١) البحار ج ٤٥ ص ٣٥٤ وص ٣٨٦ ط إيران.

(٢) المصدر نفسه ٣٨٦.

بكلّ عزة وأمان، حتّى وصل الخبر إلى محمّد بن الحنفية فأرسل إلى المختار معاتباً له على مجالسته عمر بن سعد وتأخير قتله.

فلما طلب عبدالله بن كامل أماناً من المختار لإسحاق بن الأشعث على غرار أمان ابن سعد اعتذر المختار منه وأوضح له أنّه لم يعط ابن سعد أيّ أمان وإنّما مجرد مداراة وتكتيك وسوف ينزل به القصاص العادل قريباً.

شقاوة عمر بن سعد وحكاية الراهب

١ - على الرغم من أنّ عمر بن سعد ينتسب إلى قريش القبيلة العريقة في العرب وأنّ والده هو سعد بن أبي وقاص إلا أنّ ذلك لم يمنع من انزلاقه وانحرافه ليصبح في نهاية الأمر من الأشقياء.

٢ - وعلى الرغم من أنّ أصحابه ورفاقه والمقربين منه نصحوه بعدم الإقدام على مقاتلة الحسين بن علي عليه السلام وأوضحوا له حرمة ذلك بالدلائل الساطعة إلاّ أنّه أقدم على محاربة الإمام الحسين عليه السلام بكلّ اختياره.

وكان من جملة الذين حدّروا عمر بن سعد من ارتكاب هذه الجريمة شخص يدعى كامل وكان صديقاً لعمر بن سعد فقال له: إنّي أحدثك بحديث صحيح أرجو لك فيه النجاة إن وفّقت لقبوله، أعلم أنّي سافرت مع أبيك سعد ابن أبي وقاص إلى الشام فانقطعت بي مطيتي عن أصحابي ونهت وعطشت فلاح لي دير راهب فملتّ إليه ونزلت عن فرسي وأتيت إلى باب الدير لأشرب ماء فأشرف عليّ راهب من ذلك الدير وقال: ما تريد؟ فقلت له: إنّي عطشان، فقال لي: أنت من أمة هذا النبي الذين يقتل بعضهم بعضاً على حب الدنيا مكالبة ويتنافسون فيها على حطامها؟ فقلت له: من الأمة المرحومة أمة محمّد ﷺ،

فقال: إنكم شرُّ أمةٍ فالويل لكم يوم القيامة وقد سدّدتم إلى عترة نبيكم فقتلتموهم وشرّدتموهم وأنّي أجد في كتبنا أنّكم تقتلون ابن بنت نبيكم وتسبون نسائه وتنهبون أمواله، فقلت له: ياراهب نحن نفعل ذلك؟ قال: نعم، إنكم إذا فعلتم ذلك ضجّت السماوات والأرضون والبحار والجبال والبراري والقفار والأطيار باللعة على قاتله ثمّ لا يلبث قاتله في الدّنيا إلّا قليلاً ثمّ يظهر رجل يطلب بثّاره لا يدع أحداً شرك في أمره بسوء إلّا قتله وعجّل الله بروحه إلى النار وأنّي لأرى له قرابة من قاتل هذا الابن الطيّب والله لو أنّي أدركت أيّامه لوقيته بنفسي من حرّ السيوف، فقلت: ياراهب إنّي أعيد نفسي أن أكون ممّن يقاتل ابن بنت رسول الله ﷺ، فقال: إن لم تكن فرجل قريب منك بسبب أو نسب، وإنّ قاتله عليه نصف عذاب أهل النار وأنّ عذابه أشدّ عذاباً من عذاب فرعون وهامان، ثمّ ردم الباب في وجهي ودخل يعبد الله تعالى وأبى أن يسقيني الماء فركبت فرسي ولحقّت أصحابي فقال لي سعد: ما أبطأك عنا يا كامل؟ فحدّثته بما سمعته من الراهب، فقال لي: صدقت، ثمّ إنّ سعداً أخبرني أنّه نزل بدير هذا الراهب مرّة من قبلي فأخبره أنّه الرجل الذي يقتل ابن بنت رسول الله ﷺ فخاف أبوك سعد من ذلك وخشى أن تكون أنت قاتله فأبعدك عنه وأقصاك فاحذر يا عمر أن تخرج عليه فإن خرجت عليه يكون عليك نصف عذاب أهل النار..^(١)

وكلّ هذه النصائح والاخبارات لم تجد لها طريقاً إلى قلب عمر الخبيث «ولا يزيد الظالمين إلّا خساراً».

(١) مدينة المعاجز ص ٢٦١ - ٢٦٢ ضمن معاجز الإمام الحسين عليه السلام، ط حجري.

أقول: وتتمّة الخبر أن ابن زياد أرسل على كامل فقطع لسانه فعاش يوماً أو بعض يوم ومات ﷺ / المترجم.

وبعد سماعه لهذا الكلام أنشد عمر :
 فوالله ما أدري وأتني لحائر
 أفكر في أمري على خطرين
 أترك ملك الري والري منيتي
 أم أرجع مأثوماً بقتل حسين ؟
 وفي قتله النار التي ليس دونها
 حجاب وملك الري قرّة عيني
 حسين ابن عمّي والحوادث جمّة
 لعمرى ولي في الري قرّة عين
 وإنّ إله العرش يغفر زلّتي
 ولو كنت فيها أظلم الثقلين
 ألا إنّما الدُّنيا لخير معجل
 وما عاقل باع الوجود بدين
 يقولون إنّ الله خالق جنّة
 ونارٍ وتعذيبٍ وغلّ يدين
 فإن صدقوا فيما يقولون إنّني
 أتوب إلى الرحمن من سنتين
 وإن كذبوا فزنا بدنيا عظيمة
 وملك عقيم دائم الحجلين^(١)

(١) قمقام زخار - فارسي - فرهاد ميرزا معتمد الدولة ص ٣٦٨.

إخبار أمير المؤمنين عليّ بشقاوة عمر بن سعد

٣- ومضافاً لما تقدّم من إخبار ونصائح (في شقاوة ابن سعد) قدّمت لعمر ابن سعد لعنه الله في تحذيره من قتله الحسين عليه السلام، فقد سبق أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كلّ ذلك حينما كان طريحاً في فراش الموت وأخبر سعد بن أبي وقاص بذلك فقد ذكر الصدوق (طيّب الله رمسه) في أماليه والمفسّر الخبير السيّد هاشم البحراني في مدينة المعاجز مسنداً عن الأصمعي بن نباتة قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب الناس وهو يقول: سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن شيء مضى ولا عن شيء يكون إلّا نبأتكم به، فقام إليه سعد بن أبي وقاص فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟ فقال: أما والله لقد سألتني عن مسألة حدّثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله إنك ستسألني عنها وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلّا وفي أصلها شيطان جالس وأنّ في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني، وعمر بن سعد يومئذ يدرج بين يديه^(١).

وقد ذكر هذا الخبر بقليل من التفاوت ابن الأثير في الكامل وسبسط ابن الجوزي في تذكرة الخواص^(٢) عن ابن سيرين وهو من كبار علماء أهل السنة بقوله: وقد ظهرت كرامات علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا: فإنّه لقي عمر بن سعد يوماً وهو شاب فقال: ويحك يا ابن سعد كيف بك إذا قمت يوماً مقاماً تُخَيَّر فيه بين الجنة والنار فتختار النار؟

٤- ومن دلائل شقاوة ابن سعد لعنه الله ما ذكره ابن الجوزي في التذكرة نقلاً عن الشعبي أنّه قال: كان سعد به أبي وقاص صاحب فراسة وكرامة فقد ذكر

(١) مدينة المعاجز للبحراني ص ١٢١ ط حجري.

(٢) تذكرة الخواص ص ٢٢٣ تحت عنوان «وصول الحسين إلى العراق» الباب ٩.

مسلم بن الحجاج في صحيفة أن سعداً رأى راكباً مقبلاً من بعيد وكان الراكب هو ابنه عمر فقال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب. فلما وصل وسلم عليهم قال لأبيه: إن القوم اجتمعوا وتنازعوا على الملك وأنت هنا في الصحراء فضرب سعد في صدره وقال له: مه أو اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله يحب العبد الغني التقي الخفي. ثم يعلّق الشعبي على فراسة سعد في تعوّذه من شر ابنه عمر؛ فقد قتل الحسين ﷺ وأهل بيته.

لقاء الإمام الحسين ﷺ بعمر بن سعد

وحاول الإمام الحسين ﷺ أن يلقي آخر الحجج على عمر بن سعد كما ذكر ذلك صاحب كتاب قمقام زخار ومصائب الأبرار وغيرهما أن الحسين ﷺ أرسل إلى عمر بن سعد إني أريد أن أكلّمك فالقني الليلة بين عسكري وعسكرك فخرج إليه عمر بن سعد في عشرين فارساً والحسين ﷺ في مثل ذلك ولما التقيا أمر الحسين ﷺ أصحابه فتنحّوا عنه وبقي معه أخوه العباس وابنه علي الأكبر وأمر ابن سعد أصحابه فتنحّوا وبقي معه ابنه حفص وغلّامه، فقال الحسين ﷺ له؛ ويحك أما تتقي الله الذي إليه معادك؟ أتقاتلني وأنا ابن من علمت؟ يا هذا ذر هؤلاء القوم وكن معي فإنه أقرب لك من الله، فقال عمر: أخاف أن تؤخذ ضيعتي، فقال: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز، فقال: لي عيال أخاف عليهم، فقال ﷺ: أنا أضمن سلامتهم، فسكت ولم يجبه عن ذلك حتّى انصرف عنه الحسين ﷺ وهو يقول: ما لك ذبحك الله على فراشك سريعاً عاجلاً ولا غفر لك يوم حشرك ونشرك فوالله إني لأرجو أن لا تأكل من برّ العراق إلّا يسيراً فقال عمر لعنه الله -مستهزئاً: يا أبا عبد الله في الشعر عوض عن البر^(١).

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٢٤٥ الفصل ١١، وقمقام زخار - فارسي -

وقد روي أن عمر لعنه الله لما عاد من كربلاء أبتلي بمرض لم يقدر معه على تناول خبز الحنطة أبداً إلى أن قُتل.

دعاء الإمام الحسين عليه السلام على ابن سعد

وعلى غرار هذا الدعاء، دعا الإمام الحسين عليه السلام على عمر بن سعد يوم عاشوراء وذلك عندما نزل ولده علي الأكبر إلى ساحة القتال فنادى الحسين عليه السلام بعمر بن سعد: مالك - يابن سعد - قطع الله رحمك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله ﷺ ولا بارك الله لك في أمرك وسلط عليك من يذبحك بعدي على فراشك^(١).

وقد تحقق هذا الدعاء وسلط الله المختار الثقفي على عمر بن سعد فأمر بقتله على فراشه كما سأوضح ذلك.

المختار يأمل بقتل عمر بن سعد

ولما تجرد المختار لقتل من اشترك في حرب وقتل الإمام الحسين عليه السلام حتى أنه كان يقول: لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أظهر الأرض منهم^(٢).

كان عمر بن سعد يعلم علم اليقين أنه أول المقصودين ولذلك عمد إلى عبدالله بن جعدة بن هيرة المخزومي - وهو صهر أمير المؤمنين علي عليه السلام - طالباً منه التوسط له عند المختار، وبالفعل فقد قبل المختار وساطة ابن جعدة وكتب أماناً لعمر بن سعد، وسبب قبوله لهذه الوساطة من جهتين:

→ ص ٣٧٥ ط طهران ٢٠٠٠ م.

(١) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣٠.

(٢) البحار ج ٤٥ ص ٣٧٤ ط إيران.

أ - منزلة عبدالله بن جعدة باعتباره صهر أمير المؤمنين علي عليه السلام فلم يقدر على رده^(١).

ب - إن طبيعة الأحداث السياسية يومئذ فرضت عليه تأجيل قتل عمر بن سعد كما قلت سابقاً.

ثم كتب له أماناً تضمن إيهاماً في بعض عباراته ليجوز له قتله فيما بعد وعدم الالتزام بكتاب الأمان وهو ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا أمان المختار بن عبيد الثقفي لعمر بن سعد ابن أبي وقاص إنك آمن بأمان الله على نفسك وأهلك ومالك وولدك لا تؤاخذ بحدث كان منك قديماً ما سمعت وأطعت ولزمت منزلك، إلا أن تحدث حدثاً، فمن لقي عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد عليهم السلام فلا يعرض له إلا بسبيل وخير والسلام^(٢).

سؤال أحد الحاضرين: ما هو الإيهام في هذا الكلام الذي كتبه المختار لعمر بن سعد؟

الجواب: نعم، إنه في قوله (إلا أن يحدث حدثاً) وظاهرها أنه في أمان ما لم يحدث أي تحرك أو فتنة ضد المختار، وباطنها ما أضمره المختار في نفسه وهو: إلا أن يحدث حدثاً أي يذهب إلى بيت الخلاء، لأن الحدث في العربية على معنيين:

أ - الحدث الأصغر، وهو يعني خروج الريح من الموضع المعتاد.

ب - الحدث الأكبر، وهو يعني الجنباة.

(١) أقول: قال الطبري: وكان عبدالله بن جعدة بن هبيرة أكرم خلق الله على المختار لقربته بعلي عليه السلام. ج ٣ ص ٤٦٤ / المترجم.

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٨ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٦٤.

وكان المختار قد قصد ذلك أي أحد هذه المعاني، بينما فهم عمر بن سعد المعنى الظاهري للعبارة، فذهب مسروراً إلى بيته، إلا أن أهل الباطن والعلم أدركوا مرام المختار جيداً كالطبري^(١) وابن الأثير في الكامل فكان عمر بن سعد يتردد إلى مجلس المختار بواسطة هذا الأمان إلى أن جاء اليوم الذي قُتل فيه عبدالله بن كامل وهو من خلص أصحاب المختار والمقرّبين عنده، فخشي عمر من غضب المختار فأخفى نفسه في دار يحيى بن جعدة - وهو ابن أخت أمير المؤمنين عليه السلام - فطرده يحيى من منزله وشتمه ولعنه فرجع عمر إلى منزله وأرسل زوجته - وهي أخت المختار - إلى المختار لتستطلع له الأخبار، إلا أنها لم ترجع إليه، إلى أن جلس المختار يوماً في مجلسه العام وقال: لأقتلن غداً رجلاً عظيم القدمين غائر العينين مترف - مشرف - الحاجبين، يسرّ مقتله المؤمنين والملائكة المقرّبين^(٢).

فكان الهيثم بن الأسود عند المختار وسمع هذه المقالة فوقع في نفسه أن الذي يريده المختار هو عمر بن سعد، فلما رجع إلى منزله أرسل ابنه العريان إلى ابن سعد فأخبره بما حصل وقال له: خذ حذرك فإنه لا يريد غيرك، فقال له عمر بن سعد: جزى الله أباك والإخاء خيراً، كيف يريد هذا بي بعد الذي أعطاني من العهود والمواثيق^(٣)؟

فلما ذهب عنه العريان خرج عمر بن سعد من منزله وأتى رجلاً من بني تميم اسمه مالك وكان شجاعاً وأعطاه أربعمائة دينار، وقال: هذه معك لحوائجنا

(١) قال الطبري في تاريخه: قال أبو جعفر محمد بن علي - أي الباقر -: أما أمان المختار لعمر بن سعد إلا أن يحدث حدثاً: فإنه كان يريد به إذا دخل الخلا فأحدث / ج ٣ ص ٤٦٤ ومنه في بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٧٨ / المترجم.

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٦٤.

(٣) المصدر نفسه.

وخرجوا، فلما كان عند (حمام) أو (نهر عبد الرحمن) وقف وقال لمالك أتدري لِمَ خرجتُ؟ قال: لا، قال: خفت المختار، فقال مالك: إن هربت هدم - المختار - دارك وانتهب عيالك ومالك وخرّب ضياعك وأنت أعزّ العرب^(١) وأي حدث أعظم ممّا صنعت^(٢)؟ فاعتزّ بكلامه وعاد إلى منزله في الغداة فأصبح المختار في مجلسه وعنده حفص بن عمر بن سعد فقال له المختار: أين أبوك؟ قال: في المنزل، وهو يقول أتفي لنا بالأمان؟ قال: اجلس وطلب المختار أبا عمرة وهو كيسان التمار فأسرّ إليه أن اقتل عمر بن سعد وإذا دخلت ورأيتَه يقول: يا غلام عليّ بطيلساني فإنه يريد السيف فبادره واقتله، فذهب إليه أبو عمرة مع رجاله فلما رآهم عمر انقبض فقال له أبو عمرة: أجب الأمير، فقال عمر: يا غلام عليّ بطيلساني فبادره أبو عمرة وقتله على فراشه، وجاء برأسه إلى المختار وعنده ابنه حفص فقال له المختار: أتعرف هذا الرأس؟ فاسترجع وقال: نعم، ولا خير في العيش بعده، فقال المختار: إنك لا تعيش بعده فأمر بقتله. ثم قال المختار وهو يشير إلى رأس عمر بن سعد: عمر بالحسين وحفص بعلي بن الحسين ولا سواء، والله لو قتلت - لأقتلن - سبعين ألفاً كما قُتل بيحيى بن زكريّا عليه السلام وقيل: إنه قال: لو قتلت ثلاثة أرباع قريش لما وفوا بأنملة من أنامل الحسين عليه السلام^(٣).

وهذا التصريح والعمل أدلّ دليل على إخلاص المختار ونزاهة ثورته فإنه قتل زوج أخته من أجل الله تعالى وإرضاء لرسول الله وأهل بيته عليهم السلام ولم تمنعه المصاهرة وأواصر العلاقة من إنزال القصاص العادل بالمجرمين حتّى قيل إنه كان يقول: لو كان أبي حاضراً في كربلاء لما ترحمت عليه!! ثم بعث بالراشدين

(١) البحار ج ٤٥ ص ٣٧٨ / المترجم.

(٢) الطبري ج ٣ ص ٤٦٤ / المترجم.

(٣) البحار ج ٤٥ ص ٣٧٩، والطبري ج ٣ ص ٤٦٥ / المترجم.

إلى محمد بن الحنفية وكان قد عتب عليه لتأخيره قتل عمر بن سعد، فبعثهما إليه فلما رآهما محمد خرّ ساجداً ثم رفع يديه بالدعاء وقال: اللّهُمَّ لا تنس هذا اليوم للمختار وأجزه عن أهل بيت نبيك محمد خير الجزاء^(١).

قتال ابن الأشر مع عبيدالله بن زياد

وبعد أن انتهى المختار من قتل الذين اشتركوا في قتل الإمام الحسين عليه السلام وفرّ منهم من فرّ إلى البصرة والتحق بمصعب، أمر -المختار- إبراهيم الأشر أن يستعدّ لحرب المجرم الفطيع ألا وهو عبيدالله بن زياد، وكان على الموصل من قبل عبد الملك بن مروان، فجهّز المختار جيشاً تعداده اثني عشر ألف مقاتل وفي بعض الروايات عشرين ألف مقاتل وسار بهم إبراهيم نحو الموصل بعد أن قطع مراحل مهمّة في مسيره وهي المدائن والأنبار وتكريت، فنزل على نهر (الخازر) الذي يبعد أربعة^(٢) أو خمسة فراسخ^(٣) عن الموصل، لكي يعطي قسطاً من الراحة لجيشه فلما سمع عبيدالله بن زياد بالأمر سار إليهم مع ثلاث وثمانين ألف مقاتل وقيل بمائة ألف مقاتل حتّى وصل إلى نهر (الخازر) وعسكر بالقرب من جيش إبراهيم الأشر، وذكر بعض المؤرّخين أن ذلك كان في شهر صفر من عام ٦٧هـ وقال الشعبي: إنّه في يوم عاشوراء^(٤).

(١) المصدر نفسه.

(٢) ذكر ذلك العلامة المجلسي في البحار ج ٤٥ ص ٣٣٤.

(٣) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٧٩.

(٤) أقول: ذكر الطبري في تاريخه ج ٣ ص ٤٧٥ أن ذلك كان في ثمان بقين من ذي

الحجة عام ٦٦هـ، وفي البحار: إن إبراهيم خرج لسبع خلون من المحرم سنة ٦٧هـ /

المترجم.

الحرب خدعة

ولما رأى إبراهيم الأشتر السيول البشرية التي قادها ابن زياد علم أنه لا طاقة له بمقارعة كل هذا العدد الهائل، فأخذ يفكر بحيلة ما يتدارك بها الموقف، وكما هو معلوم فإن الحرب خدعة والقائد الناجح هو الذي يستطيع أن يخدع عدوه ويتنصر عليه، وهكذا كان إبراهيم فقد دبر خدعة طريفة كما ذكرها مولانا فخر الدين علي الصفحي المتوفي عام ٩٣٩هـ (ابن المرحوم الجليل الملا حسين الكاشفي الواعظ المعروف في القرن التاسع الهجري صاحب تفسير المواهب العلية) في كتابه لطائف الطوائف فقد أرسل إبراهيم الأشتر إلى أحد أقربائه وانفرد به دون علم أحد وشرح له خدعته التي سيستخدمها أثناء الحرب فطلب منه أن يجمع له أكبر عدد ممكن من الطيور (الحمام) البيضاء دون علم أحد فإذا رأى الإنكسار بادياً في جيش العراقيين (جيش ابن الأشتر) أطلق سراح هذه الطيور البيضاء في وسط المعركة دون أن يلتفت إليه أحد أي بطريقة ذكية.

وبالفعل فلما دارت رحى الحرب والتحم الجيشان وظهر الضعف في جيش ابن الأشتر صاح إبراهيم - وهو يقاتل - إني قرأت في الكتب السماوية أن الله ينصرنا بملائكة عصاب يرسلهم لنا على هيئة الطيور البيضاء، فلما سمع ذلك الرجل قول إبراهيم أخذ يطلق سراح هذه الطيور فلما نظر أصحاب إبراهيم إلى الطيور فوق رؤوسهم صدقوا قوله وارتفعت معنوياتهم وازدادوا اعتقاداً وإيماناً بحربهم هذه ظناً منهم أن هذه الطيور هي الملائكة المرسلة إليهم، فكبروا الله ثم هجموا على العدو بكل قوة وثقة ودفعوهم وقتلوهم وهزموهم شر هزيمة وقتلوا رئيسهم عبيد الله بن زياد عند نهر الخازر وانتصروا في نهاية أمرهم، انتهى^(١).

(١) لطائف الطوائف ص ٨٤ بتصرف.

من صور البطولة

قبل الحرب حاول إبراهيم الأستر أن ينصح القوم ويردعهم عن القتال إلا أنهم رفضوا دعوته فوقف أمام جيشه خطيباً كما ذكره الطبري فقال:

يا أنصار الدين وشيعة الحق وشرطة الله، هذا عبيد الله بن مرجانة قاتل الحسين بن علي، ابن فاطمة بنت رسول الله، حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه، وهم ينظرون إليه، ومنعه أن يأتي ابن عمه فيصالحه، ومنعه أن ينصرف إلى رحله وأهله ومنعه الذهاب في الأرض العريضة حتى قتله وقتل أهل بيته، فوالله ما عمل فرعون بنجباء بني إسرائيل ما عمل ابن مرجانة بأهل بيت رسول الله ﷺ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قد جاءكم الله به، وجاءكم بكم فوالله إني لأرجو ألا يكون الله جمع بينكم في هذا الموطن وبينه إلا ليشفي صدوركم بسفك دمه على أيديكم، فقد علم الله أنكم خرجتم غضباً لأهل بيت نبيكم ﷺ^(١). فسار فيما بين الميمنة والميسرة وسار في الناس كلهم فرغّبهم في الجهاد وحرّضهم على القتال ثم رجع حتى نزل تحت رايته.

وقبل الحرب تقدّم عوف بن ضبعان الكلبي وهو من فرسان الشام بين المعسكرين ونادى بأعلى صوته:

يا شيعة المختار الكذاب يا شيعة ابن الأستر المرتاب

أنا ابن ضبعان المفضل من عصبة يبرء من دين علي

كذلك كانوا في الزمان الأول^(٢)

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٨٠.

(٢) أقول: في مقتل الخوارجي: نادى يا شيعة آل أبي تراب، يا شيعة المختار

فبرز إليه الأحوص بن شَدَّاد من فرسان العراق وهو ينشد:

أنا ابن شَدَّاد عليّ دين عليّ لستُ لعثمان بن أروى بوليّ
لأصلين القوم فيمن يصطلّي بحرّ نار الحرب حتّى تنجلي
يقول الخوارزمي أبو المؤيّد موفق بن أحمد المكيّ في مقتله: إنّ ابن شَدَّاد
أنشد:

أنا ابن شَدَّاد عليّ دين عليّ لستُ لمروان بن ليلى بوليّ
لأوقدنّ نارها في الجحفل ثمّ أخوض النار حتّى تنجلي^(١)
فقال له ابن ضبعان: يُقال لي منازل الأبطال، فقال له ابن شَدَّاد: وأنا مقرب
الآجال، ثمّ تلاهما فضربه ابن شَدَّاد ضربة أسقطته عن جواده إلى الأرض
صريعاً وألحقه بالدرك الأسفل من النار، ثمّ نادى في القوم: يا قتلة الحسين هل
من مبارز؟ فخرج إليه داود بن عروة الدمشقيّ مقتعاً بالحديد وهو من الشجعان
المعروفين في سوح القتال، خرج وهو يرتجز قائلاً:

أنا ابن من قاتل في صفّينا قتال قرن لم يكن غيبنا
بل كان فينا بطلاً حرونا مجرباً لدى الوغى مكينا^(٢)
فأجابه الأحوص بن شَدَّاد:
يابن الذي قاتل في صفّينا ولم يكن في دينه غيبنا

→ الكذاب، يا شيعة ابن الأشر المراتب.. ثمّ أنشد:

أني ابن ضبعان الكريم المفضل ليث النزال في مثار القسطل
من عصبة تبرأ من دين علي كذاك كانوا في الزمان الأوّل

مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٢٣٠ - ٢٣١ / المترجم.

(١) المصدر نفسه ص ٢٣١.

(٢) أقول: هناك تفاوت يسير بين ما ذكره المؤلّف وما في مقتل الخوارزمي ج ٢

ص ٢٣١ فراجع / المترجم.

كذبت من كان بها مغبونا مذبذباً في أمره مفتونا
لا يعرف الحق ولا اليقينا بؤساً له لقد مضى ملعونا^(١)
ثم هجم عليه بقوة وأنهى أمره بضربة واحدة أوصلته إلى الجحيم، ثم عاد
الأحوص بن شداد إلى أصحابه ووقف تحت رايتهم فخرج من الجيش الشامي
الحسين بن نمير وهو من جملة قتلة الإمام الحسين عليه السلام بكرلاء، وأخذ يجول
بين الصفوف بغرور وكبرياء وهو يقول:

يا قادة الكوفة أهل المنكر وشيعة المختار وابن الأشر
هل فيكم قرن كريم العنصر مجرب في بأسه ذو مفخر

يبرز نحوي عامداً لا يمترى

فبرز إليه شريك بن حريم التغلبي وهو من أبطال العراق، وقد تأثر من شعر
الحسين وهجائه لأهل الكوفة وأجابه:

يا قاتل الشيخ الكبير العنصر بكرلاء يوم التقاء العسكر
أعني حسيناً ذا الشنا والمفخر وابن النبي الطاهر المظهر
وابن علي البطل المظفر هذا فخذها من هزبر قسور

ضربة قوم رباعي مضر^(٢)

ثم خاضا القتال بضربات متبادلة وقد ضرب أحدهما الآخر إلى أن استطاع
شريك البطل العراقي أن ينهي القتال بضربة أسقط فيها خصمه صريعاً يتلفظ
أنفاسه ثم التحق برفاقه في النار وذاق طعم العذاب بما قدم وأخر.

ودخل الخوف والرعب في قلوب أهل الشام لما شاهدوا فرسانهم صرعن،
وهنا تقدم ابن الأشر ووقف أمام ثلاثه وخاطبهم ليشد من عزيمتهم: ألا يا
شرطة الله، ألا يا شيعة الحق، ألا يا أنصار الدين، قاتلوا المحلّين وأولاد

القاسطين، لا تطلبوا أثراً بعد عين، هذا عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام.
ثم سَلَّ سفيه ووقف أمام جيش الشام وأنشد:

قد علمت مذحج علماً لا خطل إنني إذ القرن لقسيني لا وكل
ولا جسزوع عندها ولا نكل أروّع مقداماً إذا النكس فشل
أضرب في القوم إذا جاء الأجل وأعتلي رأس الطرماح البطل
بالذكر التبار حتى ينجدل^(١)

وحمل أهل العراق بأجمعهم حملة رجل واحد وتطاعنوا بالرماح وتراموا
بالسهام وإبراهيم يتقدم ويخوض الغمار بين هذه الآلاف وحان وقت الصلاة فما
صلّى القوم إلا بالإيماء، وبدت علانم النصر تلوح فوق رؤوس أصحاب إبراهيم
الذين يتبعونه كاتّباع الفصيل أثر أمّه حتّى إذا كان وقت إصفرار الشمس انهزم
أهل الشام هزيمة قبيحة وولّوا الأدبار وألقوا بأنفسهم في نهر الخازر حتّى قال
الطبري: فكان من غرق أكثر ممّن قُتل^(٢).

وأما عدد القتلى في هذه الحرب، فقد ذكر الخوارزمي في مقتله: فأصبح
أهل العراق وقد فقِد منهم ثلاثة وسبعون رجلاً، وأصبح أهل الشام وهم عشرة
آلاف رجل وثمانمائة رجل وعامّتهم جرحى وقد فقد منهم سبعون ألفاً^(٣)!!
وقال الشعبي: لم يفقد أهل الشام مثل ما فقدوه في صفّين ونهر الخازر من
الرجال، لأنّ أهل العراق كانوا في كلا الحريين يقاتلون لله وفي الله ومن أجله.

(١) نفس المصدر والملاحظة السابقة / المترجم.

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٨٢.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٢٣٣.

أقول لقد ذُكر ص ٢٧٥ أنّ جيش عبيد الله كان (٨٠٠/٠٠٠ أو ١٠٠/٠٠٠) فيكون
(٧٠/٠٠٠) قد فقِد منهم بينما سقط (١٨٠٠) بين قتيل وجريح وعامّتهم جرحى /

ولم يُذكر في التاريخ أنَّ عشرين ألف مقاتل أو اثني عشر ألف، يواجهون ثمانين أو مائة ألف فارس، ثم يُقتل من هذه (المائة ألف) سبعون ألف رجلاً، ولكن ما حصل في واقعة نهر الخازر إنما تجسيد للحق وللانتقام الإلهي من الذين رضوا أو اشتركوا بقتل الحسين عليه السلام وهو مفاد قوله تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١).

وقد جاء في كتاب روضة الصفا أنَّ جميع الذين قتلهم المختار (عدا المقتولين في الحروب) كانوا (٤٨,٥٦٠) بينما قتل إبراهيم مع جيشه سبعين ألفاً في حرب واحدة ولذلك تُعدّ هذه الواقعة من مناقب وفضائل إبراهيم الأشتر وسنظلّ له على مدى التاريخ تشهد بها الأجيال لاسيما قتل عبيدالله بن زياد.

قتل عبيدالله بن زياد

وقد استطاع إبراهيم بن مالك الأشتر أن ينزل القصاص العادل بعبيدالله بن زياد لعنه الله في هذه الحرب وهي إحدى مفاخره ومآثره وقد قصّ إبراهيم طريقة قتله لهذا اللعين فقال وهو يحدث أصحابه بعد انتهاء الحرب: إنّي رأيت بعدما انكشف الناس طائفة منهم قد صبرت تقاتل فأقدمت عليهم وأقبل رجل آخر في كبكه كأنّه بغل أقمر يغري الناس لا يدنو منه أحد إلا صرعه، فدنا منّي فضربت يده فأبنتها وسقط على شاطئ نهر فسُرقت^(٢) يداؤه وعربت رجلاه^(٣)

(١) البقرة: ٢٤٩.

(٢) سَرَقَ الشيء سَرْقاً: خفي، وانسرق: ضعفت، والانسراق: الفتور والضعف / لسان العرب ج ٦ ص ٢٤٦ مادة سرق / المترجم.

(٣) عَزَبَ: فسد وتورّم وتفتّح، المنجد في اللغة ط ٣٥ عام ١٩٩٦، ص ٤٩٥ مادة عرب / المترجم.

فقتله وأظنه ابن زياد فاطلبوه فجاء رجل فنزع خفيّه وتأمّله فإذا هو ابن زياد لعنه الله على ما وصف ابن الأثير، فاجتزأ رأسه^(١) فلمّا وضعوا رأسه بين يدي إبراهيم قال: الله أكبر وخزّ ساجداً ورفع رأسه وهو يقول: الحمد لله الذي جعل قتله على يدي^(٢).

وقد ذكر المؤرّخ الطبري عن أبي مخنف نقلاً عن الفضيل بن خديج وهكذا الكامل لابن الأثير ذكروا أنّ إبراهيم: ضربه فقدّه نصفين، فذهبت رجلاه في المشرق ويداه في المغرب^(٣).

ثمّ جاء غلام عبيد الله بن زياد فلمّا رآه على تلك الحال حلف بالله أنّه لا يأكل شحمًا إلى نهاية حياته، وهرب إلى الشام، ثمّ أمر إبراهيم بحرق جسد عبيد الله بن زياد فاستوقدوا به طيلة ليلتهم^(٤) بعدما حتّزوا رأسه واحتفظوا به.

إرسال رأس ابن زياد إلى المختار

بعدها أرسل إبراهيم برأس ابن زياد وبعض رؤوس قتلة الحسين عليه السلام مثل الحصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميري وابن حوشب وغالب الباهلي وأبو الأشرس بن عبد الله وهو والي خراسان ورغاء بن عازب الأسدي وعبيد الله بن زهير السلمى وغيرهم.

وكتب اسم كلّ واحد في ورقة صغيرة وجعلها في رأسه ثمّ كتب للمختار

→ أقول: ويحتمل أن يكون المعنى (شرّقت يداه وغرّبت رجلاه) أي في المشرق والمغرب كما ذكره الطبري والله العالم / المترجم.

(١) مقتل الخوارج ج ٢ ص ٢٣٤.

(٢) البحار ج ٤٥ ص ٣٣٥ والطبري ج ٣ ص ٤٨١.

(٣) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٨١.

(٤) البحار ج ٤٥ ص ٣٣٥.

قصة حرب الخازر مفصلاً وأرسل ذلك كله إلى المختار^(١)، وكان الأخير ينتظر الخبر في المدائن وقد أخبر لمن حوله من أهل الكوفة أن الظفر والنصر حليف إبراهيم وعن قريب سيأتي خبر انتصاره كما ذكره الطبري وروضة الصفا، وبالفعل فقد أقبلت رؤوس المعجمين ورسالة النصر مع رسل إبراهيم فقال المختار: ألم أقل لكم ذلك، فاعتقد بعض جهال الكوفة أن المختار يعلم الغيب وكان الشعبي يحاربهم ويصدّهم عن هذه العقيدة^(٢)، ويقول لهم: يا قوم لا يفتنكم الشيطان ما ذلك إلا فراسة مؤمن فقد قال رسول الله ﷺ: فراسة المؤمن لا تُخطئ^(٣).

فلما وضعت الرؤوس أمام المختار قام فوطاً وجه ابن زياد بنعله، ثم رمى بها إلى مولى له وقال: اغسلها فأبني وضعتها على وجه نجس كافر^(٤) وعاد المختار إلى الكوفة ومعه الرؤوس تنيف على سبعين رأساً يقدمها رأس عبيد الله بن زياد^(٥) ليراها أهل الكوفة ويفرحوا بقتل هؤلاء المجرمين كما فعل الملعون ابن زياد برؤوس أهل البيت وأصحابهم.

وذكر ابن الأثير في الكامل عن جامع الترمذي والعلامة المجلسي في البحار: لما وضع رأس ابن زياد أمام المختار وهو يتغذى انسابت حية بيضاء تخلل الرؤوس حتى دخلت في أنف ابن زياد وخرجت من أذنه ودخلت من أذنه وخرجت من أنفه^(٦).

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٢٣٤.

(٢) أنظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٨٠ والبحار ج ٤٥ ص ٣٣٥.

(٣) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٤) البحار ج ٤٥ ص ٣٣٥.

(٥) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٢٣٤.

(٦) البحار ج ٤٥ ص ٣٣٥.

إرسال رأس ابن زياد إلى ابن الحنفية

ثم بعث المختار رأس عبيد الله بن زياد مع رأس شرحبيل بن ذي الكلاع مع عبد الرحمن بن أبي عمير وعبد الله بن شداد الجشمي والسائب بن مالك إلى محمد بن الحنفية بمكة وكتب إليه برسالة مع ثلاثين ألف دينار، فلما وصلوا إلى محمد بن الحنفية ووقعت عينه على رأس ابن زياد سجد لله شكراً ودعا للمختار ولإبراهيم قائلًا: جزاء الله - المختار - خير الجزاء فقد أدرك لنا ثارنا ووجب حقه على كل من ولده عبد المطلب بن هاشم اللهم احفظ لإبراهيم بن الأشتر وانصره على الأعداء ووفقه لما تحب وترضى واغفر له في الآخرة والأولى.

وكان الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام بمكة في ذلك الحين، فبعث محمد بن الحنفية رأس ابن زياد إليه، فقدموا بالكتاب والرووس إليه وهو يتغذى فلما رآه سجد لله شكراً ثم رفع رأسه وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من عدوي وجزى الله المختار خيراً، ثم قال: أدخلت على ابن زياد لعنه الله وهو يتغذى ورأس أبي بين يديه فقلت: اللهم لا تمتني حتى تربني رأس ابن زياد وأنا أتغذى فالحمد لله الذي أجاب دعوتي^(١).

وقد ذكر العلامة المجلسي رحمه الله عن رجال الكشي مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برووس الذين قتلوا الحسين عليه السلام.

وروي عنه أيضاً: ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ولا رُئي في دار هاشمي دخان خمس حجج حتى قُتل عبيد الله بن زياد^(٢).

(١) البحار ج ٤٥ ص ٣٣٦ و ص ٣٨٦.

(٢) البحار ج ٤٥ ص ٣٨٦.

وقالت فاطمة بنت علي عليه السلام : ما تحنأت امرأة منا ولا أجالت في عينها مردوداً ولا امتشطت حتى بعث المختار رأس عبيد الله بن زياد^(١).
ثم إن محمد بن الحنفية قسّم المال في أهله وشيعته بمكة والمدينة على أولاد المهاجرين والأنصار^(٢).

سبب عداة المخالفين للمختار

لم يكن قصدي من نقل هذه الوقائع التاريخية حول انتقام المختار من قتلة أبي عبد الله هو السرد التاريخي المحض ، وإنما لتعلموا أنتم وهكذا القراء الأعزاء أن مخالفين الشيعة ممن تعصف بهم الأهواء الأموية والانداد إلى الجاهلية قد طعنوا في المختار وأساءوا فيه القول بل اتهموه بأنواع التهم بسبب انتقامه من المجرمين وعليه عليكم أن تعلموا أن عادة المنحرفين وأرباب الأباطيل والأكاذيب يبغيضون كل من قام بالسيف من أجل الحق .

وقد مارس هذا الدور أنبياء الله العظام أمثال داود وسليمان وموسى وخاتم الرسل محمد عليه السلام وهكذا بعض الأوصياء أمثال يوشع بن نون وأمير المؤمنين علي عليه السلام وغيرهما .

وعى هذا الغرار والمنهج سار المختار طالباً الرضا من الله والثأر لأوليائه ولم يكن تحرّكه تحرّكاً شخصياً بل كان بغطاء شرعي من الإمام السجاد عليه السلام وهكذا محمد بن الحنفية ، فكان الانتقام المشروع - شرعاً وعقلاً - سبباً لبغض المختار من قبل أتباع المقتولين بسيفه أو أحفادهم وأبنائهم أو ممن حسد المختار مثل عبد الله بن الزبير .

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

قتل المختار وزوجته عمرة

في اليوم السادس عشر من رمضان عام ٦٧هـ استشهد المختار في ساحة القتال في حربه ضد مصعب بن الزبير وقد قتله رجلان من بني الحنفية هما طرفة وطراف ولديَّ عبدالله بن وجاجة، ومن حين قتله بدأ سيل الإعلام المضاد لتلويت سمعته، وعندما دخل مصعب قصر الإمارة أنزل السيف في أتباع المختار فكان جملة من أدركه الإحصاء ممن قتله مصعب سبعة آلاف رجل كل هؤلاء كانوا ممن طلب الثأر من قتلة الحسين فقتلهم مصعب وسمّاهم الحسينية، وتتبع مصعب الشيعة فقتلهم بالكوفة وغيرها وأتى بحرم المختار فدعاهن إلى البراءة منه فعلنن إلا حرميتين له إحداهما (أم ثابت) بنت سمرة بن جندب الفزاري والثانية (عمرة) ابنة النعمان بن بشير الأنصاري وقالتا: كيف نتبرأ من رجل يقول ربّي الله؟ كان صائم نهاره قائم ليله قد بذل دمه لله ولرسوله في طلب قتل ابن بنت رسول الله ﷺ وأهله وشيعته فأمكنه الله منهم حتى شفى النفوس^(١)، فلمّا عرض السيف عليهما رجعت (أم ثابت) ابنة سمرة ولعنّت المختار وتبرأت منه، بينما امتنعت (عمرة) من البراءة فأمر بحبسها وأرسل إلى أخيه عبدالله في مكة أن (عمرة) تعتقد أن المختار نبياً!!

وكانت بذرة الشر التي ألقاها مصعب لتلويت سمعة المختار لاحقاً والصاق التهم والكفريات به، فكتب عبدالله إلى مصعب أن يدعوها للبراءة من المختار، ولا ضربت عنقها، فلمّا دعاها للبراءة منه قالت: شهادة أرزقها فأتركها؟ كلا إنها موتة ثم الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته والله لا يكون آتي مع ابن هند فأتبعه وأترك ابن أبي طالب، اللهم اشهد أنني متبعة لنبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته، ثم قدّمتها فقتلت صبراً.

وقد ذم شعراء العرب مصعب بن الزبير على جريمته هذه فقد أنشد عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

إن من أعجب الأعاجيب عندي قتل بيضاء حرّة عُطْبُولٍ
قتلوا ظلماً على غير جرم إن لله درّها من قستيل
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جر ذبول^(١)

وقد سعى الزبيريون والأمويون للإصاق أنواع التهم بهؤلاء المقتولين ظلماً لتبرير فجائعهم وطاقوتيتهم في الأرض، فكان المختار وزوجته ضحية هذه الأكاذيب التي صارت أحاديث نسبوها إلى رسول الله ﷺ لكسب البسطاء من رواة الحديث الذين ينقلون الحديث بدون رعاية ودراية وإنما يرجون البركة والخير، وقد عمل معاوية لتأسيس وتأصيل هذا الخط، أعني وضع الحديث وافتعاله ونسبته إلى رسول الله ﷺ في ذم أمير المؤمنين علي وأتباعه الصالحين، ومدح معاوية وأقرانه.

وواصل أبناء الزبير هذه السياسة الأموية الحقيرة ووضعوا الأحاديث وجعلوا الأكاذيب ضد أتباع أهل بيت رسول الله ﷺ، ثم جاء عوام الناس وتلقوا هذه المفتريات على أساس أنها أحاديث رسول الله ﷺ أو ما تسالم عليه المسلمين فاشتهرت في أوساطهم هذه الأساطير والأباطيل، بعدها جاء دور المؤرخين وأصحاب القلم والفكر وهم يحملون موروثات الحقد والبغض للمختار فجعلوا تلك الأباطيل أدلة ومؤيدات لتكفيرهم المختار أو الحط من شأنه أو اتهامه بالغلو وما شابه ذلك ولكن الحقيقة خلافه تماماً فقد قام المختار للحق المتمثل بأهل بيت النبي ﷺ ولهذا ترى أنمة أهل البيت ﷺ يمدحونه ويترحمون عليه وهذا المدح والترحم لا يجوز إن لم يكن المختار موثقاً مؤمناً

خالص الولاء لأهل البيت عليهم السلام، ولذلك فإنك تلاحظ كبار المحققين والعلماء أمثال العلامة المامقاني يورد في تنقيحه أخبار الذم والمدح ثم يوجه الطائفة الأولى، ويشيد بالطائفة الثانية ويؤيدها بالدلائل الواضحة ولا يسع المجال هنا لإيراد ذلك كله ولكن سأكتفي بالإشارة إلى بعضه.

الأخبار المادحة للمختار من الأئمة عليهم السلام

ذكر العلامة المجلسي في البحار والعلامة المامقاني في التنقيح عن رجال الكشي مسنداً عن سدير الصيرفي أن الإمام الباقر عليه السلام قال: «لا تسبوا المختار فإنه قَتْلٌ قَتَلْتَنَا وَطَلَبَ بَنَّا رَنَا وَزَوْجَ أَرَامِلَنَا وَقَسَمَ الْمَالُ فِينَا عَلَى الْعُسْرَةِ»^(١).
وأيضاً عن رجال الكشي مسنداً عن عبد الله بن شريك قال: دخلنا على أبي جعفر عليه السلام يوم النحر وهو متكئ وقد أرسل إلى الحلاق فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة فتناول يده ليقبلها فمنعه ثم قال: مَنْ أَنْتَ؟ قال: أنا أبو محمد الحكم بن المختار بن أبي عبيدة وكان متباعداً عن أبي جعفر عليه السلام فمدَّ يده إليه حتى كاد يقعه في حجره بعد منعه يده ثم قال: أصْلَحَكَ اللهُ أَنْ النَّاسَ قَدْ أَكْثَرُوا فِي أَبِي وَقَالُوا وَالْقَوْلُ وَاللهُ قَوْلُكَ، قال: وَأَيُّ شَيْءٍ يَقُولُونَ؟ قال: يَقُولُونَ كَذَّابٌ وَلَا تَأْمُرْنِي بِشَيْءٍ إِلَّا قَبْلَتَهُ، فقال عليه السلام: سُبْحَانَ اللهِ أَخْبِرْنِي أَبِي وَاللهُ أَنْ مَهْرَ أُمِّي كَانَ مِمَّا بَعَثَ بِهِ الْمَخْتَارُ أَوْ لَمْ يَبْنِ دُورَنَا وَقَتْلُ قَاتِلِنَا وَطَلَبُ بَدْمَانَا؟ رحمه الله، وأخبرني والله أبي أَنَّهُ كَانَ لِيَقِيمَ عِنْدَ فَاطِمَةَ بِنْتِ عَلِيِّ عليه السلام يَمْهَدُ لَهَا الْفِرَاشَ وَيُشْنِي لَهَا الْوَسَائِدَ وَمِنْهَا أَصَابَ الْحَدِيثَ، رَحِمَ اللهُ أَبَاكَ رَحِمَ اللهُ أَبَاكَ مَا تَرَكَ لَنَا حَقّاً عِنْدَ أَحَدٍ إِلَّا طَلَبَهُ قَتْلُ قَاتِلِنَا وَطَلَبُ بَدْمَانَا»^(٢).

(١) تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٠٣ أبواب الميم ط حجري.

(٢) المصدر السابق.

وأيضاً مسنداً عن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين قال: حَدَّثَنِي عمر بن علي بن الحسين عليه السلام لَمَّا أَتَى بِرَأْسِ عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد، قال: فخرٌ ساجداً (أي الإمام السَّجَّاد) وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثاري من أعدائي وجزى المختار خيراً^(١).

وأيضاً روي مسنداً عن الأصبع بن بُبَاة أنه قال: رأيت المختار على فخذه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يمسح على رأسه ويقول يا كيس يا كيس^(٢).

قال العلامة المامقاني: ومنها الخبر الطويل المتضمن لبيان قصته الكاشف عن حسن عقيدته وقوة إيمانه بالرسول صلى الله عليه وآله وتصديقه لما أخبر به وموضع الحاجة منه موجزاً أنه قال أمير المؤمنين عليه السلام كما أن بعض بني إسرائيل أطاعوا فأكرموا وبعضهم عصوا فعذبوا فكذلك تكونون، فقالوا: أو من العصاة إلى قوله ستقتلون ولدي الحسن والحسين عليهما السلام ثم تلا «سيصيب الذين ظلموا رجزاً في الدنيا» بسيف بعض من يسلطه الله تعالى للانتقام «بما كانوا يفسقون» كما أصاب بني إسرائيل الرجز، قيل: من هو؟ قال: غلام ثقيف يقال له المختار ابن أبي عبيدة، وقال علي بن الحسين فكان بعد قوله هذا بزمان^(٣).

المختار كان إمامي المذهب

وبعد كل هذا لا يبقى أي شك في أن المختار كان شيعياً إمامياً اثني عشرياً يدين بالإسلام ويعتقد بإمامة إمام زمانه علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ويمكن القطع بهذا من خلال ما يلي:

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٤.

أولاً: إرساله الأموال والهدايا للإمام السجّاد عليه السلام وهذا دليل التزامه بإمامة علي بن الحسين السجّاد عليه السلام وإلا لأرسلها إلى محمّد بن الحنفية وهو موجود وقد ذكرنا ذلك سابقاً. فهو ليس كيسانياً ولا حنفياً بل إمامياً.

ثانياً: الخبر المتقدّم من أنّ أمير المؤمنين أجلسه وهو صغير على فخذه وقال له: يا كَيْس مادحاً له، فلو كان المختار منحرفاً في عقيدته وإيمانه لما فعل أمير المؤمنين عليه السلام ذلك لأنّه سيؤدّي لإغراء الناس بالضالّ المضلّ وهو بعيد عن سيرة علي عليه السلام^(١).

ثالثاً: ترخّم الأئمّة عليهم السلام على المختار فإنّه لا يعقل ترخّمهم على غير الإمامي القائل بإمامتهم.

سؤال أحد الحاضرين: عفواً ياسيدي ولكن اسمح لي بالمداخلة هنا، لقد سمعنا وقرأنا أيضاً أنّ أهل البيت لعنوا المختار وتبرّأوا من أفعاله، بل أنّ بعضهم ردّ الهدايا عليه فكيف يتلأنم هذا مع ما تفضّلتم به؟

الجواب: المعارضة في الأخبار أمر لا ننكره وقد أشرت إلى ذلك سابقاً ولكن ترجيح بعض الأخبار على بعض يتمّ من خلال علم الدراية والأدلة العقلية بعد دراسة الأوضاع والحكم بكلّ إنصاف، ويمكن أولاً أن نقسّم كلامك إلى جملتين: الأولى: هي لعن الأئمّة الطاهرين للمختار، والثانية: هي عدم قبول

(١) أقول: وقد أجاب العلامة المامقاني بوجه آخر قريب ممّا ذكره المصنّف حيث قال: إنّ قول أمير المؤمنين له يا كَيْس ربما يدلّ على كونه إمامياً ضرورة أنّ أمير المؤمنين لا تخفى عليه عاقبة أمر المختار كما لم تخف عليه جملة كثيرة من الأخبار المستقبلية عليه فلو كان مأل المختار عدم كونه إمامياً موالياً للسجّاد عليه السلام لم يجلسه على فخذه ولم يتلطّف معه بقول يا كَيْس وكيف يعقل خفاء أمره على أمير المؤمنين مع عدم خفائه على ميشم الذي هو تلميذه بل عبد من عبيده / تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٠٥.

هداياه، فيما يروى أن الإمام السجّاد رفض قبض الأموال حتّى مات المختار فكتب إلى عبد الملك بأمرها فقال له: خذها وإلى آخره من هذه الأخبار التي لا طائل منها.

جواب الجملة الأولى^(١): أمّا موضوع اللعن وبراءة الأئمّة من المختار فعلى فرض صحّته والتسليم به يمكن أن نقول إنّه كان بسبب التقية ودفع الضرر المحتمل الوقوع وقد أشرت في المجلّد الأول أن بعض الأئمّة عليهم السلام لعنوا بعض الأصحاب المهمّين للحفاظ عليهم وحمايتهم من سطوة الظالم مثل اللعن الوارد في زرارة بن أعين وغيره وهي طريقة عقلانية نسلم بها عندما نلاحظ روايات المدح من جهة ثانية إذ لا تناقض في كلام أنمّة الهدى عليه السلام أبداً فما يصدر منهم على هذا المنوال تكون له أسبابه المعنوية الأخرى غير الظاهرية.

«فليس لعنه إياه إلا على سبيل التقية من عبد الملك وأضرابه إخوان الشياطين لعلمه عليه السلام بقتله للمختار وقوة سلطته بعد ذلك فجاز لعنه إياه مورياً حفظاً لنفسه ودمه عليه السلام ويزداد ما ذكرناه وضوحاً بمنع الباقر عليه السلام في خبر سدير المتقدّم من سبه فإنّه لو كان لعن السجّاد عليه السلام عن جدّه من غير تقية لمّا خالفه الباقر عليه السلام بالنهي عن سبه...»^(٢).

جواب الجملة الثانية: أولاً: ذكرت سابقاً إن الإمام السجّاد عليه السلام قبض الهدايا والأموال التي بعثها إليه المختار، وهكذا رواية الإمام الباقر عليه السلام في قوله: وقسمّ المال فينا على العسرة وغيرها من الروايات الصريحة في أنّهم عليهم السلام قبضوا

(١) أقول: لقد قدّم المصنّف جواب الجملة الثانية على الأولى في الكتاب الفارسي ورأيت من المناسب أن يكون التسلسل طبعي فقدّمت جواب الجملة الأولى ثمّ الثانية / المترجم.

(٢) تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٠٥.

الهدايا والأموال منه.

ثانياً: ولو سلمنا أن الإمام السجاد عليه السلام لم يأخذ منه الهدايا والأموال فهو ليس دليلاً على عدم رضاه عنه إذ لا تلازم بين الأمرين، فقد يكون السبب أمر ثالث «فردّه عليه السلام لهديته لم يكن بلحاظ المختار بل للخوف - التقية - من عبد الملك من حيث إن المختار لم تشتمل سلطته المدينة المنورة وكان المستولي عليها يومئذ عبد الملك فاتقى الإمام عليه السلام منه في تركه المال..»^(١) ولعلمه عليه السلام أن أمر المختار لا يدوم طويلاً ولا يستقر فلم يرغب في قبض الأموال لهذه الجهة أي أنه عليه السلام لا يفتح جبهة علنية ضده ولا يعطي مستمسكاً على نفسه لتكون نقطة ضعف قد يؤاخذ به عبد الملك عليها. لاسيما وقد شاهد الإمام السجاد إجماع بني أمية في كربلاء والمدينة وغيرهما. من قتل وسبي وتعذيب واستهتار .. الخ.

«ويشهد بما قلناه أن الخبر يناقض بعضه بعضاً ضرورة أنه إن كان المال حراماً فلا يعود حلالاً بقول عبد الملك: خذها طيبة هنيئة وبأي ميزان يرجع ذلك المال إلى عبد الملك الزنديق ولم يكن إمام حق؟ وإن كان حلالاً فلا وجه لحبسه وإخبار عبد الملك به»^(٢).

وعلى هذا فلا تلازم في عدم قبضه للمال وعدم رضاه عن المختار لما تقدم. سؤال أحد الحاضرين: سمعنا أن المختار كان يدّعي نزول الوحي عليه وأنه نبي وكان يقول إن جبرئيل ينزل عليّ؟

الجواب: أولاً: هذه كلها من الأكاذيب والمفتريات الواضحة بأن بطلانها بما تقدم، إذ كيف يترحم الأئمة الهداة عليه السلام على المختار - وهو يدّعي النبوة -؟ وهم أعدل القرآن فكيف نتصور أنهم يترحمون ويمدحون رجلاً منحرفاً!!؟

(١) تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٠٥.

(٢) المصدر السابق.

هذا غير ممكن أبداً.

ثانياً: وأمّا موضوع نزول الوحي عليه فقد أجاد العلامة المامقاني حول هذه التهمة فقال: «ويكشف عمّا قلناه من فساد نسبة دعوى الوحي إليه ما نقل من أنّه كان له غلام اسمه جبرئيل أو هو مسمّيه جبرئيل وكان يقول مورياً أخبرني جبرئيل بكذا لأنّ مبنى أفعاله على التكلّم بالرمز والإيهام والخدعة والفراسة لحسن سلطنته وإيرام السياسة»^(١). نعم، وقد حصلت منه الفراسة عندما أخبر الناس أنّ إبراهيم بن مالك الأشتر سيقتل عبيدالله بن زياد ويجيء برأسه وقد تحقّق ذلك فعلاً وذكره الطبري وصاحب روضة الصفا^(٢) فقال عنه جهّال الكوفة أنّه نبيّ، فأتخذها الأعداء نقطة ضعف ضدّ المختار وقالوا عنه أنّه يدّعي النبوة وطبلوا بها حتّى صارت الإشاعة والدعاية كالحقيقة ألصقوها على المختار. مع أنّ هذه الاتّهامات الباطلة ينسف بعضها بعضاً، إذ لو كانت دعواه للوحي والنبوة حقيقة - كما زعموا - كيف كان يدعو إلى إمامة محمّد بن الحنفية من جهة ثانية؟ بل كان الأجدر أن يدعو الناس إلى نفسه باعتباره نبيّاً لا يدعو الناس إلى غيره، لأنّ من يدّعي الوحي لا يدعو الناس إلى إمامة غيره وأنّت تلاحظ أنّ هذه الأكاذيب كلّما كثرت نسف بعضها البعض وأبطل تاليها أو لاها.

سؤال أحد الحاضرين: إذن لماذا أُطلق على المختار (الكيساني)، ومن أين جاءته هذه النسبة؟

الجواب: لقد ذكرتُ شرحاً مفصّلاً حول الكيسانية ودفعت هذه الاتّهامات التي أشاعها أعداء المختار أمثال عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير وعبدالله بن الزبير، والشهرستاني وابن حزم... وذكرتُ الأدلّة على أنّه لم يكن

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ الطبري ج ٣، ص ٤٨٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٨م.

كيسانياً ولم يكن يدعو إلى إمامة محمد بن الحنفية، بدليل أنه لم يذكر ولا مؤرخ أن المختار عندما بوع له في الكوفة دعى إلى بيعة محمد بن الحنفية أو غيره، بل دعا إلى نفسه ومارس الحكم والقتال بنفسه، وأما إذا كان كيسانياً فكان الأولى به أن يدعو إلى بيعة محمد بن الحنفية. فاتهمه بالكيسانية محض افتراء واتهام لا دليل عليه، وأما شهرته بالكيسانية فهو إما لأن اسمه (كيسان) كما مرّ قول أمير المؤمنين عليه السلام له يا كَيْس فصار الناس يسمونه (كيسان).

أو لأن رئيس شرطته وهو أبو عمرة كان اسمه (كيسان) مولى أمير المؤمنين عليه السلام، وعلى أي حال فليس هناك دليل واحد على أن المختار كان كيسانى المذهب وكلّ ما يُقال عنه لا يصلح دليلاً بل صرف بهتان واتهام.

سؤال أحد الحاضرين: إذا لم يكن المختار كيسانى المذهب ولا يقول بإمامة محمد بن الحنفية فلماذا إذن كان يرسل الرسائل إليه ويطلب إذنه في الخروج وقتل قتلّة الإمام الحسين وإرساله جيشاً إلى مكة لفكّ حصار ابن الزبير عن محمد بن الحنفية وبقية بني هاشم؟

سبب علاقة المختار بابن الحنفية

الجواب: لقد ذكرتُ سابقاً في نفس هذا الكتاب أن المختار عندما كان يافعاً اختلط مع شباب بني هاشم وكان يذهب معهم إلى دار محمد بن الحنفية للتعليم ونيل المعرفة باعتباره عالم بني هاشم يقرّ له بالفضل العدوّ والصديق، ومنذ ذلك الحين ويمرور السنين ازدادت العلاقة بين التلميذ والاستاذ كما يحصل أمثال ذلك كثيراً بين أحد التلاميذ واستاذّه، حتّى صار من خواصّه مع ما كان يعلم ويرى من سوابقه ومواقفه، فكان - المختار - يرجع إليه في جميع أسئلته واستفساراته كرجوع التلميذ إلى استاذّه، فلجأ دعى إلى الثورة في الكوفة اتّصل بعض أكابر الكوفة بمحمد بن الحنفية وسألوه عن المختار فأيدّه ودعاهم

إلى نصرته كما ذكرتُ هذا سابقاً، ومن هذا وذاك ازدادت الأواصر قوّة بين المختار وابن الحنفية.

فلما سمع المختار أن ابن الزبير يحاصر محمّد بن الحنفية وابن عبّاس في شعب أبي طالب ويطلبهما بالبيعة، أرسل جيشاً من العراق إلى مكّة إلى أن نجح في فك الحصار فكان أعداء المختار يعملون على تسقيط المختار عبر الإشاعة والاثّهامات الباطلة ومضافاً إلى الدعايات المغرضة فبأن الكيسانيين وجدوا فرصتهم في قبول هذه الدعايات - أعني اتّهام المختار بالكيسانية - وتقويتها وبثّها بشكل واسع النطاق لأنّها نصّب لمصلحتهم وتقوي جانبهم بعدما أضحي المختار قوّة كبيرة لها امتداداتها السياسية والعسكرية.

وقد أبطلنا كلّ هذه الاتّهامات سابقاً فلا نكرّر.

معاوية يضع الحديث

ولم تكن عملية وضع وجعل الأحاديث وتأسيس الأكاذيب بجديدة وإنّما كانت بذورها في زمان رسول الله ﷺ فقد تصدّى المنافقون لوضع الحديث في مدح بعض الصحابة أو القبائل أو العشائر أو الأمكنة وما إلى ذلك حتّى صارت عملية اختلاق الحديث مهنة يتداولها ضعفاء النفوس ووعّاظ السلاطين وأصحاب الجاه لاسيما في زمن معاوية وما بعده فإنّه أنفق الأموال الطائلة لوضع الحديث في ذمّ الأولياء والصالحين، ومدح المنافقين والفاسقين، فقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج قول أبي جعفر الاسكافي وهو من أكابر علماء المعتزلة قال: «إنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه! وجعل لهم على ذلك جعلاً يُرغب في مثله فاختلفوا ما أَرْضاه، منهم أبو هريرة وعمرو بن

العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير^(١).
وقد ذكر أبو جعفر ما يقارب من صفحتين من شرحه لحال هؤلاء الفسقة
وأخبارهم القبيحة أمثال أبي هريرة وأنس بن مالك وسمرة بن جندب وعمرو
بن العاص والمغيرة بن شعبة وعروة بن الزبير وغيرهم، وذكرت ذلك في كتاب
ليالي يشاور.

وكان معاوية بفعله هذا قد فتح باب الجعل والاختلاق فسار على نهجه كل
من جاء بعده من الظلمة في كل زمان يضعون الأكاذيب والأباطيل وينسبونها إلى
شيعة أهل البيت عليهم السلام بل نسبوا بعضها إلى نفس الأئمة الأطهار من آل
البيت عليهم السلام.

وهكذا كان المختار ضحية هذه الأباطيل لأنه من شيعة أهل البيت عليهم السلام ولأنه
أعلن ولانته وإخلاصه لآل الرسول صلى الله عليه وآله وبغضه لأعدائهم وقتله لكل من اشترك
في قتل الإمام الحسين عليه السلام من بني أمية ومن والاهم، فكان من الطبيعي أن
يعملوا على تلطيخ سمعته ونسبة الأباطيل إليه.

لاسيما إذا لاحظنا أن المختار كان لوحده وقد تحركت ضده ثلاث قوى
كبيرة عملت بما أوتيت من قوة على تسقيط سمعته، وهي:

- ١ - الحكومات الأموية ومن والها.
- ٢ - أقارب المقتولين بسيف المختار وذرائعهم.
- ٣ - عبدالله بن الزبير في مكة، ومصعب بن الزبير في البصرة الذي استطاع
أخيراً أن ينهي حكم المختار بسبب بعد ابن الأشتر وجيشه عن المختار وعدم
وفاء أهل الكوفة.

(١) شرح نهج البلاغة ج ١، ص ٤٧٧ تحت عنوان (الأحاديث الموضوعة في ذم
علي عليه السلام) ط الأعلمي، سنة ١٩٩٥ م.

وقد شنت هذه القوى الثلاث حربها الباردة ضد المختار ونسبت إليه الغلو وما شابه ذلك حتى استطاعوا أن يخذعوا الناس ويبعدونهم عن المختار ويغيروا نظرتهم اتجاهه، ثم جاء المؤرخون في الأزمنة المتأخرة وجعلوا الأباطيل حقائق!!

سؤال أحد الحاضرين: إذا كان المختار شيعياً إمامياً كيف اقترح على عمه سعد بن مسعود أن يسلم الإمام الحسن المجتبى إلى معاوية عندما كان في المدائن؟

الجواب: لقد ذكر المؤرخ الطبري هذه الحادثة في تاريخه^(١) عن عثمان ابن عبد الحميد أو عبد الرحمن الحراني عن إسماعيل بن راشد، وقد نقل بقية المؤرخين هذه الرواية بهذا السند.

أولاً: إن سند هذه الرواية ضعيف للغاية لأن إسماعيل بن راشد وعبد الرحمن كلاهما من المجاهيل والمتروكين عند علماء الرجال ولا يمكن قبول الخبر من المتروك والمجهول حسب القواعد المسلمة في هذا العلم، وعليه لا يمكن قبول هذا الإشكال.

ثانياً: ورد في الخبر أن المختار كان (غلام شاب) والعرب لا تطلق هذين الوصفين على الرجل الذي بلغ من عمره الأربعين عاماً، فقد كان عمر المختار آنذاك (٤١) عاماً ولم يكن غلاماً.

ثالثاً: على فرض التسليم فإن اقتراح المختار لم يكن هذا، وما ذكره الطبري

(١) أنظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٦٥ حوادث سنة ٤٠ هـ عام ١٩٨٨ بيروت وهذا نص الرواية: فقال له المختار وهو غلام شاب: هل لك في الغنى والشرف؟ فقال سعد: وما ذاك؟ قال: توثق الحسن وتأمين به إلى معاوية فقال له سعد: عليك لعنة الله... بشس الرجل أنت... / المترجم.

محرف وقد نالته يد التغيير والتحريف، فقد ذكر علماءنا الأعلام حقيقة الحادثة منهم العلامة الكبير الشهيد القاضي نور الله المرعشي في المجلس الثامن من مجالس المؤمنين نقلاً عن كتاب نقض الفضائح للواعظ المعروف الشيخ عبد الجليل الرازي - من أعلام القرن السادس - وهي:

أَنَّ المختار عندما كان في المدائن مع عمّه خشى أن يقوم عمّه سعد بن مسعود بتسليم الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية وكان مغموماً من ذلك فذهب إلى شريك بن الأعور الحارثي وهو من أكابر الشيعة وقال له: أخشى أن يُسلم عمّي سعد الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية فما تقول؟ فأشار عليه شريك بهذه الفكرة فقال له: إذا خلوت بعمك سعد فقل له دعنا نقضي على الإمام الحسن عليه السلام أو نسلمه إلى معاوية موثقاً فننال الوجهة عند معاوية، وانظر رأيه فإن كان يفكر بالغدر والخيانة فسيوافقك الرأي وإلا فإنه سينكر عليك قولك ويردك.

وعلى هذا الأساس ذهب المختار إلى عمّه سعد واختلئ به وقال له ذلك الكلام، فنهزه ولعنه فعرف المختار أَنَّ عمّه لا يفعل ذلك ولا يغدر بالحسن عليه السلام، ولكن القوم بثروا صدر الرواية واكتفوا بذيلها لإظهار المختار بصورة سيئة.

رابعاً: وقد اتفقت كلمة علماء الشيعة على أَنَّ المختار كان شيعياً إمامياً وعليه فكلّ روايه أو خبر فيه إشارة إلى خلاف ما اتفقت عليه الكلمة فإنه يطرح ولا يعتمد عليه، ولهذا فقد ذكر العلامة الحلي رحمته الله المختار في كتابه الرجالي الخلاصة في القسم الأول ضمن الرجال المعتمد عليهم في الرواية، لأنه - الحلي - خصّص القسم الأول من كتابه إلى رواة الشيعة الإمامية الممدوحين^(١).

ونحن كذلك نرى أَنَّ المختار كان شيعياً إمامياً ولا نقول إنه مغالٍ وبنفس الوقت لا ندعي العصمة له، فلا إفراط ولا تفريط، وهو بشر قد يخطئ في بعض

الأحيان كبقية الناس لاسيما إذا كانت أخطائه عفوية وبلا إصرار. فهي قابلة للعفو وبالتالي تشملها الرحمة الإلهية.

الإمامي لا يخلد في النار

فقد ذكرت الأخبار الصحيحة أن من يعتقد بالتوحيد والنبوة والمعاد الجسماني وإمامة الأئمة الاثنا عشر فإنه لا يخلد في النار، وكل من لا يعتقد بهذه العقيدة فإنه يخلد في النار، أما من كان يعتقد بالعقيدة الصحيحة ولكن ارتكب بعض الأعمال السيئة في حياته فإنه لا يحرم من العفو الإلهي لاسيما مع التوبة والاستغفار وعدم العود كما قال رسول الله ﷺ: ما آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب، لأنه كلما أذنب ذنباً تاب واستغفر وندم فيكفر ذنوبه، ويبقى له فضل يدخل به الجنة.

فكل من مات ولم يتب من ذنوبه وكان معتقداً وملتزماً بالعقيدة الصحيحة التي أشرنا إليها فإنه يلقي في النار على قدر ذنوبه دون أن يخلد فيها، أما المخلدون فهم أهل الكفر والشرك والنفاق.

ومن الأدلة الواضحة - مضافاً لما تقدّم - على إيمان المختار وكونه من الموحددين الخبر المذكور في كتبنا أن المختار يلقي في النار ثم يخرج منها ويدخل في الجنة.

سؤال أحد الحاضرين: هذا الكلام منك دليل على ما ذكروه من مغالاة المختار وادعائه النبوة أو نزول الوحي عليه فتكون إخبارات صادقة لا مجرد تهمة بدليل دخوله النار.

الجواب: أظنك لم تنوجه إلى ما قلته قبل قليل، إذ قلت أن غير الإمامي يخلد في النار من المنافقين والمشركين، وأما الإمامي فباعتباره موحداً بالله ومعترفاً بنبوة النبي الأكرم ﷺ وإمامة الأئمة الاثنا عشر فإنه لا يخلد في النار بل

قد يعذب بالنار على قدر استحقاقه ثم يخرج منها، كما يدخل الذهب إلى النار فيصفى فيخرج الذهب الخالص وأما المغشوش فإنه يزال بالنار، فكذا الموحّد. أما المختار فإنه لو كان مغالياً أو مدّعياً لأي نوع من الكفر والانحراف عن مذهب الحق فإنه يخلّد في النار، ولكن بما أنه يخرج منها فهذا دليل توحيده وكذب جميع تلك الافتراءات.

سؤال: إذا لم يكن المختار كيسانياً ولا مدّعياً للنبوّة وما قيل عنه فلماذا إذن يدخل النار ثم يخرج منها؟

إخراج الإمام الحسين المختار من النار

الجواب: يظهر من الأخبار الواردة أنّ المختار يلقى في النار لسببين:

الأول: حبه لرجلين لا يجوز حبهما والارتباط بهما.

الثاني: تعلق قلب المختار بحبّ الإمارة والسلطنة والرئاسة وقد قال النبي ﷺ: «حُبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة»^(١).

سؤال أحد الحاضرين: إذا أمكن أن تستعرض لنا بعض هذه الأخبار نكون لك شاكرين.

الجواب: ذكر العلامة المجلسي (قدّس سرّه القدوسي) في البحار عن سرائر ابن إدريس مسنداً عن سماعة أنّه قال: سمعت عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا كان يوم القيامة مرّ رسول الله ﷺ بشفير النار وأمير المؤمنين والحسن والحسين، فيصيح صائح من النار يارسول الله أغثنّي يارسول الله ثلاثاً أغثنّي قال عليه السلام: فلا يجيبه، فينادي أمير المؤمنين - ثلاثاً - أغثنّي فلا يجيبه، قال عليه السلام: فينادي يا حسين يا حسين يا حسين أغثنّي أنا قاتل أعدائك

قال ﷺ: فيقول له رسول الله ﷺ: قد احتج عليك، قال ﷺ: فانقض عليه كأنه عقاب كاسر فيخرجه من النار.

فقلت لأبي عبدالله عليه السلام: ومن هذا جعلت فداك؟ قال ﷺ: المختار، قلت له: ولم عذب بالنار وقد فعل ما فعل؟ فقال ﷺ: إنه كان في قلبه منهما شيء والذي بعث محمداً بالحق لو أن جبرئيل وميكائيل كان في قلبهما شيء لأكتبهما الله في النار على وجوههما^(١).

وذكر العلامة المامقاني عن تهذيب الشيخ (قدس الله تربته) هذا الخبر مسنداً عن سماعة بقليل من الاختصار، وفي المنتخب نقل هذا الخبر ولكن جعل سبب دخوله النار «إن المختار كان يحب السلطنة، وكان يحب الدنيا وزينتها وزخرفها وأن حب الدنيا رأس كل خطيئة لأن رسول الله ﷺ قال: والذي بعثني بالحق نبياً لو أن جبرئيل وميكائيل كان في قلبهما ذرة من حب الدنيا لأكتبهما الله على وجوههما في النار»^(٢).

فمن خلال هذه الأخبار يُعرف أن دخوله النار لا يعود إلى ادعائه النبوة أو نزول الوحي عليه كما أشاعوا ضده.

وهذه الحقيقة التي ذكرتها لكم عن المختار هي خلاصة ما أفاده استاذنا المعظم المرحوم العلامة المامقاني في تنقيح المقال، وبقية علماءنا الأعلام. وأما تشنيع الأعداء وإساءتهم إلى المختار أمثال ابن حزم في الفرق والشهرستاني في الملل وابن خلدون في المقدمة والبلاذري في الأنساب وغيرهم، فهي مجرد اتهامات باطلة، بل هي تؤكد شيعة المختار وكونه إمامي المذهب مثل نسبتهم القول بالبداة إلى المختار مع أن الاعتقاد بالبداة من عقائد

(١) راجع السرائر لابن إدريس ج ٣، ص ٥٦٧، والبحار ج ٤٥ ص ٣٣٩ ح ٥.

(٢) المصدر نفسه.

الشيعة الإمامية الاثني عشرية، فهذا وأمثاله ينفي كونه كيسانياً أو مغالياً.
ولكن على كل حال فهذه التهم ليست أول قارورة كسرت في الإسلام، إذ
لطالما تعود القوم على حياكة الأكاذيب وجعل الأحاديث ونسبتها إلى الأئمة
وشيعتهم.

من اتهامات الفخر الرازي للشيعة

ومن جملة الاتهامات والتحويرات ما أورده الفخر الرازي في نهاية كتاب
المحصل حيث قال: إن أئمة الرافضة وضعوا مقاليتين لشيعتهم لا يظفر معهما
أحد عليهم؛ الأول: القول بالبداء فإذا قالوا إنه سيكون لهم قوة وشوكة ثم لا
يكون الأمر على ما أخبروه قالوا بدا لله تعالى.

الثاني: التقية فكلماً أرادوا شيئاً يتكلمون به فإذا قيل لهم هذا خطأ وظهر
بطلانه قالوا: إنما قلناه تقية^(١).

وعلة اعتراض الرازي وبقية علماء السنة على هذين الموضوعين المنبثقين
من القرآن تعود إلى أمور:

الأول: عدم معرفتهم التامة بالخطوط العريضة التي يبني عليها مذهب أهل
البيت عليهم السلام بسبب اللبس والتزوير الذي مارسه بنو أمية وأتباعهم ضد آل
الرسول عليهم السلام وشيعتهم.

الثاني: خبث طبيعتهم واضمحلال إيمانهم فإبائهم لا يتورعون عن نسبة
الأكاذيب وما ذلك إلا دليل على عدم إيمانهم بالمعاد والحساب، وعدم
احترامهم للنبي عليه السلام، فينسبون أموراً باطلة لآله الأطهار عليهم السلام.

الثالث: عدم الاطلاع على الأدلة والبراهين التي نسوقها بل يكتفون بنقل
الحوادث عن أسلافهم الماضين دون دراسة وتدقيق وتحقيق وتفحص من

(١) المحصل للفخر الرازي، ص ١٨٢، ط الحسينية المصرية سنة ١٣٢٣ هـ.

قبيل قول علمانهم بإمكان رؤية الله وزيادة الصفات على الذات والقول بالجبر وأن الإنسان مسير والقول بالقياس والرأي.

حقيقة البداء عند الشيعة

لقد اعتاد أهل السنة على نقل الحقائق بشكل منحرف ومقلوب فقد قالوا إن الشيعة تعتقد بالبداء أي أن الله تعالى يجهل بعض الأمور ثم تنكشف له حقائقها - تعالى الله علواً كبيراً -.

أما حقيقة البداء عند الشيعة هي: الظهور بعد الخفاء وهذا المعنى اللغوي لا ينطبق على الله تعالى بل على الإنسان أي ما يظهر للإنسان بعد أن كان الأمر خافياً عليه، لأن الله تعالى عالم بذاته القديمة والعلم عين ذاته فيستحيل أن يخفى عليه شيء أو أنه تعالى يجهل شيئاً، بل جرى في علمه الأزلي كل ما له تعلّق بالإنسان من طول وقصر العمر والفقر والغنى و... وجرى في علمه أن الإنسان سينصّدق بكذا ويصل رحمه فيطول عمره أو يرفع عنه البلاء أو يغنيه فهذا التغيّر الذي جرى في علمه سابقاً ولاحقاً أي قبل التغيّر وبعده، يُطلق عليه اسم البداء لأنّه تعالى يظهر علمه المكتوم المخزون إلى الإنسان فيظهر للإنسان أمراً جديداً كان غائباً وخافياً عليه.

سؤال أحد الحاضرين: هل يوجد دليل على أن الله نوعين من العلم أعني العلم المكتوم والعلم الظاهر للخلق؟

الله (تعالى) نوعان من العلم

الجواب: أدلة ذلك كثيرة جداً ألم تقرأ الآية من سورة طه حكاية عن قول رسول الله ﷺ: «قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً»^(١) مع أن النبي الأكرم ﷺ كان عالماً بما

كان ويكون، ولكن مع ذلك يطلب ﷺ علماً آخراً من المخزون والمكتوم.
كما في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾^(١) فهذه الآية صريحة بوجود نوع من العلم خاص بالله تعالى يمكن أن يهبه لأوليائه.

وقد ذكر الشيخ الجليل القدر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي في العيون، وكذلك العلامة المجلسي في البحار نقلاً عن العيون مسنداً عن الحسن بن محمد النوفلي عن الإمام الرضا ﷺ أنه قال لسليمان المروزي: ما أنكرت من البداء ياسليمان والله عز وجل يقول: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئاً﴾^(٢)، ويقول عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾^(٣)، ويقول: ﴿يَبْدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤)، ويقول عز وجل: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾^(٥)، ويقول: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾^(٦)، ويقول: ﴿وَآخِرُونَ مَرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾^(٧) ويقول: ﴿وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾^(٨).

فقال سليمان: هل رويت فيه من آياتك شيئاً؟ فقال ﷺ: نعم رويت عن أبي عبد الله ﷺ أنه قال: إن الله عز وجل علمين علماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البداء وعلماً علمه ملائكته ورسله فالعلماء من أهل بيت نبينا يعلمونه.

(١) سورة الأنعام: ٥٩.

(٢) سورة مريم: ٦٧.

(٣) الروم: ٢٧.

(٤) البقرة: ١١٧، الأنعام: ١٠١.

(٥) فاطر: ١.

(٦) السجدة: ٧.

(٧) التوبة: ١٠٦.

(٨) فاطر: ١١.

قال سليمان: أحب أن تنزعه لي من كتاب الله عز وجل؟ قال ﷺ: قول الله عز وجل لنبيه ﷺ: «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ»^(١) أراد هلاكهم ثم بدا لله تعالى فقال: «وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ»^(٢) فقال سليمان: زدني فجعلت فذاك، قال الرضا ﷺ: لقد أخبرني أبي عن آبائه عليه السلام عن رسول الله ﷺ قال: إن الله عز وجل أوحى إلى نبي من أنبيائه أن أخبر فلاناً الملك: إنني متوفي به إلى كذا وكذا فاتاه ذلك النبي فأخبره فدعا الله وهو على سريره حتى سقط من السرير وقال: يارب اجعلني حتى يشب طفلي وأقضي أمري فأوحى الله عز وجل إلى ذلك النبي: أن أت فلاناً الملك فاعلم أنني أنسيت في أجلي وزدت في عمره إلى خمس عشرة سنة فقال ذلك النبي: يارب إنك لتعلم إنني لم أكذب قط فأوحى الله عز وجل إليه: إنما أنت عبد مأمور فابلغه ذلك والله لا يسئل عما يفعل، ثم التفت إلى سليمان فقال: احسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب قال: أعوذ بالله من ذلك وما قالت اليهود؟ قال - الرضا ﷺ -: قالت اليهود «يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ»^(٣) يعنون أن الله تعالى قد فرغ من الأمر فليس يحدث شيئاً فقال الله عز وجل: «عُلْتُ أَيْدِيهِمْ وَلَعَنُوا بِمَا قَالُوا»^(٤) ولقد سمعت قوماً سألوا أبي موسى بن جعفر عليه السلام عن البداء فقال: وما ينكر الناس من البداء وأن يقف الله قوماً يرجيهم لأمره. قال سليمان: ألا تخبرني عن «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»^(٥) في أي شيء أنزلت؟ قال: ياسليمان ليلة القدر يقدر الله عز وجل فيها

(١) الذاريات: ٥٤.

(٢) الذاريات: ٥٥.

(٣) المائدة: ٦٤.

(٤) المائدة: ٦٤.

(٥) القدر: ١.

ما يكون من السنة إلى السنة من حياة أو موت أو خير أو شر أو رزق فما قدره في تلك السنة فهو من المحتوم.

قال سليمان: الآن قد فهمت جعلت فداك فزدني؟ قال: يا سليمان إن الأمور أموراً موقوفة عند الله عز وجل يقدم منها ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ما يشاء، يا سليمان إن علياً عليه السلام كان يقول: العلم علمان فعلم علمه الله وملائكته ورسله، فما علمه ملائكته ورسله فإنه يكون ولا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه يقدم منه ما يشاء ويؤخر منه ما يشاء، قال سليمان للمؤمنين: لا أنكر بعد يومي هذا البداء ولا أكذب به إن شاء الله^(١).

سؤال أحد الحاضرين: كيف يعقل أن الله تعالى علمين يخفي أحدهما عن الخلق ويتركهم في الجهل مع أنه الهادي من الضلال؟
الجواب: أنه سبحانه حكيم فيما يفعل فإنه تعالى عندما يخفي هذا العلم عن الخلق لمصلحة وحكمة يراها سبحانه وتعالى، وعندما تستدعي الحكمة إظهاره لهم في وقت معين أو مكان معين، يكون ذلك من البداء، وهو من باب المحو والإثبات.

سؤال: هل يوجد دليل على موضوع المحو والإثبات وفق المصلحة؟
الجواب: أدلة هذا الموضوع لا تعد ولا تحصى ولكنني سأكتفي بذكر ثلاثة أدلة من القرآن الكريم:

(١) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٤٥ باب ١٣، وتوحيد الصدوق باب القول بالبداء، والبحار ج ٤ ص ٩٥ ح ٢ باب ٣.

أدلة تحقق البداء من القرآن

أولها: قصة ذبح إبراهيم الخليل عليه السلام لابنه إسماعيل فنزل عليه جبرئيل وفداه بكبش عظيم وأمره بعدم ذبح ابنه كما حكى القرآن القصة ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿٥﴾ وَقَدْ يَنْتَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١١﴾. سؤال أحد الحاضرين: لقد قلت قبل قليل إن الأوامر الإلهية تتقدم وتتأخر حسب المصلحة فأَيُّ مصلحة كانت في هذا الأمر؟ هل ندم المولى سبحانه وتعالى في أمره إبراهيم بذبح ابنه؟

الجواب: أولاً: قولك إن المولى «ندم» كفر محض، لأنه سبحانه عالم منذ الأزل بجميع حوادث هذا العالم فلا يصدر منه شيء عن جهل ليندم عليه، بل إنه تعالى من الأول كان يعلم أن إبراهيم عليه السلام سيطيعه في هذا الأمر، وأنه تعالى سيفدي إسماعيل بالكبش.

سؤال: ما هي المصلحة في أن يأمر أولاً ثم ينهى ثانياً؟

الجواب: هذا الأمر والنهي لبيان مقام إبراهيم (على نبينا وآله وعليه السلام) للناس ليعلموا منزلته ومقامه وشدة طاعته لله تعالى وتسليمه لأمره إلى درجة إقدامه على ذبح ابنه طاعةً لله تعالى بلا كيف ولماذا.

والأمر نفسه في بيان منزلة إسماعيل الولد اليافع الذي خضع لأمر ربه بلا أدنى تردد ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (٣).

فكانت هذه الحادثة بتفاصيلها درساً إلهياً للناس في بيان مقام التسليم لأمر

(١) الصفات: ١٠٥-١٠٦.

(٢) الصفات: ١٠٢.

الله ومنزلة أوليائه وأهل طاعته، وكان هو الداعي والمصلحة للأمر والنهي لا عن ندم كما تتصورون.

الدليل الثاني: في قوله تعالى ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمِّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^(١) فإنه تعالى واعد موسى بثلاثين ليلة، ثم إن موسى أخبر بني إسرائيل بذلك وجعل هارون خليفة عليهم، فلما ذهب موسى لميقات ربه وانتهت الفترة جاءه الأمر الإلهي في أن يبقى عشر ليالٍ آخر.

ولا يمكن القول هنا إن الرب سبحانه وتعالى «ندم» على قصر الفترة ثم أمر بتمديدها وإنما هو سبحانه عالم منذ البدء بهذا التغيير، غاية ما في الأمر أنه سبحانه كان قد أخفى هذا التغيير عن الناس ثم أظهره لهم بعد تمام الثلاثين.

سؤال أحد الحاضرين: لماذا لم يواعدة من البداية بأربعين ليلة؟ وما وجه المصلحة في إتمامه بعشر ليالي أخرى؟

الجواب: واحدة من السنن الربانية القائمة في هذا العالم هي الامتحان والاختبار كما قال تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ^(٣)، فكان تأخير أو تمديد الميقات لأجل اختبار وامتحان بني إسرائيل الذين غاب عنهم موسى ﷺ فقد جمع السامري ذهب القوم وأذابها بالنار ثم صنع قالباً لثور كبير وأفرغ الذهب المذاب في هذا القالب ليخرج لهم أخيراً ثوراً ذهبياً كبيراً وخدعهم بأن قال لهم: إن الله تعالى حلّ في هذا الثور فعبدوه معه حتى قيل إن سبعين ألفاً عبدوا العجل خلال هذه الأيام، إلا القليل ممن كان مع هارون فلما عاد موسى وجد قومه قد ضلّوا، فأمره الله تعالى أن يأمر بني

(١) الأعراف: ١٤٢.

(٢) العنكبوت: ١-٣.

إسرائيل بأن يقتلوا أنفسهم، فقتل الأب ابنه وبالعكس... الخ.

فقال المنحرفون جزاءهم بما ظلموا ونال الصالحون جزاءهم بما صبروا عليه من انحراف فكان معنى البداء هنا أن المولى سبحانه كان يعلم منذ البدء والأزل عن انحراف بني إسرائيل ولكنه أخفى ذلك إلى أن أظهره للناس عندما تأخر موسى ﷺ عنهم.

الدليل الثالث: من الأدلة القرآنية على إثبات عقيدة البداء قصة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة الحرام بعد مضي (١٣) أو (١٦) أو (١٧) شهراً من الهجرة إلى المدينة، إذ نزل جبرائيل ﷺ على النبي ﷺ يأمره بتغيير القبلة، حتى بُني (مسجد القبليتين) في المكان الذي تم تغيير القبلة فيه حينما كان النبي ﷺ في ذلك المكان.

سؤال أحد الحاضرين: ما وجه المصلحة في أن يصلي المسلمون إلى كلا القبليتين فلماذا لم يصلوا من البداية متوجهين إلى الكعبة؟
الجواب: هناك عدة علل وأسباب ولكنني سأذكر إحداها فقط وهو أوضحها:

عندما بعث النبي ﷺ في عام الفيل كانت جميع قبائل العرب القريبة والبعيدة تعبد الأصنام الحجرية والنحاسية وكان لكل قبيلة صنماً خاصاً بها حتى نصب حول البيت وعلى سطحه (٣٦٠) صنماً تختلف بأحجامها وأشكالها فكان أعظمها هبل الذي تعبد به بنو خزاعة من نحاس قد وضع على سطح البيت الحرام وقد أسقطه أمير المؤمنين علي ﷺ في عام الفتح بعدما أصعده النبي ﷺ على كتفه الشريف فلو كان النبي ﷺ والمسلمين يومذاك وهم في مكة يتوجهون إليها آنذاك، لم يسلم النبي ﷺ من اتهامه بعبادة هذه الأصنام، فدفعاً لمثل هذا المحذور الخطير أمره الله تعالى أن يتوجه في صلاته إلى بيت المقدس الخالي من هذه المحاذير لاسيما وهو البيت الذي بناه سليمان وداود ﷺ.

فلَمَّا مضت السنين وعُرِفَت دعوة النبي ﷺ بجميع تفاصيلها وخطوطها العريضة ومعاداة الإسلام لهذه الأصنام واشتهر ذلك عنه عند ذاك أمره الله أن يصلّي إلى الكعبة بعدما أَدَّى صلاة الظهر إلى بيت المقدس فصلّى العصر بالمسلمين إلى الكعبة كما أشار القرآن إلى تلك الحادثة في سورة البقرة، ولا يمكنني هنا أن أذكر تفاصيل تلك الآيات.

وأوّل من أطاع النبي ﷺ في تغيير القبلة هو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بينما أصرّ المنافقون على إكمال صلاة العصر متوجّهين إلى بيت المقدس، وكانت هذه الحادثة إحدى الأسباب لتمييز المنافقين يومذاك.

وهذا هو البداء، أي أن الله تعالى كان يعلم منذ الأزل بهذا التغيير ولكن خفي هذا العلم عن المسلمين إلى ذلك اليوم الذي أظهره الله تعالى.

ثم إنّ البداء بهذا المعنى لا يختصّ بالشيعّة الإمامية والفرقة الحقة وإنّما هو موجود - بهذا المعنى - عند بقية أُمم الأنبياء الماضية كما يدلّ على ذلك التاريخ.

وقوع البداء في قوم نوح

فعندما اشتدّ الأمر على نبي الله نوح عليه السلام دعا الله تعالى قائلاً: ﴿وَرَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾^(١) فقد روي أن جبرئيل قال له: إنّ الله تبارك وتعالى قد أجاب دعوتك فقل للشيعّة^(٢): يأكلوا التمر ويغرسوا النوى ويراعونه حتّى يثمر، فإذا أثمر فرّجت عنهم، فحمد الله وأثنى عليه وعرفهم ذلك فاستبشروا فأخبرهم نوح بما أوحى الله تعالى إليه ففعلوا ذلك وراعوه حتّى أثمر، ثم صاروا بالثمر إلى نوح عليه السلام وسألوه أن يسجّر لهم الوعد، فسأل الله

(١) نوح: ٢٦.

(٢) الشيعة لغة: الأتباع.

عزَّوَجَلَّ عن ذلك فأوحى إليه قل لهم: كلوا هذا التمر واغرسوا النوى فإذا
أثمرت فرجعت عنكم فلمَّا ظنُّوا أنَّ الخُلف قد وقع عليهم ارتدُّ منهم الثلث وثبت
الثلثان، فأكلوا التمر وغرسوا النوى حتَّى إذا أثمر أتوا به نوحاً ﷺ فأخبروه
وسألوه أن ينجز لهم الوعد فسأل الله عزَّوَجَلَّ عن ذلك فأوحى إليه: قل لهم:
كلوا هذا التمر واغرسوا النوى فارتدُّ الثلث الآخر، وبقي الثلث فأكلوا التمر
وغرسوا النوى، فلمَّا أثمر أتوا به نوحاً ﷺ ثمَّ قالوا له: لم يبق مِنَّا إلَّا القليل ونحن
نتخوَّف على أنفسنا بتأخُّر الفرج أن نهلك، فصلَّى نوح ﷺ ثمَّ قال: يا رب لم
يبق من أصحابي إلَّا هذه العصابة وإني أخاف عليهم الهلاك إن تأخَّر الفرج
عنهم، فأوحى الله عزَّوَجَلَّ إليه: قد أجبْتُ دعوتك فاصنع الفلك، فكان بين
إجابة الدعاء وبين الطوفان خمسون سنة^(١).

وهكذا نقول إنَّ الله كان يعلم منذ الأزل بأنَّ بعض أصحاب نوح ﷺ سوف
يسقطون وينهارون ويفقدون إيمانهم وقد أخفى الله هذا العلم ثمَّ أظهره في
وقت لاحق وهذا هو البداء ووجه المصلحة هو اختبار قوم النبيِّ نوح ﷺ ممَّن
آمن به.

وقوع البداء في قوم يونس ﷺ

روي أنَّ يونس بن متى ﷺ بعثه الله إلى قومه وهو ابن ثلاثين سنة وأقام
يدعو قومه إلى الإيمان بالله والتصديق به ثلاثاً وثلاثين سنة، فلم يؤمن به ولم
يتبعه إلَّا رجلان: (روبيل) و(تنوخا) وكان الأوَّل من أهل بيت العلم والنبوة
والحكمة، والثاني رجلاً مستضعفاً زاهداً عابداً وليس له علم ولا حِكم، فلمَّا
رأى يونس أنَّ قومه لا يجيبونه ولا يؤمنون به دعا عليهم فأوحى الله عزَّوَجَلَّ

(١) أنظر تمام الخبر في البحار ج ١١ ص ٣٢٧ ح ٤٨ طهران.

إليه: إنه سيأتيهم عذاب في شوال يوم الأربعاء وسط الشهر بعد طلوع الشمس، فانطلق يونس وأخبر قومه بذلك وخرج مع العابد (تنوخا) من المدينة إلى أعلى الجبل، فلما رأى ذلك (روبييل) صرخ بأعلى صوته في رأس الجبل إلى القوم: أنا روبييل هذا شوال قد دخل عليكم وقد أخبركم يونس نبيكم إن الله أوحى إليه أن العذاب ينزل عليكم فيه ولن يخلف الله وعده، فأفزعهم كلامه ووقع في قلوبهم فأجفلوا نحو روبييل وقالوا له: ماذا تشير علينا؟ قال: أشير عليكم أن تنظروا وتعمدوا يوم الأربعاء أن تعدلوا الأطفال عن الأمهات في أسفل الجبل وتقفوا النساء في سفح الجبل وهكذا فرّقوا بين البهائم وصغارها وتضرّعوا إلى الله بالبكاء والتوبة وارفعوا رؤوسكم إلى السماء وقلوا: ربنا ظلمنا وكذبنا نبيك وتبنا إليك من ذنوبنا.

ففعّلوا ذلك كلّه، فصرف الله العذاب عنهم وأبعده عنهم بسبب توبتهم وصدق نبيّاتهم وهذا هو البداء^(١)، أي أظهر لهم النجاة والخلاص بعدما كان الأمر مخفياً عنهم.

وقوع البداء في زمن عيسى عليه السلام

ذكر العلامة المجلسي في البحار مسنداً عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إن عيسى مرّ بقوم مجليين فقال: ما لهؤلاء؟ قيل: ياروح الله إن فلانة بنت فلان تهدي - تزوّج - إلى فلان بن فلان في ليلتها هذه، فقال عليه السلام: يجلبون اليوم ويبيكون غداً، فقال قائل منهم: ولم يارسل الله؟ قال: لأنّ صاحبته ميّنة في ليلتها هذه، فقال القائلون بحقّاته: صدق الله وصدق رسوله. وقال أهل النفاق: ما أقرب غداً فلماً أصبحوا جاؤوا فوجدوها على

(١) أنظر تمام الخبر في البحار ج ١٤ ص ٣٩٢ ح ١٢ ط طهران.

حالتها لم يحدث بها شيء فقالوا: ياروح الله إن التي أخبرتنا أمس أنها ميتة لم تمت، فقال عيسى عليه السلام: يفعل الله ما يشاء فاذهبوا بنا إليها فذهبوا يتسابقون حتى قرعوا الباب فخرج زوجها فقال له عيسى عليه السلام: استأذن لي على صاحبك قال: فدخل عليها فأخبرها أن روح الله وكلمته بالباب مع عدة قال: فتحدّرت فدخل عليها فقال لها: ما صنعتِ ليلتك هذه؟ قالت: لم أصنع شيئاً إلا وقد كنت أصنعه فيما مضى أنه كان يعترينا سائل في كل ليلة جمعة فننيله ما يقوته إلى مثلها وإنه جاءني في ليلتي هذه وأنا مشغولة بأمرى وأهلي في مشاغل فهتف فلم يجبه أحد ثم هتف فلم يُجب حتى هتف مراراً فلما سمعت مقالته قمت متنكرة حتى نلته كما كنت ننيله (من الطعام) فقال لها: تنحّي عن مجلسك فإذا تحت ثيابها أفعى مثل جذعة عاض على ذنبه، فقال عيسى عليه السلام: بما صنعتِ صرف عنك هذا^(١).

أي إن الله سبحانه أظهر لها وللناس أمره الذي كان مكتوماً عنهم وهذا من أظهر مصاديق البداء.

وقوع البداء في زمن النبي الخاتم ﷺ

ذكر العلامة المجلسي في البحار نقلاً عن الكافي مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: مرّ يهودي بالنبي فقال: السام عليك، فقال النبي ﷺ: عليك، فقال أصحابه: إنما سلم عليك بالموت، فقال: الموت عليك، فقال عيسى عليه السلام: وكذلك رددت، ثم قال عيسى عليه السلام: إن هذا اليهودي يعضه أسود في قفاه فيقتله، فذهب اليهودي فاحتطب حطباً كثيراً فاحتمله ثم لم يلبث أن انصرف، فقال له رسول الله ﷺ: ضعه فوضع الحطب فإذا أسود - أفعى - في جوف الحطب عاض على عود فقال: يا يهودي ما عملت اليوم؟

قال: ما عملت عملاً إلا حظي هذا حملته فجننت به وكان معي كعكتان فأكلت واحدة وتصدقت بواحدة على مسكين فقال رسول الله ﷺ: بها دفع الله عنه، وقال ﷺ: إن الصدقة تدفع ميتة السوء عن الإنسان^(١).
أي أن الموت كان مقدراً عليه ولكن الله سبحانه دفعه عنه بسبب الصدقة مع علمه سبحانه بكل التقديرين منذ الأزل ولم يستجد له سبحانه وتعالى شيء، وكأن التقدير الأول كان مشروطاً بالصدقة أي أنه مقدّر عليه أن يموت بالأفعى ما لم يتصدق فإن تصدق دفع عنه هذا الموت.

توضيح دقيق عن البداء

فإن قيل: إن هذه الأخبار آحاد ولا يمكن الركون عليها، لأنها لا توجب علماً ولا عملاً فإننا نقول: أولاً: إن أدلة البداء لا تنحصر بهذين الخبرين وإنما هناك أدلة أخرى كثيرة يعضد بعضها بعضاً وقد تقدّمت الإشارة إلى قدر يسير منها.
ثانياً: وكان قصدي من إيراد هذه القصص والروايات هو توضيح معنى البداء لغة فهو الظهور بعد الخفاء أي ما كان خافياً على الناس، لا كما يتصور البعض أنه الندامة والجهل والعياذ بالله، كما زعمت اليهود في الآية ٦ و٧ في الباب ٦ من سفر (الإيجاد) أن الخالق سبحانه وتعالى ندم على خلقه الإنسان وجعله في الأرض وأنه تعالى حزن على هذا الأمر... الخ.
وما زالت اليهود إلى اليوم تزعم أن الله تعالى خلق الخلق كله بدفعة واحدة وقد فرغ منه واستحال عليه تعالى التأثير في هذا العالم بعد خلقه له كما قالت اليهود قديماً «قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا إِمَّا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ»^(٢).

(١) البحار ج ٤ ص ١٢١ باب ٣ ح ٦٧ وج ١٨ ص ٢١ ح ٤٨.

(٢) المائدة: ٦٤.

فالأئمة عليهم السلام - من أهل البيت - عندما أنبتوا البداء كعقيدة إسلامية فإنهم إنما أرادوا دفع هذه المزاعم الباطلة والآراء الكاسدة، وإثبات الارتباط الدائم بين الخالق والمخلوق كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(١)، فله سبحانه التأثير التام في مخلوقاته وفق نظام الحكمة الذي يجريه سبحانه من طول أو قصر عمر أو تغيير واقع الإنسان كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَغَيِّرَ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾^(٢).

فهذا التغيير قائم على أساس المقدمات التي يرتكبها نفس الإنسان لا على أساس الندامة والجهالة والعياذ بالله كما زعم أهل السنة أو اليهود!!

كيف والعلم بالنسبة إليه سبحانه ذاتي أزلي أبدي، لأنه عين ذاته، نعم والعلم عند المخلوق إفاضة منه سبحانه ورشحة من رشحات فيضه الرباني وأحياناً يكون بلا واسطة كما في بعض المقرّبين من الرُّسل والذي يُعَبَّرُ عنه بـ (العلم اللدني) وأخرى يكون مع الواسطة.

وبعبارة أخرى فالعلم المكنون المخزون مختصّ بالله تعالى وهو بالنسبة إلينا يكون (علم الغيب) لأنه غائب عنا، ولكنه محض الشهود بالنسبة إلى الله تعالى والبداء يكون في هذا العلم المكنون.

فالبداء يكون بالأمور التكوينية كما يحصل النسخ في الأمور التشريعية وكلاهما من أصل واحد وهو علم الغيب.

ولعل السر في إخفاء هذا النوع من العلم عن الخلق لأجل تضرعهم إلى الله في كل حين وارتباطهم به تعالى على كل حال بعدما عرفوا أن بيده مقادير الأمور وله القدرة النافذة على التقديم والتأخير والتغيير، فيسعى الإنسان نحو العمل

(١) الرحمن: ٢٩.

(٢) الرعد: ١١.

الصالح كالصدقة وبرّ الوالدين وصلة الرحم. إذن فالاعتقاد بالبداة يجعل الإنسان في حركة مستمرة وأمل جديد وطموح مستجد، فلو قال أحد الأنبياء مثلاً أن فلان يموت في يوم كذا، ولكن جرى في علم الله الأزلي المكتوم أن فلان هذا إذا تصدّق أو أحسن العمل فإن الله سيطيّل عمره، فبلا شك أنه سينطلق نحو العمل الصالح وهكذا الاعتقاد بالبداة يعطي فاعلية أكبر وأمل جديد وارتباط وثيق بالدعاء والصدقة وبرّ الوالدين وإعانة المسلم... وكل ذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١)، ولذا روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: لولا قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ...﴾ لأخبرتكم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة^(٢).

ثمرة البحث

وخلاصة ما تقدّم في نقطتين:

الأولى: البداء هو الظهور بعد الخفاء، أي ظهور ما كان خافياً على الناس لا على الله، وليس هو الندامة والجهالة والعباذ بالله، وما يقوله أهل السنّة غير ما ذكرته لكم فهو محض افتراء واتهام^(٣).

الثانية: ذكر البغدادي والشهرستاني^(٤) وابن حزم وغيرهم أن المختار يعتقد بالبداة فهذا القول الذي أرادوا من خلاله تسقيط المختار، ينفع لإثبات كون

(١) الرعد: ٣٩.

(٢) البحار ج ٤ ص ٩٧ ح ٤ ط طهران.

(٣) أقول: روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: من زعم أن الله عز وجل يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فابروا منه / البحار ج ٤ ص ١١١ ح ٣٠ / المترجم.

(٤) الملل والنحل ج ١ الفصل السادس عند ذكره لفرق الشيعة.

المختار شيعياً إمامياً موحداً، إذ لا يقول بالبدا غير الشيعة، وعليه يكون المختار معترفاً بالله ورسوله وأئمة الدين من آله فهو إذن ليس من المخلّدين في النار، كما أشرتُ إلى ذلك سابقاً، ولا وجود لفرقة باسم (المختارية) كما زعموا أهل الملل والنحل بل اتّهام واقتراء واضح بدليل ما مرّ عليكم.

سؤال أحد الحاضرين: حسناً بقي موضوع التقية، فماذا تعني التقية في المذهب الشيعي؟ وهل لديكم دليل على جوازها من القرآن والأخبار؟

أدلة وجوب التقية من الآيات والروايات

الجواب: أولاً: معنى التقية لغةً هي الاتقاء، واصطلاحاً إظهار خلاف الواقع من الأمور الدينية عند احتمال الضرر والخطر على النفس أو المال أو العرض، فيلتزم الإنسان بعقيدته قليلاً ولكنه يظهر خلافها ظاهرياً لدفع الخطر، ومع الأسف فقد سلك علماء أهل السنة نهج الأسلاف في طعنهم على الشيعة وعقائدهم وتصوير الحقائق بشكل مقلوب ومشوّش بلا تحقيق منهم ولا إنصاف وهم بذلك يعضدون النهج الأموي.

مع أنّ الأدلة العقلية والنقلية متظافرة على جواز التقية، بل العقل يحكم بوجوب التقية أحياناً كحفظ النفس والمال والعرض.

فلو تعرّض المسلم الواحد في دولة الكفر والطغيان إلى خطر يهدّد حياته مثلاً فيما لو أظهر دينه وعقيدته حينها يدفعه عقله ووجدانه إلى ضرورة التكتّم وعدم التظاهر بهذا الدين لحفظ النفس، لأنّ حفظها واجب على كلّ مسلم ولا يجوز إلقاء النفس في التهلكة مع إمكان التخلص والالتزام الكامل بالدين في القلب وعدم البراءة منه، ومضافاً إلى الدليل العقلي فهناك آيات قرآنية صريحة في جواز التقية ووجوبها؛ قال الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً

وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ^(١).

وهذه الآية تجيز للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء في الحالات الاستثنائية وهي حالات الخطر وقد صرحت الآية أن هذا الأسلوب هو تقية، مع أن هذه الولاية مبغوضة جداً عند الله تعالى كما يظهر من التهديد «وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ» ولكن مع ذلك أجازها المولى من باب التقية.

وهذه هي التقية التي يقول بها الشيعة ويلتزمون بها تبعاً للقرآن الكريم وسنة النبي ﷺ، وقصة عمار بن ياسر في هذا المجال أشهر من الشمس في رابعة النهار فقد ذكرها أكابر الفريقين من السنة والشيعة كالزمرخشي في الكشف والفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب، وابن كثير في تفسيره، والبيضاوي في أنوار التنزيل، والسيوطي في الدر المنثور عن كبار العلماء والمفسرين كابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم في المستدرک والبيهقي في دلائل النبوة وابن حجر العسقلاني في الإصابة وابن عبد البر المالكي في الاستيعاب، وابن الأثير في أسد الغابة وآخرين غيرهم كل من تعرض لترجمة الصحابي الجليل عمار بن ياسر بالفاظ متفاوتة قليلاً.

وقصته تبدأ حينما عازمت قريش على تعذيب المسلمين الأوائل، فكان كبراء قريش يقبضون على المستضعفين من المسلمين ويعذبونهم بالوان العذاب لصدهم عن دينهم وإجبارهم على الكفر والبراءة من الإسلام وسب

(١) آل عمران: ٢٨.

أقول: قال الزمرخشي في الكشف في ذيل الآية «إلا أن تتقوا منهم تقاة..» إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتقاؤه.. رخص لهم في موالاتهم إذا خافوهم، والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا / ج ١ ص ٣٥١ / المترجم.

رسول الله ﷺ ومدح الأصنام فكان عمار من جملة الذين تعرّضوا لهذا التعذيب مع والديه ياسر وسمية وغيرهم كبلال وصهيب والخباب وسالم ... الخ^(١).
فقد انهار بعضهم تحت الضغط والعذاب فسبوا رسول الله ﷺ وتبرأوا من الإسلام ظاهراً، وأمّا عمار فإنه رأى المشركين وهم يعذبون والديه بأقسى الصور، فقد ربطت سمية بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة^(٢) وكان الذي ضربها أبو جهل (لعنه الله) فنالت درجة الشهادة، ورأى والده الذي عذب بالوان العذاب حتّى مات تحت التعذيب، فهما أول قتيلين قتلا في الإسلام كما ذكر جميع المؤرّخين من الفريقين^(٣).

فلما تعرّض عمار للتعذيب الروحي والجسدي انهار فأجرى على لسانه ما أرادت قریش منه ولكنه ظلّ على إيمانه القلبي والباطني معتقداً بالإسلام، فوصل الخبر إلى النبي ﷺ: أن عماراً كفر، فقال ﷺ: كلا، أن عماراً ملئ إيماناً من فرقه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه^(٤).

فلما وصل عمار إلى المدينة جلس تحت جدار باكياً نادماً على ما صدر منه فمرّ به النبي ﷺ وجعل يمسح عينيه وقال: ما لك؟ إن عادوا لك فعد لهم بما قلت وفيه نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٥) فهي صريحة في جواز التقيّة لحفظ النفس مع اطمئنان القلب بالإيمان خاصّة إن ضممنّا معها قوله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٦)

(١) أنظر الكشف ج ٢ ص ٦٣٦ ذيل الآية ١٠٦ من سورة النحل / المترجم.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) النحل: ١٠٦.

(٦) البقرة: ١٩٥.

لتكون التقية في بعض الأحيان واجبة على الإنسان.

ومع كل هذه الأدلة وهذا الوضوح في موضوع التقية إلا أن أهل السنة شنوا - وما زالوا - حملات إعلامية تعسفية ضد الشيعة لأنهم يقولون بسجواز التقية ويعملون بها واتهموهم بالبدعة، مع أنها رخصة ربانية وعقيدة إسلامية نابعة من صميم القرآن الكريم.

ومع الأسف فإنهم صوّروا موضوع التقية بالخدعة تارةً والمكر أخرى واعتبروا الشيعة أهل المكر والخداع.

ثم أن الشيعة حال اعتقادهم بهذه الرخصة الربانية - التقية - إلا أنهم لا يجرونها في جميع الأزمنة والأمكنة والظروف، بل لها ظروفها الاستثنائية كما شرحنا ذلك من الخوف على النفس والمال والعرض من الكافر أو المخالف إذ الملاك هو الخطر المهدّد للإنسان سواء كان من كافر أو مسلم، كما مارسها الأئمة الهداة من أهل البيت عليهم السلام مقابل جبروت واضطهاد بني أمية وبني العباس لهم.

عود على بدء

والآن نعود إلى كلام الشهرستاني وذكره للفرق الإسلامية التي أدرجها بعد المختارية والكيسانية:

الهاشمية: أتباع أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، قالوا بانتقال الإمامة إلى ابنه أبي هاشم، وقالوا بالتناسخ من شخص إلى شخص.

الحارثية: وهم من الكيسانية قالوا إنّ أبا هاشم مات منصرفاً من الشام بأرض الشراة وأوصى إلى إسحاق بن زيد الحارث الأنصاري الخزرجي وكان أبوه من أهل بدر، وكان هو من جملة التابعين، وقد أباحوا المحرمات.

البيانية: أتباع بيان بن سمعان النهدي التميمي قالوا بانتقال الإمامة من أبي هاشم إليه.

الروااية: أتباع رزام بن رزم وهم من الكيسانية قالوا بإمامة علي بن عبدالله ابن عباس بالصوية ثم ساقوها إلى محمد بن علي وأوصى الأخير إلى ابنه إبراهيم الإمام وهو صاحب أبي مسلم (أخ المنصور العباسي). وهؤلاء قالوا: الدين هو معرفة الإمام وأداء الأمانة ومن حصل له الأمران فقد وصل إلى الكمال.

الزيدية: أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة عليها السلام وقالوا: كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة يكون إماماً واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أم من أولاد الحسين، وقالوا إن زيد بن علي تتلمذ على واصل بن عطاء رأس المعتزلة مع اعتقاد واصل أن جدّه علي بن أبي طالب في حروبه ما كان على يقين.

وجرت بينه وبين أخيه محمد بن علي الباقر مناظرات حول تتلمذه على يد واصل بن عطاء فعاتبه الباقر عليه السلام على حضوره عند واصل وهو يجوز الخطأ لعلي عليه السلام وزعموا أن زيدا قال بخلافة الأول والثاني ولمّا سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه فسميت رافضة.

دراسة مفصلة عن زيد بن علي عليه السلام

عندما نراجع المصادر الإسلامية نكتشف الأكاذيب والأباطيل والتهم التي ذكرها الشهرستاني أو ابن حزم أو عبد القاهر البغدادي بالنسبة إلى زيد بن علي. أولاً: لقد ذكر الشيخ المفيد (قدس الله روحه) في الإرشاد وهكذا نور الدين علي بن محمد المشهور بابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، ذكراً: أن للإمام السجاد عليه السلام خمسة عشر ولداً منهم (١١) ذكراً و(٤) إناثاً^(١). وجميع أولاد

الإمام عليه السلام من أمهات أولاد إلا اثنين منهم وهما الإمام محمد الباقر خامس أئمة أهل البيت عليه السلام وأخيه عبدالله - الباهر - ووالدتهما فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبي عليه السلام.

وقد نقل الراوندي في الدعوات أن الإمام الصادق عليه السلام قال عنها: كانت صديقة لم يدرك في آل الحسن مثلها^(١)، فلم ير مثلها في سائر زوجات الإمام السجاد عليه السلام.

ثانياً: يقول أبو حمزة الثمالي^(٢): كنتُ أزور علي بن الحسين عليه السلام في كل سنة مرة في وقت الحج فأتيته سنة من ذلك وإذا علي فخذه صبي فقعدت إليه وجاء الصبي فوق علي عتبة الباب فانشج، فوثب إليه علي بن الحسين عليه السلام مهرولاً ينشف دمه بثوبه ويقول له: يا بُني أعيدك بالله أن تكون المصلوب في الكناسة، قلت: بأبي أنت وأمي أي كناسة؟ قال: كناسة الكوفة، قلت: جعلت فداك ويكون ذلك؟ قال: إي والذي بعث محمداً بالحق إن عشت بعدي لترين هذا الغلام في ناحية من نواحي الكوفة مقتولاً مدفوناً منبوشاً مسلوباً مسحوباً مصلوباً في الكناسة، ثم يُنزَل فيحرق ويدق ويذرى في البر، قلت: جعلت فداك وما اسم هذا الغلام؟ قال: هذا ابني زيد، ثم دمت عيناه فقال: ألا أحدثك بحديث ابني هذا، بينا أنا ليلة ساجد وراكع إذ ذهب بي النوم من بعض حالاتي

→ وهم: الإمام محمد الباقر عليه السلام - عبدالله - الحسن - الحسين - زيد - عمر - الحسين الأصغر - عبد الرحمن - سليمان - علي - محمد الأصغر - خديجة - فاطمة - عليّة - أم كلثوم.

(١) البحار ج ٤٦، ص ١٥٥ عن دعوات الراوندي.

(٢) وهو ممن أدرك الإمام السجاد والباقر والصادق عليهم السلام ويعد من أكبر زهاد الكوفة / المؤلف.

فرايت كأنني في الجنة وكان رسول الله ﷺ وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قد زوجوني جارية من حور العين فواقعها فاغتسلت عند سدره المنتهى ووليت وهاتف بي يهتف ليهنك زيد ليهنك زيد ليهنك زيد فاستيقظت .. وصليت صلاة الفجر فدق الباب وقيل لي: على الباب رجل يطلبك فخرجت فإذا أنا برجل معه جارية ملفوف كمها على يده مخمرة بخمار فقلت: ما حاجتك؟ فقال: أردت علي بن الحسين عليه السلام، قلت: أنا علي بن الحسين، فقال: أنا رسول المختار بن أبي عبيد الثقفي يقرئك السلام ويقول: وقعت هذه الجارية في ناحيتنا فاشتريتها بستمانه دينار وهذه ستمانه دينار فاستعن بها على دهرك، ودفع إلي كتاباً فأدخلت الرجل والجارية، وكتبت له جواب كتابه وتثبت الرجل ثم قلت للجارية: ما أسمك؟ قالت: حوراء، فهيئوها لي وبئ بها عروساً فعلقت بهذا الغلام فسَمَّيته زيداً وهو هذا استرئى ما قلت لك.

قال أبو حمزة: فوالله ما لبثت إلا برهة حتى رأيت زيداً بالكوفة في دار معاوية بن إسحاق فأتيته فسلمت عليه ثم قلت: جعلت فداك ما أقدمك هذا البلد؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكنت أختلف إليه فجئت إليه ليلة النصف من شعبان فسلمت عليه وكان ينتقل في دور بارق وبني هلال، فلما جلست عنده قال: يا أبا حمزة تقوم حتى نزور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قلت: نعم جعلت فداك - ثم ساق أبو حمزة الحديث حتى قال :- أتينا الذكوات البيض فقال: هذا قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثم رجعنا، فكان من أمره ما كان فوالله لقد رأيت مقتولاً مدفوناً منبوشاً مسلوباً مسحوباً مصلوباً قد أحرق ودق في الهواوين وذري في العريض - بشر - من أسفل العاقول^(١).

(١) البحار ج ٤٦ ص ١٨٣ ح ٤٨ ط طهران، وعاقولاء: اسم الكوفة في التوراة.

وذكر أبو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبين بإسناده عن زياد بن المنذر، قال: اشترى المختار بن أبي عبيد جارية بثلاثين ألفاً فقال لها: أدبري فأدبرت ثم قال لها: أقبلي، فأقبلت، ثم قال: ما أدري أحداً أحق بها من علي بن الحسين عليه السلام فبعث بها إليه وهي أم زيد بن علي عليه السلام ^(١).

فهاتان الروايتان تعطيان فكرة عن أوليات وبدائيات زيد الشهيد وعظمته. ثالثاً: ثم إن طريقة تسميته كانت طريقة شريفة فقد روي أن الإمام السجاد عليه السلام تغال بالقرآن بعد صلاة الفجر مرتين فخرجت الآية في المرة الأولى: «وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا» ^(٢) ثم تغال مرة ثانية فخرجت: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» ^(٣) فقال الإمام عليه السلام: هو والله زيد هو والله زيد ^(٤).

فكانت هذه الحادثة واحدة من الكرامات التي تدل على عظمة زيد عليه السلام الذي أراد الإمام عليه السلام أن يربط أهميته وعظمته بالقرآن حيث تغال به فهل يُعقل بعد هذا كله أن يقال إن زيدا ادعى الإمامة ودعى الناس إلى نفسه؟ إن هو إلا ادعاء واتهام باطل ضد الشهيد زيد عليه السلام.

(١) المقاتل ص ٨٦ ط النجف.

(٢) النساء: ٩٥.

(٣) التوبة: ١١١.

(٤) البحار ج ٤٦ ص ١٩١ ح ٥٧.

بعض الأخبار عن استشهاد زيد

ذكر الشيخ الصدوق عليه السلام في عيون أخبار الرضا عليه السلام مسنداً عن عبدالله بن سبابة قال: خرجنا ونحن سبعة نفر فأتينا المدينة فدخلنا على أبي عبدالله الصادق عليه السلام فقال لنا: أعندكم خبر عمي زيد؟ فقلنا: قد خرج أو هو خارج، قال: فإن أناكم خبر فأخبروني.

فمكثنا أياماً فأتني رسول بسام الصيرفي بكتاب فيه: أما بعد فإن زيد بن علي عليه السلام قد خرج يوم الأربعاء غرة صفر فمكث الأربعاء والخميس وقتل يوم الجمعة ومعه فلان وفلان فدخلنا على الصادق عليه السلام فدفعنا إليه الكتاب فقرأه وبكى ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، عند الله أحسب عمي إنه كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا، مضى والله عمي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي الحسن والحسين صلوات الله عليهم ^(١).

وعن الفضيل بن يسار قال: انتهيت إلى زيد بن علي بن الحسين عليه السلام صبيحة يوم خرج بالكوفة فسمعتة يقول: من يعينني منكم على قتال أنباط أهل الشام؟ فالذي بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً لا يعينني منكم على قتالهم أحد إلا أخذت بيده يوم القيامة فأدخلته الجنة بإذن الله عز وجل، فلما قُتل اكرتبت راحلة وتوجهت نحو المدينة فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت في نفسي: والله لأخبرنه بقتل زيد بن علي فيجزع عليه فلما دخلت عليه قال لي: ما فعل عمي زيد؟ فخنقتني العبرة فقال: قتلوه؟ قلت: أي والله قتلوه، قال: فصلبوه؟ قلت: إي والله فصلبوه، قال: فأقبل يبكي ودموعه تنحدر عن جانبي خده كأنهما الجمان ثم قال: يا فضيل شهدت مع عمي زيد قتال أهل الشام؟ قلت:

نعم، فقال: فكم قتلتم منهم؟ قلت: ستّة، قال: فلعلّك شاكّ في دمانهم؟ قلت: لو كنت شاكّاً في دمانهم ما قتلتهم فسمعتهم وهو يقول: أشركني الله في تلك الدماء، مضى والله زيد عمّي وأصحابه الشهداء مثل ما مضى عليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه^(١).

وروي مسنداً في العيون عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر محمد ابن علي الباقر عن آبائه عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام: يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له زيد يتخطأ هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غراً محجلين يدخلون الجنّة بلا حساب^(٢).

وقد تمسك الزيدية بهذا الحديث وزعموا أنّهم من أهل الجنّة مع أن الحديث يشير إلى أصحاب زيد الذين قتلوا معه في ساحة الحرب، لا هذه الفرقة الضالّة.

سؤال أحد الحاضرين: ألم يدّعي زيد الإمامة في ثورته بالكوفة؟
الجواب: لا أبداً، فإنّ زيد ثار لله وفي الله وطلباً لمرضاة الله عزّ وجلّ في جهاد أعدائه عاملاً بوظيفته الشرعية.
سؤال: هل يوجد دليل على هذا الكلام؟

زيد لم يدّع الإمامة لنفسه

الجواب: نعم، الأدلّة على ذلك كثيرة منها نصوص أنمّة أهل البيت عليهم السلام منها ما ذكره الشيخ الصدوق في العيون مسنداً عن ابن أبي عبدون عن أبيه قال:

(١) المصدر السابق ج ٧.

(٢) المصدر نفسه ج ٢، أقول: ذكره في البحار ج ٤٦ ص ١٧٠ ح ١٩ عن أمالي الصدوق

وهكذا الحديث الذي قبله / المترجم.

لما حُملَ زيد بن موسى بن جعفر^(١) إلى المأمون وقد كان خرج بالبصرة وأُحرق دور ولد العباس وهب المأمون جرمه لأخيه علي بن موسى الرضا^(ع) وقال له: يا أبا الحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل لقد خرج قبله زيد بن علي فقتل ولولا مكانك متي لقتلته فليس ما أتاه بصغير، فقال الرضا^(ع): لا تقس أخِي زيدا إلى زيد بن علي فإنه كان من علماء آل محمد غضب الله عز وجل فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر^(ع) إنه سمع أباه جعفر بن محمد بن علي^(ع) يقول: رحم الله عمي زيدا إنه دعا إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا إليه ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عم إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشانك، فلما ولى قال جعفر بن محمد^(ع): ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه.

فقال المأمون: يا أبا الحسن أليس قد جاء فيمن ادعى الإمامة بغير حقها ما جاء؟ فقال الرضا^(ع): إن زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق وأنه كان أتقى الله من ذلك أنه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد^(ع)، وإنما جاء ما جاء فيمن يدعي أن الله تعالى نصر عليه ثم يدعو إلى غير دين الله ويضل عن سبيله بغير علم وكان زيد والله ممن خوطب بهذه الآية ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾^(٢)،^(٣)

وفي البحار للعلامة المجلسي نقلاً عن نصوص الكافية مسنداً عن يحيى ابن زيد بن علي - الذي ثار بعد ثورة والده زيد الشهيد عام ١٢٥هـ في الجوزجان وقتل فيها وصلب بدنه الطاهر ستة سنوات حتى جاء أبو مسلم الخراساني

(١) المعروف بـ (زيد النار) / المترجم.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) المصدر نفسه ح ١، وذكره البحار ج ٤٦ ص ١٧٤ ح ٢٧ عن العيون.

وأُنزل بدنه، وقبره اليوم مزار عام في الجوزجان.

يقول يحيى الشهيد سألت أبي زيد بن علي عن الأئمة؟ فقال: الأئمة اثنا عشر أربعة من الماضين وثمانية من الباقين، قلت: فسَمِّهم يا أبا عبد الله؟ قال: أما الماضين فعلي بن أبي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين، ومن الباقين أخيه الباقر وبعده جعفر الصادق ابنه وبعده موسى ابنه وبعده علي ابنه وبعده محمد ابنه وبعده علي ابنه وبعده الحسن ابنه وبعده المهدي ابنه، فقلت له: يا أبا عبد الله ألسنت منهم؟ قال: لا، ولكني من العترة قلت: فمن أين عرفت أساميهم؟ قال: عهدٌ معهود عهده إلينا رسول الله ﷺ^(١).

وروي مسنداً عن عمير بن المتوكل بن هارون البجلي (الذي تنتهي إليه جميع سلسلة سند الصحيفة السجادية) قال: لقيت يحيى بن زيد بعد قتل أبيه وهو متوجه إلى خراسان، فما رأيت مثله رجلاً في عقله وفضله فسألته عن أبيه، فقال: إنه قُتل وصلب بالكناسة، ثم بكى وبكى حتى غشي عليه، فلما سكن قلت له: يا ابن رسول الله وما الذي أخرجه إلى قتال هذا الطاغية وقد علم من أهل الكوفة ما علم؟

فقال: نعم، لقد سألته عن ذلك فقال: سمعت أبي ﷺ يتحدث عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام قال: وضع رسول الله ﷺ يده على صليبي فقال: يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له زيد يقتل شهيداً فإذا كان يوم القيامة يتخطى هو وأصحابه رقاب الناس ويدخل الجنة فأحببت أن أكون كما وصفني رسول الله ﷺ، ثم قال: رحم الله أبي زيداً كان والله أحد المتعبدين، قائم ليله صائم نهاره، يجاهد في سبيل الله عز وجل حقَّ جهاده، فقلت: يا ابن رسول الله هكذا يكون من الإمام بهذه الصفة؟ فقال: يا عبد الله إن أبي لم يكن إماماً ولكن من

سادات الكرام وزهادهم وكان من المجاهدين في سبيل الله، قلت: يا ابن رسول الله أما إن أباك قد ادّعى الإمامة وخرج مجاهداً في سبيل الله وقد جاء عن رسول الله ﷺ فيمن ادّعى الإمامة كاذباً. فقال: مه يا عبدالله إن أبي كان أعقل من أن يدّعي ما ليس له بحق وإنما قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد عني بذلك عني جعفرأ، قلت: فهو اليوم صاحب الأمر؟ قال: نعم هو أفقه بني هاشم، ثم قال: يا عبدالله إنني أخبرك عن أبي ﷺ وزهده وعبادته، إنه كان ﷺ يصلي في نهاره ما شاء الله فإذا جنّ الليل عليه نام نومة خفيفة ثم يقوم فيصلّي في جوف الليل ما شاء الله ثم يقوم قائماً على قدميه يدعو الله تبارك وتعالى ويتضرّع له ويبيكي بدموع جارية، حتى يطلع الفجر فإذا طلع الفجر سجد سجدة ثم يقوم يصلي الغداة إذا وضح الفجر، فإذا فرغ من صلاته قعد في التعقيب إلى أن يتعالى النهار، ثم يقوم في حاجته ساعة فإذا قرب الزوال قعد في مصلاه فسبح الله ومجده إلى وقت الصلاة فإذا حان وقت الصلاة قام فصلّي الأولى وجلس هنيئة وصلى العصر وقعد في تعقيبه ساعة ثم سجد سجدة فإذا غابت الشمس صلى العشاء والعتمة، قلت: كان يصوم دهره؟ قال: لا، ولكنه كان يصوم في السنة ثلاثة أشهر ويصوم في الشهر ثلاثة أيام قلت: وكان يفتي الناس في معالم دينهم؟ قال: ما أذكر ذلك عنه ثم أخرج إليّ صحيفة كاملة أدعية علي بن الحسين (عليه السلام) (١).

وذكر المجلسي رحمه الله في البحار أيضاً مسنداً عن محمد بن مسلم قال: دخلت على زيد بن علي فقلت: إن قوماً يزعمون أنك صاحب هذا الأمر؟ قال: لا، ولكنني من العترة، قلت: فمن يلي هذا الأمر بعدكم؟ قال: سبعة من الخلفاء والمهدي منهم.

قال محمد بن مسلم: ثم دخلت على الباقر فأخبرته بذلك، فقال: صدق أخي زيد صدق أخي زيد سيلبي هذا الأمر بعدي سبعة من الأوصياء والمهدي منهم ثم بكى عليه وقال: كأني به وقد صُلب في الكناسة، يا ابن مسلم حدثني أبي عن أبيه الحسين قال: وضع ... (مر الحديث سابقاً) ^(١).

وجاء في كتاب كفاية النصوص مسنداً في فضائل العترة والذرية الطاهرة إلا أنني سأكتفي بذكر موضع الشاهد وقد ذكره العلامة المجلسي في البحار أيضاً عن محمد بن بكير قال: قلت لزيد: يا ابن رسول الله ألسنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: أنا من العترة فعدت فعدا إلي.. ^(٢).

وروى الصدوق مسنداً عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي عليه السلام أنه قال: في كل زمان رجل منا أهل البيت يحتاج الله به على خلقه وحجة زماننا ابن أخي جعفر بن محمد عليه السلام لا يضل من تبعه ولا يهتدي من خالفه ^(٣).

وذكر العلامة المامقاني في التنقيح عن رجال الكشي مسنداً عن الفضيل الرسان أنه قال: دخلت على الصادق عليه السلام بعد قتل زيد، فأدخلني في الدار ثم قال لي: يا فضيل هل قُتل زيد؟ فقلت: بلى جُعِلت فداك، فقال عليه السلام: رحمه الله أما إنه كان مؤمناً وكان عارفاً وكان عالماً وكان صدوقاً أما أنه لو ظفر لوفني، أما أنه لو ملك لعرف كيف يضعها ^(٤).

ثم قال العلامة المامقاني معلقاً:

وقال الشيخ في التكملة: اتفق علماء الإسلام على جلالته وثقته وورعه

(١) البحار ج ٤٦ ص ٢٠٠ ح ٧٤.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٢ ح ٧٧.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) تنقيح المقال ج ١ ص ٤٦٨.

وعلمه وفضله وقد روي في ذلك أخبار كثيرة، حتى عقد ابن بابويه في العيون باباً لذلك^(١).

وقال الشيخ المفيد^(٢) في الإرشاد: وكان زيد بن علي بن الحسين^(٣) عين إخوته بعد أبي جعفر^(٤) وأفضلهم وكان عابداً ورعاً فقيهاً سخياً شجاعاً وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بثارات الحسين^(٥).

ثم قال: واعتقد كثير من الشيعة فيه بالإمامة وكان سبب اعتقادهم ذلك في خروجه بالسيف يدعو إلى الرضا من آل محمد^(٦) فظنوه يريد بذلك نفسه ولم يكن يريد ما به لمعرفته باستحقاق أخيه^(٧) للإمامة من قبله ووصيته عند وفاته إلى أبي عبد الله^(٨)^(٩).

سؤال أحد الحاضرين: إذا لم يدع زيد الإمامة فلماذا ثار حتى قتل^(١٠)؟
الجواب: لقد ذكرت المصادر التاريخية كالطبري وابن الأثير وسپهر وغيرهم أن خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم الأموي كان والي المدينة آنذاك وكان شديد الإيذاء لبني هاشم لا سيما لزيد بن علي^(١١)، فقرر زيد أن يذهب إلى الخليفة الأموي في الشام ويشكو عنده خالد، وحدث أخيه الإمام الباقر^(١٢) عن قراره هذا وأعلمه أنه سيقا تلهم إن تمادوا في الطغيان، فقال له^(١٣): أما علمت يا زيد أنه لا يخرج أحد من ولد فاطمة على أحد من السلاطين قبل خروج السفيناني إلا قتل^(١٤).

(١) المصدر السابق.

(٢) الإرشاد ص ٢٦٨.

(٣) أقول: لقد ذكر المصنف قول زيد: خرجت لأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر / المترجم.

(٤) السفيناني هو عثمان بن عنبسة من ذرية بني أمية يخرج قبل ظهور الإمام

إذن يُعلم من ذلك أن ثورة زيد لم تكن لدعواه الإمامة بل لأمر عديده منها:

الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ذكرنا ذلك سابقاً، فقد كان الفساد والانحلال والتجاهر بالفسق والعصيان من أبرز معالم الدولة الأموية كشرب الخمر وبيعه وشرائه ومجالس الغناء والرقص في دور الأمراء إلى أن سرى ذلك الداء إلى عوام الناس وأصبح ظاهرة عامة.

وكان زيد وهو سليل الذرية الطاهرة يحارب ويشجب هذه المظاهر الرذيلة، فكان سلوكه الطاهر وشجبه المستمر لهذه المفاصل يثير حفيظة والي المدينة حتى ذهب زيد ضحية هؤلاء الطواغيت أولاد العواهر، فثار ضدهم لإحقاق الحق كما نأر جدّه الإمام الحسين عليه السلام من قبل.

وعلى هذا الأساس انطلق زيد نحو الشام لرؤية هشام بن عبد الملك بن مروان لعنهم الله، فجعل هشام لا يأذن له وزيد يرفع إليه القصاصات وكلما رفع إليه رقعة كتب هشام في أسفلها: ارجع إلى أرضك، فيقول زيد: والله لا أرجع إلى ابن الحرث أبداً ثم أذن له بعد حبس طويل، فلما مثل بين يديه لم ير موضعاً يجلس فيه فجلس حيث انتهى مجلسه، وقال: إنّه ليس من عباد الله أحد فوق أن يوصي بتقوى الله ولا من عباده أحد دون أن يوصي بتقوى الله، وأنا أوصيك

→ المهدي عليه السلام بشمانية أشهر في الشام ثم يستولي على العراق ويأمر بهدم جميع أضرحة وقبور أهل البيت عليه السلام في العراق والمدينة، ثم يُخسف بجيشه البالغ (٣٠٠,٠٠٠) في البداء بين مكة والمدينة، عندها يظهر الإمام المهدي عليه السلام في مكة ويقتل السفيناني في بيت المقدس مع أتباعه وأصحابه، وعندها تعلقو علائم دولة الحق، فالخلاصة يكون السفيناني من علائم الظهور وهو من العلامات الحتمية كما نص الإمام المهدي عليه السلام على ذلك في توقيعه إلى علي بن محمد السمري آخر نوابه الأربعة / المترجم.

بتقوى الله يا أمير المؤمنين فاتّقه^(١).

ولكن هشام أخذته العزة بالإثم فقال له: اسكت لا أم لك أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة وأنت ابن أمة.

فقال زيد: إن الأمّهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات، وقد كانت أم إسماعيل أمة لأم إسحاق صلى الله عليهما وسلّم، ولم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبياً، وجعله للعرب أباً فأخرج من صلبه خير البشر محمد فتقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن علي^(٢).

فقال هشام: أخرجوه من هنا، فأخذه حتى طردوه عن حدود الشام، فلمّا فارقه عدل إلى العراق ودخل الكوفة، وكتب ما جرى بينه وبين هشام إلى أخيه الإمام الباقر^(ع)، وقيل: إنّه لمّا قام من مجلس هشام قال - على رواية ابن خلكان -: من عاد بالسيف لاقى فرحة عجيبة موتاً على عجب أو مات منتصباً.

ثورة زيد الشهيد

فلما دخل الكوفة بايعه بعض أهلها وكانوا خمسة عشر ألف كما ذكره أبي مخنف في عمدة الطالب^(٣) ما عدا الذين بايعوه في المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان حينما سمعوا بثورته ومحاولة إصلاحه للأُمور.

وقال صاحب روضة الصفا: إن أكثر المؤرّخين ذكروا أنّ الذين بايعوا زيداً كانوا أربعين ألفاً.

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٠٦ ط دار الأندلس - بيروت.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مقال الطالبين ص ١٣٢.

وقد أقام زيد بن علي عليه السلام في العراق (١٧) شهراً وسافر خلالها إلى البصرة لمدة شهرين وقضى بقية الفترة في الكوفة، إلى اليوم الأول من صفر عام ١٢٢ هـ حين خرج في الكوفة وقد خرج معه فقط خمسمائة رجل وقيل مائتين وثمانية عشر^(١)، بينما غدر به الآخرون كعادتهم، فلما علم يوسف بن عمر الثقفي والي الكوفة أرسل ألفين من الفرسان لقتال زيد ثم بعث إلى الحكم بن الصلت يأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم فيحضرهم فيه فبعث الحكم إلى العرفاء والشرط والمناكب والمقاتلة فأدخلوهم المسجد ثم نادى مناديه: أيما رجل من العرب والموالي أدركناه في رحبة المسجد فقد برئت منه الذمة، بينما حمل زيد ومن معه على الفرسان فهزموهم حتى وصلوا إلى باب المسجد فلما سمع الناس أصوات زيد حاولوا فتح الباب له، إلا أن الحرس كانوا يرشقونهم من أعلى السور بالسهم والنبال وحصلت عند باب المسجد معركة طاحنة^(٢) استشهد فيها زياد بن عبد الرحمن ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة وجزيمة وهم من قواد جيش زيد بن علي عليه السلام واستشهد معهم سبع وستين فارساً واستمرت ثورة زيد ليلتين كان زيد فيهما يكرّ يميناً وشمالاً مع ولده يحيى ومن بقي معه، وذكر المسعودي أشعاراً لزيد كان ينشدها آنذاك:

أذلّ الحياة وعزّ الممات وكلّأ أراه طعاماً وبسلاً
فإن كان لا بدّ من واحد فسيري إلى الموت سيراً جميلاً^(٣)

وفي اليوم الثاني من صفر رُمي زيد بسهم في جنح الليل فأصاب جانب جبهته اليسرى فنزل السهم في الدماغ فحمّله أصحابه ومعه ولده يحيى ومحمّد

(١) المصدر نفسه ص ١٣٤.

(٢) مقاتل الطالبيين ص ١٣٥.

(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٠٧ ط دار الأندلس - بيروت.

ابن مسلم الخياط ودخلوا بيت أحد الشيعة، وانطلق أناس من أصحابه فجازوا بطبيب - حجام - فقال له: إنك إن نزعته من رأسك مت، قال: الموت أيسر عليّ ممّا أنا فيه، فلما نزع السهم من جبهته فارقت روحه الدنيا وكان له من العمر اثنتين وأربعين عاماً، ثم حملوا جسده الطاهر ودفنوه في النهر وأجروا عليه الماء خوفاً على جسده من بني أمية وحضر الحجام مواراته فعرف الموضع، وفي اليوم التالي بعث يوسف الثقفي رجالاً للبحث عن قبره فدلّهم عليه نفس ذلك الحجام السندي، فذهبوا إلى قبره وأخرجوا جسده وحزّوا رأسه وأرسلوه إلى هشام بن عبد الملك في الشام^(١)، فأرسل الأخير لعنه الله إلى يوسف الثقفي أن اصلب جسد زيد عارياً فصنع به ذلك إلا أن الله تعالى أرسل عنكبوتاً نسجت على عورتيه فلم تُر له عورة طيلة سنوات صلبه ﷺ وذكروا أنه ظلّ مصلوباً أربعة سنين وقيل خمسين شهراً، وأنه ظلّ مصلوباً إلى أيام الوليد بن يزيد فأمر الأخير أن يُنزل جسد زيد ويُحرق بالنار ويُذر في البحر وقد فعل به كلّ ذلك^(٢)، فلما سمع الإمام الصادق ﷺ بذلك بكى عليه بكاءً شديداً كما تقدّم.

وجاء في بحار الأنوار للعلامة المجلسي ﷺ نقلاً عن رجال الكشي مسنداً عن عبد الرحمن بن سبابة أنه قال: لما قتل - زيد - بلغ ذلك من أبي عبد الله الصادق ﷺ كلّ مبلغ وحزن عليه حزناً عظيماً حتّى بان عليه، وفرّق من ماله في عيال من أصيب معه من أصحابه ألف دينار، وروى ذلك أبو خالد الواسطي قال: سلّم إليّ أبو عبد الله ألف دينار وأمرني أن أقسمها في عيال من أصيب مع زيد، فأصاب عيال عبد الله بن الزبير أخى فضيل الرّسان منها أربعة

(١) يُقال إن رأسه أرسل إلى المدينة وبقي ليلة واحدة في جوار قبر النبي ﷺ وقيل غير ذلك وقد تركنا هذا حفظاً للاختصار / المؤلف.

(٢) مقاتل الطالبين ص ١٣٩.

دنانير^(١).

وروى العلامة المجلسي عن كشف الغمة: إنه بلغ الصادق عليه السلام قول الحكيم ابن العباس الكلبي:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم أر مهدياً على الجذع يُصلب
وقستم بعثمان علياً سفاهةً وعثمان خير من علي وأطيب
فرفع الصادق عليه السلام يديه إلى السماء وهما يرعشان فقال: اللهم إن كان عبدك
كاذباً فسلط عليه كلبك، فبعثه بنو أمية إلى الكوفة فينما هو يدور في سككها، إذ
افترسه الأسد، واتصل خبره بجعفر الصادق عليه السلام فخرّ ساجداً ثم قال: الحمد لله
الذي أنجزنا ما وعدنا^(٢).

نتيجة البحث

من جميع ما تقدم نحصل على أمرين مهمين:

الأول: أن زيداً عليه الرحمة مبرء من جميع الاتهامات التي ألصقتها به أهل
السنة كادعائه الإمامة كما زعموا باطلاً.

الثاني: أنه كان معتقداً بإمامة أخيه الباقر ومن بعده الصادق عليهما السلام.
نعم، قد توجد بعض الأخبار المتعارضة حول زيد ولكن المحققين من
العلماء اتفقوا على جلالة قدره وما روي معارضاً لذلك عن زرارة أو غيره إنما
كان من باب التقية، أو روايات مجعولة يرويها الحسين بن علوان وعمرو بن
خالد وكلاهما من الزيدية لا يمكن الاعتماد عليهما، ولهذا قبل المحقق الوحيد
عليه السلام روايات القسم الأول التي تثني وتمدح زيد بينما لا يركن إلى ما عارضها لأنها

(١) البحار ج ٤٦ ص ١٨٧ باب ١١.

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٢ ح ٥٨.

صدرت من باب التقية، وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني في المقاتل مسنداً عن أبي قرّة يقول في نهايته: يا أبا قرّة والذي يعلم ما تحت وريد زيد بن علي إن زيد بن علي لم يهتك لله محرماً منذ عرف يمينه من شماله، يا أبا قرّة من أطاع الله أطاعه ما خلق^(١).

وجاء في التنقيح للعلامة المامقاني نقلاً عن سرائر ابن إدريس عن حذيفة ابن اليمان أن رسول الله نظر إلى زيد بن حارثة يوماً فقال: المقتول في الله والمصلوب في أمّتي المظلوم من أهل بيتي سمّي هذا، وأشار بيده إلى زيد بن حارثة، فقال له: أدن منّي يا زيد زادك اسمك عندي حباً، فأنت سمّي الحبيب من أهل بيتي^(٢).

وذكر أبو الفرج الاصفهاني بإسناده عن جرير بن حازم أنه قال: رأيت النبي ﷺ في المنام وهو متساند إلى جذع زيد بن علي وهو مصلوب وهو يقول: أهكذا تفعلون بولدي^(٣).

فهذه منزلة زيد الشهيد وهذه هي نظرنا المقدسة إلى زيد رحمة الله عليه وكل ما يروى غير ذلك يطرح بلا شك.

عقائد الزيدية الباطلة

سؤال أحد الحاضرين: إذن من هم الزيدية؟ وما هي آراؤهم؟
الجواب: الزيدية فرقة كانوا من بسطاء الشيعة أول أمرهم ثم انخدعوا ببعض الأقوال التي أثارها بعض المغرضين وقالوا بإمامة زيد بن علي، وقد

(١) مقاتل الطالبيين ص ١٢٥.

(٢) تنقيح المقال ج ١ ص ٤٧٠.

(٣) مقاتل الطالبيين ص ١٤٤.

خُذَعُوا بهذه المقالة: كُلُّ فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة يكون إماماً واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أم من أولاد الحسين عليهما السلام، ولأنَّ هذه الأوصاف تنطبق على زيد الشهيد فقالوا بإمامته.

فأما من حيث الصغرى والمقدمة فصحيح لأنَّ زيداً عالم وفاطمي وزاهد وشجاع سخي ولكن من حيث النتيجة فخطأ واضح، لأنَّ زيداً لم يدع الإمامة كما أشرنا إلى ذلك.

وقد ذكر العلامة المجلسي في البحار نقلاً عن الكافي مسنداً عن عيسى بن قاسم في حديث مفصل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: لا تقولوا خرج زيد، فإنَّ زيدا كان عالماً وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه إنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه إنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه^(١).

وروى خبر لقاء المتوكل بن هارون مع يحيى بن زيد، فقال يحيى: إنَّ أبي لم يكن بإمام ولكن من سادات الكرام وزهادهم وكان من المجاهدين في سبيل الله^(٢). وقد استفاد الزيدية من هذه الروايات التي تمدح زيد لإضفاء نوع من الرونق على مذهبهم الفاسد.

الجارودية: وأوَّل من جمع الزيدية هو أبو الجارود زياد بن منذر الهمداني النهدي الثقفي الكوفي كان موجوداً إلى عام ١٥٠هـ، وكان الإمام الباقر عليه السلام يسمِّيه سرحوب وهو شيطان أعْمى يسكن البحر^(٣)، وزعموا - الجارودية - أنَّ

(١) البحار ج ٥٢، ص ٣٠١، باب ٢٦، ط: المكتبة الإسلامية، ووسائل الشيعة ج ١١،

ص ٤٠٠، ح ١.

(٢) تقدّم مصدره.

(٣) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٤٤، والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٢٨ دار

الفكر - بيروت.

النبي ﷺ نص على علي عليه السلام بالوصف دون التسمية وهو الإمام بعده، وكفروا الصحابة لأنهم لم ينصبوا علياً عليه السلام. والإمامة بعد الحسن والحسين شورى في أولادهما فمن خرج منهم بالسيف وهو عالم شجاع هو الإمام.

السليمانية: فرقة ثانية من الزيدية أصحاب سليمان بن جرير، الذي خرج وثار في زمن المنصور الدوانيقي، قالوا: إن الإمامة شورى ويصح أن تنعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين، وأنها تصح في المفضول مع وجود الأفضل، وأثبتوا إمامة أبي بكر وعمر، لأن الأمة أخطأت في البيعة لهما مع وجود علي عليه السلام خطأ لا يبلغ درجة الفسق وذلك الخطأ خطأ اجتهدادي، غير أنهم - السليمانية - طعنوا في عثمان بن عفان وطلحة والزبير وعائشة وكفروهم لما صدر منهم.

التبرية أو الصالحية: وهم فرقة ثالثة من الزيدية، أتباع الحسن بن صالح ابن حي، أو حيان بن الشعني بن هني بن رافع الهمداني الثوري الكوفي وهو من العباد والفقهاء توفي عام ١٦٩هـ.

والآخر هو كثير النواء إسماعيل الذي توفي في نفس العام، وهما متفقان في المذهب إلا أن التبرية توقفوا في عثمان فلم يمدحوه ولم يذمّوه، وقد تفرع من التبرية أو الصالحية فروع كثيرة أتركها للاختصار.

وجميع فرق الزيدية يرجعون في الأصول إلى المعتزلة ويعظمون أنمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أنمة أهل البيت عليه السلام، وأما في الفروع فهم على مذهب أبي حنيفة إلا مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعي والشيعة.

وللزيدية فروع وشعب كثيرة جداً متفرقة في البلدان وأكثرهم في اليمن بسبب دولتهم وسلطنتهم الظاهرة في هذا البلد، والزيدية اليوم هو المذهب الرسمي للبلاد، وحاكمهم اليوم هو الملك أحمد بن يحيى وهو السابع والعشرين في سلسلة حكام اليمن من الزيدية، ومن الصدف أنني سمعت اليوم (الأربعاء ١٢ ربيع الثاني ١٣٨١هـ) أن الملك أحمد قد توفي في صنعاء عن عمر

يناهز الثالثة والسبعين وقام مقامه ولده سيف الإسلام محمد البدر وهو زيدي أيضاً، بعد أن نحى عبدالله السلال، ولكن الأخير حرك معه بعض القوات المسلحة وحاصر قصر السلطنة وطلب من الملك الجديد أن يسلم نفسه، ولما امتنع الملك ضربت مدافع عبدالله السلال قصر الملك حتى فر من القصر مع بعض رجاله إلى جبال اليمن وحكم عبدالله السلال اليمن وما تزال المناوشات قائمة بينهما. ويظهر من الأوضاع أنها نهاية حكم الزيدية.

الإمامية: وهم فرقة من فرق المسلمين يعتقدون - بالأدلة والبراهين القاطعة الساطعة الواضحة - أن رسول الله ﷺ نص على إمامة وخلافة علي عليه السلام وأنه وليه بعده وإمام أمته بأمر الله تعالى، وأن الإمامة مستمرة في ذريته إلى أحد عشر إماماً، وكل من مال عن هذا الاعتقاد فهو منحرف عن الحق.

ومؤلف هذا الكتاب العبد الذليل المطيع لله تعالى ولمحمد وآل محمد ﷺ من هذه الفرقة وهم الفرقة الناجية إن شاء الله كما سيظهر. وأما شرح عقائد الإمامية ورد جميع المزخرفات والأباطيل فسوق أشير إليها في آخر الكتاب كما تقدم بعضها.

الباقرية والجعفرية: وقد ذكرهما الشهرستاني في الملل والنحل وقال إن لهم عقائد خاصة، بينما اكتفى عبد القاهر البغدادي بذكر الباقرية، وكعاداته نسب مجموعة من الأكاذيب إليهم واعتبرهم من الشيعة، مع أن الشيعة لا تعرف لهذين الاسمين أي وجود خارجي، وقد ذكرهما الشهرستاني ونحوهما من فرق الواقفية، مع أن الواقفية ظهرت بعد إمامة الإمام الكاظم عليه السلام والتي أشرنا إليها سابقاً.

الناووسية: أتباع رجل يقال له عجلان بن ناووس من قرية ناوس قرب البصرة، قال إن الصادق عليه السلام حي بعد ولن يموت حتى يظهر فيظهر أمره وهو القائم المهدي.

الأفطحية: أتباع عبدالله الأفطح الابن الأكبر للإمام الصادق عليه السلام وسبب اتباعهم له لأنهم زعموا أن الإمامة في أكبر الأولاد وهو الأكبر، وزعموا أن الصادق عليه السلام قال: الإمام من يجلس مجلسي ويصلي عليّ ويولي غسلي وكان كل ذلك في عبدالله الأفطح...

ولا يوجد للأفطحية في يومنا هذا أي باقية فهي لا تستحق الوقوف عليها، ولكن لأن الشهرستاني خلط الأوراق كعادته فوجب علينا أن نقف قليلاً ونوضح بعض الحقائق لكم.

دراسة عن عبدالله الأفطح والأفطحية

ذكر الشيخ المفيد في الإرشاد أن للإمام الصادق عليه السلام عشرة أولاد^(١)، وكان عبدالله الأفطح في التسلسل بعد إسماعيل الذي توفي في حياة أبيه، ولهذا اشتبه الأمر على فئة فقالوا بإمامته، ولكن لم يكن عبدالله محل اهتمام والده الماجد، لأنه خالط الحشوية والمرجئة وأصحاب العقائد الفاسدة الذين أثروا على عقيدته وزلزلوه عن الحق فكانت توجهاته على غرار توجهات الفرق الضالة^(٢)، ولهذا ورد عنهم عليهم السلام: إياكم ومجالسة الأشرار، وبسبب هذه المجالسة والمخالطة لأهل الباطل فقد عبدالله عقيدته بالولاية، وادعى الإمامة لنفسه بعد رحيل الإمام الصادق عليه السلام فتبعه بعض القشريون والبسطاء من الشيعة فعرفوا بحرور الزمن بالفطحية سموا بذلك نسبة إلى رئيسهم عبدالله بن فطيح^(٣). وكانت علة دعواه الإمامة هو حب الرئاسة والسلطة والجاه والظهور على

(١) الإرشاد للمفيد ص ٢٨٤.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٨٥.

(٣) ذكر ذلك العلامة المجلسي في البحار ج ٤٧ ص ٢٦١ ح ٢٩ ط إيران / المترجم.

غرار ما كان عليه أصحاب الفرق الضالّة، وكانت حجّته أنّه أكبر أولاد الإمام وكان يزعم للناس أنّ والده ﷺ أوصى إليه.

سؤال أحد الحاضرين: إنكم قلتم أنّ عبدالله لم يكن محلّ توجّه واهتمام والده الإمام الصادق ﷺ فكيف أوصى إليه ليكون ذلك مبرّراً له لادّعائه الإمامة؟
الجواب: لقد تقدّم منا البحث حول الواقفية ولكن مع ذلك أوضح لكم المطلب، أمّا عن الوصية فلو كان الإمام الصادق قد أوصى إلى عبدالله لوحده دون سواء وخصّه بالوصية دون إخوته، لكان الأمر في غاية الإشكال، ولكن أفسد من عبدالله أبي جعفر المنصور الدوانيقي وقد ذكره الإمام الصادق ﷺ في الوصية أيضاً.

سؤال: ولماذا ذكر الإمام بعض أهل الفساد في وصيّته في نظرك وجعلهم أوصيائه؟

الجواب: أولاً لأنّه ﷺ لم يجعلهم أوصيائه بل جعلهم المتصدّين لإجراء أمر الوصية، وثانياً كانت هناك مصلحة خاصّة في ذكر أسماء هؤلاء مضافاً إلى الاختبار والامتحان لبعض الأفراد.

سؤال: هل يمكنكم أن تذكروا لنا وجه المصلحة في ذلك؟

الجواب: كان الإمام الصادق ﷺ يعلم أنّ المنصور يسعى لقتل وصيّ الإمام الصادق ﷺ وذلك لقطع نسل الإمامة والأئمّة، فلمّا علم الصادق ﷺ بذلك أدرج في وصيّته أسماء الصلحاء والطلّحاء ليفوّت الفرصة على الدوانيقي وليحفظ بهذه الطريقة وصيه الحقيقي والإمام القائم بعده وهو الإمام موسى الكاظم ﷺ. فقد ذكر العلامة المجلسي في البحار عن غيبة الشيخ الطوسي، وكذا في إعلام الوري لأمين الملة والإسلام الشيخ الطبرسي والمناقب لابن شهر آشوب عن أبي أيّوب الجوزي قال: بعث إليّ أبو جعفر المنصور في جوف الليل فدخلت عليه وهو جالس على كرسي وبين يديه شمعة وفي يده كتاب، فلمّا

سَلَمْتُ رَمِي إِلَى الْكِتَابِ وَهُوَ يَكْبِي، وَقَالَ: هَذَا كِتَابُ مُحَمَّدَ بْنِ سَلِيمَانَ وَالْيَ
الْمَدِينَةِ يَخْبِرُنِي أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ قَدْ مَاتَ فَإِنَّا لِلَّهِ وَأَنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَأَيْنَ مِثْلُ
جَعْفَرَ؟ ثُمَّ قَالَ لِي: اكْتُبْ فَكُتِبْتُ صَدْرَ الْكِتَابِ وَقَالَ لِي: اكْتُبْ إِنْ أَوْصَى إِلَى
رَجُلٍ بَعِينَةٍ فَقَدْ مَهْ وَأَضْرَبَ عَقْبَهُ فَرَجَعَ الْجَوَابُ مِنْ وَالِي الْمَدِينَةِ إِنَّهُ أَوْصَى إِلَى
خَمْسَةِ: أَبِي جَعْفَرَ الْمَنْصُورِ وَمُحَمَّدَ بْنَ سَلِيمَانَ وَعَبْدَ اللَّهِ وَمُوسَى ابْنِي جَعْفَرَ
وَحَمِيدَةَ، فَقَالَ الْمَنْصُورُ: لَيْسَ إِلَى قَتْلِ هَؤُلَاءِ مِنْ سَبِيلٍ^(١).

فهناك جنبه سياسية في مثل هذه الوصية بلحاظ الخطر والتهديد الذي
سيُعَرَّضُ لَهُ الْوَصِيُّ وَهَذَا هُوَ وَجْهُ الْمَصْلُحَةِ وَالْحِكْمَةِ فِي إِبْرَادِ اسْمِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى
جَانِبِ اسْمِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْوَصِيَّةِ، بَيْنَمَا إِذَا كَانَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ خَصَّ اسْمَ وَلَدِهِ
الْإِمَامِ مُوسَى الْكَاطِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَكَانَ قَدْ سَهَّلَ الطَّرِيقَ لِلْمَنْصُورِ فِي تَصْفِيَّتِهِ وَالْخُلَاصَ
مِنْهُ.

وَلَكِنْ مَعَ أَنَّ الْإِمَامَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرَ اسْمَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَفْطَحِ فِي الْوَصِيَّةِ إِلَّا أَنَّ
الْإِمَامَ الْحَقَّ وَالْقَائِمَ بِالصَّدْقِ لَا يَخْفَى وَلَا يَشْتَبِهُ أَمْرُهُ عَلَى أَهْلِ الْخَبِيرَةِ وَالْوَعْيِ إِذْ
بِإِمَّاكَانِهِمْ مَعْرِفَتَهُ بِشَخْصِهِ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ.

فَقَدْ جَاءَ فِي الْبَحَارِ وَالْمَنَاقِبِ لِابْنِ شَهْرَآشُوبٍ عَنْ دَاوُدَ الرَّقِّي أَنَّهُ قَالَ: وَفَدَّ
أَعْرَابِي عَلَى أَبِي حَمْزَةَ الثَّمَالِيِّ فَقَالَ: جِئْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَدْ مَاتَ جَعْفَرُ بْنُ
مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَشَقَّ أَبُو حَمْزَةَ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ الْأَرْضَ ثُمَّ سَأَلَ الْأَعْرَابِي هَلْ سَمِعْتَ
لَهُ بَوْصِيَّةً؟ قَالَ: أَوْصَى إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ وَإِلَى ابْنِهِ مُوسَى وَإِلَى الْمَنْصُورِ، فَقَالَ أَبُو
حَمْزَةَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَضِلَّنَا دَلٌّ عَلَى الصَّغِيرِ وَمَنْ عَلَى الْكَبِيرِ وَاسْتَرَ الْأَمْرَ
الْعَظِيمَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا مَعْنَى ذَلِكَ؟ قَالَ: بَيَّنَّ أَنَّ الْكَبِيرَ ذُو عَاهَةٍ، وَدَلَّ عَلَى الصَّغِيرِ

(١) الْبَحَارُ، ج ٤٧، ص ٣، ح ٨، الْكَافِي ج ١ ص ٢٤٧ ح ١٣ بَابُ النَّصِّ عَلَى مُوسَى
الْكَاطِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

بأن أدخل يده مع الكبير وستر الأمر العظيم بالمنصور حتى إذا سأل المنصور مَنْ وصيته؟ قيل: أنت^(١).

وفعلًا فلم ير الناس في عبدالله الأفطح سوى الجهل بأحكام الدين بخلاف ما رأوه في موسى الكاظم عليه السلام، فعرفوا بمرور الزمن أنه هو الإمام بعد أبيه وقد تقدّم الكلام حول ذلك.

وكان الإمام الصادق عليه السلام قد أخبر ابنه الكاظم عليه السلام عما سيحدث بعده فلزم السكوت ولم يدّع الإمامة بشكل علني، فقد قال الصادق عليه السلام له: يا بني إن أخاك سيجلس مجلسي ويدّعي الإمامة بعدي فلا تنازعه بكلمة فإنه أول أهلي لحوقاً بي^(٢)، وفعلًا فقد توفي عبدالله بعد سبعين يوماً من رحيل الإمام الصادق عليه السلام كما ذكره الكشي.

الشمطية: أتباع يحيى بن شميظ (وفي بعض الكتب ابن أبي شميظ وهو من فرسان جيش المختار) وقالوا - الشمطية - إن الإمام بعد الصادق عليه السلام ابنه محمّد وزعموا أن الصادق عليه السلام قال: إن صاحبكم اسمه اسم نبيكم - الموسوية والمفضلية: فرقة واحدة - كما قال الشهرستاني - قالت بإمامة موسى بن جعفر نصّاً عليه بالاسم.

والموسوية هم الفرقة الواقفية وقد تقدّم الكلام عنهم فلا نكرّر، وأمّا المفضلية فأيضاً قلنا سابقاً أنه لا توجد فرقة بهذا الاسم وإنما مجرد اتّهام لصقه أهل السنة بالفضل بن عمر.

الإسماعيلية: قالوا إن الإمام الصادق عليه السلام نصّ على إسماعيل باتّفاق من أولاده!!! إلا أنّهم اختلفوا في موته في حال أبيه فمنهم من قال لم يمّت إلا أنّه

(١) البحار ج ٤٧ ص ٢٥١ ح ٢٣ والخرائج ج ١ ص ٣٢٨.

(٢) البحار ج ٤٧ ص ٢٦١ ح ٢٩، والكشي ص ١٦٥.

أظهر موته تقية من خلفاء بني العباس وأنه عقد محضراً وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة.

ومنهم من قال: موته صحيح والنص لا يرجع القهقري والفائدة في النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيرهم، فالإمام بعد إسماعيل محمد بن إسماعيل، وهؤلاء يقال لهم «المباركية» ثم منهم من وقف على محمد بن إسماعيل وقال برجعته بعد غيبته، ومنهم من ساق الإمامة في المستورين منهم، ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم وهم الباطنية، وإنما مذهب هذه الفرقة الوقف على إسماعيل بن جعفر فعرفوا بالإسماعيلية.

دراسة حول الإسماعيلية وإسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام

علينا أن نعرف أولاً أنه لا يوجد أي ارتباط بين إسماعيل والإسماعيلية، فإسماعيل بري من الإسماعيلية تماماً، لأنه مات معتقداً بإمامة والده الصادق عليه السلام ولم يدع الإمامة لنفسه أبداً، بل كان مؤمناً خالصاً في ولانه واعتقاده، ومن أدلة ذلك محبة الصادق عليه السلام له في حياته وجزعه وحزنه عليه بعد وفاته حتى أنه عليه السلام مشى حافياً وراء جنازته^(١)، ومعلوم أن أهل البيت عليهم السلام يحبون في الله ويبغضون في الله، وعليه فكل من أحبه لا شك أنه مؤمن متقياً ورعاً، لأنهم لا يحبون الكافر والفاسد والمنحرف والعاصي، فحب الصادق عليه السلام لإسماعيل دليل على استقامته وإيمانه فضلاً عن أنه أكبر أولاده وأمه السيدة الجليلة فاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين الشهيد عليه السلام، فكان الصادق عليه السلام شديد الحب له حتى اعتقد بعض الشيعة أنه الإمام بعد أبيه لما يرونه من الاهتمام البالغ والحب

العظيم الذي يبرزه الصادق عليه السلام له^(١). فلَمَّا مات رجِعُوا عن تَوَهْمِهِمْ وقالوا بِإِمَامَةِ موسى الكاظم عليه السلام - كما صرَّحَ الشيخ المفيد عليه السلام بذلك - إلَّا بعض العوام والسذج الذين بقوا على القول بِإِمَامَةِ إسماعيل وهؤلاء هم الإسماعيلية.

وبالجملة فإسماعيل كانت له منزلة عظيمة ومكانة كبيرة في قلب الإمام الصادق عليه السلام، وأما ما روي من روايات الذمِّ فيه فهي ضعيفة لا يمكن التَّركون إليها ولا تصلح للمعارضة مثل خبر الحسن بن راشد، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن إسماعيل؟ فقال عليه السلام: عاصٍ عاصٍ لا يشبهني ولا يشبه أحداً من آبائي^(٢).

وقد ذكره العلامة المامقاني في التنقيح^(٣) ثم قال: مع أنَّ الخبر ضعيف ولكن مع ذلك فإنَّ مراد الإمام الصادق عليه السلام هو أنَّ إسماعيل لا يشبهني ولا يشبه آبائي في أمر الإمامة وهو - أي هذا التأويل والحمل - المتعيَّن ودليله خبر فيض ابن المختار الطويل - أي الخبر - فعندما قال فيض للإمام الصادق عليه السلام: جُعِلَتْ فداك فما على إسماعيل ألا يلزمك إذا كنت متي مضيت أفضيت الأشياء إليه من بعدك كما أفضيت الأشياء إليك من بعد أبيك؟ فقال عليه السلام: يا فيض إنَّ إسماعيل ليس متي كما أنا من أبي، قلت: جعلت فداك فقد كان لا شكَّ في أنَّ الرِّحال تحطُّ إليه من بعدك، فإنَّ كان ما نخاف ونسأل الله من ذلك العافية فإلى مَنْ؟ وأمسك عني فقبَّلت ركبتيه وقلت: ارحم شيعتي فإنَّما هي النار إنَّسي والله لو طمعت أن أموت قبلك ما باليت ولكنِّي أخاف أن أبقى بعدك، فقال لي: مكانك

(١) لقد روي في البحار ج ٤٧ ص ٢٦٨ ح ٤٠ عن سرائر ابن إدريس مسنداً عن عمَّار ابن حيَّان أنَّه قال: أخبرني أبو عبد الله عليه السلام ببرِّ ابنه إسماعيل، وقال: لقد كنت أحبه وقد ازداد إليَّ حباً / المؤلف.

(٢) البحار ج ٤٧ ص ٢٤٧ ح ٨ ط إيران، أقول: روي عن عبيد بن زرارة أيضاً بلا كلمة عاصٍ عاصٍ / المترجم.

(٣) تنقيح المقال ج ١ ص ١٣٢ ط حجري.

ثم قام إلى ستر في البيت فرفعه ودخل فمكث قليلاً ثم صاح بي يا فيض ادخل، فدخلت فإذا هو بمسجد قد صلى وانحرف عن القبلة فجلستُ بين يديه، فدخل عليه أبو الحسن موسى عليه السلام وهو يومئذ غلام في يده دُرّة فأقعده على فخذه وقال له: بأبي أنت وأمي ما هذه المخفقة التي بيدك؟ فقال: مررت بعلي أخي وهي في يده وهو يضرب بها بهيمة فانزععتها من يده، فقال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا فيض إن رسول الله صلى الله عليه وآله أفضيت إليه صحف إبراهيم وموسى فانتمن عليها علياً ثم انتمن عليها علي الحسن ثم انتمن عليها الحسن الحسين، وانتمن الحسين عليها علي بن الحسين ثم انتمن عليها علي بن الحسين محمد ابن علي، وانتمنني عليها أبي فكانت عندي ولهذا انتمنت ابني هذا عليها علي حدائته وهي عنده، فعرفتُ ما أراد.

فقلت: جعلت فداك زدني فقال: يا فيض إن أبي كان إذا أراد أن لا تردّ له دعوة أجلسني عن يمينه ودعا فأمنت فلا تردّ له دعوة وكذلك أصنع بابني هذا وقد ذكرت أمس بالموقف فذكرتك بخير، قال فيض: فيكيت سروراً.

ثم قلت له: يا سيدي زدني، فقال: إن أبي كان إذا أراد سفراً وأنا معه فنعس وكان علي راحلته أدنيت راحلتي من راحلته فوسدته ذراعي الميل والميلين حتّى يقضي وطره من النوم وكذلك يصنع بي ولدي هذا، فقلت: زدني جعلت فداك، قال: يا فيض إنني لأجد بابني هذا ما كان يعقوب يجده من يوسف فقلت: سيدي زدني، فقال: هو صاحبك الذي سألت عنه قم فأقرّ له بحقه، فقمت حتّى قبلت يده ورأسه ودعوت الله له، فقال أبو عبدالله عليه السلام أما إنّه لم يؤذن لي في العرة الأولى منك.

فقلت: جعلت فداك أخبر به عنك؟ قال: نعم أهلك وولدك ورفقاءك، وكان معي أهلي وولدي وكان معي يونس بن ظبيان من رفقائي فلما أخبرتهم حمدوا الله على ذلك، وقال يونس: لا والله حتّى أسمع ذلك منه، وكانت فيه

عجلة فخرج فاتبعته فلما انتهيت إلى الباب سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول له: الأمر كما قال لك فيض، اسكت واقبل. فقال: سمعت وأطعت^(١).

وهذا الخبر يؤيد ما ذكر العلامة المامقاني من أن موسى كان يشبه والده في أمر الإمامة فهو المعين والمنصوص عليه، بينما لم يكن إسماعيل يشبه والده في أمر الإمامة كالعصمة مثلاً.

ويؤيد ذلك أن الإمام اللاحق يجب أن يبقى حياً بعد موت الإمام السابق والحال أن إسماعيل مات في حياة أبيه فيصدق عليه أنه لا يشبه الإمام ولا يشبه آبائه لأن اللاحق منهم كان حياً بعد رحيل الإمام السابق.

ولا يمكن الشك في وفاة إسماعيل خلافاً لمزاعم الإسماعيلية، إذ أكد الإمام الصادق وفاة ولده العزيز بشكل عملي ولا يمكن الشك فيه، فقد روى عن زرارة بن أعين قال: دعا الصادق عليه السلام داود بن كثير الرقي وحرمان بن أعين وأبا بصير ودخل عليه المفضل بن عمر وأتى بجماعة حتى صاروا ثلاثين رجلاً فقال: يا داود اكشف عن وجه إسماعيل فكشف عن وجهه فقال: تأمله يا داود فانظره حي هو أم ميت؟ فقال: بل هو ميت، فجعل يعرضه على رجل رجل حتى أتى على آخرهم فقال عليه السلام: اللهم اشهد ثم أمر بغسله وتجهيزه ثم قال: يا مفضل أحسر عن وجهه فحسر عن وجهه، فقال: حي هو أم ميت؟ انظروه أجمعكم فقال: بل هو يا سيدنا ميت، فقال: شهدتم بذلك وتحققتموه؟ قالوا: نعم وقد تعجبوا من فعله فقال: اللهم اشهد عليهم ثم حمل إلى قبره فلما وضع في لحده قال: يا مفضل اكشف عن وجهه فكشف فقال للجماعة: انظروا حي هو أم ميت؟ فقالوا: بلى ميت يا ولي الله، فقال: اللهم اشهد فإنه سيرتاب المبطلون يريدون إطفاء نور الله ثم أوماً إلى موسى عليه السلام وقال: والله متم نوره ولو

كره الكافرون، ثم حثوا عليه التراب، ثم أعاد علينا القول فقال: الميِّت المكفَّن المحنَّط المدفون في هذا اللحد مَنْ هو؟ قلنا: إسماعيل ولدك، فقال: اللَّهُمَّ اشهد ثم أخذ بيد موسى فقال: هو حقُّ والحقُّ معه ومنه وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها^(١).

وروي أنه ﷺ مشى خلف جنازته بلا رداء ولا حذاء وكان يكشف عن وجهه كل حين.

وروى العلامة المجلسي عن إكمال الدين مسنداً عن سعيد عبيد الله الأعرج قال: قال أبو عبد الله ﷺ لما مات إسماعيل: أمرت به وهو مسجى بأن يكشف عن وجهه فقبلتُ جبهته وذقنه ونحره، ثم أمرتُ به فغطيتُ ثم قلت: اكشفوا عنه فقبلتُ أيضاً جبهته وذقنه وغرّه ثم أمرتهم فغطّوه، ثم أمرتُ به فغسل ثم دخلتُ عليه وقد كفّن فقلت: اكشفوا عن وجهه فقبلتُ جبهته وذقنه ونحره وعوذته ثم قلت: أدرجوه فقلتُ - الراوي -: بأي شيء عوذته؟ قال: بالقرآن، انتهى.

قال الشيخ الصدوق: بعد قوله ﷺ أمرتُ به فغسل يبطل إمامة إسماعيل لأن الإمام لا يغسله إلا إمام إذا حضره^(٢).

سؤال أحد الحاضرين: ألم تقل أن إسماعيل أكبر أولاد الإمام الصادق ﷺ؟

الجواب: من البديهي ذلك.

سؤال: إذن لماذا تبطلون عقيدة الإسماعيلية القائلون كما تقولون أنتم أن أكبر أولاد الإمام هو الإمام بعده؟

(١) إكمال الدين ج ١ ص ١٦٠ والبحار ج ٤٧ ص ٢٤٧ ح ١٠.

(٢) إكمال الدين ج ١ ص ١٦٠ والبحار ج ٤٧ ص ٢٤٧ ح ١٠.

من شرائط الإمام

الجواب: هذا القول: إن أكبر أولاد الإمام هو الإمام من بعده ليس مطلقاً وكلياً، بل يلاحظ مع مجموعة من الشرائط والخصوصيات الواجب توفرها في الولد الأكبر والآ فلا منها:

أولاً: أن يكون الأعلم والأفضل والأورع والأتقى و... من جميع الناس.
ثانياً: خلوه من نقص الخلقة التكوينية.

ثالثاً: أن يكون منصوصاً عليه باسمه وصفته من النبي ﷺ أو الإمام السابق.
رابعاً: أن يكون حياً بعد موت الإمام السابق.

فأما بالنسبة لعبد الله الأفتح فلم يتوفر فيه الشرط الأول والثاني والثالث، وأما إسماعيل فإنه مات قبل أبيه كما سبق ذكره، فضلاً عن فقد الشرائط الأخرى فيه، فلا معنى لنصبه إماماً بل سيكون نوعاً من اللغو والعبثية، والإمام منزّه عن هذه التصرفات.

بل نذهب إلى أن تعيين الإمام من الله تعالى وهو سبحانه يأمر النبي بإعلانه والنبي ﷺ يأمر الإمام بذلك، فلو كان الله يعلم إن الابن سيموت قبل أبيه ومع ذلك يأمره بتنصيبه إماماً للناس للزم العبث واللغو على الله تعالى، والمولى سبحانه منزّه عن ذلك.

ثم إنه لا توجد أي رواية تنص على إمامة إسماعيل، بل توجد روايات نفى إمامته التي جاءت على أثر شبهة.

وأما حب الإمام الصادق عليه السلام له لا يصلح أن يكون دليلاً على إمامته، رغم أن الإسماعيلية تمسكوا بذلك، ولا يوجد عندهم أي خبر صريح على إمامة إسماعيل، فمذهبهم قائم على التوهم والخيال وهو باطل، بل ورد النفي الصريح فقد روي عن إسحاق بن عمار قال: وصف إسماعيل أخى لأبي عبد الله عليه السلام دينه

واعتقاده فقال: إنني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنكم - ووصفهم يعني الأئمة واحداً واحداً حتى انتهى إلى أبي عبد الله عليه السلام - قال: وإسماعيل من بعدك، قال عليه السلام: أما إسماعيل فلا^(١).

سؤال أحد الحاضرين: إذن ما معنى قول الصادق بوقوع البداء في ولده إسماعيل؟ يعني أنه كان إماماً أولاً ثم حصل البداء بتغييره؟

الجواب: موضوع البداء كما تصوّرتموه وكما تصوّره غيركم في الإمامة غير صحيح، غاية ما في الأمر أن الإمام الصادق وصلت إلى مسامعه أخبار عن احتمال قتل ولده إسماعيل فدعا الله سبحانه أن يصرف عنه القتل، فاستجاب الله له دعائه وصرف عنه القتل فظهر للناس ما كان خافياً عليهم من نجاة إسماعيل كما تقدّم شرحنا للبداء، وقد روى ذلك شيخنا المفيد عليه السلام في كتاب العيون والمحاسن عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ما بدا لله في كلّ شيء كما بدا له في إسماعيل، فإنها على غير ما توهموه من البداء في الإمامة وإنما معناها ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إن الله تعالى كتب القتل على ابني إسماعيل مرتين، فسألته فيه فعفى عن ذلك فما بدا له في شيء كما بدا له في إسماعيل^(٢).

وقال الشيخ المفيد: وأما الإمامة، فإنه لا يوصف الله فيه بالبداء وعلى ذلك إجماع فقهاء الإمامية وقالوا مهما بدا لله في شيء فلا يبدو له في نقل نبي عن نبوته ولا إمام عن إمامته ولا مؤمن قد أخذ عهده بالإيمان عن إيمانه^(٣).

وبعد كلّ هذا لا يبقى للإسماعيلية أي أصل من الأصول يعتمدون عليه في إثبات إمامة إسماعيل لاسيما فقدان النص.

(١) البحار ج ٤٧ ص ٢٦١ ح ٢٨.

(٢) العيون والمحاسن ج ٢ ص ١٠٢.

(٣) المصدر نفسه.

سؤال: يقال إن الإمام الصادق عليه السلام أوصى إلى ابنه إسماعيل ولكنه شرب الخمر فلما علم الصادق عليه السلام بذلك غير وصيته وأدرج اسم ابنه موسى بدل إسماعيل وجعله وصيته.

الجواب: هذا القول بجملته كذب صريح يبطله ما تقدّم حين قلنا إن الإمام الصادق عليه السلام كان شديد الحب لإسماعيل ابنه وقلنا إن الإمام يحب في الله ويبغض في الله فلا يعقل أنه عليه السلام يحب العاصي، كما لا يعقل أن يحزن ويجزع ويتألم على العاصي كما حصل من الإمام الصادق عليه السلام ذلك بعد وفاة إسماعيل. وأما موضوع شربه للخمر فقد ذكر العلامة المجلسي في البحار عن إكمال الدين والخرائج للقطب الراوندي مسنداً عن الوليد بن صبيح قال: جاءني رجل فقال لي: تعال حتى أريك أين الرجل؟ قال: فذهبت معه قال: فجاءني إلى قوم يشربون فيهم إسماعيل بن جعفر فخرجت مغموماً، فجئت إلى الحجر فإذا إسماعيل بن جعفر متعلق بالبيت يبكي، قد بلّ أستار الكعبة بدموعه فرجعت أشتدّ فإذا إسماعيل جالس مع القوم، فرجعت فإذا هو أخذ بأستار الكعبة قد بلّها بدموعه قال: فذكرت ذلك لأبي عبد الله عليه السلام فقال: لقد ابتلي ابني بشيطان يتمثل في صورته^(١).

وأيضاً جاء في البحار نقلاً عن كتاب زيد النرسي^(٢) أنه روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن شيطاناً قد ولع بابني في إسماعيل يتصوّر في صورته ليفتن به الناس وإنه لا يتصوّر في صورة نبي ولا وصي نبي، فمن قال لك من الناس: إن إسماعيل ابني حي لم يمت فإنما ذلك الشيطان تمثّل له في صورة إسماعيل ما

(١) البحار ج ٤٧ ص ٢٤٧ ح ٦.

(٢) زيد النرسي: من الرجال الموثقين صحيح الاعتقاد قال عنه العلامة الطباطبائي: إن زيدا من أصحاب الأصول صحيح المذهب / المؤلف.

زلت أبتهل إلى الله عزوجل في إسماعيل ابني أن يحييه لي ويكون القيم من بعدي فأبني ربّي ذلك، وأنّ هذا شيء ليس إلى الرجل منّا يضعه حيث يشاء، وإنّما ذلك عهد من الله عزوجل يعهده إلى من يشاء، فشاء الله أن يكون ابني موسى، وأبى أن يكون إسماعيل ولو جهد الشيطان أن يتمثل بابني موسى ما قدر على ذلك أبداً والحمد لله^(١).

ومن هذين الخبرين نحصل على أمور:

الأول: إنّ الذي يشرب الخمر ليس إسماعيل وإنّما هو الشيطان لوجود اختلافاً في عقائد الناس.

الثاني: بإمكان تصوّر الشيطان بأي صورة شاء إلا صور الأنبياء والأوصياء.

الثالث: إنّ إسماعيل ليس إماماً، بدليل تصوّر الشيطان بصورته.

الرابع: عهد الإمامة عهد إلهي لا دخل للبشر به ولا للرغبات.

خامساً: الخبر يصرّح بعدم إمامة إسماعيل ويثبت إمامة موسى، ومع كلّ هذه التصريحات من الإمام الصادق عليه السلام حول ابنه إسماعيل إلا أنّ جماعة من البسطاء والمغرضين وأصحاب المصالح والمناصب سعوا إلى تأسيس فرقة الإسماعيلية.

إشارة إلى فرق الإسماعيلية الثلاث

ثم إنّ الذين اعتقدوا بإمامة إسماعيل انقسموا إلى ثلاث فرق:

الأولى: اعتقدت أنّ إسماعيل لم يمّت وهو حي لكنّه غائب وهو الإمام الموعود الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ وهو المنجي والمخلص للبشرية، وقالوا إنّ الصادق عليه السلام وضعه في التابوت وأظهر موته تقيّة خوفاً من خلفاء بني العباس.

الثانية: ومن الإسماعيلية من قال بإمامة محمّد بن إسماعيل بعد وفاة

الصادق عليه السلام، لأنه عليه السلام كان قد أوصى إلى إسماعيل ومن ثم انتقلت الإمامة إلى ولد إسماعيل، وهو غائب وسيظهر في آخر الزمان ليقيم العدل في الأرض. ولم تطل الفترة حتى انقرضت الفرقة الأولى والثانية.

الثالثة: وهم لا يختلفون عن الفرقة الأولى والثانية فيعتقدون بإمامة محمد ابن إسماعيل ثم إلى أولاده وأحفاده، وهم اليوم أي عام (١٣٨٣هـ) منتشرون في أطراف البلاد وأشهرهم فرقان هما: أ- البهرة ب- الاقاخانية، وهم متواجدون في الهند لاسيما في بمباي وكراچي.

أسماء المؤسسين

وقد استبصر من هاتين الفرقتين جماعة عرفوا باسم (الخوجة الاثنا عشرية) وهم في الهند أيضاً وصاروا شيعة اثنا عشرية لاسيما شيخهم وكبيرهم الشيخ محمد كريم بن محمد علي الخراساني الذي كتب كتاباً استعرض فيه الضلالات الإسماعيلية وأسماء بـ (التنبيهات الجليلة في كشف أسرار الباطنية) وذكر في التنبيه الثالث من الفصل الثاني: إن الذين أسسوا طريقة الإسماعيلية سبعة أشخاص أو ستة وهم:

١ - عبدالله بن ميمون القداح، ذكره السيد مرتضى داعي الرازي في كتاب تبصرة العوام، وذكره صاحب كتاب سوسنة سليمان وقال عنه أنه كان ماهراً في علمي الفلسفة والطبيعات، وادّعى أنه هو عبدالله بن محمد بن إسماعيل وتبعه أكثر الإسماعيلية.

٢ - يحيى بن كردويه، ذكره صاحب كتاب عمدة الطالب وذكر أنه كان يقول أنا محمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل.

٣ - حسين بن كردويه أخ يحيى، ادّعى أنه أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل. وقد نقل أرباب التواريخ أن محمد بن إسماعيل كان له ولدان أحدهما

إسماعيل والثاني جعفر الشاعر.

٤ - حمدان بن الأشعث وهو من رؤساء الباطنية.

٥ - أبو سعيد حسن بن بهرام الجنابي (نسبة إلى جنابة من أطراف فارس لها اتصال بالبحرين كما ذكره ابن خلكان).

٦ - أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد.

٧ - حمدان، قرمط (أو بلا اسم) فقد ذكر المؤرخ الطبري وابن الأثير ضمن أحداث عام ٢٧٨هـ، أن هذا الرجل من الأهواز سكن الكوفة لمدة في منطقة يقال لها النهرين وأظهر الزهد والتقشف فكان يصوم النهار ويقوم الليل حتى اجتمع حوله بعض السذج والبسطاء وزعم أنه من أنمة أهل بيت رسول الله ﷺ، وهو يقصد أنه يحيى بن كردويه.

وطيلة بقائه في العراق كان معروفاً باسم (ظاهر) وعرف بصاحب بيت الكرمية حتى اجتمع حوله اثنا عشر شخصاً أطلق عليهم اسم النقباء وقال لهم: أنتم مثل حواربي عيسى بن مريم وخصص لكل واحد منهم عمل معين. ثم ارتحل إلى بلاد الشام وانقطعت أخباره، ولكن بقي بعض أفراد الملاحدة الباطنية ضمن تشكيلات الإسماعيلية.

ظهور دولة الإسماعيلية

وأول ظهور سياسي للإسماعيلية كان في مصر وأفريقيا حيث حكموا فيها مقابل حكم بني العباس، واستمرت حكومتهم وسلطتهم (٢٦٠) عاماً، وحكم خلالها (١٤) حاكماً وهم:

١ - عبيد الله (أو محمد بن عبد الله) المهدي.

٢ - محمد بن المهدي (القائم بأمر الله).

٣ - إسماعيل المنصور بقوة الله.

- ٤ - المعزّ لدين الله أبو تميم معد بن إسماعيل .
 - ٥ - أبو منصور العزيز بالله نزار بن معد .
 - ٦ - أبو علي الحاكم بأمر الله منصور بن نزار .
 - ٧ - أبو الحسن الطاهر لدين الله علي بن منصور .
 - ٨ - أبو تميم المستنصر بالله سعد (أو معد) بن علي .
 - ٩ - أبو القاسم المستعلي بالله أحمد بن سعد (أو معد) .
 - ١٠ - أبو علي الأمر بأحكام الله منصور بن أحمد .
 - ١١ - أبو ميمون الحافظ لدين الله عبد الحميد بن المستنصر .
 - ١٢ - أبو منصور الظافر بالله محمد بن عبد الحميد .
 - ١٣ - أبو القاسم الفائز بنصر الله عيسى بن محمد .
 - ١٤ - أبو عبد الله العاضد لدين الله محمد بن عيسى .
- وذكر صاحب حبيب السير عن مرآة الجنان أنَّ مدّة حكم الإسماعيلية كانت ٢٦٦ عاماً، وقد بدأ الضعف يدبّ في سلطانهم بعد وفاة المستنصر بالله عام ٤٨٧هـ إلى أن انقرضوا.

انشقاق الإسماعيلية

كان المستنصر بالله الأول قد أوصى إلى ولده الكبير المصطفى لدين الله نزار بولاية العهد، ولكن لم تمضِ مدّة طويلة ورأى منه بعض الأفعال والأعمال المشينة فأمر بعزله عن ولاية العهد، وأدرج مكانه ولده الأصغر المستعلي بالله أحمد ولياً للعهد.

فلما توفي المستنصر انشق الإسماعيلية إلى فرقتين، فرقة مع المستعلي وفرقة مع المصطفى بالله لاعتقادهم أنّه هو المنصوص عليه أولاً. وظلّ هذا الانشقاق قائماً إلى يومنا هذا، فالذين مالوا مع المستعلي يطلق

عليهم اليوم (البهرة) والذين مالوا مع نزار يُطلق عليهم (الخوجة والاقاخانية) وكلاهما في الباكستان والهند.

ولا يمكن في هذا الكتاب أن أقف على تفصيل تاريخ الإسماعيلية لاسيما بعد ظهور (حسن الصباح الحميري) في قلعة (ألموت) في قزوین، والاختلاف الذي حصل بين المؤرخين في صحّة انتسابه إلى الإمام الصادق عليه السلام، فضلاً عن عقائدهم الباطلة واختلاطهم مع القرامطة والباطنية^(١).

الباطنية: فرقة قالت إنّ لكلّ ظاهر باطن ولكلّ تنزيل تأويل وأطلق أصحاب الملل والنحل كالشهرستاني عدّة أسماء وألقاب لهذه الفرقة حيث قال: فبالعراق يسمّون: الباطنية والقرامطة والمزدكية، وبخراسان: التعليمية والملحدة وهم يقولون: نحن إسماعيلية، لأنّا تميّزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص.

ثمّ إنّ الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنّفوا كتبهم على هذا المنهاج^(٢).

وكانوا يتمسّكون بظواهر بعض الآيات والروايات عن أهل البيت عليهم السلام ويأوّلونها بما يريدون خداعاً للسطاء والعوام وقالوا بالحركة الدورية والعقول العشرة، ويقسمون عالم الخلق والنبوة والوصاية إلى سبعة أدوار.

(١) لزيادة التفصيل راجع وفيات الأعيان وروضة الصفا وحبيب السيرة والكامل في التاريخ وتاريخ فرقة الاغاخانية والبهرة... / المؤلف.

أقول: كان بدء صعود حسن بن محمد بن الصباح لقلعة ألموت سنة ٤٨٣هـ وهي أشهر قلعة حصينة من قلاع طالقان من نواحي قزوین بناها أحد ملوك الديلم وسمّاها إله موت أي: تعليم العقاب (الصقر) وكتب حسن الصباح كتاباً جعله منهجاً لأتباعه ملئ بالمغالطات وسيأتي المصنّف لذكره لاحقاً / المترجم.

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٧٢.

دراسة عن ظهور الباطنية ومفاسدهم

ذكر ابن الأثير في الكامل أنَّ الباطنية ظهوروا في عام ٢٧٨ هـ ولهم أباطيل وأكاذيب كثيرة في تأويلهم للآيات والأخبار يخدعون بها العوام من الناس . وفي عام ٢٧٩ هـ ظهر أبو سعيد الجنابي في بلاد البحرين والتفَّ حوله بعض الأعراب فحكمها .

وفي عام ٢٨١ هـ (أو عام ٢٨٧ كما ذكره ابن خلكان في الوفيات)^(١) تحرَّكوا باتجاه البصرة، وكان الخليفة العباسي آنذاك المعتضد بالله فأرسل إليهم جيشاً جزّاراً بقيادة العباس بن عمرو الغنوي، فدارت حرباً ضروساً بين الطرفين حتّى انتصر أبو سعيد الجنابي وانهزم جيش بني العباس وأسر منهم خلقاً كثيراً فأمر أبو سعيد بقتلهم جميعاً بينما أطلق سراح قائدهم العباس بن عمرو وأرسله إلى الخليفة العباسي ببغداد ليقصّ عليه الأحداث، ثم أمر بحرق جثث القتلى^(٢) .

ثم جاء يحيى بن كردويه وحارب المكتفي بالله ودارت بينهما حرباً عظيمة فقتل يحيى فيها، ثم ظهر أخوه أحمد بن عبدالله الذي زعم أنّه أحمد بن عبدالله ابن محمّد بن إسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام والذي عُرف بـ (ذكرويه)^(٣) ،

(١) أقول: وذكر المؤرخ الطبري أنّه خرج في هذه السنة أيضاً أي ٢٨٧ هـ، انظر تاريخه ج ٥ ص ٦٣٠ ط دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٨ م / المترجم .

(٢) وكانوا سبعمائة كما ذكره الطبري ج ٥ ص ٦٣٣، وتاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٣٥٠ ط بيروت، الأعلمي / المترجم .

(٣) أقول: جاء في تاريخ الطبري بالزاء أي (ذكرويه) فراجع أحداث سنة ٢٨٩، وذكر أنّ أحمد كانت له شامة في وجهه زعم أنّها آيته وكان له غلام اسمه المطوق قلّده قتل أسرى المسلمين وتسمّى بإمرة المؤمنين!! أنظر الطبري ج ٥ ص ٦٤٣ ط بيروت،

فترغم الأعراب ودخل الشام عام ٢٨٩هـ، ثم التحق بهم عبدالله بن سعيد المكنى بأبي غانم عام ٢٩٢هـ وكان في العراق.

فتحركوا جميعاً عام ٢٩٤هـ بقيادة ذكرويه لقطع طريق الحاج إلى مكة فهجموا على قافلة الحجاج وجعل أصحابه ينخسون الجمال بالرماح ويبيعونها بالسيوف فنظرت وأكب أصحابه على الحاج يقتلونهم كيف شاؤوا فقتلوا الرجال والنساء وسبوا من النساء من أرادوا واحتوا على ما كان في القافلة^(١).

وفي سنة ٣٠١هـ قُتل أبو سعيد الجنابي بيد خادمه^(٢) في الحماق فقام ابنه أبو ظاهر سليمان بن أبي سعيد مقام أبيه وكان هذا مصادفاً لظهور الخلافة الإسماعيلية في مصر والقارة الأفريقية.

وفي عام ٣١١هـ سار أبو ظاهر مع جماعة كثيرة نحو البصرة، فلما وصلوها ليلاً تسلقوا سورها ودخلوها سرّاً فسيطروا عليها وقتلوا الوالي مع جماعة كثيرة معه ونهبوا أموال الناس وأمتعتهم.

وفي عام ٣١٢هـ قطعوا طريق مكة وهاجموا قافلة الحجاج ونهبوا أموالهم وأمتعتهم وإبلهم وتركوهم في الصحراء بلا ماء وطعام وراحلة فمات بعضهم من الجوع والعطش وحرارة الشمس.

وفي هذا العام دخل أبو ظاهر الكوفة وقتل جماعة كبيرة من الناس ونهبوا أموالهم وحملوا أشياءهم النفيسة وكان ذلك في خلافة المقتدر بالله العباسي.

→ بينما ذكر ابن خلدون أن أحمد هذا يسمى (ذكرويه) كما ذكره المصنف رحمه الله.

أنظر تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٣٥٠ / المترجم.

(١) أنظر المصدر السابق (تاريخ الطبري) ص ٦٦٥.

(٢) المصدر نفسه ص ٦٧٨.

ثم عاد الكرة أبو ظاهر عام ٣١٥هـ على الكوفة والأنبار وقتل الأهالي وسرق الأموال، ثم سار عام ٣١٦ إلى الرقة.

المنحرفون الثلاثة^(١)

وفي هذا العام خرج الحسين بن منصور الحلاج في بغداد يدعو إلى مذهبه الصوفي الباطني الفاسد. وظهر الشلمغاني في بغداد أيضاً وسار إلى الموصل^(٢)، وأيضاً ظهر حريث بن مسعود وهو أحد رؤساء الباطنية في واسط.

فوجد أبو ظاهر ضالته في هؤلاء، إذ كان كل همة هو إضلال الناس ودك قواعد الإسلام وإيجاد الانحراف العقائدي في قلوب المسلمين، فلمّا ظهر هؤلاء، دعى أبو ظاهر إلى الحلاج ودعى إلى عقائده الفاسدة وزندقته الظاهرة، وهكذا دعى إلى الشلمغاني وأيده وناصره.

قال القاضي أحمد بن خلكان في وفيات الأعيان نقلاً عن كتاب أصول الدين لإمام الحرمين عبد الملك الجويني، (فإنّه كان في عصر الحلاج والجنابي، وأموره كلّها مبنية على التموهيات، وقد ذكره جماعة من أرباب التاريخ، فقال شيخنا عزّ الدين بن الأثير في تاريخه الكبير في سنة اثنين وعشرين وثلثمائة فصلاً طويلاً اختصرته، وهو: وفي هذه السنة قُتل أبو جعفر محمّد بن عليّ الشلمغاني، وسبب ذلك أنّه أحدث مذهباً غالياً في التشيع والتناسخ وحلول الإلهية فيه...) ^(٣).

(١) أقول: لم يذكر المصنّف ﷺ سلطان الواعظين هذا العنوان في الأصل بل ذكرته أنا إشارة إلى أهميّة الموضوع / المترجم.

(٢) راجع غيبة الشيخ الطوسي، باب ذكر المؤمنين الذين ادّعوا الباطنية ص ٢٤٨.

(٣) راجع وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢، ص ١٥٥، رقم ٢٦، ط: بيروت دار الثقافة.

قتل أبي طاهر لحجّاج الكعبة

وفي عام ٣١٧هـ تحرّك أبو طاهر الملعون مع أتباعه نحو بيت الله الحرام فدخلها يوم التروية وقتل جميع الحجّاج فيها في المسجد الحرام، فقام أمير مكّة مع جماعة من الأشراف لمقاتلة أبي طاهر ومنعه من جرائمه، فدارت بينهما حرباً انتهت بقتل أمير مكّة والأشراف، ثمّ قام أبو طاهر ورمى بعض القتلى في بئر زمزم بينما دفن البقية في المسجد الحرام بلا غسل ولا كفن ولا صلاة، بعدها نهبوا أموال الناس كلّها وحملوها معهم، وأنزلوا (حُلّة) الكعبة وقسموها فيما بينهم، وأصعدوا رجلاً إلى سطح الكعبة لقلع الميزاب الذهبي إلاّ أنّه سقط ومات. وأخذوا الحجر الأسود من مكانه وحملوه معهم إلى بلاد البحرين^(١). وفي عام ٣٢٣هـ قطعوا الطريق على قافلة الحاج في القادسية وقتلوهم ونهبوا أموالهم وأمتعتهم.

وفي عام ٣٣٢هـ مات أبو طاهر الملعون والتحق بالدرك الأسفل من النار، وفي عام ٣٦٠هـ تحرّك الباطنية بقيادة الحسين بن أحمد بن بهرام القرمطي نحو دمشق فسيطر عليها وعلى بلاد الشام كلّها ومنها سار نحو مصر بعد أن قتل جعفر ابن فلاح نائب المصريّين، وكان ذلك في خلافة المعزّ لدين الله وهو رابع

(١) أقول: ذكر الشيخ البهائي: أنّه في سنة ٣١٠هـ دخلت القرامطة إلى مكّة في أيّام الموسم وأخذوا الحجر الأسود وبقي عندهم عشرين سنة وقتلوا خلقاً كثيراً، وممّن قتلوا علي بن بابويه وكان يطوف فما قطع طوافه فضربوه بالسيف فوقع إلى الأرض وأنشد:

ترى المحبّين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدورن كم لبثوا
مجمع البحرين مائة قرمط / المترجم.

خليفة علوي، فأرسل الأخير غلامه (جوهر) بجيش كبير من المصريين لمواجهة القرامطة الباطنية حتّى انتصروا عليهم في منطقة (عين الشمس) وهو بستان عند باب القاهرة فانهزم الباطنية شرّ هزيمة^(١).

هذه نبذة موجزة جداً من جرائم ومفاسد الفرقة الباطنية وهدّتهم للحرمات والمقدّسات في بلاد المسلمين كالعراق والحجاز وبلاد الشام.

وقد أطلق على هذه الفرقة الباطنية عدّة أسماء وهي:

١- الباطنية لقولهم أن لكلّ ظاهر (من القرآن والسنة) باطن ولتأويلهم كافّة الأصول والفروع الدينية، يقول السيّد مرتضى الرازي في كتابه (تبصرة العوام) ضمن كلامه عن عقائد الإسماعيلية أنّهم يقولون إنّ الظاهر بمثابة الجلد والباطن بمثابة اللب لقوله تعالى: ﴿بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾^(٢).

مع أنّ هذه الآية لا علاقة لها بالباطن والظاهر وإنّما هي في معرض الحديث عن خاتمة المؤمنين والمنافقين.

ومن عقائدهم إنّهم قالوا: إنّ الله لا موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ولا متكلم ولا أخرس ولا مبصر ولا أعمى... وهكذا بقيّة صفاته تعالى يجرونها هذا المعجى الفاسد.

وقالوا: إنّ عيسى بن مريم أبوه يوسف النجار، وأمّا تصريح القرآن عن عدم وجود أب لعيسى بن مريم إنّما قصد أنّه لم يكن له أب تعليمي يأخذ العلم منه، بل علمه ﷺ من النقاء الذين كانوا في زمانه.

وقالوا: المراد من كونه ﷺ يحيي الموتى أي أنّه يُحيي القلوب الميتة

(١) أنظر التفصيل في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٣٦١، رقم (١٣٨) ط:

بيروت دار الثقافة.

(٢) الحديد: ١٣.

بالعلم، ويهدي الخلق إلى الطريق الحق، وبهذه التأويلات الكاسدة أبطلوا جملة كثيرة من شرائع الدين^(١).

وقالوا: إنَّ التكاليف الظاهرية ليست واجبة على الناس، فالصلاة عبارة عن معرفة الولي، والزكاة عبارة عن إخراج الزائد من المؤونة إلى الفقراء، والأذان والإقامة عبارة عن هداية الخلق للإمام، والصوم عبارة عن الاقتداء بالإمام، والحجَّ عبارة عن قصد الإمام وخدمته.

وأحلَّوا جميع المحرَّمات وقالوا هي عبارة عن قوم يجب اجتنابهم والبراءة منهم ولعنهم، والفرائض عبارة عن قوم يجب موالاتهم ومحبتهم وهذا ما أراده القرآن.

وقالوا إنَّ قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ» هو أبو بكر وعمر وأينما ذكر في القرآن اسم فرعون وهامان فالمراد منهما أبو بكر وعمر.

وقالوا: إنَّ الله بعث أحد الملوك رسولاً وجعله نبياً قبل الإسلام واسمه (شروين) وهو أفضل الأنبياء والمرسلين!!

وقالوا أيضاً إنَّ الوضوء عبارة عن أساس الدين ومعتقداته والصلاة عبارة عن الناطق الذي هو الرسول لقوله تعالى: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» وإلى آخر مزخرفاتهم وأباطيلهم.

وأوَّل من ادَّعى الباطنية هو مرزبان بن عبدالله بن ميمون القدّاح وهو من الأهواز ظهر في زمن المأمون العبّاسي، وكان حمدان القرمطي قائدهم العسكري، وقالوا بإمامة سبعة عليّ والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمّد بن علي وجعفر بن محمّد عليهم السلام وإسماعيل بن جعفر، وقالوا: إنَّ

(١) وقد استفاد دعاة الفرقة الضالّة المضلّة (البابية والبهاية) من تأويلات الباطنية كثيراً في مجال عقائدهم. / المؤلف

إسماعيل حيّاً لم يمّت وأنه المهدي الذي يظهر آخر الزمان.

٢- القرامطة: وكان رئيسهم حمدان ظهوروا في أطراف واسط والاحساء، ومعنى (قرمط) هو مقارنة الخطوات في المشي وذلك لأنه كان قصير القامة وقصير الرجلين فسَمُّوا أتباعه باسمه.

٣- المزدكية: لأنَّ أكثر الأتباع كانوا من المزدكية الإيرانيين المجوس. يقول العلامة الجليل السيّد نعمّة الله الجزائري في الأنوار النعمانية: وهم طائفة من المجوس راموا عند قوّة الإسلام تأويل الشرائع على وجوه تعود إلى قواعد أسلافهم وذلك أنَّهم اجتمعوا فتذكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك وقالوا لا سبيل لنا إلى دفع المسلمين بالسيف لغلبيتهم على الممالك لكنّا نحتال بتأويل شرائعهم إلى ما يعود إلى قواعدنا ونستدرج به الضعفاء منهم فإنَّ ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم^(١).

٤- الحرّمية: سمّوا بذلك لأنَّهم أباحوا جميع المحرّمات.

٥- السبعية: سمّوا بذلك لاعتقادهم أنَّ أصحاب الشرائع كانوا سبعة هم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد ﷺ والمهدي الذي هو إسماعيل حسب زعمهم، وقالوا لا بدّ من وجود سبعة في كلّ عصر وزمان لهداية الناس.

٦- البابكية: وذلك أنَّ طائفة منهم -الإسماعيلية- تبعت بابك الخرمي في

(١) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٤٢ ط بيروت الأعلمي.

وذكر من عقائدهم: والاحتلام عبارة عن إفشاء سرّ من أسرارهم إلى من ليس من أهله بغير قصد منه، والغسل تجديد العهد.. والكعبة النبي والباب علي والصفا هو النبي والمروة هو علي، والميقات والتلبية إجابة المدعو والطواف بالبيت سبباً موالاة الأئمة السبعة، والجنّة راحة الأبدان عن التكاليف والنار مشقتها بمزولة التكاليف.. / المترجم.

الخروج بأذربيجان ولقبوا بالمحمرة للبسهم الحمرة في أيام بابل. وخرجوا في أيام المعتصم العباسي وتبعهم العوام والسذج فحاربهم المعتصم وقتلهم.

٧ - المقنعية: وهم أتباع هاشم وكان أعوراً معروفاً بابن المقنع فسموا باسمه. وكان هذا الملعون من أتباع أبي مسلم الخراساني، ولكن لما ظهرت الفرقة الباطنية الملاحدة في زمن المأمون العباسي اتصل بهم وأضلوا أهالي إيلاق وكيش.

ثم ادعى هذا الملعون النبوة ولم تطل فترة نبوته المزعومة حتى ادعى الإلهية في قسبة كيش وتبعه جماعة من الحمير وسكنوا هذه المنطقة المعزولة والبعيدة، فكان من النادر الاتصال بهم، وبهذه الحجة زعموا عدم إمكان رؤية الرب!!

فتنة قلعة ألموت

هذا ما كان عليه قداماؤهم وحين ظهر الحسن بن محمد الصباح جدد الدعوة السابقة بما تحمل من أباطيل ومزخرفات ومناقضات، عُرف بصاحب الدعوة النزارية وكان عالماً بالهندسة والحساب والفلسفة والرياضيات والنجوم والسحر وغير ذلك كما ذكره ابن الأثير في الكامل فكان من الملحدين والزنادقة عُرف بالمكر والحيل.

سكن في قلعة ألموت في قزوین عام ٤٨٣هـ تصدى رجاله الدمويون (فدائيو حسن الصباح) لقتل كبار رجال العلم والأهالي، وقد تطرق أصحاب التاريخ لذكر فجائعهم وأحداثهم فلا أنقلها لكم هنا لشهرتها.

والمهم أنهم حكموا في ألموت بعد ٣٥ عاماً وأضلوا خلقاً عظيماً من الناس حتى توفي حسن الصباح عام ٥١٨هـ وحكم مكانه (كيا بزرگ أمید) و(محمد بن بزرگ أمید) و(حسن بن محمد المعروف بعلي ذكره السلام) و(محمد بن

حسن) و(جلال الدين حسن بن محمد المعروف بالمسلم الجديد) الذي سار على خلاف طريقة آبائه وأجداده فقد مهّد الطريق لتطبيق وتفعيل الشرائع الإسلامية المقدّسة، ومن بعده (علاء الدين محمد بن جلال الدين) و(ركن الدين خورشاه بن علاء) واستمرّ حكمهم ٣٧ عاماً وكان حكماً دموياً منحرفاً من جميع الجهات السياسية والعقائدية والفكرية، إلى أن جاء المغول إلى إيران فسلبّتهم الله تعالى على هؤلاء وتمّ إسقاط دولتهم وتقويض حكمهم عام ٦٥٥هـ وقتل ركن الدين خورشاه وهو آخر ملوك الملاحدة الإسماعيلية عند نهر جيحون وفصل بين رأسه وبدنه على يد عمّال هلاكوخان، بعد أن قتلوا من الإسماعيلية اثني عشر ألف ملحد وقطعوا بذلك نسل (كيا بزرگ أميد) وأسقطت القلاع وفتحت أبوابها وصارت الطرق آمنة بيد المسلمين حتّى شكروا هلاكو خان على هذه المكرمة.

توضيح عن العلويين في مصر

والموضوع المهمّ هنا هو ادّعاء بعض أرباب التاريخ أن خلفاء الدولة العلوية في مصر من الباطنية والقرامطة وينسبون إليهم عقائدهم وزندقتهم الباطلة. وهو خطأ فظيع واتّهام واضح، فالخلفاء العلويون في مصر لم يكونوا من القرامطة ولا من الباطنية وإليكم بعض الأدلّة والشواهد:

١ - قلنا سابقاً: إنّ الباطنية أو القرامطة ظهوروا عام ٢٧٨هـ في نواحي العراق والحجاز والشام^(١).

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٦٠٢ ط بيروت دار الكتب العلمية ١٩٨٨م، وقال الطبري: ذكر عن محمد بن داود أنّه قال: قرط رجل من سواد الكوفة، كان يحمل غلّات

بينما كان ابتداء الإسماعيلية وخلافة عبدالله المهدي في أفريقيا عام ٢٩٦هـ كما ذكره ابن الأثير في الكامل^(١)، فتكون الفترة بينهما (١٨) عاماً وهي فترة ليست قليلة.

٢ - أن الخليفة العلوي الأول في مصر وهو عبيدالله المهدي كان يلعن القرامطة ويتبرأ منهم لاسيما بعد سماعه جرائمهم في بيت الله الحرام، وقد تطرقنا لذلك سابقاً، بل كانت بينهم مناوشات وحرب، واستمروا خلفاء الإسماعيلية في لعنهم للقرامطة إلى الخليفة السادس، فلا يعقل والحال هذه أن يكونوا منهم.

نعم، سعى أبو طاهر اللعين من أول دعوته للإصاق نفسه بالإسماعيلية وادّعائه أنه إسماعيلي المذهب لما رأى أنه لا سبيل له في نشر دعوته غير هذه الطريقة، فكان يصيد السمك في الماء العكر حينما رأى توجه الناس إلى الإسماعيلية حاول الاستفادة من هذا الواقع ويث سمومه وزندقته عبر إدعائه الإسلام الإسماعيلي، وإلا فإنه ليس بمسلم بل ملحد ظاهر في إلحاده.

وأما سرّ انتخابه للمذهب الإسماعيلي فلأن الإسماعيلية يعتقدون ببعض الأمور الباطنية كما سبق ذكره وهو ممّا يتفق مع دعوات ومزاعم وأكاذيب أبي طاهر، وبهذا الشكل نشر أباطيله باسم الإسماعيلية فظنّ الناس أن هذه أفكار الإسماعيلية.

ولكن ما فعله أبو طاهر في مكّة من قتل من قتل ونهب (ذكرناه سابقاً) عام

→ السواد على أنوار له يستى حمدان ويلقب بقرمط ثمّ فشا أمر القرامطة ومذهبهم ... / المؤلف.

أقول: كان هذا النصّ في المتن أدرجته في الهامش لوحدة السياق / المترجم.

(١) الكامل ج ٦ ص ٤٤٦ دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧م.

٣١٧هـ وسرقه للحجر الأسود وحُلة الكعبة، أظهر نفسه لكافة الناس أنه ليس إسماعيلياً من خلال هذه المفاصد التي لم يرتضها أي مسلم، فكتب له عبيد الله المهدي رسالة يتهدده فيها ويخوفه وأمره أن يردّ الحجر الأسود وحُلة الكعبة وأموال الناس.

وظلّ الحجر الأسود عندهم ٢٢ عاماً إلى أن استطاع (ابن سنبر) أو (ابن ثير أو ابن شبر) إرجاعه إلى محلّه، وهو من خواصّ أبي سعيد الجنابي، فكان عود الحجر الأسود عام ٣٣٩هـ أي بعد موت عبيد الله المهدي بـ (١٧) عاماً^(١).

٣- وبعد أن ملكوا الرملة ساروا إلى مصر، فلما وصلوها اجتمع معهم خلق كثير من العرب، فأرسل الحاكم بأمر الله العساكر مع غلامه جوهر إليهم فاقتلوا غير مرة.. إلى أن ارتحل القرامطة إلى الشام تاركين مصرًا وكان ذلك عام ٣٣٦هـ. فلما رأى القرامطة عدم قدرتهم على المواجهة العسكرية مالوا إلى طريقة ثانية فأنفذوا رجلين إلى مصر الأوّل هو محمد الملقّب (نشتكين الدرزي الخياط) والثاني اسمه حمزة، وقد غيّرا هياتهما وكانت مهمتهما التفوذ إلى الجهاز الحاكم والتقرّب من الخليفة بأيّ شكل من الأشكال، وبالفعل فلم تطل المدّة حتّى صارا من الملازمين والمقرّبين لدى الخليفة العلوي، وأظهروا الإخلاص - الكاذب - له حتّى اشتهرا بذلك وعرفا في الأوساط أنّهما من أكبر دعاة الإسماعيلية.

(١) ذكر ابن خلكان: عندما سرقوا الحجر الأسود إلى هجر حملته ثلاث من الإبل لنقله ولكن حينما أرجع حمّله جمل واحد ضعيف!! / المؤلف.
أنظر وفيات الأعيان، باب القرامطة، والخزائن للنراقبي ص ٢٤.
أقول: كان هذا الكلام في المتن أدرجته في الهامش لنفس ما ذكرناه سابقاً / المترجم.

(٢) الكامل ج ٧ ص ٣٢٦ دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧م.

ثم جاء اليوم الذي طلب فيه حمزة من الخليفة العلوي أن يسمح له بنشر الدعوة الإسماعيلية مع رفيقه الثاني، فوافق الخليفة على ذلك.

فاتفق حمزة مع رفيقه على أن يقوم الأول بالدعوة العلنية إلى المذهب الإسماعيلي، بينما يتولّى الثاني الدعوة - سرّاً - إلى المذهب الباطني فكان لهما مجلساً عاماً وآخر خاصّ.

وهكذا نجحت الخطة فبقي حمزة في مصر وذهب (نشتكين) إلى أطراف بلاد الشام، فكان حمزة يخبر الناس بالملأ العام أن (نشتكين) من دعاة الإسماعيلية ذهب لنشر الدعوة في أطراف البلاد وهو مبعوث من قبل الخليفة فطاعته واجبة والاستماع إلى مواعظه ودروسه أمر ضروري.

وكان يقول للناس: إن في كلام الخليفة أسرار وخفايا لا يفهمها إلا من تحلّى بتصفية القلب والإخلاص، بينما كان (نشتكين) يخلو في مجلسه الخاص بهؤلاء الذين يطلبون الأسرار والرموز ويبث لهم الأفكار الباطنية والزندقة والكفر باسم الإسماعيلية في كتاب يقرأ عليهم على أساس أنه كتاب الخليفة. ومن جملة الكفريات التي أدرجوها في ذلك الكتاب: أن الهوية الإلهية تنتقل من قالب إلى قالب بالحلول فيه في كلّ زمان ومكان.

وأن روح نشتكين كانت في زمن الحكيم فيثاغورس وفي زمان النبي شعيب وفي زمن سليمان بن داود وزمان المسيح وزمان محمد بن عبد الله ﷺ وأنها متجلية في الخليفة الحاكم بأمر الله!!

وأن روح آدم عليه السلام حلّت في علي بن أبي طالب عليه السلام ثم انتقلت وحلّت في أبدان أولاده واحداً بعد واحد وهي اليوم في بدن الحاكم بأمر الله.

وأن الصلاة هي القول الحسن للاخوان والصوم عبارة عن حفظ اللسان والأسرار وإلى آخره من هذه المزخرفات والوهميات الباطلة فلم تطل مهمته كثيراً حتى صار أغلب أهل الجبال من بلاد الشامات من الإسماعيلية القائلين

بمعتقدات الباطنية الذين يُطلق عليهم بـ(الدروز) إلى يومنا هذا.

وفي تلك الفترة قُتل الخليفة الحاكم بأمر الله بتدبير من أمير الجيوش خارج مصر، ووصل خبره إلى (نشتكين) فجمع الناس وهو في أطراف البلاد وقال لهم إن الخليفة أخبرني أنه سيرتقي إلى السماء، بعدها أبرز (نشتكين) في بلاد الشام وحمزة في مصر كتاباً اسمه (سجل معلق) جاء فيه :

«إن الحاكم اختفى عن أعين الناس امتحاناً لإيمان المؤمنين» ثم صنع الدروز مقاماً جعلوه مزاراً في الموضع الذي صعد فيه الخليفة إلى السماء كما خدعهم نشتكين.

والحاصل فقد أثمرت خطة الباطنية (القرامطة) وكان ثمرها فرقة الدروز المتواجدين اليوم في بلاد الشام بتنظيمات سرية واليوم يوجد بين الدروز عهد يجب أن يلتزم به كل فرد منهم وهو من جملة الأباطيل والأكاذيب التي تركتها مساعي نشتكين وهذا نص العهد :

«توكلتُ على مولانا الحاكم الأحـد الفرد الصمد المنزه عن الأزواج والعدد!! أقرّ فلان بن فلان إقراراً أوجه على نفسه وأشهد به روحه في صحّة من عقله وبدنه وجواز أمره طائعاً غير مكره ولا مجبر أنه قد تبرّء من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كلّها على أصناف اختلافاتها!! وأنه لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جلّ ذكره!! والطاعة هي العبادة وأنه لا يشرك في عبادته أحداً، مضى أو حضر أو ينتظر، وأنه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جلّ ذكره، ورضي بجميع أحكامه له وعليه غير معترض ولا منكر لشيء من أفعاله سانه ذلك أم سرّه ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جلّ ذكره الذي كتب على نفسه وأشهد به على روحه أو أشار به إلى غيره أو خالف شيئاً من أوامره كان بريئاً من الباري المعبود وحرم لإفادته من جميع الحدود واستحق العقوبة من الباري العليّ جلّ ذكره، ومن أقرّ أن ليس له في

السماء إله معبود وفي الأرض إمام موجود إلا مولانا الحاكم جلّ ذكره كان من الموحدّين الفائزين! كتب في شهر كذا وسنة كذا^(١).

هذه العبارئ واحدة من خزعبلات الباطنية الذين ضلّوا وأضلّوا كثيراً من المسلمين وهدموا قواعد الدين الحنيف.

ولذا فإنكم تجدون القرامطة الباطنية إذا حكم واحد منهم في مصر وأفريقية يمتنعون عن محاربته ومنابدته، بينما إذا حكم أحد الإسماعيلية فإنهم لا يفترقون عن مقاتلته.

لاسيما عام ٣٦٠هـ في هجومهم على دمشق ومصر كما أشرنا إليه حتّى استطاع المعزّ لدين الله من خلال خادمه (جوهر) أن يحزّر مصر والاسكندرية وديار صعيلا وديمياط ومكة والمدينة من أيدي العباسيين ويجعلها تحت حكم الخلفاء العلويين.

وهكذا تمّ انتزاع جانب من فلسطين ودمشق من أيدي الباطنية فاختمى القرامطة في الشام وأظهروا أنفسهم بمظهر الإسماعيلية. ولكن أهل التحقيق يفرّقون بين الإسماعيلية والقرامطة الباطنية فلكلّ دعوته الخاصة^(٢).

ولكن يشتركون جميعهم بجملة من البدع والضلالات والأكاذيب واليوم بعد ألف عام على تاريخ هذه الفرق المنحرفة توجد بقاياهم في ثلاث بلدان:

١- النزارية وهم (الخوجة والاعاخانية).

٢- المستعلية وهم (البهرة) في الهند والباكستان لاسيما في بمبني وكراچي.

٣- الدروز وهم أكفر الفرق يتواجدون في جبال بلاد الشام.

(١) ذكره صاحب تاريخ جبل الدروز.

(٢) روضة الصفا لمحمّد خاوندشاه ج ٤ ضمن كلامه عن الخليفة الرابع المعزّ لدين الله.

وهذا الكلام يكفي، وأحيل لمن طلب المزيد إلى تاريخ الطبري والكمال وكتاب (التنبيهات الجلية في كشف أسرار الباطنية) لمؤلفه محمد كريم بن محمد علي الخراساني الذي كان من أعلام الباطنية سابقاً ثم استبصر وتشرف باعتناق المذهب الجعفري الاثني عشري^(١).

الإمامية

ذكر الشهرستاني في ملله الشيعة الإمامية وقال:
هم القائلون بإمامة علي بعد النبي ﷺ نصّاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين.

قالوا: وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام حتى تكون مفارقتة الدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة، فإنه إنما بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملاً يرى كل واحد منهم رأياً ويسلك كل واحد منهم طريقاً لا يوافقه في ذلك غيره، بل يجب أن يعين شخصاً هو المرجوع إليه وينص على واحد هو الموثوق به والمعول عليه، وقد عين علياً في مواضع تعريضاً وفي مواضع تصريحاً:

أما تعريضاته فمثل: أن بعث أبا بكر ليقرأ سورة براءة على الناس في المشهد وبعث بعده علياً ليكون هو القارئ عليهم والمبلغ عنه إليهم وقال: نزل علي جبرئيل ﷺ فقال: يبلغه رجل منك، أو قال: من قومك وهو يدل علي تقديمه علياً عليه.

ومثل: أنه كان يؤمر علي أبي بكر وعمر غيرهما من الصحابة في البعث وقد أمر عليهما عمرو بن العاص في بعث، وأسامة بن زيد في بعث وما أمر علي

(١) كتبه عام ١٣٥١ هـ وفي عام ١٣٥٢ هـ زار المؤلف النجف الأشرف / المؤلف.

عليّ أحداً قطّ.

وأما تصرّيحاته فمثل: ما جرى في نأثاء^(١) الإسلام حين قال: مَنْ الذي يبايعني على ماله؟ فبايعته جماعة ثمّ قال: مَنْ الذي يبايعني على روحه وهو وصيّ وولي هذا الأمر من بعدي؟ فلم يبايعه أحد حتّى مدّ أمير المؤمنين عليّ يده إليه فبايعه على روحه ووفى بذلك، حتّى كانت قريش تعيّر أبا طالب أنّه أمر عليك ابنك، ومثل ما جرى في كمال الإسلام وانتظام الحال حين نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(٢) فلما وصل غدير خمّ أمر بدوحات فقمّمن ونادوا: الصلاة جامعة، ثمّ قال ﷺ وهو على الرحال «مَنْ كنت مولاه فعليّ مولاه اللهمّ والي من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحقّ معه حيث دار ألا هل بلغت؟ ثلاثاً» فادّعت الإمامية - والكلام لا زال للشهرستاني - أنّ هذا نصّ صريح.

فإنّا ننظر من كان النبي ﷺ مولى له؟ وبأيّ معنى؟ فنطرد ذلك في حقّ عليّ عليه السلام وقد فهمت الصحابة من التولية ما فهمناه حتّى قال عمر حين استقبل عليّاً: طوبى لك يا عليّ أصبحت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة قالوا: وقول النبي ﷺ: «أقضاكم عليّ» نصّ في الإمامة فإنّ الإمامة لا معنى لها إلّا أن يكون أفضى القضاة في كلّ حادثة والحاكم على المتخاصمين في كلّ واقعة وهو معنى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣)، قالوا: فأولوا الأمر منّ إليه القضاء والحكم، حتّى في مسألة الخلافة لمّا تخاصمت

(١) أي في بدء الإسلام حين كان ضعيفاً.

(٢) المائدة: ٦٧.

(٣) النساء: ٥٩.

المهاجرون والأنصار كان القاضي في ذلك هو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام دون غيره، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما حكم لكل واحد من الصحابة بأخص وصف له فقال: «أفرضكم زيد وأفروكم أبي وأعرفكم بالحلال والحرام معاذ» كذلك حكم لعلي بأخص وصف له وهو قوله «أفضاكم علي» والقضاء يستدعي كل علم، وليس كل علم يستدعي القضاء.

ثم إن الإمامية تخطت عن هذه الدرجة إلى الوقعة في كبار الصحابة طعناً وتكفيراً وأقله ظلماً وعدواناً، وقد شهدت نصوص القرآن على عدالتهم والرضا عن جملتهم قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(١) وكانوا إذ ذاك ألفاً وأربعمائة، وقال الله ثناءً على المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(٢) وقال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(٤) وفي ذلك دليل على عظمة قدرهم عند الله تعالى وكرامتهم ودرجتهم عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فليت شعري: كيف يستجيز ذو دين الطعن فيهم ونسبة الكفر إليهم وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «عشرة من أصحابي في الجنة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص

(١) الفتح: ١٨.

(٢) التوبة: ١٠٠.

(٣) التوبة: ١١٧.

(٤) النور: ٥٥.

وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح». إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في حق كل واحد منهم على الانفراد، وإن نقلت هنات من بعضهم فليتدبر النقل، فإن أكاذيب الروافض كثيرة وأحداث المحدثين كثيرة.

ثم إن الإمامية لم يثبتوا في تعيين الأئمة بعد: الحسن والحسين وعلي بن الحسين عليه السلام على رأي واحد بل اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها.. انتهى موضع الحاجة من كلامه^(١).

نقد كلام الشهرستاني

هنا نسجل على الشهرستاني عدة نقاط موضوعية على أساس الأدلة والإنصاف.

أولاً ذكر أن الإمامية يذكرون أن النبي ﷺ بعث أبا بكر لتبليغ سورة التوبة ثم أرجعه وأرسل الإمام علي عليه السلام وهو بذلك يريد أن يوهم البسطاء أن الإمامية ينفردون بهذا الخبر، مع أن هذه القضية ليست من خصوصيات الإمامية بل يرويها المسلمون كافة بلا منازع، فإنهم ذكروا: أن جبرئيل نزل على رسول الله ﷺ وقال له: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لا يؤذي عنك إلا أنت أو رجل منك، وكان أبو بكر قد وصل إلى ذي الحليفة فأرسل النبي ﷺ خلفه أمير المؤمنين علي عليه السلام وردّه إلى المدينة وذهب علي بالفضل كله.

وقد تعرضت لهذا الموضوع بشكل مفصل أثناء مناظراتي وحواري في مدينة پيشاور الباكستانية عام ١٣٤٥هـ مع علماء أهل السنة هناك وأدرجت هذا الحوار مع المصادر في كتابي ليالي پيشاور، ومن أجل الفائدة أكتفي بذكر

(١) أنظر الملل والنحل ج ١ ص ١٣٢ الفصل السادس.

المصادر السنّية التي تعرّضت لهذه الحادثة في الهامش^(١).

-
- (١) صحيح البخاري ج ٤ [ج ٨، ص ٢٣٩ بيروت].
 [شرح نهج البلاغة ج ٦، ص ١٦٨، دار إحياء الكتب العربية].
 والجمع بين الصحيحين [ج ٣، ص ١٥١، ط مصر].
 وسنن البيهقي [ج ٢، ص ٢٨٠].
 وجامع الترمذي [ج ٥ ص ١٦٩ رقم ٣٠٩٠ دار الغرب الإسلامي].
 وسنن الترمذي أيضاً [ج ٥ ص ٣٠٠ ط بيروت].
 وسنن أبي داود [ص ٥٢٠، ط بيروت ١٩٧٠م].
 ومناقب الخوارزمي [ص ١٦٤ الباب الخامس عشر ط جامعة المدرّسين، قم].
 وتفسير الشوكاني عند تعرّضه للآية الكريمة في سورة التوبة.
 والفضائل لابن المغازلي [ج ١، ص ١٤١، بيروت].
 ومطالب السؤل ج ١، [ص ١٦٧، ط أم القرى].
 وينابيع المودة [ج ١، ص ٢٦١ الباب ١٨، دار الأسوة].
 والرياض النضرة [ج ٣، ص ١٦٨].
 ومختصر ذخائر العقبي [ص ١١٢، ط الأمين].
 وتذكرة الخواص [ص ٤٢، ط الشريف الرضي عام ١٤١٨هـ].
 وسنن النسائي [ج ٥ باب فضائل علي دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩١م].
 والإصابة [ج ٣، ص ١٨٠، ط: مؤسسة التاريخ العربي بيروت].
 والدرّ المشثور ج ٣ ص ٢٠٨ في أوّل تفسيره لسورة التوبة.
 [المعجم الأوسط الطبراني ج ٣، ص ١٦٥].
 والمعجم الكبير ج ١٢، ص ٧٧.
 ومجمع الزوائد ج ٩، ص ١١٩.
 ومسند أبو يعلى الموصلي ج ١، ص ١٠٠.
 وجامع البيان للطبري في أوّل تفسيره لسورة التوبة.

ثانياً: وما ذكره أن النبي ﷺ طلب من البعض أن يقدوه بالمال ففداه جماعة ثم طلب أن يقدوه بالروح ففداه علي عليه السلام...

فإن مثل هذا الحدث لا وجود له في كتب الشيعة الإمامية أبداً، بل هو ما انفرد به الشهرستاني ونسبه إلينا بمحض الافتراء.

نعم، الإمامية يذكرون ما اتفق عليه المسلمون من حادثة وحديث يوم الدار، الدالّ بصراحة على ولاية وخلافة ووصاية علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو ما ذكره الفريقان، بل تصدّى لذكره من غير المسلمين أيضاً وهم المستشرقون.

→ وخصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي؛ (ص ٢٠، ط التقدم العلمية، سنة ١٣٤٨هـ).

والثعلبي في تفسيره لسورة التوبة أيضاً.

وابن كثير في تفسيره لسورة التوبة أيضاً.

وروح المعاني في تفسيره لسورة التوبة أيضاً.

والصواعق المحرقة [ج ٢ ص ٣٥٦ مؤسسة الرسالة بيروت].

ومجمع الزوائد [ج ٣ في فضائل علي عليه السلام دار الكتب العلمية].

وكفاية الطالب الباب ٦٢ مسنداً عن أبي بكر وعن الحافظ أبي نعيم وعن مسند

الحافظ الدمشقي عن أبي نعيم بطرق مختلفة.

وفضائل أحمد [ج ٢ ص ٥٦٢ ط السعدونية].

والمستدرک في کتاب المغازي ص ٣٣١.

وكنز العمال [ج ١١ ص ٦٠٣ رقم ٣٢٩١٣ ط سوريا].

وتكاد تكون الحادثة متواترة.

أقول: ما بين المعقوفتين استخراج الحادثة من المصادر التي ذكرها المصنف رحمه الله

ولكن من طبعاتها الحديثة بعد أن كان المصنف ذكرها بالطبعات القديمة المطبوعة

في عصره أو ما قبله / المترجم.

حديث الدار على لسان المستشرقين ودلالاته

فقد ذكره المؤرخ والفيلسوف المعروف (توماس كارليل) الانكليزي الذي ذاع صيته في القرن الثامن عشر الميلادي في أوروبا في كتابه الشهير (الأبطال وعبادة البطولة) وقد تُرجم إلى العربية في مصر وطبع فيها. و(مسيو پول لهووزر) الفرنسي استاذ دار الفنون في باريس في رسالته المختصرة عن خاتم النبيين ﷺ وقد طبعت عام ١٨٨٤م في باريس. و(جرجيس صال) الانكليزي وقد ذكر ذلك هاشم النصراني المتعصب والمخالف للإسلام والمسلمين في مقالة عن الإسلام طبعت عام ١٨٩١م من صفحة ٨٣ إلى ٨٦.

و(مستر جان ديون پورت) المؤلف المعروف والمنصف في كتابه القيم (محمد والقرآن) صفحة ٢٠، وذكر أن النبي ﷺ جعل علياً عليه السلام خليفة على المسلمين في بداية نشر الدعوة. وقد ذكر أكابر علماء أهل السنة حديث الدار باختلاف يسير في العبارات مع اتحاد المعنى.

فحينما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١) فدعى رسول الله ﷺ بني عبد المطلب فكانوا خمسة وأربعين رجلاً، فصنع لهم النبي ﷺ رجل شاة وعساً من لبن وقدمه لهم، فلما رأوه ضحكوا فقال لهم: كلوا بسم الله، فأكلوا وشبعوا ولا زال الطعام على حاله فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: هذا ما سحركم به الرجل، ثم قام النبي ﷺ فيهم خطيباً وقال: يا بني عبد المطلب إن الله

بعثني بالخلق كافة واليكم خاصة، وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان وثقلتين على (في) الميزان تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فمن يجنبي إلى هذا الأمر ويؤازرني إلى القيام به يكن أخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي.

ثم كرر ﷺ الجملة الأخيرة ثلاث مرات وفي كل مرة يحجم القوم وينهض الإمام علي عليه السلام ويقول: أنا أنصرك ووزيرك يا نبي الله. فقال النبي ﷺ: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، وفي بعض الروايات: أنت وصيي وخليفتي من بعدي^(١).

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ والطبري في تفسيره

للآية [ج ٢ ص ٣١٩ ط دار المعارف بمصر].

وأحمد بن حنبل في المسند [ج ٦، ص ٤٨، ط: مصر ١٣٩٨هـ].

وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة [ج ١٣ ص ٢٤٤ ط دار إحياء الكتب العربية].

وابن الأثير في الكامل [ج ١ ص ٥٨٦ دار الكتب العلمية ١٩٨٧م].

وأبو نعيم في حلية الأولياء [ج ٢، ص ١٦٥، ط بيروت ١٩٦٥م].

والحميدي في الجمع بين الصحيحين [ج ٣، ص ٩٥، ط: مصر].

والبيهقي في السنن [ج ٢، ص ٢٥٠].

وأبو الفداء في تاريخه [ج ٢، ص ٩٥، ط: مصر ١٤١٠هـ].

والحلبي في السيرة [ج ١ ص ٢٨٦ طبعة مصر].

والنسائي في الخصائص (ص ٢٣، ط التقدم العلمية بمصر سنة ١٣٤٨هـ).

والحاكم في المستدرک [ج ٤، ص ١٨٦].

وينايع المودة [ج ١، ص ٣١١، الباب الحادي والثلاثون، ط دار الأسوة، ١٤١٦هـ].

وهذا هو الحديث الذي تذكره الإمامية وفاقاً لجميع المسلمين في خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام لا ما ذكره الشهرستاني.

حديث الغدير

وقد حاول الشهرستاني تبعاً لسلفه أن يصرف دلالة حديث الغدير عن معناه ودلالته الظاهرية المتعينة إلى معنى آخر من خلال صرف مدلول كلمة (المولى) إلى معنى ثاني.

وهنا نسجل بعض النقاط المهمة:

يوحى الشهرستاني من خلال كلماته إلى البسطاء أن حديث الغدير مما انفرد به الإمامية!!

مع أن واقعة الغدير ونزول الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾^(١) وقوله عليه السلام عقيب نزولها: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ، مما ذكره جميع المسلمين بلا منازع ولا مخالف، وقد ذكرتُ هذا البحث بشكل مفصل في ليالي بيشاور، ولا بأس هنا بذكر شيئاً ما.

أولاً: إن واقعة الغدير مما اتفق بنقلها وذكرها الفريقان فلا عبرة بالفرد النادر الذي لا يذكرها أو يحاول جعلها من مقالات الإمامية فحسب كما فعل الشهرستاني لاسيما إذا لاحظنا ابن حجر المكي المتعصب الحاقداً على الشيعة

→ والمعجم الكبير للطبراني [ج ١٨، ص ٨٩].

وكفاية الطالب [الباب ٥١ ط النجف].

أقول: ما بين المعقوفتين استخراج الحادثة من نفس المصادر التي ذكرها المصنف رحمه الله ولكن من طبعاتها الحديثة بعد أن ذكرها المصنف بالطبعات القديمة / المترجم.

(١) المائدة: ٦٧.

الإمامية بعد نقله لواقعة الغدير في الصواعق يقول: «إنه حديث صحيح لا مرية فيه وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد وطرقه كثيرة جداً»^(١).

بل أفرد بعض علماءكم كتاباً خاصاً باسم (ولاية الغدير) مثل أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المفسر والمؤرخ الشهير في القرن الرابع الهجري والمتوفي عام ٣١٠هـ، حيث ذكر في كتاب الولاية خمسة وسبعين طريقاً لحديث الغدير.

وهكذا ذكر الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن الكوفي المعروف بـ (ابن عقدة) المتوفي عام ٣٣٣هـ صنف كتاباً باسم الولاية وذكر مائة وخمسة طريقاً لحديث الغدير عن مائة وخمسة وعشرين راوياً بتحقيق متين للغاية.

وهكذا ابن الحداد الحافظ أبو القاسم الحسكاني المتوفي عام ٤٩٢هـ في كتابه (الولاية) ذكر واقعة الغدير بشكل مفصل مع نزول الآية فيه.

والخلاصة فقد ذكر حديث الغدير أكثر من ثلاثمائة من أكابر علماء أهل السنة بطرق متعددة ونزول آية إكمال الدين بهذه المناسبة كانت، وبعضهم ذكر مناشدة أمير المؤمنين علي عليه السلام في الرحبة لمائة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنهم سمعوا هذا الحديث عنه عليه السلام، وليس عندي متسع لذكر كل ذلك ولكني أرجعكم إلى كتابي ليالي بيشاور، وأهم منه المجلدات الثلاثة الأولى من الدورة النفيسة (عبقات الأنوار) تأليف آية الله المجاهد السيد مير حامد حسين الدهلوي الهندي رحمه الله فمن خلالها تعرفوا زيف كلام الشهرستاني.

ثانياً: يزعم الشهرستاني أن الإمامية ينفردون بحديث (أقضاكم علي)

(١) الصواعق المحرقة ج ٢ ص ٣٥٥ ط مؤسسة الرسالة - بيروت، تحقيق عبد الرحمن التركي وكامل الخراط / المترجم.

ويستدلون به على خلافته وإمامته..

والحقيقة أن هذا الحديث لا ينفرد به الإمامية فقط بل ذكره أغلب علماء السنة أيضاً، وهنا أكتفي بذكر اثنين من فحول وكبار علماؤكم.

الأول: هو نور الدين بن الصبّاغ المالكي ذكر في كتاب الفصول المهمة: فصل في ذكر شيء من علومه فمنها علم الفقه الذي هو مرجع الأنام، ومنع الحلال والحرام، فقد كان علي مطلعاً على غوامض أحكامه متقادراً له، جامعة بزمامه، مشهوداً له فيه بعلو محلّه ومقامه، ولهذا خصّه رسول الله ﷺ بعلم القضاء، كما نقله الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي رحمة الله عليه في كتابه المصابيح مرويّاً عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لما خصّص جماعة من الصحابة كلّ واحد بفضيلة، خصّص عليّاً بعلم القضاء فقال ﷺ: وأقضاكم علي ﷺ^(١).

والثاني: هو محمد بن طلحة الشافعي ذكر نفس الحديث أعلاه في مطالب السؤل عن القاضي البغوي ثم قال بعده: وقد صدع الحديث بمنطوقه وصرّح بمفهومه أن أنواع العلم وأقسامه قد جمعها رسول الله ﷺ لعلي دون غيره^(٢). وذلك لأنّ القضاء يتطلّب سعة في العلم مع كمال العقل وسلامته من الغفلة، ثم إنّ كلمة (أقضاكم) صيغة أفضل وهي تدلّ على تقدّمه على جميع الصحابة. ومن الثابت عند العقلاء أنهم يتبعون الأعلام والأفضل ويقدمونه على غيره وفاقاً لحكم العقل والمنطق، فيكون عليّاً إماماً مقدّماً على غيره بحكم العقل والعقلاء.

(١) الفصول المهمة الفصل الثالث ص ١٧.

(٢) مطالب السؤل في مناقب آل الرسول ج ١، ص ١١٢، ط أم القرى، تحقيق ماجد ابن أحمد العطية.

ثم ذكر الشهرستاني أنَّ الإمامية كَفَرَتْ الصحابة ووقعت فيهم... فجوابه مايلي:

لقد استخدم أهل السنة هذه الحجّة الواهية للطعن على الإمامية طيلة أكثر من ألف عام مع أنَّ علمائنا قد أجابوا بما يشفي الغليل ويهدي الحيران ولكنهم ما زالوا يردّدون النعمة نفسها وهنا لا بأس علينا لو أوضحنا لكم الموضوع ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(١).

أولاً: المراد من الصحابي هو من صحب النبي ﷺ أو نقل عنه حديثاً، وهذا وإن عُدَّ شرفاً ومفتخراً إلا أنه ليس مطلقاً بل هناك شرائط، فالصحابي الجليل هو ذلك الإنسان المطيع لله ولرسوله ﷺ والمقادير لأوامر الشرع، لا الذي يتبع الهوى والجاه والشهرة فيؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض.

فالشيعية الإمامية يحترمون ويقدّسون المؤمن المطيع لله ولرسوله ﷺ ويعظمونه لإيمانه واتباعه وحبّه لله تعالى، والعكس بالعكس، فهذا الاتجاه هو اتجاه عقلي وسيرة عقلانية يمضي عليها العقلاء إلى اليوم.

بينما نجد أهل السنة يعتبرون جميع الصحابة عدول ثقات حتّى الفاسق منهم بل تجدهم يدافعون عن أصحاب القبائح والأفعال المشينة بذريعة أنَّهم من الصحابة.

بينما لا ترى الإمامية الصحبة ملاكاً للحكم بالعدالة على الوثاقة للرجل. فهناك من الصحابة من هو فاسق منافق، ومنهم المؤمن الخالص في إيمانه كبقية الناس.

سؤال: كيف يمكن تصوّر أنَّ في صحابة رسول الله ﷺ أناس من الفسقة؟

الصحابة مؤمنون ومنافقون

الجواب : عليكم أن تعرفوا أن صحابة رسول الله ﷺ كباقي الناس إذ لم يرد دليل على عصمتهم ولم يشهد تأريخهم بذلك أبداً بل لم يدع أحد من أهل السنة بعصمتهم.

وبما أن العصمة منفية في حقهم فالخطأ جائز في حقهم، نعم الصالح منهم أفضل من كل صالح، والطالح منهم أشقى من كل طالح وشقي.

سؤال : هل عندك دليل على وجود الطالح من بين الصحابة ؟

الجواب : الدلائل في هذا المجال كثيرة جداً لاسيما من القرآن الكريم، ويمكنكم مراجعة الجزء الأول من هذا الكتاب من صفحة (٣٧) إلى صفحة (٥٠) فقد بينت هذا المطلب بالدلائل الواضحة.

ألم تفرع أسماعكم آيات المنافقين الخمسة في القرآن المجيد التي ذمّتهم وبشّرتهم أنهم في الدرك الأسفل من النار؟ ألم يكونوا من صحابة النبي ﷺ الذين خاطبتهم الآية **وَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا** ^(١) وهم الذين كانوا في وادي العقبة - كما ذكرنا سابقاً - من أجل قتل رسول الله ﷺ.

ألم يكن الذين فرّوا من الزحف في أحد وحنين من الصحابة ؟

ألم يكن الذين فتحوا باب الاختلاف - كما تقدّم - في الأمة أثناء موت

النبي ﷺ من الصحابة ؟ ألم يكن عمر بن الخطاب في طليعتهم ؟

والذين أخبر القرآن المجيد عن ارتدادهم بعد رحيل النبي ﷺ ألم يكونوا

من الصحابة ؟ كما ذكرته لكم ^(٢).

(١) النساء : ١٤٥ .

(٢) في الجزء الأول ص ٣٩ .

ألم يكن الحكم بن أبي العاص وولده مروان ملعونان على لسان رسول الله ﷺ؟ وقد ذكرته لكم سابقاً.

ألم يقل أبو سفيان في أول يوم من خلافة عثمان بن عفان في حضور بني أمية (يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة)؟^(١) ألم تعدوا أبا سفيان من الصحابة؟

ألم يكن معاوية (عليه الهاوية) الملعون من قبل رسول الله ﷺ مراراً^(٢) من

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٩، ص ٥٣، ط: دار إحياء الكتب العربية.

(٢) أقول: لا بأس هنا أن أذكر مقتطفات من الكتاب الذي كتبه المعتصم العباسي

وحاول تعميمه على البلاد الإسلامية في زمنه فقد جاء فيه:

«وكان ممن عانده ﷺ وكذبه وحاربه من عشيرته العدد الأكثر والسواد الأعظم... وأشدّهم في ذلك عداوة وأعظمهم له مخالفة... أبو سفيان بن حرب وأشياعه من بني أمية، الملعونين في كتاب الله ثم الملعونين على لسان رسول الله ﷺ في عدة مواطن وعدة مواضع لماضي علم الله فيهم وفي أمرهم، ونفاقهم وكفر أحلامهم فحارب مجاهداً ودافع مكابداً وأقام منابذاً حتى قهره السيف وعلا أمر الله وهم كارهون فتقول بالإسلام غير منطوي عليه، وأسر الكفر غير مقلع عنه فعرفه بذلك رسول الله ﷺ والمسلمون وميز له المؤلفة قلوبهم قبله وولده على علم عنه، فمما لعنهم الله به على لسان نبيه ﷺ وأنزل به كتاباً قوله: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَتُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ ولا اختلاف بين أحد أنه أراد بها بني أمية، ومنه قول الرسول ﷺ وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقود وي زيد ابنه يسوق به «لعن الله القائد والراكب والسائق»، ومنه ما يرويه الرواة من قوله: يا بني عبد مناف تلقفوها تلقف الكرة فما هناك جنة ولا نار، وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله كما لحقت «الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى

الصحابه عندكم ؟ وقد سب علياً على المنابر ؟ وارتكب الجرائم والفظائع ؟ وقد

→ ابن مزيّم ذلك بما عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ»، ومنه ما يروون من وقوفه على ثنية أخذ بعد ذهاب بصره وقوله لقائده: هاهنا ذنبنا محمداً وأصحابه، ومنه الرؤيا التي رآها النبي ﷺ فوجم لها فما رُئي ضاحكاً بعدها فأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ فذكروا أنه رأى نفرأ من بني أمية ينزون على منبره، ومنه طرد رسول الله ﷺ الحكم ابن أبي العاص لحكايته إيّاه وألحقه الله بدعوة رسوله آية باقية حين رآه يتخلج فقال ﷺ له: كن كما أنت ؟ فبقي على ذلك سائر عمره، إلى ما كان من مروان في افتتاحه أول فتنة كانت في الإسلام واحتقابه لكل دم حرام سفك فيها أو أريق بعدها ومنه ما أنزل الله على نبيه في سورة القدر ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ من ملك بني أمية، ومنه أن رسول الله ﷺ دعا ب معاوية ليكتب بأمره بين يديه فداغ بأمره واعتل بطعامه فقال النبي ﷺ: لا أشبع الله بطنه، فبقي لا يشبع ويقول: والله ما أترك الطعام شبعاً، ولكن إعياء، ومنه أن رسول الله ﷺ قال: يطلع من هذا الفج رجل من أمّتي يحشر على غير ملّتي، فطلع معاوية، ومنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه، ومنه الحديث المرفوع المشهور أنّه قال: إنّ معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها ينادي: يا حنّان يا منّان، الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين.

ومنه انبعاثه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً وأقدمهم إليه سبغاً، وأحسنهم فيه أثراً وذكرأ علي بن أبي طالب ينازعه حقّه بباطله ويجاهد أنصاره بضلّاله وغواته، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه من إطفاء نور الله وجحود دينه ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره المشركون، يستهوي أهل الغباوة، ويموّه على أهل الجهالة بمكره وبغيه... ومنه إيثاره بدين الله ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبر الخمير، صاحب الديوك والفهود والقروود وأخذ البسعة له على خيار المسلمين بالفقر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهذد والرهبة وهو يعلم سفهه ويطلع على خبثه ورهقه ويعاين سكرانه وفجوره وكفره... ثم من أغلظ ما انتهك

ذكرت تلك الأحداث في المجلد الأول من هذا الكتاب ص ٢٢٢.

ألم يكن طلحة والزبير ممن نقض العهد والبيعة لأمر المؤمنين والمسلمين علي عليه السلام وحارباة ظلماً وعدواناً في البصرة مع عائشة وأريققت دماء الأبرياء بسببهم، ألم يكونا من الصحابة؟ وقد ذكرت تفاصيل ذلك في المجلد الأول صفحة ٢٢٤.

ألم يزن المغيرة بن شعبة في البصرة ولم يُحدِّ؟ وكان يسب ويلعن إمام الموحدين علي بن أبي طالب على المنابر؟ وهو عندكم من الصحابة؟ وقد تناولت ذلك في المجلد الأول ص ٢٦٩.

ألم يكن عمرو بن العاص وأبو هريرة أمثال أولئك في القبائح وهما عندكم من الصحابة؟

فمع كل هذه المفساد والمعاصي والمظالم التي ارتكبتها الصحابة كيف تسمح لكم عقولكم أن تحكموا بعدالتهم كلهم؟

ألم يرو البخاري وهو من أكابر علماءكم في صحيحه مسنداً عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قوله: وأن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول

→ وأعظم ما اخترم سفكه دم الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ مع موقعه من رسول الله ﷺ ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل وشهادة رسول الله ﷺ له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة...

اللهم العن أباسفيان بن حرب، ومعاوية ابنه، ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم وولده، اللهم العن أئمة الكفر وقادة الضلالة وأعداء الدين ومجاهدي الرسول ومغيري الأحكام ومبدلي الكتاب وسفّاكي الدم الحرام... الخ.

أقول: لقد اقتطفت بعض المقاطع من هذه الرسالة المطبولة وهي موجودة في تاريخ الطبري ج ٥ ص ٦٢٠-٦٢٤ ضمن أحداث سنة ٢٨٤ هـ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٨ م / المترجم.

أصحابي أصحابي فيقول: إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم^(١). ومن هذه الأخبار في البخاري ومسند أحمد وغيرهما من الصحاح والسنن تجدها كثيرة، كلها تشير وتصريح بدخول جماعة من الصحابة في النار وهذه هي عقيدة الشيعة الإمامية في الصحابة وفاقاً لهذه الأخبار والأحاديث الصحيحة التي تنص على انحراف وكفر بعض الصحابة.

ثم إن تاريخ الصحابة يشهد على كفر وفساد بعضهم فقد تحاربوا وتجادلوا فلا بد أن يكون أحدهما على حق والآخر على باطل لحكم العقل بهذه القسمة الثانية، ففي حرب الجمل حارب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وجماعته من

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٤٨ باب الحوض، كتاب بدء الخلق وج ٤ ص ١٦٩، ط محمد علي صبيح وأولاده بمصر.

أقول: وجاءت في صحيح البخاري هذه الأحاديث المسندة:
قال النبي ﷺ: أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي يقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك.
وقال ﷺ: أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحدوا بيديهم، فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي.

وقال ﷺ: هلك أمتي على يدي غلظة من قريش، فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت، فكنت (الراوي) أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملوكوا بالشام فإذا رأيهم غلماناً أحداناً قال لنا: عسى هؤلاء أن يكون منهم. قلنا: أنت أعلم.

أنظر: صحيح البخاري ج ٢٤ ص ١٤٤ وما بعدها من كتاب الفتن، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٨١م بشرح الكرمانلي.

وقال ﷺ مخاطباً أصحابه: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.

المصدر نفسه ص ٥ كتاب الديات / المترجم.

الصحابه عائشه وطلحه والزبير وبعض الصحابه فلا يعقل أن تكون كلا الجماعتين على الحق.

وهكذا في حرب صفين حينما وقف معاوية وعمرو بن العاص وأبو هريرة وغيرهم ضد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فبالقطع واليقين تكون إحدى الجماعتين على الحق والأخرى على الباطل، وهذا دليل واضح على عدم عدول الصحابة كلهم.

التفتازاني يصرّح بوجود منحرفين في الصحابة

قال الملا سعد التفتازاني في شرح العقائد النسفية:

(قد روي أن جماعة من الصحابة قد امتنعوا عن نصره علي والخروج معه إلى الحروب، وحاربه فرق منهم كحرب الجمل وصفين وحرب النهروان، فيلزم من ذلك تضليل الصحابة وتفسيقهم).^(١)

ولا نضيف شيئاً فوق ما ذكره التفتازاني، لأنه نطق وهو متحرّر من قيود العصبية العمياء، وعليه فلو ثبت بالدليل القطعي أن زيد الصحابي قد ارتكب ما هو خلاف الشرع فنقله أمر طبيعي ولا يستدعي غضب أهل السنة لأنه غضب ليس في محلّه، بل هو مذموم لأنه نوع من العصبية البغيضة.

حتى أنهم يكفّرون الشيعة لأجل انتقادهم بعض الصحابة على أفعالهم القبيحة، والعجب كلّ العجب أنهم يجمعون على أن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام مشمول بآية التطهير وآية المباهلة ويعترفون أنه نفس رسول الله ﷺ وهو من جملة الذين طهرهم الله، ومع ذلك تراهم إلى اليوم يمدحون معاوية الذي كان يسبّ علياً ويلعنه على المنابر!! فانظروا إلى المتناقضات وتأملوا!!

بل العجب أن الشهرستاني والبغدادي وعلماء أهل السنة كافة لا يتأثرون بسب معاوية لأمر المؤمنين علي عليه السلام ولعنه إياه من المنابر مع أنه - علي عليه السلام - إمام المسلمين الذي قال فيه رسول الله ﷺ: مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي وَمَنْ سَبَّنِي فَقَدْ سَبَّ اللَّهَ ^(١).

ومع هذا التصريح الذي يُعدّ به معاوية كافراً بلا أدنى شك ومرتداً ونجساً وملعوناً، إلا أن أهل السنة يدافعون عنه أيما دفاع!!

بينما نراهم يكفّرون إخوانهم المسلمين الشيعة الإمامية عندما يعترضون وينتقدون كفریات معاوية، ويعتبرونهم خارج ربة الإسلام ويبيحون لأنفسهم اتهامهم بأنواع الاتهامات مع أنهم أكثر من مائة مليون مسلم لأجل رجل واحد وهو معاوية الثابت بالأدلة انحرافه عن الإسلام.

وأما الآيات التي ساقها الشهرستاني لبيان فضل الصحابة من المهاجرين والأنصار بشكل مطلق وعدّهم عدول بالجملة فهو خطأ - سهواً أو عمداً -؛ لأن بعض الصحابة كان مستقيماً في حياة النبي ﷺ وظلّ مستقيماً بعد رحيله ﷺ أيضاً، بينما انقلب الآخرون ومالوا عن جادة الصواب والاستقامة، فمثل هؤلاء لا تشملهم الآيات المذكورة.

فالبيعة تحت الشجرة والسبق إلى الإسلام والجهاد في الحروب والالتحاق بصلاة الجماعة والجمعة في زمن النبي ﷺ كلها أمور تستدعي المدح والثناء في وقتها، إلا أن كثيراً من هؤلاء تبدّلت نواياهم وسلوكياتهم فيما بعد، فلا معنى للتمسك بعموم الآية وقد دلّ الدليل الخاص على انحراف بعض الصحابة الذين ارتكبوا أعمالاً يستحقّون عليها الذمّ من قبل الله تعالى في الدنيا والنار في الآخرة. واعتقد أنني قد خرجت عن أصل الموضوع ولكن كان هذا جواباً على

(١) تقدّم مصدر الحديث وكلام المصنّف عنه في الجزء الأول ص ٣٢٠.

سؤالكم والكلام يجزّ الكلام والآن أترك الفرصة لكم لكي تتحدّثوا أو تسألوا.
سؤال: نحن لا نعرف كيف نشكركم على هذه التنبيهات والإيضاحات وقد
أتعبناكم كثيراً مع ما أنتم عليه من المرض والجهد ولكن ما تفضّلتم به أكثر ممّا
كنّا نتوقّع فنشكركم كثيراً ولكن بقي لدينا سؤالان^(١).
السيد: وما هما تفضّل بهما لأجيئك عليهما؟

الإجابة على السؤال الرابع والخامس

سؤال: الاختلافات الحاصلة بين المذاهب والفرق هل هي اختلافات في
أصول الدين أم في فروعها؟

والسؤال الخامس (وهو الأخير) هو: من هي الفرقة الناجية التي أخبر عنها
رسول الله ﷺ؟ وما هو الدليل لمعرفتها؟

الجواب: أمّا الجواب عن السؤال الرابع - الذي نسيناه ونحن مستغرقون
في المطالب - فهو أنّ أعظم الاختلافات بين المسلمين اختلافات أصولية لأنّ
المسلمين اليوم بما فيهم من مذاهب وطرق ينتهون إلى ثلاث فرق مهمّة ومنها
تتشعب المذاهب:

١ - أهل السنة.

٢ - الخوارج.

٣ - الشيعة.

(١) جميع ما تقدّم كان جواباً على السؤال الثالث الذي وجهوه للمصنّف وهو: هل

هناك فرق أخرى غير الشيعة والسنة وما هي؟

وما سيأتي هو السؤال الرابع الذي كانوا قد وجهوه للمصنّف في أوّل الحوار وهو
مذكور في الجزء الأوّل ص ٩ / المترجم.

أما أهل السنة فقد تشعبوا إلى فرقتين عظيمتين:
أ - الأشاعرة وهم معظم أهل السنة.

ب - المعتزلة.

والأشاعرة هم أتباع أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المولود عام ٢٥٦هـ في البصرة والمتوفي عام ٣٣٠هـ في بغداد، وينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري المناق الذي أوجد الاختلاف والفتن إبان خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام كما أشرتُ إلى حالته سابقاً^(١).

ولهذه الفرقة عقائدها الخاصة بها التي تختلف فيها مع جميع المسلمين،
فمثلاً^(٢):

أولاً: تقول الأشاعرة إن صفات الله تعالى زائدة على الذات الإلهية وهي قديمة أيضاً!!

بينما تقول الإمامية والمعتزلة: إن صفاته تعالى عين ذاته وهذا هو معنى التوحيد الذاتي، إذ لو كانت صفاته تعالى زائدة عليه لزم تعدد القدماء والشركة وهو باطل.

ثانياً: تقول الأشاعرة: إن الحسن ما حسنه الشارع سبحانه وتعالى والقبح ما قبحه الشارع، فكل ما حكم به الشرع فهو حسن وما قبحه فهو قبيح.

بينما تقول الإمامية والمعتزلة: إن الحسن والقبح عقليان فكل ما حكم به العقل حكم به الشرع، لأن الشرع موافق للعقل لا بديل عنه.

ثالثاً: وقالت الأشاعرة: إن كلام الله تعالى قديم بقدمه بينما ذهب الإمامية

(١) الجزء الأول ص ٣٤٢.

(٢) لاحظ آراؤهم في الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٩٤ وما بعدها، ط دار المعرفة بيروت / المترجم.

والمعتزلة إلى أن كلامه سبحانه وتعالى حادث.

رابعاً: قالت الأشاعرة بالجبر وأن الإنسان مسير!!

وذهبت المعتزلة إلى القول بالتفويض وأن الإنسان مخير تماماً.

بينما قالت الإمامية: إنه ليس مسيراً ولا مخيراً محضاً بل هو أمر بين أمرين، أي بلحاظ السنن التكوينية هو مجبور عليها ولا يملك تغييرها، لكنه بلحاظ السنن التشريعية هو مخير وله كامل الاختيار.

ولا يخفى عليكم سخافة رأي الأشاعرة لأنهم يعدّون الإنسان مثل الآلة التي تحرّكها الطاقة، فالإنسان في نظرهم لا يملك ذرة من الاختيار، وكل ما يكسبه فهو مقدّر له من قبل الله تعالى، فالإرادة الإنسانية ممسوخة تماماً في نظرهم، فالمرض والصحة والكفر والإيمان والخير والشر والضرر والنفع كلّها من الله تعالى ولا يملك البشر أمامها أي اختيار أو مقاومة، فالله هو الذي يجعل المؤمن مؤمناً والكافر كافراً والزاني زان وشارب الخمر و... ثم يعاقب السيء ويثيب المحسن!!

خامساً: تقول الأشاعرة بإمكان رؤية الله تعالى رؤية بصرية بالعين المجردة يوم القيامة فيراه المؤمنون.

يقول الشهرستاني - وهو أشعري المذهب -: ومن مذهب الأشعري أن كلّ موجود يصحّ أن يُرى، فإنّ المصحّ للرؤية إنّما هو الوجود، والباري تعالى موجود فيصحّ أن يُرى^(١).

بينما قالت بقية الفرق الإسلامية بامتناع رؤية الحقّ تبارك وتعالى ولا يستطيع هنا أن نناقش كلّ واحدة من هذه المقالات الباطلة للأشاعرة لأنها بحاجة إلى بحوث خاصّة ومتّسع من الوقت.

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٠٠ ط دار المعرفة بيروت.

سادساً: وقالت الأشاعرة: إن الإمامة تثبت بالاتفاق أو باختيار الأمة دون النص والتعيين من رسول الله ﷺ، إذ لو كان نص لما خفي، والدواعي تتوافر على نقله وانتقوا في سقيفة بني ساعدة على أبي بكر.

هذه عمدة أصول الأشاعرة التي يختلفون فيها مع جميع المسلمين. وأما خرافاتهم وعقائدهم التي أوجدت الاختلاف في الأمة الإسلامية فكثيرة جداً، ولسنا في صددنا.

إذن يكون جواب سؤالكم عن الاختلافات بين الفرق الإسلامية هل هي أصولية أم فرعية؟ نقول لكم: هي أصولية^(١).

سؤال: يفهم من استعراضكم لآراء الأشاعرة أنكم ترونها باطلة، من أين يعرف ذلك؟ إذ قد تكون موافقة للحق والصواب فما تقولون؟

الجواب: لقد أجاب علماء الكلام من المحققين وردّوا هذه الآراء وأشاروا إلى وجه الفساد فيها، ولو أردتُ أنا أن أنطرق لردّها من القرآن والعقل لاحتجنا إلى كتاب مستقل.

سؤال: ولكن لا بأس أن تذكروا فساد هذه الوجوه ولو بسطر واحد عن كلّ مسألة لكي تطمئن قلوبنا ونعرف الحقيقة.

أجوبة مختصرة في ردّ عقائد الأشاعرة

الجواب: من الصعب جداً أن أجيبكم أجوبة مختصرة على مثل هذه المسائل التي تحتاج إلى كلام وكلام، ولكن على الله أتوكّل وبه أستعين:

(١) أقول: قال الشهرستاني في الملل والنحل: أهل الأصول المختلفون في التوحيد والعدل والوعد والوعيد والسمع والعقل.. أنظر الملل والنحل ج ١ الباب الأول ص ٣٢ وقوله هذا تصريح أنّ الاختلافات أصولية بين الفرق / المترجم.

أولاً: أذكر لكم مقدّمة مهمّة وهي أنّ أساس الاختلاف بين الإلهيّين والمادّيّين في الصفات الإلهية، إذ يقول المادّيّون بعدم وجود خالق يتّصف بصفات معيّنة وأنّما من الطبيعة تبدأ الأشياء.

وكانت هذه الآراء الفاسدة في بلاد اليونان بعد سقراط ثم دخلت إلى بلاد المسلمين شيئاً فشيئاً وأصبح هناك نوع من التداخل المعرفي بين المسلمين وأصحاب هذه العقائد والمقالات، وبالتالي فقد أثّرت هذه الفلسفة في عقائد المسلمين وأفكارهم؛ فقالت الأشاعرة إنّ الصفات الإلهية زائدة على الذات فقد تصوّروا أنّ الخالق سبحانه وتعالى مثلنا (الممكنات)، فكما أنّ صفة العلم بالنسبة لنا إضافية وهكذا القدرة والحياة فقاموا بالخالق (الواجب) بالمخلوق (الممكن) وقالوا إنّ صفاته زائدة على ذاته إلا أنّها قديمة معه^(١).

قال القاضي الفضل بن روزبهان في كتابه إيصال الباطل: مذهب الأشاعرة أنّه تعالى له صفات موجودة قديمة زائدة على ذاته فهو عالم بعلم وقادر بقدرة ومريد بإرادة وعلى هذا القياس والدليل عليه أنّنا نفهم الصفات الإلهية من صفات الشاهد وكون علّة الشيء عالماً في الشاهد هي العلم فكذا في الغائب، وحدّ العالم هاهنا من قام به العلم فكذا حدّه هناك.

(١) بينما الصحيح أنّ الصفات عين ذاته المقدّسة وأستطيع أن أمثّل لكم هذه العينية بمثال بسيط لأجل تقريب الفكرة، فالدسومة في السمن غير قابلة للانفكاك عنه في الواقع الخارجي وهكذا حلالة السكر في ذرات السكر، لأنّ السمن والدسومة شيئاً واحداً وهكذا الحلالة وذرات السكر، بحيث لو تصوّرنا إمكان التفكيك بينهما لما عاد السمن سمناً ولا السكر سكرّاً / المؤلف رحمه الله.

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣).

أقول: كان هذا الكلام في المتن أدرجته في الهامش للحفاظ على وحدة السياق والموضوع / المترجم.

وقال الشهرستاني في الملل والنحل: الإنسان إذا فكّر في خلقته من أي شيء ابتداء وكيف دار في أطوار الخلقة طوراً بعد طور حتّى وصل إلى كمال الخلقة وعرف يقيناً أنّه بذاته لم يكن ليُدبّر خلقته وينقله من درجة إلى درجة.. علم بالضرورة أنّ له صانعاً قادراً عالماً مريداً.. وكما دلّت الأفعال على كونه عالماً قادراً مريداً دلّت على العلم والقدرة والإرادة لأنّ وجه الدلالة لا يختلف شاهداً وغائباً، وأيضاً لا معنى للعالم حقيقة إلاّ أنّه ذو علم ولا للقادر إلاّ أنّه ذو قدرة... وهذه الصفات لن يتصوّر أن يوصف بها الذات إلاّ وأن يكون الذات حياً بحياة..^(١)

وهم يقصدون بالشاهد (الإنسان) وبالغائب (الله).

أنظروا إلى هذه الخرافات والأوهام التي تسرّبت إلى أذهان الأشعري وأتباعه بسبب ابتعادهم عن بيت الرسالة والوحي ومجانبتهم باب علم رسول الله ﷺ عليّ ﷺ، فلو كانوا يتبعونه في أقواله وأفعاله لما وصل بهم الحال إلى مثل هذه الأباطيل، وأنا سأحاول أن أذكر لكم واحدة من كلماته الذهبية ﷺ المذكورة في نهج البلاغة حول الصفات والتوحيد الإلهي والذي تلتزم به الإمامية، يقول ﷺ: «أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه»^(٢).

(١) المصدر السابق.

(٢) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي ج ١، ص ٧٢.

يقول عليه السلام: إِنَّ صفاته سبحانه وتعالى ليست كصفات المخلوقين أي أنها ليست عارضة عليه وزائدة على ذاته كما هو الأمر فينا، وإلا لزم النقص والعجز، أي أن ذاته ليست عادلة ولا قادرة ولا عالمة وإنما تحلّت بالعدالة والقادرة والعلم وهذا اعتراف ضمنى بالعجز والنقص للرب سبحانه وتعالى (علوّاً كبيراً) في حال افتقاده إليها.

فإن قالوا: إنها قديمة مع قدم ذاته، لزم محذور تعدّد القدماء والشركة ولا يقول به أحد من المسلمين، ولزم محذور التركيب وكلّ مركّب محتاج وهو باطل كما ترون.

إذن الصحيح أن يعتقد المسلم أن صفاته سبحانه وتعالى ذاتية كما تقول به الإمامية إتباعاً لأمير المؤمنين علي عليه السلام الذي قال: «وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه» أي أن صفاته ليست كصفات المخلوقين فكلّ صفة نتحلّى بها نحن البشر يجب أن نفيها عنه سبحانه، لأنه ليس كمثله شيء وهذا معنى قول الإمامية أن صفاته عين ذاته أي أنها ليست إضافية ولا عارضة بل هي من شأن ذاته المقدسة.

فعندما نقول إن العجز والموت والجهل ليست من صفاته يعني أنها لم تكن ولن تكون من صفاته أبداً، وهكذا بقية صفات المخلوقين لا تجد طريقها إلى الحق سبحانه وتعالى، بل يتفرد بصفاته التي لا مثيل لها أبداً، وهذا هو معنى التوحيد الذاتي، والتوحيد الصفاتي، وأنه تبارك وتعالى يؤثر في الوجود على سبيل الاستقلال لا كما نحن وهذا معنى التوحيد الإفعالي.

وبهذا البيان المختصر بان بطلان قول الأشاعرة في موضوع الصفات الذي قاسوا فيه الخالق مع المخلوق.

الحسن والقبح العقليان

وأما اختلافهم الأصولي الثاني مع المسلمين حول الحسن والقبح على أنهما شرعيان ولا مدخلية للعقل في ذلك...

نقول: ذهب الإمامية إلى أنهما عقليان إتباعاً لأهل البيت عليه السلام والدليل على كونهما عقليين أنه قد حكم بوجود الحسن والقبح الملاحظة الذين لا يعترفون بالخالق والشرائع السماوية والأديان الربانية، مثل حكمهم بقبح الظلم وحسن العدل، فمن أين حكموا بالحسن والقبح مع عدم اعترافهم بالشرع؟ أليس هو العقل قد حكم بذلك؟

ولو تصوّرنا وجود شخص لا يعرف أي شيء عن الأنبياء والأديان ولا يعرف أن هناك خالق ومشرّع وله أحكام خاصة، ثم عرضنا عليه رجل سكران قد شرب الخمر وقتل الناس واعتدى عليهم، وسألنا الأول عن فعل هذا السكران لأجاب بأن شرب الخمر أمرٌ قبيح لأنه يؤدي إلى القبائح. إذن فعقله يحكم بذلك استقلالاً.

ومع وضوح هذه المسألة حتى تكاد تكون من البديهيات نجد الأشعري يغالط نفسه وعقله ويحكم بالعكس ويرى أن العقل ليس له أي دور!

وليس قوله هذا مستنداً إلى دليل وإنما اتباعاً للهوى ومخالفةً مع آل محمد عليه السلام ومعاندة أهل الحق، والتمسك بالمغالطة؛ لأن أهل البيت عليه السلام قد أوضحوا كل شيء لاسيما هذا الموضوع، فلم تبق المساحة فارغة لكي يدلي الأشعري بدلوه فيها ويوجد انحرافاً خطيراً يقود الناس إلى الضلال.

فلقد ذكر ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني المتوفى عام ٣٢٨ أو ٣٢٩هـ والمدفون في بغداد بباب الجسر في كتابه القيم أصول الكافي في كتاب العقل والجهل ٣٦ حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته لبيان الحسن والقبح العقليان منها في حديث طويل عن هشام بن الحكم الكوفي عن أبي

الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: يا هشام إنَّ الله على الناس حجتين، حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرُّسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام وأما الباطنة فالعقول ^(١).

أي كما أنَّ الأنبياء يقودون الإنسان نحو الخير والكمال، كذلك العقل له القدرة على هذا الأمر.

وفي حديث آخر عن ابن السكيت المطلبي عنه عليه السلام في حديث طويل قال فيه: فما الحجة على الخلق اليوم؟ فقال عليه السلام: العقل يُعرف به الصادق على الله فيصدق، والكاذب على الله فيكذبه ^(٢).

وهو واضح الدلالة على أنَّ العقل يميِّز الصدق - وهو من الأمور الحسنة - عن الكذب وهو من الأمور القبيحة.

وفي حديث ثالث مسنداً عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال: حجة الله على العباد النبي والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل ^(٣).
وروي أيضاً «العقل دليل المؤمن» لأنه يميِّز له الحسن من القبيح فلهذا صار دليلاً.

ثم إنَّ الثواب والعقاب على مقدار العقل إذ لا يكلف الله نفساً فوق طاقتها، ولذا روي مسنداً عن إسحاق بن عمار أنه قال للصادق عليه السلام: جعلت فداك إنَّ لي جاراً كثير الصلاة كثير الصدقة كثير الحج لا بأس به، قال عليه السلام: يا إسحاق كيف عقله؟ قال: جعلت فداك ليس له عقل، قال عليه السلام: لا يرتفع بذلك منه ^(٤).
وروي عنه عليه السلام: إذا رأيتم الرجل كثير الصلاة كثير الصيام فلا تباهاوا به حتَّى

(١) أصول الكافي ج ١ كتاب العقل والجهل ح ١٢ ص ١٣.

(٢) المصدر نفسه ح ٢٠ ص ٢٤.

(٣) المصدر نفسه ح ٢٢ ص ٢٥.

(٤) المصدر نفسه ح ١٩ ص ٢٤.

تنظروا كيف عقله^(١)؛ لأنَّ العقل هو مدار الاعتبار وعليه تُقاس الأعمال. فضلاً عن ذلك فإنتم تعلمون أنَّ دعوات الأنبياء من لدن آدم ﷺ إلى الخاتم ﷺ كانت للعقلاء وأما المجانين وفاقدي العقول فهم خارجون عن التكليف، إذ بالعقل يتبع الناس الأنبياء عندما يقطعوا - بعقولهم - بحسن النبوة ودعواتها، وألا إذا لم يحكم العقل بذلك لصار بعث الأنبياء لغواً وانسد باب الهداية، إذ الهدف من البعثة هو هداية الناس، والهداية لا تتحقق إلا بعد حكم العقل بصدق دعوى النبوة وحسن متابعة الأنبياء.

وأما إذا قلنا بقول الأشاعرة أنَّ الحسن ما حسَّنه الأنبياء والقبح ما قبحوه، لزم عدم متابعة الأنبياء بالمرَّة؛ لأنَّ العقل لا يميِّز بين الصدق والكذب فيستحيل أن يذعن للأنبياء لأنَّه لا يرى أي فرق بينهم وبين أهل السحر والشعبذة فكلاهما يخرق العادة، فعلى مذهب الأشاعرة لا يمكن إثبات النبوة بأيِّ طريق من الطرق.

مع أنَّ القرآن يصرِّح أنَّ أفضل طريق لإثبات الحقِّ والصدق هو العقل ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ^(٢).

وفي محاولة يائسة تمسك علماء الأشاعرة بظواهر بعض الآيات لدعم مذهبهم مع إغماضهم عن آيات قرآنية أخرى تبطل مذهبهم، وقد ردَّهم علماء الإمامية والمعتزلة بأجوبة متقنة، وأحيلكم إلى قراءة ما كتبه العلامة الشهيد القاضي نور الله المرعشي المقتول عام ١٠١٩ هـ وقد ذكرته سابقاً في ردِّه على الفضل بن روزبهان في إحقاق الحقِّ الجزء الأول.

(١) المصدر نفسه ح ٢٨ ص ٢٦.

(٢) الزمر: ١٧ - ١٨.

هل القرآن قديم أم حادث ؟

الاختلاف الأصولي الثالث للأشاعرة هو موضوع قديم أو حدوث القرآن فقال أبو الحسن الأشعري: إن القرآن قديم، لأن القرآن كلام الله، وهو معنى قائم بالذات الإلهية، كما أن الكلام معنى قائم بذات الإنسان يعبر عنه بالحروف والأصوات، والدليل على قيام ذلك المعنى بالذات الإلهية أنه تعالى متكلم. فالأشعري يذهب إلى أن المتكلم من قام به الكلام، وقال بالكلام النفسي القائم بالنفس، وكلامه ليس حروفاً ولا صوتاً، فعنده - الأشعري - الكلام صفة ثبوتية قديمة كبقية الصفات.

وأما الإمامية والمعتزلة فيذهبون إلى القول بحدوث القرآن، وأما كونه تعالى متكلماً فهو إيجاده وخلقه للكلام في الأشياء فيخرج منها الصوت والحرف مرتباً ليعبر عن إرادة المولى سبحانه وتعالى.

لأن المتكلم هو من فعل الكلام لا من قام به الكلام (كما زعموا) فضارب هو من فعل الضرب وقاتل من فعل القتل وهكذا المتكلم من فعل الكلام أي يوجد الحروف والأصوات المرتبة ترتيباً مفهماً في الأشياء الخارجية.

وعليه فيكون القرآن الذي هو كلام الله حادثاً، ولو قلنا إن الكلام توأم العلم والإرادة لزم أن يكون الأخرس أو الصامت متكلماً لوجود العلم والإرادة فيهما، وهو ليس بصحيح.

ثم إن الكلام متكون من حروف متتالية بعضها مقدّمة على البعض الآخر فاللاحق يعدم السابق وهذا دليل حدوثه أيضاً وقد صرح الله سبحانه بأن كتابه المجيد وكلامه المقدّس حادث لا قديم.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ففي هذه الآيات يظهر أن القرآن نزل في فترة معينة لقوم وجدوا وخلقوا لا أنه كان موجوداً في الأزل.

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾^(٦).

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾^(٧).

ففي جميع هذه الآيات يوجد تصريح بحدوث القرآن وأنه الآن بدأ يقص ويروي للنبي ﷺ وأُمَّته أنباء الأمم الماضية.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٨).

وكل شيء (بجعله) الله من الأمور التكوينية يعني يخلقه فقله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ أي إِنَّا خلقناه وهو تعبير واضح على حدوثه.

(١) الزخرف: ٤٤.

(٢) النحل: ٤٣.

(٣) الأعراف: ١٠١.

(٤) هود: ١٢٠.

(٥) يوسف: ٣.

(٦) الكهف: ١٣.

(٧) طه: ٩٩.

(٨) الزخرف: ٣.

ولعل أوضح آية في هذا الصدد قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّثٍ إِلَّا اسْتَغْمَعُوهُ وَهُمْ يُغْمَبُونَ﴾^(١).

ولا يوجد تصريح أكثر وضوحاً وصراحة من هذا على حدوث القرآن فقوله: ﴿مُخَدَّثٍ﴾ دليل جلي على أنه حادث ليس بقديم.

ومضافاً إلى صراحة القرآن جاء أهل بيت رسول الله ﷺ ليؤكدوا هذه العقيدة برواياتهم الذهبية وأقوالهم الرائعة منها ما ذكره باب مدينة علم الرسول ﷺ علي عليه السلام في خطبته حول التوحيد حيث قال:

«يقول لما أراد كونه كن فيكون، لا بصوت يقرع، ولا بنداء يُسمع وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه، ومثله لم يكن من قبل ذلك كائناً ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً...»^(٢).

إذن فكلامه سبحانه عبارة عن فعله الخارجي تارة يعبر عنه بالكتب المقدسة كالقرآن والتوراة والإنجيل، وأخرى يعبر عنه بالفعل التكويني وهو على كلا الأمرين حادث ليس قديم.

والعجب من أهل السنة فمع كل هذه الدلائل القرآنية وروايات أهل البيت عليهم السلام نراهم يعرضون عنها ويتمسكون بما قاله أبو الحسن الأشعري ويتبعونه على باطله، وما هذا إلا ترجيحاً لقوله على قول أهل البيت عليهم السلام الذي أمرنا رسول الله ﷺ بالتمسك بهم وأنهم سفينة النجاة دون سواهم.

ولم يقف الأمر إلى هذا الحد بل أنهم - يعني الأشاعرة - كفروا من يقول بحدوث القرآن واعتبروه ملحداً وحرّضوا السلاطين على قتل من يقول بحدوث القرآن!!

(١) الأنبياء: ٢.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٨٥.

المأمون يقتل مَنْ يقول بحدوث القرآن!

ومن جملة المآسي ما ذكره المؤرخ الطبري في تاريخه وابن الأثير في تأريخه أيضاً في حوادث سنة ٢١٨هـ: إن المأمون العباسي كتب إلى إسحاق بن إبراهيم ببغداد في امتحان القضاة والشهود والمحدثين بالقرآن فمن أقر أنه مخلوق محدث خلّى سبيله ومن أبى أعلمه به ليأمره فيه برأيه وطوّل كتابه بإقامة الدليل على خلق القرآن وترك الاستعانة بمن امتنع عن القول بذلك.

فورد الكتاب إلى إسحاق بن إبراهيم بامتحان القضاة والفقهاء فأدخلوا جميعاً على إسحاق فقرأ عليهم كتاب المأمون وكانوا كلّ من: بشر بن الوليد الكندي، وعلي بن أبي مقاتل، والفضل بن غانم، والذّيال بن الهيثم، وسجادة، والقواريري، وأحمد بن حنبل، وقتيبة، وسعدويه الواسطي، وعلي بن جعد، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وابن الهرش، وابن عليّة الأكبر، ويحيى بن عبد الرحمن العمري، وشيخاً آخر من ولد عمر بن الخطّاب كان قاضي الرقة، وأبا نصر التمار، وأبا معمر القطيعي، ومحمّد بن حاتم بن ميمون، ومحمّد بن نوح المضروب، وابن الفرخان، وجماعة منهم النضر بن شميل، وابن علي بن عاصم وأبو العوام البرّاز وابن شجاع، وعبد الرحمن بن إسحاق.

فقرأ عليهم الكتاب مرّتين ثمّ قال بشر بن الوليد: ما تقول في القرآن؟ فقال: إنّه مخلوق ثمّ سألهم واحداً واحداً فقالوا كلّهم بخلق القرآن إلا أربعة أشخاص قالوا بقدّم القرآن، وهم: أحمد بن حنبل إمام الحنابلة وسجادة، والقواريري، ومحمّد بن نوح المضروب.

فأمر بهم إسحاق فشدّوا في الحديد، فلمّا كان الغد دعاهم في الحديد فأعاد عليهم المحنة فأجابه سجادة والقواريري فأطلقهما وأصرّ أحمد بن حنبل ومحمّد بن نوح على قولهما فشدّوا في الحديد ووُجّها إلى طرسوس حيث

المأمون العباسي كان هناك^(١).

فهذه واحدة من مئات القصص حول مخالفة الأشاعرة لجميع المسلمين منذ ذلك اليوم وإلى هذا الوقت أيضاً.

الأشاعرة ينفون الاختيار عن الإنسان

ومن جملة أصولهم التي يختلفون فيها مع كافة المسلمين هو قولهم بالجبر ونفي الاختيار عن البشر ونسبة الأفعال كلها إلى الله تعالى، فالإنسان في نظرهم أشبه بالآلة لا يملك لنفسه أي شيء وكل ما يفعله من خير أو شر هو من الله، وأما الحديث عن الطموحات والأمال والسعي الدؤوب والوصول إلى الأهداف فهو حديث لا وجود له عند الأشاعرة، لاعتقادهم أن الله كتب الشقاء لجماعة والسعادة لآخرين ولا يملكون تغيير ما كتبه الله عز وجل!

ففعل الإنسان لا يؤثر بل أفعاله مخلوقة له وهو مجبور ومجبور عليها، نعم نسبة الفعل إلى الإنسان باعتباره كاسب الفعل لا أكثر.

المجبرة عبر التاريخ

إن التدقيق في آيات الذكر الحكيم يعطينا نتيجة مهمة وهي أن الشيطان الرجيم هو أول من قال بفكرة الجبر وسلب الاختيار عن الإنسان، أول قل الجبرية عقيدة شيطانية كما حكى الله تعالى قول إبليس اللعين: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢)، فإنه - لعنة الله عليه - نسب الإغواء إلى الله تبارك وتعالى مع أنه هو الذي امتنع عن السجود وعن الامتثال للأمر الإلهي،

(١) الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٣ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧ م.

(٢) الأعراف: ١٦.

فإيليس ينظر إلى الإضلال والإغواء على أنه من فعل الله به وكأنه أجبر عليه كما قال: ﴿فَيَمَّا أَغْوَيْتَنِي﴾^(١).

ومنذ ذلك الحين حاول إيليس لعنه الله أن يبت هذه الأفكار عبر الإغواء والإضلال لبني البشر حتى قال المشركون والمفسدون والكفرة: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾^(٢).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٣).

فهذه الآيات تستعرض عقيدة الجبر التي ترسخت في أذهان المشركين وقد توارثوها عن آبائهم وأجدادهم بعد أن ألقاها إليهم إيليس.

فالجبر ليس من اختصاص الأشاعرة بل هو موضوع قديم وقد ظهر في بني البشر لأول مرة عند البراهمة (عبدة الأصنام) في الهند، فاعتقدوا أن الإنسان آلة الفعل لا غير، وأما الفاعل الحقيقي هو الخالق وهو الذي يقرّر مصير الإنسان نحو الخير أو الشر.

ثم انتقلت هذه الفكرة إلى قدماء المصريين من عبدة الأصنام وكانت مورد بحثهم إلى أن اعتقدوا بها.

بعدها وصلت إلى مسامع فلاسفة اليونان من قبيل سقراط وافلاطون،

(١) أنظر مجمع البيان ج ٤ ص ٢٢٧ ط الأعلمي - بيروت.

(٢) الأنعام: ١٤٨.

(٣) النحل: ٣٥.

فتمسكوا بها وصدّقوها ونشروها، فقال بها أغلب الفلاسفة لاسيّما بعد أن تصدّى أرسطو لنشرها وبيانها.

ثمّ عادت من خلالهم إلى المسلمين في زمن بني أميّة الذين روجوا لها، فأول من قال بالجبر من المسلمين رجل اسمه الجهم بن صفوان في تركستان في مدينة ترمذ وكان يعيش قرب نهر جيحون.

لقد رفع هذا الرجل راية الجبر ونفى الاختيار عن الإنسان واعتبر المؤثر الحقيقي هو الله لا غير، وأمّا الإنسان وغيره من الكونيات كالشمس والماء والطعام... إنّما يتمّ تأثيرها من الله، وبالتالي لا ينسب شيء من الأفعال إليها بل إلى الله فقط حتّى أنّه كفر من ينسب الفعل إلى الإنسان أو الأشياء الخارجية، وقد اتّبعه بعض الحمقى في عقيدته الفاسدة هذه حتّى أيام هشام بن عبد الملك الأموي، فقتل الجهم على يد مسلم بن الأحوز المازني في (مرو شاه جهان) وهي واحدة من مدن خراسان المهمّة، وبقتله انقطع أتباعه ولم يبق منهم أي أثر.

ومع مطلع القرن الرابع الهجري ظهر أبو الحسن الأشعري في البصرة وبغداد بعد أن ترك مذهب المعتزلة وصنع لنفسه مذهباً خاصاً سمّي باسمه وضع فيه مقابل كلّ أصل من أصول المعتزلة أصلاً يختلف عنهم^(١).

ولمّا كانت المعتزلة تقول بالاختيار التام وأنّ الإنسان مفوّض ومخيّر، قال أبو الحسن بالجبر المحض ونفى الاختيار عن الإنسان، وفي الحقيقة فإنّ

(١) قال السيّد ابن طاووس: وفي الحديث الرابع من أفراد مسلم المتضمّن أنّ أوّل من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني وأنّ يحيى بن يعمر وحמיד بن عبد الرحمن الحميدي لقيا عبداً لله بن عمر بن الخطّاب فسألاه فصدق معبد الجهني / أنظر الطرائف فصل في بيان أقوال الطائفة المجبرة وردها ص ٣٢٤ ط بيروت / المترجم.

الأشعري أعاد عقيدة الجهمية بعد أن أجرى بعض التعديلات الطفيفة (غير المؤثرة) عليها ونشرها باسم الإسلام!!

فمثلاً كان صفوان بن الجهم يقول بسلب الفعل عن الإنسان وينسبه إلى الله مباشرة، فأجرى الأشعري تعديلاً على ذلك وقال: إن الفعل يُنسب إلى الإنسان بلحاظ الكسب لأنه كاسب للفعل.

وفي بدء دعوته تبعه القليل من الناس ولكن بعد وفاته اشتهر أمره وذاع صيته وانتشرت فكرته، وكان وراء ذلك خلفاء وسلاطين آل أيوب الذين حكموا في مصر وبلاد الشام من عام ٥٦٢هـ إلى ٦٤٩هـ.

فلما رأت السلاطين أن هذه الفكرة تخدم حكمهم وتقوي سلطانهم وتدعم أفعالهم وتبرّر جرائمهم وفضائحتهم، سخّروا كلّ طاقاتهم لإحيائها وترويجها فتمسّك بها أهل السنّة إلى يومنا هذا^(١).

ووقف المعتزلة أتباع واصل بن عطاء (ولد في المدينة عام ٨٠هـ وتوفي عام ١٣١هـ) أمام الأشاعرة وقالوا بالاختيار وأن الإنسان يملك كامل اختياره وأن الأفعال منسوبة له حقيقة وهو يملك ويقرّر مصيره بيده نحو الخير أو الشرّ ولا علاقة لله تعالى بأفعاله.

(١) أقول: يظهر من بعض النصوص أن عمر بن الخطّاب يقول بفكرة الجبر، يروي الواقدي في أحداث غزوة حنين عن أبي قتادة يُحدّث: لما التقينا كانت للمسلمين جولة... فلحققت عمر بن الخطّاب فقلت:

ما بال الناس؟ (أي حينما انهزموا) قال: أمر الله! ثم إن الناس رجعوا... الخ / المغازي ج ٢ ص ٩٠٨.

فانظر إلى عمر يوكل فرار المسلمين إلى (أمر الله) وكأنّ الله تعالى هو الذي كتب الفرار عليهم، ثم إن الله نفسه هو الذي يوبّخهم على فرارهم هذا!! إن هذا الشيء عجاب / المترجم.

أمر بين أمرين

وقد كُفِّرَ الأشاعرة والمعتزلة بعضهم بعضاً وفُسِّقَ أحدهما الآخر وبين هذا وذاك قال الشيعة الإمامية وفقاً لحديث أهل بيت النبي ﷺ واستناداً للأدلة العقلية بالأمر بين الأمرين، وأبطلوا عقيدة الأشاعرة والمعتزلة معاً.

أما بالنسبة للأشاعرة فقالوا لهم: لو كانت الأفعال كلها مخلوقة لله ومنسوبة إليه سبحانه وتعالى فلا معنى لإرساله الرُّسل وبعثه الأنبياء لهداية الناس، كيف والناس لا يملكون أمر الهداية بأيديهم ليهتدوا، لاسيما أولئك الذين كتب الله عليهم الضلال؟

فتكون بعثة الأنبياء من العبث واللغو، بل ستكون الكثير من الآيات القرآنية عبثية الوجود لا معنى لها بعدما كان الفاعل هو الله، والإنسان لا يملك أدنى اختيار، فالمؤمن إنما صار مؤمناً بمشيئة الله وكذا الكافر ودخول الأول إلى الجنة والثاني إلى النار أيضاً بمشيئته سبحانه وتعالى وهذا خلاف العدل الإلهي، لأنه كتب الكفر أو النفاق أو الضلال على بعض الأفراد ثم يعاقبهم على كفرهم ونفاقهم وضلالهم، وهكذا إجراء الحدود وإنزال القصاص المذكور في الكتب السماوية كلها ستكون خلاف العدل والعقل، لأن قطع يد السارق وجلد الزاني أو رجمه - إن كان محصناً - ونفي أهل الفساد وقتل القاتل وما إلى ذلك من حدود، لا ذنب للإنسان فيها لكي نعاقبه عليها، بل أفعال قَدَّرها الله وخلقها وأجبر الإنسان على فعلها تكويناً بعد أن سلب منه الاختيار.

أليس هذا نوعاً من اللغو والعبث؟

وكذلك وعده سبحانه وتعالى المؤمنين بالجنة ووعيده الكفرة بالنار سيكون لا معنى له أبداً، لأن دخول أيّاً منهما ليس باختياره لكي يتم وعده أو وعيده، لأن العاصي لا يملك الاختيار على فعل الخير فدخل النار مكرهاً، والمؤمن لا يملك الاختيار على الانحراف فدخل الجنة مكرهاً.

وهذا ما لا يرتضيه أي عاقل في الوجود^(١).

لُعْنَتُ الْقَدْرِيةِ عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيًّا

ولم يترك الأنبياء والأولياء هذا التيار الجبري بدون أن يواجهوه لأنه لو لم يكن اللون الكفر، بل هو أشد كُفْراً لأنهم يجعلون الخالق في قفص الاتهام دائماً. فقد ذكر العلامة المجلسي في البحار وابن طاووس في الطرائف وجماعة

(١) روي أَنَّ البهلُول اجتاز يوماً على مسجد أبي حنيفة وكان يعظ الناس على المنبر فوقف على باب المسجد فإذا أبو حنيفة يقول: إِنَّ جعفر بن محمد يزعم أَنَّ للعباد أفعالاً تصدر منهم بالاختيار وهذا كذب لأنه لا فعل في أفعال العباد إلا من الله. وزعم أيضاً أَنَّ الشيطان يُعَذِّب في النار وهذا كذب أيضاً لأنه مخلوق من النار والجنس لا يُعَذِّب بجنسه.

وزعم أيضاً أَنَّ الله موجود لا يجوز عليه الرؤية وهذا أيضاً كذب لأنَّ كلَّ موجود مرئي، فلَمَّا سمع البهلُول كلامه عمد إلى مدرة كبيرة فرمى بها إلى رأس أبي حنيفة وشجّه في رأسه وجرى الدم على وجهه فركب البهلُول قصبته ومضى مع الأطفال. فخرج أبو حنيفة وأتى شاكياً إلى الخليفة هارون الرشيد فلَمَّا رآه غضب غضباً شديداً وأمر بإحضار البهلُول، فلَمَّا حضر سأله: لِمَ فعلتَ بإمام المسلمين هذا الفعل؟ فقال: سله عن هذا أما قال إِنَّ جعفر بن محمد كذب في قوله إِنَّ للعبد فعلاً بل الأفعال كلها من الله فإذا كان هذا مذهبه فالله سبحانه الذي شجّه بهذا المدر فما يكون تقصيري أنا؟

وقال أيضاً إِنَّ الجنس لا يتعذّب من جنسه فهذا أبو حنيفة مخلوق من التراب وهذا المدر من التراب فلمَ تعذّب أبو حنيفة به؟

وأيضاً قال: إِنَّ كلَّ ما هو موجود مرئي فسله عن هذا الألم الذي حصل له من هذه الشجّة أهر مرئي أم لا؟ فأفحم أبو حنيفة ثم مضى.

أنظر الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٦٥ ط الأعلمي - بيروت / المترجم.

كبيرة من العلماء في كتبهم ذكروا عن رسول الله ﷺ قوله: لعنت القدرية على لسان سبعين نبياً، قيل: ومن القدرية يارسول الله؟ فقال: قوم يزعمون أن الله سبحانه قدّر عليهم المعاصي وعذبهم عليها^(١).

وذكر الزمخشري في الفائق (في غريب الحديث) وغيره عن محمد بن علي المكي بإسناده أن رجلاً قدم على النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: أخبرني بأعجب شيء رأيت؟ فقال: رأيت قوماً ينكحون أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم، فإذا قيل لهم: لِمَ تفعلون ذلك؟ قالوا: قضاء الله تعالى علينا وقدره!! فقال ﷺ: سيكون من أمتي أقوام يقولون مثل مقالتهم أولئك مجوس أمتي^(٢).

وروى في الفائق عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي ويقولون إن الله قد قدرها عليهم، الرادّ عليهم كالشاهر سيفه في سبيل الله^(٣).

ونقل أيضاً عن كتاب الفائق قوله: فأما المجبرة، فإن شيوخنا كفروهم وحكى قاضي القضاة عن الشيخ أبي علي أنه قال: المجبرة كفر من شك في كفرهم فهو كافر^(٤).

وليس قصدي من نقل هذه الروايات والكلمات لردّ الأشاعرة بل الردّ يحتاج إلى مجال أوسع وكلام مطوّل ليس هنا محلّه ولكن يمكن مراجعة البحار

(١) الطرائف لابن طاووس، فصل في بيان أقوال الطائفة المجبرة وردّها ص ٣٤٤ ط بيروت.

أقول: وذكره في الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٦٥ ط الأعلمي - بيروت / المترجم.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

وإحقاق الحق للقاضي نور الله الشهيد، وأما في اللغة الفارسية فيمكن مطالعة كتاب (حقيقة الأمر) تأليف المرحوم الحاج ميرزا رفيع نظام العلماء التبريزي، وكتاب (آئين رستگاري)^(١) تأليف إبراهيم كتابچيان وغيرها من الكتب التي طرحت المسألة بشكل مفصل، وأوضحت معنى قول الإمامية (أمر بين أمرين). ولكن قصدي من إيراد تلك الروايات هو بيان الاختلاف بين الأصول الدينية من الفرق الإسلامية.

وأما المعتزلة

وأما المعتزلة فقد خالفوا الأشاعرة وألفوا الكتب تلو الكتب لرد عقيدة المجبرة ولكنهم لم يفلحوا أيضاً فقد وقعوا في حفيضة ظلماء لم يخرجوا منها بسلام.

فكما أن الأشاعرة نفوا الاختيار لدى الإنسان تماماً، جاء المعتزلة ونفوا نفوذ القدرة الإلهية على فعل الإنسان وقالوا إن الإنسان يملك كامل الاختيار والأفعال بجملتها وأسبابها وت نتائجها تنسب إليه ولا مدخلية لقدرة الله تعالى في فعل الإنسان بل فوّض الله له كلّ شيء فلا وجود للتوفيق الإلهي ولا اللطف وأن الإنسان مستغني عن حول الله وقوّته، وهذه من عقائد الزنادقة كما لا يخفى.

وأما عن الشيعة الإمامية فنعتقد أن هذه الفكرة خاطئة وخطئها لا يقل عن فكرة الأشاعرة في الجبر، نعم الإنسان فاعل مختار ولكن ليس كما تصوّر المعتزلة لأن ذلك من عقائد اليهود ونحن لا نلتزم بها أبداً.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِئِنَّا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(٢).

(١) المعنى هو: هذه هي النجاة / المترجم.

(٢) المائدة: ٦٤.

وقد اختلفت التفسيرات حول هذه الآية ولكن ما يهمنا هو ما يتصل ببحثنا هذا أي أن اليهود تصوّروا أن الله تعالى خلق الخلق وفرغ عنهم وهو لا يملك بعد خلقهم أي قدرة للتصرف في شؤون خلقه فلا يزيد ولا ينقص^(١).

وذيل الآية ردّ صريح على هذه الفكرة أي فكرة التفويض لذا قال الفخر الرازي: «اعلم أن هذه الآية ردّ على المعتزلة وذلك لأنهم في الحقيقة قائلون بأن يد الله مغلولة الخ.»^(٢).

ومضافاً إلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٣) أي أن له سبحانه التصرف الكامل في أمر خلقه وفق السنن، لأن فعله وتصرفه يقوم على أساس مصلحة الخلق ونفعهم، فله سبحانه في كل لحظة إحداث أو تغيير شيء.

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية: إن جماعة من اليهود قالوا إن الله تعالى لا يفعل شيئاً في يوم السبت، فردّت عليهم الآية أنه تعالى في كل يوم له شأن وتصرف.

وقد روي عن سعيد بن جببر في رواية عن ابن عباس أنه قال: إن أول شيء خلقه الله هو اللوح وهو من درّ أبيض وأطرافه من ياقوت أحمر وقلعه من نور وكتابته من نور أيضاً، وله تعالى في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة في هذا اللوح فيجيب الداعي ويعطي السائل ويهدي الحيران ويسرّ المغموّم ويشفي المريض ويهب التوبة لجماعة من خلقه ويغفر لأخرين^(٤).

(١) تفسير البرهان ج ٢ ص ٤٩٠ ط الأعلمي بيروت ١٩٩٩ م.

(٢) تفسير الرازي ج ٤، ص ٣٩٦ في تفسير الآية ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٩٩٥ م.

(٣) الرحمن: ٢٩.

(٤) بحار الأنوار ج ١٥، ص ٤، ح ٤.

فمن الآيات والروايات نخرج بنتيجة مهمة هي أن الله له كامل التصرف في خلقه في كل يوم وفق المصلحة والخير، وهذا يُبطل القول بالتفويض الذي قالت به المعتزلة، ولعل أوضح آية لرد مزاعم المعتزلة قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

فالاختيار الكامل والتام بيد الله فقط و فقط، فله إعزاز البعض أو إذلалهم كما هو صدر الآية، أما ذيلها فيشير إلى النظم والقوانين الكونية التي جعلها الله تعالى سارية المفعول على الدوام بقدرته واختياره واتصال قدرته المقدسة بهذه القوانين والنظم لحظة بلحظة دون انقطاع [...] ^(٢) وهكذا عملية الإحياء والإماتة فإنه تعالى بقدرته يخرج الحي من النطف والبيض التي هي بحكم الميت. ويخرج الميت من الحي، أو أنه تعالى يخرج الخبيث من الطيب، والطيب من الخبيث، أو يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر، فقد روي أن النبي ﷺ ذهب يوماً إلى إحدى زوجاته فرأى عندها امرأة سالحة فقال: مَنْ هذه؟ فقيل له: إنها واحدة من خالاتك، فقال: وأي واحدة منهن؟ فقيل له: هي خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث، فقال ﷺ: سبحان الذي يخرج الحي من

(١) آل عمران: ٢٦ - ٢٧.

(٢) [...] مثال ضربه المؤلف للدليل النظام على أن لكل حالة نظامية في الكون لا بد لها من حكيم عالم مدبر هو وراء هذه الظواهر وهو الله تعالى، إذ يستحيل إيكال ذلك إلى الصدفة أو الطبيعة العمياء التي لا تتصف بالاختيار، اختصرت كلامه وجعلته في الهامش لكي لا نخرج عن صلب الموضوع / المترجم.

الميت^(١)، فقد فسّر الكافر بالميت والمؤمن بالحي.

وهكذا تتصل قدرته واختياره وعلمه بموضوع الرزق فهو الرزاق الوحيد الذي يهب الخلائق أرزاقها بلا حساب، حتى أنه تعالى لا يقطع فضله وإفاضاته عن الخلق إلا إذا انقطع الناس عنه سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يُغَيِّرَ وَأَمَّا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومُ شَوْءٌ فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾^(٢). فهذه الآية من عجائب الآيات لأنها تردّ مذهب الأشاعرة القائلين بالجبر وأن الله تعالى هو الذي كتب الضلال على بعض الناس والإيمان للبعض الآخر، إذ الآية تقول: إن الله تعالى يغيّر أحوال الناس من حال إلى حال متى ما تغيّر الناس، وهي صريحة في إثبات نوع من الاختيار للإنسان.

ومن جهة ثانية تردّ مذهب المعتزلة القائلين بالتفويض الكامل للإنسان وأن الله لا دخل له في مجريات الأحداث، فإنها تؤكد وبصراحة أن الله سبحانه يمسك بأزمة الأسباب فله القدرة والاختيار على تغيير الأحوال بل على إنفاذ إرادته بدون أي مانع «فلا مردّ له» وإذا راجعنا التاريخ فابننا سنجد الشواهد القصصية على ذلك كثيرة جداً منها ما روي في تفسير المنهج:

(١) تفسير المنهج، في تفسير الآية ٢٦ - ٢٧ من آل عمران.

أقول: الأسود بن عبد يغوث هو من جملة المستهزئين برسول الله ﷺ وكانوا خمسة نفر العاص بن وائل والوليد بن المغيرة وأبو زمعة وهو الأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث والحارث بن قيس.

ومرّ الأسود برسول الله ﷺ مستهزئاً فأشار ﷺ إلى بطنه فاستسقى فمات، وقيل: أصابه السموم فصار أسود فأتى أهله فلم يعرفوه فمات وهو يقول: قتلني ربّ محمّد، أنظر البحار ج ١٨، ص ٤٨، ط: إيران / المترجم.

(٢) الرعد: ١١.

من معاجز رسول الله ﷺ

عن ابن عباس قال: أقبل بن الطفيل وأريد بن قيس (ربيعه) إلى النبي ﷺ فقال عامر: ما لي إن أسلمت؟ قال: لك ما للمسلمين وعليك ما للمسلمين، قال: تجعل لي الأمر بعدك؟ قال: ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن ذاك إلى الله تعالى يجعل حيث يشاء، قال: فتجعلني على الوبر (اليمن) وأنت على المدر (مكة)، قال: لا، قال: فماذا تجعل لي؟ قال: أجعل لك أعتة الخيل تغزوا عليها، قال: أوليس ذلك لي اليوم؟ قم معي فأكلمك، قال: فقام معه رسول الله ﷺ وأومئ لأريد بن قيس ابن عمه أن أضربه، قال: فدار أريد بن قيس خلف النبي ﷺ فذهب ليخترط السيف فاخترط منه شبراً أو ذراعاً فحبسه الله عز وجل فلم يقدر على سلّه فجعل يؤمئ عامر إليه فلا يستطيع سلّه، فقال رسول الله ﷺ: اللهم هذا عامر بن الطفيل أوعر الدين عن عامر^(١) ثلاثاً ثم التفت ورأى أريد وما يصنع بسيفه فقال: اللهم اكفينهما بم شئت، وبدر بهما الناس فولياً هارين قال: أرسل الله على أريد صاعقة فأحرقتة ورأى عامر بن الطفيل بيت سلوية فنزل عليها فطعن في خنصره فجعل يقول: يا عامر غدة كفدة البعير وتموت في بيت سلوية وكان يعير بعضهم بعضاً بنزوله على سلول ذكرأ كان أو أنثى، قال: فدعا عامر بفرسه فركبه ثم أجراه حتى مات على ظهره خارجاً من منزلها، فقتل عامر بن الطفيل بالطعنة وأريد بالصاعقة^(٢).

وهذه القصة تبين عناية الله تعالى وحفظه لنبيه الكريم ﷺ وتدخله سبحانه

(١) أوعر الدين: احبس الدين عنه فلا يناله بمكروه.

(٢) البحار ج ١٨ ص ٧٤ ح ٣٠ ط إيران. ومجمع البيان ج ٦ ص ٢٨٣، وسيرة ابن هشام

ج ٤ ص ٢١٣ ط مطبعة مصطفى البابي بمصر ١٩٣٦م.

وتعالى في أمور خلقه ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(١) وهو خلاف فكرة المعتزلة القائلين بالتفويض.

ومما روي أيضاً في هذا الباب أنَّ شاباً من الأنصار كان يحمل على رأسه مفعرة فيها خمر، فرأى النبي ﷺ وأصحابه أمامه في الطريق فدخله الخوف والاضطراب وندم على حمله لهذا الخمر فسأل الله تعالى أن لا يلتفت النبي ﷺ إليه على أن يتوب إلى الله توبةً نصوحاً، فلما اقترب منه رسول الله ﷺ قال له: ما تحمل على رأسك؟ فخاف الشاب واضطرب ثم قال: إنه خل، فقال ﷺ ومدَّ يده إليه: اجعل منه بيدي لأراه، فأخذ الشاب المفعرة من رأسه وسكب في يد النبي ﷺ وملؤه الخوف، فلما سكبه كان خللاً صافياً فشربه النبي ﷺ وشرب بقية أصحابه منه، فتعجب الشاب لما رأى الخل وقال: والذي أرسلك بالحق نبياً إنه كان في هذه المفعرة خمرأ فكيف صار خللاً؟ فقال ﷺ: صدقت ولكنك لما رأيتنا تبست إلى الله توبةً نصوحاً وعاهدت الله إن أنجاك من هذه الشدة أن لا تعود إلى حمل الخمر مرةً أخرى فبدل الله الخمر خللاً، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٢).

فانظروا إلى هذا اللطف الإلهي، فبمجرد أن بدّل هذا الشاب نيته، بدّل الله له الخمر خللاً وهو نوع تصرّف وتغيير وتبديل في الموضوعات الخارجية التكوينية ﴿يُغَيِّرُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٣)، وقال تعالى مشيراً إلى قدرته المستمرة على التغيير والتصرّف ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٤).

(١) الرعد: ١١.

(٢) الرعد: ١١.

(٣) الرعد: ٣٩.

(٤) إبراهيم: ٧.

ولهذا قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر^(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَذْمِيرًا﴾^(٢) كلها آيات واضحة في عدم التفويض.

وأيضاً من الأمثلة القرآنية والتاريخية على تصرف الله سبحانه في خلقه ونفي التفويض التام ما جاء في قوله تعالى: ﴿كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

إخبار منه تعالى على سنة وقانون مطرد وهو إنزال العقاب الإلهي والانتقام الرباني على الذين يكفرون ويكذبون بآيات الله تعالى وأن هذا العقاب لا يأتي جُزأً وإنما هو معلول عن الكفر بأنعم الله وجحدها وعدم شكرها، لذلك يجري القانون الإلهي وهو عبارة عن تبديل النعمة بعذاب ونقمة وهو نوع من التصرف الإلهي بمظاهر الكون فأين التفويض؟

وهكذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٤).

وقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٥).

(١) نهج البلاغة، الباب الثالث المختار من الحكم رقم ١٢، ص ٦٢٨، ط: الأعلمي.

(٢) الإسراء: ١٦.

(٣) الأنفال: ٥٢-٥٣.

(٤) البقرة: ١٨٦.

(٥) غافر: ٦٠.

قصة زكريا عليه السلام تنفي التفويض

قال تعالى: ﴿هَٰذَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ. فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ. قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(١) ثم صام زكريا عليه السلام وزوجته (إيشاع) وهي خالة مريم وطلبا من الله ولداً، فجاءت الملائكة تنادي زكريا عليه السلام في المحراب وبشروه بيحيى وهو طاعن في السن، ففي رواية ابن عباس إن زكريا كان عمره (١٢٠) عاماً وزوجته كان عمرها (٩٨) عاماً، فلما جاءته البشري قال: رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامراتى عاقر؟ فقال له جبرئيل: كذلك الله يفعل ما يشاء فحملت إيشاع بيحيى ثم ولدت مباركاً^(٢).

وهكذا في قصة عيسى بن مريم وكيف أنه تعالى وهبها ولداً حصوراً بلا سبب متعارف وهو الزواج، فهذا وذاك دليل على نفاذ قدرته وتصرفه المعبر عنه بـ (كن) ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣).

فله سبحانه وتعالى القدرة التامة على تسييب الأسباب الخفية للتأثير والتغيير ليكون دليلاً حسيّاً على بطلان مقولة التفويض.

(١) آل عمران: ٣٨ - ٤٠.

(٢) أنظر قصته في التفسير عندما يتعرضون للآية المذكورة أعلاه.

(٣) آل عمران: ٤٧.

إرسال الملائكة للنصر ينفي التفويض

ومن موارد إبطال التفويض المعتزلي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ
وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَأَقْبَهُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَكُمْ
رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ. بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ
فَوْرِهِمْ هَذَا يُغْدِذْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾^(١).

فهذه الآية تصرّح بوجود التدخل الرباني على سبيل العناية واللفظ
بالمسلمين فقد أنزل عليهم خمسة آلاف ملك يرتدون البياض ليقاتلوا مع
المسلمين الذين كان عددهم ٣١٣ رجلاً مقابل (١٠٠٠) مقاتل من قريش حتى
قتل من المشركين سبعون وأسر سبعون وجرح سبعون بعد أن جروا وراءهم
ذبول الخيبة والهزيمة.

وتكرّر نفس الأمر في معركة حنين كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي
مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ
عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ
وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ
الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

فأخبر سبحانه أنّ هذه العناية كانت ترافق المسلمين في ثمانين موضعاً
وليس هناك أي مجال للقول بالتفويض، بل كانت القدرة الإلهية والتصرف
الرباني والاختيار الإلهي هو وراء النصر الإسلامي في هذه المواقع.

سؤال: إنّ كلمة (مواطن) جمع موطن وهي تدلّ على الكثرة فمن أين

(١) آل عمران: ١٢٣ - ١٢٥.

(٢) التوبة: ٢٥ - ٢٦.

حدّدت هذه المواطن بـ (ثمانين) ؟

الجواب : نعم ، فكلمة موطن عبارة عن محل إقامة الجيش قبل الحرب ، وأما أنّ تحديد المواطن بـ (ثمانين) فليس رأياً شخصياً مني وإنما رواية ذكرها الطبرسي في تفسير مجمع البيان والعلامة البحراني في البرهان والكليني في الكافي والفيض الكاشاني في تفسير الصافي والعيّاشي في تفسيره وابن بابويه عن علي بن إبراهيم قال : حدّثني محمد بن عمرو ، قال : كان المتوكّل قد اعتلّ علّة شديدة فنذر إن عافاه الله أن يتصدّق بدنانير كثيرة أو قال بدراهم كثيرة فعوفي فجمع العلماء فسألهم عن ذلك ، فاختلفوا عليه فقال أحدهم عشرة آلاف وقال بعضهم مائة ألف ، فلمّا اختلفوا قال له عبادة ابعت إلى ابن عمك علي بن محمد بن علي الرضا عليه السلام فسئله عن ذلك ، فبعث إليه فسأله فقال عليه السلام : الكثير ثمانين ، فقالوا : ردّ إليه الرسول فقل من أين قلت ذلك ؟ فقال : من قوله تعالى : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ فكان المواطن ثمانين موطناً ، وروي : فعددتا تلك المواطن فكان ثمانين ، وروي : والمواطن التي نصر الله رسوله فيها ثمانون ^(١) .

وقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره وهو من أكابر علمائكم : قيل : إنّ تلك المواطن كانت ثمانين موطناً ^(٢) .

سؤال : نتمنى أن تعودوا إلى صُلب الموضوع وتذكروا لنا شيئاً عن معركة حنين ؟

(١) تفسير البرهان ج ٢ ص ١١٢ ط الرحلي - قم .

(٢) تفسير الرازي ج ٦ ، ص ١٨ ، ط : دار إحياء التراث العربي ، في تفسير هذه الآية .

مرور على وقعة حنين

الجواب: بعد فتح مكة حصل ائتلاف بين قبيلة هوازن وقبيلة ثقيف لمحاربة المسلمين، وكان ذلك في السنة الثامنة من الهجرة في أواخر شهر رمضان أو الأول من شهر شوال، فلما علم النبي ﷺ بذلك سار إليهم ومعه اثني عشر أو ستة عشر ألف رجل - ومن ضمنهم ألفين من الطلقاء - بينما كان عدد المشركين أربعة آلاف رجل.

فسار الجيش الإسلامي بقيادة النبي الأكرم ﷺ وكان جيشاً جراراً مهيباً، فلما رأى أبو بكر كثرة الجيش الإسلامي داخله العجب والغرور، فقال: لن تغلب اليوم من قلة، وهكذا راود هذا الشعور عدد من المسلمين وظنوا أن النصر موكول إلى كثرة العدد، فلما سمعهم النبي ﷺ تأثر كثيراً ثم قال: بل قولوا: وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم.

وكان هذا الشعور السليبي الذي تمثل به أبو بكر وآخرون مقدمة للانزهاج والفشل بعدما تعلقت قلوبهم بالبشر وانقطعت عن تعلّقها بالله العظيم الذي هو السبب الحقيقي وراء كل الأسباب المادية المؤثرة في صناعة النصر، وبالفعل فلما هجم المشركون على المسلمين من أربع جهات وهم في الوادي انكسر الجيش الإسلامي وفروا على وجوههم كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَغْجَبْتَكُمْ كَثَرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾^(١).

ولم يبق مع النبي ﷺ سوى:

١ - أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢ - العباس بن عبد المطلب.

٣- الفضل بن العباس .

٤- أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب .

٥- نوفل بن الحارث .

٦- ربيعة بن الحرث .

٧- عبد الله بن الزبير .

٨- عتبة بن أبي لهب .

٩- معتب بن أبي لهب .

١٠- أيمن ابن أم أيمن وقد أُستشهد في المعركة، فلمّا ثبت هؤلاء مع النبي ﷺ أرسل إليهم الله سبحانه وتعالى ملائكة عليهم ثياب بيض وعمائم حمراء يقاتلون معهم المشركين^(١) كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾^(٢) فلمّا رأى النبي ﷺ فرار أصحابه رفع يديه الكريمتين بالدُّعاء وقال: «اللَّهُمَّ لك الحمد ولك الشكر وإليك المشتكى وأنت المستعان»، فهبط عليه جبرئيل وقال له: لقد دعوت بدعاء موسى بن عمران حينما وصل البحر فانطلق له وسار فيه مع بني إسرائيل، وأغرق فرعون وأتباعه.

ثمّ دعا النبي عمّه العباس وقال له: ناد بالمسلمين وكان جهوري الصوت فناداهم: يا معاشر المهاجرين والأنصار، يا أهل بيعة الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، إلى أين تفرون اذكروا العهد الذي عاهدتم على رسول الله ﷺ.

فلمّا سمعوا نداءه خجلوا من أنفسهم فصاروا يعددون واحداً بعد واحد ويلتحقون بعلي عليه السلام إذ كانت الراية بيده، ثمّ قتل أمير المؤمنين علي عليه السلام أبا جرول وهو حامل راية هوازن ثمّ حملها الثاني فقتله علي عليه السلام فلمّا رأوا ذلك

(١) المغازي للواقدي ج ٢، ص ٩٠٥.

(٢) التوبة: ٢٦.

فَرَّوْا عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ، فَنَعَمَ الْمُسْلِمُونَ (٢٤٠٠٠) ناقة و (٤٠٠٠٠) أوقية من الفضة وأكثر من (٤٠٠٠٠) شاة، هذا مختصر عن هذه الواقعة^(١)، ولم يكن فرضنا هو أحداث حنين وإنما ردَّ المعتزلة القائلين بالتفويض.

ومن الشواهد الأخرى على ردِّ التفويض قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَتَدَّكَ بِنَضْرِهِ وَيَالْمُؤْمِنِينَ. وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

وهي صريحة في أنَّ النصر والألفة من الله تعالى بقدرته الخارقة يقرب القلوب بعضها مع البعض الآخر، وأنَّ الأسباب الظاهرية كلها لا تؤثر في ذلك، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

حتى قال الله تعالى حكايةً عن قول النبي ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾^(٣) فالتأثير الحقيقي هو بيد الله تعالى وإنَّ الأسباب لا تفعل مفعولها إلا بقدرته وإذنه وعلمه، وقد جاء في الديوان المنسوب لأمير المؤمنين علي عليه السلام قوله:

وللمهيمن في حالاتنا نظر وفوق تدبيرنا لله تقدير^(٤)

وقوله عليه السلام في نهج البلاغة: «عرفت الله بفسخ العزائم وحلَّ العقود»^(٥) أي أنَّ التدبير والتخطيط البشري قد يفشل إن لم تكن معه العناية الربانية فليس هناك أي تفويض تام للبشر وليس هناك أي مانع من نفوذ القدرة الإلهية.

(١) راجع تفصيلها في كتب التاريخ كالسيرة النبوية لزيبي دحلان ج ٢، ص ٣٠٣، ط: بيروت، وسيرة ابن هشام ج ٤، ص ٨٨، ومغازي الواقدي ج ٢، ص ٩٠٤ وغيرها.

(٢) الأنفال: ٦٢-٦٣.

(٣) يونس: ٤٩.

(٤) راجع ديوان الإمام علي عليه السلام ص ٢٤٦، لقطب الدين البيهقي النيشابوري ط: إيران.

(٥) شرح نهج البلاغة للمعتزلي، ج ١٩، باب: ٢٤٧، ص ٨٤.

سؤال: لقد أبطلت قول الأشاعرة (الجبرية) وأبطلت قول المعتزلة (المفوضة) إذن ما هي عقيدة الإمامية في هذا المجال؟ بل اللازم أن تكون عقيدتك أفضل من هؤلاء وهؤلاء بعد إبطالك لأقوالهما، فارجوا أن تذكرها لنا مع الأدلة؟

عقيدتنا لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين

الجواب: أولاً: لم أكن بصدد ردّ المجبرة والمفوضة بشكل واسع ومفصل وما مرّ عليكم كان ردّاً مختصراً موجزاً، بل كان الغرض هو بيان اختلاف الفرق الإسلامية فيما بينها في الأصول والاعتقادات، وقد ظهر لكم فساد قول الأشاعرة الذين يمثلون أكثر أهل السنة من المالكية والحنبلية والشافعية وقد ورثوا قول أبي الحسن الأشعري الذي اقتبس أفكاره من جهنم بن صفوان الملحد. وهكذا ظهر لكم بطلان قول المعتزلة الذين ظهروا في بغداد والبصرة أتباع واصل بن عطاء.

وأما نحن الشيعة الإمامية الاثنا عشرية فنتبع في هذه المسألة أئمتنا الأطهار من أهل بيت النبي ﷺ وهم أعدال القرآن، وقد قالوا: لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، وهو أجمل المعاني وأدقها بعيداً عن الأوهام والخرافات.

سؤال: ما هي «المنزلة» أو «الأمر» بين الأمرين؟

الجواب: لقد بين الأئمة الهداة ﷺ هذا الأمر فقد روى الشيخ الكليني (أعلى الله مقامه) في الأصول مستنداً عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: لا جبر ولا قدر ولكن منزلة بينهما، فيها الحق التي بينهما لا يعلمها إلا العالم، أو من علمهما إياه العالم^(١).

(١) أصول الكافي ج ١، ص ١٥٩، ح ١٠ باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين. ط:

وروي في نفس المصدر مسنداً عن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام: **إِنَّ اللَّهَ أَرْحَمُ بِخَلْقِهِ مِنْ أَنْ يَجْبِرَ خَلْقَهُ عَلَى الذُّنُوبِ ثُمَّ يَعَذِّبَهُمْ عَلَيْهَا** والله أعزّ من أن يريد أمراً فلا يكون، قال: **فَسُئِلَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: هَلْ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ مَنْزِلَةٌ ثَالِثَةٌ؟** قَالَا: **نَعَمْ أَوْسَعُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ^(١).**

وروي أيضاً مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام أَنَّ رجلاً سأله: **أَجْبِرَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَى الْمَعَاصِي؟** فَقَالَ عليه السلام: **اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يَجْبِرَهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي ثُمَّ يَعَذِّبَهُمْ عَلَيْهَا،** فقال له: **جُعِلَتْ فِدَاكَ فَفَوَّضَ اللَّهُ إِلَى الْعِبَادِ؟** قَالَ عليه السلام: **لَوْ فَوَّضَ إِلَيْهِمْ لَمْ يَحْصِرْهُمْ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ،** فقال له: **جُعِلَتْ فِدَاكَ فَبَيْنَهُمَا مَنْزِلَةٌ؟** قَالَ عليه السلام: **نَعَمْ أَوْسَعُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ^(٢).**

وروي مسنداً عنه عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: **لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيزَ وَلَكِنْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ^(٣).** وقال الشيخ الصدوق في الاعتقادات: **اعتقادنا في نفي الجبر والتفويض قول الصادق عليه السلام: لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيزَ بَلْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ^(٤).**

وقال العلامة المجلسي في مختصر العقائد وهو في صدد ذكر الضروريات التي ثبتت بالتواتر: **لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيزَ بَلْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ^(٥).**

وقال المرحوم الملا جعفر شريعتمداري الاسترآبادي ^(٦) في كتابه الفلك

→ الكتاب الإسلامي عام ١٣٨٨هـ.

(١) أصول الكافي ج ١، ص ١٥٩، ح ٩.

(٢) نفس المصدر ح ١١.

(٣) نفس المصدر ص ١٦٠، ح ١٣.

(٤) اعتقادات الصدوق ص ١٠، ط: إيران ١٤١٢هـ، تحقيق غلامرضا المازندراني.

(٥) العقائد للعلامة المجلسي ص ٤٠، تحقيق حسين درگاهي، ط: ١٤٢٠هـ.

(٦) وهو من تلامذة السيد علي صاحب الرياض، كان ساكناً في طهران وتوفي عام

١٢٦٣هـ / المؤلف.

المشحون: إن الاعتقاد بالأمر بين أمرين من أصول المذهب، ومنكره عن تقصير خارج عن المذهب ومخلّد في النار. فهذه خلاصة اعتقادنا.

سؤال: لقد نقلت لنا روايات جاء فيها لفظ (القدر) إلى جانب الجبر، فما الفرق بينها وبين التفويض؟

الجواب: لقد أوضحت لكم سابقاً أن الأشاعرة هم المجبرة، والمعتزلة هم المفوضة وقد أطلقت لفظة (القدرية) غالباً على الأشاعرة فكانوا مورد الذم واللعن ولكن أستخدمت اللفظة أيضاً على المعتزلة، لأنهم ينفون التقدير الإلهي، ثم استخدم كلا الفريقين هذه اللفظة ضد الآخر، فأطلقت على الأشاعرة والمعتزلة على حد سواء!

لأن الأشاعرة قالوا: المراد من القدرية هم الذين ينفون التقدير الإلهي وهم المفوضة الذين ينسبون كل شيء إلى الإنسان ولهذا سمّوا بالقدرية وهم المقصودون بالذم واللعن وأنهم مجوس هذه الأمة.

حتى قال السيّد علي شريف الجرجاني في شرح المواقف:

قيل: القدرية هم المعتزلة، لإسناد أفعالهم إلى قدرتهم^(١).

بينما قال المعتزلة: أن المراد من القدرية هم الذين قالوا بأن الله تعالى قدر الخير والشر كله فالتطاعات والمعاصي منه، وهم الأشاعرة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: القدرية مجوس أمّتي، وقد قال العلامة الحلّي في شرح تجريد الشيخ الطوسي: قال أبو الحسن البصري ومحمود الخوارزمي وجه تشبيهه ﷺ المجبرة بالمجوس من وجوه:

أحدها: إن المجوس اختصوا بمقالات سخيفة واعتقادات واهية معلومة

(١) شرح المواقف، المجلد الأول ص ١٨٠، ط: الأولى بمصر عام ١٣٢٥ هـ.

البطلان وكذلك المجبرة.

وثانيها: إنَّ مذهب المجوس أنَّ الله تعالى يخلق فعله ثمَّ يتبرأ منه كما خلق إبليس ثمَّ انتفى منه وكذلك المجبرة قالوا: إنَّه تعالى يفعل القبائح ثمَّ يتبرأ منها. وثالثها: إنَّ المجوس قالوا: إنَّ نكاح الأخوات والأمهات بقضاء الله وقدره وإرادته، ووافقهم المجبرة، حيث قالوا: إنَّ نكاح المجوس لأخواتهم وأمّهاتهم بقضاء الله وقدره وإرادته.

ورابعها: إنَّ المجوس قالوا: إنَّ القادر على الخير لا يقدر على الشرِّ وبالعكس، والمجبرة قالوا: إنَّ القدرة موجبة للفعل غير متقدِّمة عليه، فالإنسان القادر على الخير لا يقدر على ضده وبالعكس^(١).

وقال العلامة المجلسي في البحار بعد أن نقل أقوال المعتزلة والأشاعرة واتَّهام بعضهم لبعض بالقدرية: «سَيُتَّضَحُّ لَكَ أَنَّ كَلًّا مِنْهُمَا ضَالٌّ صَادِقٌ فِيَمَا نَسَبَ إِلَى الْآخَرِ وَأَنَّ الْحَقَّ غَيْرُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ، وَهُوَ الْأَمْرُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ»^(٢).

وقد جاء ذكر حديث لعن القدرية في كتب الفريقين عن رسول الله ﷺ حتَّى قال الفاضل التفتازاني وهو من أكابر علماء أهل السنَّة في شرحه على

(١) شرح التنجريد، فصل القضاء والقدر، المسألة ٨، والبحار ج ٥، ص ٧، الرواية (٤)، الباب الأوَّل.

(٢) البحار: ج ٥، ص ٧، الرواية الرابعة، باب الأوَّل.
وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: لكلُّ أمةٍ مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر.

وعنه عليه السلام: ما غلا أحد في القدر إلا خرج من الإيمان.
وعن الرضا عليه السلام عن آبائه عن رسول الله ﷺ قال: صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية.
أنظر الأحاديث في البحار ج ٥ ص ١١٨-١١٩ / المترجم.

المقاصد بصراحة :

«لا خلاف في ذمّ القدرية وقد ورد في صحاح الأحاديث لعن الله القدرية على لسان سبعين نبياً»^(١).

سؤال : أرجو أن تبين لنا معنى أمر بين أمرين الذي تقول به الإمامية ؟
الجواب : وهو يعني بين الجبر والتفويض توجد مرحلة معتدلة وفقاً للموازن العقلية والمنطقية الصحيحة ، فالشيعة لا تقول بالجبر المحض (الأشعري) ولا بالتفويض المحض (المعتزلي) بل تقول بوجود نوع من الجبر ونوع من التفويض وبيانه كالتالي :

إن الأوامر الإلهية على قسمين : أوامر تكوينية وأوامر تشريعية ، والإنسان في القسم الأول لا يملك أي اختيار بل هي جبرية قسرية عليه تجري وفق المشيئة الإلهية فقط ولا دخل لإرادة ورغبة واختيار الإنسان «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»^(٢).

من قبيل خلق الإنسان فلا أحد يتدخل بل لا قدرة لأحد في خلق البشر مثل العقم أو الولادة ، ذكر أو أنثى ، طويل أو قصير ، أبيض أو أسود جميل أو قبيح وإلى غيرها من أمور عجيبة غريبة لا دخل للبشر فيها بل فقط يجري القانون الإلهي بقدرته واختياره سبحانه وتعالى كما قال : «لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّانَا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَّا نَأْتِيهِمْ مِنْ يَشَاءٍ عَفِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ»^(٣).

وهكذا في بقية أجزاء الخلقة العجيبة مثل العين والأنف والأذن واليد

(١) شرح المقاصد، ج ٢، ص ١٤٣، ط: مصر ١٣٠٥ هـ

(٢) يس : ٨٢.

(٣) الشورى: ٤٩ - ٥٠.

والرجل وغيرها من الأعضاء الظاهرية، والأمعاء والأحشاء والأوردة والشرابين والأعصاب وجهاز التنفس والرئة والقلب والدورة الدموية والمعدة والطحال والكبد والقنطرة الهوائية و... من الأعضاء الداخلية، فلا أحد له السيطرة على هذه الأمور، بل هي تجري في الإنسان بدون اختياره، من النطفة في الرحم وإلى حين الولادة، فالحركات الداخلية لبعض هذه الأجهزة كإفراز الصفراء وعمل بعض الغدد والأنزيمات لا تدخل للبشر فيها أبداً.

نعم، للإنسان الاختيار في انتخاب نوع الغذاء ومكان الاستراحة وانتخاب الزوجة أو الصديق وكيفية الأكل ووقته وزيادته أو قلته وانتخابه للأكل الحلال أو الحرام واستعماله لبعض المقويات وما إلى ذلك.

ولهذا القسم بعث الله الأنبياء أي لإراءة الطريق للإنسان وهدايته للخير في كل شيء حتى يكون اختياره دائماً صائباً وصحيحاً وحسناً بلا أدنى إكراه وإجبار في المسألة.

فمثلاً أوضح الأنبياء للناس طريقة الزواج الشرعي وحذروهم من الزنا واللواط والفاحشة، ليقى الاختيار للإنسان نفسه فيماكانه أن يختار الزوجة العفيفة ليعيش الرفاه والطمأنينة معها، وبماكانه أن يذهب وراء تلك المنهيات ليمرض بالسل أو الزهري أو السيلان... ليعاني في الدنيا من هذه الأمراض وفي الآخرة من النار إن لم يتب توبة نصوحاً، وهكذا جاءت دعوات الأنبياء لتنهى الناس عن تناول المسكرات وحببوا إليهم تناول بقیة السوائل المفيدة، والإنسان يملك اختياره في ذلك فله أن يعصي الله تعالى ويشرب المسكر فيعاني من المشاكل والاضطرابات والمآسى فقد يُصاب بالجنون أو يرتكب بعض الأعمال الخطيرة كالقتل فينال جزاءه في الدنيا والآخرة.

وهكذا في بقیة الأحكام الشرعية، إذن فالإنسان لا يملك اختياراً في القسم الأول من الأمور التكوينية التي ضربت أمثلتها، بينما يملك كامل الاختيار في

القسم الثاني من الأمور التشريعية، فلا جبر (في التشريع) ولا تفويض (في التكوين) بل أمر بين أمرين.

ذكر العلامة المجلسي في البحار نقلاً عن عيون أخبار الرضا عليه السلام مسنداً عن يزيد بن عمير بن معاوية الشامي أنه قال للرضا عليه السلام: يابن رسول الله روي لنا عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قوله: لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، فما معناه؟

فقال عليه السلام: من زعم أن الله تعالى يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر، ومن زعم أن الله عز وجل فوّض الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك فقلت له: يابن رسول الله فما أمر بين أمرين؟ فقال: وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به، وترك ما نهوا عنه، فقلت: فهل الله عز وجل مشيئة وإرادة في ذلك؟ فقال: أما الطاعات فأرادة الله ومشيئته فيها الأمر بها والرضا لها، والمعانة عليها، وإرادته ومشيئته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها، قلت: فهل لله فيها القضاء؟ قال: نعم، ما من فعل يفعله العباد من خير أو شر إلا والله فيه قضاء، قلت: ما معنى هذا القضاء؟ قال: الحكم عليهم بما يستحقّونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة^(١).

وعلى غرار هذه الروايات توجد روايات كثيرة أعتمد إليكم عن ذكرها، المهم أنها تؤكد عدم وجود أي نوع من الجبر التشريعي على إرادة الإنسان، وتنفي التفويض الذي تقول به المعتزلة أو غيرهم، فالأمور كلها بيد الله تعالى فالعبد يدبر والله يقدر، فهناك مجال واسع لتحرك إرادة العبد في اختيار الأسباب والمقدمات، التي تؤثر تأثيرها التكويني بإذن الله فقط فهناك طرف بيد الإنسان

(١) عيون أخبار الرضا ج ١ باب ١١ في التوحيد ح ١٧ ص ١٠١.

وطرف بيد الله تعالى، مع أن الأول واقع تحت قدرة الله تعالى أيضاً، كما يقول القائل: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله» و«لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» لأن الاختيار في الإنسان صفة موهوبة من الله تعالى للإنسان، ولذلك نقول: إن الأمور عائدة كلها إلى قدرة الله تعالى بالنظرة الدقيقة، ولهذا ورد في الشرع المقدس استحباب اعتراف الإنسان بالفقر والعجز التام أمام قدرة الله تعالى. ففي رواية عباية بن ربيعي المشهورة أنه سأل أمير المؤمنين علياً عليه السلام عن القدرة والاستطاعة فقال له عليه السلام: تملكها من دون الله أو مع الله؟ فسكت عباية، فقال عليه السلام له: قل، فقال: وما أقول؟ قال عليه السلام: تقول تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن يملكها إيتاك كان ذلك من عطائه وإن يسلبكها كان ذلك من بلائه، هو المالك ملكك والمالك لما عليه أقدرك، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حيث يقولون لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال عباية: وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟ قال: لا حول بنا عن معاصي الله إلا بعصمة الله، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله^(١).

وذكر الشيخ الطبرسي في الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله في القضاء والقدر: «ولا تقولوا وكلهم الله إلى أنفسهم فتوهنوه، ولا تقولوا أجبرهم فتظلموه ولكن قولوا الخير بتوفيق الله، والشر بخذلان الله، وكل سابق في علم الله»^(٢). فخلاصة «أمر بين أمرين» أن الله أعطى القدرة والاستطاعة إلى الإنسان فجعله مختاراً وينفس الوقت أمره ونهاه على سبيل الاختيار ثم أرسل إليه الأنبياء والحجج لتكتمل الحجة على الإنسان، وينفس الوقت أحاطه بمجموعة من الأسباب والقوانين الكونية الخارجة عن اختيار الإنسان.

(١) البحار: ج ٥، ص ٧٥، الرواية الأولى، الباب الثاني.

(٢) الاحتجاج ج ١، ص ١٩٨، ط بيروت الأعلمي عام ١٤٠١ هـ.

سؤال: كان عندي سؤال لطالما أردت أن أسألك عنه والآن قد حان وقته، وهو إننا عندما نجلس في بعض محافل علمائنا الكبار يقولون إن الشيعة (الروافض) كفرة ومشركون لاعتقادهم أن الله تعالى فوض الأمور كلها للأئمة كالإحياء والإماتة والرزق والعزة... فهل هذا الكلام صحيح؟ نرجو أن توضّحوه لنا.

الجواب: الاتهامات من هذا القبيل ضدنا كثيرة جداً، فقد اعتاد علماء أهل السنة على ذلك، ممّا أثار ويثير تعجّب عوام الشيعة الذين لم يألفوا هذه الحالة. وللأسف فإنّ هذه الاتهامات مجرد افتراء ناشئ عن التعصّب والحقد والعناد، للحطّ من شأن الشيعة وإثارة الأجواء ضدهم من خلال الكذب والدجل، وممّا يؤسف له أنّ بعض أهل السنة يتلقّون أمثال هذه الافتراءات بشكل أعمى بدون أن يطالعوا الكتب الشيعة التي صنفها علماء الإمامية الكبار، فيقوم علماء أهل السنة بنسبة بعض الأكاذيب والعقائد (كالغلوّ مثلاً) إلى الشيعة ويتهمونهم بالشرك والكفر والزندقة، مع أنّ الشيعة الإمامية بريئون من جميع هذه العقائد والأكاذيب.

لا للتفويض

قلنا سابقاً: إنّ الأئمة الهداة من آل بيت رسول الله ﷺ قد شجبوا فكرة التفويض إلى جانب شجبهم للجبر، وهكذا فقد نفوا عن أنفسهم ما أتهموا به من التفويض، روى الشيخ المفيد في الاختصاص عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: من زعم أنّ الله عز وجل فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليه السلام فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر فهو كافر، والقائل بالتفويض فهو مشرك^(١).

(١) الاختصاص ص ٣٣٢، ط الأعلمي، عام ١٩٨٢ م.

وقال عليه السلام لياسر الخادم: إِنَّ اللَّهَ فَوَّضَ إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ أَمْرَ دِينِهِ فَقَالَ: ﴿مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١)، فَأَمَّا الْخَلْقُ وَالرَّزْقُ فَلَا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شَرِكٍ كَانِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢).

وجاء في كتاب اعتقادات الشيخ الصدوق عن زرارة بن أعين يقول: جئت الصادق عليه السلام وقلت له: إِنَّ رجلاً من ولد عبد الله بن سبأ يقول بالتفويض ويقول: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا ففَوَّضَ إِلَيْهِمَا فَخَلَقَا وَرَزَقَا وَأَمَاتَا وَأَحْيَا، فقال عليه السلام: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ إِذَا انصرفَ إِلَيْهِ فَأَقْرَأْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٣)، يقول زرارة: فرجعت إليه وقرأتُ عليه الآية فسكت كأنه ألقم حجراً^(٤).

الإمام المهدي عليه السلام يجيب عن موضوع التفويض

وجاء في غيبة الشيخ الطوسي: أَنَّ قوماً من المفوضة وجهوا كامل بن إبراهيم المدني إلى أبي محمد العسكري عليه السلام، قال كامل: فقلت في نفسي أسأله: لا يدخل الجنة إلا من عرف معرفتي وقال بمقالتني، قال: فلمَّا دخلت على سيدي أبي محمد عليه السلام نظرت إلى ثياب بياض ناعمة عليه فقلت في نفسي: ولي الله

(١) الحشر: ٧.

(٢) الروم: ٤٠.

(٣) الرعد: ١٦.

(٤) اعتقادات الصدوق.

وحجّته يلبس الناعم من الثياب ويأمرنا نحن بمواساة الاخوان وينهاانا عن لبس مثله، فقال متبسّماً: يا كامل وحسر عن ذراعيه، فإذا مسح أسود خشن على جلده، فقال: هذا لله وهذا لكم، فسلمت وجلست إلى باب عليه ستر مرخى فجاءت الريح فكشفت طرفه فإذا أنا بفتى كأنه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها، فقال لي: يا كامل بن إبراهيم فأقشعررت من ذلك وألهمت أن قلت: ليّك ياسيدي، فقال: جنت إلى وليّ الله وحجّته وبابه تسأله هل يدخل الجنّة إلّا من عرف معرفتك وقال بمقالتك؟ فقلت: إيّ والله، قال: إذن والله يقلّ داخلها والله إنّه ليدخلها قوم يُقال لهم الحقّة، قلت: ياسيدي ومن هم؟ قال: قوم من حبهم لعلّي يحلفون بحقّه ولا يدرون ما حقّه وفضله، ثمّ سكّت ﷺ عني ساعة ثمّ قال: وجنت تسأله عن مقالة المفوضة كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشينة الله فإذا شاء شئنا والله يقول: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١) ثمّ رجع الستر إلى حالته، فلم أستطع كشفه فنظر إليّ أبو محمّد ﷺ مبتسماً فقال: يا كامل ما جلوسك وقد أنباك بحاجتك الحجة من بعدي؟ فقمّت وخرجت^(٢).

وأيضاً جاء في كتاب الغيبة للشيخ توقيعاً للإمام المهدي صلوات الله عليه وعجل الله فرجه هذا نصّه: إنّ الله تعالى خلق الأجسام وقسم الأرزاق، لأنّه ليس بجسم ولا حال في جسم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فأما الأئمة فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق ويسألونه فيرزق إيجاباً لمسألتهم وإعظماً لحقّهم^(٣).

(١) الإنسان: ٣٠.

(٢) البحار ج ٥٢ ص ٥٠ ح ٣٥ ط إيران نقلاً عن غيبة الشيخ الطوسي.

(٣) الغيبة للشيخ الطوسي ص ١٧٨، ط: مكتبة نينوى الحديثة عام ١٣٨٥هـ، بمقدمة العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني صاحب (الذريعة).

ولا نريد أن نطيل عليكم وإلا فإن مثل هذه الأخبار كثيرة مروية في كتبنا، ومضافاً إلى ذلك فقد كان الأئمة عليهم السلام يعدّون أنفسهم لا شيء أمام المولى سبحانه وتعالى، لا أنهم يجعلون أنفسهم شركاؤه والعياذ بالله فهذا إمامنا علي بن الحسين السجّاد عليه السلام في صحيفته السجّادية يقول:

«اللَّهُمَّ إِنَّكَ مِنَ الضَّعْفِ خَلَقْتَنَا وَعَلَى الْوَهْنِ بَنَيْتَنَا فَلَا حَوْلَ لَنَا إِلَّا بِعَوْنِكَ وَلَا قُوَّةَ لَنَا إِلَّا بِعَوْنِكَ» ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ وَأَمْسَيْتُ عَبْدًا دَاخِرًا لَكَ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا بِكَ».

فهل بعد كل هذه التصريحات من نفس أئمتنا عليهم السلام يبقى مجال لاتهمان بالتفويض؟

نعم، عليّ أن أقول لكم: إنّ من بين الشيعة ظهر بعض الأفراد الذي قالوا بالتفويض أو التصوّف بعد أن خدعهم الشيطان وأغواهم، ولكن لم يدع الأئمة الأطهار مجالاً لهؤلاء فقد لعنهم وطردوهم وتبرأوا منهم وحذّروا شيعتهم منهم.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ مُحَبٌّ مَبْطَرٌ يَضْعِنِي فِي غَيْرِ مَوْضِعِي وَيَمْدَحُنِي بِمَا لَيْسَ فِيَّ، وَمُبْغِضٌ مَفْتَرٌ يَرْمِينِي بِمَا أَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ^(١). وقال عليه السلام: سِيْهْلُكَ فِيَّ صَنْفَانِ: مُحَبٌّ مَفْرُطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحَبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ وَمُبْغِضٌ مَفْرُطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبَغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ^(٢).

وقال عليه السلام: هَلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحَبٌّ غَالٍ، وَمُبْغِضٌ قَالَ^(٣).

وقال عليه السلام: يَهْلِكُ فِيَّ اثْنَانِ: مُحَبٌّ غَالٍ، وَمُبْغِضٌ قَالَ^(٤).

(١) البحار: ج ٢٥، ص ٢٨٥، الرواية (٣٧)، الباب العاشر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) نفس المصدر السابق.

ومن خلال هذه الكلمات اتخذ الشيعة الإمامية موقف الحذر والبراءة من الغلات والمفوضة الذين وضعوا الأحاديث على لسان الأنمة ونسبوا إليهم أو أنهم أدخلوا بعض الكلمات في أحاديث الأنمة عليه السلام، - مثل خطبة البيان غير المعتمدة - أمثال عبدالله بن سبأ الملعون في زمن الإمام علي عليه السلام وبنان بن سمعان، وأبو عبدالله الحرث الشامي في زمن الإمام السجاد عليه السلام، والمغيرة بن سعيد في زمن الباقر عليه السلام، وأبو الخطاب ومعر والسري وبشار الشعيري وحمزة ابن عمار البربري الترمذي وصائد النهدي وحاتر الشامي وأبو هارون المكفوف وبزيغ وغيرهم كلهم غلات كانوا في زمن الصادق عليه السلام، ومحمد بن بشير في زمان الإمام السابع - الكاظم عليه السلام، ويونس بن ظبيان ومحمد بن فرات وغيرهما في زمان الرضا عليه السلام، وقاسم اليقطيني وعلي بن حنكة القمي وفارس ابن حاتم القزويني وحسن بن بابائي القمي وفهري بن محمد بن نصير في زمان الإمام الهادي والعسكري عليه السلام، وهكذا استمر ظهور الغلات والمفوضة إلى زمان الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

وقد تصدئ جميع الأنمة لهؤلاء الغلات باللعن والدعاء وإبعاد شيعتهم عنهم، ولكن من الطبيعي أن يجد هؤلاء الغلاة بعض البسطاء من الناس الذين يصدقونهم حباً منهم لفضائل أهل البيت عليه السلام، ويوجد في زماننا هذا عدة قليلة من هؤلاء الغلات الذين يعدون أنفسهم من شيعة أهل البيت عليه السلام ولكنهم في الحقيقة من أبعد الناس عن الشيعة وعن أهل البيت عليه السلام، وقد تعرض علماءنا المحققون في كتبهم ومصنفاتهم لبيان عقائد المفوضة والغلات الذين نبرأ منهم، إذ الإمامية لا تقول بالتفويض للأنمة عليه السلام، بل تقول إن آل الرسول عليه السلام الأنمة الاثنا عشر أولياء الله وحججه وخلفاء الرسول عليه السلام وهم عباد الله المكرمون المتقون وهم أفضل وأورع وأتقى وأزهد الناس جميعاً، وهم عليه السلام

واسطة ووسيلة للفيض الرباني وليسوا هم الرازقون أو الخالقون.^(١)
وقد انقدحت في ذهني رواية الشيخ الكشي أَنَّ جماعة قالوا للإمام
الصادق عليه السلام:

وهذا المقدار كافياً لبيان عقيدة الإمامية وردّ الاتهامات الكاذبة التي ألصقت
بهم، ولم يكن هدفنا من البحث هذا بل كان الكلام حول الاختلافات الأصولية
بين المسلمين، وكنا قد ذكرنا بعض الأصول التي ينفرد بها الأشاعرة دون
المسلمين كافةً، والآن نعود معاً إلى أحد أصولهم الاعتقادية:

الأشاعرة تقول بإمكان رؤية الله!

ومن جملة الأصول التي تختلف فيها الأشاعرة مع المسلمين قولهم بتحقيق
رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة وهي - الرؤية - خاصة بالمؤمنين استناداً إلى
ظواهر بعض الآيات، ثم إنّ المجسمة والمشبهة والكرامية منهم - الأشاعرة -
قالوا: إنّ جميع أهل المحشر يرون الله تبارك وتعالى وينظرون إليه كما ينظرون
إلى الشمس أو القمر وذلك لأنّهم يعتقدون أنّ الله تبارك وتعالى جسماً ولذا
يمكن مشاهدته بالعين المجردة في جهة من الجهات، ولكن قد ثبت بالأدلة
العقلية والنقلية أنّ البارئ سبحانه ليس جسماً لأنّ الأجسام لها أبعادها الثلاثة
الطول والعرض والعمق فهي بذلك محتاجة إلى الحيز والفراغ، والبارئ سبحانه
غير محتاج، ثم إنّ الأجسام مركبة وكلّ مركّب محتاج ومفتقر إلى أجزاءه،
والبارئ منزّه عن الاحتياج والنقص والافتقار، وغيرها من الأدلة تجدونها في
مظانها، فإذا لم يكن الخالق جسماً استحالت رؤيته بتاتاً.

(١) ويمكن مراجعة اختيار معرفة الرجال للكشي ففيه بعض الروايات التي ينفي
فيها الإمام الصادق عليه السلام عن نفسه كلّ صور الغلو.

والعجب أن بعض الأشاعرة قال بإمكان رؤية الله في الحياة الدنيا كما رآه رسول الله ﷺ في ليلة المعراج!! أعوذ بالله من هذه المقالات الفاسدة المخالفة لضروريات الدين الإسلامي المقدس ولهذا لا أعطني كثيراً لمثل هذه الخزعات.

ولكن في مقابل الأشاعرة قالت الشيعة الإمامية الاثنا عشرية تبعاً للأئمة المعصومين من عتره الرسول الكريم ﷺ وكذا المعتزلة والزيدية بعدم إمكان رؤية الله تعالى.

أدلة الشيعة على استحالة رؤية الله

لقد ذكرت عدة أدلة عقلية ونقلية لردّ عقيدة الأشاعرة واستحالة رؤية المولى سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة للأنبياء وغيرهم، فقد ذكر المعتزلة والزيدية أدلتهم في ردّ الأشاعرة ولكن أدلتنا -الإمامية- قد تكون أمتن وأقوى لأنها مستندة إلى بيت الوحي والرسالة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»^(١) أي أن الأئمة من أهل البيت توأم القرآن العظيم، ومن جملة ما ذكرناه لردّ الأشاعرة هي:

١- أن الرؤية بالعين لا تتحقق إلا إذا كان الجسم مقابلاً للعين وهناك مسافة تسمح للرؤية وأن الجسم في جهة واحدة، وجميع هذه الشروط لا تتحقق في الله سبحانه وتعالى.

٢- والرؤية لا تتحقق إلا إذا كان الجسم مركباً ومتناهيًا ومحصوراً وفي جهة واحدة وخلق الجهات الأخرى منه، وجميع هذه الأعراض لا تقبل بها حتى

(١) تذكرة الخواص ص ٣٢٣، والفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي ص ٤٠.

وستمرّ بقية مصادر الحديث لاحقاً.

الأشاعرة.

٣- والرؤية لا تتحقق إلا إذا انطبعت صورة الشيء في حدة العين وهو محال بل لا ترنضيه حتى الأشاعرة، وهكذا بالنسبة للإشارة إليه.

٤- والرؤية لا تتحقق مع وجود بُعد مكاني، كما ذكره الإمام العسكري ببيان آخر^(١).

٥- ثم إن الأشياء كلها إما محسوسة مادية أي لها وجود خارجي، وإما معنوية لها وجود ذهني فقط مثل قول الشاعر: «أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد» فمثل هذه الأعلام والرماح لا وجود لهما في الواقع الخارجي وإنما صور ذهنية خيالية، ولكن كل هذه الأمور مخلوقة محدودة وكل ما دق وتناها في الخيال فهو أيضاً مخلوق متخيل، وليس هو الله لأنه سبحانه خالق، وما نتخيله في الذهن صور مخلوقة.

نعم، نحن ندرك وجود الله تعالى من خلال آيات صنعته وعجائب مخلوقاته فيقطع العقل بوجوده يقيناً وهذا اليقين كأنه رؤية. «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ»^(٢). وفي الديوان المنسوب للإمام علي عليه السلام يقول:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد^(٣)

٦- أما الآيات والروايات على إبطال رؤية الله فكثيرة جداً، فأكثر الآيات صراحة قوله تعالى: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ السَّطِيفُ

(١) سيذكر المصنف نص الرواية لاحقاً / المترجم.

(٢) آل عمران: ١٩٠.

(٣) ديوان الإمام علي عليه السلام ص ٣٩٩، حرف الدال، بشرح القاضي كمال الدين البيزدی المتوفى ٨٩٠ هـ.

الْخَيْرِ»^(١)، ووجه الاستدلال: أَنَّهُ تعالى يَنْفِي رُؤْيَاهُ بالبصر ثُمَّ يَمْتَدِّحُ نَفْسَهُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ لِأَنَّهَا مِنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ، وَذَكَرَ اسْمَ «اللطيف» يَدُلُّ عَلَى لَطَافَتِهِ وَبَسَاطَتِهِ وَتَجَرُّدِهِ عَنْ أَيِّ حَالَةٍ جَسَمِيَّةٍ.

وَقَدْ ذَكَرَ ثِقَةَ الْإِسْلَامِ الْكَلِينِي رحمته الله فِي الْحَدِيثِ التَّاسِعِ مِنْ أَحَادِيثِ إِبْطَالِ الرُّؤْيَا فِي الْكَافِي مُسْتَدًّا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانٍ أَنَّ الْإِمَامَ الصَّادِقَ عليه السلام قَالَ: «لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» أَيِ إِحَاطَةِ الْوَهْمِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: «قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ» لَيْسَ يَعْنِي بَصَرَ الْعَيُونِ، فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، لَيْسَ يَعْنِي مِنَ الْبَصَرِ، وَمِنْ عَمِيٍّ فَعَلِيَّهَا، لَيْسَ يَعْنِي عَمَى الْعَيُونِ، إِنَّمَا عَنِ إِحَاطَةِ الْوَهْمِ كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ بَصِيرٌ بِالشَّيْءِ وَفُلَانٌ بَصِيرٌ بِالْفَقْهِ وَفُلَانٌ بَصِيرٌ بِالدَّرَاهِمِ وَفُلَانٌ بَصِيرٌ بِالثِّيَابِ اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُرَى بِالْعَيْنِ^(٢).

وَأَيْضًا رَوَى مُسْتَدًّا عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الرِّضَا عليه السلام: لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ؟

فَقَالَ عليه السلام: يَا أَبَا هَاشِمٍ؛ أَوْهَامُ الْقُلُوبِ أَدْقُ مِنْ إِبْصَارِ الْعَيُونِ إِنَّكَ قَدْ تَدْرِكُ بَوْهَمَكَ السِّنْدَ وَالْهِنْدَ وَالْبُلْدَانَ الَّتِي لَمْ تَدْخُلْهَا وَلَا تَدْرِكُهَا بِبَصَرِكَ وَأَوْهَامُ الْقُلُوبِ لَا تَدْرِكُهُ فَكَيْفَ إِبْصَارُ الْعَيُونِ^(٣).

إِذْنٌ مَعْنَى قَوْلِهِ تعالى: «لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» يَعْنِي لَا تَدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ. وَقَالَ تعالى: «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا»^(٤)، بَلْ هُوَ تعالى يُحِيطُ بِنَا «أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ»^(٥).

(١) الأنعام: ١٠٣.

(٢) أصول الكافي ج ١ ص ٩٨ كتاب التوحيد باب إبطال الرؤية ح ٩.

(٣) المصدر نفسه ح ١١.

(٤) طه: ١١٠.

(٥) فصلت: ٥٤.

فثبت أنه تعالى محيط بنا، والرؤية تحتاج أن يكون المبصر إليه محاط به
والحال أنه سبحانه محيط بنا فانتفت واستحالة رؤيته لاستحالة الإحاطة به لا
نظراً ولا علماً.

وروي الكليني مسنداً عن صفوان بن يحيى قال: سألتني أبو قرّة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته في ذلك فأذن لي فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال أبو قرّة: إنا روينَا أَنَّ الله قَسَمَ الرؤية والكلام بين نبيين؛ قَسَمَ الكلام لموسى ولمحمد الرؤية، فقال أبو الحسن عليه السلام: فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين من الجن والإنس: «لا تدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيء» أليس محمداً؟ قال: بلى، قال عليه السلام: كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أَنَّهُ جاء من عند الله وَأَنَّهُ يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول: لا تدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيء ثم يقول: أنا رأيته بعيني وأحطت به علماً وهو على صورة البشر؟! البشر؟!

أما تستحون ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي من عند الله بشيء، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر؟! قال أبو قرة: فإنه يقول: «وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى»^(١) فقال أبو الحسن عليه السلام: إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأي، حيث قال: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى»^(٢) يقول: ما كذب فؤاد محمد عليه السلام ما رأت عيناه ثم أخبر بما رأى فقال: «لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى»^(٣)، فأيات الله غير الله وقد قال الله: «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا»^(٤) فإذا رآته الأبصار فقد أحاطت به العلم

(١) النجم: ١٣.

(٢) النجم: ١١.

(٣) النجم : ١٨ .

110: ط(ع)

ووقعت المعرفة، فقال أبو قرة: فتكذب بالروايات؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها، وما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به علماً ولا تدركه الأبصار وليس كمثله شيء^(١).

ومن الآيات الصريحة في رد الأشاعة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾^(٣).

جاء في التفاسير: إن كلم الله موسى بن عمران علم أن الله عز وجل أجل عن أن يرى بالأبصار ولكنه لما كلمه الله عز وجل وقربه نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله كلمه وقربه وناجاه «فقالوا لن نؤمن لك» حتى نسمع كلامه وكان القوم سبعمئة ألف فاختر منهم سبعين رجلاً لميقات ربه، فسأل موسى ربه أن يكلمهم ويسمعهم كلامه، فكلّمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام، فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا بعث الله عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا^(٤).

وجه الاستدلال بهذه الآية، أن الله تعالى اعتبر هذا الطلب من بني إسرائيل طلباً عظيماً فظيماً، واعتبرهم ظالمين في طلبهم الرؤية، واستحقوا الصاعقة من الله تعالى.

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٩٥.

(٢) البقرة: ٥٥.

(٣) النساء: ١٥٣.

(٤) أنظر تفسير البرهان ج ١ ص ١٠٠ ط الرحلي.

يقول آية الله المجاهد المرحوم الحاج عبد الحسين شرف الدين العاملي رحمه الله: إن الآية الأولى - السالفة الذكر - مع قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(١) توأماً واحداً فكليلهما يدلان على فطاعة الخطب، أي طلب الرؤية وعبادة العجل حتى استحفاً العقاب في كلا الحالتين من الله تعالى، بل كانت عقوبة الذين طلبوا الرؤية أشد وأقسى وهو يدل على كفر كلا الفريقين، لأن الذين طلبوا الرؤية تصوروا أن الله تبارك وتعالى يمكن تحيزه وتحديدته ووجوده في مكان خاص، وهكذا الذين عبدوا العجل فقد جسّدوا الخالق وحدّده وجعلوا له حيزاً، فكانوا جميعاً من الظالمين والكافرين حالهم حال المشركين من قريش: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾^(٢) فوصف الذين يريدون رؤية الله أنهم مستكبرون وعتاة.

ونظراً لهذا فقد حاول الأشاعرة أن يقولوا بإمكان رؤية الله في الآخرة فقط فراراً من هذه الآيات، وهم لا يعلمون أن القول برؤية الله لا يفرق في الدنيا أو الآخرة فجميع ما وُصف به بنو إسرائيل والمشركون ينطبق على الأشاعرة كظلمهم أنفسهم وعدّهم من المستكبرين العتاة واستحقاقهم العذاب والعقوبة في الآخرة.

إذن فرويته سبحانه وتعالى بالعين الباصرة محال.

(١) البقرة: ٥٤.

(٢) الفرقان: ٢١.

نفي الرؤية مؤبداً

ومن الأدلة على استحالة رؤيته سبحانه قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

ووجه استحالة رؤية الله في الآية من جهتين:

١- أداة (لن) وقد ذكر أهل اللغة والأدب أنها تفيد التأييد أي أنك لن تراني أبداً، وإذا كان موسى عليه السلام على منزلته وجلالة قدره لا يستطيع رؤية الله فممن الأولى لا يقدر غيره من الناس العاديين على رؤيته سبحانه.

٢- إنه تعالى علّق الرؤية على بقاء الجبل واستقراره، والمشروط عدم انعدام شرطه، وهو أحد معاني التعليق بالمحال^(٢) فلما تجلّى ربك للجبل جعله دكاً وتفتّت وتناثر ولم يبق له أي أثر، فصعق موسى ومات من معه لشدة الهول والتجلّي، فلما أفاق موسى عليه السلام نزه الله عن الرؤية.

سؤال: إذا كان موسى عليه السلام مؤمناً بعدم إمكان الرؤية فلماذا طلبها إذن؟

الجواب: لقد أثير هذا السؤال قبل عدّة قرون وكان مورد بحث بين المفسرين وفي الحقيقة فإن موسى لم يطلب الرؤية بنفسه أو لنفسه وإنما كان طلب الرؤية بعد إلحاح بني إسرائيل عليه وعنادهم معه حتّى أنهم علّقوا الإيمان بالرؤية كما وصفهم الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(٣)، فلما

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَبَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ المترجم.

(٣) البقرة: ٥٥.

رأى موسى ذلك منهم أذن الله تعالى له أن يسأله هذا السؤال مجازاة معهم فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾^(١)، فهذا في الحقيقة سؤال أولئك السبعين الذين كانوا مع موسى، ولما حصل ما حصل وأفاق موسى قال: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾^(٢).

فنسب هذا الفعل (وهو طلب الرؤية) إلى أولئك السفهاء السبعين الذين ذهبوا معه إلى الميقات، لأن سؤالهم دليل على سفاهتهم، وهذه الآية تؤكد على أن طلب الرؤية لم يكن من موسى عليه السلام.

وقد ذكر الشيخ الصدوق رحمه الله في التوحيد والعيون مسنداً عن علي بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك إن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، فسأله عن آيات من القرآن فكان فيما سأله أن قال له: فما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنُتَرَاكَ...﴾ كيف يجوز أن يكون كلم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أن الله تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال؟

فقال الإمام الرضا عليه السلام: إن كلم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أن الله، تعالى عن أن يرى بالأبصار ولكنه لما كلمه الله عز وجل وقربه نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عز وجل كلمه وقربه وناجاه، فقالوا: لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعت وكان القوم سبعمائة ألف رجل فاختر منهم سبعين ألفاً ثم اختار منهم سبعة آلاف ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربّه فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل وصعد

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) الأعراف: ١٥٥.

موسى ﷺ إلى الطور وسأل الله تبارك وتعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه، فكلمه وسمعوا كلامه... فقالوا: لن نؤمن لك بأن هذا الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرة، فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا، بعث الله عز وجل عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يارب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبت بهم فقتلتهم لأنك لم تكن صادقاً فيما ادّعت من مناجاة الله إياك؟ فأحياهم الله وبعثهم معه، فقالوا: إنك لو سألت الله أن يريك أن تنظر إليه لأجابتك وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته، فقال موسى ﷺ: يا قوم إن الله لا يرى بالأبصار ولا كيفية له وإنما يعرف بآياته ويُعلم بأعلامه فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله، فقال موسى ﷺ: يارب إنك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى الله جلّ جلاله إليه: يا موسى اسألني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم فعند ذلك قال موسى ﷺ: «رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه (وهو يهوي) فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل (بآية من آياته) جعله دكاً وخسر موسى صعباً» فلما أفاق قال: «سبحانك نبت إليك (رجعتُ إلى معرفتي بك عن جهل قومي) وأنا أول المؤمنين» منهم بأنك لا تُرى.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن...^(١).

وهذه الرواية تقطع الطريق أمام الأشاعرة وكلّ شكّاك في الدين لأنها الحق بعينه، ولكن مع شديد الأسف أن نرى الناس يتبعون أبا الحسن الأشعري على خزعبلاته وضلالاته المخالفة للعقل والقرآن ويتركون متابعة أهل بيت رسول الله ﷺ على رغم موافقتهم للقرآن والعقل والوجدان.

الإمام علي ينفي إمكان رؤية الله

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة حينما سأله ذعبل اليماني: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرى؟ فقال: وكيف تراه؟ قال عليه السلام: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان^(١).

وذكر العلامة الكليني في الكافي مسنداً عن الصادق عليه السلام قال: جاء خبرٌ إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته؟ قال: ويلك ما كنتُ أعبد ربياً لم أره، قال: وكيف رأيته؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأتها القلوب بحقائق الايمان^(٢).

وروي مسنداً عن عبدالله بن سنان عن أبيه قال: حضرت أبا جعفر عليه السلام فدخل عليه رجل من الخوارج فقال له: يا أبا جعفر أي شيء تعبد؟ قال: الله تعالى، قال: رأيته؟ قال: بل لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأتها القلوب بحقائق الايمان لا يعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس موصوف بالآيات، معروف بالعلامات، لا يجور في حكمه ذلك الله لا إله إلا هو، فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الأولى في نهج البلاغة حول ابتداء خلق السماء والأرض والإنسان: الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادون ولا يؤدّي حقّه المجتهدون، الذي لا يدركه بُعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حدٌ محدود ولا نعت موجود ولا وقت

(١) نهج البلاغة خطبة ١٧٨.

(٢) الكافي ج ١ كتاب التوحيد باب إبطال الرؤية ح ٦.

(٣) المصدر السابق ح ٥.

معدود^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الأشباح حينما أتاه رجلاً في مسجد الكوفة، وقال له: يا أمير المؤمنين صف لنا ربنا مثلما نراه عياناً لنزداد له حباً وبه معرفة، فنادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله، فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: ... الأول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله، والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده، والراعي أناسي الأبصار عن أن تناله أو تدركه^(٢).

وقال عليه السلام في خطبة أخرى: ... فلست نعلم كنه عظمتك إلا إننا نعلم أنك حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم، لم ينته إليك نظر ولم يدركك بصر أدركت الأبصار^(٣) إشارة منه إلى قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾. وقال عليه السلام في خطبة أخرى:

الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد، ولا تراء النواظر، ولا تحجبه السواتر، الدال على قدمه بحدوث خلقه، وبحدوث خلقه على وجوده^(٤).

وقال عليه السلام في نفس الخطبة: واحد لا بعدد ودائم لا بآمد وقائم لا بعمد تتلقاه الأذهان لا بمشاعرة وتشهد له المراني لا بمحاضرة لم تحط به الأوهام بل تجلّ لها وبها امتنع منها وإليها حاكمها^(٥).

(١) نهج البلاغة، خطبة ١.

(٢) المصدر نفسه خطبة ٩١.

(٣) المصدر نفسه خطبة ١٦٠.

(٤) المصدر نفسه خطبة ٢٢٧.

(٥) المصدر نفسه خطبة ٢٢٧.

وقال عليه السلام في خطبة أخرى: ما وحده من كيّفه، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا إتياء عنى من شبهه، ولا صمّده من أشار إليه وتوهمه، إلى أن يقول: بها تجلّني صانعها للعقول وبها امتنع عن نظر العيون.. لا تناله الأوهام فتقدّره ولا تتوهمه الفطن فتصوّره ولا تدركه الحواس فتحمسه ولا تلمسه الأيدي فتمسه^(١).
وأكثر عبارات الأنمة الهداة عليه السلام وأجوبتهم تؤكد على عدم المشاهدة الحسية.

ذكر الشيخ الكليني في الكافي مسنداً عن أبي هاشم الجعفري عن الرضا عليه السلام قال: سألت عن الله هل يوصّ؟ فقال: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: أما تقرأ قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾؟ قلت: بلى، قال: فتعرفون الأبصار؟ قلت: بلى، قال: ما هي؟ قلت: إبصار العيون، فقال: إنّ أوهام القلوب أكبر من إبصار العيون فهو لا تدركه الأوهام وهو يدرك الأوهام^(٢).

وروي في نفس الباب مسنداً عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذاكرت أبا عبد الله عليه السلام فيما يروون من الرؤية، فقال: الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر فإن كانوا صادقين فليملأوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب^(٣).

وروي في نفس الباب أيضاً عن أحمد بن إسحاق: قال كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام (الإمام الهادي) أسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس فكتب: لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء (لم) يتغذه البصر فإذا

(١) خطبة ٢٢٨.

(٢) أصول الكافي ج ١ كتاب التوحيد باب إبطال الرؤية ح ١٠.

(٣) المصدر نفسه ح ٧.

انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم تصح الرؤية، وكان في ذلك الاشتباه، لأن الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه وكان ذلك التشبيه لأن الأسباب لابد من اتصالها بالمسيبات^(١). ولما كان السائل على منزلة لا بأس بها في العلم فنرى الإمام قد فصل له الجواب بشكل علمي دقيق، إذا ثبت في العلوم العصرية أن الرؤية لا تتحقق إلا بعد انطباع صورة المرئي عبر الشعاع في حدة العين عبر الهواء كما هو الحال في انتقال الصور إلى جهاز التلفاز [...]»^(٢).

والمهم فقد ذكر في كتاب الكافي (١٢) خبراً على امتناع الرؤية وغيرها في كتاب التوحيد وعيون أخبار الرضا^(عليه السلام) وغيرها من الكتب المعتبرة في الأصول والاعتقادات، وقد عرفتم أن الأئمة^(عليهم السلام) ذكروا لعلّة استحالة الرؤية إمّا أسباباً عقلية أو نقلية من القرآن المجيد حسب ما يقتضيه الزمان أو السائل، وقد قام الإجماع عند الإمامية - تبعاً للرسول وأهل بيته - أن رؤية الله مستحيلة في الدنيا والآخرة.

المحال على نوعين

المستحيلات أو المحال على قسمين:

الأول: المحال العادي: وهو الممكن في نفسه ولكن ما لم تألفه الناس ولم تشاهده لأنه لا يقع إلا نادراً، مثل قيام الميت من قبره بعد مضي السنين المتמادية عليه، ومثل خلق الطيور من الطين ثم تحويلها إلى طيور حقيقة تطير في السماء، ومثل ذبح الطيور الأربعة وتقطيعها ثم دعوتهن وعودة الحياة إليهن من جديد،

(١) المصدر نفسه ح ٤.

(٢) [...] ما بين المعقوفتين كلام للمؤلف عبارة عن شرائط تحقق الرؤية وقد ذكرها المؤلف سابقاً وأعادها هنا فلم نذكرها حذراً من التكرار. / المترجم

ومثل تحوّل العصا إلى ثعبان عظيم، ومثل خروج الناقة من الجبل الأصم، ومثل انشقاق القمر نصفين في السماء وإلى آخره من المعاجز الخارقة للسعادة التي جاءت في الكتب السماوية لاسيما القرآن المجيد.

الثاني: المحال العقلي: وهو المحال في نفسه الممتنع من التحقق خارجاً الذي لا تتعلق به المشيئة الإلهية مثل اجتماع الضدين وارتفاع النقيضين وهكذا ما نحن فيه من رؤية الله تعالى الذي جعلته الأشاعرة أحد أصولها الاعتقادية، فهو من المحالات العقلية الممتنعة في نفسها، ومع ذلك فقد جوزوه على الله تعالى ذكره، وجعلوا المستحيل ممكناً وهو باطل يشهد بطلانه جميع العقلاء، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) فيما إنّه لا مثيل ولا شبه له في الوجود فهو خارج عن حدود الممكنات جميعاً فلا يجري عليه ما يجري عليها.

نتيجة ما تقدّم من الاختلافات في الأصول والفروع لأهل السنّة

بما تقدّم ثبت أنّ الاختلافات بين الفرق الإسلامية اختلاف أصولي أي في أصول الاعتقادات كالقول بأن الصفات إضافية أم عينية، وإنّها قديمة بقدمه أم لا؟ وفي الحسن والقبح أنهما عقليان أم شرعيان؟ وأنّ كلام الله قديم أم حادث؟ وإنّه أجبر العباد أمّن فوّضهم؟ وهل يرى بالعين المجردة أم لا؟ وقد أشرنا إلى كلّ هذه المسائل باختصار واقتضاب، وعرفتم أنّ الاختلاف عميق وكبير وليس سطحياً ولا في الفروع، فضلاً عن الاختلافات الأصولية والفرعية بين الأشاعرة والمعتزلة والحنفية والمالكية والحنبلية.

وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ لِلْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ عَلَيْهِ أَنْ يَرِاجِعَ دَوْرَةَ (مسائل الخلاف في الفقه) تأليف الشيخ الطوسي رحمته الله المتوفي عام ٤٦٠هـ في النجف الأشرف^(١) فقد ذكر أقوال المذاهب الإسلامية من باب الطهارة إلى باب الديات، وكلٌّ مِنْ رَاجَعَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الْغَرِيبَةَ وَالْفَتَاوَى الْعَجِيبَةَ بَيْنَ فِرْقِ أَهْلِ السُّنَّةِ يَدْرِكُ بِأَنْهَمُ لَا يَمَثُلُونَ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالَّتِي هِيَ مَدَارُ بَحْثِنَا هَذَا، فَتَرَى التَّرَاشُقَ بِالْإِتِّهَامَاتِ وَالتَّنَاقُضَ فِي الْمَبْتَنِيَّاتِ فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى قَدَمٍ وَسَاقٍ، وَالْمَنْصَفَ يَقْطَعُ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا هُمُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ وَالْأَلَمَّا اخْتَلَفُوا.

يَذْكُرُ صَدْرُ الْحُكَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ السَّيِّدِ نِعْمَةَ اللَّهِ الْجَزَائِرِيِّ فِي الْأَنْوَارِ قِصَّةَ ظَرِيفَةٍ جَدًّا فَيَقُولُ: وَيَعْجِبُنِي نَقْلُ نُبْذَةٍ مِنْ كِتَابِ يُوْحَنَّا الذِّمِّيِّ...

قَالَ يُوْحَنَّا: فَلَمَّا رَأَيْتَ هَذِهِ الْاِخْتِلَافَاتِ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوْقَ الْمَنَاطِبِ عَظُمَ عَلَيَّ الْأَمْرُ وَغَمَّ عَلَيَّ الْحَالُ وَكَدَّتْ أَنْ أَفْتِنَ فِي دِينِي فَقَصَدْتُ بَغْدَادَ وَهِيَ قُبَّةُ الْإِسْلَامِ لِأُخَوِّضَ فِيهَا عُلَمَاءَ الْإِسْلَامِ (الْمُسْلِمِينَ) لِأَنْظُرَ الْحَقَّ وَأَتَّبِعَهُ فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ بَعْلَمَاءُ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ قُلْتُ لَهُمْ: أَنَا رَجُلٌ ذَمِّيٌّ وَقَدْ هَدَانِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ فَأَسْلَمْتُ وَقَدْ أَتَيْتُكُمْ لِأَتَقَبَّلَ عَنْكُمْ مَعَالِمَ الدِّينِ وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ كَبِيرُهُمْ وَهُوَ الْحَنْفِيُّ: يَا يُوْحَنَّا مَذَاهِبُ الْإِسْلَامِ أَرْبَعَةٌ فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ وَاحِدًا مِنْهَا ثُمَّ اشْرَعْ فِي قَوْلِ مَا نُرِيدُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنِّي رَأَيْتُ تَخَالَفَ الْمَذَاهِبِ وَعِلِمْتُ أَنَّ الْحَقَّ مِنْهَا وَاحِدٌ فَاخْتَارُوا لِي مَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الْحَقَّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ نَبِيِّكُمْ، ثُمَّ قَالَ الْحَنْفِيُّ: إِنَّا لَا نَعْلَمُ الْحَقَّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ نَبِيْنَا بَلْ نَعْلَمُ أَنَّ طَرِيفَتَهُ غَيْرَ خَارِجَةٍ عَنِ الْفِرْقِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَكُلٌّ مِنْ

(١) الشيخ الطوسي مؤسس الحوزة العلمية في النجف الأشرف في أوائل القرن الرابع الهجري / المؤلف.

أرعبتنا يقول إنه محقّ لكن يمكن أن يكون مبطلاً ويقول إنه غيره مبطل لكن يمكن أن يكون غيره محقاً، وبالجملة أن مذهب أبي حنيفة أنسب المذاهب كلها، وأقيسها للحقّ وأطبقها للسنة ...

قال يوحنا: فصاح به إمام الشافعية وأظنّ أنّه كان بين الشافعي والحنفي منازعات فقال له: اسكت لا نطق والله لقد كذبت وتقولت ومن أين أنت والتمييز بين المذاهب وترجيح المجتهدين وملك ثكلتك أمك؟ ألك وقوف على ما قاله أبو حنيفة وما قاس برأيه فإنّ المسمّى بصاحب الرأي يجتهد في مقابلة النصّ ويستحسن في دين الله تعالى ويعمل به حتّى أوقعه رأيه في الوهن في أن قال: لو عقد رجل في أقصى الهند على امرأة بكر وهي في الروم عقداً شرعياً ثمّ أتاها بعد سنين متعدّدة فوجدها حامل وبين يديها أولاد يمشون فيقول لها ما هؤلاء؟ فتقول له: أولادك فيرافعها في ذلك إلى القاضي الحنفي فيحكم أنّ الأولاد لصلبه يلحقون به ظاهراً وباطناً يرثهم ويرثونه، فيقول: وكيف ذلك ولم أقربها قط؟ فيقول القاضي: يحتمل أن يكون قد احتلمت وأطارت الريح منك فوقعت في فرج المرأة فحملت! فهل يا حنفي هذا مطابق للكتاب والسنة؟

وهكذا بدأ الشافعي يذكر الفتاوى المضحكة لأبي حنيفة التي لا دليل له عليها وبدأ كلّ إمام مذهب يذكر مخازي الآخر وبالتالي بقي يوحنا حائراً بعد أن أسقط الجميع بعضهم بعضاً بالأدلة، والقصة طويلة يمكن مراجعتها في الأنوار النعمانية أو كتاب يوحنا الذمي (إلزام النواصب في خلافة علي بن أبي طالب) وكتاب (منهاج السالكين) لنجم الدين كبرى وكتاب قواعد العقائد لنصير الدين الظوسي^(١).

(١) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٧٠ ط الأعلمي - بيروت ١٩٨٤م.

صلاة الحنفية والشافعية أمام سبكتكين

ذكر المؤرخ ابن خلكان المتوفى عام ٦٨١هـ في وفيات الأعيان ضمن تعرّضه لسيف الدولة أبي القاسم السلطان محمود سبكتكين نقلاً عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني في كتابه (مغيث الخلق في اختيار الأحق) وأيضاً ذكر القصة كمال الدين الدميري في حياة الحيوان حين تعرّضه لنوع من الطيور اسمه (القُمري)^(١): «إِنَّ السلطان محمود كان حنفي المذهب وكان مولعاً بعلم الحديث وكان يُسمع عنده الحديث ويسأل عن معناه فيجد أكثره موافقاً لمذهب الإمام الشافعي، فجمع فقهاء المذهبين والتمس منهما الكلام في ترجيح أحد المذهبين، فوقع الاتفاق على أن يُصلّى بين يديه ركعتان على مذهب الشافعي ثمّ على مذهب أبي حنيفة، فينظر السلطان إلى ذلك ويختار الأحسن، فصلّى القفال المروزي بطهارة سابعة وشرائط معتبرة من الطهارة والسترة واستقبال القبلة وأتى بالأركان والهيئات والسنن والأبعاض والآداب على وجه الكمال وكانت صلاة لا يجوّز الشافعي دونها، ثمّ صلّى ركعتين على ما يجوّز أبو حنيفة فلبس جلد كلب مدبوغاً ولطخ بعضه بالنجاسة وتوضّأ بنبذ التمر وكان ذلك في صميم الصيف فاجتمع عليه الذباب والبعوض، وكان وضوءه منكساً منعكساً ثمّ استقبل القبلة وأحرم بالصلاة من غير نيّة في الوضوء وكبّر بالفارسية ثمّ قرأ بها (دوبرك سبز) ثمّ نقر كنقرات الديك من غير فصل بينها ومن غير طمأنينة وتشهد وضرط في آخرها وخرج

(١) القُمري: طائر معروف حسن الصوت وقالوا إذا ماتت ذكور القمارى لم تتزاج إنائها بعدها وتنوح عليها إلى أن تموت / أنظر حياة الحيوان ج ٢ ص ٢٢٢ / المترجم.

من غير نية السلام.

فقال: أيها السلطان هذه صلاة أبي حنيفة!! فقال السلطان: لو لم تكن هذه صلاة أبي حنيفة لقتلتك لأن مثل هذه الصلاة لا يجوزها ذو دين، فأنكرت الحنفية أن تكون هذه صلاة جائزة عند أبي حنيفة فطلب القفال كتب أبي حنيفة فأمر السلطان بإحضارها وأمر نصرانياً أن يقرأ كتب المذهبين جميعاً فوجدت الصلاة التي صلاها القفال جائزة عند أبي حنيفة فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة وتمسك بمذهب الشافعي^(١).

فالهدف من هذه القصص الواقعية أن أئمة وزعماء المذاهب الأربعة أحدهم يعيب الآخر ويختلف معه في الأصول والفروع، ويحاول كل واحد أن يثبت أحقيته ويبطل المذهب الآخر، فالاختلاف بين المذاهب السنية الأربعة أكثر وأعمق وأوسع من اختلاف السنة والشيعة، وقد كتب أحد علماء السنة كتاباً أسماه (الفقه على المذاهب الأربعة) لعبد الرحمن الجبري وقد طبعته وزارة الأوقاف المصرية في القاهرة عام ١٣٦٩هـ، وإذا سنحت لكم الفرصة انظروا إلى هذه الاختلافات بين المذاهب الأربعة من أبواب الطهارة إلى العبادات والنكاح والطلاق وجميع المعاملات..

ولذلك تجدون هذه الكثرة في الأقوال والتصادم في العقائد والأصول التوحيد إلى المعاد بين المعتزلة والأشاعرة والداووديين والثوريين والأحناف والشافعية والمالكية والحنبلية و... طيلة أكثر من ألف عام كان هؤلاء يكفّر ويقتل أحدهم الآخر.

(١) حياة الحيوان للدميمري ج ٢ ص ٢٢٣ ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر / المترجم.

أهل السنة ليسوا هم الفرقة الناجية

وقد ذكرنا في أوائل هذا الكتاب أن رسول الله ﷺ قال: ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.

مع أن أهل السنة يعتبرون أنفسهم فرقة واحدة تحت اسم (أهل السنة) أو (الجماعة) ولكن الواقع يكذب ذلك بعدما عرفت أنهم على أنحاء أربعة يكذب ويكفر أحدهم الآخر، وتختلف كل فرقة مع الأخرى جملة وتفصيلاً فروعاً وأصولاً، فهذا دليل على أنهم ليسوا فرقة واحدة وبالتالي لا يصلح أن يكونوا مصداقاً للفرقة الناجية كيف وقد ذكرنا لكم ما ذكره الشهرستاني من فرق أهل السنة حتى عدّهم إلى ٣٥ فرقة أو أكثر وكلهم يختلفون أصولاً وفروعاً، وأما إذا كانوا فرقة واحدة كما يزعمون لما تعدّدوا ولما اختلفوا ولما تكافروا..

فالتنتيجة المهمة هنا - وفافاً للعقل والإنصاف واستناداً لما تقدّم من الأدلة - أن أهل السنة ليسوا هم الفرقة الناجية.

سؤال: بما أن الكلام وصل بنا إلى هنا فإننا نكرّر عليكم سؤالنا الأخير، فمن هي الفرقة الناجية وما هي علاماتها وخصائصها لكي نستطيع معرفتها بالعلام من هذه الـ ٧٣ فرقة الهالكة؟^(١)

علامات الفرقة الناجية

الجواب: إننا عندما أبطلنا كون أهل السنة هم الفرقة الناجية استناداً إلى الأدلة العقلية، ولم يكن رأياً شخصياً فاقداً للمستندات، خلافاً لادّعاءات عبد

(١) كان هذا هو السؤال الخامس والأخير الذي وجهوه للمؤلف رحمه الله، وقد ذكرناه في مطلع الجزء الأول ص ٩ / المترجم.

القاهر البغدادي والشهرستاني الذين قالوا بأن الفرقة الناجية هم الأشاعرة!! تعصباً وانحيازاً وعناداً ولجاجاً.

كيف تكون الأشاعرة (فرقة ناجية) وهم يقولون بزيادة الصفات على الذات الإلهية وهو شرك صريح، ويقولون بتحقيق رؤية الله تعالى وهو كفر واضح كما أشرنا، ويقولون إن الله أجبر الإنسان على أفعاله الصالحة والطالحة وهو خلاف العدل وظلم صريح، وهكذا بالنسبة لغيرهم كالمعتزلة الذين قالوا بالتفويض وهو باطل مخالف لنصوص القرآن فكيف تخالف الفرقة الناجية القرآن والعقل؟!

وفضلاً عن هذه المعتقدات الفاسدة فإن أبا الحسن الأشعري (المتوفي عام ٣٢٩هـ أو ٣٣٠هـ) أي أن بينه وبين النبي الأكرم فترة زمنية تبلغ ثلاثة قرون!! فكيف يصلح أن تكون فرقته فرقة ناجية؟! وهو الذي نشر مثل هذه العقائد المخالفة لأحاديث رسول الله ﷺ حتى كفره المعتزلة والحنابلة، فقد ذكر أبو الوليد محب الدين محمد بن محمد بن شحنة الحنفي (وهو قاضي الحنفية في حلب المتوفي عام ٨١٥هـ) في كتابه (تاريخ روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر) الذي كتبه عام ٣٢٩هـ: إن أبا الحسن الأشعري توفي في بغداد وقد دفن سرّاً في شرعة الزوايا وأخفي قبره خوفاً من الحنابلة الذين كفروه وأباحوا دمه أن ينشؤوا قبره ويهينوا جسده!!، فكيف يصلح لأمثال هؤلاء أن يكونوا الفرقة الناجية؟

سؤال: إذن نرجو أن تشرع في ذكر علامات الفرقة الناجية؟
الجواب: أولاً: لا يُعقل من النبي الأكرم ﷺ أن يذكر حديث الافتراق ثم لا يذكر علامات هذه الفرقة الناجية، وهو ﷺ الذي ذكر السنن والآداب والشرائع بكل تفصيلها الدقيقة.

ثانياً: الفرقة الناجية هي التي تتصل بالله وبرسول الله ﷺ اتصالاً معنوياً.

ثالثاً: عقائد الفرقة الناجية خالية من الشرك والكفر والخرافات والأوهام.

سؤال: وفي أي فرقة من فرق المسلمين تجد هذه الأمور؟

الجواب: هي الشيعة الإمامية الاثنا عشرية بلا أدنى شك بالأدلة العقلية والقرآنية، وهم أتباع الرسول وأهل بيته عليه السلام.

سؤال: إن هذا مجرد ادعاء يجب عليك ذكر الأدلة لإثباته؟

الجواب: الدليل الأول هو القرآن المجيد الذي يصرّح أن الفرقة الناجية هم علي عليه السلام وأتباعه وهم خير البرية.

سؤال: أرجو أن تذكر نص هذا الدليل مع التوضيح؟

الدليل الأول على أن الشيعة هم الفرقة الناجية

الجواب: قال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ. جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ^(١).

فقد أجمع الشيعة الإمامية أن الآية نزلت في حق أمير المؤمنين علي عليه السلام وأتباعه، وكذلك ذكر أكابر علماء السنة ذلك:

مثل السيوطي (وهو من مفاخر أهل السنة حتى عدّوه مجدّد القرن التاسع) قال: أخرج ابن عساکر ^(٢) عن جابر بن عبد الله (وهو من كبار الصحابة) قال: كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل علي عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته

(١) البينة: ٧-٨.

(٢) ذكر ابن خلكان في الوفيات والذهبي في التذكرة والخوارزمي في رجال مسند أبي حنيفة وفي طبقات الشافعية والحافظ أبو سعيد في تاريخه: أن ابن عساکر من الثقة وهو فخر الشافعية وكان في زمانه إمام أهل الحديث كثير العلم غزير الفضل ثقة عرف بالتقوى، كان علماً عند علماء أهل السنة في عام ٥٥٠هـ / المؤلف.

لهم الفائزون يوم القيامة ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، فكان أصحاب النبي ﷺ إذا أقبل على ﷺ قالوا: جاء خير البرية^(١).

وفي نفس التفسير أخرجه عن ابن عدي عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين^(٢).

وأخرجه عن ابن مردويه عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله ﷺ: ألم تسمع قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ...﴾ أنت وشيعتك موعدي وموعدكم الحوض^(٣). وذكر ذلك أيضاً أبو المؤيد موفّق بن أحمد الخوارزمي في الفصل ١٧ من المناقب، والحاكم أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني (وهو من فحول وأعلام المفسرين عند أهل السنة) في شواهد التنزيل^(٤)، ومحمد بن يوسف الكنجي الشافعي في باب ٦٢ من كفاية الطالب، وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص بإسناده عن يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب علي عليه السلام قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: حدّثني رسول الله ﷺ وأنا مسنده إلى صدري فقال: يا علي أما تسمع قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ هم أنت وشيعتك وموعدني وموعدكم الحوض إذا اجتمعت الأمم للحساب تدعون غزاً محجلين^(٥)، وفي مناقب الخوارزمي مسنداً عن جابر قال: كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ أقبل علي بن أبي طالب فلمّا نظر إليه النبي قال: قد أتاكم أخي، ثمّ التفت إلى الكعبة فقال: وربّ هذه البنية إنّ هذا وشيعته هم

(١) و (٣) و (٤) الدرّ المشروح ٦ ص ٣٧٩ ط بيروت.

(٤) شواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٥٦ تحقيق المحمودي ط الأعلمي بيروت.

(٥) المصدر نفسه والمناقب للخوارزمي الفصل التاسع في بيان أنّه أفضل الأصحاب ح ١٠.

الفائزون يوم القيامة^(١).

وذكره ابن حجر في الصواعق المحرقة عن الحافظ جمال الدين محمد بن يوسف الزرندي المدني (وهو من فحول الفقهاء عند أهل السنة) قال: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: يا علي أنت وشيعتك خير البرية تأتي يوم القيامة أنت وشيعتك راضين مرضيين ويأتي عدوك غضباناً مقمحين^(٢). فقال: مَنْ عدوي؟ قال: مَنْ تبرأ منك ولعنك^(٣).

وذكر حديث خير البرية ابن الأثير في النهاية^(٤) والعلامة السمهودي في جواهر العقدين نقلاً عن الحافظ جمال الدين الزرندي المدني^(٥)، ونور الدين علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي المشهور بابن الصبّاح في الفصول المهمة عن ابن عباس: لما نزلت الآية قال رسول الله ﷺ: هو أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين^(٦) مرضيين ويأتي أعدائك غضباناً مقمحين^(٧).

ومما يدلّ بصراحة أكثر على أنّ الشيعة هم الفرقة الناجية ما ذكرته لكم سابقاً - في الجزء الأول - عن أبي سعيد الخدري أنّه قال: قال رسول الله ﷺ عن الخوارج: ويخرجون على خير فرقة من الناس، أي أنّ الخوارج يخرجون ضدّ

(١) المصدر نفسه.

(٢) أقول إلى هنا ذكره الشبلنجي في نور الأبصار ص ٨٧ ط بيروت / المترجم.

(٣) الصواعق المحرقة ج ٢ ص ٤٦٧ في باب الآيات الواردة فيهم ﷺ ط: مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٧م، وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٥٧.

(٤) النهاية ج ١، ص ١٢٢، ط دار الكتب العلمية ١٩٩٧م.

(٥) جواهر العقدين ص ٣١٥، ط بغداد.

(٦) (راضون)

(٧) الفصول المهمة، ص ١١٧ في مناقبه ﷺ ط: دار الأضواء، بيروت عام ١٩٨٨م.

خير فرقة في الإسلام وهو عليٌّ عليه السلام وأتباعه، ثم قال أبو سعيد: أشهد أنني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أن عليَّ بن أبي طالب عليه السلام قاتلهم وأنني معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به فنظرت إليه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعتة ^(١).

فهو كما ترون صريح في أن الشيعة هم الفرقة الناجية الذين وقفوا معه في حربه ضد الخوارج حتى نصره عليهم.

هذا وقد ذكرت حديث خير البرية في كتاب ليالي بيشاور مع المصادر المتظافرة من أهل السنة ^(٢).

الدليل الثاني على أن الشيعة هم الفرقة الناجية ^(٣) إسناد حديث السفينة عن أبي ذر ^(٤)

وهو حديث السفينة، فقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم أهل بيته بسفينة نوح عليه السلام وأن من اتبعهم نجا ومن تخلف وتأخر عنهم هلك، وقد نواتر هذا الحديث عند

(١) أقول: ذكره المؤلف رحمته الله في الجزء الأول من الفرقة الناجية ص ٣٥٧ من الطبعة العربية مع المصادر فراجع / المترجم.

(٢) راجع ليالي بيشاور ص ٨٤٦.

(٣) لقد خرجت الحديث من المصادر التي ذكرها المؤلف ولكن بطبعاتها الحديثة تقريباً / المترجم.

(٤) أبو ذر الغفاري صحابي جليل القدر عظيم المنزلة قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أفلت الغبراء وما أظلت الخضراء على رجل أصدق لهجة من أبي ذر».

أنظر الحديث في الاستيعاب باب جندب ج ١ ص ٣٢١ رقم ٣٤٣ دار الكتب العلمية ١٩٩٥م، وقد ذكرنا تمام المصادر السنّة لهذا الحديث في الجزء الأول ص ١٩٦ من الطبعة العربية فراجع / المراجع.

الفريقين ، فقد ذكره كبار علماء أهل السنة واليكم بعض مصادر هذا الحديث :
١ - تهذيب الآثار للطبري .

٢ - المعجم الصغير للطبراني ص ٧٨ ط الدهلي ، وج ١ ص ١٣٩ ط مكتبة السلفية بالمدينة .

٣ - المستدرک للحاکم ج ٣ ص ١٥٠ ط حيدر آباد الدکن .

٤ - المعارف لابن قتيبة ص ٨٦ ط مصر ، وعيون الأخبار ج ١ ص ٢١١ ط مصر .

٥ - مسند الإمام أحمد [المجلد الثالث ، ص ٣١٨ ، ط : دار الفكر] .

٦ - منقبة المطهرين أبو نعيم الاصفهاني .

٧ - أسباب النزول للواحدي [ص ٣٨٦ ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩١م] .

٨ - تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي [ص ٣٢٣ ط النجف] .

٩ - كفاية الطالب للكنجي الشافعي [ص ٣٧٨ ، ط : إيران ١٤٠٤هـ] .

١٠ - فرائد السمطين للحمويني [ج ٢ ص ٢٤٤ رقم ٥١٨ ط بيروت] .

١١ - نظم درر السمطين لجمال الدين الزرندي ص ٢٢٥ ط القضاء .

١٢ - مودة القربى ، المودة ١٢ مير سيد علي الهمداني .

١٣ - الكاشف وهو شرح على المشكاة ، حسن بن محمد الطيبي .

١٤ - هداية السعداء ، الهداية الثانية من الفصل الثالث لملك العلماء دولة آبادي .

١٥ - الفصول المهمة ص ١٠ لابن الصباغ المالكي .

١٦ - شرح الديوان^(١) للمبيدي ص ١٨٩ مخطوط .

١٧ - الدرّ المستور ج ١ عند قوله تعالى : ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا

(*) ما بين المعقوفتين تخريج على وفق المطبوع حديثاً / المترجم .

(١) أي الديوان المنسوب للإمام علي عليه السلام / المترجم .

حِطَّةٌ... (١)

١٨ - جواهر العقدين للسهمودي [ص ٢٦٠ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٥م].

١٩ - الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٨٤ ط عبد اللطيف بمصر، [وج ٢ ص ٦٧٥ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٧م].

٢٠ - كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٣ ص ٨٢ ط حيدر آباد الدكن.

٢١ - المرقاة في شرح المشكاة^(٢) لملا علي القاري.

٢٢ - ينابيع المودة للبليخي الحنفي في الباب الرابع ص ٢٨ ط اسلامبول.

عن مشكاة المصابيح وعن أبي الطفيل وأبي يعلى وأحمد بن حنبل وسعيد بن المسيب وابن المغازلي الشافعي والتعلبي السمعاني وسليم بن قيس الهلالي كلهم بعبارات وألفاظ مختلفة عن الصحابي الصادق المصدق أبي ذر الغفاري أنه كان في المسجد الحرام وهو أخذ بباب الكعبة وحوله الناس فقال: مَنْ عرفني فقد عرفني ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت النبي ﷺ يقول: ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من دخلها نجي ومن تخلف عنها هلك.

وفي بعض الألفاظ: من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق.

وقال ﷺ كما في بعض الألفاظ: وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة

في بني إسرائيل من دخله غفر له الذنوب^(٣).

(١) البقرة: ٥٨.

(٢) المشكاة للعلامة الخطيب التبريزي وعليه عدة شروحات منها المرقاة للعلامة

علي بن سلطان محمد القاري الذي ذكره المؤلف ﷺ، والحديث موجود في ج ١١ ص ٣٩٩ طبعة ملتان، وفي غير هاج ١١ ص ٥٥٢ / المترجم.

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ١٤٨ رقم ١٧٣ ومابعده، دار الأضواء بيروت ١٩٩٢م.

إسناد حديث السفينة عن ابن عباس وكبار الصحابة

- ١ - منقبة المطهرين لأبي نعيم الاصفهاني .
 - ٢ - الانباء على قبائل الرواة لابن عبد البر .
 - ٣ - المناقب لابن المغازلي ص ١٣٢ ط طهران .
 - ٤ - والملا في سيرته .
 - ٥ - تفسير الدر المنثور^(١) .
 - ٦ - ذخائر العقبى للطبري ص ٢٠ ط مكتبة القدسي بمصر .
 - ٧ - الجامع الصغير للسيوطي ص ٤٦٠ ط مصر .
 - وراحياء الميت المطبوع بهامش الاتحاف ص ١١٣ ط مصطفى الحلبي بمصر .
 - ٨ - منتخب كنز العمال المطبوع بهامش مسند أحمد ج ٥ ص ٩٢ ط الميمنية بمصر .
 - ٩ - وسيلة المال لأحمد بن الفضل المكي، تجده ضمن مناقب الآل ص ٦٣ .
 - ١٠ - ينباع المودة ص ١٨٧ وص ١٩٣ ط اسلامبول^(٢) .
- وقد روي هذا الحديث المتواتر عن أبي سعيد وعبدالله بن الزبير وأنس بن

(١) أخرج السيوطي هذا الحديث في سورة البقرة عند تفسيره لقوله تعالى (وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم).

(٢) وقد ذكر المؤلف حديث السفينة مع مصادره من كتب السنة في كتابه ليالي بيشاور ص ١٧٩ فراجع لمزيد الفائدة / المترجم .

مالك وغيرهم، وأعلى من الجميع أنه روي مسنداً عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في عدة مواقع حسب الظروف منها في حديث المناشدة في رحبة الكوفة وقد ذكره المتقي الهندي في كنز العمال ضمن تفسيره لسورة هود عن عباد بن عبد الله الأسدي قال: كنّا في رحبة الكوفة عند علي عليه السلام فجاءه رجل وسأله عن هذه الآية: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتِيمَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ»^(١) فقال عليه السلام: ما من رجل من قريش جرت عليه الموصى إلا قد نزلت فيه طائفة من القرآن، والله لأن يكونوا يعلموا ما سبق لنا أهل البيت على لسان النبي الأمي عليه السلام أحب إليّ من أن يكون لي ملئ هذه الرحبة ذهباً وفضة والله إن مثلنا في هذه الأمة كمثل سفينة نوح في قوم نوح وإن مثلنا في هذه الأمة كمثل باب حطة في بني إسرائيل^(٢). وقد ذكر هذا الحديث أكابر أهل السنة بطرق مختلفة منهم المتعصب العنيد الذي أجرى الله الحق في قلمه لتتم عليه الحجة، فقد ذكر في صواعقه: وجاء من طرق عديدة يقوّي بعضها بعضاً: إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، وفي رواية مسلم: ومن تخلف عنها غرق، وفي رواية: هلك، وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له، وفي رواية: غفر له الذنوب^(٣).

وذكر حديث السفينة محمد بن إدريس أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ذكره عنه إبراهيم بن محمد الحموي في الفرائد^(٤).

(١) هود: ١٧.

(٢) أنظر كنز العمال تفسير سورة هود والصواعق المحرقة ج ٢ ص ٦٧٥ ط مؤسسة الرسالة ١٩٩٧ م.

(٣) الصواعق المحرقة ص ٩٣ باب ١١ الآية رقم ٧، وفي الطبعة الجديدة ج ٢ ص ٦٧٥ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٧ م.

(٤) فرائد السمطين [ج ٢، ص ٢٤٢، ط: مؤسسة المحمودي بيروت ١٩٧٨ م].

وقد ذكر العلامة الفاضل العجيلي في ذخيرة المآل أبيات شعر للإمام الشافعي يشير فيها إلى صحة حديث السفينة:

ولمّا رأيت الناس قد ذهبت بهم

مذاهبهم في أبحر الغي والجهل

ركبت على اسم الله في سفن النجا

وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرُّسل

وأمسكت حبل الله وهو ولائهم

كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل

إذا افرقت في الدين سبعون فرقة

ونيفاً على ما جاء في أوضح النقل

ولم يك ناجٍ منهم غير فرقة

فقل لي بها يا ذا الرجاحة والعقل

أفي الفرقة الهلاك آل محمد؟

أم الفرقة اللاتي نجت منهم قل لي

فإن قلت في الناجين فالقول واحد

وإن قلت في الهلاك حفت عن العدل

إذا كان مولى القوم منهم فإني

رضيت بهم لا زال في ظلهم ظلي

رضيت علياً لي إماماً ونسله

وأنت من الباقيين في أوسع الحل

وقد تذكرت الآن أبيات العدو اللدود لأمير المؤمنين علي عليه السلام ولأهل البيت

كافة ألا وهو عمرو بن العاص، والفضل ما شهدت به الأعداء كما يقول معاوية

عليه الهاوية، ليتضح لكم الحق أكثر فأكثر ولتنجلي سحَاب الجاهلية والتضليل

عن صفحات عقولكم أنّها المثقّفون المتنوّرون وتعرفوا حقّ آل محمّد ﷺ .
 ذكر أبو محمّد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني اليماني في كتاب
 (الإكليل) وجمال الدين المحدث الشيرازي في كتاب (تحفة الأحياء من مناقب
 آل العبا) أنّ معاوية كان يوماً مع صناديد أهل الشام ويده درّة كبيرة فقال لهم:
 أيّكم يخبرني عن عليّ بن أبي طالب، فبدأ كلّ واحد باللعن والسّب والشتّم
 حتّى وصل الدور إلى عمرو بن العاص فأنشد قائلاً:
 بآل محمّد عُرف الصواب

وفسي أبياتهم نزل الكتاب
 وهم حجج الإله على البرايا
 بهم وبجدّهم لا يُستراب
 ولا يما أبا حسنٍ عليّاً
 له فسي العلم مرتبة تُهاب
 إذا نادى صوارمه نفوساً
 فليس لها سوى نعم جواب
 وطعام سيوفه مهج الأعادي
 وفيض دم الرّقاب لها شراب
 ومن لم يبر من أعداء عليّ
 فليس له النجاة ولا ثواب
 أمير المؤمنين عليّ ذخري
 شفيع لي إذا قام الحساب
 هو الفردوس لا يخفى عليكم
 هو النّبأ العظيم وفلك نوح
 وباب الله وانقطع الخطاب

فناولوه الدرّة وقال:

ومليحة شهدت لها ضرائها والفضل ما شهدت به الأعداء

نتيجة الدليل الأوّل والثاني

إنّ قوله ﷺ: من ركبها نجا يعني من اتّبع أهل البيت ﷺ في كلّ شيء نجا وقد عرفتم منذ بداية الحوار أنّ هناك فرقة واحدة ناجية، وعرفتم من حديث السفينة أنّ أهل بيت رسول الله ﷺ هم الناجون فقط، وأخبر ﷺ في حديث السفينة أنّ من أحبّهم واتّبعهم ينجو بواسطتهم، وواضح لدى جميع المسلمين أنّه فقط الشيعة الإمامية يحبّون ويتابعون أهل بيت النبي ﷺ ولا أحد سواهم، فهم الفرقة الناجية.

ردّ شبهة أهل السنة

ومزاعمهم في حبّ أهل البيت ﷺ

ومن هذا المنطلق حاول علماء أهل السنة أن يؤهّموا الناس أنّهم من محبّي أهل البيت ﷺ بل صنّفوا الكتب في فضائلهم أيضاً مع أنّ سلاطينهم وخلفائهم (أمثال معاوية وعمر بن العاص...) كانوا يلعنون أمير المؤمنين علي والحسن والحسين ﷺ على المنابر وهم سادة أهل البيت ﷺ، فكيف يجتمع هذا مع ذلك؟ أم كيف يساوى بينهم وبين أعدائهم؟! وهم الذين يعترف لهم ﷺ الحسن البصري بالحقّ والفضل فقد كتب للحسن بن علي ﷺ ذات مرة: السلام عليك يا بن رسول الله ورحمة الله وبركاته وبعد فأنتم معاشر بني هاشم الفلك الجارية في اللجج الغامرة ومصابيح الدجى وأعلام الهدى والأئمة القدوة الذين من تبعهم نجا كسفينة نوح المشحونة التي يزول إليها المؤمنون وينجو فيها المتمسكون، فأنتم ذرّية بعضها من بعض بعلم الله علمتم وهو الشاهد عليكم

وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ^(١).
وَالْمَهْمُ أَنَّهُمْ - أَهْلُ السَّنَةِ - يَحَاوِلُونَ إِظْهَارَ أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُمْ يَحِبُّونَ أَهْلَ
الْبَيْتِ عليه السلام وَيَتَالِي فِيهِمْ قَدْ رَكِبُوا سَفِينَةَ النِّجَاةِ.

وَالْجَوَابُ عَنْ هَذِهِ الْمَزَاعِمِ الْبَاطِلَةِ يَحْتَاجُ إِلَى مَقَدِّمَةِ تَارِيخِيَّةٍ صَغِيرَةٍ
[...]^(٢) وَهِيَ أَنَّ النَّبِيَّ نُوْحَ عليه السلام لَمَّا عَرَفَ الْعِنَادَ مِنْ قَوْمِهِ وَأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ مِنْهُمْ إِلَّا
مَنْ آمَنَ فَقَطَّ وَتَعَرَّضَ لِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ مِنْ أَتْبَاعِهِ دَعَا رَبَّهُ قَائِلًا: ﴿قَدْ عَا رَبُّهُ أَيُّ
مَغْلُوبٍ فَاتْتَصِرُ﴾^(٣) ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾^(٤) فَنَزَلَ عَلَيْهِ
الرُّوحُ ﴿وَأَوْحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا
كَانُوا يَفْعَلُونَ. وَاصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ
مُغْرَقُونَ﴾^(٥) فَشَرَعَ نُوحٌ بِصِنَاعَةِ السَّفِينَةِ وَكَانَ طَوْلُهَا أَلْفٌ وَمِائَتِي ذِرَاعٍ وَعَرْضُهَا
ثَمَانِينَ ذِرَاعًا وَارْتِفَاعُهَا ثَمَانِينَ ذِرَاعًا وَكَانَ فِيهَا غُرَفٌ خَاصَّةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَاكِنُ
خَاصَّةٌ لِلْحَيَوَانَاتِ، وَقَدْ أَمْضَى فِي صِنَاعَتِهَا سِتِّينَ، ثُمَّ جَاءَهُ الْخُطَابُ الْإِلَهِيُّ
الْعَظِيمُ أَنْ يَحْمِلَ فِيهَا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ إِيْمَانًا خَالِصًا فَكَانُوا سَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ، وَحَمَلَ
فِيهَا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ، وَتَهَيَّأَ كُلُّ شَيْءٍ.

يَقُولُ الشَّيْخُ إِسْمَاعِيلُ حَقِّي وَهُوَ مِنْ مَفْسُرِي أَهْلِ السَّنَةِ فِي تَفْسِيرِ رُوحِ
الْبَيَانِ: إِنَّ اللَّهَ أَنْطَقَ السَّفِينَةَ فَقَالَتْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ أَنَا السَّفِينَةُ

(١) هِدَايَةُ السَّعَادَةِ، الْهَدَايَةُ ٤ مَلِكُ الْعُلَمَاءِ الْقَاضِي شَهَابُ الدِّينِ دَوْلَةُ أَبَادِي نَقْلًا عَنْ
كِتَابِ كَشْفِ الْمَحْجُوبِ / الْمُؤَلَّفِ.

(٢) [...] سَرْدُ الْمُؤَلَّفِ عليه السلام أَحْدَاثُ أَوَّلِ انْحِرَافٍ مِنْ بَدَايَةِ الْخَلْقَةِ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى قِصَّةِ
نُوحٍ وَقَدْ عَزَفْتُ عَنْ تَرْجُمَتِهِ إِذْ لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِمَا نَحْنُ فِيهِ / الْمُرْجَمُ.

(٣) الْقَمَرُ: ١٠.

(٤) نُوحٌ: ٢٦.

(٥) هُودٌ: ٣٦-٣٧.

انتي من ركبني نجا ومن تخلف عني هلك ولا يدخلني إلا أهل الإيمان والإخلاص^(١).

فيطلب أن الذين نجوا في السفينة كانوا من أهل الإيمان والإخلاص لا من المحبين فقط، إذ لا يكفي الحب هنا، بدليل أن نوحاً كان يحب ابنه وبالعكس وهكذا كان يحب زوجته وبالعكس ولكن لم ينفعهما هذا الحب إذ لم يكونا من المؤمنين المخلصين، لأن أعمالهم التي ارتكبوها منعت من فاعلية الحب، ولذلك قال الله تعالى مخاطباً نوح: ﴿قُلْنَا اخْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٢).

وقوله: ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ دليل على أن الإيمان الخالص هو الملاك في النجاة وهو الأساس في الخلاص، ولا يكفي الحب المعبر عنه بقلقة اللسان بدليل قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ^(٣) فجعل سبحانه وتعالى قيد الإيمان هو الملاك في الاتصال النسبي حتى مع الأنبياء عليهم السلام، ثم إن هذا الإيمان يجب أن يكون خالصاً مخلصاً مقروناً بالعمل الصالح المطابق لعمل النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك نقل صاحب روح المعاني كلام السفينة التي نطقت بإذن الله: (لا يدخلني إلا أهل الإيمان والإخلاص).

والآن نأتي إلى ما نحن فيه من ردّ الشبهة:

حيث يزعم أهل السنة أنهم محبون لأهل البيت عليهم السلام وبالتالي يعتبرون أنفسهم قد ركبوا سفينة النجاة أو أنهم الفرقة الناجية بنجاة أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) روح البيان ج ٤ ص ١٢٤ ط دار الفكر بيروت.

(٢) هود: ٤٠.

(٣) هود: ٤٥-٤٦.

والحال أن مزاعمهم هذه مجرد حب ساذج يخالفونه في أعمالهم حيناً وفي مقالاتهم حيناً آخر^(١)، إذ لا توجد أي مشابهة عملية بين أعمالهم وأعمال أهل البيت عليه السلام، وبتعبير آخر لا يوجد في قلوبهم الإيمان الخالص بأهل البيت عليه السلام. إذن فكما أن سفينة نوح عليه السلام كانت سبباً للتمييز بين المؤمن الخالص وغيره، كذلك أهل البيت عليه السلام سبباً للتمييز، فكل من اتبعهم في أفعالهم وسار وفق منهجهم وطريقتهم في الحياة فقد نجى، وكل من أحبهم بلسانه وخالفهم في الطريقة فقد هلك وغرق، وقد ذكر النبي ﷺ هذه الحقيقة بشكل واضح وجلي في حديثه الذي ذكره الشيخ سليمان البلخي الحنفي في ينابيع المودة عن فرائد السمطين للحمويني مسنداً عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «يا علي أنا مدينة العلم وأنت بابها ولن تؤتني المدينة إلا من قبل الباب وكذب من زعم أنه يحبني ويبغضك، لأنك مني وأنا منك، لحكمي لحمي ودمك من دمي وروحك من روحي وسريرتك من سريري وعلايتك من علايتي، سعد من أطاعك وشقي من عصاك، وريح من تولاك، وخسر من عاداك، فاز من لزمك، وهلك من فارقك، مثلك ومثل الأئمة من ولدك بعدي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ومثلكم كمثلكم كمثل النجوم كلما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة»^(٢).

(١) وقد يجري الحق على أقلامهم بقدرة الله تعالى لإتمام الحجة عليهم كما يقول ابن حجر في صواعقه: «وجه تشبيههم بالسفينة فيما مر أن من أحبهم وعظّمهم شكر النعمة مشرفهم عليه السلام وأخذ بهدى علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في مفاوز الطغيان».

أقول: ذكره المصنف في المتن وأدرجته في الهامش / المترجم.

(٢) ينابيع المودة الباب الرابع ص ٢٧ ط الأعلمي بيروت اوفست على الطبعة الأولى في اسلامبول بإذن نظارة المعارف.

وعلى غرار هذا الحديث توجد العشرات لكننا نعرض عنها خشية الإطالة عليكم، لاسيما وأن هذا القليل يفى بالغرض ويوضح أن حب أهل البيت عليهم السلام لا يكفي بدون متابعتهم في السر والعلن ولزومهم وعدم مفارقتهم وإطاعتهم وعدم عصيانهم أو معاداتهم فهذا هو ملاك حبهم عليهم السلام.

وأما التهريج بالأكثرية كما يطبل بها أهل السنة فهي ليست ملاك الحق، لأن التاريخ القرآني والبشري يخبرنا أن الأكثرية كانت مع الباطل دائماً كما هو الحال في قوم نوح عليه السلام وما آمن معه إلا قليل، بل تجد هذه الحالة في جميع الأمم تقريباً، فالأكثرية من الناحية العقلية والنقلية لا تصلح دليلاً للجزم بأنهم على حق، بل الأقلية كانت أكبر شاهد على الحق على مر التاريخ.

إذن ملاك الحق والباطل ليس هو الأكثر والأقل بل الدليل والبرهان والمنطق والمبادئ الشريفة هي ملاك الحق، وعليه فلا تغرّم ألفاظ (أهل السنة) و(الجماعة) و(جماعة المسلمين) .. الخ.

وأما إدعائهم حب أهل البيت عليهم السلام باللسان فهو لا يكفي بل للحب شرائط على الرغم من أنه أمر قلبي ولكن الآثار والأفعال الظاهرية تدل على ذلك الأمر القلبي. فقد ذكر علماء الأخلاق أن من شرائط الصداقة والحب أن يحب المحب صديق محبوبه أو صديقه ويعادي عدوه، لا أنه يحب عدو محبوبه ويعادي محب محبوبه أو صديقه فهذا خلاف الأخلاق والأدب ولذلك قال الشاعر:

تودّ عدوّي ثمّ تزعم أنّني صديقك إنّ الرأي لعازب

وهذا ما ينطبق على أهل السنة تمام الانطباق فإنهم يزعمون حب أهل البيت عليهم السلام ولكنهم بنفس الوقت يحبون ويتابعون أعدائهم بل ويمدحون أعداء أهل البيت عليهم السلام أكثر من مدحهم لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ويدافعون عن أعدائهم أكثر من دفاعهم عن أهل البيت !!

ونحن لا نفهم أيّ علاقة هذه؟ وأي حبّ هذا؟ إنّه مجموعة من التناقضات إذ كيف يتسنّى للإنسان أن يحبّ النبي ﷺ وأهل بيته وبنفس الوقت يحبّ أعداء النبي وأهل بيته والمحاريين والظالمين لهم والغاصيين لحقوقهم والطامسين لأثارهم وفضائلهم والقاتلين لهم والمريقين دمائهم؟
 أين هذا من قاموس الحبّ؟

والعجيب أنهم - أهل السنة - سَخَرُوا أقلامهم المأجورة للدفاع عن بني أميّة وبني العبّاس وستر فضائلهم وإعلاء شأنهم وترقيع أفعالهم القبيحة والفظيعة مع أنهم من ألدّ الأعداء لآل البيت (عليهم السلام)، ولذلك تراهم في مصنفاتهم - أهل السنة - يحاولون تصحيح الأفعال السيئة لخلفاء الجور، ومن أبرز هؤلاء ابن تيمية وابن حجر وابن الجوزي والغزالي وروزبهان وهؤلاء كلّهم من النواصب تُشَمُّ رائحة الأموية من سطورهم الخبيثة حيث يدافعون بكلّ بسالة بأقلامهم عن أعداء أهل البيت (عليهم السلام) وبنفس الوقت يزعمون ويعدّون أنفسهم من جملة المحبّين، فحقّاً أنّ أمرهم لعجيب، وأعجب منه روايتهم في كتبهم المعتبرة حديث رسول الله ﷺ مكرراً: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني»^(١)، وقال ﷺ: «إنّما فاطمة بضعة منّي يؤذيني من آذاها»^(٢)، وقال ﷺ: «إنّها بضعة منّي يريني ما رابها ويؤذيني ما آذاها»^(٣).

(١) صحيح البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب ١٢ مناقب قرابة رسول الله ﷺ رقم ٣٧١٤ ج ٦ ص ٩٧.
 (٢) سنن الترمذي كتاب المناقب باب ٦١ رقم ٣٨٦٩ ثم قال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) يتابع المودة باب ٥٥ عن الترمذي في كتاب المناقب باب ٦١ فضل فاطمة رقم ٣٨٦٧ ج ٥ ص ٦٩٨.

ومقابل هذه الروايات التي تشير إلى عظمة مقام فاطمة الزهراء عليها السلام يذكرون هذه الرواية في أصح كتبهم: فوجدت (أي حزنت وغضبت) فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبابكر وصلى عليها^(١).

وذكر أحمد بن حنبل في مسنده وابن قتيبة في الإمامة والسياسة قول فاطمة عليها السلام حينما جاء أبو بكر وعمر (بعد غضبهما حقها) لعيادتها في منزلها قالت لهما: ألم تسمعا قول رسول الله صلى الله عليه وآله: رضا فاطمة من رضي وخط فاطمة من سخطي فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالوا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت: أشهد الله وملأنته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه^(٢).

فكيف يروون فضائل فاطمة عليها السلام ويعلمون أن غضبها غضب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وبنفس الوقت يهضم حقها ويتسبب في إغضابها أبو بكر وعمر؟ وأهل السنة اليوم يقدسون الأول والثاني أكثر من تقدسهم لفاطمة كما هو واضح لا ينكره أحد، فأني تناقض هذا؟ وأي تهافت هذا؟ وأي اجتهاد هذا؟ إنه اجتهاد مقابل النص الذي يرويه ثقاتهم!!

وهكذا تجد تناقضهم في ادعائهم حب علي عليه السلام أمير المؤمنين مع حنهم وتمسكهم لأعداء علي عليه السلام مثل طلحة والزبير وعائشة الذين خرجوا ضده في حرب الجمل وأجمع المسلمون كافة أن علياً عليه السلام كان على حق في كل حروبه،

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ١٧٧ أو آخر باب خير، وج ٨ ص ١٨٥ باب ٢ من كتاب الفرائض ط محمد علي صبيح وأولاده بمصر.

(٢) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣ وما بعدها ط مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

وما دام الحقُّ مع عليٍّ عليه السلام دائماً فَمَنْ حاربه كافر ومنافق إذ لا توجد منزلة بين الحقِّ والباطل لاسيما والذين حاربوه كانوا أكثر الناس معرفة بعظمته ومنزلته، فهم المسؤولون عن كلِّ دم أريق ظلماً وعدواناً، ولكن مع وضوح ذلك فإنَّ أهل السنة يحملون أعمال أعداء عليٍّ عليه السلام على الصَّحَّة ويدافعون عنهم بكلِّ شِدَّة وحماس!!

وأيضاً حُبُّهم لمعاوية عليه الهاوية العدوِّ التقليدي لأُمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام وحُبُّهم لعمر بن العاص وهما من أكبر الفتن، وأشهر السفَّاكين الذين قتلوا الأبرياء تلو الأبرياء من محبِّي الإمام عليٍّ عليه السلام أمثال حجر بن عدي وعَمَّار وغيرهما وقد مرَّ ذلك سابقاً.

فأهل السنة يحبُّون معاوية.. الذي سنَّ السبَّ واللعن لعليٍّ خليفة المسلمين على المنابر وفي الخطب والصلوات وقد قال رسول الله ﷺ: من سبَّ عليّاً فقد سبَّني ومن سبَّني فقد سبَّ الله ^(١).

ويزعمون حُبُّهم لسبط رسول الله ﷺ الأكبر الإمام الحسن ويعترفون أنَّه سيِّد شباب الجنَّة ولكن بنفس الوقت يحبُّون إلى جانبه قاتله وعدوّه، معاوية بن أبي سفيان (الملعون) ^(٢) ويعتبرونه - معاوية - خليفة المسلمين ويدفعون عنه المبالى والحقائق المخزية.

وهكذا يحبُّون بقيَّة الأئمَّة ولكن يجعلونهم في مصاف ملوك بني أمية الملعونين أو بني العباس، مع أنَّه لم يضطهد ويقتل الأئمَّة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام غير هؤلاء الملوك الجبارة.

فاقضوا بعقولكم في مثل هذه التناقضات واحكموا بالإنصاف!؟

(١) ذكره المؤلِّف مع مصادره في الجزء الأول ص ٣٢٠ / المترجم.

(٢) تطرَّق لذلك المؤلِّف في الجزء الأول ص ٢٥٤ / المترجم.

وألفت نظركم إلى أن علمائكم ينقلون الروايات والأحاديث عن الكذاب والوضاع والمجهول والخارجي والناصري و... ولكنهم لا ينقلون عن أئمة أهل البيت عليهم السلام إلا الشيء النادر جداً، ويتبعون أهل الضلالات أمثال الأشعري وواصل بن عطاء وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل والشافعي، ولكن لا يتابعون أئمة أهل البيت عليهم السلام مع أنهم باب علم النبي صلى الله عليه وآله وسفينة النجاة الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معاشر أصحابي أن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح وباب حطة في بني إسرائيل فتمسكوا بأهل بيتي بعدي الأئمة الراشدين من ذريتي فإنكم لن تضلوا أبداً، فقيل: يا رسول الله كم الأئمة بعدك؟ قال: اثنا عشر من أهل بيتي أو قال: من عترتي ^(١).

إذن فالمطلوب أولاً هو الحب الخالص لأهل البيت عليهم السلام أي بدون حب النقيض، بل البراءة منه، وثانياً متابعة أهل البيت عليهم السلام في الأصول والفروع والاعتقادات والأحكام فهذا معنى الشيعي.

إذن تحصل مما سبق أن النجاة لا تتحقق بالحب المجرد - لقلقة اللسان - ولا بالحب مع النقيض - حب الأعداء - ولا بالحب بلا متابعة وعمل فهذا مفاد حديث السفينة الذي نقلناه لكم من مصادر أهل السنة ويمكنكم مراجعته في الدورة النفيسة (عبقات الأنوار) المجلد ١٢ المختص بإمامة أهل البيت عليهم السلام للعلامة مير سید حامد الهندي.

الدليل الثالث على أن الشيعة هم الفرقة الناجية

ومن جملة الأدلة على كون الشيعة الإمامية هم الفرقة الناجية حديث الثقلين الذي نقله علماء أهل السنة بالفاظ مختلفة، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله في هذا الحديث

(١) مسند الفردوس للدليمي ج ١، ص ٤٩٤، ط دار الكتاب العربي ١٩٨٧.

أَنْ أَهْلَ بَيْتِهِ تَوَامَ الْقُرْآنِ وَأَنْتُمْ طَرِيقُ الْهَدَايَةِ الْوَحِيدِ الَّذِي لَا يَوْجَدُ غَيْرُهُ وَأَمْرُ الْمُسْلِمِينَ بِوُجُوبِ مُتَابَعَتِهِمْ وَالتَّمَسُّكِ بِهِمْ^(١).

سؤال: لماذا تختلف ألفاظ الحديث، هل أنه ﷺ بيَّنه بأساليب مختلفة؟
الجواب: أولاً: قد يأتي الاختلاف في الألفاظ من السامعين لعدم ضبطهم أو حفظهم لكلمات الحديث، وهذا يختلف باختلاف الاستعداد البشري.
ثانياً: وقد يكون الاختلاف بسبب بُعد أو قرب السامع من النبي ﷺ، فالقريب قد يسمع نص الحديث بينما يسمع البعيد شيئاً آخر لاسيما في المواقف العظيمة مثل عرفات أو غدير خم فقد ذكر المؤرخون أنَّ المسلمين الذين وقفوا في غدير خم كانوا أكثر من مائة ألف، فالبعد والقرب له أثر في السماع.

ثالثاً: وقد يكون اختلاف العبارة بسبب البيانات المتكررة من النبي ﷺ في مواطن ومواقف عديدة، كان يكرّر الحديث بألفاظ أخرى مع وحدة المضمون والمعنى، فهذه أسباب اختلاف العبارات في الروايات، وما نحن فيه من حديث الثقلين من هذا القبيل فقد ذكر المتعصب العنيد ابن حجر المكي في صواعقه: إعلم أنَّ لحديث التمسك بذلك (أي الثقلين) طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً، ومُرَّ له طرق مبسطة في حادي عشر الشبه، وفي بعض تلك الطرق أنه قال ﷺ ذلك بحجة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى أنه قال ﷺ ذلك بغدير خم، وفي أخرى أنه قال لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف كما مرّ، ولا تنافي إذ لا مانع من أنه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن

(١) أقول: لقد ذكر المؤلف رحمه الله حديث الثقلين في كتابه ليالي بيشاور ص ١٧٠ / المترجم.

الكتاب العزيز والعتره الطاهره^(١).

سؤال: قلتم إنا مأمورون بوجوب متابعة أهل البيت عليهم السلام والتمسك بهم، فهل وردت هذه الألفاظ (المتابعة) (التمسك) في نص الحديث أم لا؟
 الجواب: الأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً، ولكننا نذكر لكم بعض ألفاظ حديث الثقلين كنماذج من مصادر أهل السنة، فضلاً عن كتب الشيعة:
 ١- ذكر ملك العلماء دولة آبادي في مناقب السادات قال: ذكر في المشارق والمصابيح وشرف النبوة للخزرجوشي، والدرر، وتاج الأسامي وغيرها أن رسول الله ﷺ قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي فإن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي»^(٢).

٢- ذكر رزين بن معاوية عبد الري في الجمع بين الصحاح السنة عن زيد ابن أرقم عن رسول الله ﷺ قوله: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(٣).

٣- ذكر أبو عبد الله محمد بن مسلم بن أبي الفوارس الرازي في الأربعين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي فهما خليفتان بعدي أحدهما أكبر من الآخر، سبب موصول من السماء إلى الأرض فإن استمسكتم بهما لن تضلوا فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة فلا تسبقوا أهل بيتي بالقول فتهلكوا ولا تقصروا عنهم

(١) الصواعق المحرقة، ج ٢، ص ٥٤٣ ط مؤسسة الرسالة.

(٢) تقدم مصدر هذا الحديث.

(٣) تقدم مصدر هذا الحديث.

فتذهبوا فإن مثلهم فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك، مثلهم فيكم كمثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر له... ألا وأن الله فرض لهم الطاعة على الفرق والجماعة فمن تمسك بهم سلك ومن حاد عنهم هلك».

٤ - ذكر ملك العلماء دولة آبادي في كتاب هداية السعداء نقلاً عن كتاب الحقائق للشيخ فخر الدين هانسوي عن زيد بن أرقم عن رسول الله ﷺ أنه قال بعد رجوعه من حجة الوداع ووقوفه بغدير خم «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي».

٥ - ذكر السيد محمد بن السيد جلال البخاري في خطبة المقالة الأولى من تذكرة الأبرار هذا الحديث: الحمد لله الذي شرف السادات بخطاب «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»^(١) وأنزل في حقهم لتعظيم قدرهم: «لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»^(٢)، والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي ذكر أولاده لعلوهم في الشأن مساوياً بالقرآن حيث قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي فإن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي».

٦ - وذكر الشيخ صالح بن مهدي بن علي المقبل الصنعاني في ملحقات أبحاثه المسددة ضمن بيانات مفصلة قول النبي ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

٧ - وذكر أحمد بن عبد القادر بن بكري العجيلي الشافعي في ذخيرة المأل

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الشورى: ٢٣.

في الآية «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا»^(١) قول النبي ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

٨- ذكر الشيخ سليمان البلخي الحنفي في ينابيع المودة نقلاً عن المناقب عن كتاب سليم بن قيس أن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ في يوم عرفة وهو على ناقته القصوى وفي مسجد الخيف ويوم الغدير ويوم وفاته «أيها الناس إني تركت فيكم الثقلين لن تضلوا ما تمسكتم بهما الأكبر منهما كتاب الله والأصغر عترتي أهل بيتي وأن اللطيف الخبير عهد إليّ أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض كهاتين أشار بالسبابتين، ولا أن أحدهما أقدم من الآخر، فتمسكوا بهما لن تضلوا ولا تقدموا منهم ولا تخلفوا عنهم ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»^(٢).

٩- وجاء في المناقب عن أحمد بن عبد الله بن سلام عن حذيفة بن اليمان الصحابي أنه قال: قال رسول الله ﷺ بعد أن صلى بنا الظهر: «معاشر أصحابي أوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته وأني أدعى فأجيب وأني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن تمسكتم بهما لن تضلوا وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فتعلموا منهم ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم».

١٠- وأيضاً عن عطاء بن السائب عن أبي يحيى عن ابن عباس نقل عن رسول الله ﷺ خطبة قال فيها: «يا معشر المؤمنين إن الله عز وجل أوحى إليّ أني

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) ينابيع المودة ج ١ باب ٤ ص ٣٦.

مقبوض أقول لكم قولاً إن عملتم به نجوتم وإن تركتموه هلكتم، أن أهل بيتي وعترتي هم خاصتي وحامتي وأنكم مسؤولون عن الثقلين كتاب الله وعترتي إن تمسكتم بهما لن تضلوا فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

١١ - وأيضاً عن المناقب عن أبي ذر الغفاري قال: قال أمير المؤمنين علي عليه السلام لطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص «هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وأنكم لن تضلوا إن اتبعتم واستمسكتم بهما؟ قالوا: نعم».

١٢ - وذكر العلامة السمهودي في جواهر العقدين وسليمان الحنفي في ينابيع المودة عن حلية الأولياء لأبي نعيم الاصفهاني وغيره عن أبي الطفيل أن أمير المؤمنين علي عليه السلام خطب خطبة حمد الله فيها وأثنى عليه ثم قال: أنشد الله من شهد يوم غدیر خم إلا قام ولا يقوم رجل يقول نبئت أو بلغني إلا رجل سمعت أذناه ووعاه قلبه فقام سبعة عشر رجلاً منهم خزيمه بن ثابت وسهل بن سعد وعدي بن حاتم وعقبة بن عامر وأبو أيوب الأنصاري وأبو سعيد الخدري وأبو شريح الخزاعي وأبو قدامة الأنصاري وأبو يعلى الأنصاري وأبو الهيثم بن التيهان ورجال من قريش فقال علي: هاتوا ما سمعتم؛ فقالوا: نشهد أننا أقبلنا مع رسول الله ﷺ من حجة الوداع نزلنا بغدير خم ثم نادى بالصلاة فصلينا معه ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ما أنتم قائلون، قالوا: قد بلغت قال: اللهم اشهد ثلاث مرات ثم قال: إني أوشك أن أدعى فأجيب وأني مسؤول وأنتم مسؤولون ثم قال: أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن تمسكتم بهما لن تضلوا فانظروا كيف تخلفوني فيهما وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض نبأني بذلك اللطيف الخبير... الخ^(١).

١٣ - وأيضاً ذكر أحمد بن حنبل في مسنده عن عبد بن حميد بسند جيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١).

١٤ - وذكر في المسند عن ابن عقدة نقلاً عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنّا مع النبي ﷺ في حجة الوداع فلما رجع إلى الجحفة نزل ثم خطب الناس فقال: أيها الناس إني مسؤول وأنتم مسؤولون فما أنتم قائلون، قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وأدبت، قال: إني لكم فرط وأنتم واردون عليّ الحوض وأناي مخلّف فيكم الثقلين إن تمسكتكم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ثم قال: أستم تعلمون أني أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، فقال أخذاً بيد علي: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه^(٢).

فهذه أربعة عشر رواية عن رسول الله ﷺ مأثورة في كتب أعلام أهل السنة تدلّ على وجوب التمسك بأهل البيت ﷺ باعتبارهم عدل القرآن وتوأمه.

سؤال: هل يوجد خبر يدلّ على وجوب متابعة أهل البيت وأخذ الدين وأحكامه عنهم ﷺ بهذا اللفظ «المتابعة»؟

الجواب: نعم، يوجد الكثير.

سؤال: هل يمكنكم ذكر بعضها؟

الجواب: نعم بالطبع.

١ - ذكر أبو محمد دعلج بن أحمد المعدل عن مستدرك الحاكم مسنداً عن

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر السابق ص ٣٩ ط الأعلمي أوفست على الطبعة الأولى في اسلامبول بإذن نظارة المعارف.

زيد بن أرقم عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَقَدْ نَزَلَ لِلرَّاحَةِ قَلِيلًا ثُمَّ صَلَّى وَوَقَفَ خَطِيبًا فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ أُمْرَيْنِ لَنْ تَضَلُّوا إِنْ اتَّبَعْتُمُوهُمَا وَهُمَا كِتَابُ اللَّهِ وَأَهْلُ بَيْتِي عِزَّتِي ثُمَّ قَالَ: أَتَعْلَمُونَ أَنِّي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيَّْ مَوْلَاهُ»^(١).

٢- ذكر نور الدين علي بن عبد الله السمهودي نقلًا عن أكابر أهل السنة في جواهر العقدين حديثاً عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ أُمْرَيْنِ لَنْ تَضَلُّوا إِنْ اتَّبَعْتُمُوهُمَا وَهُمَا كِتَابُ اللَّهِ وَأَهْلُ بَيْتِي وَعِزَّتِي^(٢).

٣- وذكر ابن حجر في الصواعق ذيل الآية الرابعة، والسمهودي في جواهر العقدين قال في حديث صحيح عن رسول الله ﷺ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ أُمْرَيْنِ لَنْ تَضَلُّوا إِنْ اتَّبَعْتُمُوهُمَا وَهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ وَأَهْلُ بَيْتِي، وَزَادَ الطَّبْرَانِيُّ: سَأَلْتُ ذَلِكَ

(١) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١١٨ رقم ٤٥٧٧ ط دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

أقول: ذكر السمهودي في جواهر العقدين بعد أن ذكر طرق مختلفة لهذا الحديث: ومن العجيب ذكر ابن الجوزي له -أي للحديث- في العلل المتناهية -أي أَنَّهُ ضَعُفَ -فَبَيَّنَّا أَنَّهُ تَغْتَرَّبَ بِهِ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْتَحْضِرْهُ حِينَئِذٍ إِلَّا مِنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ الْوَاهِيَةِ وَلَمْ يَذْكُرْ بَقِيَّةَ طَرَفِهِ...

وأخرجه الحاكم في المستدرک في ثلاث طرق وقال في كُلِّ مِنْهَا: إِنَّهُ صَحِيحٌ عَلَى شَرَطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يَخْرُجْ!!

أنظر جواهر العقدين ص ٢٣٢ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٥.

وقال ابن حجر في الصواعق: ولم يصب ابن الجوزي في إبراده في العلل المتناهية كيف وفي صحيح مسلم وغيره خطبته...

أنظر الصواعق المحرقة ج ٢ ص ٦٥٢ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٧ / المترجم.

(٢) جواهر العقدين ص ٢٣٣ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٥ م.

لهما فلا تقدموهما فتهلكوا»^(١).

٤ - ذكر محمود بن شيخاني القادري في الصراط السوي في مناقب آل النبي ﷺ عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: «إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي»^(٢).

٥ - وذكر أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي إمام الحديث المعروف في تفسير الكشف والبيان ذيل قوله تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا» مسنداً عن أبي سعيد الخدري الصحابي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس إني قد تركت فيكم خليفتين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٣).

٦ - وذكر رفيع الدين عبد الوهاب بن محمد بن رفيع الدين البخاري في التفسير الأنوري ذيل آية المودة عن أبي سعيد الخدري في رواية عن رسول الله ﷺ: «أيها الناس إني تركت فيكم الثقلين خليفتين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي وهم أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

٧ - وذكر الشيخ سليمان البلخي في الينابيع عن تفسير الثعلبي بسنده عن عطية الكوفي عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيها الناس إني تركت فيكم الثقلين إن أخذتم بهما لن تضلوا، أحدهما أكبر من

(١) أنظر الصواعق ج ٢ ص ٦٥٢ - ٦٥٣ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٧ م.

(٢) لم أعثر على الكتاب.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في الفضائل عن زيد بن ثابت ج ٢ ص ٦٠٣ رقم ١٠٣٢ ط

دار العلم - جدة ١٩٨٣ م، وقال عنه: إسناده حسن.

الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا وأتھما
لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»^(١).

وقد يُقال: لماذا هذا التكرار في إيراد أحاديث متشابهة؟

فأقول: إنّ هذا الإشكال قد يبدو صحيحاً في نظر الناس البسطاء لأنّهم قد
يكتفون بحديث واحد لقبول الفكرة، وأمّا هذا الكمّ الهائل من الروايات فهو
ينفع لأهل التحقيق من العلماء وكذلك ينفع أهل العناد واللجاج فإنّه يخصم
حجّتهم ويقطع عنادهم. ولعن طلب المزيد فوق ما ذكرته يمكنه مراجعة الجزء
الثاني عشر من الدورة النفيسة (عقبات الأنوار) للعالم الكبير والمتبحر الخبير
جامع المعقول والمنقول آية الله السيّد مير حامد حسين النيشابوري الكنتوري
اللكهنوي أعلی الله مقامه، المتوفّي عام ١٣٠٦هـ في شهر صفر.

وقد ألف هذه الدورة ردّاً على الباب السابع من كتاب التحفة الاثنى عشرية
للمتعصّب العنيد عبد العزيز الدهلوي الذي ردّ اثنا عشر حديثاً في ولاية أهل
البيت عليهم السلام بكلّ وقاحة من غير دليل وبرهان وحجّة.

وقد ردّه السيّد مير حامد في العقبات ردّاً علمياً موسّعاً ومعمّقاً في اثني عشر
مجلداً فقد نقل الأحاديث بأسانيدھا الصحيحة^(٢) وما نحن فيه أي حديث

(١) ينابيع المودّة ج ١ الباب الرابع ص ٣١.

(٢) وقد بدأ طباعة هذه الدورة من عام ١٢٩٣هـ إلى عام ١٣٤٤هـ وهي موجودة في
مكتبتي، ثمّ طبعت هذه الدورة أخيراً في اصفهان تصدّت لطبعها إحدى
المؤسسات باسم (نشر نفائس مخطوطات اصفهان) وهي إحدى الجهود
المشكورة والعظيمة التي تصبّ في خدمة المذهب المقدّس، وبلا شكّ فإنّ مثل
هذا العمل يدخل السرور على أرواح النبي وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، والعقبات تدلّ
على علو منزلة مؤلّفها السيّد مير حامد وكثرة إطلاعه وإحاطته بكتب الحديث

السفينة وحديث الثقلين تجدونه في المجلد (١٢)، فقد أورد حديث الثقلين عن مائة وثمانين رجلاً من أكابر علماء أهل السنة عن ٣٤ طريقاً، فهذا الكم الهائل دليل ينير الظلمة ويكشف الضباب عن قلوب المخالفين والمعاندين. وقبل أن أنتقل إلى دلالة حديث الثقلين وأشرح لكم بعض مفرداته المهمة أذكر لكم فهرست بأسماء بعض الكتب السنية التي ذكرت حديث الثقلين الموجودة عندي أو التي رأيته سواء المخطوط أو المطبوع وقد ذكرت بعضها في كتاب ليالي بيشاور أيضاً.

- ١ - صحيح مسلم ٢ - صحيح أبي داود ٣ - سنن ونوادر الأصول للترمذي
- ٤ - خصائص النسائي ٥ - مسند أحمد ٦ - مستدرک الحاكم ٧ - حلية الأولياء لأبي نعيم الاصفهاني ٨ - تذكرة سبط ابن الجوزي ٩ - أسد الغابة لابن الأثير الجزري ١٠ - الجمع بين الصحيحين للحميدي ١١ - الجمع بين الصحاح السنة لرزين بن معاوية ١٢ - المعجم الكبير للطبراني ١٣ - تلخيص المستدرک للذهبي ١٤ - العقد الفريد ١٥ - مطالب السؤل للشافعي ١٦ - مناقب الخوارزمي ١٧ - ينابيع المودة ١٨ - مودة القربى للهمداني ١٩ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٢٠ - نور الأبصار للشبلنجي ٢١ - الفصول المهمة للمالكي ٢٢ - فرائد السمطين ٢٣ - تفسير الكشف والبيان للثعلبي ٢٤ - المناقب للسمعاني ٢٥ - المناقب لابن المغازلي ٢٦ - كفاية الطالب ٢٧ - طبقات ابن سعد ٢٨ - تفسير الرازي ٢٩ - تفسير ابن كثير ٣٠ - استجلاب ارتقاء الغرف للسخاوي ٣١ - درر نظم السمطين للزرندي ٣٢ - كنز العمال ٣٣ - منقبه المطهرين لأبي نعيم الاصفهاني ٣٤ - فردوس الأخبار للديلملي ٣٥ - الصواعق المحرقة وغيرها.

→ والرجال و... وحقاً كان لانتقال نبأ الإمام ﷺ وكل من طالعها بدقة يكشف أنها كانت معجزة عجيبة / المؤلف.

دلالة حديث الثقلين

أما دلالة حديث الثقلين فيمكن أن نشير إليها عبر النقاط التالية:

أولاً؛ يفيد أن العترة الطاهرة لن تفترق عن القرآن إلى يوم القيامة حتى يردا الحوض، فـ (لن) تفيد التأييد كما قلنا فالدين باقي إلى يوم القيامة، أي الدين الإسلامي وفق مذهب ومسلك أهل البيت عليهم السلام وهو القرآن بعينه^(١).

ثانياً؛ ويفيد أن نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وهم أهل بيته وعترة موجودون أيضاً إلى جانب القرآن إلى يوم القيامة (لن يفترقا حتى يردا الحوض) وهذا يعني بقاء الذرية الطاهرة التي عُبِّرَ عنها بالكوثر في قوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ...﴾^(٢) فقد عاب بعضهم النبي صلى الله عليه وآله في مكة ووصفوه بالأبتر فأنزل الله تعالى هذه السورة لتبشّره صلى الله عليه وآله بأمرين مهمّين:

١ - بالكوثر وهو كناية عن كثرة العلم والأمة والنسل الطاهر إلى يوم القيامة^(٣).

٢ - إن نسل الأعداء والمخالفين للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته مقطوع مضمحل، فصار العدوّ هو الأبتر، ونحن اليوم نشاهد هذه المعجزة العجيبة فقد استمرّ نسل النبي صلى الله عليه وآله على رغم الممارسات الإرهابية ضدهم بينما انقطع نسل أعدائهم الذين حاربوهم أمثال بني أمية وبني مروان وبني العباس، حتى أنك لا تجد لهم أثراً ولا ذكراً بخلاف الأشراف الذين يملكون الدنيا ﴿فَقَطِّعْ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ

(١) أقول: روي عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: عليّ مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض، المعجم الأوسط للطبراني ج ٥ ص ٤٥٥ رقم ٤٨٧٧ مكتبة المعارف الرياض / المترجم.

(٢) الكوثر: ١ - ٢.

(٣) راجع مجمع البيان للطبرسي ج ١٠ ص ٧٠٣، ط مؤسسة التاريخ العربي.

ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»^(١).

ثالثاً: والحديث يشير إلى منزلة العترة الطاهرة التي تفوق جميع الناس وذلك لأنَّ النبي ﷺ في حديثه لم يقصد المبالغة وإنما أراد المعنى الحقيقي المتبادر إلى أذهان الناس بكلِّ واقعية، لأنه ﷺ معصوم «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ»^(٢).

إذا تمَّ هذا فنقول: جميع ما للقرآن الكريم من عظمة وجلالة وقداسة وإعجاز ينطبق ويجري في أهل البيت ﷺ لأنَّ النبي ﷺ جعلهم إلى مصافه وعدله وقرينه، وأخبر ﷺ بعدم الافتراق إلى يوم البعث فيكون حكمهما واحد ولكن للتمييز بينهما جعل ﷺ القرآن نفل الله الأكبر وأهل بيته النفل الأصغر.

رابعاً: ولما كان القرآن الكريم كتاب هداية وسعادة في الدنيا والآخرة، بعدما جعل الله فيه كلَّ شيء «وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَافِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ»^(٣) كذلك - قطعاً - أهل البيت ﷺ فهم أهل الهداية والرشاد بفضل علمهم وهدْيهم .. ولهذا أمرنا الرسول ﷺ بوجوب متابعتهم كما أمرنا بوجوب متابعة القرآن فالحكم واحد لإطلاق اللفظ «لن تضلُّوا إن اتبعتموهما»، وهكذا بالتمسك بهم ﷺ فهو على غرار وجوب التمسك بالقرآن «ما إن تمسَّكتُم بهما لن تضلُّوا». والعجيب من أهل السنة أنَّهم يقولون أمرنا بحبِّ أهل البيت في حديث الثقلين!!

والحال أنَّ ألفاظ الحديث مثل (تضلُّوا) وُضع مقابل الهداية التي تتجسَّد في أهل البيت ﷺ وواضح أنَّ الهداية والضلال يتصلان اتصالاً مباشراً باعتقاد وعمل الإنسان، ثمَّ إنَّ القرآن لم ينزل على النبيِّ والمسلمين لكي يحبُّونه فقط،

(١) الأنعام: ٤٥.

(٢) النجم: ٣-٤.

(٣) الأنعام: ٥٩.

بل نزل كدستور وشرع ونهج يجب متابعتة والعمل على فقه لكي لا يقع الناس في الضلال، وهكذا أهل البيت - قرين القرآن وعدله - لم يدعُ النبي في حديث الثقلين لحبهم فقط، بل إلى حبهم ومتابعتهم والتمسك بهم والأخذ عنهم وطاعتهم وبذلك تتحقق النجاة وتطمس معالم الضلال^(١).

ومن هذا المنطلق وهذه الحقيقة قال ﷺ: «فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»^(٢).

وقال ﷺ: «فلا تسبقوا أهل بيتي فتفرقوا ولا تخلفوا عنهم فتضلوا ولا تعلموهم فهم أعلم منكم، وأنهم لن يخرجوكم من باب هدى ولم يدخلوكم في باب ضلالة، أحلم الناس كباراً وأعلمهم صغاراً»^(٣).

وقال ﷺ: «فلا تسبقوهم فتهلكوا فتهلكوا ولا تعلموهم فهم أعلم منكم»^(٤).

وقال ﷺ: «فتعلموا منهم ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»^(٥).

فكل عاقل خالٍ من الأمراض الجاهلية والعصبيات القومية والمذهبية والأمراض النفسية يدرك حقيقة ما بيّناه وفق مفردات الحديث ودلالاتها، ويدرك هدف النبي الأكرم ﷺ فإنه أراد توحيد الأمة الإسلامية لتكون أمة واحدة تتبع القرآن وأهل بيته بدل هذا التشّت والتفرّق، فدعى الناس إلى الالتفاف

(١) قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: أنت وشيعتك تردون علي الحوض رواء مرويين مبينة وجوهكم وإن عدوك يردون علي ظماء مقبحين، المعجم الكبير للطبراني ج ١ ص ٣١٩ رقم ٩٤٧ / المترجم.

(٢) مرّ مصدره.

(٣) منقبة المطهرين لأبي نعيم الاصفهاني عن البراء بن عازب وتجدها في الصواعق المحرقة ج ٢ ص ٦٥٣ ط مؤسسة الرسالة.

(٤) الموالات لابن عقدة عن حذيفة بن أسيد وتجدها في الصواعق المحرقة كما مرّ.

(٥) المصدر نفسه ص ٧٧٩ وتجدها في الصواعق المحرقة كما مرّ.

والتمسك بالعترة الطاهرة والقرآن وهما وجهان لعملة واحدة إن صحَّ التعبير، لأنَّ في متابعتهم أمان من الضلال والاختلاف والتفرُّق، وكان ﷺ يكرِّر هذه الدعوة على مسامع المسلمين كما بيَّنا ذلك حتَّى أوضح لهم الإمام الأوَّل من أهل البيت عليه السلام في مناسبات عديدة كان آخرها يوم غدیر خمَّ بعد عودته من حجة الوداع وطلب منهم مبايعته وطاعته وعدم الاختلاف عليه أو الافتراق عنه.

حديث الغدير وتعيين الأمير

لقد ذكر جمع كثير من أعلام أهل السَّنة حديث الثقلين في يوم الغدير مع حديث الولاية، منهم أبو عبد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن حنبل في المستدرک والحاكم في المستدرک والنسائي في الخصائص وملاً علي المتقي الهندي في كنز العمال وشيخ محمود الشيرازي القادري في الصراط السوي والخوارزمي في المناقب عن أحمد بن حسين البيهقي وابن المغازلي الفقيه في المناقب وحفيد بن أحمد المحلي في محاسن الأزهار في تفضيل العترة الأخيار، ونور الدين ابن الصبَّاح المالكي في الفصول المهمة، والسمهودي في جواهر العقدين، وأحمد بن الفضل بن محمد با كثير المكي في وسيلة المآل في عدِّ مناقب الآل.. وآخرين بعبارات وألفاظ مختلفة عن عدَّة من الأصحاب مثل حذيفة بن أسيد وزيد بن أرقم وحذيفة ابن اليمان أنَّ رسول الله ﷺ قال يوم الغدير: إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروني كيف تخلفوني فيهما فإنَّهما لن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض ثمَّ قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ مولاي وأنا مولى كلِّ مؤمن ثمَّ أخذ بيد علي فقال: مَنْ كنت وليه فهذا وليه واللَّهمَّ والي من والاه وعاد من عاداه^(١).

(١) المستدرک ج ٣ ص ١١٨ رقم ٤٥٧٦ ط دار الكتب العلمية بيروت.

وذكر أحمد بن فضل بن محمد با كثير المكي في وسيلة المال عن جعفر البرار عن أم المؤمنين أم سلمة (رض)، وابن حجر المكي في آخر الفصل الثاني من الباب ٩ في صواعقه في مرض النبي ﷺ حينما كانت داره ممتلئة قال: أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فيُطلق بي وقد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا إني مخلف فيكم كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض، فأسألهما (عن) ما خلفت فيهما^(١).

فيظهر أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام أول الأنمة من عترته ﷺ ويجب على الأمة متابعته والتمسك به والأخذ عنه نظراً لما مرّ عليكم من أحاديث، بل هناك أحاديث خاصة في هذا المورد منها ما ذكره الطبراني في المعجم الكبير والرافعي في المسند والهندي في كنز العمال وأبو نعيم في الحلية وابن أبي الحديد في شرح النهج عن مسند فضائل أحمد أن رسول الله ﷺ قال: من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي فليوال علياً من بعدي وليوال وليّه وليقتد بالأنمة من بعدي فإنهم عترتي خلّقوا من طينتي رزقوا فهمي وعلمي (فهماً وعلماً) وويل للمكذّبين بفضلهم من أمتي للقاطعين صلتي لا أنالهم الله شفاعتي^(٢).

وذكر الحافظ أبو نعيم الاصفهاني في حلية الأولياء والكنجي الشافعي في إيصال الطالب الباب ٥٤ مسنداً عن أنس بن مالك قال: طلب النبي ماءً فتوضاً ثم قال رسول الله ﷺ: يا أنس اسكب لي وضوءاً يغينني فتوضاً ثم قام وصلى

(١) الصواعق المحرقة ج ٢ ص ٣٦٨ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٧م رقم الحديث (٤٠).

(٢) راجع يتابع المودة للفندوزي ص ١٥١، الباب ٤٣.

ثم قال: يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيد المسلمين وقائد الغر المحجلين وخاتم الوصيين.

قال أنس: قلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار وكنتمته إذ جاء علي فقال: من هذا يا أنس؟ قلت: علي بن أبي طالب، فقام النبي ﷺ مستبشراً فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه وبوجهه ويمسح عرق علي ﷺ بوجهه قال علي ﷺ: يارسول الله لقد رأيتك صنعت بي شيئاً ما صنعت بي قبل، قال: وما يمنعني وأنت تؤذي عني وتسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي^(١).

وأيضاً جاء في الحلية مسنداً عن أبي محمد الحسن بن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ادعوا لي سيد العرب - يعني علياً - فقالت عائشة: ألس سيد العرب؟ فقال: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب، فلما جاء علي أرسل رسول الله ﷺ إلى الأنصار فأتوه فقال لهم: يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: هذا علي فأحبوه لحبي [بحبي] وأكرموا بكرامتي فإن جبرئيل أمرني بالذي قلت لكم من الله عز وجل^(٢).

وعلى غرار هذه الأحاديث توجد العشرات في كتب أهل السنة ذكرها حتى المتعصبين من أهل السنة مثل ابن حزم وابن حجر وابن قتيبة وابن الجوزي والفضل بن رزبهان، وقد عمل بعض الوضاعين بدوافع أموية وعمرية على وضع أحاديث مشابهة لتلك الأحاديث في أعداء أهل البيت ﷺ وقد أشار إليها علماء الحديث في كتب مستقلة، ومن هذا القبيل وضعهم حديث مقابل حديث الثقلين.

(١) كفاية الطالب الباب ٥٤ ص ٢١١ ط النجف، وقال في ذيله: هذا حديث حسن عال.

(٢) كفاية الطالب باب ٥٣ ص ٢١٠ وقال: هذا حديث ثابت صحيح.

إبطال حديث كتاب الله وسنتي

فقد رواوا كذباً وزوراً عن النبي ﷺ قوله: إني قد خلفت فيكم ثنتين كتاب الله وسنتي!!

أولاً: أما من ناحية سند هذا الحديث فقد روي عن (صالح بن موسى) الذي ضعفه الذهبي ويحيى والبخاري وابن عدي وقال عنه: إنه متروك ومردود وضعيف^(١).

ثانياً: وأما من ناحية الدلالة فأني أشير إلى نقطة عقلانية ومنطقية وهي: أن رسول الله ﷺ لا يتكلم بكلام معقّد أو متناقض والعياذ بالله فكيف يقول: خلفت فيكم كتاب الله وسنتي مع أن كلاهما يحتاج إلى مبين ومفسر، فالكتاب الكريم فيه المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والمجمل والمفصل.. فالضرورة قاضية بوجوب وجود المبيّن وهو شخص النبي الكريم ﷺ لرفع الاختلاف والكشف عن مراد الله تعالى، ولكن فيما بعد الرسول ﷺ تكون الحاجة إلى هذا المبيّن أكثر ضرورة لأن الاختلاف حاصل لا محالة - كما تحقّق في التاريخ - وعليه فلا بدّ من تعيين هذا المبيّن تعييناً واضحاً لازماً.

وهنا لا يمكن القول إنه ﷺ أوكّل الأمة إلى سنته الشريفة وجعلها بمثابة المبيّن للقرآن الكريم، لأنّ السّنة هي الأخرى فيها المحكم والمتشابه والخاص العام والناسخ والمنسوخ والمجمل والمفصل... وبالتالي فهي لا تختلف عن القرآن في نسبة الاحتياج إلى الموضّح والمبيّن، فالنبي ﷺ قطعاً لم يقل هذا

(١) صالح بن موسى بن عبد بن إسحاق بن طلحة بن عبيد الله القرشي كوفي ضعيف. راجع ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ج ٣، ص ٤١٤، رقم ٣٨٣٥، ط: دار الكتب العلمية بيروت عام ١٩٩٥.

الحديث المتناقض لأنه ﷺ منزه عن مثل هذه الأحاديث وتلاحظون أن كل من أخذ بهذا الحديث (الموضوع) وعمل به أصيب بالضلال والانحراف كالأشاعرة وفرقهم المتعددة والمعتزلة..

لأنهم اعتمدوا في تفسير القرآن وفهمه وكذا السنة على عقولهم وقياساتهم واستحساناتهم الخاطئة، وأعرضوا بكل صراحة إلى اليوم عن باب علم النبي ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام وذريته الأطهار عترة النبي الأكرم ﷺ. ثالثاً: ثم إن هذا الحديث (المجعول) يسقط عن الاعتبار عندما نضعه أمام حديث الثقلين (كتاب الله وعترتي) المتواتر، لأن خبر الواحد لا يعارض المتواتر، والضعيف لا يعارض الصحيح.

انصفوا أيها المنصفون

والآن أسألكم أيها المنصفون هذا السؤال وأطلب من كل منصف من أهل السنة أن يجيب عنه بكل موضوعية بعيداً عن التمذهب والتعصب: أولاً: لقد ذكرت فضائل أهل البيت عليه السلام في كتبكم بشكل كثير وواسع، فهل لأبي الحسن الأشعري وواصل بن عطاء المعتزلي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل فضائلاً مثل ما لأهل البيت عليه السلام في كتبكم؟

الجواب: لا.

ثانياً: أيهما أصح، هل تتبع أهل البيت (أحد الثقلين) الذين عاشوا في رحاب النبي ﷺ وسمعوا منه وتعلموا على يده وورثوا علمه، أم تتبع الأشعري والمعتزلي الذين جاء بعد ثلاثة قرون من رحيل النبي ﷺ؟

فهنا لا مجال لمخالفة العقل والوجدان والحكمة، لأن الجواب سيكون في وجوب متابعة أهل البيت عليه السلام؛ الذين قال عنهم النبي ﷺ: فلا تسبقوهم ولا تتقدموهم فتهلكوا... ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

إذن فنحن (الشيعة) ليس لدينا أي حرب مع أهل السنة بل هناك خطأ منهجي وفكري سار عليه أهل السنة حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه اليوم من الافتراق والشتات خلفاً عن سلف، لأنهم يقدمون الأشعري والمعتزلي والحنبلي.. على آل محمد ﷺ ويأخذون دينهم من أولئك أكثر من أخذهم من أهل البيت ﷺ، وبالتالي فقد سبقوا وتقدموا على أهل البيت ﷺ وتابعوا علمانهم أكثر من متابعتهم أهل البيت ﷺ فخالفوا النبي ﷺ الذي أوصاهم بالمتابعة والتمسك بأهل البيت ﷺ، بينما سار الشيعة الإمامية منذ عصر النبي ﷺ وإلى اليوم على منهج أهل البيت ﷺ تبعاً لأوامره ﷺ، فظهر لكم ولجميع المنصفين أن أئمة أهل السنة هم أول من خالف النبي ﷺ في عدم متابعتهم وتمسكهم بأهل بيته ﷺ وتابعهم الناس، فهل يحق لنا أن نقول عنهم: مشركون.. كفار.. روافض؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.

نتيجة الأدلة الثلاثة حول الفرقة الناجية

مما تقدم يظهر أن أول علامة ذكرها النبي ﷺ للفرقة الناجية هي: متابعة أهل بيته والتمسك بهم وأخذ الدين عنهم وعدم مخالفتهم أو تقديم سواهم عليهم، أو التخلف عنهم، بل يجب أن تكون الأعمال وفق أعمالهم والأحكام مأخوذة عنهم وتوقييرهم وتفضيلهم ومدحهم وعدم سبهم أو لعنهم أو محاربتهم لأن ذلك كفر صريح، وكذلك لا يمكن التفكيك بين الحب والعمل. وهذا ما لم يتوفر إلا في الشيعة الإمامية الاثنا عشرية لأنهم يحبون ويتابعون ويتمسكون بأهل البيت ﷺ ويقدمونهم على جميع الناس، ولذلك كانت عقائدنا خالية من الخرافات والكفريات التي قال بها الأشاعرة أو المعتزلة كما تقدم، لأنهم - الشيعة - أخذوا كل شيء عن العترة الطاهرة من أحكام وتاريخ وتفسير إنطلاقاً من الإمام الأول علي بن أبي طالب عليه السلام باب العلم الذي تلقى علومه من النبي ﷺ

منذ طفولته وحتى رحيل النبي ﷺ فقد كان ﷺ أذن وإعيتهم أو كتبهم الحديثية مثل تفسير الطبري وتفسير الكشف والبيان والكشاف وتفسير ابن كثير والدر المنثور.. ذكروا في ذيل قوله تعالى: ﴿وَتَعْبَهُمَا أَذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾^(١) قول رسول الله ﷺ: سألت ربي أن يجعلها أذن علي وبعضهم ذكر: سألت ربي أن يجعلها أذنك يا علي، ففعل، كما هو في الدر المنثور عن سعيد بن منصور وابن جرير وابن منذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن مكحول^(٢).

وذكر السيوطي عن ابن جرير وابن أبي حاتم والواحدي وابن مردويه وابن عساكر وابن البخاري عن بريدة^(٣) وابن كثير مسنداً عن ابن مرة الأسلمي، والثعلبي عن طريق أبي حمزة الثمالي، ومحمد بن يوسف الكنجي الشافعي في كفاية الطالب باب ٦٢ عن بريدة الأسلمي قال: وبهذا السياق أورده حافظ العراق ومحدث الشام، والشيخ سليمان البلخي الحنفي في الينابيع^(٤) عن الخوارزمي والثعلبي والحافظ أبو نعيم وسيد علي الشريف الجرجاني في شرح المواقف بألفاظ مختلفة وبقليل من التفصيل والاختصار كلهم رَوَوْا عن رسول الله ﷺ قوله لعلي عليه السلام: إِنْ أَلَّهِ أَمَرَنِي أَنْ أَعْيُنَكَ وَلَا أَقْصِيكَ وَأَنْ أَعْلَمَكَ وَأَنْ تَعِي وَحَقُّ عَلَى اللَّهِ أَنْ تَعِي، قال: ونزلت: ﴿وَتَعْبَهُمَا أَذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾.

وذكر الحافظ أبو نعيم الاصفهاني في الحلية مسنداً عن أمير المؤمنين عليه السلام أن

(١) الحاقّة: ١٢.

(٢) تفسير الدر المنثور ج ٦ ص ٣٦٠ ط بيروت.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينابيع المودة عن المناقب للخوارزمي ص ٢٨٢، ط جامعة المدرسين قم - سنة

رسول الله ﷺ قال: يا علي أن الله أمرني أن أدنك وأعلمك لتعي وأنزلت هذه الآية ﴿وَتَعِيَهَا أَذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ فانت أذن واعية لعلمي^(١).

وقال الشيخ سليمان البلخي الحنفي في الينابيع: «وفي شرح المواقف قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أَذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ أي حافظة، أكثر المفسرين على أنه علي عليه السلام، وقول علي كرم الله وجهه: لو كسرت لي الوسادة ثم جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل القرآن بقرآنهم وقوله: والله ما من آية نزلت في برّ أو سهل أو جبل في ليل أو نهار إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وفي أي شيء نزلت، إلى أن قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها ومن أراد العلم فليأت الباب^(٢).

سؤال: لقد سمعنا من أساتذتنا في الجامعة أن حديث (أنا مدينة العلم وعلي بابها) موضوع وضعه الشيعة، إذ كيف يتسنى لشخص واحد أن يحيط بالعلم النبوي كله، وهكذا سمعنا هذا التعليل من علمائنا الدينيين وقالوا: إنه مجعول من الشيعة؟

الجواب: لقد طرح هذا الإشكال والكلام علي كراراً من قبل علمائكم منها ما كان في مدينة بيشاور أثناء محاورتي مع أهل السنة لمدة عشر ليالي ورددت هذه المزاعم بالأدلة الثابتة منع ذكر بعض الأسانيد المروية في كتب أهل السنة التي يمكنكم الرجوع إليها في كتابي ليالي بيشاور.

سؤال: هل يمكنكم الآن ذكر بعض أسانيد هذا الحديث.

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٢، ط: الكتب العلمية بيروت، ونور الأبصار ص ٨٧ ط بيروت.

(٢) راجع يتابع المودة، الباب الرابع عشر ص ٧٥، منشورات المكتبة الحيدرية عام ١٩٦٥ م.

الجواب: كنتُ أتمنّى أن أفتح لكم هذا البحث وأستوعبه بالشكل المطلوب ولكن كما ترون فإنّ حالتي الصحيّة لا تساعدني كثيراً فقد أصبت بالمرض القلبي منذ ثلاث سنوات وإلى الآن، وأني أشكر الله تعالى أن وهبني قسطاً من العافية لمحاورةكم خلال هذه الأيام، ولكن مع ذلك سوف أختصر لكم الإجابة، وتستطيعون مراجعة المجلّد الخامس من عبقّات الأنوار للمرحوم السيّد مير حامد أعلى الله مقامه الذي ذكر فيه حديث مدينة العلم عن صحيح البخاري متواتراً، وأمّا المصادر السنيّة التي ذكرت هذا الحديث بإسناد أهل السنّة نفهم فأذكر لكم بعض ما رأيته من الكتب النخطيّة أو المطبوعة مع أسماء مؤلّفيها^(١):

- ١ - محمّد بن جرير الطبري المتوفى عام ٣١٠هـ في تهذيب الآثار.
- ٢ - الحاكم النيشابوري المتوفى عام ٤٠٥هـ في المستدرک.
- ٣ - أبو عيسى الحكيم محمّد الترمذي المتوفى عام ٢٨٩هـ في سننه.
- ٤ - جلال الدين السيوطي المتوفى عام ٩١١هـ في جمع الجوامع والمجلّد الأوّل من الجامع الصغير.
- ٥ - أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى عام ٣٦٠هـ في المعجم الأوسط والكبير.
- ٦ - الحافظ أبو محمّد حسن السمرقندي المتوفى عام ٤٩١هـ في بحر الأسانيد.
- ٧ - الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني المتوفى عام ٤٣٠هـ في معرفة الصحابة.
- ٨ - الحافظ أبو عمرو يوسف القرطبي المتوفى عام ٤٦٣هـ في الاستيعاب.
- ٩ - أبو الحسن الفقيه الشافعي ابن المغازلي المتوفى عام ٤٨٣هـ في المناقب.

(١) لقد ذكر المؤلّف هذه المصادر في ليالي بيشاور ص ١١١٣ / المترجم.

١٠ - أبو شجاع شيرويه الهمداني الديلمي المتوفي عام ٥٠٩هـ في فردوس الأخبار.

١١ - أبو المؤيد موفّق الدين الخوارزمي المتوفي عام ٥٦٨هـ في المناقب والمقتل [ج ١ ص ٧٦ رقم ٢٤].

١٢ - أبو القاسم ابن عساكر علي بن الحسن الدمشقي المتوفي عام ٥٧١هـ في التاريخ.

١٣ - أبو الحجاج يوسف بن محمّد الأندلسي المتوفي ٦٠٥هـ في المجلّد الأوّل من (ألف باء).

١٤ - أبو الحسن علي بن محمّد بن الأثير الجزري المتوفي عام ٦٣٠هـ في أسد الغابة.

١٥ - محبّ الدين أحمد بن عبدالله الطبري الشافعي المتوفّي عام ٦٩٤هـ في الرياض النضرة وذخائر العقبى.

١٦ - شمس الدين محمّد بن أحمد الذهبي الشافعي المتوفى عام ٧٤٨هـ في تذكرة الحفاظ.

١٧ - بدر الدين محمّد الزركشي المصري المتوفي عام ٧٤٩هـ في فيض القدير.

١٨ - الحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفي عام ٨٠٧هـ في مجمع الزوائد.

١٩ - كمال الدين محمد بن موسى الدميري المتوفي عام ٨٠٨هـ في حياة الحيوان [ج ١ ص ٧٩ مادة الإوز].

٢٠ - شمس الدين محمّد بن محمّد الجزري المتوفي عام ٨٣٣هـ في أسنى المطالب.

٢١ - شهاب الدين بن حجر أحمد بن علي العسقلاني المتوفى عام ٨٥٢هـ في تهذيب التهذيب.

٢٢ - بدر الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي المتوفى عام ٨٥٥هـ في عمدة

القاري.

٢٣- علي بن حسام الدين المتقي الهندي المتوفي عام ٩٧٥هـ في كنز العمال.

٢٤- عبد الرزوف المناوي الشافعي المتوفي عام ١٠٣١هـ في فيض القدير.

٢٥- الحافظ علي بن أحمد العزيزي الشافعي المتوفي عام ١٠٧٠هـ في السراج المنير.

٢٦- محمد بن يوسف الشامي المتوفي عام ٩٤٢هـ في سبل الهدى والرشاد في أسماء خير العباد.

٢٧- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفي عام ٨١٧هـ في نقد الصحيح.

٢٨- أحمد بن حنبل المتوفي عام ٢٤١هـ في مناقب المسند بشكل مكرّر.

٢٩- أبو سالم محمد بن طلحة الشافعي المتوفي عام ٦٥٢هـ في مطالب السؤل.

٣٠- شيخ الإسلام إبراهيم بن محمد الحمويني المتوفي عام ٧٢٢هـ في فرائد السمطين.

٣١- شهاب الدين دولة آبادي المتوفي عام ٨٤٩هـ في هداية السعداء.

٣٢- العلامة السمهودي نور الدين الشافعي المتوفي عام ٩١١هـ في جواهر العقدين.

٣٣- القاضي الفضل بن روزبهان الشيرازي في إبطال الباطل.

٣٤- نور الدين بن الصباغ المالكي المتوفي عام ٨٥٥هـ في الفصول المهمة.

٣٥- شهاب الدين ابن حجر المكي المتوفي في عام ٩٧٤هـ في الصواعق [ج ٢ ص ٣٥٧ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٧م].

٣٦- جمال الدين عطاء الله المحدث الشيرازي المتوفي عام ١٠٠٠هـ في الأربعين.

٣٧- ملا علي القاري الهروي المتوفي عام ١٠١٤هـ في المرقاة على شرح المشكاة.

- ٣٨- محمد بن علي الصبان المتوفي عام ١٢٠٥هـ في إسعاف الراغبين.
- ٣٩- القاضي محمد بن علي الشوكاني المتوفي عام ١٢٥٠هـ في الفرائد المجموعة.
- ٤٠- شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفي عام ١٢٧٠هـ في روح المعاني.
- ٤١- الإمام الغزالي في إحياء العلوم.
- ٤٢- مير سيد علي الهمداني الفقيه الشافعي في آخر المودّة السابعة من مودّة القريبى.
- ٤٣- أبو محمد أحمد بن العاصمي في زين الفتى في شرح سورة هل أتى.
- ٤٤- محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفي عام ٩٠٢هـ في المقاصدة الحسنة.
- ٤٥- سليمان البلخي الحنفي المتوفي عام ١٢٩٣هـ في الباب ١٤ من ينابيع المودّة.
- ٤٦- يوسف سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص.
- ٤٧- صدر الدين السيد حسين فوزي الهروي في نزهة الأرواح.
- ٤٨- كمال الدين حسين المييدي في شرح الديوان [أي الديوان المنسوب للإمام علي عليه السلام].
- ٤٩- الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفي عام ٤٦٣هـ في عدة مجلّدات من تأريخه.
- ٥٠- محمد بن يوسف الكنجي الشافعي المتوفي عام ٦٥٨هـ في كفاية الطالب، فبعد أن ذكر ثلاثة طرق لحديث مدينة العلم بإسناده قال: فقد قال العلماء من الصحابة والتابعين وأهل بيته بتفضيل علي عليه السلام وزيادة علمه وغازاته وحدة فهمه ووفور حكمته وحسن قضاياه وصحة فتواه وقد كان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من علماء الصحابة يشاورونه في الأحكام

ويأخذون بقوله في النقض والإبرام اعترافاً منهم بعلمه ووفور فضله ورجاحة عقله وصحة حكمه، وليس هذا الحديث (أي مدينة العلم) في حقه بكثير لأن رتبته عند الله وعند رسوله ﷺ وعند المؤمنين من عباده أجل وأعلى من ذلك^(١).

وقد صنّف الإمام أحمد بن محمد الصديق المغربي ساكن القاهرة كتاباً في تصحيح حديث مدينة العلم باسم (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي) وهو موجود أمامي هذا.

ولو أنكم راجعتم كتبكم مثل جمع الجوامع للسيوطي وتهذيب الآثار للطبري، والمستدرک والروضة الندية لليمانى وبحر الأسانيد للسمرقندي ومطالب السؤل وغيرها لو جردتم أسانيد هذا الحديث حتى قال جمال الدين الهندي في تذكرة الموضوعات: فمن حكم بكذبه فقد أخطأ، فأسانيده صحيحة تامة لأنه روي بطرق مختلفة وأسانيد متفاوتة عن الصحابة والتابعين بل روي عن أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي عليه السلام وعن الإمام الحسن بن علي عليه السلام سبط رسول الله ﷺ وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك وعمرو ابن العاص، وروي أيضاً عن الإمام الرابع من أئمة أهل البيت علي بن الحسين زين العابدين والإمام الخامس محمد بن علي الباقر عليه السلام، والأصمغ بن نباتة وجريز الضبي والحارث بن عبد الله الهمداني الكوفي وسعد بن طريف الحنظلي الكوفي، وسعيد بن جبیر الأسدي الكوفي، وسلمة بن كهيل الحضرمي الكوفي، وسليمان بن مهران الأعمش الكوفي وعاصم بن حمزة السلولي الكوفي، وعبد الله بن عثمان بن خثيم القارئ المكي وعبد الرحمن بن عثمان، وعبد الله

(١) كفاية الطالب ص ٢٢٢، ط: إيران سنة ١٤٠٤هـ.

ابن عسيلة المرادي، وأبو عبدالله الصنابحي ومجاهد بن جبير أبو الحجاج المخزومي المكي (من التابعين)، وقد رواه العلماء العظام بسلسلة جليلة من أعلام أهل السنة (فضلاً عن علماء الشيعة) من القرن الثاني وإلى اليوم، وأعتقد أنني رأيت مائتي عالم سني نقل هذا الحديث ومع ذلك أوصيكم بمطالعة العبارات لمير حامد حسين رحمته الله المجلد الخامس الموجود في مكتبتي حالياً ونستطيعون الاستفادة منه متى شئتم لتعرفوا الحق وتتركوا العناد والتعصب.

علي نفس الرسول

ثم لماذا هذا الاستبعاد في حق الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في أن يحمل علم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ أليس هو نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما صرح الخالق تبارك وتعالى في آية المباهلة في مقام المحاجة مع النصاري؟ «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَغْدٍ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ»^(١).

وقد اتفق علماء السنة والشيعة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخرج علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ليحاج بهم نصارى نجران، واتفقوا على أن المراد من (أبناءنا) الحسن والحسين، و(نساءنا) فاطمة، و(أنفسنا) النبي مع علي صلوات الله عليهما وآلهما^(٢)، وهذا يعني أن علياً عليه السلام متحد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبما أن الاتحاد الحقيقي هنا ممنوع ومستحيل قطعاً المراد به الاتحاد المجازي، أي أن أمير المؤمنين علي عليه السلام يتحد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الفضائل والكمالات النفسانية (إلا ما

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) راجع الجزء الأول ص ٩٧ الهامش من الفرقة الناجية، وليالي بيشاور ص ٣٩١

خرج بالنص والدليل) كالنبوة ومقام الخاتمية وما يتفرع على ذلك من نزول الوحي وتأسيس الشريعة.. وهو من خصائص النبي ﷺ أما بقية الفضائل والكمالات فعلي ﷺ نفس النبي ﷺ بدليل الآية السابقة، ومعناه أن الفيض الإلهي الذي ينزل على رسول الله ﷺ ينتقل من قلب النبي ﷺ إلى قلب علي ﷺ بالتعليم والوراثة فيحفظه ويضبطه ويعيه وعياً تاماً كما لو كان في قلب النبي ﷺ، ولهذا لم يتجرأ أحد في التأريخ أن يقول: سلوني غير علي ﷺ كما ذكرناه سابقاً وتناولناه في ليالي بيشاور، فكان ﷺ يتلقى العلوم النبوية بلا واسطة من لسان رسول الله ﷺ فيحفظه ويعلمه ولديه الحسن والحسين ﷺ ابني رسول الله ﷺ فضلاً عن أنهما قد عاشا وطراً من أولياتهما في كنف النبي الأكرم ﷺ، ولهذا روى علماء الفريقين في الكتب المعتبرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: الحسن والحسين هما إمامان وسيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما^(١).

وذكر الشيخ سليمان البلخي الحنفي في ينابيع المودة، ومير سيد علي الهمداني الشافعي في مودة القربى نقلاً عن سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي وهكذا الحموي في الفرائد والخوارزمي في المناقب عنه - سلمان - قال: رأيت الحسين ﷺ على فخذه رسول الله ﷺ وهو يقبله في وجهه وفيه ويقول: أنت سيد ابن سيد أخو سيد، وأنت إمام ابن إمام أخو إمام، وأنت حجة ابن حجة أخو حجة، وأنت أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم^(٢).

لأننا نعتقد بوجود الأئمة الاثني عشر من آل محمد ﷺ كلما مضى إمام سلم وداعه إلى الإمام الذي يليه إلى أن وصلت الإمامة إلى الثاني عشر وهو الإمام

(١) ينابيع المودة ج ١، ص ١٩٥ ط: الشريف الرضي.

(٢) ينابيع المودة، ج ١، ص ١٩٧، ط: الشريف الرضي، تحت عنوان فضائل الحسن والحسين ﷺ.

المهدي عجل الله فرجه الذي غاب عن الأنظار بسبب جور الظالمين وسعيهم لقتله كما ذكرنا ذلك سابقاً.

ولذا فقد عُرفنا بـ (الإمامية الاثني عشرية) نسبةً لاعتقادنا هذا وهو الحق المطابق للقرآن بعدما جاءت أوامر الرسول الكريم ﷺ تدعو إلى هذا الاعتقاد بالأسانيد المتصلة والأخبار الصحيحة.

سؤال: هل هناك أحاديث من طريق أهل السنة على أن الأئمة اثنا عشر إماماً؟

أحاديث في أن خلفاء النبي اثنا عشر

الجواب: نعم، وقد ذكرتُ موضوع الخلفاء الاثني عشر في ليالي بيشاور^(١)، وهنا أذكر لكم بعض الأخبار المروية بأسانيد وكتب أهل السنة ولكن بشكل مقتضب، منها ما ذكره الشيخ سليمان البلخي الحنفي في ينابيع المودة نقلاً عن فرائد السمطين للحموي بسنده عن مجاهد عن ابن عباس قال: قدم يهودي يُقال له نعثل فقال: يا محمد أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين فإن أجبنتني عنها أسلمت على يديك، قال: سل يا أبا عمارة، فسأل النبي ﷺ عن أشياء إلى أن قال: فأخبرني عن وصيك مَنْ هو؟ فما من نبي إلا وله وصي وأَنْ نبيِّنا موسى بن عمران أوصى يوشع بن نون؟ فقال ﷺ: إن وصيي علي بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوهُ تسعة أئمة من صلب الحسين، قال: يا محمد فسمِّهم لي، قال: إذا مضى الحسين فابنه علي فإذا مضى علي فابنه محمد فإذا مضى محمد فابنه جعفر فإذا مضى جعفر فابنه موسى فإذا مضى موسى فابنه علي فإذا مضى علي فابنه محمد فإذا مضى محمد

(١) أنظر ليالي بيشاور ص ١١٠٨ / المترجم.

فابنه علي فإذا مضى علي فابنه الحسن فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي فهو لاء اثني عشر، قال: أخبرني كيفية موت علي والحسن والحسين؟ قال ﷺ: يقتل علي بضربة على قرنه، والحسن يقتل بالسّم، والحسين بالذبح، قال: فأين مكانهم؟ قال: في الجنة في درجتي، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وأشهد أنهم الأوصياء بعدك، ولقد وجدت في كتب الأنبياء المتقدمة وفيما عهد إلينا موسى بن عمران عليه السلام أنه إذا كان آخر الزمان يخرج نبي يقال له أحمد ومحمد وهو خاتم الأنبياء لا نبي بعده فيكون أوصيائه بعده اثني عشر أولهم ابن عمه وختنه والثاني والثالث كانا أخوين من ولده وتقتل أمة النبي الأول بالسيف والثاني بالسّم والثالث مع جماعة من أهل بيته بالسيف وبالعضش في موضع الغربة فهو كولد الغنم يذبح ويصبر على القتل لرفع درجاته ودرجات أهل بيته وذريته وإخراج محبيه وأتباعه من النار، وتسعة الأوصياء منهم من أولاد الثالث فهو لاء الاثني عشر عدد الأسباط، قال ﷺ: أتعرف الأسباط؟ قال: نعم كانوا اثني عشر أولهم لاوي بن برخيا وهو الذي غاب عن بني إسرائيل غيبة ثم عاد فأظهر الله به شريعته بعد اندراسها، وقاتل قرسطيا الملك حتى قتل الملك، قال ﷺ: كأن في أمّتي ما كان في بني إسرائيل حذو النعل والنعل والقذة بالقذة، وأن الثاني عشر من ولدي يغيب حتى لا يرى ويأتي على أمّتي بزمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا يبقى من القرآن إلا رسمه فحينئذ يأذن الله تبارك وتعالى له بالخروج فيظهر الله الإسلام به ويجدّه، طوبى لمن أحبهم وتبعهم والويل لمن أبغضهم وخالفهم وطوبى لمن تمسك بهدايمهم، فأنشأ نعتل:

صلّى الإله على ذو العُلَى	عليك يا خير البشر
أنت النبي المصطفى	والهاشمي المفتخر
بكم هدانا ربنا	وفيك نرجو ما أمر
ومعشر سمّيتهم	أنمّة اثني عشر

حسابهم رب العلى	ثم اصطفاهم من كدر
قد فاز من والاهم	وخاب من عادى الزهر
آخرهم يسقى الظما	وهو الإمام المنتظر
عترتك الأخيار لي	والتابعين ما أمر
من كان عنهم معرضاً	فسوف تصلاه سقراً ^(١)

وأخرج موفق بن أحمد أخطب الخوارزمي بسنده عن وائلة بن الأسقع بن قرحاب عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخل جندل بن جنادة بن جبير اليهودي على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أخبرني عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا يعلمه الله؟ فقال ﷺ: أما ما ليس لله فليس لله شريك، وأما ما ليس عند الله فليس عند الله ظلم للعباد، وأما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود أن عزيراً ابن الله والله لا يعلم أنه له ولد بل يعلم أنه مخلوقه وعبد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله حقاً وصدقاً، ثم قال: إني رأيت البارحة في النوم موسى بن عمران عليه السلام فقال: يا جندل أسلم على يد محمد خاتم الأنبياء واستمسك بأوصيائه من بعده، فقلت لله الحمد أسلمت وهداني بك.

ثم قال: أخبرني يا رسول الله عن أوصيائك من بعدك لأتمسك بهم، قال: أوصيائي الاثنى عشر، قال جندل: هكذا وجدناهم في التوراة وقال: يا رسول الله سمهم لي، فقال: أولهم سيد الأوصياء أبو الأنمة علي ثم ابنه الحسن والحسين فاستمسك بهم ولا يغترنك جهل الجاهلين فإذا ولد علي بن الحسين زين العابدين يقضي الله عليك ويكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن تشربه، فقال جندل: وجدنا في التوراة وفي كتب الأنبياء عليهم السلام إيليا وشبراً وشبيراً فهذه

(١) ينابيع المودة ج ٢ ص ٥٢٩ الباب ٧٦ ط النجف، وص ٤٤١ نفس الباب ط إسلامبول.

أسماء علي والحسن والحسين فمن بعد الحسين وما أسماؤهم؟ قال: إذا انقضت مدة الحسين فالإمام ابنه علي ويلقب بزين العابدين فبعده ابنه محمد يلقب بالباقر فبعده ابنه جعفر يدعى بالصادق فبعده ابنه موسى يدعى بالكاظم فبعده ابنه علي يدعى بالرضا فبعده ابنه محمد يدعى بالتقي والهادي فبعده ابنه الحسن يدعى بالعسكري فبعده ابنه محمد يدعى بالمهدي والقائم والحجة فيغيب ثم يخرج فإذا خرج يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، طوبى للصابرين في غيبته طوبى للمقيمين على محبتهم أولئك الذين وصفهم الله في كتابه وقال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^(١)، ثم قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢)، فقال جندل: الحمد لله الذي وفقني بمعرفتهم، ثم عاش إلى أن كانت ولادة علي بن الحسين فخرج إلى الطائف ومريض وشرب لبناً وقال: أخبرني رسول الله ﷺ أن يكون آخر زادي من الدنيا شربة لبن ومات ودفن بالطائف بالموضع المعروف بالكوزارة.

وفي المناقب عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: جاء يهودي من يهود المدينة إلى علي «كرم الله وجهه» قال: إني أسألك عن ثلاث وثلاث وعن واحدة فقال علي: لِمَ لا تقول أسألك عن سبع، قال: أسألك عن ثلاث فإن أصبت فيهن سألتك عن الواحدة، فقال علي: ما تدري إذا سألتني فأجبتك أخطأت أم أصبت فأخرج اليهودي من كمه كتاباً عتيقاً قال: هذا ورثته عن آبائي وأجدادي عن هارون جدِّي إملاء موسى بن عمران وخط هارون بن عمران عليه السلام وفيه هذه المسألة التي سألتك عنها، قال علي: إن أجبتك بالصواب فيهن لتسلم، فقال: والله أسلم الساعة على يدك إن أجبتني بالصواب فيهن،

(١) البقرة: ٢ و ٣.

(٢) المجادلة: ٢٢.

قال له قل : قال : أخبرني عن أول حجر وضع على وجه الأرض، وعن أول شجرة نبتت على وجه الأرض، وعن أول عين نبعت على وجه الأرض، قال : أما أول حجر وضع على وجه الأرض فإن اليهود يزعمون أنها صخرة بيت المقدس وكذبوا ولكن هو الحجر الأسود نزل به آدم عليه السلام من الجنة فوضعه في ركن البيت والناس يتمسحون به ويقبلونه ويجددون العهد والميثاق به لأنه كان ملكاً ابتلع كتاب العهد والميثاق وكان مع آدم في الجنة فلما خرج آدم خرج هو فصار حجراً قال اليهودي : صدقت، قال علي : وأما أول شجرة نبتت على الأرض فإن اليهود يزعمون أنها الزيتون وكذبوا ولكنها نخلة من العجوة نزل بها آدم عليه السلام من الجنة فأصل كل النخل العجوة، قال اليهودي : صدقت، قال علي : «كرم الله وجهه» : وأما أول عين نبعت على وجه الأرض فإن اليهود يزعمون أنها العين التي كانت تحت صخرة بيت المقدس وكذبوا ولكنها عين الحياة التي نسي عندها صاحب موسى السمكة المالحة فلما أصابها ماء العين حييت وعاشت وشربت منه فاتبعها موسى وصاحبه الخضر عليهما السلام، قال اليهودي : صدقت، قال علي : سل عن الثلاث الآخر قال : أخبرني كم لهذه الأمة بعد نبينا من إمام ؟ وأخبرني عن منزل محمد أين هو في الجنة ؟ وأخبرني من يسكن معه في منزله ؟ قال علي : لهذه الأمة بعد نبينا اثني عشر إماماً لا يضرهم خلاف من خالفهم، قال اليهودي : صدقت، قال علي : ينزل محمد عليه السلام في الجنة عدن وهي وسط الجنان وأعلاها وأقربها من عرش الرحمان جل جلاله، قال اليهودي : صدقت، قال علي : والذي يسكن معه في الجنة هؤلاء الأئمة الاثني عشر أولهم أنا وآخرنا القائم المهدي، قال : صدقت، قال علي : سل عن الواحدة قال : أخبرني كم تعيش بعد نبيك ؟ وهل تموت أو تقتل ؟ قال : أعيش بعده ثلاثين سنة وتخضب هذه أشار إلى لحيته من هذا أشار إلى رأسه الشريف، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وأشهد أنك وصي

رسول الله ﷺ (١).

وذكر موفّق الدين الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام بإسناده عن أبي سلمى راعي إبل رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: لَمَّا عرجت إلى السماء سمعتُ خطاباً يقول: آمَنَ الرسول بما أنزل إليه من ربه قلت: والمؤمنون، قال: صدقت، ثم قال: يا محمّد إنّي اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها فشقيقت لك اسماً من أسمائي فلا أذكر في موضوع إلا ذكرتُ معي فأنا المحمود وأنت محمّد، ثم اطلعت الثانية فاخترت علياً وشقيقت له اسماً من أسمائي فأنا الأعلى وهو عليّ، إنّي خلقتك وعلياً وفاطمة والحسن والحسين والأنمة من ولده من سنخ نور من نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات وأهل الأرض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ومن جحدّها كان عندي من الكافرين، يا محمّد لو أنّ عبداً من عبيدي عبدني حتّى ينقطع أو يصير كالشنّ البالي ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتّى يقرب ولايتكم، ثم قال لي: التفت عن يمين العرش، فالتفتُ فإذا أنا بعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمّد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمّد بن علي وعلي بن محمّد والحسن بن علي والمهدي، في ضحضاح من نور قياماً يصلّون وهو في وسطهم (المهدي) كأنّه كوكب دري، قال: يا محمّد هؤلاء الحجج وهو النائر من عترتك، وعزّتي وجلالي إنّه الحجة الواجبة لأوليائي والمنتقم من أعدائي (٢).

وروى الشيخ سليمان البلخي حديثاً في غاية الأهمية إذ كلّ فقرة من فقراته

(١) المصدر السابق.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج ١، ص ١٤٦، ح ٢٣، في فضائل الحسن والحسين عليه السلام.

ط: أنوار الهدى ١٤١٨ هـ.

تستبطن معنى عميقاً وتدلّ على أمور مهمة نقلًا عن فرائد السمطين بسنده عن سليم بن قيس الهلالي قال: ... قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لجماعة من الأصحاب: قال: أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: إني وأهل بيتي كنّا نوراً نسعى بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق الله عز وجل آدم بأربعة عشر ألف سنة فلما خلق الله آدم ﷺ وضع ذلك النور في صلبه وأهبط إلى الأرض ثم حمّله في السفينة في صلب نوح عليه السلام ثم قذف به في النار في صلب إبراهيم عليه السلام ثم لم يزل الله عز وجل ينقلنا من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة من الآباء والأمهات لم ينكح واحد منا على سفاح قط؟ فقال أهل السابقة وأهل بدر وأحد: نعم قد سمعناه.

ثم قال: أنشدكم الله أتعلمون أن الله عز وجل فضّل في كتابه السابق على المسبوق في غير آية، ولم يسبقني أحد من الأمة في الإسلام؟ قالوا: نعم.

قال: أنشدكم الله أتعلمون حيث نزلت والسابقون السابقون أولئك المقربون سئل عنها رسول الله ﷺ فقال: أنزلها الله عز وجل في الأنبياء وأوصيائهم فأنا أفضل أنبياء الله ورسله وعلي وصيّي أفضل الأوصياء؟ قالوا: نعم.

قال: أنشدكم الله أتعلمون حيث نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وحيث نزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، وحيث نزلت: ﴿لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ وأمر الله عز وجل نبيه أن يعلمهم ولاية أمرهم، وأن يفسّر لهم من الولاية كما فسّر لهم من صلواتهم وزكاتهم وحجّهم، فنصّيني للناس بغدير خم، فقال: يا أيّها الناس إن الله جلّ جلاله أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت أن الناس تكذبني فأوعدني ربّي ثم قال: أتعلمون أن الله عز وجل مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال آخذاً بيدي: من كنت مولاه فعليّ مولاه،

اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهِ وَعَادِ مِنْ عَادَاهِ، فَقَامَ سَلَمَانُ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَاءَ عَلَيَّ مَاذَا؟ قَالَ ﷺ: وَلَانَهُ كَوْلَانِي مِنْ كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ فَعَلَيَّْ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ فَنَزَلَتْ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فَقَالَ ﷺ: اللَّهُ أَكْبَرُ بِإِكْمَالِ الدِّينِ وَإِتْمَامِ النِّعْمَةِ وَرِضَاءِ رَبِّي بِرِسَالَتِي وَوَلَايَةِ عَلِيٍّ بَعْدِي، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ آيَاتُ فِي عَلِيٍّ خَاصَّةٌ؟ قَالَ: بَلَى فِيهِ وَفِي أَوْصِيَائِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالُوا: بَيْنَهُمْ لَنَا؟ قَالَ: عَلِيٌّ أَخِي وَوَارِثِي وَوَصِيِّي وَوَلِيِّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي ثُمَّ ابْنِي الْحَسَنَ ثُمَّ الْحُسَيْنَ ثُمَّ التَّسْعَةَ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ، الْقُرْآنَ مَعَهُمْ وَهُمْ مَعَ الْقُرْآنِ لَا يَفَارِقُونَهُ وَلَا يَفَارِقُهُمْ حَتَّى يَرُدُّوا عَلَيَّ الْحَوْضَ، قَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ سَمِعْنَا ذَلِكَ وَشَهِدْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ حَفِظْنَا جُلَّ مَا قُلْتَ وَلَمْ نَحْفَظْ كُلَّهُ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَفِظُوا أَخْيَارَنَا وَأَفْاضِلَنَا، ثُمَّ قَالَ: أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١) فَجَمَعَنِي وَفَاطِمَةَ وَابْنِي حَسَنًا وَحُسَيْنًا ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْنَا كِسَاءً وَقَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي لِحَمَمِهِمْ لِحَمِي يُولُمْنِي مَا يُولُمُهُمْ وَيَجْرَحُنِي مَا يَجْرَحُهُمْ فَادْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَنْتِ إِلَى خَيْرٍ فَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ حَدَّثَتْنَا بِذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ: أُنَشِّدُكُمْ اللَّهَ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢) فَقَالَ سَلَمَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا عَامَّةٌ أَمْ خَاصَّةٌ؟ قَالَ: أَمَّا الْمَأْمُورُونَ فَعَامَّةُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا الصَّادِقُونَ فَخَاصَّةُ أَخِي عَلِيٍّ وَأَوْصِيَائِي مِنْ بَعْدِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالُوا: نَعَمْ.

فَقَالَ: أُنَشِّدُكُمْ اللَّهَ أَتَعْلَمُونَ أَنِّي قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزَاةِ تَبُوكَ:

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) التوبة: ١١٩.

خلفتني على النساء والصبيان، فقال: إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ قالوا: نعم.

قال: أنشدكم الله أتعلمون أن الله أنزل في سورة الحج: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١)، فقام سلمان فقال: يارسول الله من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد وهم شهداء على الناس الذين اجتباهم الله ولم يجعل عليهم في الذين من حرج ملة إبراهيم؟ قال ﷺ: عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصة، قال سلمان: بينهم لنا يارسول الله؟ قال: أنا وأخي علي وأحد عشر من ولدي، قالوا: نعم.

قال: أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال في خطبه في مواضع متعددة، وفي آخر خطبة لم يخطب بعدها: أيها الناس إنني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فتمسكوا بهما لن تضلوا فإن اللطيف الخبير أخبرني وعهد إلي أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض؟ فقال كلهم: نشهد أن رسول الله ﷺ قال ذلك^(٢).

وفي المناقب بسنده المذكور عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين علي عليه السلام حينما سأله أحد الرجال عن أدنى ما يكون به العبد مؤمناً، وعن أدنى ما يكون به العبد كافراً، وعن أدنى ما يكون به العبد ضالاً؟ فقال عليه السلام: أما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً: أن يعرفه الله تبارك وتعالى نفسه فيقر له بالطاعة ويعرفه نبيه ﷺ فيقر له بالطاعة، ويعرفه إمامه وحقه في أرضه وشاهده على خلقه فيقر له بالطاعة.

وأدنى ما يكون العبد به كافراً: من زعم أن شيئاً نهى الله عنه أن أمره به

(١) الحج: ٧٧.

(٢) تذكرة الخواص ص ٣٢٣، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٤٠.

ونصبه ديناً يتولى عليه، ويزعم أنه يعبد الله الذي أمره به وما يعبد إلا الشيطان. وأما أدنى ما يكون به العبد ضالاً: أن لا يعرف حجة الله تبارك وتعالى وشاهدته على عباده الذي أمر الله عز وجل عباده بطاعته وفرض ولايته، قلت - السائل -: يا أمير المؤمنين صفهم لي؟ قال: الذين قرنهم الله تعالى بنفسه ونيّه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١)، فقلت له: جعلني الله فداك أوضح لي، فقال: الذين قال رسول الله ﷺ في مواضع وفي آخر خطبة يوم قبضه الله عز وجل إليه: إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ أُمُورِينَ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِترتي أَهْلَ بَيْتِي فَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ قَدْ عَهْدَ إِلَيَّ أَنْهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ كَهَاتَيْنِ وَجَمَعَ مَسْبِحتِهِ وَلَا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ وَجَمَعَ مَسْبِحتَهُ وَالْوَسْطَى، فَتَمَسَّكُوا بِهِمَا وَلَا تَقْدُمُوهُمْ فَتَضَلُّوا.

وأيضاً بسنده عن عيسى بن السري قال: جثت الإمام الصادق عليه السلام وقلت له: حَدِّثْنِي عَمَّا ثَبِتَ عَلَيْهِ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ إِذَا أَخَذْتَ بِهَا زَكَيْ عَمَلِي وَلَمْ يَضُرَّنِي جَهْلٌ مَا جَهِلْتُ؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله وحق في الأموال من الزكاة، والإقرار بالولاية التي أمر الله بها ولاية آل محمد ﷺ، قال رسول الله ﷺ: مَنْ مَاتَ لَا يَعْرِفُ إِمَامَهُ مَاتَ مِيتَةَ جَاهِلِيَّةٍ^(٢)، قال الله عز وجل: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣) فكان علي صلوات الله عليه ثم صار من بعده حسن ثم حسين ثم من بعده علي ابن الحسين ثم من بعده محمد بن علي وهكذا يكون الأمر، إن الأرض لا تصلح

(١) النساء: ٥٩.

(٢) تقدّم مصدره.

(٣) النساء: ٥٩.

إلا بإمام ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه هاهنا وأهوى بيده إلى صدره، يقول: حيثلذ لقد كان علي أمر حسن^(١).

وأيضاً ذكر سليمان الحنفي في الباب ٧٧ عن عباية بن ربعي عن جابر وفي صفحة أخرى عن عبدالله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سيد النبيين وعلي سيد الوصيين وإن أوصيائي بعدي اثنا عشر أولهم علي وآخرهم القائم المهدي^(٢).

وذكر السيد علي بن شهاب الهمداني في المودة العاشرة من مودة القربى عن عباية بن ربعي الحديث أعلاه.

وفي الكتاب المذكور نفسه روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ: من أحب أن يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقى ويعتصم بحبل الله المتين فليوال علياً بعدي وليعاد عدوه وليأتم بالأئمة الهداة من ولده فإنهم خلفائي وأوصيائي وحجج الله على خلقه بعدي وسادات أمتي وقادات الأتقياء إلى الجنة، حزبهم حزبي وحزبي حزب الله وحزب أعدائهم حزب الشيطان^(٣).

وعن زيد بن حارثة حينما بايع الأنصار النبي ﷺ بيعتهم الأولى، قال عليه السلام: أنا أخذ عليكم بما أخذ الله على النبيين من قبلي أن تحفظوني وتمنعوني عن ما تمنعون أنفسكم عنه وتمنعوا علي بن أبي طالب عن ما تمنعون أنفسكم عنه وتحفظوه فإنه الصديق الأكبر يزيد الله دينكم، وأن الله أعطى موسى العصا

(١) البحار: ج ٢٣، ص ٧٦ - الرواية الثانية - الباب الرابع.

(٢) ينابيع المودة ج ٢ الباب ٧٧ ص ١٠٥.

(٣) المصدر نفسه.

وإبراهيم برد النار وعيسى الكلمات يُحيي بها الموتى وأعطاني هذا: علياً، ولكل نبي آية وهذا آية ربّي والأنمة الطاهرون من ولده آيات ربّي لن تخلو الأرض من أهل الإيمان ما أبقي الله أحداً من ذريته واحداً.

وذكر الشيخ سليمان البلخي الحنفي في الينابيع الباب ٧٧ عن كتاب العمدة ليحيى بن الحسن من عشرين طريقاً ذكر فيها خلفاء رسول الله ﷺ وأنهم اثنا عشر خليفة^(١).

وذكر البخاري في صحيحه من ثلاث طرق وصحيح مسلم من تسعة طرق وفي سنن أبي داود من ثلاث طرق وفي سنن الترمذي من طريق واحد والحميدي من ثلاث طرق بالفاظ مختلفة أنه ﷺ قال: يكون بعدي اثنا عشر أميراً فقال: كلمة لم أسمعها فسألت أبي ماذا قال؟ قال: قال: كلهم من قريش^(٢). وفي لفظ مسلم: عن عامر بن سعد قال: كتبتُ إلى ابن سمرة (جابر) أخبرني عما سمعت من رسول الله ﷺ: فكتب إليّ سمعت رسول الله ﷺ يوم الجمعة عشية رجم الأسلمي يقول: لا زال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش^(٣).

وذكر السيّد عليّ الهمداني الشافعي في المودّة العاشرة عن عبد الملك بن عمير وسماك بن حرب عن جابر بن سمرة بهذا الطريق قال: كنتُ مع أبي عند رسول الله ﷺ فقال ﷺ: يكون بعدي اثنا عشر خليفة ثم قال كلاماً لم أسمعهُ فسألت أبي عنه فقال: قال: كلهم من بني هاشم، يعني إلى الثاني عشر^(٤).

(١) ينابيع المودّة ج ٢ باب ٧٧ ص ١٠٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

وعن الشعبي عن عمر بن قيس قال: كنّا جماعة عند عبدالله بن مسعود فدخل علينا أعرابي وقال: مَنْ منكم عبد الله بن مسعود؟ فقال عبدالله: أنا عبدالله ابن مسعود، فقال الرجل: هل حدّثكم نبيّكم كم يكون بعده من الخلفاء؟ قال: نعم، اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل^(١).

وعن الشعبي أيضاً عن مسروق قريب من الحديث المتقدم سأله أحد الشّبّان عن الخلفاء؟ فقال عبدالله بن مسعود: نعم عهد إلينا نبيّنا ﷺ أنّه يكون بعده اثنا عشر خليفة بعدد نقباء بني إسرائيل^(٢) وقريب منه عن جرير عن الأشعث عن عبدالله بن مسعود.

وفي مودة القربى - المودة العاشرة - والحموي في الفرائد عن الأصمغ بن نباتة عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون ومعصومون^(٣).

وذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة والحموي في الفرائد عن حذيفة بن أسيد قال: قال رسول الله ﷺ: الأئمة بعدي من عترتي عدد نقباء بني إسرائيل تسعة من صلب الحسين أعطاهم الله علمي وفهمي فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم اتبعوهم فإنهم مع الحق والحق معهم^(٤).

وذكر الشيخ سليمان البلخي في ينابيع المودة الباب ٧٨ نقلاً عن فرائد السمطين مروياً عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الاثنا عشر أولهم علي وآخرهم

(١) البحار: ج ٣٦، ص ٢٣٠، الرواية التاسعة، الباب ٤١.

(٢) ينابيع المودة ج ٢ باب ٧٧ ص ١٠٤.

(٣) المصدر نفسه ص ١٠٥.

(٤) فرائد السمطين: ج ١، ص ١٣٨، ط: السعادة بمصر ١٣٢٢ هـ.

ولدي المهدي .. إلى آخر الحديث^(١).

وفي الباب ٩٣ في حديث طويل عن صاحب المناقب مسنداً عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام ذكر فيه فضائل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن يقول: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله عن ربه سبحانه وتعالى (أي حديث قدسي): يا محمد أنت عهدي وأنا ربك فإياي فاعبد وعلي فتوكل وخلقك من نوري وأنت رسولي إلى خلقي وحجتي على برיתי، لك ولمن اتبعك خلقت جنتي ولمن خالفك خلقت ناري، ولأوصيائك أوجبت كرامتي، فقلت: يارب ومن أوصيائي؟ فنوديت: يا محمد أوصيائك المكتوبون على سرادق عرشي، فنظرتُ فرأيت اثني عشر نوراً وفي كل نور سطرأ أخضر، عليه اسم وصي من أوصيائي أولهم علي وآخرهم القائم المهدي فقلت: يارب هؤلاء أوصيائي من بعدي؟ فنوديت: يا محمد هؤلاء أوليائي وأحبائي وأصفيائي وحججي بعدك على برיתי وهم أوصيائك ... الخ^(٢).

وفي المناقب مسنداً عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً: الأئمة بعدي اثنا عشر أولهم أنت يا علي وآخرهم القائم الذي يفتح الله عز وجل على يديه مشارق الأرض ومغاربها^(٣).

(١) ينابيع المودة ج ٢ باب ٧٨ ص ١٠٨.

(٢) المصدر السابق باب ٩٣ ص ١٥٩.

(٣) المناقب للخوارزمي ص ٥، ط مكتبة نينوى الحديثة.

الخلفاء الاثنا عشر لا ينطبق إلا على مذهب الإمامية

وتوجد على غرار هذه الأحاديث الكثير الكثير في كتب الفريقين يعضد بعضها بعضاً بعبارات مختلفة، قال رسول الله ﷺ وبشكل مكرّر وفي عدّة أماكن ومواطن، ولكن من يدقّق ويطبّق هذا العدد (الاثنى عشر خليفة) على جميع عقائد المسلمين فإنّه لا ينطبق إلا على مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية القائلون بإمامة اثنا عشر إمام كلّهم من أهل بيت رسول الله ﷺ، وقد صرح بعض علماء السنة المنصفون بذلك أيضاً مثل الشيخ سليمان البلخي في الينابيع حيث قال تحت عنوان: «في تحقيق حديث بعدي اثني عشر خليفة»: قال بعض المحقّقين إنّ الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده ﷺ اثنا عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان علم أنّ مراد رسول الله ﷺ من حديثه هذا (الأئمة الاثنا عشر) من أهل بيته وعترته إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلّتهم عن اثني عشر ولا يمكن أن نحمله على الملوك الأموية لزيادتهم على اثني عشر وظلمهم الفاحش إلا عمر بن عبد العزيز^(١) ولكونهم غير بني هاشم لأنّ النبي ﷺ قال: كلّهم من بني هاشم.. ولا يمكن أن يحمله على الملوك العباسية لزيادتهم على العدد المذكور ولقلّة رعايتهم الآية «قُلْ لَا أَشْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» وحديث الكساء فلا بدّ من أن يحمل هذا الحديث على الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وعترته ﷺ (الذين تقول الشيعة الإمامية بإمامتهم) لأنّهم كانوا

(١) بل يكفي لإدانته أيضاً أنّه ملك وحكم الناس وفيهم من هو أعلم وأتقى وأورع وأعدل منه / المؤلف.

أعلم أهل زمانهم وأجلهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً وأفضلهم حسباً وأكرمهم عند الله وكانت علومهم عن آبائهم متصلاً بجدهم ﷺ بالورثة واللدنية كذا عرفهم أهل العلم والتحقيق وأهل الكشف والتوفيق ويؤيد هذا المعنى أي أن مراد النبي ﷺ الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته ويشهد ويرجحه حديث الثقلين والأحاديث المتكررة المذكورة في هذا الكتاب وغيرها^(١)، ولم يتوصل إلى هذه النتيجة الشيخ سليمان البلخي وحده بل يقطع بها كل عاقل منصف يترك العناد واللجاج والتعصب ويؤمن بالواقعية والموضوعية والتحقيق والتدقيق فالحديث لا ينطبق إلا على مذهبنا (الإمامية) ولا ينطبق على أي أئمة أو خلفاء أو ملوك ولكم أن تجربوا وتطبقوا الحديث.

إذن فمن خلال هذا تعرفون الفرقة الناجية التي ستكون واحدة من علاماتها أنها تؤمن وتعتقد بوجود اثني عشر إماماً من أئمة أهل البيت ﷺ من بني هاشم، ولا توجد فرقة تتصف بذلك سوى الشيعة الإمامية.

وكما قلت لكم مراراً إننا نتبع الدليل وليس اعتقادنا هذا ناشئ عن هوى النفس أو التعصب بل هو على أثر الأحاديث النبوية الشريفة، فلو كان هناك حديثاً واحداً من النبي ﷺ يأمرنا فيه بمتابعة واصل بن عطاء في الأصول، أو أبي الحسن الأشعري في الفروع أو أي واحد من أئمتكم الأربعة لاتبعتناهم امتثالاً وتسليماً لأمر النبي ﷺ.

والعجب من أهل السنة عندما نسألهم عن دليل إبتاعهم لهؤلاء الذين لم يأمر النبي ﷺ بوجوب متابعتهم، يقولون لأن أكثر المسلمين هم من أهل السنة وأكثر أهل السنة أشاعرة فهذا دليل متابعتنا للمذهب السني الأشعري، وقلت سابقاً: إن ملاك الحق ليس الأقل أو الأكثر بل هو الدليل المنبثق من القرآن والسنة

الصحيحة والعقل السليم، وكم هناك آيات قرآنية تذكّر الأكرية منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^(٢) فالأكرية ليست مناط الحق ولا ملاكه.

نتيجة مهمة

فالتنتيجة ممّا تقدّم أنّ من علامات الفرقة الناجية هي:

- ١ - التابعون لعلي بن أبي طالب عليه السلام في كلّ شيء والذين يفضلونه على جميع الصحابة إنطلاقاً من قوله «خير البرية» كما تقدّم بيانه.
- ٢ - الذين يتمسكون بأهل البيت من آل محمد وعلي صلوات الله عليهما وفقاً لحديث سفينة نوح المتقدم.
- ٣ - الذين يتمسكون ويتابعون أهل البيت عليهم السلام في الأصول والفروع وفقاً لحديث الثقلين المتقدم.
- ٤ - الذين يؤمنون بانبي عشر إماماً من عترة النبي صلى الله عليه وآله كما تقدّم، وجميع هذه العلامات والصفات لا توجد إلا في الشيعة الإمامية فقطعاً هم الفرقة الناجية، المقصودون بحديث الافتراق وهم الناجون من بين (٧٣) فرقة.

تعصّب أهل السنة

ورغم كلّ هذه الأدلة إلا أنّ أهل السنة يتبعون واصل والأشعري وأحمد وأبا حنيفة والشافعي مع عدم وجود أيّ حديث نبوي في فضل هؤلاء، بخلاف أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهذا يعني أنّ أهل السنة يتابعون أئمتهم عن تعصّب لا عن

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) سبأ: ١٣.

دليل وإلى اليوم، ثم نراهم يكفرون الشيعة ويتهمونهم بأنواع الاتهامات الباطلة بسبب متابعتهم - الشيعة - لأئمة أهل البيت عليهم السلام وأخذ الأصول الاعتقادية والأحكام الفرعية عنهم عليهم السلام، ولا أدري بأي مناسبة يكفرون الشيعة ولا يكفرون أنفسهم وهم يأخذون دينهم وأحكامهم - التي أشرنا إلى فسادها - من رجال جاءوا بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله بعشرات السنين لم يسمعوا منه مشافهة حديثاً واحداً، ولم يشر إليهم النبي صلى الله عليه وآله بحديث واحد! ألا يدعوكم هذا إلى الاستغراب والتعجب؟!

كيف تأخذ الأحكام الشرعية من هؤلاء ولا تأخذوها من رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب الشريعة الإسلامية الغراء عبر عترته الطاهرة؟

كيف تقولون بالتجسيم ولا يقول به رسول الله صلى الله عليه وآله؟

كيف تقولون بالجبر أو التفويض ولم يقل بهما رسول الله صلى الله عليه وآله؟

كيف تقولون بزيادة الصفات على الذات ولم يقل به رسول الله صلى الله عليه وآله؟

وكل هذه العقائد تفوح منها رائحة الشرك والكفر كما ذكرت ذلك لكم سابقاً والحال أنكم لا تجدون أمثال هذه الكفريات^(١) في مذهب الفرقة الناجية لأننا نتبع أهل بيت الرسالة عليهم السلام في كل شيء وهم أصل الإسلام، ولكي تطمأنوا إلى صحة عقائد الفرقة الناجية - الشيعة الإمامية - سوف أستعرض لكم بشكل مختصر ما أعتقد به أنا باعتباري واحداً من الشيعة الإمامية التي يؤمن بها الجميع وكل من خالف في ذلك فهو ليس من الشيعة لأنه إما من الغلاة والمفوضة أو غيرهما.

(١) لقد أبطلت المعتقدات الخرافية للأشاعرة والمعتزلة ورددت الاتهامات ضد الشيعة التي شتمها الأموية والخوارج والنواصب في هذا الكتاب وفي ليالي بيشاور ومائة مقالة سلطانية / المؤلف رحمه الله.

هذه عقائد الشيعة

التوحيد: نعتقد بأن الخالق (الله) سبحانه وتعالى إلهاً واحداً واحداً وهو واجب الوجود لذاته لا شبيه له ولا مثيل ولا عدیل ولا نظير وهو سبحانه مجرداً ليس جسماً ولا صورة ولا عرضاً ولا جوهرأ، وهو مجرد عن جميع الصفات الإمكانية ومبرأ من كل نقص، بل هو خالق الممكنات والأعراض والجواهر، فهو غيرها لا شريك له أبداً، وهو سبحانه مستجمع لكل صفات الكمال والجمال وصفاته عين ذاته، لا كما يقول الأشاعرة بالإضافة فهو شرك في مقام الذات، بل نقول بعينيتها تبعاً لأمر المؤمنين علي عليه السلام في خطبته وقد مرّت. وأنه تعالى قادر على كل مقدور خلاق على الإطلاق وهو الهادي سبحانه وتعالى ولكن لا على نحو الجبر والقهر.

النبوة: وبما أنه سبحانه ليس جسماً فهو إذن ليس من جنس الممكنات فلا يباشر الخلق ولا يباشرونه ولكنه تعالى انتجب من خلقه رسلاً بعثهم لخلقهم من أجل الهداية والرشاد، وزوّدهم بالمعجزات الخارقة والشرائع المتناسبة في الزمان والمكان، وجعل من بينهم خمسة أولي عزم وأصحاب شرائع عالمية وهم نوح وإبراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى روح الله ونبينا محمد ﷺ. وجعل رسالة النبي الخاتم ﷺ ناسخة لتلك الشرائع كلّها لكونها أوسع وأعمق وأدق، ولكونه ﷺ أفضل وأشرف جميع الأنبياء والمرسلين فانتجبه لختم الرسالات وجعل دينه خاتم الأديان، فنعتقد أن حلال محمد ﷺ حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة وشريعته مستمرة إلى يوم القيامة. **المعاد:** ونعتقد بيوم القيامة وهو يوم المجازاة فمن عمل صالحاً دخل الجنة ومن عمل طالحاً دخل النار، وفي ذلك اليوم يجمع الله الأولين والآخرين ويحييهم من جديد ويخلق أبدانهم ويعيد فيها الأرواح، فنؤمن بالنشر والحشر

والبعث والحساب والعقاب والثواب.. فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره كما أخبر القرآن بذلك.

القرآن: ونعتقد أن هذا القرآن الموجود بين أيدينا اليوم هو نفس القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيّنا ﷺ لم يزد فيه شيء ولم ينقص منه شيء وهو مصون من يد التحريف، وقد ذكرت تفصيل ذلك في كتابي (مائة مقالة سلطانية).

ونحن مأمورون بالعمل على وفق هذا القرآن العظيم وأخذ الأحكام منه كالصلاة والزكاة والحج والجهاد وغيرها من الأحكام والآداب والسنن (المستحبات)، ونعتقد بحرمة الخمر والقمار والزنا واللواط والربا وقتل النفس والغيبة والكذب والتهمة والكبر والحسد والبخل والرياء والعجب والظلم وغيرها من الذنوب والمعاصي التي أخبر عنها القرآن المجيد.

الإمامة: ونعتقد أن لكل نبي وصي ينوب عنه حال ارتحاله لكي يحافظ على معالم الرسالة ويحفظ الأمة من الانحراف والضلالة، فنعتقد أن النبي ﷺ لا يذهب عن هذه الدنيا إلا وقد عين وصيه للأمة، ويجب أن يكون خليفة رسول الله ﷺ مثل النبي ﷺ أي اتقى وأعلم وأورع وأسخى وأتم الناس ليصلح أن يكون حافظاً وحامياً للدين والناس ويتم تعيينه من الله تعالى ويُخبر عنه رسول الله ﷺ، فنعتقد أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام هو خليفة ووصي رسولنا الكريم ﷺ إنطلاقاً من النصوص الصحيحة المروية عند الفريقين مثل قوله ﷺ: «إن الله تعالى جعل لكل نبي وصياً وجعل شيث وصي آدم ويوشع وصي موسى وشمعون وصي عيسى وعلياً وصي، ووصي خير الأوصياء في البداء وأنا الداعي وهو المضي»^(١).

(١) ذكره مير سید علي الهمداني الشافعي في المودة الرابعة من كتابه مودة القربى عن

وذكر سبط ابن الجوزي في تذكرة خواص الأئمة وابن المغازلي الفقيه الشافعي في المناقب وشيخ سليمان البلخي الحنفي في الينابيع الباب ١٥ عن مسند أحمد بن حنبل بسنده عن أنس بن مالك قال: قلنا لسلمان: سل النبي ﷺ من وصيه؟ فقال له سلمان: يا رسول الله من وصيك؟ فقال: يا سلمان من وصي موسى؟ قال: يوشع بن نون، فقال ﷺ: وصي ووارثي يقضي ديني وينجز مواعيدي علي بن أبي طالب (١).

وعن موفق بن أحمد الخوارزمي بسنده عن أم المؤمنين أم سلمة (رض) قالت: قال رسول الله ﷺ: إن الله اختار من كل نبي وصياً وعلي وصي في عترتي وأهل بيتي وأمتي بعدي (٢).

→ أمير المؤمنين علي عليه السلام.

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢ ص ٦١٥ ح ١٠٥٢، ويناابيع المودة ج ١ الباب ١٥ ص ٧٧.

(٢) ينابيع المودة ج ١ باب ١٥ ص ٧٧.

أقول: وللإطلاع على النصوص التي ذكرت وصية النبي لعلي بالخلافة صريحاً يمكن مراجعة المصادر التالية من كتب أهل السنة: تفسير الخازن ج ٣ ص ٣٧٢ ط دار المعرفة بيروت، وكفاية الطالب للحافظ الكنجي الشافعي الباب ٥١ ط النجف، وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص ٤٣ ط النجف، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ١١٢ ط السعادة بمصر، وحلية الأولياء ج ١ ص ٦٣ ط السعادة بمصر، فضائل الصحابة لأحمد ج ٢ ص ٦١٥ والرياض النضرة ج ٢ ص ٢٧٩، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٣، والفصول المهمة لابن الصبّاغ ص ٢٧٧، ولسان الميزان للعسقلاني ج ١ ص ٤٨٠ ط حيدر آباد الدكن، السيرة الحلبية للشافعي ج ١ ص ٢٨٦ ط مصر، وتاريخ ابن عسّاكر ج ٣ ص ٥ رقم ١٠٢١ ط بيروت، وتفسير الطبري ج ٢ ص ٣١٩ ط دار المعارف مصر، وكنوز الحقائق للشافعي ص ٤٩ ط بولاق مصر، وذخائر العقبى

ونعتقد أن النبي ﷺ كما نصّ على أمير المؤمنين علي عليه السلام نصّاً صريحاً كذلك نصّ وذكر بقیة أوصيائه وخلفائه بأسمائهم وقد ذكرتُ لكم بعض هذه الروایات فلا أكرز، فنعتقد أن خلفائه اثني عشر وصياً وخليفة وأن الثاني عشر منهم ما يزال حياً ولكنه غائب عنا، وليست الغيبة أمراً عجبياً بل هي حصلت لبعض الأنبياء والأوصياء في الزمان السابق وقد ادّخره الله تعالى لإتقاذ العالم من الظلم والاستبداد، ولنشر العدل والسلام وهو المصلح الذي ينتظره العالم بأسره، ولكن تختلف تسميته من أمة إلى أمة، وقد أشرت سابقاً إلى موضوع غيبته عليه السلام، هذا بالنسبة لأصول الدين عندنا.

فروع الدين: وأما فروع الدين فنعتقد بالأحكام الخمسة الوجوب والاستحباب والكراهة والحرمة والإباحة، ولكن نأخذ جميع هذه الأحكام من باب الطهارة إلى باب الديات عن أهل بيت النبي ﷺ وأنا شخصياً - وكلّ شيعي - أفتخر بأنني أسير على نهج أهل البيت عليهم السلام وأخذ أحكامي منهم عليهم السلام بل أعتبر ذلك نعمة إلهية ليس يقابلها شكر لأنهم عليهم السلام الصراط المستقيم ولأنهم الصادقون الذين لا ينطقون إلا وفق القرآن كما وصفهم الله تعالى وكما أمرنا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١) وقد صرح الكثير من علمائكم بأن المراد من الصادقين في هذه الآية هم آل محمد ﷺ^(٢).

→ للطبري ص ١٣١ ط جذة، وكنز العمال ج ١١ ص ٦٠٤ رقم ٣٢٩٢٣ ط سوريا وغيرها من المصادر الكثيرة يمكن مراجعة كزاسنا علي سيد الأوصياء / المترجم. (١) التوبة: ١١٩.

(٢) أنظر الدر المنثور وتفسير الثعلبي وما نزل من القرآن في علي للحافظ أبي نعيم ومنقبة المطهرين ومنقب الخوارزمي وينابيع المودة باب ٣٩ وكفاية الطالب باب ٦٢ مسنداً وتاريخ ابن عساكر / المؤلف.

وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفاء ضوء الشمس يذهب باطلا^(١) إذن الفرقة الناجية هم أتباع آل محمد ﷺ الذين نزل القرآن الكريم بأمر المسلمين بالكون معهم ووجوب متابعتهم، فهذه عقائدي وهي عقائد الشيعة - الفرقة الناجية - بعيداً عن التعصب بل استناداً إلى الأدلة الثقلية والعقلية المتقدمة، فالمطلوب من المتتورين من شباب أهل السنة أن ينظروا إلى هذه المطالب العقائدية بعين الإنصاف والموضوعية ويزيلوا عن قلوبهم وعيونهم وعقولهم حُجب العصبية والقومية لأن ديننا الإسلامي العظيم دين المنطق والدليل والبرهان، لا دين التعصب والجاهلية ومتابعة السلف على الخطأ، حتى ذم الله تعالى أولئك الذين يقدِّدون الآخرين بلا دليل: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ... إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾^(٢).

وأنا شخصياً أشكر الله تعالى أن هداني إلى الدليل والمنطق فلم أتبع أحداً إلا بعد أن رأيت الأدلة القرآنية والمنطقية الصحيحة التي جعلت الفرقة الناجية هم أولئك الذين يتبعون القرآن والعتره معاً بلا أدنى فرق.

→ أقول: الصادقون جمع محلى بالألف واللام وهو يفيد العموم أي أنهم صادقون في جميع شؤونهم وهو تعبير ثاني عن العصمة، بل هو المتعين لأن الله لا يأمر بالكون إلا مع أهل العصمة ولا معصوم في الأمة آنذاك سوى النبي ﷺ وعلي ﷺ اتفاقاً بين المسلمين، فتكون الآية مخصوصة بعلي ﷺ حتى لو لم يكن لدينا نص على سبب نزولها، وفيها دلالات أخرى تشمل الأئمة الهداة من أهل البيت ﷺ لا يسع المجال لذكرها هنا / المترجم.

(١) هذا الشعر للمنتهبي لما سأله عن عدم مدحه للإمام علي ﷺ فأجابهم بهذا البيت.

(٢) الزخرف: ٢٢ - ٢٣.

مناقشة حديث : ما أنا عليه وأصحابي

ومع شديد الأسف نرى أكابر أهل السنة يتعاملون مع الدين والعقائد الدينية بكل تعصب وعناد ولجاج فهذا عبد القاهر البغدادي والشهرستاني وابن حزم الأندلسي يكتبون في كتبهم إن الفرقة الناجية هم الأشاعرة!! ودليلهم في ذلك حديث مروي عن النبي ﷺ حينما سُئل عن الفرقة الناجية فقال ﷺ : ما أنا عليه وأصحابي.

وبما أن الأشاعرة يقولون بتنزيه جميع الصحابة المؤمن والفاسق عندهم سواء فاعتبروا أنفسهم الفرقة الناجية باعتبارهم يتبعون جميع الصحابة ويكفرون كل من ينتقد الصحابة أو يناقش بعض أعمالهم، وهنا علينا أن نضع هذا الحديث تحت مجهر التحقيق والدراسة :

أولاً: مر عليكم سابقاً من خلال العشرات من الأحاديث أن علامة الفرقة الناجية هي التمسك بالقرآن والعترة الطاهرة ومتابعتهم وأخذ الأحكام عنهم ولا يجوز تقديم غيرهم عليهم كما في حديث الثقلين والسفينة وغيرهما، في حين لا يوجد أي حديث في فضل أبي الحسن الأشعري.

ثانياً: ومضافاً إلى تلك النصوص التي تأمرنا بمتابعة أهل البيت فقط فإن العقل يأمر بذلك، لأن الإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام هم من جملة الصحابة - في نظر أهل السنة - وقد عاشوا في كنف النبي ﷺ ونهلوا منه العلم عن لسانه المبارك وحملوا من الأسرار ما لا يعرفه أحد، بينما جاء أبو الحسن الأشعري بعد ٣٠٠ عاماً من وفاة النبي ﷺ!! فالعقل يرى وجوب وضرورة متابعة أهل البيت عليهم السلام ولا يرى أي وجه حسن في متابعة الأشعري.

ثالثاً: ثم لو تنزلنا وقلنا بصحة حديث ما أنا عليه وأصحابي - ولا نقول به - علينا أن نعرف مراد ودلالة هذا الحديث فضلاً عن سنده، فما المراد من كلمة

(أصحابي)؟ هل المراد منها جميع الأصحاب؟ وهو تعبير ثانٍ عن إجماع الصحابة إلى درجة عدم خروج واحدٍ منهم فإذا كان هذا المراد، فقطعاً لم يتحقّق لا في زمان النبي ﷺ ولا بعد وفاته لأنّهم لم يجتمعوا على أمر ولم يتحقّق مثل هذا الإجماع أبداً ولكم أن تراجعوا بعض الموسوعات التاريخية لتعرفوا بطلان ذلك.

وقد مرّ عليكم سابقاً أنّ الصحابة كانوا فريقين في حياة النبي ﷺ فريق المؤمنين وفريق المنافقين، ثمّ استمرّ وجود هذين الفريقين إلى بعد رحيل النبي ﷺ وكان الاختلاف بينهما على قدمٍ وساق في كلّ شيء ولكن ظاهراً كانت الأجواء والظروف توحّي أنّهم فرقة واحدة، وقد تكلمت سابقاً عن ذلك. والآن إذا أردنا أن نكون مع الأصحاب فلنمنّ نتبع؟ هل إلى هؤلاء أم إلى هؤلاء؟ إذ لا يمكن اتّباع أيّاً منهما إلّا مع وجود الدليل المقنع الراجح، فمثلاً ذكر جميع المؤرّخين والعلماء من الفريقين أنّ الصحابة بعد رحيل النبي ﷺ كانوا فريقين، جماعة كانوا مع أبي بكر وعمر وبايعوه على الخلافة وجماعة كانوا مع أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ووقفوا موقف المعارضة الساخط الناقم من الجماعة الأولى، مثل سلمان الفارسي وأبي ذرّ الغفاري والمقداد بن الأسود الكندي وعمّار بن ياسر وخالد بن سعيد بن العاص وبريدة الأسلمي وأبيّ بن كعب وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأبي الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وعثمان بن حنيف وأبي أيّوب الأنصاري وجابر بن عبد الله الأنصاري وحذيفة بن اليمان وعبد الله ابن عباس وزيد بن أرقم وسعد بن عباد الأنصاري وقيس بن سعد بن عباد مع جماعة كبيرة من الخزرج وتمام بني هاشم بقيادة العباس بن عبد المطلب عمّ النبي ﷺ، والفضل بن العباس والزبير بن العوام، والبراء بن عازب وآخرين... والآن نوجّه هذا السؤال إلى أهل السنّة: على أيّ أساس ديني تابعتم الفريق الأوّل وقلتم بخلافة أبي بكر واعترفتم بصحّة طريقتهم دون الفريق الثاني؟ حتّى

أنكم نعمتم على أتباع الفريق الثاني ووجهتم إليهم سهام الاتهام ووسمتموهم بالرافضة وما شابه ذلك!! أي أنكم ترون خطأ الفريق الثاني فأين الدليل على ذلك؟

سؤال أحد الحاضرين: إذا عكسنا هذا السؤال ووجهناه إليكم فنقول بأي دليل وبأي مرجح تابعتم الفريق الثاني من الصحابة ولم تعتقدوا بأحقية الفريق الأول من الصحابة؟

الجواب: كنتُ أتوقع مثل هذا السؤال، لقد ذكرت لكم سابقاً أن آيات القرآن الكريم وهكذا أحاديث الفريقين تخبرنا أن في صحابة النبي أناساً منحرفين ولكنهم يتظاهرون بالإيمان وقد نقلت لكم أحاديث البخاري حول ذلك، ومنه يظهر أن الجميع كان يعمل على أن يظهر بمظهر المؤمن ولكن يكمن النفاق والفسق في قلوب البعض.

فإذا كان الأمر كذلك لا يمكن لأي عاقل أن يلتزم بمتابعة الصحابة كلهم لأنه يعني متابعة المنافق والفاسق ضمناً وهو قبيح ويذم فاعله، ولا يجوز أن يتبع الفريق الأكثر عدداً لأننا قلنا إن الأكثرية ليست ملاك الحق ولا يستكشف منها بأي شكل. فاجتماع بعض الصحابة أو أكثرهم في سقيفة بني ساعدة لا دليل على أنه هو الحق، بل يُعرف الحق بالأدلة العقلانية والمرجحات غير القابلة للنقض والعلامات التي أخبر عنها النبي ﷺ وقد نقلت لكم سابقاً علامات الفرقة الناجية التي ذكرها النبي ﷺ فنحن عندما تابعنا فريقاً دون غيره وفق هذه الأسس الشرعية والعقلية، فنحن ندور مع أهل البيت ﷺ أينما داروا ونكون معهم أينما كانوا حسب حديث الثقلين والسفينة، فلما رأينا أن أهل البيت ﷺ غير موجودين في السقيفة -وهكذا معظم المهاجرين- بل لم يكن رأيهم إيجابياً لخلافة أبي بكر صرنا مع أهل البيت ﷺ حيث صاروا كما مال بنو هاشم ومعظم المهاجرين مع أهل البيت ﷺ آنذاك، واجتمع كبارهم في منزل علي وفاطمة

صلوات الله عليهما كما ذكره تاريخ البيهقي وغيره.

فالشيعية الإمامية مع الإمام علي أينما كان وأينما حلّ وصار ودليلنا أحاديث نبوية كحديث الثقلين والسفينة وغيرهما مثل قوله ﷺ لعمر بن ياسر: يا عمّار إن سلك الناس وادياً وسلك علي وادياً فاسلك وادي علي وخل عن الناس، يا عمّار علي لا يردك عن هدي ولا يدلك على ردي، يا عمّار طاعة علي طاعتي وطاعتي طاعة الله^(١).

ونقل ابن عبد البر المتوفى عام ٤٦٣هـ في الاستيعاب وابن حجر العسقلاني المتوفى عام ٨٥٢هـ في الإصابة، ومحمد بن يوسف الكنجي في الباب ٤٤ من كفاية الطالب بالفاظ متفاوتة مسنداً عن ابن عباس قال: ستكون فتنة فمن أدركها منكم فعليه بخصلة من كتاب الله تعالى وعلي بن أبي طالب، فبأنّي سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: هذا أول من آمن بي وأول من يضافحني وهو فاروق هذه الأمة يفرق بين الحقّ والباطل وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة وهو الصديق الأكبر وهو بابي الذي أوتى منه وهو خليفتي من بعدي^(٢). ثم قال: وذكره محدث الشام، وجاء مسنداً عن أبي ليلى الغفاري أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستكون من بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالزموا علي ابن أبي طالب أنّه أول من يراني وأول من يضافحني يوم القيامة وهو معي في السماء العليا وهو الفاروق بين الحقّ والباطل^(٣)، ثم قال: هذا حديث حسن وعال ذكره الحافظ في أماليه.

(١) ينابيع المودة ج ١، ص ٨٤ ط بيروت الأعلمي.

(٢) ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة الإمام علي ج ٤٢، ص ٤١، الرقم (٨٣٦٨)، وقريب منه في كنز العمال ج ١١ ص ٦١٦ رقم ٣٢٩٩٠ ط سوريا.

(٣) تاريخ دمشق ترجمة الإمام علي ج ٤٢، ص ٤٥٠ - الرقم ٩٠٢٦.

وذكر المتقي الهندي في كنز العمال قول رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: يا علي أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي^(١).

وأيضاً جاء في كنز العمال وكفاية الطالب باب ٦٢ مسنداً عن ابن عباس وعن محمد بن جرير والعلبي، وفي ينابيع المودة عن الحموي والعلبي والحاكم الحسكاني والسيد علي الهمداني في مشارب الأذواق عن ابن عباس وأبي هريرة وبريدة بن الأسلمي: حينما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٢)، قال رسول الله ﷺ: أنا المنذر وعلي الهاد، بك يا علي يهتدي المهتدون^(٣).

فمع وجود هذه الأدلة كلها نميل إلى الفرقة الثانية من الصحابة أي إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ومن كان معه من أهل بيته وأصحابه وأتباعه، وهذا ما أملاه علينا القرآن الكريم والأحاديث النبوية المتفق عليها بين الفريقين، أي أننا لم نطلق في عقائدنا من الهوى والرغبات والاستحسانات.

سؤال: أي أنكم تريدون القول أن خلافة أبو بكر وعمر وعثمان لم تكن على حق؟

(١) نص الحديث: علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي، حبه إيمان وبسفضه نفاق.. كنز العمال ج ١١ ص ٦١٤ رقم ٣٢٩٨١ ط سوريا، والمناقب للخوارزمي ص ٢٠٩، وفردوس الأخبار للدليمي ج ٢ ص ٧٨ رقم ٤٠٠٠ ط دار الفكر بيروت ١٩٩٧.

(٢) الرعد: ٧.

(٣) كنز العمال ج ١١ ص ٦٢٠ رقم ٣٣٠١٢ ط سوريا، ونجده في نور الأبصار للشبلنجي ص ٨٧ ط بيروت، ونظم درر السمطين للحنفي القسم الثاني من السمط الأول، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم الاصبهاني ج ١ ص ٣٠٦ ط السعودية وغيرها / المترجم.

الجواب: أرجو أن لا يخرج الحوار عن إطاره العلمي ولا تخرجوا عن روحية المتطّلع نحو الحقيقة، لأننا التقينا لتجاوز لا لتخصم، وعليه فأرجو أن تسمعوني جيداً:

أولاً: عليكم أن تفكّكوا بين الخلافة الدينية الإلهية وبين الرئاسة والسلطة الزمنية، فخلافة أبي بكر وعمر وعثمان وبنو أمية وبنو العباس كلّها عبارة عن سلطة زمنية، وليست خلافة دينية جاءت بنصّ من الرسول ﷺ، فليس في كتب المسلمين جميعاً نصّاً نبوياً على خلافة أبي بكر أو عمر أو عثمان ولهذا فإنّ خلافتهم جاءت من قبل أنفسهم وتأييد بعض الناس لهم، حالهم حال رئيس الجمهورية في الوقت الحاضر ولا يستطيع أحد من أهل السنّة أن يثبت خلاف ذلك، أي لا دليل شرعي على شرعية خلافتهم، وهذا ما اتّفق عليه الشيعة والسنّة حتّى ذكروا - أهل السنّة - أبواباً في كتبهم أنّ النبي ﷺ مات ولم يوصّ لأحد من بعده، ونحن الشيعة نوافقهم في الجملة في ذلك أي أنّه ﷺ مات ولم يوصّ لأحد من بعده سوى أهل بيته ﷺ وأمّا غير أهل البيت ﷺ فإنّه ﷺ لم يوصّ بشيء إليهم غاية ما في الأمر أنّ الأوس والخزرج اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لتعيين أمير سياسي (لا ديني) يحكم المدينة، ودارت في السقيفة حوارات حتّى وصل ثلاثة من المهاجرين (فقط) إلى السقيفة وهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وختم اللقاء ببيعة أبي بكر وتمّ انتخابه زعيماً سياسياً في أجواء قلقه وظروف خطيرة استثنائية تمّ استغلالها لترتيب هذا الأمر وقد أوضحته سابقاً.

ثمّ رأى الخليفة الأول أن يجعل الأمر لعمر بن الخطّاب من بعده وهو رأياً شخصياً تابعاً لأبي بكر بمفرده ولا يعبر حتّى عن إرادة الأمة الإسلامية فضلاً عن - إرادة السماء !! - ثمّ جاء عمر ورأى أن يجعلها شورى في الظاهر وديكتاتورية في الباطن كما أوضحته لكم سلفاً، وهكذا تلاحظون الاختلاف في وجهات

النظر، فنحن وأنتم نتفق على أن خلافة هؤلاء كانت رئاسة زمنية سياسية مثل رئاسة أي رئيس جمهورية في عصرنا الحاضر، وليس هناك أي تمثيل للرسول الأكرم ﷺ، كيف وقد خالف كبار الصحابة هذه الخلافة - المرتجلة - حتى كان أمير المؤمنين علي عليه السلام في طليعتهم، باعتباره صاحب الحق والمنصب كما تقدم بيانه.

وهكذا كان الشيعة مع الإمام علي عليه السلام في اعتراضه وسخطه وعدم رضاه لأنه سيد أهل البيت عليهم السلام سفينة النجاة والثقل الأصغر في الأرض وقد أمرنا الرسول الكريم ﷺ بالكون معهم والتمسك بهم وركوب سفينتهم فصرنا بمرور السنين (إمامية) لأننا نقول بإمامة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وصرنا (جعفرية) لاتباعنا للإمام جعفر الصادق عليه السلام^(١)، وهو سليل ذلك البيت الطاهر وأحد الأئمة الاثنا عشر الذي ملأ الخافقين من علوم آبائه (محمد الباقر) و(علي بن الحسين) و(الحسين بن علي بن أبي طالب) و(جده رسول الله ﷺ) ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

وعليه فنحن نتبع النصوص الصحيحة ونتبع أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم سفينة النجاة وأبرز شاخص وعلامة للفرقة الناجية، وهكذا نتبع من تابعهم من الصحابة المؤمنين المخلصين، وليس عندنا غير ذلك ونقولها لهم بكل صراحة

(١) عاصر الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام نهاية الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، وحينما كانت الدولة العباسية في شغل شاغل لقمع الأمويين، ورفع شعارهم - المزيّف - باسم آل محمد عليه السلام سنحت الفرصة المناسبة ليبرز الإمام الصادق عليه السلام ويخرج من الحصار الخانق الذي ضربه حوله ملوك الجور، فنشر علوم آل محمد عليه السلام بلا تقية حتى حضر درسه ٤٠٠٠ طالب من مختلف المذاهب وذاع صيته واشتهر اسمه فصرنا بذلك (جعفرية) لهذا السبب / المؤلف عليه السلام.

إِنَّا نَأْخُذُ أَصُولَنَا وَفُرُوعَنَا وَأَحْكَامَ دِينِنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام فَقَطْ تَبْعاً لِلدَّلِيلِ الَّذِي تَنْجِزُ عَلَيْنَا.

وأما سائر المسلمين غيرنا فهم يَتَّبِعُونَ واصل بن عطاء أو أبا الحسن الأشعري أو أبا حنيفة أو أحمد ... مع أن كل واحد من هؤلاء ليس من أهل البيت عليهم السلام لا علياً ولا حسينياً ولا حسنياً ولا جعفرياً وبالتالي ينطبق على مذهبنا حديث (خلفائي اثنا عشر) ولا ينطبق على أهل السنة بل لا ينطبق على أي فرقة منهم.

سؤال: إذن يتضح من كلامكم أن ما يقوله علماء أهل السنة حول الشيعة صحيح تام؟

الجواب: لا أدري ماذا تقصد، لأن أهل السنة يتكلمون حولنا وعلينا من جميع الجوانب مع الأسف.

سؤال: يقولون أن علماء الشيعة يعتقدون أن جميع الصحابة وكل من تابعهم من أهل السنة كفار نجسون يجب قتلهم!!

الجواب: ليست هذه أول قارورة كسرت في الإسلام، فالتهم والمزاعم كانت منذ الزمن الأول وحتى هذا اليوم وكلها افتراءات لا نسبة من الصحة لها، ولكم أنتم أيها المتنوّرون المثقفون أن تظالعوا كتب الشيعة المعتبرة الخطية منها أو المطبوعة والمتوفرة في الأسواق والمكاتب العامة لتعرفوا أن ما قاله علماؤكم محض اتهام وافتراء وذلك:

أولاً: أمّا عن الصحابة فالشيعة لا تقول غير ما يقوله القرآن الكريم عنهم وقد تطرقت لذلك معكم سابقاً^(١)، ونحن لا نكفر المنحرف فتستطيعون مراجعة كتبنا الفقهية الاستدلالية مثل دورة الجواهر والمدارك وكشف الغطاء وشرح

(١) الفرقة الناجية ج ١ ص ٣١، أنظر السؤال الثاني وجوابه مفصلاً / المترجم.

اللمعة وغيرها، بل انظروا إلى الرسائل العملية لفقهاء الشيعة فإنكم لا تجدون فيها أي فتوى يكفرون بها المنحرفين، كما يزعم العلماء المتعصبون من أهل السنة.

وأما النجاسة فهي مختصة بالكفار والمرتدين عن دين الإسلام، وحتى هؤلاء الكفار فقد تم تعيينهم في الأدلة ولكن لأزيدكم اطمئناناً أذكر لكم واحدة من فتاوى المرجع الكبير آية الله العظمى سيد الفقهاء والمجاهدين السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي المتوفى في ٢٨ رجب ١٣٣٧ هـ في النجف الأشرف من كتابه القيم (العروة الوثقى) في باب النجاسات يقول ﷺ:

الثامن: الكافر بأقسامه حتى المرتد بقسميه واليهود والنصارى والمجوس وكذا رطوباته وأجزائه سواء كانت مما تحلّه الحياة أو لا، والمراد بالكافر: من كان منكراً للإلهية أو التوحيد أو الرسالة أو ضرورياً من ضروريات الدين مع الالتفات إلى كونه ضرورياً بحيث يرجع إنكاره إلى إنكار الرسالة^(١).

وقال في المسألة الثالثة: لا إشكال في نجاسة الغلاة والخوارج والنواصب، وأما المجسمة والمجبرة والقائلين بوحدة الوجود من الصوفية إذا التزموا بأحكام الإسلام فالأقوى عدم نجاستهم إلا مع العلم بالتزامهم بلوازم مذهبهم من المفاسد^(٢).

فهذه فتاوى الشيعة بكلّ وضوح فأين تلك المزاعم الباطلة والانتهاكات الكاسدة التي يثيرها علماء السنة؟ نعوذ بالله من الفساد والضلال.

وأما انتقاد الشيعة لبعض الصحابة والإشارة إلى بعض مخالفاتهم فهو لا علاقة له بكفرهم أو نجاستهم، بل حتى المنافق في الدنيا لا يمكن اتهامه بالكفر

(١) العروة الوثقى ج ١، باب النجاسات.

(٢) المصدر السابق.

أو النجاسة كيف وهم يحضرون المساجد والصلاة ويقيمون الحج إلى بيت الله الحرام، بل أكثر من ذلك لدينا روايات عن أنتمنا عليه السلام يأمرهم الشيعة فيها على التعامل الأخوي والمعاشرة الطيبة مع أهل السنة منها ما ذكره الشيخ الكليني في أصول الكافي مسنداً عن سفيان ابن السمط عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان فهذا الإسلام^(١).

ونحن نلتزم بهذه الرواية ونعتبر أهل السنة من المسلمين ونعاشرهم عشرة المسلمين فندخل مساجدهم ويدخلون مساجدنا وفقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾^(٢) وقلت لكم سابقاً عندما يكون فيما بيننا بحثاً علمياً ومناظرة موضوعية هذا لا يعني أن يكفر بعضنا بعضاً والعياذ بالله.

فإن الله تبارك وتعالى لا يحب أن تشيع الفاحشة والأكاذيب واليهتان في جماعة المسلمين لأنها تزيد من اختلافهم وتفرقهم، ولهذا يقول إمامنا الصادق عليه السلام: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يغتابه ولا يخونه ولا يحرمه^(٣). فنعتقد أن القواسم المشتركة بيننا وبين أهل السنة كثيرة جداً فنحن وهم نعبد رباً واحداً ونعتقد بنبوة النبي الخاتم محمد عليه السلام وقرآنه المجيد المصون من أي تحريف وأنه معجزته الخالدة، ونصلي الفرائض اليومية ونؤذي الزكاة ونصوم شهر رمضان ونحج إلى الكعبة الحرام ونصدق بجميع ما جاء به النبي عليه السلام؛ فحلاله حلال وحرامه حرام، ونحب من يحبه الله ورسوله ونبغض

(١) أصول الكافي ج ٢ ص ٤٥، ط دار الكتاب الإسلامي.

(٢) النساء: ٩٤.

(٣) أصول الكافي ج ٢ ص ٣٥٦ ط دار الكتاب الإسلامي سنة ١٣٨٨ هـ.

مَنْ يَغْضُهِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَنَعْتَقِدُ بِالْمَعَادِ الْجَسْمَانِيِّ ...

أَمَّا السَّبَبُ الَّذِي يَدْفَعُ عِلْمَاءَ أَهْلِ السُّنَّةِ لِاتِّهَامِ الشَّيْعَةِ وَيَتَعْصَبُوا ضَدَّهُمْ هُوَ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يَعْتَقِدُونَ بِعَدَالَةِ وَنَزَاهَةِ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ وَيَنْقُلُونَ وَيَقْبَلُونَ أَحَادِيثَ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَلَوْ كَانَ الصَّحَابِيُّ فَاسِقًا مَجْهُولًا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِذِمَّةِ مِثْلِ الْوَلِيدِ بْنِ عَتَبَةَ وَغَيْرِهِ وَيَسْتَدَلُّونَ بِأَحَادِيثِهِمْ، بَيْنَمَا لَا تَلْتَزِمُ الشَّيْعَةُ بِهَذَا الْمَنْهَجِ الْمُخَالَفَ لِلْقُرْآنِ وَالْعَقْلِ، بَلْ يَقُولُونَ بِوُجُودِ صَحَابَةٍ فَاسِقِينَ كَذَّابِينَ وَضَّاعِينَ مُنَافِقِينَ يَظْهَرُونَ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَيُطْنُونَ النِّفَاقَ، وَعَلَيْهِ فَالْشَّيْعَةُ لَا تَعْتَرِفُ بِعَدَالَةِ وَنَزَاهَةِ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ وَتَرُدُّ جَمِيعَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يَنْقُلُهَا ذَلِكَ الصَّحَابِيُّ الَّذِي لَمْ تُثَبِّتْ عَدَالَتَهُ وَنَزَاهَتَهُ وَإِيمَانَهُ، بَيْنَمَا تَقْبَلُ أَحَادِيثَ الصَّحَابِيِّ الْعَادِلِ الثَّقَةِ، وَهَذَا مَا يَغْضُضُ أَهْلَ السُّنَّةِ، أَيِ اخْتِلَافِ الطَّرِيقَةِ وَالْمَنْهَجِ هُوَ الَّذِي يَدْعُو عِلْمَاءَ أَهْلِ السُّنَّةِ لِلتَّهْجَمِ عَلَيْنَا وَاتِّهَامِنَا بِجَمِيعِ التُّهْمِ الْبَاطِلَةِ، مَعَ أَنَّ الْإِنْسَانَ الْمُؤْمِنَ بِيَوْمِ الْمَعَادِ وَالَّذِي يَضَعُ نَصَبَ عَيْنِيهِ مُحْكَمَةَ الْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ لَا يَرْتَكِبُ مِثْلَ هَذِهِ الْأَفْعَالِ وَلَا يَتَّهَمُ النَّاسَ وَلَا يَتَصَرَّفُ تَصَرُّفًا عَصِييًّا يَقُودُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْعَذَابِ وَالْمَجَازَاةِ، هَذَا مِنَ النَّاحِيَةِ الْإِيمَانِيَّةِ.

أَمَّا مِنَ النَّاحِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ فَنَقُولُ لَكُمْ: إِذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ بِعَدَالَةِ الصَّحَابَةِ وَتَقْبَلُونَ أَحَادِيثَهُمْ بِاعْتِبَارِهِمْ عَاصِرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاسْمَعُوا مِنْهُ الْحَدِيثَ وَتَتَابِعُونَهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ وَتَتَّخِذُونَهُمْ قُدُوةً لَكُمْ، فَلِمَاذَا لَا تَتَابِعُونَ أَمْثَالَ أَبِي ذَرٍّ الْغَفَّارِيِّ أَوْ الْمَقْدَادِ أَوْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ أَوْ خَزِيمَةَ بْنِ ثَابِتٍ وَسَهْلَ بْنَ حَنِيفٍ وَعُثْمَانَ بْنَ حَنِيفٍ وَأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ وَجَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ وَحَذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانَ وَسَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ وَوَلَدَهُ قَيْسَ وَالْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَبْدَ اللَّهِ وَالْفَضْلَ وَلَدِي الْعَبَّاسِ .. الَّذِينَ امْتَنَعُوا مِنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ وَكُلُّهُمْ حَاجِجُوهُ وَأَثْبَتُوا لَهُ إِمَامَةً أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ؑ بِالْأَحَادِيثِ الَّتِي سَمِعُوهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟

أَلَمْ يَكُنْ هَؤُلَاءُ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكِبَارِ الْعَدُولِ؟ أَلَمْ يَكُنْ تَصَرُّفُهُمْ حِجَّةً؟ أَلَمْ

تكن الأحاديث التي نقلوها حول إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام حجة عليكم؟
فلماذا هذا التبعض بين الصحابة، ثم تتهمون الشيعة بذلك؟
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِخَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

والعجب كل العجب من أهل السنة كيف يناقضون أنفسهم بأنفسهم فقد
رووا حديث (أن أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)^(٢)، فإذا كان هذا
الحديث حجة عندكم، لماذا تهاجمون الشيعة إذن وتتهمونهم وتكفرونهم مع
أن الشيعة يتابعون بعض الصحابة الذين ثبتت عدالتهم عندهم وهم - الصحابة -
كلهم نجوم - عندكم -؟

فلماذا باؤكم تجرّ وباؤنا لا تجرّ؟

أتبصر في العين مني القذى وفي عينك الجذع لا تبصر؟!
فكانت مثل هذه التصرفات المتناقضة هي التي ولدت العداوة والتفرقة بين
المسلمين، إذ مارس علماء أهل السنة اتّهام الشيعة منذ أقدم العصور وإلى اليوم
وبنفس الوقت مارسوا التضليل وسياسة التجهيل مع أبناء ملتهم وأخفوا عنكم
هذه الحقائق، فكانوا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْراً
لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٣).

(١) البقرة: ٨٥.

(٢) مَرَّ مصدر وتعليق المؤلف عليه في الجزء الأول فراجع / المترجم.

(٣) الأنعام: ١٥٩.

صبر النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام مع المخالفين من أجل وحدة الإسلام

إن الركيزة الأساسية للإسلام هي الألفة والمحبة والوحدة ولذلك كان النبي ﷺ يعرف المنافقين كلهم ولكنه لم يعرفهم للناس عامة ولم يبح بأسمائهم في الملاء العام حفاظاً على وحدة المسلمين من التفرقة، حتى حينما حاولوا قتله في ليلة العقبة كما ذكرنا ذلك سابقاً بل طلب من حذيفة اليمان الذي رآهم وعرفهم أن يجعله سراً عنده ولا يقوله لأحد، كل ذلك من أجل وحدة الصف. وهكذا تصرف أمير المؤمنين علي عليه السلام خلال خلافة الثلاثة حيث يقول في خطبته الشقشقية:

أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ^(١)، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنْ الرُّحَا؛ يَنْحَدِرُ عَنِّي السُّيْلُ، وَلَا يَزُقُّنِي إِلَيَّ الطَّيْرُ. فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً، وَطَفِئْتُ أَرْثِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بَيْنَ جَدَاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيْبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدُخُ فِيهَا الْمُؤْمِرُ حَتَّى يُلْقَى رَبُّهُ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذَى، وَفِي الْخَلْقِ شَجَا. أَرَى ثُرَاتِي نَهْباً^(٢). وكثيراً ما كان يذكر حقه بالخلافة ويناشد المسلمين ويذكرهم بها ولكنه لم يمارس أي عمل مضاد تجاه الخلفاء الثلاثة لانتزاع حقه، بل كان يصبر من أجل الإسلام.

كما يقول هو عليه السلام: «فصبرتُ على طول المدّة وشدّة المحنة»^(٣) فكان الهدف

(١) في بعض النسخ بدل فلان ابن أبي قحافة يعني أبا بكر / المترجم.

(٢) الخطبة الشقشقية، أنظر نهج البلاغة خطبة رقم (٣).

(٣) المصدر نفسه.

عنده هو المحافظة على وحدة المسلمين فتحمل ما تحمل وجاهد نفسه وكظم غيظه للحيلولة دون وقوع أي منازعات أو حروب داخلية من شأنها أن تزعزع الدين أو تضعف الحالة الإسلامية، وكان هذا ديدن جميع أئمتنا عليهم السلام مع الملوك الأمويين أو العباسيين، بل كانوا يأمرؤن الشيعة بالصبر والتقية لتبقى بيضة الإسلام ويستمر هذا الوجود في حصن حصين.

وما علينا نحن (الشيعة والسنة) اليوم هو ذلك فتتعلّم من رسول الله ﷺ وعترته الطاهرة ﷺ هذا النوع من السياسة والحكمة التي نحافظ من خلالها على وحدة المسلمين، لا أن يعمل البعض عكس ذلك فيثير الحساسيات ويشحن النفوس بسيل من الأكاذيب والاتهامات الباطلة ضد إخوانه من الشيعة أو غيرهم مما يحرك به العوام ضدهم وبالتالي يؤدي إلى الحقد والبغض والترشق بالكلمات النابية التي تضعف الحالة الدينية في النفوس وتشق العصا. وأما الاختلاف في الرأي فإنه لا يفسد في الود قضية علينا تقديم الأدلة الكافية للطرف الآخر، وهو بدوره يعمل نفس العمل، والعقلاء يرجحون أحد المذاهب بلا أي عنف فكري أو استبداد سياسي بلا اتهامات ولا تكفير، وبلا فتاوي تكفيرية واضطهادات اجتماعية وسياسية كما فعله كثير من أهل السنة ضد الشيعة، وأذكر لكم مثلاً واحداً فقط في هذا المجال:

فتوى نوح الحنفي ضد الشيعة

أفتى الشيخ نوح الحنفي وهو من أهل السنة^(١) في أجوبة المسائل الحامدية في باب الردّة والتعزير وقد سُئل عن الشيعة فقال: «إن هؤلاء الكفرة والبغاة الفجرة جمعوا بين أصناف الكفر والبغي والعناد وأنواع الفسق والزندقة والإلحاد ومن توقّف في كفرهم وإلحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر

(١) قديم من بلاد الروم إلى بغداد في زمن السلطان مراد العثماني / المؤلف.

مثلهم!!!

وأما الكفر فمن وجوه: منها أنهم يستخفون بالدين ويستهزؤون بالشرع المبين! ومنها أنهم يهينون العلم والعلماء! ومنها أنهم يستحلون المحرمات ويهتكون الحرمات! ومنها أنهم ينكرون خلافة الشيخين ويريدون أن يوقعوا في الدين الشين، ومنها أنهم يطولون ألسنتهم على عائشة الصديقة ويتكلمون في حقها ما لا يليق بشأنها (من أمر الافك) مع أن الله تعالى أنزل عدة آيات في براءتها، فهم كافرون بتكذيب القرآن العظيم وسابون النبي ضمناً بنسبتهم إلى أهل بيته هذا الأمر العظيم، ومنها أنهم يسبون الشيخين سود الله وجوههم في الدارين ..

إلى أن يقول: فيجب قتل هؤلاء الأشرار الكفار تابوا أو لم يتوبوا!!!
أقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فمثل هؤلاء الذين بذروا بذور الشقاق والافتراق وأوجدوا مقدمات الفتن والنفاق بالأكاذيب والاتهامات والافتراءات التي كانوا يجعلونها في قوالب الفتاوى وكأنها أسلحة فتاكة وقنابل موقوتة يستخدمها أهل السنة لقتل إخوانهم الشيعة والتعدي عليهم، مع أن أقل عوام الشيعة لا يقول بهذه الأكاذيب لأنها محض افتراء.

بل هذه بلادنا (العراق وإيران..) يعيش فيها السنّي والشيعي سواء وقد يمرّ السنّي بمثل هذه الفتاوى مرور المستغرب لأنه لا يرى ذلك في حياته وهو يعيش بين ظهرائي الشيعة.

ومتى وأين استهزأ الشيعة بالدين؟ ألا ترون إلى علماء الشيعة واهتماماتهم بالدين، ألا ترون المدارس الدينية الشيعية ومدارس علوم الفقه والأصول والأخلاق والقرآن والحديث؟ ألا ترون إلى المساجد الشيعية تُقام فيها الجماعات؟ ألا ترون صيام وحج وصلوات الشيعة؟ ألا ترون تورّع كثير من

الشيعة عن المعاصي والمحرّمات؟ ثمّ حتّى لو صدرت بعض المخالفات الشرعية من بعض الناس فهذا ليس دليلاً على كفرنا، فكثير من أهل السنّة يعصي الله تبارك وتعالى ولكنه لا يصلح مبرراً لاثّام الجميع وتكفيرهم! أرجو أن تطالعوا الكتب الفقهية والأخلاقية للشيعة لتلاحظوا الدقّة التي يمارسها علماء الشيعة في مجال الأحكام وبناء النفس.

وأما ما ذكره هذا (المفرض) عن خلافة الشيخين فنحن نقول ما يقوله أهل السنّة لا غير، فإنّهم يقولون مات رسول الله ﷺ ولم يوص لأحد من بعده وجاء الناس وانتخبوا زعيماً لهم في سقيفة بني ساعدة. فحول هذه الخلافة والزعامة لا نضيف شيئاً غير ما قاله أهل السنّة في موسوعاتهم التاريخية.

وأما ما يتّصل بعائشة وحديث الافك فإنّ علماء الشيعة ردّوا هذا الاتّهام بكلّ قوّة، بل يعتقد الشيعة بضرورة نزاهة نساء جميع الأنبياء والأوصياء عن مثل هذه الاتّهامات التي افتعلها المنافقون من الصحابة، وليسوا الشيعة.

وأما رأينا في عائشة فنقول كانت وظيفتها الشرعية هي الجلوس في الدار كما أمرها الله بذلك أمراً وجوبياً ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(١) فلم تمتثل لذلك وخالفت وخرجت لتحارب أنزه وأطهر وأفضل وأعلم الناس عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهي المسؤولة عن تلك الدماء التي أريقَت لـ (٢٠,٠٠٠) مسلم في حرب الجمل، هذا ما نقوله وهو مسطور في التواريخ ولكن جاء الأمويون ونسجوا الأكاذيب ونسبوا إلى الشيعة وحرّضوا العوام ضدّهم لتتمّ اللعبة ويكسبوا الموقف.

وليس هنا مجال للردّ على جميع مفردات تلك الفتوى العجيبة إذ قد تعرّضت لأمثال هذه البحوث سابقاً، فالمطلوب من المثقّفين من أهل السنّة

قليل من التأمل والعقلانية والتدبر في التاريخ وعدم تقليد السلف تقليداً أعمى بلا دليل، وبفس الوقت، عليكم أن تعرفوا الشيعة من كتب الشيعة لا من كتب السنة، فإنكم لو طالعتموها لن تجدوا فتوى واحدة مثل فتاوى أهل السنة ضدنا فعليكم بالسلم وعدم العنف.

السعي الجاد من أجل الوحدة الإسلامية

لقد تحاورت مع أهل السنة حول أكثر هذه المطالب السالفة عام ١٣٤٥هـ في مدينة بيشاور الهندية سابقاً (والباكستانية اليوم) عشر ليالٍ، وقد لخصت مطالب تلك الليالي في محاضرة استغرقت ثلاث ساعات ألقيتها عليهم يوم ميلاد الإمام الحسين عليه السلام ودعوتهم (الشيعة والسنة) - كما ذكرته في كتابي ليالي بيشاور - يمكنكم مراجعته وهنا أيضاً أدعو إلى مزيد من المحبة واللقاء على الود والألفة، ونعيش معاً كما عاش الصحابة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وبعده على رغم اختلاف مناهجهم بل كما عاش المنافقون بين المؤمنين بكل سلام، فالمسلمون اليوم بأمس الحاجة إلى الاتفاق والاتحاد لمواجهة الهجمات اليهودية والنصرانية وافشال جميع محاولاتهم وهذا ما لا يتحقق مع وجود الأفكار التمييزية التي تؤدي إلى الافتراق وضعف الحالة الإسلامية بشكل عام.

فالمطلوب من زعماء أهل السنة (الشافعية والمالكية والحنبلية والمعتزلة والأشاعرة و...) أن يتفاهموا فيما بينهم ويتركوا التراشق والانتهاكات وتبادل الكتب التي يطعن بها بعضهم على بعض بكلمات قاسية التي امتد عمرها مئات السنين إذ لا طائل من ورائها وبالتالي سيصلون إلى اتفاق معين، كما وأرجو أن تفهموا أن تأليف الكتب التي تتكفل بإثبات الإمامة أو الخدش في بعض عقائد الفرق الأولى لا تعني شن الحرب ولا فتح ملف الانتهاكات والتفرقة بقدر ما تمثل حالة من الانفتاح العلمي والمناقشة الموضوعية القائمة وفق الأدلة، ولكن على

أن تخلو هذه الكتب من الاتهامات والأكاذيب الباطلة، أو الفتاوى التي تحرّض العوام أو السلاطين لقتل الآخرين كما حصل في زمان بني أمية وغيرهم وراح الشيعة أتباع أهل البيت عليه السلام ضحية هذه السياسة الأموية الحاقدة، فكانت التجربة قاسية حتى تحوّل الخط الفقهي والفكري عند أهل السنة إلى سياسة أموية تشنّ الحملات القمعية والتعسّفية ضد أتباع أهل البيت عليه السلام مع الأسف. هذه السياسة (الأموية) التي كشف عن حقيقتها الماكرة أبو سفيان حينما دخل على عثمان في أول يوم من خلافته: قال: يا بني أمية تلقّفوها تلقّف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة^(١).

وهكذا صرّح يزيد الذي فرح بقتل سيّد الشهداء الحسين بكر بلاء، أنشد: لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل^(٢).
فهذه هي السياسة الأموية التي لا تعرف الله ولا تؤمن به ولا بالمعاد أشاعوها في أوساط أهل السنة عندما التقت المصالح فاستخدم بنو أمية هذه المذاهب السنية سيفاً بئاراً ضدّ إخوانهم الشيعة، ومارسوا سياسة القمع الفكري فصارت المذاهب السنية هي التي تأخذ الإطار الرسمي في البلاد بين الفترة والأخرى في حين قمع المذهب الجعفري (مذهب أهل البيت) وألغى ولم يُعترف به، وكانت هذه السياسة الإرهابية قد أضعفت الحالة الإسلامية بشكل عام أمام الكفّار.

وأخيراً أدعو الجميع إلى ترك مثل هذه السياسة واحترام الآخرين فكرياً وسلوكياً والابتعاد عن مظاهر العنف والقمع والتحليّ بالعلم والموضوعية والروحانية المرنة. «وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب».

خاتمة الكتاب

وفي الختام أقول:

لقد مضى عليّ (١٨) شهراً وأنا أعاني من مرض القلب وأرقد طيلة هذه الفترة في المستشفى، حتّى منعني الطبيب من أيّ عمل أو حركة فيها جهد.

واستمرّت الحالة إلى ٢٣ رمضان ١٣٨٣هـ حيث كنت في وقت السحر وقد وضعت القرآن الكريم على رأسي وسألت الله تعالى أن يعطف على حالي ويلطف بي لإكمال (مراجعتي) لهذا الكتاب وألححتُ على الله تعالى كثيراً، حتّى مرّ عليّ بالعافية وراجعت الكتاب كلّه وانتهيت منه في يوم ١٨ ذي الحجة الحرام ١٣٨٤هـ (يوم الغدير العظيم) وأنا في المستشفى وقد زارني الكثير من الناس من مختلف الطبقات لعيادتي في طهران.

وأشكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة وأقرّ وأعترف باليقين بالمبدأ والمعاد ونبوّ النبي الخاتم محمد ﷺ وولاية أهل البيت  وكلّ ما كتبه في كتبي هي الحقائق التي كانت على لساني.

والحمد لله ربّ العالمين، وأرجو من القراء أن يدعوا ويطلبوا الخير لروح أبي وأمي رحمهما الله، وأنا العبد الفاني محمد الموسوي (سلطان الواعظين الشيرازي) ابن علي أكبر (أشرف الواعظين) ابن قاسم (بحر العلوم) ابن حسن ابن إسماعيل (المجتهد الواعظ) ابن إبراهيم بن صالح بن أبي علي محمد بن علي (المعروف بالمردان) بن أبي القاسم محمد تقي بن (مقبول الدّين) حسين بن أبي علي حسن بن محمد بن فتح الله بن إسحاق بن هاشم بن أبي محمد بن إبراهيم بن أبي الفتيان بن عبدالله بن الحسن بن أحمد (أبي الطيّب) ابن أبي علي حسن بن أبي جعفر محمد الحائري (نزير كرماني) ابن إبراهيم الضرير الكوفي (المعروف بالمجانب) بن أمير محمد العابد بن الإمام الهمام مولانا موسى

الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام أبي عبد الله الحسين (سيد الشهداء وخامس أصحاب الكساء وسبط خاتم الأنبياء شهيد الطف) ابن أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم والحمد لله أولاً وآخراً.

خاتمة من المترجم

لقد تمّ الفراغ من الجزء الثاني في صفر الخير عام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م على يد أقلّ العباد علماً وعملاً فاضل الفراتي، وأبتهل إلى الله تبارك وتعالى الذي أعانني في إنجاز هذا العمل إذ لا حول لي ولا قوة إلا به سبحانه وتعالى أن يتقبّله مني بقبول حسن، ويجعله ذخري يوم فقري وفاقتي، وأن يغفر لي ولوالدي (رحمهما الله).

وأرفع آيات الشكر والثناء لأنمّتي وسادتي وقادتي وأولياء أمري النبي العظيم وأهل بيته الطاهرين (عليهم الصلاة والسلام) على رعايتهم وعنايتهم في إكمال ترجمة وتحقيق هذا الكتاب.

وأقدم شكري إلى أخي العزيز الأستاذ نزار الحسن الذي ساعدني في تخريج بعض المصادر.

وكذلك أشكر أخي العزيز المجاهد السيّد هاني الموسوي دام مجده الذي كان يدفعني كلّما فترت ويقوّيني كلّما ضعفت ويشجّعني كلّما ازدحمت الأعمال، كما وأشكر كلّ من ساهم مادياً لإخراج هذا الكتاب إلى النور وأدعو لهم بالخير والرفاه.

اللهم اغفر وارحم وتقبّل إنك أنت الغفار الودود.

فاضل

٢٠٠٢م

فهرس الجزء الأول

٧	قصّة الكتاب
١٠	البداية
١٥	الحديث في مصادر أهل السنة
٢٠	مصادر الحديث في كتب الشيعة
٢٨	نتيجة البحث
٣١	الجواب عن السؤال الثاني
٣٧	ردّ حديث أصحابي كالنجوم
٣٩	نقل أحاديث في ارتداد بعض الصحابة
٦٠	دراسة حول الخلاف الأول - مرض النبي ﷺ
٦٥	دراسة حول الخلاف الثاني - إمارة أسامة
٦٨	دراسة حول الاختلاف الثالث
٦٨	قول عمر: إنّ محمّداً لم يمّتنا
٦٩	اختلاف جديد بسبب كلمة عمر
٧٤	الحكم في امرأة ولدت لستة أشهر
٧٥	علم الخلفاء
٧٧	سلوني قبل أن تفقدوني
٨١	عن الحجر الأسود
٨٢	أمانة عند امرأة

- ٨٥ عمر مع حذيفة بن اليمان
- ٨٦ سؤال اليهودي من الخلفاء
- ٨٨ عود على بدء
- ٩٠ دراسة حول الخلاف الخامس - الإمامة
- ٩٠ تأريخ أهل المدينة
- ١٠٥ حادثة سقوط الجنين واحراق بيت فاطمة
- ١٠٨ دراسة الاختلاف السادس - فذك
- ١١٤ فضل أهل البيت عليهم السلام
- ١١٨ دراسة حول الاختلاف السابع - قتل مانعي الزكاة
- ١٢٠ في نزول قوله تعالى: إذا ضربتم في سبيل الله
- ١٢٢ مقابلة الأحاديث بعمل أبي بكر
- ١٢٤ اختلاف الأمة دليل على عدم الإجماع
- ١٢٧ عظمة مالك بن نويرة في الإسلام
- ١٢٩ قصّة قتل خالد بن الوليد لمالك
- ١٣١ الإشارة إلى بعض النقاط السوداء
- ١٣٤ دفاع أهل السنّة عن خالد بن الوليد!!
- ١٤٧ دراسة حول الاختلاف الثامن - الخلافة
- ١٥١ النتائج المترتبة على هذا الاستخلاف
- ١٥٤ الشورى العمرية
- ١٥٧ دراسة حول الاختلاف التاسع - الشورى العمرية
- ١٦٤ حديث المنزلة
- ١٦٩ حديث الغدير
- ١٧١ علي أفضل الصحابة مطلقاً

٩٤١	فهرس الجزء الأول
١٧٢	حديث الطائر المشوي
١٧٤	حديث الراية
١٨٣	عمر كان يسعى لاستخلاف عثمان
١٨٦	قبر عثمان بن عفان!!
١٨٧	عود على بدء
١٩١	عثمان يخالف سيرة الشيخين
١٩٥	إيذاء ونفي أبا ذر
١٩٧	ضرب وسب عثمان لكبار الصحابة
١٩٨	ضرب عمار بن ياسر
١٩٩	التفاوت السياسي بين الخلفاء الثلاثة
٢٠٠	عدم احترام عثمان لعلي عليه السلام
٢٠٤	سبب سكوت الإمام علي عليه السلام عن أعدائه
٢٠٨	تأسي أمير المؤمنين عليه السلام بالأنبياء
٢١١	رسالته عليه السلام إلى أهل مصر
٢١٢	عبدالله بن سعد بن أبي سرح
٢١٣	عبدالله بن عامر بن كريز
٢١٤	أمراء جند عثمان
٢١٥	دراسة حول الاختلاف العاشر - خلافة أمير المؤمنين
٢١٩	اعتراض أهل الدنيا
٢١٩	ماذا قال المنافقون والأمويون لعلي عليه السلام؟
٢٢٠	محاورة بين الإمام علي عليه السلام وطلحة والزبير
٢٢٢	رسالة مزورة من معاوية إلى الزبير
٢٢٢	طمع طلحة والزبير في الولاية

- ٢٢٣ أمير المؤمنين يدعو على طلحة والزبير
- ٢٢٤ طلحة والزبير يستعدان للحرب
- ٢٢٤ عداة عائشة لعثمان ومن ثم لعلي عليه السلام
- ٢٢٦ أم سلمة تُذكر عائشة بفضائل علي عليه السلام
- ٢٢٧ توضيح دقيق حول حديث خاصف النعل
- ٢٣١ حاصل ما تقدم
- ٢٣٤ رسالة أم سلمة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام
- ٢٣٦ دعاء أمير المؤمنين علي أنس بن مالك
- ٢٣٨ بداية الحرب وعدد القتولين
- ٢٤٠ مقتل طلحة
- ٢٤٠ الصحابي المتمرد لا يكون من أهل النجاة
- ٢٤٢ الأدلة على انحراف طلحة والزبير
- ٢٤٤ هل تاب الزبير؟
- ٢٤٦ عائشة لم تنب من حرب الجمل
- ٢٤٨ إيذاء عائشة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
- ٢٥٠ مخلفات حرب عائشة لعلي عليه السلام
- ٢٥٠ خطبة معاوية في الشام
- ٢٥١ عثمان يطلب النصرة من معاوية
- ٢٥٢ رسالة معاوية لسعد بن أبي وقاص وجوابه
- ٢٥٤ الآيات القرآنية في لعن وذم معاوية
- ٢٥٦ إياحة دم معاوية
- ٢٥٦ مقطع من رسالة أمير المؤمنين لمعاوية
- ٢٥٧ إيذاء علي هو إيذاء للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

٩١٣	فهرس الجزء الأول
٢٥٨	القرآن يلعن الظالمين
٢٥٩	من هو زياد بن أبيه
٢٦١	حالات سمية أم زياد
٢٦٣	اعتراض أبي بكر على أخيه زياد
٢٦٤	اعتراض بني أمية على معاوية
٢٦٤	اعتراض يونس بن عبيد
٢٦٨	جواب زياد لمعاوية
٢٦٩	من هو المغيرة بن شعبة؟
٢٧١	زنا المغيرة بن شعبة في البصرة
٢٧٣	معاوية يرأسل زياداً
٢٧٤	ظلم زياد بن أبيه في حكومة البصرة
٢٧٥	رسالة الإمام الحسن لزياد
٢٧٦	رسالة معاوية لزياد
٢٧٧	استشهاد عمرو بن الحمق الخزاعي
٢٧٩	صانع الأحاديث سمرة بن جندب
٢٨٠	مجازر سمرة في البصرة
٢٨١	بُسر بن أرطاة
٢٨٢	كشف العورة سلاح النجاة
٢٨٣	مجازر بُسر في اليمن
٢٨٥	قتله ابني عبيدالله بن عباس
٢٨٥	انتهاكه لحرمة المسلمين
٢٨٦	دعاء أمير المؤمنين عليه السلام على بُسر
٢٨٧	من قتل مؤمناً متعمداً فهو خالد في النار

- ٢٨٩ سَمَ الإمام الحسن بأمر معاوية
- ٢٩١ فرح معاوية بوفاة الإمام الحسن عليه السلام
- ٢٩١ اعتراض ابن عباس على معاوية
- ٢٩٢ قتل حجر بن عدي
- ٢٩٤ بين زياد وحُجر
- ٣٠٠ رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية
- ٣٠١ وعائشة تعترض أيضاً
- ٣٠١ اعتراض الحسن البصري على معاوية
- ٣٠٢ بقيّة جرائم وموبقات معاوية
- ٣٠٢ قتل مالك الأشتر
- ٣٠٤ قتل محمّد بن أبي بكر
- ٣٠٧ حزن أسماء بنت عميس على محمّد
- ٣٠٩ محاصرة عثمان بن عفّان
- ٣١١ منزلة عمّار بن ياسر
- ٣١٥ الأدلّة على أنّ معاوية وأتباعه من أهل الباطل
- ٣٢٠ أحاديث في كفر من سبّ عليّاً
- ٣٢٢ سعد بن أبي وقاصّ يمتنع من سبّ عليّ
- ٣٢٨ اضطراب العسكر بسبب وجود عمّار
- ٣٢٩ تأويل مضحك للحديث
- ٣٣١ مرور على واقعة صفّين
- ٣٣٢ ليلة الهرير
- ٣٣٣ مكر ابن العاص في رفع المصاحف
- ٣٣٤ أمير المؤمنين يحاول أن يكشف اللعبة

- رسالة معاوية إلى أمير المؤمنين ٣٣٦
- التحكيم بين الفريقين ٣٣٧
- مقتطفات من سيرة الأشعث بن قيس ٣٣٩
- بين الحديبية وقضية التحكيم في صفين ٣٤١
- توريط أبي موسى الأشعري ٣٤٢
- خطبة الإمام الحسن عليه السلام ٣٤٨
- خطبة قيس بن سعد بن عبادة ٣٤٨
- كلام أبي موسى الأشعري ٣٤٨
- زيد بن صوحان يرّد على الأشعري ٣٤٩
- طرّد أبي موسى من قصر الإمارة ٣٥٠
- خداع عمرو لأبي موسى ٣٥١
- ما بعد التحكيم ٣٥٢
- خطبة أمير المؤمنين بعد التحكيم ٣٥٣
- ظهور الخوارج ٣٥٤
- إخبار النبي صلى الله عليه وآله عن الخوارج ٣٥٦
- استشهاد عبدالله بن خباب ٣٥٩
- إتمام الحجّة على الخوارج ٣٦٢
- احتجاج الخوارج على أمير المؤمنين ٣٦٣
- بداية الحرب ونهايتها ٣٦٧
- نتيجة ما تقدّم والإجابة عن السؤال الثاني لأصل موضوع الكتاب عن سبب
تفرّق الأمة ٣٦٨
- الشيعية هم أهل السنّة ٣٧٠
- تعصّب بعض أهل السنّة يحول دون وحدة المسلمين ٣٧١

- نص فتوى الشيخ شلتوت بجواز العمل بمذهب الشيعة الاثني عشرية ... ٣٧٣
- الاعتراض على الشيخ شلتوت من أهل السنة ٣٧٥
- بيان مختصر عن كتاب النقض ٣٧٦
- بيان مختصر عن إحقاق الحق ٣٧٦
- العلامة الحلبي ٣٧٧
- ظهور المغول والتتار ٣٧٨
- هجوم المغول على إيران ٣٧٩
- سبب تشييع خدابنده ٣٨٢
- استشهاد القاضي سيد نور الله الشوشتري مؤلف كتاب إحقاق الحق ٣٨٦
- حول كتاب الغدير ٣٨٧
- حول كتاب ليالي بيشاور ٣٨٨
- إشارة إلى بعض كتب أهل السنة التي هاجموا بها الشيعة ٣٨٩

فهرس الجزء الثاني

أهل البيت والقرآن معاً	٣٩٧
فيما بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام	٤٠٣
بعض حالات الحسن البصري	٤٠٣
إعتزال واصل بن عطاء	٤٠٤
ظهور المعتزلة	٤٠٥
المعتزلة	٤٠٧
الواصلية	٤٠٩
الهديلية	٤١٢
النظامية	٤١٢
الغباطية، الحديثية	٤١٣
البشرية	٤١٣
المعمرية	٤١٣
المردادية	٤١٣
الثمامية	٤١٣
الهشامية	٤١٤
الجاحظية	٤١٥
الخياطية	٤١٥
الجبانية	٤١٦

البهشمية ٤١٦

الجبرية ٤١٦

الجهمية ٤١٦

النجارية ٤١٦

الضرارية ٤١٧

الصفاتية ٤١٧

الأشعرية ٤١٧

أبو بردة عامر بن أبي موسى الأشعري ٤١٨

أبو الحسن الأشعري إمام الأشعرية ٤١٨

المشبهة ٤٢٠

الكرامية ٤٢٠

الخوارج ٤٢١

الأزارقة ٤٢١

النجادات العاذرية ٤٢٢

البيهسية ٤٢٣

العجاردة ٤٢٣

الصلتية ٤٢٤

الحمزية ٤٢٤

الخُلَيفَةُ ٤٢٤

الشعبيّة ٤٢٥

الميمونية ٤٢٥

الاطرافية ٤٢٥

الحازمية ٤٢٥

٤٢٦	الشعالبه
٤٢٦	الرشيديه
٤٢٦	الأخسيه
٤٢٦	الشيبيانيه
٤٢٧	المكرميه
٤٢٧	المعلوميّه والمجهوليّه
٤٢٧	الأباضيّه
٤٢٨	الحفصيه
٤٢٨	الحارثيه
٤٢٨	اليزيديه
٤٢٨	الصفريه أو الزياديّه
٤٢٩	المرجئه
٤٢٩	اليونسيّه
٤٢٩	العبيديه
٤٣٠	الغسانيه
٤٣٠	الثوبانيّه
٤٣٠	التومنيه
٤٣٠	المصالحيه
٤٣١	توضيح عن كتب الملل والنحل
٤٣٢	اختلافات باسم الشيع
٤٣٤	حقيقه عبدالله بن سبأ
٤٣٥	بولس اليهودي
٤٣٦	عقيدة الشيعة في عبدالله بن سبأ

- ٤٣٦ تعصب أهل السنة في نقل الأخبار
- ٤٤٠ أبو هريرة يضع الحديث بأمر معاوية.
- ٤٤٢ أهل السنة ينقلون الأحاديث عن الضعاف والمتروكين.
- ٤٤٤ أخطاء علماء أهل السنة - عمداً أو سهواً - في نقل الأخبار
- ٤٤٥ افتراءات وأكاذيب واتهامات أهل السنة على الشيعة
- ٤٤٧ خبر كاذب من الشهرستاني حول قبر الإمام الهادي عليه السلام
- ٤٤٩ خرافات وأكاذيب واتهامات ابن تيمية الحراني
- ٤٥٠ توضيح حول سرداب سامراء
- ٤٥٤ ردّ مفتريات محمد رشيد رضا في كتابه السنة والشيعة.
- ٤٥٥ نقل أقوال علماء الشيعة على عدم تحريف القرآن
- ٤٦١ من عقائد السبئية الفاسدة
- ٤٦٨ دراسة عن الفرقة المفضلية
- ٤٧٨ إشارة إلى هشام بن الحكم الكوفي
- ٤٨٠ لقاء هشام بالإمام الصادق ورجوعه عن الجهمية
- ٤٨٧ سبب الفتنة بين الشيعة والسنة في عام ٤٤٣هـ في بغداد
- ٤٩٤ مناظرة هشام بن الحكم مع عبدالله بن زيد الخارجي
- ٤٩٦ مناظرته مع عمرو بن عبيد
- ٤٩٩ حوار مع يحيى البرمكي أمام هارون
- ٥٠٠ مناظرته مع سليمان بن جرير حول الإمامة
- ٥٠٣ خلاصة الكلام في هشام
- ٥٠٤ الإنصاف مطلوب
- ٥٠٥ إشارة عن هشام بن سالم
- ٥٠١ مَنْ هو مؤمن الطاق؟

٥١٨ مَنْ هو يونس بن عبد الرحمن القمّي؟

٥٢١ أسباب ظهور الواقفية

٥٢٣ حقيقة البرامكة

٥٢٥ امتحان وكلاء الإمام الكاظم عليه السلام

٥٣١ خلاصة الكلام في يونس

٥٣٣ عود على بدء

٥٣٥ توضيح عن النصيرية

٥٣٩ النائب الأول عثمان بن سعيد

٥٤٢ النائب الثاني أبو جعفر محمد بن عثمان العمري

٥٤٣ النائب الثالث أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي

٥٤٤ النائب الرابع أبو الحسن علي بن محمد السمرري

٥٥٠ خبر أبي العباس ومعجزة الإمام في تعيين النائب

٥٥٣ حكاية أحمد بن أبي روح

٥٥٥ حكاية محمد بن الحسن الصيرفي

٥٥٦ سبب انحراف بعض أصحاب الأئمة

٥٥٩ دراسة حول الكيسانية ومحمد بن الحنفية

٥٦٩ بيان مختصر عن أصول الدين

٥٧٤ عود على بدء

٥٧٨ إيمان أبي خالد الكابلي بإمامة السجاد عليه السلام

٥٨٠ سبب عدم حضور ابن الحنفية في كربلاء

٥٨٢ المعجزة لا تكون إلا في موقع التحدي والحكمة

٥٨٨ فوائد خطبة الإمام السجاد عليه السلام

٥٩٤ إيمان السيد الحميري وعدوله من الكيسانية

- ٥٩٥ تحوّل الخمر إلى لبن
- ٥٩٥ لقاءه بالإمام الصادق عليه السلام
- ٥٩٧ عيادة الإمام الصادق للسيد الحميري
- ٦٠٢ رسول الله صلى الله عليه وآله يأمر بحفظ القصيدة العينية
- ٦٠٥ عاقبة السيد الحميري
- ٦٠٥ السيد الحميري ولد شيعياً
- ٦٠٧ دراسة عن أسباب مخالفة أهل السنة للمختار
- ٦٠٨ رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى خسرو پرويز ملك ايران
- ٦١٥ بداية الحرب مع الفرس
- ٦١٦ وقعة الجسر
- ٦٢١ اختلاف الأقوال في المختار
- ٦٢٤ حرب المختار مع أبي قدامة
- ٦٢٥ اعتقال المختار
- ٦٢٦ ثورة المختار في الكوفة
- ٦٢٧ التوابون
- ٦٢٨ استشهاد سليمان بن صرد
- ٦٢٩ اعتقال المختار
- ٦٣٠ رسالة المختار من السجن
- ٦٣٤ اتصال المختار بابن الأشتر
- ٦٣٥ خروج إبراهيم بن مالك الأشتر
- ٦٣٧ المختار يسيطر على قصر الإمارة
- ٦٣٨ قتل عبيد الله بن زياد لعنه الله
- ٦٣٩ تملل قتل الحسين في الكوفة

٦٤٠ قتل عمرو بن الحجاج

٦٤١ قتل حكيم بن طفيل

٦٤١ قاتل العباس ؑ

٦٤٢ قتل شمر بن ذي الجوش الضبابي

٦٤٤ الاقتصاص من الذين رضوا جسد الإمام الحسين ؑ

٦٤٤ قتل قاتل ابن عقيل

٦٤٤ الانتقام من خولي بن يزيد

٦٤٧ القبض على مرة بن منقذ قاتل

٦٤٧ علي الأكبر ؑ

٦٤٨ قتل زيد بن رقاد قاتل

٦٤٨ عبدالله بن مسلم بن عقيل

٦٤٩ قتل سنان بن أنس

٦٤٩ قتل حرمة بن كاهل قاتل

٦٤٩ عبدالله الرضيع

٦٥٠ قتل محمد بن الأشعث

٦٥١ قتل بجدل بن سليم

٦٥١ قتل إسحاق بن الأشعث

٦٥١ قتل أبي خليك الشاعر

٦٥٢ قتل أربعين رجلاً من قتلة

٦٥٢ الإمام الحسين ؑ

٦٥٣ قتل قيس بن حفص الشيباني

٦٥٣ قتل ٤٢٠ رجلاً ممن اشترك

٦٥٣ في قتل الإمام المظلوم ؑ

- ٦٥٤ إحصاء الذين قتلهم المختار
- ٦٥٥ شقاوة عمر بن سعد
- ٦٥٥ وحكاية الراهب
- ٦٥٨ إخبار أمير المؤمنين عليّ بشقاوة عمر بن سعد
- ٦٥٩ لقاء الإمام الحسين عليه السلام بعمر بن سعد
- ٦٦٠ دعاء الإمام الحسين عليه السلام على ابن سعد
- ٦٦٠ المختار يأمل بقتل عمر بن سعد
- ٦٦٤ قتال ابن الأشتر مع عبيد الله بن زياد
- ٦٦٥ الحرب خدعة
- ٦٦٦ من صور البطولة
- ٦٧٠ قتل عبيد الله بن زياد
- ٦٧١ إرسال رأس ابن زياد إلى المختار
- ٦٧٣ إرسال رأس ابن زياد إلى ابن الحنفية
- ٦٧٤ سبب عداة المخالفين للمختار
- ٦٧٥ قتل المختار وزوجته عمرة
- ٦٧٧ الأخبار المادحة للمختار من الأئمة عليهم السلام
- ٦٧٨ المختار كان إمامي المذهب
- ٦٨٣ سبب علاقة المختار بابن الحنفية
- ٦٨٤ معاوية يضع الحديث
- ٦٨٨ الإمامي لا يخلد في النار
- ٦٨٩ إخراج الإمام الحسين المختار من النار
- ٦٩١ من اتهامات الفخر الرازي للشيعة
- ٦٩٢ حقيقة البداء عند الشيعة

٩٥٥	فهرس الجزء الثاني
٦٩٢	لله (تعالى) نوعان من العلم
٦٩٦	أدلة تحقّق البداء من القرآن
٦٩٩	وقوع البداء في قوم نوح
٧٠٠	وقوع البداء في قوم يونس ؑ
٧٠١	وقوع البداء في زمن عيسى ؑ
٧٠٢	وقوع البداء في زمن النبي الخاتم ؑ
٧٠٣	توضيح دقيق عن البداء
٧٠٥	ثمرة البحث
٧٠٦	أدلة وجوب التقية من الآيات والروايات
٧١٠	دراسة مفصلة عن زيد بن علي ؑ
٧١٤	بعض الأخبار عن استشهاد زيد
٧١٥	زيد لم يدّع الإمامة لنفسه
٧٢٢	ثورة زيد الشهيد
٧٢٥	نتيجة البحث
٧٢٦	عقائد الزيدية الباطلة
٧٣٠	دراسة عن عبدالله الأفطح والأفطحية
٧٣٤	دراسة حول الإسماعيلية وإسماعيل ابن الإمام الصادق ؑ
٧٣٩	من شرائط الإمام
٧٤٢	إشارة إلى فرق الإسماعيلية الثلاث
٧٤٣	أسماء المؤسسين
٧٤٤	ظهور دولة الإسماعيلية
٧٤٥	انشقاق الإسماعيلية
٧٤٧	دراسة عن ظهور الباطنية ومفاسدهم

- ٧٤٩ المنحرفون الثلاثة
- ٧٥٠ قتل أبي طاهر لحجاج الكعبة
- ٧٥٤ فتنة قلعة الموت
- ٧٥٥ توضيح عن العلويين في مصر
- ٧٦١ الإمامية
- ٧٦٤ نقد كلام الشهرستاني
- ٧٦٧ حديث الدار على لسان المستشرقين ودلالاته
- ٧٦٩ حديث الغدير
- ٧٧٣ الصحابة مؤمنون ومنافقون
- ٧٧٨ التفتازاني يصرّح بوجود منحرفين في الصحابة
- ٧٨٠ الإجابة على السؤال الرابع والخامس
- ٧٨٣ أجوبة مختصرة في ردّ عقائد الأشاعرة
- ٧٨٧ الحسن والقبح العقليان
- ٧٩٠ هل القرآن قديم أم حادث؟
- ٧٩٣ المأمون يقتل من يقول بحدوث القرآن!
- ٧٩٤ الأشاعرة ينفون الاختيار عن الإنسان
- ٧٩٤ المجبرة عبر التاريخ
- ٧٩٨ أمر بين أمرين
- ٧٩٩ لعنت القدرة على لسان سبعين نبياً
- ٨٠١ وأما المعتزلة
- ٨٠٥ من معاجز رسول الله ﷺ
- ٨٠٨ قصّة زكريا عليه السلام تنفي التفويض
- ٨٠٩ إرسال الملائكة للنصر ينفي التفويض

٨١١	مرور على وقعة حنين
٨١٤	عقيدتنا لا جبر ولا تفويض بل أمرين أمرين
٨٢٢	لا للتفويض
٨٢٣	الإمام المهدي عليه السلام يجيب عن موضوع التفويض
٨٢٧	الأشاعرة تقول بإمكان رؤية الله!
٨٢٨	أدلة الشيعة على استحالة رؤية الله
٨٣٤	نفي الرؤية مؤبداً
٨٣٧	الإمام علي ينفي إمكان رؤية الله
٨٤٠	المحال على نوعين
٨٤١	نتيجة ما تقدم من الاختلافات في الأصول والفروع لأهل السنة
٨٤٤	صلاة الحنفية والشافعية أمام سبكتكين
٨٤٦	أهل السنة ليسوا هم الفرقة الناجية
٨٤٦	علامات الفرقة الناجية
٨٤٨	الدليل الأول على أن الشيعة هم الفرقة الناجية
٨٥١	الدليل الثاني على أن الشيعة هم الفرقة الناجية
٨٥١	إسناد حديث السفينة عن أبي ذر
٨٥٤	إسناد حديث السفينة عن ابن عباس وكبار الصحابة
٨٥٨	نتيجة الدليل الأول والثاني
٨٥٨	رد شبهة أهل السنة ومزاعمهم في حب أهل البيت عليه السلام
٨٦٧	الدليل الثالث على أن الشيعة هم الفرقة الناجية
٨٧٧	دلالة حديث الثقلين
٨٨٠	حديث الغدير وتعيين الأمير
٨٨٣	إبطال حديث كتاب الله وسنتي

- ٨٨٤ انصفوا أيها المنصفون
- ٨٨٥ نتيجة الأدلة الثلاثة حول الفرقة الناجية
- ٨٩٣ علي نفس الرسول
- ٨٩٥ أحاديث في أن خلفاء النبي اثني عشر
- ٩٠٩ الخلفاء الاثنا عشر لا ينطبق إلا على مذهب الإمامية
- ٩١١ نتيجة مهمة
- ٩١٢ تعصب أهل السنة
- ٩١٣ هذه عقائد الشيعة
- ٩١٨ مناقشة حديث ما أنا عليه وأصحابي
- ٩٣٠ صبر النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام مع المخالفين
- ٩٣٠ من أجل وحدة الإسلام
- ٩٣٢ فتوى نوح الخنفي ضد الشيعة
- ٩٣٤ السعي الجاد من أجل الوحدة الإسلامية
- ٩٣٦ خاتمة الكتاب
- ٩٣٨ خاتمة من المترجم
- ٩٣٩ الفهرس